مجلة آداب المستنصرية

تصدرها كلية الآداب بالجامعة المستنصرية

١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م

العدد الثاني عشر

١٢

المحتويات



الرئيس القائد صدام حسين

مجلــة آداب المستنصريــة

- بدأت بأســم (مجلة الجامعة المستنصريــة) في السنة الدراسية ١٩٦٩ / ١٩٧٠ وصدر منهــا للاختصاصات كافة خمسة اعداد ، وكانت تصدر عن رئاسة الجامعة .
- حملت اسمها الجديد (مجلة آداب المستنصرية) في العام الدراسي ١٩٧٥ / ١٩٧٦ وكانت تصدر عن كلية الاداب ، وتم اصدار تسعة اعداد منها لحد الان .
- ابتداء من العام الدراسي ١٩٨٢ / ١٩٨٣ أصبحت قطرية تنوب عن مجلات كليات الاداب فـي الجامعات العراقية استنادا الى قرار مجلس الوزراء المرقم (٥) بأجتماعه الاعتيادي الثلاثيــن فـي ١٢/ ٨/ ١٩٨٣ .
- تعمل هيئة تحرير المجلة على اصدار عددين سنويا وقد يكون معدل الاصدار اكثر من ذلك مستقبلا اذا استمرت بصفتها القطرية المعمول بها حاليا .
- هيئة تحريرها في الوقت الحاضر على النحو الآتي : -

لجنــــة المجلــــة

١ - الاستاذ المساعد حميد مخلف الهيتي	عميد كلية الاداب / الجامعة المستنصرية	رئيس هيئة التحرير
٢ - الدكتور احمد مطلوب	عميد كلية الاداب / جامعة بغداد	عضو
٣ - الدكتور نزار عبد اللطيف الحديثي	عميد معهد الدراسات القومية والاشتراكية	عضو
٤ - الدكتور صباح محمود محمد	عميد معهد الدراسات الاسيوية والافريقية	عضو
٥ - الاستاذ عبد الوهاب الركابي	استاذ مشارك / رئيس قسم اللغة الانكليزية / الجامعة المستنصرية	عضو
٦ - الدكتور عماد اسماعيل الكبيسي	استاذ / رئيس قسم اللغة العربية / الجامعة المستنصرية	عضو
٧ - الدكتور داود جاسم الجبالي	استاذ / الجامعة المستنصرية	عضو
٨ - الدكتور عبد الله الجبوري	استاذ مساعد / الجامعة المستنصرية	سكرتير التحرير

كلمـة المجلـة

يسر هيئة تحرير مجلة آداب المستنصرية أن يصدر العدد الثاني عشر من المجلة حافلاً بعدد واسع من بحوث السادة أعضاء الهيئة التدريسية في كليات الآداب والتربية بجامعات القطر كافة . وأن هيئة تحرير المجلة اذ تعتز بالتزاماتها أمام الكليات الشقيقة . في أعتماد مبدأ العدالة في منح فرص النشر للزملاء منتسبي الكليات المعنية تضطر الى منح بعض الكليات حظاً اوسع من البحوث المنشورة لغزارة أنتاج باحثيها على حساب قلة مايردها من الكليات الأخرى وتأمل أن تكون هذه الأشارة حافزاً للآخرين كي يرفقوا جهود كلياتهم وأقسامهم في هذا السفر المبارك .

ذكرنا في الأعداد السابقة . ان المجلة قد أحتلت موقعاً مرموقاً بين المجلات الجامعية الرصينة في الوطن العربي وخارجه . وقد توسعت دائرة طلبها من المكتبات الجامعيـة والمكتبات العامة والمتخصصة في العالم . وأن هذا الواقع يدفعنا الى المزيد من الجهود لتطويرها وتحسين ادائها وفي هذا السياق نلتمس الزملاء الباحثين والقراء ابداء النصح والمشورة لتجاوز مايرونه من الهنات التي تقع لنا لأننا رواد معرفة نسعى الى الأنجاز الأفضل على الدوام .

ان الواقع الجديد الذي تنهض به وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ودعوة السيـد الوزير عضو القيادة القطرية الرفيق سمير محمد عبد الوهاب الى ترجمة أهداف قيادة الحزب والثورة في مجالات البحث العلمي وتطويره يفتح أمام المجلة آفاقاً واسعة لتلبية هذا النـداء المخلص . وإزاءه قررت هيئة تحرير المجلة أصدار ثلاثة أعداد في العام الدراسي الحالـي ١٩٨٥ / ١٩٨٦ بدلاً من عددين في العام . كما كانت تفعل سابقاً . وفي الختام نوجه الشكر والتقدير الى رئاسة الجامعة المستنصرية لكريم دعمها للمجلة والسخاء عليها ونثمن لمطبعة جامعة الموصل جهودها في انجاز طباعة أعداد المجلة في الأوقات المحددة . آملين أن يظل ركب العلم في العراق الشامخ زاهياً وطليعياً يواكب انتصارات شعبنا وأمتنا في قادسية العرب الثانية وقائدها المظفر الرئيس المناضل صدام حسين حفظه الله وأدام سداده .

والله الموفـق والمعيـن

حميد مخلف الهيتي
عميد كلية الآداب
رئيس تحرير المجلة

اللغة العربية وآدابها

إسهام علماء العراق في علم نقط المصاحف

الدكتور أحمد نصيف الجنابي
كليـــة الآداب / الجامعة المستنصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

(١)

صار من المسلمات المعروفة في تاريخ اللغة العربية أن القرآن الكريم هو أساس علوم العربية وأنه المرجع الاول لكل تلك العلوم ...

وأصبح من المبادىء المقررة في تاريخ النحو أن علم نقط المصاحف يتصل بالنحو أولا أتصالا وثيقاً لانه يهتم بالحركات الاعرابية الثلاث : الفتحة والضمة والكسرة التي تعد أركان الاعراب المهمة وتتصل بالدلالة اتصالا لايكاد يخفى على أحد من طلاب العلوم العربية .

ويهتم علم نقط المصاحف بقضايا لغوية تؤثر في الاداء الصحيح ، واهمالها يؤدي الى اللحن «الجلي والخفي» ...ونظرة واحدة في كتاب : «المحكم في نقط المصاحف» للداني (المتوفى ٤٤٤هـ) ، تؤيد وجهة نظرنا .

(٢)

وقد تتبعت حركة نقط المصاحف منذ نشأتها حتى اكتمالها، بشكل موجز .وأوضحت خطوات تلك الحركة ومراحلها ، وأشرت الى أبرز المناهج ، وأهم الاتجاهات في تلك الحركة المباركة ... كما ابرزت اصالة علماء العراق في ذلك العلم الذي يتصل بكتاب الله أعز ماعند هذه الامة الكريمة واغلاه حيث جعله الله لساناً عربياً غير ذي عوج ليكون ميسراً لهداية الناس .. كما جعله عنوان دعاية مقدسة لهذه الامة ماتمسكت به واهتدت بهديه. قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم بشأن القرآن العظيم «وانه لذكر لك ولقومك» (سورة الزخرف . الاية ٤٤).

فما أعظم الامانة الملقاة على عاتق هذه الأمة؟!

(٣)

وقد ابرزت أيضا جل الاعلام الذين اسهموا في تلك الحركة ، وآثارهم فيها.

وقدمت بين يدي البحث مدخلا في مفهوم النقط ايضاحاً لهذا المصطلح الذي يدور عليه البحث.

ويقع البحث في أربعة اقسام :

القسم الاول مفهوم النقط والشكل

القسم الثاني : مراحل النقط والشكل

القسم الثالث: حركة التأليف في النقط والشكل

القسم الرابع: موازنة بين مذهب الخليل بن أحمد ومذاهب علماء النقط والشكل .

(٤)

وقبل ان أختتم هذه المقدمة اود أن أبين ان دلالة كل من النقط والشكل متداخلة وان مانعنيه بالمنهج هو ما أريد بالمذهب، وقد التزمت الاخير لأنه هو الدائر في كتب نقط المصاحف، كما ان اقتصاري على اسهام علماء العراق لايعني انكار جهود علماء الاقطار العربية والاسلامية، بل يعني التزام موضوع البحث .

وآمل ان اكون قد وفقت في عملي ... فكل مايفعله الانسان عرضة للخطأ ، وغاية مايقوله المشتغلون بالعمل – أمثالي – ان يجتهدوا!! ! والكمال لله وحده، والعصمة لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وكل انسان – بعده – يؤخذ من كلامه ويرد....

والحمد لله في الأولى والآخرة

وهو حسبي ونعم الوكيل.....

القسم الأول
مفهوم النّقط والشكـل

لمصطلح النقط والشكل ثلاث دلالات :

الاولى : الاعجام

يقال : أعجمت الكتاب اعجاماً ، اذا نقطته . وهو معجم — بفتح الجيم — وأنا له معجم — بكسرها — وكتاب معجم ومعجم — بفتح الجيم فيهما — أي : منقوط فالنقط بهذه الدلالة وضع النقط على الحروف المتشابهة في الشكل كالباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء ، وغيرها .

الثانية : الاعراب بالحركات الثلاث

وفي هذا يقول أبن مجاهد المقرىء البغدادي (المتوفى سنة ٣٢٤هـ) ، في كتابه «النقط» : (وفي النقط الاعراب ، وهو الرفع والنصب والخفض) (٥). وقد استعمل الخفض بدلا من الجر لانه كوفي .

الثالثة : الضبط الصوتي :

رمز الذي يشير الى : الشدة ، وعلامة المد ، وعلامة القصر ، وعلامة السكون ، وهي علامات تؤثر في الاداء والقراءة ، ولاسيما قراءة المصحف الشريف .

وقد بذلت جماعات من علماء هذه الأمة الكريمة جهوداً مضنية، حتى تمت مراحل النقط ، وذلك خدمة لكتاب الله ، وخوفاً عليه من التحريف ، واشفاقاً على قرائه من اللحن . وفي ذلك يقول الداني :(اعلم ان الذي دعا السلف ، رضي الله عنهم ، الى نقط المصاحف بعد أن كانت خالية من ذلك وعارية منه وقت رسمها وحين توجيهها الى الامصار ، ما شاهدوه من أهل عصرهم ، مع قربهم من زمن الفصاحة ومشاهدة أهلها ، من فساد

---

(٥) المحكم في نقط المصاحف ، للداني/٢٢ ، ١٢٤ .

ألسنتهم، وأختلاط الفاظهم، وتغير طباعهم ، ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامهم، وما خافوه مع مرور الأيام وتطاول الأزمان من تزيد ذلك وتضاعفه فيمن يأتي بعد ، ممن هو — لاشك — في العلم والفصاحة والفهم والدراية، دون من شاهدوه ممن عرض له الفساد، ودخل عليه اللحن ، لكي يرجع الى نقطها ، ويصار الى شكلها ، عند دخول الشكوك ، وعدم المعرفة، ويتحقق بذلك اعراب الكلام، وتدرك به كيفية الالفاظ) اهـ(١).

القسم الثاني
مراحل النقط والشكل

المرحلة الاولى : نقط الاعراب

٣ ــ تجمع الروايات على ان اول من نقط المصاحف نقط اعراب هو ابو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو (المتوفى سنة ٦٩هـ)

وتختلف الروايات ــ بعد ذلك ــ في تحديد الوقت الذي حدثت فيه عملية النقط.

فذهبت بعض الروايات الى ان ذلك قد حدث في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

روى أبو بكر بن الانباري (المتوفى سنة ٣٢٨هـ)، بسنده عن إبن أبي مليكة، قال: قدم أعرابي في زمن عمر فقال: من يقرئني مما انزل الله على محمد؟ فاقرأه رجل براءة(*) فقال: «ان الله بريء من المشركين ورسوله» بكسر اللام!! فقال الاعرابي: أوقد بريء الله من رسوله؟! ان يكن الله بريء من رسوله فانا ابرأ منه!! فبلغ عمر ماقاله الاعرابي فدعاه فقال: ياأعرابي اتبرأ من رسول الله؟ فقال: ياأمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني، فاقرأني هذا سورة براءة، فقال: «ان الله بريء من المشركين ورسوله، فقال عمر: ليس هكذا ياأعرابي. ولكن ان الله بريء من المشركين ورسولُه فقال الاعرابي: وأنا بريء ممن بريء الله منه ... فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الا يقرىء القرآن الا عالم باللغة. وأمر أبا الاسود فوضع النحو (٢).

وتذكر رواية أخرى أن الحادثة وقعت في عهد معاوية بن أبي سفيان.

قال العتبي: كتب معاوية الى زياد يطلب ابنه عبيد الله، فلما قدم كلمه فوجده

(*) أي: سورة التوبة.

يلحن ، فرده الى زياد ، وكتب اليه كتاباً يلومه فيه ويقول: أمثل عبيد الله يضيع؟! فبعث زياد الى أبي الاسود ، فقال : ياأبا الاسود إن هذه الحمراء — أي : الاعاجم — قد كثرت ، وأفسدت من السن العرب . فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ، ويعربون به كتاب الله ، فأبى ذلك أبو الاسود ، وكره إجابة زياد الى ماسأل فوجه زياد رجلا وقال له: أقعد في طريق أبي الاسود فأذا مر بك فأقرأ شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فيه، ففعل ذلك،فلما مر به أبو الاسود رفع الرجل صوته يقرأ : إن الله بريء من المشركين ورسوله !! فاستعظم ذلك أبو الاسود، وقال:عز وجه الله أن يبرأ من رسوله. ثم رجع من فوره الى زياد فقال له: ياهذا قد أجبتك الى ماسألت ، ورأيت أن أبدأ باعراب القرآن ، فابعث إلى بثلاثين رجلا . فاحضرهم زياد ، فاختار منهم أبو الاسود عشرة ثم لم يزل يختار منهم حتى أختار رجلا من عبد القيس ،فقال : خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد ، فاذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف واذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف ، واذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله فأن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة (*) فانقط نقطتين . فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره (٢) .

وهذه الرواية ترد في جل مراجع النحو باختلاف بسيط في الجزئيات (٢ ب) .

وحدث «عمر بن شبه»... عن المقرىء العراقي عاصم بن أبي النجود أنه قال: أول من وضع النحو أبو الاسود الدؤلي جاء الى زياد بالبصرة فقال : اني أرى العرب قد خالطت هذه الاعاجم،وتغيرت السنتهم. أفتأذن لي أن أضع للعرب كلاماً يعرفون ويقيمون به كلامهم . قال : لا ..... الخ (٣) .

فرواية عاصم بن أبي النجود تتضمن دلالة هي عكس دلالة الروايات السابقة ، لان الاخيرة تقول :إن أبا الاسود هو الذي جاء الى زياد، في حين تقول الرواية التي قبلها : إن زياداً هو الذي طلب من أبي الاسود فأبى الاخير .

ولاتعارض بين الروايات أذا جعلنا الرواية قبل الاخيرة كانت سابقة في الزمن . حيث طلب زياد أولا من أبي الاسود أن يضع للعرب مايعصمون به السنتهم من سيل اللحن الذي جاء نتيجة طبيعية للامتزاج الاجتماعي . فكان جواب أبي الاسود الرفض لانه لم يكن مقتنعاً بجدوى تلك الخطوة التي أقترحها زياد... ولما تبين لابي الاسود

(*) يريد بالغنة : التنوين .

أنها خطوة لابد منها نهد لها ... وجاء الى زياد يوضح له أستعداده للقيام بهـا .....

ويعطي الداني (المتوفى سنة ٤٤٤ هـ) رأيه في الاختلاف ويقدم خلاصة ماظهر له منها ، فيقول (٤) :

أختلفت الرواية فيمن ابتدأ نقط المصحف من التابعين، فروينا أن المبتدىء بذلك كان أبا الاسود الدؤلي ، وذلك أنه أراد أن يعمل كتاباً في العربية يقوم الناس به ماافسد من كلامهم إذ كان قد نشأ ذلك في خواص الناس وعوامهم فقال: أرى أن أبتدىء باعراب القرآن أولا ، فاحضر من يمسك المصحف وأحضر صبغاً يخالف لون المداد ، وقال للذي يمسك المصحف عليه اذا فتحت فاي فاجعل نقطة فوق الحرف واذا كسرت فاي فاجعل نقطة تحت الحرف ، واذا ضممت فاي فاجعل نقطة أمام الحرف، فان أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة — أي تنويناً — فاجعل نقطتين ، نفعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف .

ومهما أختلفت الروايات في الجزئيات فانها قد اتفقت على شيء جوهري واحد ؛ هو ان تنقيط المصحف الشريف تنقيط اعراب كان على يد أبي الأسود الدؤلي، وأنه جعل الحركات الثلاث ، والتنوين، لاغير.

ويعد ابو الأسود الدؤلي بصرياً، لامن حيث الانتماء السكاني، وانما من ناحية الانتماء العلمي والثقافي ...

لقد عاش أبو الأسود خمساً وثمانين سنة، وتوفي بطاعون البصرة الجارف سنة ٦٩هـ. وذكرت مصادر حياته انه كان قاضي البصرة، ولم تحدد الفترة التي عمل فيها قاضياً فمتى كان ذلك؟

لقد روى أبو الاسود الحديث عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس، وأبي ذر الغفاري، رضي الله عنهم (٥).

والظاهر أنه هاجر الى البصرة بعد تمصيرها في عهد عمر الفاروق، رضي الله عنه.

وفي عهد علي ابن الحسن، رضي الله عنه ، يبرز أبو الاسود ملازماً له، فقد اشترك معه في جميع الحروب التي خاضها ضد خصومه...

فيظهر — والله اعلم — أنه صار قاضياً في تلك الفترة...

* تفسير عملية تنقيط الاعراب

يرى صاحبنا في طلب العلم (زميلنا) الدكتور محمد خير الحلواني أن أبا الاسود اختار ان تكون الفتحة من فوق الحرف لأن فيها – كما يقول القدماء – استعلاء وان تكون الكسرة من تحته لما فيها من تسفل ، ولم يبق للضمة الا موضع واحد هو أن تكون في وسطه او أمامه.

وهو توجيه طريف ...

ثم أتبع ذلك قوله : « ونأتي الى ضبط التنوين، وقد سماه غنة مراعيا في ذلك الجانب الصوتي من النطق، لأن جزءاً من صوت النون الساكنة يخرج من الأنف . والى جانب هذه الملاحظة الصوتية نجده يجعل التنوين كالاعراب من حيث الرمز الذي يختاره له، ولم يختر له شكلا خاصاً ، وربما كان سبب ذلك مالاحظه في التنوين من ظهور مرة ومن خفاء مرة أخرى فربط بينه وبين حركة الاعراب التي تزول في الوقف، وتظهر في الوصل» (٦).

ان الذي اود أن اوضحه هنا – هو ان مجموعة من الاصوات المدغمة تخرج من الانف في أثناء عملية النطق، وذلك عند ادغام النون الساكنة (او التنوين: وهما شيء واحد من الناحية الصوتية) ، في صوتي (النون والميم)

وقد لاحظ مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، أن ذلك النوع من الادغام ليس كاملا(٧).

وطرح الدكتور ابراهيم انيس في كتابه (الاصوات اللغوية) مثل هذا الرأي (٨) دون ان يشير الى (مكي). ولعله لم يطلع على كتابه «الرعاية» .

وكل القراء (السبعة او العشره) ادغموا النون الساكنة (او التنوين)، في أصوات (ينمو) ادغاما مع الغنة (٩) .

فما الغنة؟

الغنة (او عملية الغنة) ، من الناحية الصوتية ماهي الا زيادة في التردد الموسيقي للصوت او هي اطالة لصوت النون .

والزمن الذي يستغرقه النطق بالغنة هو في معظم الأحيان، ضعف ماتحتاج اليه النون المظهرة، وليس ذلك الا للحيلولة بين النون والفناء في غيرها.

ولذلك تعد الغنة وسيلة لجأ اليها القراء لاعطاء النون حقها الصوتي – مع غير أصوات الحلق – لتحول الغنة بين النون وفنائها في غيرها من الاصوات (١٠) .

فاذا أضفنا الى ذلك مالاحظه علماؤنا الافذاذ أنه ليس من الاصوات له غنة الا النون والميم – وان علماء الاصوات المحدثين أيدوا هذه الملاحظة (١١) – أدركنا السر في وضع نقطتين رمزاً للتنوين .

ولا أستبعد أن أبا الاسود أدرك هذه الناحية الصوتية في التنوين ، لانه من القراء المعروفين وقد ترجم له أبو العلاء الحسن بن أحمد ، المتوفى ٥٦٩هـ ،في كتابه : الغاية في القراءات العشر ، وابن الجزري في «طبقات القراء» ، وغيرهما .

إن الغنة التي في النون الساكنة (أي التنوين) هي التي جعلته يسمي هذه الظاهرة غنة .

والغريب أن التطور الذي حصل في عملية النقط جعل النقطتين حركتين في تنوين الفتح (كتاباً) ، وتنوين الكسر (كتابٍ) ، وتنوين الضم (كتابٌ) .

وكان الاحرى أن توضع (نوناً) بدلا من ذلك ، وعلماء العروض كانوا أدق حين جعلوا التنوين نوناً ساكنة ، وليتنا أخذنا بمنهجهم .

أما عدم اختيار أبي الاسود للتنوين شكلا خارجياً فذلك يعود الى عدم توصله الى ما يعبر عن شكل التنوين الا بالنقاط .

ويؤيد هذا الرأي أن العملية كلها كانت بداية ، وطبيعة البداية أن تكون مرحلة تليها أخرى . وكانت البداية وضع النقطة بدلاً من الحركة ، دون تمييز الا بالنسبة لموقعها من الحرف .

المرحلة الثانية

أنتهت المرحلة الاولى بوضع نقط الاعراب وبقيت مشكلة تعد من: أهم مشكلات الخط العربي وهي تمييز الحروف المتشابهة في الرسم ، مثل ب – ت – ث ، ح – ج خ ، د – ذ ، ر – ز ، س – ش ، ص – ض .

كانت هذه الحروف مهملة غير منقوطة حتى عصر أبي الاسود فمن ذا الذي قام بعملية اعجام الحروف المتشابهة بالرسم ؟

يقول الجاحظ ، في كتابه : (الامصار) : «إن نصر بن عاصم أول من نقط المصاحف»(١٢)
وذكر ذلك أبن الجزري في طبقات القراء ، والداني في المحكم .
وهو أمر غير مستبعد .

غير أن الامام البخاري يقول في «تاريخه» : إن أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر (١٣) ، وهي رواية الداني (١٣) .

فاذا كان نصر بن عاصم (المتوفى ٨٩ هـ) ، ويحيى بن يعمر (المتوفى ٨٣هـ) ، متعاصرين ،وكان كل واحد منهما تلميذاً لابي الاسود ، فيحسن أن نجعلهما مشتركين في العملية ، لانه ليس لدينا مانرجح أحدى الروايتين على الاخرى ، لانهما متكافئتان في الدلالة .

وعملية اعجام الحروف المتشابهة مهمة جداً ولا يمكن أن نتصور مدى تأثيرها حتى نعرف ماينتج عن إهمال الاعجام .

ان نظرة واحدة في كتاب «مايقع فيه التصحيف والتحريف» لابي أحمد العسكري تدل دلالة واضحة على أن عدم ضبط النقط الاعجامي أوقع مجموعة من أفذاذ علماء اللغة في التصحيف ، أي : في الخطأ . ولا فرقَ في ذلك بين الخليل بن أحمد (١٤) والكسائي ، ولا بين ابن الاعرابي (١٦) ، وابن حاتم السجستاني (١٧) .

والتصحيف معناه الخطأ في الاحرف المتشابهة في الرسم (كالباء والتاء والثاء) ، بوضع بعضها مكانَ بعض ، في النطق او الكتابة .

وبهذه العملية تمت المرحلة الثانية .

المرحلة الثالثة

وهي قسمان : وقد قام بهما الخليل بن أحمد .

ففي القسم الاول قام هذا الرجل الفذّ باعطاء الحركات الثلاث المعروفة الآن : (الفتحة والضمة والكسرة) ، صورتها النهائية . «وهكذا قلّل الخليل من عدد النقط في الخط ، واستعاض عنها بصور او رموز (صوتية)(١٨) يسهل تمييزها (١٩).

أما القسم الآخر من هذه المرحلة فهو وضع رموز او علامات لضبط القراءة .

والرموز التي وضعها الخليل هي : الشدّة ، وعلامة الوصل ، والسكون ، وعلامة المدّ . وصورة التشديد (شين) ؛ وانما جعلت الشين علامة له لأنه يريد أول كلمة (شديد) .

قال الداني : «وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعامة أصحابهما ، وعلى ذلك سائر أهل المشرق من النُقّاط وغيرهم» (٢٠) .

ووضع (مدّ) علامة للمدّ ...

ووضع الخليل (رأس الخاء) علامةً للسكون . وهو اختصار للفظة (خفف) .

ولم يكن — قبل الخليل — للسكون علامة . فقد أهمله أبو الاسود وتلامذته ، وجعلوا إهماله علامة له .

أما علامة الوصل فهي رأس الصاد المقتطعة ،من صيغة الامر (صِلْ) ، للفعل (وَصَلَ)(٢١)

أما الهمزة فقد وضع لها الخليل العلامة المعروفة اليوم ، وقد اقتطعها من العين ؛ وقد اختار العين لانها قريبة المخرج من الهمزة «والعرب تبدل من الهمزة عيناً ، ومن العين همزة» (٢٢) ، لهذا السبب .

وهؤلاء الافذاذ الذين برزوا في المراحل الثلاث لم يكونوا وحدهم في العمل بل كان معهم (ميمون الاقرن) وكان يعلم العربية في وقته ، وألمعُ تلاميذه عبد الله بن أبي اسحاق (المتوفى ١١٧هـ) ،«وكل هؤلاء قد تنقطوا ، وأخذ عنهم النقط ، وحُفظ وضُبط ، وقُيِّدَ وعُمِلَ به ، واتُبع فيه سنّتهم ، واقتُدي فيه بمذاهبهم» .

وهم جميعاً يُعَدّون واضعي الاسس النهائية للنقط الإعرابيّ ، وغير الاعرابيّ ، ليس في عالم المصحف الشريف ، بل في محيط العربية كلها .

وكلهم من أهل البصرة . ولذلك نسب علم النقط اليهم . قال ابو حاتم السجستاني : (والنقط لأهل البصرة أخذه الناس كلهم عنهم ، حتى أهل المدينة ، وكانوا ينقطون نقط أهل البصرة) (٢٣) .

وأيد أبو عمرو الداني (المتوفى ٤٤٤هـ) ، وهو من الثقات في علم النقط ، ملاحظة أبي حاتم تأييداً تاماً (٢٤) .

القسم الثالث
حركة التأليف في « النقط »

يُعَدّ الخليل بن أحمد أوّل من ألف كتاباً في النقط والشكل ، وكان مقروناً بالتعليل وتلك سمة من سمات عقلية الخليـل ...

ثم ألّف العلماء — بعده — في هذا الموضوع ، وكان لكل واحد منهم منهجه المتميز وان كان بعضهم قد تابعه . والناس يختلفون مادامو١ يفكرون .

غير أن الداني يقول : «واول من صنّف النقط ورسمه في كتاب ، وذكر علله الخليل بن أحمد. ثم صنّف بعده جماعة من النحويين والمقرئين ، سلكوا فيه طريقه، واتبعوا سنته ، واقتدوا بمذهبه ، منهم أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، وابنه عبدالله بن يحيى ، وأبو حاتم السجستاني ، ومحمد بن عيسى الاصبهاني ، وأحمد بن جعفر بن المنادي ، وأبو بكر بن مجاهد ، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن أشته ، وأبو الحسن عليّ بن محمد بن بشر» (٢٥) اهـ

وفي هذا اهدار لأقدار العلماء وبخسٌ لجهودهم. إن ماذكر «الداني» نفسه في كتابيه «المحكم في نقط المصاحف» ،و«المقنع في مرسوم مصاحف أهل الامصار»،وما نقله عن جُلّ هؤلاء العلماء بالرواية او آخذَهُ من كتبهم ، ينقض ماقاله الداني حين بالغ في قصر العلم كله على الخليل !! أو كاد ....

ونبدأ — أوّلاً — بذكر العلماء الذين ألفوا في النقط بعد الخليل — التزاماً بمنهجنا في البحث— ثم نوازن ونناقش مابقي من نصوص كتب هؤلاء العلماء ومابقي من كتاب الخليل ، ليتبين لنا الحقّ بالدليل .. ولا علم بغير دليل ...

• أبو محمد يحيى بن المبارك المعروف باليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) . ، وهو أشهر تلاميذ «أبي عمرو بن العلاء» في القراءات . وعليه اعتمد ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) ، في نقل قراءة أبي عمرو بن العلاء بروايته . قال ابن مجاهد : (وانما عوّلنا على اليزيديّ ، وإنْ كان

سائر أصحاب أبي عمرو أجلّ منه لأجل أنه انتصب للرواية عنه ، وتجرد لها ، ولم يُشغلْ بغيرها ، وهو أضبطهم) ا هـ .

وقال ابن المنادي المقرىء البغدادي :

(أكثرتُ السؤال عن اليزيدي ومحلّه من الصدق ومنزلته من الثقة من شيوخنا : بعضهم أهل عربية وبعضهم أهل قرآن — أي قُراء — فقالوا : ثقة صدوق) ا هـ .

وقال الذهبي في وصفه :

(كان ثقة علاّمة فصيحاً مُفوّهاً بارعاً في اللغات والآداب) ا هـ .

* ابنه : ابراهيم بن يحيى بن المبارك (ت ٢٢٥ هـ) وهو مقرىء (٢٦) ، ترجم له ابن الجزري في طبقاته ، ووصفه بقوله : «ضابط شهير ، نحويّ ، لغوي » (٢٧) .

* وابنه الاخر : أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى (ت ٢٣٧هـ) وهو من أجلّ الناقلين عنه ، اذله عن ابيه اليزيديّ عن أبي عمرو بن العلاء نسخة مضبوطة (٢٨) .

* وابنه الاخر : محمد بن يحيى بن المبارك (ت ٢٢٧ هـ) وبه يكنى ، فيقال أبو محمد اليزيدي : ويريدون يحيى بن المبارك .

ولكل واحد من هؤلاء الكواكب الأربعة كتاب في النقط (٢٩) .

وأبو محمد اليزيديّ ، وأبناؤه الثلاثة يعدون من أتباع المدرسة البصرية في النحو (٣٠)

* وابو اسحاق ابراهيم بن سفيان الزيادي (المتوفى ٢٤٩ هـ) .

ويعد من نحاة البصرة . وله نكت على كتاب سيبويه ؛ وخالف سيبويه في مواضع من كتابه (٣١) . وهذا يدل على جلالة قدره في النحو .

* وألف أبو حاتم السجستاني : سهل بن محمد (المتوفى ٢٥٥ هـ) كتاباً في النقط والشكل أيضاً .

وقد غلبت ناحية التعليل على كتاب الخليل ، وهي سمة من سمات عقليته ، في حين غلبت الناحية العملية على كتاب أبي حاتم ؛ وقد وصفه ابن النديم بأنه يحتوي على جداول ودارات (٣٢) ..

ونقل الداني من كتاب أبي حاتم كثيراً في كتابه : «المقنع» . لكنه لا يرتضي كل أقواله وانما يرد بعضها لمخالفتها الاجماع (٣٣) .

لكنه ينقل من كتاب اليزيدي (او بالرواية عنه) ، كثيراً ويوافقه على جُل آرائه(٣٤) ولم ينقل من كتاب «الخليل» في «المقنع» ، لكنه نقل منه في «المحكم» .

* ومن علماء القرن الرابع الهجري ، الذين ألفوا في «النقط» ، أبو بكر بن السرّاج البغدادي (المتوفى ٣١٦ هـ)

* وفي هذا القرن ألف في «النقط» (٣٥) المقرىء البغدادي المشهور ابن مجاهد : أحمد بن موسى بن العباس التميمي (المتوفى ٣٢٤ هـ)

وقد نقل من كتابه (النقط) ، الداني في كتابيه : المحكم والمقنع (٣٦) .

* وألف معاصره وصديقه أبو بكر محمد بن القاسم الانباري (المتوفى ٣٢٨ هـ) ، كتاباً في النقط أيضاً ، هكذا ذكرت المصادر ، أو هكذا ذكر «ابن النديم» في الفهرست (٣٧) ومن نقل منـه .

لكن الذي ظهر لي أن الداني قد نقل في (المقنع) نقولا كثيرة عن استاذه : محمد بن علي عن ابن الأنباري (٣٨) ، وعن أبي مسلم (٣٩) محمد بن أحمد بن علي الكاتب ، البغدادي (٤٠) ، المقرىء (ت ٣٩٩ هـ) ، عن ابن الأنباري ، نقولاً تتصل بموضوع النقط والشكل ... غير أنني وازنت بين هذه النقول وماجاء في «ايضاح الوقف والابتداء» لابن الانباري ، فوجدتها متفقة لفظاً ومعنى ...

وهذا أمر لافت للنظر ... فأين كتاب «النقط» لابن الأنباري ؟ وهل غاب عن أبي عمرو الداني ، وهو العالم المتبحر ، في هذا الفن ؟

* وأخيراً ... وليس آخراً ، نقول : ألف المقرىء البغدادي أحمد بن جعفر المعروف بابن المنادي (المتوفى ٣٣٦ هـ) ، كتاباً في «النقط» أيضاً ، نقل منه الداني ، في «المحكم»(٤١) كثيراً .

وهو من معاصري ابن مجاهد ، ومن أتباع المدرسة البغدادية في القراءات (٤٢) . كما يُعَدّ من المعتمدين في علم القراءات ، وتأريخ القراء ، وهو مؤلف كتاب «تسمية قراء مدينة السلام» ، الذي نقل منه الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، في تأريخ بغداد ، وغيره) .

وكل واحد من هؤلاء العلماء العراقيين قد أسهم في بناء علم نقط المصاحف ، وألف فيه كتاباً .

* * *

القسم الرابع
موازنة بين مذهب الخليل ومذاهب علماء النّقط

* مذاهبهم في نقط المُنَوَّنِ المنصوب

انّ علماء النقط يختلفون في نقط «المُنَوَّن المنصوب» ـ فمنهم من يَنْقُطُ بأن يجعل نقطتين بالحمراء على تلك الالف المرسومة ، ويُعرّي الحرف المتحرك منهما ، او من أحدهما ؛ نحو : غفوراً رحيماً ، وشيئاً ، وكُلاً ؛ وكذا إن كان الاسم المنوّن مقصوراً وصوّرت لامه ياء ، دلالة على أصله ، يجعلون النقطتين على تلك الياء لأنها تصير ألفاً في الوقف ، نحو : هُدىً ، وغُزّىً ، وأذىً ، وشبهه .

«وهذا مذهب أبي محمد اليزيدي ، وعليه نُقاط أهل المصرين : البصرة والكوفة ، ونُقّاطُ أهل المدينة »

ـ ومنهم من يجعل النقطتين معاً على الحرف المتحرك ، ويعرّي تلك الالف ، وتلك الياء منهما او من أحدهما .

«وهذا مذهب الخليل واصحابه» (٤٣)

ويعقب الداني على هذين المذهبين ، فيفضل منهج أبي محمد اليزيدي ، ويجعله المنهج الذي لاتجوز مخالفته ! !

ويردّ منهج الخليل ويرفضه ... ! !

يقول الداني : «فأما علّةُ من جعل النقطتين معاً على الالف ، فانه لما جعل التنوين ملازماً للحركة متابعاً لها ، غير منفك منها ، ولا مُنفصل عنها في حال الوصل ، ولامنفرد دونها في الفصل ، يلزمه مايلزمها من الثبات في الوصل ويلحقها مايلحقها من الحذف في الوقف ، وكان التنقيط موضوعاً على الوصل دون الوقف ، بدليل تعريتهم أواخر الكلم وتنوينهم المنوّن منها ، وكان ذلك من فعل من إبتدأ بالنقط من السلف الذين مخالفتهم

خروج عن الاتباع ، ودخول في الابتداع : وكان الذين عنُوا بكتابة المصحف من الصحابة رضي الله عنهم ، قد رسموا بعد الحرف المتحرك في جميع ماتقدم ألفاً ، وهي التي تعوض من التنوين في حال الوقف أو ياء يعود ألفاً فيه ، ولم يكنْ بُدٌّ من اثبات علامته في النقط . دلالة على صرف ماينصرف من الاسماء ، جُعل نقطة على الحرف المُعوَّض منه ، وهو الألف ، على الحرف الذي ينقلب الى لفظها ، وهي الياء . وضُمَّ اليها النقطة الاخرى التي هي الحركة . فحصلنا معاً على الألف ، فَفُهِمَ بذلك وكيدُ حالهما وعرف بهشدّة ارتباطهما ،وعلم أنهما لايفترقان ولا ينفصلان . لالفظاً ولا نقطاً ، باجتماعهما على حرف واحد ، وملازمتهما مكاناً واحداً .

وصارت الالف بذلك أولى من الحرف المتحرّك ، من قِبَلِ أنهما -(*) لوجعلتا عليه لبقيت الألف عارية من علامة ماهي عوض منه ، مع الحاجة الى معرفة ذلك ، فتصير حينئذٍ غير دالة على معنى ، ولامفيدة شيئاً ، فَيبطل ما لأجله رُسمَتْ ، وله اختيرت من بين سائر الحروف وتكون لامعنىً ذا في رسم ولا لفظ ، الاّ الزيادة لاغير ، دون ايثار فائدة ،ولا دلالة على معنى يحتاج ويضطرّ اليه.فلما كانت الألف بخلاف ذلك وكان رسمها انما هو للدلالة على الوقف والاعلام بأنها مبدلة من التنوين ، وجب أن تحصل النقطة ، التي هي علامته ، عليها ضرورة ؛ اذ هي هو . واذا وجب ذلك لم يكنْ بُد من ضم النقطة الثانية اليها ، فتحصلان معاً على الألف ، إذ لاتفترقان ولاتنفصلان».

وبعده يقول :

«وهذا المذهب في نقط ذلك أختارُ ، وبه أقول .

وعليه الجمهور من النقّاط» (٤٤) .

أفبعد هذا دليل على أصالة منهج اليزيدي ، ومخالفته لمنهج الخليل في النقط ؟ ! .

أما أبو حاتم السجستاني فهو واحد من علماء النقط والرسم ، والوقف والابتداء والقراءات .وقد أثارت كتبه في هذه الفنون جميعاً نقاشاً طويلاً لبروز شخصيته فيها كلها

ففي النقط ــ وهو موضوع بحثنا ــ برزت شخصيته ومنهجه الاصيل المتميز ، فأشار الداني في كتابه«المقنع في مرسوم مصاحف أهل الامصار» ،الى قسم من آرائه التي يتميز بها.

(*) من قبل أنهما : أي : لأنهما .

أما أصالة ابن المنادي ولاسيما في القراءات ومايتصل بالقرآن الكريم (كالنقط والرسم) فانها تفوق ماعند الخليل في هذه الناحية ، ونفضل التقدمة الزمنية لاينفي فضل المتأخر ... ألم يكن محمد خاتم الانبياء ، وهو أعلاهم رتبة ؟

إن مانقله «الداني» نفسه من كتاب ابن المنادي، في «النقط» يدل دلالة واضحة على أصالة هذا الرجل .

فقد أخذ منه صفحات كاملة تتصل بمذهبه في النقط وارتضاها — مع وجود كتاب الخليل بن أحمد ، تحت يده ، وقد نقل منه .

لقد أخذ الصفحة ٢١٦ كلها تقريباً ، من كتاب ابن المنادي ، وكذلك الصفحة ٢١٧، وكذلك الصفحة ٢١٨ ، وكذلك الصفحة ٢١٩ ، هذا كله في فصل واحد .

أما في الفصل الذي تلاه فقد نقل الصفحة ٢٢٢ كلها حاشا ثلاثة أسطر .

ونقل الصفحة (٢٢٣) كاملة منه ، ونصف الصفحة التي تليها .

فإذا أضفنا إلى ذلك نقوله منه في الصفحات :

٢٢٦ — ٢٢٨ ، ٢٣٢ — ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، أدركنا أصالة ابن المنادي ، وتأكدنا من وهم الداني حين جرّد ابن المنادي وامثاله من القراء المؤلفين في «النقط والشكل» ،من الاصالة وجعلهم ظلاً للخليل .. !!

وهكذا نستطيع أن نبرز أصالة «ابن مجاهد» الذي نقل منه الداني في «المحكم» .

فقد نقل منه في الصفحات : ٢٣ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠ نصوصاً مهمة في منهج الرسم ،وفي مفهوم النقط والشكل .. وارتضاها وجعلها جزءاً من بنية كتابه «المحكم» .

وهذا يدل على أصالة ابن مجاهد في موضوع «النقط والشكل» ، وينفي مقولة الداني التي قصرت الاصالة في هذا الموضوع على الخليل .

وما أجمل قول الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة : «كل انسان يؤخذ من كلامه ويُردّ ، الا محمداً صلى الله عليه وسلم» .

خاتمة البحث ونتائجه

لقد بحثت موضوع «اسهام العراقيين في نقط المصاحف» لاول مرة ، فابرزت ماقام به علماء العراق في حقل يُعَدّ من الحقول اللغوية والنحوية المهمة ، وقسمته أربعة أقسام ففي القسم الاول بحثتُ مفهوم «النقط والشكل»

وفي القسم الثاني بحثتُ مراحل النقط والشكل ، منذ نشأتها حتى تكاملها .
وفي القسم الثالث استقريت حركة التأليف في النقط والشكل (عند علماء العراق) دون غيرهم من علماء هذا الحقل المبارك ، التزاماً بموضوع البحث .
وفي القسم الرابع وازنتُ بين منهج الخليل في النقط ومنهج غيره من علماء النقط
وقد ظهرت لي النتائج الآتية :

١ ــ إنّ مفهوم النقط والشكل يشمل ثلاثة مفاهيم ــ وليس مفهومين كما ذهب جمهور الباحثين ــ الاول : اعجام الحروف المتشابهة في الرسم كالباء والتاء والثاء ، الثاني : نقط الاعراب ، وهو الذي يشير إلى الحركات الثلاث المعروفة ، الثالث : مايشير إلى الشدة وعلامة المدّ وعلامة القصر ، وعلامة السكون .

٢ ــ انّ علماء البصرة كانوا سبّاقين إلى عملية نقط المصاحف ، وان سائر الامصار العربية الاسلامية أخذتها عنهم .

٣ ــ وان الكوفة أسهمت في حركة التأليف في النقط ، بعد البصرة ، وبعدهما أسهمت بغداد . وذلك يرجع إلى أنّ بناءها قد تمّ في نهاية النصف الاول من القرن الثاني الهجري. بعد تمصير البصرة والكوفة بكثير ..!!

٤ ــ وان أبا الاسود الدؤلي (المتوفى ٦٩هـ) : هو رائد هذا الموضوع وواضع لبناته الاولى ، ثم أسهم فيه تلاميذ بعده .

٥ ــ وان البارزين في حركة التأليف المتصلة بموضوع «النقط والشكل» والمبدعين فيها كانوا كثيرين وليس الخليل وحده، واشهرهم: الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، ويحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢هـ) ، وابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) ، وابو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) ، وأبن المنادي (ت ٣٣٦هـ)، خلافاً للداني الذي قصر الاصالة في هذا الموضوع على الخليل ..... دون دليل ... !!

٦ ــ وانّ جُلّ الباحثين في الموضوع كانوا من القراء حتى الخليل نفسه وذلك ناتج عن طبيعة الموضوع نفسه .

٧ ــ وان علماء العراق وضعوا أسس الموضوع النهائية ..!! وفي الختام....

أرجو أن أكون قد وفقتُ في ابراز هذه النقاط وفي ايضاح وجه العراق المتألق في هذا وضلما وع الجليل القدر .

والحمد لله في الأولى والآخرة

وهو حسبي ونعم الوكيل ....

المراجع والاحالات

١ — المحكم في نقط المصاحف ، للداني / ١٨ (ط . دمشق ١٣٧٩هـ — ١٩٦٠م ، بتحقيق الدكتور عزة حسن) .

٢ — ايضاح الوقف والابتداء ، لابي بكر بن الانباري ، ٣٨/١ (ط . دمشق ١٣٩١هـ بتحقيق الدكتور محيي الدين رمضان) .

٢ — ب المحكم ، للداني /٣ وأخبار النحويين البصريين ، لابي سعيد السيرافي /١٢ (نشر مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٤هـ ، بتحقيق : طه محمد الزيني وزميله)

٣ — ايضاح الوقف والابتداء ٤٣/١ واخبار النحويين البصريين /١٣ .

٤ — المحكم للداني /٤ وكتاب النقط والشكل /١٢٤ (واللفظ له) .

٥ — الاغاني (ط . دار الكتب المصرية(٢٩٧/١٢ وما بعدها . والفهرست لابن النديم (ط . اوربا) /٤١ وانباه الرواة ١٣/١ ، وغيرها .

٦ — المفصل في تاريخ النحو ١٠٤/١ (نشر دار الرسالة سنة ١٣٩٩هـ) .

٧ — الرعاية لتجويد القراءة /٢٣٧ (تحقيق احمد حسن فرحات ، ط . دمشق سنة ١٩٧٣) .

٨ — الاصوات اللغوية / ٧٣ ، ٧٤ (نشر مكتبة الانجلو المصرية ، ط . خامسة ١٩٧٥

٩ — سراج القاريء المبتدي ، لابن القاصح / ١٠١ (نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٣هـ — ١٩٥٤م بمراجعة الشيخ علي محمد الضباع) ، والنشر في القراءآت العشر ٢٤/٢ ، بتصحيح الشيخ الضباع ، نشر دار الفكر — لبنان ، د . ت).

١٠ — الاصوات اللغوية / ٧٤

١١ — الممتع في التصريف . لابن عصفور ٦٩٦/٢ (بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ط . حلب ١٣٩٠هـ — ١٩٧٠م) . وذكر هذه النقطة «كرستوفرسن» عن صوتي M وN في الانجليزية . في كتابه: An English Phonetics Course P.190
والدكتور رمضان عبد التواب . في كتابه :
المدخل إلى علم اللغة /٤٩ (نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٣هـ — ١٩٨٢م).

١٢ — المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . لابن عطية ٦٧/١ نشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . القاهرة ١٣٩٤هـ) .

١٣ ــ غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٣٨١ ، والمحكم /٥
١٤ ــ مايقع فيه التصحيف والتحريف / ٥٧ وما بعدها تحقيق : عبد العزيز أحمد (نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي ط . اولى ١٣٨٣هـ)
١٥ ــ المرجع نفسه / ١٢٢ وما بعدها .
١٦ ــ نفسه / ١٤٥ وما بعدها
١٧ ــ نفسه / ١١٤ وما بعدها
١٨ ــ زيادة للايضاح .
١٩ ــ نظريات في اللغة ، لانيس فريحة / ١٩٤ (دار الكتاب اللبناني ــ ١٩٨١) .
٢٠ ــ المحكم في نقط المصاحف / ٤٩ ــ ٥٠
٢١ ــ نظريات في اللغة /٩٥
٢٢ ــ الرعاية /١٣٦
٢٣ ــ ٢٤ ــ المحكم في نقط المصاحف /٧ ، ٨
٢٥ ــ المرجع نفسه /٩
٢٦ ــ الفهرست /٥١ وبغية الوعاة ١/٤٣٤
٢٧ ــ غاية النهاية ١/٢٩
٢٨ ــ نفسه ١/٤٦٣
٢٩ ــ تاريخ بغداد ٣/٤١٢ ، ٦/٢٠٩ ، وانباه الرواة ٣/٢٤٠ ، وبغية الوعاة ٢/٣٧٧
٣٠ ــ أخبار النحويين البصريين /٣٢ ومعجم الادباء ١/١٦١ ، وانباه الرواة ١/١٦٧ وبغية الوعاة ١/٢٦٥
٣١ ــ أخبار النحويين البصريين /٦٧
٣٢ ــ الفهرست /٣٥
٣٣ ــ المقنع ، صفحات : ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٢
٣٤ ــ نفسه ، صفحات : ٥١ ، ٦٦
٣٥ ــ المحكم في نقط المصاحف /٢٣
٣٦ ــ نفسه /٢١١ ، ٢٢٠ والمقنع /١٠٧ ، ١١٠
٣٧ ــ الفهرست /٣٥
٣٨ ــ المقنع /٦٤ ، ٧٤

٣٩ ــ نفسه /٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩
٤٠ ــ ترجمته في غاية النهاية ٧٣/٢
٤١ ــ المحكم / ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢
٤٢ ــ غاية النهاية ٢٢٣/٢
٤٣ ــ ٤٤ ــ المحكم /٦٠ وما بعدها

البحث اللغوي وصلته بالبنيوية في اللسانيات

د. رشيد عبد الرحمن العبيدي
كلية التربية / جامعة بغداد

١ – بين البحث اللغوي العربي والألسنية الاوربية

ليس من شك في أن الدراسة اللغوية العربية الأولى كانت قد اتخذت (المنهج الوصفي) طريقاً لتصنيف نتائجها على الشكل الذي وصل الينا من النحاة الأوائل : كالخليل (١٧٧هـ) وسيبويه (١٨٠هـ) والكسائي (١٨٩هـ) ومن عاش قبلهم ، ومن جاء بعدهم بقليل .

ولقد كان هم هؤلاء اللغويين المتقدمين أن يجمعوا النماذج من نصوص اللغة ، فينظروا فيها ويستقرئوا تراكيبها ، ويلاحظوا علائقها مع بعضها ؛ ليضعوا بعد ذلك ما يتفق في البناء والتركيب بعضه إلى بعض ، مصطلحين على كل نوع من أنواع التصنيف اسماً معيناً ، وذلك بحسب علاقته بسائر الكلمات الأخرى في داخل التراكيب ، فالفاعل سمي (فاعلاً) : لقيامه بالفعل أو الحدث ، والفعل سمي (فعلاً) ؛ لكونه دالا على العمل أو الحدث مقترناً بزمن ، والمفعول سمي (مفعولا) ؛ لكونه فعله الفاعل ، او وقع عليه الفعل وهكذا ..

ولو حاولنا ايجاد الصلة بين هذا المنهج في الدرس اللغوي العربي المتقدم والدرس اللغوي في المنهج اللساني الأوربي الحديث ، الذي تزعمته جماعة البنيويين في أوربا ، رآيناها واضحة في الأسس التي قام عليها المنهج البنيوي الذي ظهر بدراسات فرديناك دي سوسير المنشيء الحقيقي للمنهج المذكور (١) .

لقد قام هذا المنهج على مفهومين اثنين هما اساس الدراسة الوصفية ، وهما : أ — الوصف ب— التصنيف . وكان هذا المنهج قد أبعد عن طريقه النظر في أوليات اللغة المدروسة وتأريخها وتطورها ، وعلاقتها بتأريخ الناطقين بها ، ونظر اليها على انها شكل وبناء ثابت آني غير متغير ، فوصف لذلك بأنه صوري شكلي ؛ لأنه ينظر إلى الصور اللفظية المختلفة ، داخل اية لغة ، ثم يصفها على أساس معين ، كما يصف العلاقات القائمة بين كلماتها في تراكيبها المختلفة وصفاً موضوعياً (٢) ، ثم يقوم بتصنيف النتائج - كما تبدو — تصنيفاً دقيقاً مميزاً بين المؤلفات التي تتكون فيها التراكيب .

هذه الخطوات هي نفسها التي حدثت عندما تجرد اللساني العربي لدراسة لغته ، فكان بحق يمثل باحث اللغة المعاصر يدرس اللغة كما يدرس ظاهرة من الظواهر الاجتماعية ، بالملاحظة والاستقراء ثم التقعيد .

ولم يكن هذا النهج وقفاً على الدراسة اللغوية العربية ، أو المعاصرة ، بل تعدى ذلك بزمن طويل وعريق في القدم، فقد كان هذا المنهج الوصفي معروفاً في العالم القديم عندما درس الهنود القدماء اللغة السنسكريتية القديمة ، وتوجوا أعمالهم بصنيع (بانيني) الذي وضع كتابه في نحو السنسكريتية الذي «يرجع الى مابين (٣٥٠) و (٢٥٠) قبل الميلاد ، وهو من أعظم آثار الذكاء الانساني إذ أنه يصف أدق وصف كل تصريف واشتقاق وتركيب ، واستعمال نحوي في كلام مؤلفه ، فلم تحظ لغة أخرى الى يومنا هذا بوصف له هذه الدرجة من الكمال » (٣) .

---

(١) مشكلة البنية : د. زكريا ابراهيم : ص ٤٧ — ٤٨ .

(٢) علم اللغة : د. محمود السعران : ٢٢٥ . هذا البحث هو فصل من كتاب أقوم باعداده — الآن — حول صلة الدراسة اللغوية العربية بالمناهج الألسنية الحديثة في أوربا . وأمريكا. وسيأتي في هذا الفصل صلة البحث اللغوي العربي بالنحو التوليدي .

(٣) اللغة بين الوصفية والمعيارية : د. تمام : ص : ١٧ نقله عن بلومفيلد في كتابه (اللغة): ص : ١٠ — ١١ .

والذي يهمنا من هذا التقديم أن المنهج الذي سلكه المتقدمون سواء من العرب أم من غيرهم كان منهجاً وصفياً ، وهو منهج أقره البنيويون ، وبنوا عليه دارساتهم اللسانية وان كانوا قد خرجوا بخصوصيات أخرى فرضتها عليهم ظروف العصر ، وظروف اللغات المدروسة عندهم ، وهو مما ستتبينه فيما بعد عند مقارنة ظروف العربية ، وظروف اللغات التي أخضعها المنهج البنيوي للدراسة والتحليل ، كالالتزام بمفهوم (التزامنية) وقطع الصلة بين اللغة وتاريخها ، ودرس اللغة من حيث هي لغة ، كما هي ، أو كما تظهر ، تدرس لغرض الدراسة نفسها ، بشكل موضوعي ، والغاية من ذلك كله الكشف عن حقيقتها (١) وكل ذلك كان رد فعل للدراسات اللغوية التاريخية المقارنة ، في حين كانت الغاية من دراسة العربية على ما أتضح من دراسات الاولين موصولة بقضية حفظ اللسان ، وتحويلها الى لغة عالمية بالكشف عن قوانينها وقواعدها لجملة المنضوين تحت ظل الدين الجديد ، ولا رتباطها بالقرآن الكريم ، ولاريب في ذلك كله ، فهي أساس نقل الدين الى الاخرين ، ولذا فهي من الدين (*) ، كما اتفق الاقدمون والمحدثون :

فالعربية — أذن — درست بالمنهج الوصفي الذي يعد — اليوم — أساس المنهج البنيوي اللساني ، ولئن وصف النحو العربي ، والدرس اللغوي العربي بأنه معياري ، لانه يفرض سلطانه و قانونه على المتكلمين باللغة ، ان ذلك جحد للحقيقة وبعد عن الحق فالنحو لايصبح معياراً الا بعد قيام البحث الوصفي بواجبه المطلوب في ملاحظة النماذج واستقرائها ثم وضع القواعد ، وعندما تتم مرحلة التقعيد ، وتصبح معايير ملتزمة ، تطبق على المتكلمين كما تطبق القوانين والاحكام على أفراد المجتمع ، فليست هناك دراسة معيارية (تفرض سلطة قوانين نمقها اللغويون على ظواهر من سلوك المجتمع ، وهؤلاء اللغويون يتصرفون بكبرياء عن مرارة التعمق في فلسفة اللغة .. الخ » كما ينقل د . تمام حسان عن (Malinowski) (٢) ، فتمام نفسه يرى أن (تاريخ دراسة اللغة العربية ليعرض علينا في بدايته محاولة جدية لانشاء منهج وصفي في دراسة اللغة ، يقوم على جمع اللغة ورواياتها ، ثم ملاحظة المادة المجموعة ، واستقرائها ، والخروج بعد ذلك

---

(١) مشكلة البنية : ٤٨ .

(*) هكذا ورد في مقدمة تهذيب اللغة للأزهري الجزء الأول / ص ٢٧ .

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٢٢-٢٣ .

بنتائج لها بطبيعة الوصف اللغوي السليم ولكن بعض الاخطاء المنهجية في طريقتهم لم تمكنهم من الخلاص من النقد (١) .

والفقرة الاخيرة من الكلام تدور حول عدم استمرارهم في استخدام المنهج الوصفي في مراحل اللغة التاريخية التي مرت بها خلال عصور الحضارة الاسلامية فعد ذلك ماخذا على الدرس اللغوي العربي ، ووصفها بالانطوائية .

والحق أن هناك ملاحظتين يمكن أن نطرحهما الان تدوران حول خصوصية العربية ، واللغات التي تبقى خاضعة للدراسة الوصفية ، وهاتان الملاحظتان هما :

١ ــ ان العربية تختلف عن سائر اللغات الأخرى في أصولها وتاريخها وحياتها ، فالعربية حتى اليوم لاتزال قائمة على أسسها المتينة ، واعمدتها الصلبة ، لم تصبها الهزات التي أصابت اللغات الأخرى ، فالنصوص التي بنى عليها الدارسون أبحاثهم وملاحظاتهم وخرجوا منها الى القواعد والقوانين لاتزال معينا ثرا لاينضب ، ولاتزال القيم التي تعد معايير للفصاحة والبيان الناصع للشعراء والخطباء والكتاب والمؤلفين هي هي ، لم يصبها شيء من التغيير أوالتبديل على الرغم من تبديل الظروف والأحوال واختلاط المجتمعات وتنوع الثقافات ، واختلاف الأفكار والاراء ، فشعر شوقي ، والسياب ، ونازك ، وحافظ والرصافي ، وحتى قباني ودرويش وبسيسو وغيرهم من العصريين الذين يكتبون بتراكيب عربية تعترف بها قوانين الفصاحة العربية ، وتتقبلها القواعد العامة للغة ، ومايقال في الشعراء يقال في الكتاب والنثار من القصصيين والخطباء والمؤلفين يصلح كله مادة للبحث لأنه سليم ، بل أن التمييز بين لغة هذا وذاك ، أوفصاحة هذه القصيدة وضعف تلك يقوم على أسس ثابتة رصينة مستمدة من القوانين اللغوية الثابتة المعروفة .. وذاك كله انما ثبت بالنسبة للعربية ولم يثبت لغيرها من اللغات ،لأن العربية تناسلت تناسلا طبيعياً ، واحتفظت بأصالتها ، وأصولها التركيبية والدلالية والصوتية والبنائية منذ أقدم عصورها فيما تناقلته الأجيال العربية من نصوصها الأدبية (الشعر ــ الأمثال ــ سجع الكهان ــ الخطب) وفي الاسلام)القرآن الكريم والحديث النبوي ــ الأمثال ــ الشعر العربي ــ الخطب ــ الرسائل الأدبية ــ التأليف .. الخ» وفي العصر الحاضر (في الأدب بأنواعه . والتأليف... الخ» .. في حين فقدت اللغات الأوربية هذه الخاصية ، فانبتت أصولها ، وابتعدت

(١) نفسه : ٢٢ ــ ٢٣ .

عن أمها . وهذه بين أيدينا اللاتينية ، فقد أصبحت في عداد اللغات الميتة ، ولكن بناتها اللاتينيات قد شبن وكبرن ، واصبحن لغات لها أصولها ، وقوانينها المتميزة وخصوصياتها المختلفة المتنوعة ، فليست الصلة واضحة بين الفرنسية ، والاسبانية ، وليست هاتان اللغتان قريبتي الشبه بالايطالية .. بل ان قواعد اللاتينية الام تختلف أختلافاً كبيراً عن قواعد اللغات المتولدة منها .. من هذا المنظور كان المنهج البنيوي يقطع الصلة بين اللغة وتاريخها ومن هذا المنفذ دخل البنيويون ينظرون الى اللغة على أنها الموجودة بين أيدينا ، لانعرف لها أصلا ، ولا ننظر في تراثيتها ، ولا نقارن بينها وبين ماكانت عليه، وانما ينظرون اليها نظرة (آنية شمولية). ويعني ذلك أنهم مضطرون الى هذا المنهج من الدراسة اللسانية لما تميزت به اللغة المدروسة من خصوصيات .

فهل ياترى حصل للعربية هذا الانبتار عن الاصل ، حتى نضطر الى تطبيق المنهج من جديد لدراستها ووضع قواعدها وفقاً لمتطلبات مرحلتها ؟ ! وما أظننا لو طبقنا المنهج البنيوي في دراسة نصوص العربية الصحيحة خارجين باكثر مما خرج به النحويون العرب من أحكام وقواعد ..

أما النقد الذي يوجهه د . تمام ، فنرى — بعد ما قدمنا — بطلانه ، لانه لاينطبق على العربية ، كما هو منطبق على اللغات التي تستخدم المناهج الحديثة، في دراسة اللسان واذا كان لابد من نقد يوجه للدرس اللغوي العربي فانه لايرد عليه من هذه الزاوية ، بل لعله يرد من جهات أخرى كالاغراق في التأويلات، والتمحلات العقلية ، والسعي وراء العلة والمعلول مما كان نقداً معروفاً عند القدماء والمحدثين . والافان المنهج البنيوي في اللسانيات الحديثة قد وجه اليه أكثر من نقد (٢) ، وتفرع الى اكثر من مذهب ، حتى عد البعض من البنيويين المنهج البنيوي عبارة عن لقاءات ذهنية بين أفراد يعملون في هذا الميدان (٣) .

ولعل أبرز الدارسين الغربيين الذين خرجوا على البنيوية هو تشومسكي الأمريكي في كتابه (البنى التركيبية) الذي وضع فيه نظريته في (النحو التوليدي- التحويلي) ، فقد تجاوز فيه مفهومي (الوصف والتصنيف) اللذين وضعهما سوسير في بنيويته وتبنتهما

(١) علم اللغة : د. السعران : ٣٧٧ ومشكلة البنية : ٥٢ .
(٢) انظر : البنيوية : جان بياجييه : ص : ١٧ ومقدمة مشكلة البنية : د. زكريا ابراهيم.
(٣) نظرية النحو العربي : د. الموسى : ص : ٢٠ .

بنيوية أوربا ، وخرج تشومسكي في (نحوه التوليدي) بمفهوم ثالث هو (الابداع) في اللغة الذي يتميز به البشر عن سائر الحيوانات . وعدّ التكلم مبدعاً في حين عدّ سوسير المتكلم مقلداً ، فهو آلة يردد ماعرف من التراكيب والصيغ .

١ — ومع ذلك كله فإنّ هذا المنهج الذي اتخذ من الوصف والتصنيف اساساً في دراسة اللسانيات ، بدأ بالتراجع أمام النظرات الجديدة في عالم الدراسات اللسانية . فنظرية تشومسكي أصبحت في عرف جون لاينز (١٩٦٣م) ذات أهمية ثورية في تأريخ اللسانيات المعاصرة. كما ان لكل من (بلومفيلد) في توزيعيته و (تروبتسكوي) في مقابلاته اللفظية ، و (جاكبسون) في عناصره التناضلية وغيرهم في اتجاهاتهم الخاصة في الدراسة اللغوية طريقاً ونظاماً يختلف فيه عن سابقه ولاحقه يقول جون بياجييه : « أصبحت البنية مع هجلمسلف يليه : ف : بروندال . وتوجيي — دون التعرض للمجالات الدلالية ل : (ج . تريير) ، أصبحت كياناً خاصاً ذات ارتباطات داخلية ، واذا كان هناك نظام وراء كل دعوى فالسياق ليس سوى الممر من نظام إلى آخر..(١) ».

٢ — يعنى المنهج البنيوي في اللسانيات بدراسة اللغة كما هي ، أو كما تظهر ، أو كما وصلت إليه في زمن الدراسة للكشف عن حقيقتها ، ويعني ذلك أننا أمـــام مسألتين مهمتين هما :

(أ) دراسة أية لهجة من اللهجات باعتبارها وسيلة للتواصل ، والأبلاغ ، بمنأى عن صلتها باللغة الأم، أو معرفة أصولها التي تطورت عنها ، وذلك راجع إلى أن المنهج البنيوي يجعل كل لغة — أو لهجة — نظاماً متكاملاً مستقلاً من أنظمة الرمز العرفي . ولما كانت نظاماً فإذن يمكن أن نطبق عليها المنهج ، فنصفها ، ونصنف قواعدها ، ونكشف عن العلاقات بين المؤلفات ومن هنا رأى تمام حسّان في كتابه : (العربية معناها ومبناها) إقرار منهج ينبني على شرطين :

(أ) أن يتناول الباحث لهجةً واحدة من لهجات لغة ما ، فلا يخلط في دراستها بينها وبين لهجة أخرى من اللغة نفسها .

(ب) أن يعنى في هذه الدراسة الوصفية بمرحلة زمنية واحدة من مراحل تطور هذه اللهجة (٢) .

---

(١) البنيوية : بياجييه : ٦٧ .

(٢) اللغة العربية — معناها ومبناها : ١٣ — ١٤ .

وحجته في ذلك ترتكز على اعتبارين ، أولهما : أن كل لهجة تمثل نظاماً متكاملاً مستقلاً من أنظمة الرمز العرفي –كما سبقت الاشارة– بحيث ترمز كل علامة فيه إلى معنى معين يختلف عما في اللهجة الأخرى . وذلك أن الاعراف الاجتماعية تختلف في هذا المجتمع عن ذاك .

والاعتبار الثاني : أنه يجب أن يفصل الدارس بين أطوار اللهجة ، إذا ماأراد أن يضع نحو لهجة واحدة بعينها في دراسة يرجى لها أن تكون وصفية لاتأريخية (١) فاذا أراد دراسة تأريخ تطوّر اللهجة ، دعاه ذلك إلى دراسة الأطوار المتعاقبة ، وعندئذ تصبح دراسته تأريخية مطلوبة لذاتها .

والموقف . الآن – من هذا المنهج يرجع بنا إلى مطلع هذا المبحث الذي قررنا فيه كون العربية ثابتة الأصول راسخة القيم ، موفورة النصوص السليمة ، خلال تأريخها الطويل ، وهي تمثل لغة مجتمع واحد ذات تقاليد وأعراف وقيم دينية وتراثية واحدة ، وهذه اللغة قد أرتبطت بشكل جذري وصميمي بالمجتمع العربي الاسلامي منذ أقدم عصوره حتى اليوم ، واحتفظت له بقيمه ، وحضارته ، وتراثه الفكري والفلسفي والعلمي ، كما هي اليوم أساس توحده ، وترابطه السياسي والديني والتأريخي والأجتماعي، فما الذي تقدمه دراسة لهجة من لهجاته الخاصة أو المحلية في أيّ جزء من أجزائه المترامية الأطراف ، إذا درست اللهجات على أنها أنظمة لغوية مستقلة ، فيعني ذلك أننا نضع حدوداً – مرغمين– بين أجزاء المجتمع الواحد الذي تجمع شمله اللغة العربية الواحدة ، ذات النظام المحكم ، والمقاييس الثابتة ، والأصول القديمة ، فليست دراسة اللهجات المعاصرة مجدية إذا كانت الغاية منها وضع نحو خاص لكل منها ، فإننا – عندئذ سنكون أمام المئات من القواعد والأحكام اللغوية المختلفة التي هي نتاج لتأثر هذه اللهجات – عن طريق الاحتكاك أو المجاورة أو الترجمة أو التوليد – بغيرها من اللغات .

ثم إن قضية أختلاف المجتمعات بشكل جوهري ، لم يكن صحيحاً إلى حدّ يوجب معه دراسة لهجته بمفرده بغية الكشف عن نحو هذه اللهجة ، أو معرفة تقاليده من خلال لهجته ، فالمجتمع الجاهلي كان قد انقسم إلى وحدات لغوية معروفة باسم القبائل كتميم وقيس والحجاز ، وقريش – وطيء ،وكنانة ، وزبير ، وخثعم،وسدوس وغيرها ، ولكنّ التقاليد الأجتماعية الجاهلية من كرم ووفاء وفروسية ، وحماية الجار وغيرها.

(١) نفسه : ١٤ .

كانت تقريباً واحدة ، فحين درست اللغة — وكانت نصوصها قد نقلت من بضع قبائل معروفة عند الدارسين— كانت الدراسة قد استقرت على أحكام وقواعد تمثل الجمهور الأعظم من لغات العرب ، وتختلف بعض أحكام لهجة عن أخرى في قضايا الأصوات والدلالات وذلك واضح في (التلتلة) و(العنعنة) و(الطمطمانية) و(العجرفية) و(العجعجة) و(الفحفحة) ..الخ وفي (الأضداد) (والترادف) و(المشترك) .. الخ أما في التنظيم والتراكيب والبناء فقد كانت واحدة ومع ذلك فإنّ اللغويين القدامى الذين وصفوا لغة العرب واستقرأوا تراكيبها لم تفتهم الأشارة إلى ماكان يمثل أتجاهاً لهجياً متميزاً عن جمهور لغة العرب ، وان كان ذلك الأتجاه قليلاً ونادراً ، لايمثل ظاهرة لغوية تستحق أن يفرد لها اللغويون القدامى دراسة خاصة ، ومن هنا كانت احكام القلة والندرة والشذوذ والضعف والغرابة تسير جنباً إلى جنب مع أحكام القواعد الكلية العامة للغة .

إنّ دراسة اللهجات لأجل :

(أ) معرفة صلتها باللغة السليمة — الأم — .

(ب) اختلافها عن اللغة العامة في بعض أحكام الصوت والدلالة .

(ج) جهة الغرابة فيها عن سائر اللهجات .

(د) صلتها بالمجتمع المتكلم بها ، وتطورها معه .

(ه) تأثرها أو تأثيرها بما يجاورها أو يحتك بها من اللغات .. الخ أمر يقرّه منطق البحث العلمي وأساليب الثقافة والمعرفة ..

أما دراستها لأجل وضع نحو خاص بها — وخاصة لهجاتها العربية — فهذا مالا يقره البحث العلمي ولا ترضاه ظروفنا السياسية والأجتماعية .

(ب) أما المسألة الثانية التي يقرّها المنهج البنيوي فهي دراسة اللغة المعاصرة دراسة تزامنية ، تقوم على الوصف ، ولغتنا اليوم لو أتيح لها مثل هذا المنهج ، اوجب— إذن أن تكون النصوص — بعد استبعاد ماقررناه في المسألة المتقدمة — ممّا أنتجته قرائح الأدباء والشعراء والكتاب .

وأدباؤنا ، ومثقفونا — جلّهم إذا لم يكونوا كلهم — استمدوا ثقافاتهم اللغوية والأدبية من النصوص التي يتداولها المجتمع كالقرآن والحديث والشعر العربي وكتب

الأدب ونصوصه المتنوعة ، فهي بين ظهرانيهم – بين السماع والقراءة ، تؤثر فيهم وتوجه وعيهم اللغوي – دائماً – إلى صواب التعبير ، وجماله ومن جملة هذه الأصول اللغوية . تكونت شخصيات ادبائنا – كطه حسين والعقاد والرافعي ، والرصافي وشوقي وحافظ ، وبدر السياب ، والقباني ، والمختار السوسي وشاعر الحمراء وعمر أبي ريشة ، وايليا ابي ماضي وجبران وغيرهم ممن ملؤوا الدنيا بانتاجاتهم الأدبية والعلمية ولايمكن القدح بسلامة كتابات هؤلاء وأساليبهم التعبيرية ، لم يخرج أحد منهم على قاعدة لغوية رسمها النحو العربي القديم ، ولم يحاول واحد منهم ان يلغي الفاعل أو المبتدأ أو ينكر الحال ، او يجر المرفوع أو يرفع مابعد حروف الجر .. الخ فإن كان هناك مايميز هذا عن ذاك ، ان ذلك يكمن في اختلاف القدرات التعبيرية ، واختلاف الثروات اللغوية التي تمكن هذا من استخدام هذه المفردات واستبعاد غيرها ، كما تكمن في قدراتهم المختلفة على التصوير والتخيل ، ورسم اشكال المعاني والأغراض ، بأساليب البلاغة كالاستعارات والتشبيهات ، وطرق المجاز المتنوعة .

لذلك كله نرى أن استعمال المنهج الوصفي لدراسة النص اللغوي العصري المتمثل في مثل هذه النماذج لن يجرنا الى نتائج بعيدة عن ماقررته الدراسة اللغوية العربية في عصور تقعيد اللغة وبرمجة قوانينها

هذا لو فرضنا ان الدراسة أقتصرت على النماذج التي انتجتها قرائح ادباء العصر ومفكريه ، فاذا انضمت اليها نصوص اللغة الأخرى فيما وصل إلينا من تراثها العلمي والأدبي فإن ذلك حتماً سيعضد الصورة التي ترتسم في أذهاننا عن قواعد النحو والبنية العصرية.

ويبدو ان القوانين والأنظمة التي وضعها الدارسون العرب في الفونولوجيا – الدراسة الصوتية للغة – والتركيب والصرف والدلالات – من طريق وصفهم للغة ، كانت ترمي الى الثبات والبقاء دون تغيير ، وذلك من منظور المحافظة على كيان اللغة وهيكلها خلال قرون طويلة آتية ، واضعين مستقبل المجتمع العربي وتطوراته ، والتغيرات المحتملة على بنيته الأجتماعية ، والنفسية ، حتى الحضارية ، في حسبانهم ، وذلك لحماية المد الحقيقي للغة الواحدة الجامعة لشعوب العالم الأسلامي المتمثلة في القرآن والحديث وسائر نصوص الادب الاخرى كما سبقت الاشارة ، وهذا الذي أزعمه هنا ، هو محض الحقيقة التي توصلت اليها الدراسة الفرنسية (أوديت بتي) في بحثها – الفرنسية – (في

فونولوجيا اللغة العربية) ، فقد انتهت في آخر دراستها الى القول (١) . (ولنلاحظ – بشكل عابر – ان مفهوم الذكرى ، ومفهوم الهوية الفردية – كثيرا – مايترددان على السنة العرب .

ولكن لكي نعود الى الوصف الصوتي الذي حاول العلماء المسلمون في العصور الأولى أن يقدموه لنا للغتهم ، والذي حاولنا القبض عليه من خلال كتاب عبد السلام الفاسي ، فاننا نقول : ان هذا الوصف يقع بالنسبة لمنظور علماء الفونولوجيا ، على المستوى الذي يظهر فيه (المعنى المحض) : وذلك لأنه قد استخلص من حقيقة فريدة على الصعيد التأريخي ، أو على الصعيد الظرفي والأنساني باعتبارها تقوم على الوحي القرآني ، كما عبر عنه النبي محمد – ص – والذي يغدو فيه غير القابل للتوصيل ، كما هو الأمر لدى الشاعر ، حد تبادل .

يضاف الى ذلك انه ، من أجل حماية غير القابل للتوصيل هذا ، انصرف العلماء العرب الى وصف التعبير آملين من ذلك استبعاد كل تغيير محتمل ، وبهدف أن يؤمنوا انتقاله وانتشاره بشكل جيد ثم تقول : (ان الطريقة التي استخدمها العرب من خلال تعبير فريد يتم القبض عليه في كثافة حقيقية غنية بالممكنات تهدف الى ان نستخلص شبكة العلاقات التي ستوضح طبيعة المدلولات الصادرة عنها ،وفق طريقة السيوتيكا المعاصرة) ثم تختم حديثها بقولها (ولعلنا نستطيع أخيرا ان نقول ان ارادتهم بناء نظرية للتعبير اللغوي ، اعتبارا من شهادة وحيدة على لغتهم تقوم بدور (النموذج) للجماعة الأسلامية يمكن ان تدل على انه بعد أمد وجيز من فترة الوحي – عمل العرب على ان يسجلوا العلاقات التي تمارسها اللغة العربية مع الاسلام ، المصدر الثقافي الأصولي (٢) .

وهذا الذي تراه أوديت بتي – الباحثة الفرنسية – هو الذي نقوله اليوم – ونؤكده ذلك ان العربية تحتضن نموذجها المثالي لغة القرآن ، وسائر نصوص اللغة الأخرى ، وان هذه اللغة لقيت الحماية المستمرة بوجود أصولها المرجوع اليها ، وان المعايير التي حددتها الدراسات الوصفية العربية بعد أمد وجيز من فترة الوحي كما تعبر (بتي) ، ثبتت بأصولها متساوقة مع المصدر الثقافي الأصولي : الاسلام وكتابه المجيد ، وحديث النبي – ص – وما انتجه الفكر العربي ، من أدب وفن وثقافة بالحرف العربي المبين .

---

(١) في فونولوجيا اللغة العربية . بحث لأوديت بتي – ترجمة مجلة : المعرفة : عدد ٨ – ٩ . سنة : ١٩٧٩ ص : ١٨٩ – ١٩٠ .

(٢) نفس المرجع السابق : ١٩٠ .

ويعني ذلك كله ان العربية ستبقى ثابتة الاصول بقواعدها وقوانينها ، ولن يتغيـــر شيء فيها مهما تغيرت الظروف الاجتماعية والطبيعية للناطقين بها ، وهذا هو وحـــده سر خلودها حتى قيام الساعة .

٢ — نظرية تشومسكي التحويلية

كان الهدف الرئيس من النحو التوليدي التحويلي الذي اضطاع به: نوام تشومسكي في كتابه : (البنى التركيبية) هو تحليل مقدرة المتكلم على انتاج جمل في لغته الخاصة ، لم يكن قد سمعها من قبل ، وعلى تفهمها ، فوضع لذلك قواعد اسماها في نظريته هذه بـ (قواعد اللغات) .

وقد بنى هذه القواعد في الأساس على (تركيب الكلام) أي : تكوين الجمل والعبارات معطياً الأهمية الكبرى في نظريته لهذا الجانب المتميز عن قضايا الصرف ، والأصوات والدلالات .

ومن الطبيعي أن يكون هناك الكثير من الاختلاف بين ماألفه المتكلم على وفق قواعد لغته الخاصة، ومايرمي اليه تشومسكي في هذه النظرية القائمة على مصطلحات خاصة بها هي الفونيم — الركن — المورفيم .

وتلتقي كثير من اللغات — أو تختلف — في البنى والتراكيب ولكن النظرية التحويلية تحاول أن تجعل من الجمل الأساسية في اللغات أساساً للتوليد من عدد محدد من القواعد عدداً غير متناه من الجمل ، ويعتمد في ذلك كله على المتكلم المنتج اذ انه سينتج عدداً غير متناه من الجمل يمكن من خلالها الوصول الى انواع من القواعد، يحددها تشومسكي بأنواع ثلاثة هي :

١ — قواعد ذات حالات محدودة .

٢ — قواعد ركنية

٣ — قواعد تحويلية . وهي التي تكون قادرة على وصف اللغة ، وتفسير معطياتها (١) .

هذا بشكل عام هو فحوى النحو التوليدي التحويلي الذي اراده تشومسكي في كتابه (البنى التركيبية) الذي ظهر عام : ١٩٥٧ م . وقد أثار ضجة (٢) بين مؤيد ومخالف ، ومعرف بالكتاب ، مما تكفل بشهرته وذيوعه في أوساط الالسنيين في أوربا ، والعالم .

(١) الألسنية التوليدية ١٣٠ .

(٢) نفسه من ص : ١٤ — ١٦ .

ولقد حاول تشومسكي تأييد نظريته هذه ، فقام بالكثير من الأبحاث ، والمشاركات في الندوات والمؤتمرات والمناقشات ، اشار اليها الدكتور ميشال زكريا ، منها :

(البنى المنطقية في اللغة) و (اللغات المحدودة الحالات) و (بعض الخصائص الشكلية للقواعد) و (الدراسات الصوتية ـ الصرفية في اللغة الانكليزية) و (ملامح النظرية التركيبية) و (الالسنية الديكارتية) و (الأنماط الصوتية في اللغة الانكليزية) و (اللغة والفكر) و(دراسات الدلالة في القواعد التوليدية) .. الخ (١) تتفق جميعها ـ تقريباً ـ في الاتجاه الذي رسمه في نظريته ويتحدد ـ غالباً ـ في :

١ ـ ابراز الفرق بين نظريته والألسنية البنيانية البلومفيليدية .

٢ ـ فشل المفاهيم التي يرتكز عليها المذهب السلوكي كالحافز والأستجابة للحافز وتقويته ، وان لافائدة لها في الواقع ؛ وليس لها القدرة على تحليل طاقة الأنسان اللغويـة ..الخ

٣ ـ التميز بين الأداء الكلامي والكفاية اللغوية التي تعني معرفة المتكلم الضمنية بقواعد لغته ، أما الأداء فهو تطبيق هذه المعرفة في الكلام .

٤ ـ ايجاد مصطلحين في تكوين الجملة ، مصطلح البنية العميقة وهو المضمون ، والبنية السطحية ـ أو الخارجية أو الفوقية كما يسميها الاخرون ـ وهو الكلام المنطوق .

٥ ـ التمييز بين اصولية الجملة ، وتفهم الجملة .

٦ ـ اقتراب نظريته من المناهج العقلية الفلسفية ولاسيما في مفاهيم (الكفاية اللغوية) و (انتاج عدد غير متناه من الجمل) و (اكتساب الطفل للغـة) متفقاً مع ديكارت وهمبولت العقلانييـن .

الا ان تشومسكي في بعض اصداراته كان يتحول ـ أحياناً ـ الى نظارات جديدة يعدل فيها ماسبق له أن طرحه في اصداراته السابقة ، ففي كتابه : «ملامح النظرية التركيبية» (٢) الذي يضع فيه حداً بين مفهومي (أصولية الجملة) و (تقبل الجملة) و (البنية العميقة) و(البنية السطحية) ويطرح فيه الكثير في مبادىء نظريته التحويلية. يحاول في كتابه (دراسات الدلالة في القواعد التوليدية) (٣) أن يبين أثر البنية العميقة في تحديد الدلالة في الجملة ، بل

(١) انظر في ذلك كله ، وغيرها من الكتب والأبحاث : ميشال زكريا : الألسنية التوليدية التحويلية : من : ص ١٦ ـ ٢٣ .

(٢) صدر عام ١٩٦٥ .

(٣) صدر عام ١٩٧٣ .

هي عنده المؤثر الوحيد في تحديد دلالات البنية السطحية (١) .ويعني ذلك أن التمثيل الدلالي يأتي مطابقاً للبنية المعمقة بدقة متناهية ، وان اي تغيير في الوجدان الداخلي للمتكلم سيفرض نفسه على الظاهر فيتخذ لذلك التمثيل الدلالي الملائم لذلك التغيير .

وهذه الصورة من التفكير الألسني عند تشومسكي تجر الى النظر في مذاهب علماء اللسان والفلاسفة في قضية الفكر واللغة ،ففي الوقت الذي يذهب الكثير من الدارسين الى ان الفكر أوسع بشكل دقيق ، لقصور الكلمات عن اداء المعنى ،«وان في ربط المنطق واللغة برباط واحد ظلماً لهما جميعاً» (٢) ،نجد من الفلاسفة من يرى أن علاقة اللغة بالفكر علاقة صميمية ، وان مايستقر في الوجدان من معان تعبر عنه الكلمات تعبيراً دقيقاً جداً وفي هذا المضمار ينبغي أن نعطي موقفين مختلفين ، نتبين من خلالهما صورة الخلاف في هذا الأمر .

فالمعروف أن قضية اللغة منذ أقدم عصورها تناولها الفلاسفة ورجال الدين في عهد اليونان القديم منذ أن نزع هرقليطس الى القول بتوقيفية اللغة ،وديمقريطس الى القول بتواطؤية اللغة ، وبتدخل البشر في صنعها وهرموجينس الى القول بتأييد ديمقريطس (٣) ثم نزع افلاطون الى مانزع اليه هرقليطس . ولكنه رأى وحده الحقيقة ، وتغير صورة التعبير عنها بالكلمات التي تتغير كما يتغير الزئبق (٤) .

وبقي هذا الخلاف في علاقة اللغة بالفكر ، بين من يقول بتوقيفتها فيحكم بتطابق الفكر مع اللغة .أو باصطلاحيتها فيحكم بالأختلاف بينهما مروراً بالعصر الوسيط في أوربا المسيحية ،والعصور الأسلامية المختلفة حتى العصور الحديثة بين (اوك) الذي يرى اللغة واسطة لا غاية فهي لا تستطيع التعبير عن حقيقة الوجدان.ودي بونالد الذي يرى اللغة غاية لاواسطة . فاللفظ يعبر عن حقيقة الوجدان تعبيراً كاملا (٥) .لأن العلاقة بين الفكر واللغة علاقة صميمية . كلاهما جسم واحد. ليس هناك فكر بدون لغة ولالغة بدون فكر . وحين عبر عن الفكر بأنه لغة وراء الشفتين . أراد مايدل عليه مفهوم (البنية

(١) الألسنية علم اللغة الحديث : د. ميشال زكريا ج ١ : ١٩٨٠ : ص ٢٠٢ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : د. تمام حسان : ٥٧ .

(٣) فلسفة اللغة : كمال الحاج : ١٨ .

(٤) نفسه : ١٩ .

(٥) نفسه : ٢٣ .

م/ د/ م. أ. م. س

المعمقة) ــ أو الجوانية أو الداخلية ــ وحين عبر عن الكلام ــ أو الحديث ــ بأنه تفكير بصوت عال (١) . فانه أراد (البنية السطحية) ــ أو الفوقية أو الخارجية ــ .

وبذلك نستطيع القول الان بعد هذا التصور الذي تقدم عن مفكري اللغة، ان تشومسكي يرى مايراه التوقيفيون في العلاقة بين الوجدان واللغة، أو بين الفكر واللغة ، أو بين ماسماه البنية العميقة والبنية السطحية، وان كان في جملة نظريته في اللغة لايرى رأي التوقيفيين في جوهر مذهبهم، لأن مفهوم (الابداع) عنده لايتساوق مع جزئيات مذهبهم في اللغة .

ومن هنا كان تشومسكي يعترف بأن نظريته التوليدية قائمة على اصلين من البحث اللغوي هما (المنهج البنيوي والنحو التقليدي) (٢) . فالمنهج البنيوي قائم على التحليل الشكلي والنظر الى ظاهر اللفظ ، والنحو التقليدي قائم على المنطق والعلة والمعلول ، وقد حاول جهده ــ ان يشرع لنفسه طريقاً وسطاً يصل به الى غايته ، فنقد البنيويين على اقتصارهم على ظاهر اللفظ عند تحليلهم الكلام ، فلم ينظروا الى حالات الجمل ودلالاتها اذ هي تختلف في (تراكيبها الخارجية) ــ أحياناً ــ ولكنها ذات معنى واحد . وذلك كقولنا :

محمد يقرأ في الدار ــ يقرأ محمد في الدار ــ يقرأ في الدار محمد ــ في الدار يقرأ محمد ــ في الدار محمد يقرأ ــ محمد في الدار يقرأ .

وقد تكون مخالفة لهذه الصورة . فقد تأتي جملة واحدة ذات تركيب خارجي واحد ومعانيها مختلفة . وذلك نحو :

قرأت في كتاب ذي أدب نافع

و (كتاب) جاءت مجرورة ، و(أدب) مجرورة كذلك ، والصفة (نافع) مجرورة كذلك فالتركيب الخارجي واحد ، ولكن المعنى يختلف بين أن تكون (نافع) صفة للكتاب أو صفة للادب ، وهذه الخاصية في العربية يندر ان تمتلكها لغة أخرى من اللغات التي تناولها البحث البنيوي أو التوليدي .

ان ماتمكن ان نلاحظه على نظرية تشومسكي التوليديةالتحويلية هي انها تجاوزت كثيرا من القيم والمعايير المميزة للغات . وحاولت أن تقف على ماعندها من المشتركات في

---

(١) نفسه : ٢٦ ــ ٢٧ .

(٢) مشكلة البنية : زكريا ابراهيم : ٧١ .

قوانينها،لتخرج من بين ذلك بنظرية جامعة شاملة ،ذات نظرة موضوعية شمولية(١)تكون
بمثابة رد فعل للمنهج القديم الذي درج عايه الدارسون .
وجعلت مادة بحثها ؛ اللغات الهندو ـ الأمريكية (٢) . وكان بلومفيلد الأمريكي قد
سبق الى هذا المنهج ، ووضع لنفسه أصلين في البحث اللغوي هما :

ـ تحليل المؤلفات المباشرة

ـ التوزيع .

أما الدافع الى تبني هذا البحث، واتخاذ منهج معين للوصول الى (القواعد) الكلية
الشمولية في نظرية تشومسكي فيرجع الى انه يرى ان بين اللغات الطبيعية قدراً مشتركاً من
الأحكام،وهي نظرة عرفها النحو العربي القديم على لسان المبرد والفارابي وابن الخباز
ونكتفي ـ هنا ـ بما أورده الدكتور نهاد الموسى في بحثه القيم(نظرية النحو العربي) (٣)
في هذا المجال ، فيقول:«هذا المنحى ، أنشط مايكون ـ هذه الأيام في أمريكا الشمالية
ولكن القوم ـ هناك ـ على عادتهم في الابتداء من حيث هم،أو من أقرب الأصول
اليهم في التقليد الغربي،ثم العود الى تلمس الجذور والمرتكزات في التقليد للماضي البعيد
يجدون لهذا الأتجاه اصولا عند ديكارت والنحويين العقلانيين، الفرنسيين من مدرسة
بور رويال،وذلك أن هؤلاء ذهبوا الى ان اللغة الأنسانية تقوم على أساس من بنية فكرية
عامة لدى الناس جميعاً »

ثم يقول: «والأبحاث اللغوية والفلسفية في هذا التقليد ـ عندهم مدينة للنحو اللاتيني
المعياري ، والعقائد الرياضية لعصر التنوير،وهي ـ عندنا ـ مما هجس بشيء منه
المبرد وابن الخباز ، بل قرره الفارابي تقريراً صريحاً » .

والذي يذهب اليه الموسى في كلتا المقولتين أمر مقطوع به،وان الأرتكاز على الماضي
في الفكر والمنهج واضح فيما يقرره شومسكي نفسه حول علاقة نظريته النحوية بالنحو
التقليدي، بالنحو العربي ـ ولاسيما البصري ـ قائم على التحليل اللفظي لعناصر الجملة
المؤلفة . متبيناً من خلال هذا التحليل الوظيفة التي تؤديها الكلمة داخل التركيب حسب

(١) نفسه : ٥٢ .
(٢) علم اللغة : د. السعران : ٣٧٧ .
(٣) نظرية النحو العربي : د. نهاد الموسى : ص ١٠ – ١١ .

الموقع، وما يصاحب ذلك من علامة ذات دلالة ثم العلاقة بين موقع اللفظة ووظيفتها التركيبية . ولئن كان النحو العربي يلتزم اظهار جانب المعنى في التركيب عند تخليله الى مؤلفاته الرئيسية ، ان التوزيعيين لا يعيرون اهتماماً لعنصر المعنى في تحليل الكلام بحجة ان المعاني تدخل ضمن دراسات علم النفس(١) .وتستخدم هذه المدرسة منهج التوزيع في تغيير مؤلفات الجملة الواحدة ذات التركيب الواحد عن طريق استبدال المفردات ببعضها في الموقع نفسه ، فالجملة :

— يهمني ان تجتهد . — يهمني زيد

— يهمني اجتهادك — يهمني هو

— يهمني امرك .

— يهمني نجاحي .

فالمفردات : (ان تجتهد) — وهي في العربية مصدر اسم و(اجتهادك) وهي مصدر صريح و(امرك) و(هو) و (نجاحي) .. الخ وقعت موقعاً واحداً وهي (فاعل) للفعل (يهمني) مع أنها مختلفة بين المصدرية والعلمية، والضميرية.. الا أنها جميعاً قد أدت وظيفة واحدة بحكم إشغالها الموقع نفسه.

فهذه الصور مما نراه في العربية، وما التزمته الدراسات الألسنية الحديثة، هي عناصر تقابل والتقاء بين النحو التقليدي — كما يسمونه والنحو الحديث، ومن جملة هذه الالتقاءات أيضاً — ماأشار اليه الدكتور زكريا ابراهيم في كتابه (مشكلة البنية) (٢). فالمعروف ان للعلامة الاعرابية (الفتحة والضمة والكسرة) أثرا على تحديد المعنى وتمييز ابواب النحو كما ان للألف والياء والواو أثراً يضاف الى العلامات الأصول، كما يسميها النحويون العرب. فهي تميز بين الأفراد والتثنية والجمع ، والفاعل والمفعول والاسم والخبر ..الخ . يقول زكريا إبراهيم: «وهذا المبدأ هو أحد الأصول التي تنتظمها البنيوية، ذلك أنها تضم تحتها كل العلوم المهتمة بدراسة الرموز والعلاقات ،أو على الأصح، أنسقة العلامات » (٣) .

ولقد تتبع الدكتور الموسى في (نظرية النحو العربي) كثيراً من اللقاءات بين الدرس اللغوي الأوربي الحديث، والدرس اللغوي العربي مبتدئاً من تعريف الكلام، وتعريف

(١) نفسه : ٢٥ — ٢٦ .

(٢) مشكلة البنية : ٤٩ — ٥٠ .

(٣) مشكلة البنية : ص ٤٤ .

النحو واللغة .والسليقة مروراً بالكثير من المصطلحات النحوية العربية، كالعلامة والخانية والموقعية، مما يدل بشكل واضح على الصلة الوثيقة بين هذه الألسنية، وما سبق إليه لغويو العربية من أحكام وقيم ومعايير .

ثم نعود مرة أخرى.إلى بعض ما يمكن ملاحظته على نظرية تشومسكي التحويلية، فنرى أن البنيوية الأوربية التي إنتقدها التحويليون ، على اعتبار أنها وقفت على الوصف والتصنيف، ونسيت إبداع المنشيء للكلام، فهي تنظر إلى الصور اللفظية المختلفة داخل أية لغة، ثم تصنف هذه اللغة على أسس معينة، وتصف العلاقات بين كلماتها في الجملة وصفاً موضوعياً (١) . يرى البنيويون كذلك أن البنيوية التحويلية قد أخذت مذ (ز .هاريس) و — خاصة — «تشومسكي» : «إتجاهاً توليدياً واضحاً على صعيد بنية علم النحو ، رغم الأسباب القوية التي تربط البنيوية اللغوية بأعتبارات النظام المتزامن ويرافق هذا البحث في التوليد اللغوي —كما يجب —سعي نحو تقعيد يتناول التحويلات التي تملك فوق ذلك — ولنسجل ذلك — قدرة معيارية للفرز تستبعد بعض البينات ذات التركيب السيء، تصل البنية اللغوية من خلال منظور كهذا، إلى صف ،البنيات الاكثر عموماً، تصل إلى هذا الصف مع قوانين الجملات التي ليست قوانين وصفية ،وثابتة بل قوانين تحويلات ،مع ضبطها الذاتي العائد لميزات هذا التركيب(٢). هكذا يرى جان بياجيه في النظرية التحويلية إنه يرى أنها لم تضع في إعتبارها النظام المتزامن الذي جعلته البنيوية الأوربية أساساً لمنهجها ،لانها تصف ماهو موجود أمامها من النماذج اللغوية.ثم إن التوليدية قد تحولت إلى «قوانين الجملات التي ليست قوانين وصفية ». ويعني ذلك أنها أصبحت (معيارية) :لأنها تضع قوانين وقواعد يحتكم إليها في التوليد والتحويل ،وهذا هو الذي نميز به النحو العربي من معايير وقواعد تؤخذ بعين الأعتبار عند تأليف الكلام ،وتوكيد جمل وتراكيب منه، لأن القاعدة النحوية العربية قانون يرجع إليه عند تكوين الجمل ،وعند محاولة المتكلم صياغة كلامه على الأسس الثابتة من ذلك القانون .وفي هذا كله مايدل على أن النحو التوليدي قد رجع إلى معيارية النحو التقليدي.. ولكن لا على أساس لغة واحدة ،وإنما على أساس عمومية هذه القواعد وشموليتها لكل اللغات الطبيعية.هذا على الرغم من أن (تشومسكي

(١) علم اللغة : السعران : ٢٢٥ .

(٢) البنيوية : جان بياجيه : ٦٧ .

(لم يقم دراسته إلا على نماذج من اللغة الأنجليزية لغته الخاصة.(١) وكانت أول ، إنتاجاته في هذا المضمار دراسته التي نشرها عام: ١٩٥٥م ثم كتابه: (البنى التركيبية) :١٩٥٧م. وإتضحت عنايته بلغته الأنجليزية في بحثه الذي قدمه سنة: ١٩٥٩ في مؤتمر تكساس في (فونولوجيا اللغة الأنجليزية التوليدية) وناقش ونشر كثيراً من الأبحاث والكتب في مجلات أمريكية : كالمجلة العالمية للألسنية الأمريكية ومجلة : (اللغة) ، بالأنجليزية ومجلة :(الكلمة) ومجلة :(التوثيق الأمريكي) ومجلة (الأعلام والمراقبة).. وكلها مجلات أمريكية باللغة الأنجليزية ، ونشر بالأشتراك مع (موريس هال) بحثاً عنوانه :(الدراسات الصوتية والصرفية في اللغة الأنجليزية). ويبدو من هذا البحث الأخير أنه يقوم بالبحث الذي يحتاج إلى مقارنات لغوية بعد الأشتراك مع غيره من الباحثين . ويؤيد هذه النظرة بحثه الذي نشره في مجلة: (الأعلام والمراقبة) بعنوان: (اللغات المحدودة الحالات). فقد شاركه في إعداد هذا البحث (جورج ميار) .(٢) وهذا كله يعطينا صورة واضحة عن أن الميدان اللغوي الذي خاضه تشومسكي لم يتعد اللغة الأنجليزية فان تعداها إلى غيرها . فقد كان من طريق الأشتراك. ويستوقفنا أمر آخر يمكن أن نلاحظه على منهج النظرية (التوليدية . ذلك أنها حين أرادت وضع (قواعد اللغات (إفترضت أن تكون بين اللغات سمات مشتركة هي كليات عامة ، وقوانين تخضع لها اللغات جميعاً من حيث القواعد والدلالات ، والفونوجيا . وقد حدّدها، تشومسكي بـ(الفونوتيكا الكلية) و (علم الدلالات الكلية) و (التنظيم الأساس للقواعد الكلية — علم التركيب) (٣) .

وينبغي في إطار هذا المفهوم أن تكون المسائل الكلية العامة بين اللغات .

١ — متفقة تمام الأتفاق . بحيث لا ينبرّ شيء منها في لغة عن لغة ثانية أو عن سائر اللغات . فاذا حصل شيء من الأختلال في المبادىء العامة ، وجب نفي صفة إنتساب اللغة للكليات اللغوية العامة .

٢ — يجب أن تكون المبادىء الكلية العامة في اللغة واضحة تمام الوضوح لتتناسب مع سرعة عملية إكتساب اللغة وإنتظامها بصورة متسقة ، ومتساوية .

(١) تحليل لكتاب (البنى التركيبية) في ملحق جريدة العلم المغربية ..
(٢) الألسنية التوليدية التحويلية : د. ميشال زكريا : ١٦ .
(٣) محاضرة ألقاها في جامعة (بركلي) سنة : ١٩٦٧ .

وهذه مسألة تكاد تكون عائقاً في طريق نجاح النظرية وسيرورتها . يقول ميشال زكريا: لابجانب الصواب اذا قلنا أن تحديد الكليات اللغوية العامة بصورة نهائية مسألة لم تصل بعد الى غايتها المنشودة ، الا ان حدود الكليات اللغوية يمكن رسمها منذ الان وقبل ان يتم بصورة اساسية لحظ هذه الكليات (١) .

ولئن كان تشومسكي قد توصل الى وضع مبادىء كلية للنظرية الصوتية الكلية تقوم على ايجاد قوانين لأبجدية صوتية، وتحدد مجموعة من الاشارات المحتملة التي تستعار منها الاشارات الصوتية العائدة للغة الخاصة ،وتقدم وسيلة كتابة الكلام كتابة فونيتيكية(٢). ان المشكل الذي يواجه النظرية هو (علم الدلالة) الذي يمثل عقبة كبيرة في سبيل الخروج بقوانين كلية توضح القوانين الدلالية المشتركة في مختلف اللغات. فتشومسكي نفسه يقول: ان المسائل التي يطرحها علم الدلالة الكلي تبقى محجوبة في غموضها التقليدي» (٣). والدارسون يعرفون جيداً ان الدراسات التي اجريت في علم الدلالة ، ماتزال قاصرة عن ان تعطي كليات عامة تشترك فيها اللغات الطبيعية، واكثر اللقاءات التي حققتها الدراسات الدلالية لم تتعد موضوعات الألوان وعلاقات القربى ، والعالل والامراض وانها «أظهرت صعوبة في التوصل الى الكليات الدلالية، وترتد هذه الصعوبة الى اختلاف الحضارات التي تعكسها اللغات وتعبر عنها الكلمات (٤).

وعلم الدلالة التقليدي هو الاخر قد وجهت اليه انتقادات متعددة من الدارسين والفلاسفة اللغويين ، من ذلك الاختلاف بين (المفهومية) و(العقلانية) و(التعريف الاشاري) و(النص) (المعنى والاستعمال) و(تأرجح المعنى) و(احتوائه) .. الخ (٥).

فعلم الدلالة لاتزال مشكلاته قائمة ، ولا يزال اللغويون والدارسون مختلفين في مبادئه كما هم مختلفون في مصطلحاته وفروعه.

ونظرة في قضية تطابق البنى الداخلية على البنى الخارجية يتبين لنا ان هناك خلافاً بين اللغويين في قضية التقديم والتأخير وملاءمة ذلك للمطابقة بين البنية الداخلية للجملة وبنيتها الخارجية.

---

(١) الألسنية التوليدية ٨٢ .

(٢) نفسه : ٨٤ .

(٣) نفسه : ٨٦ .

(٤) نفسه : ٨٦ .

(٥) علم الدلالة : لاينز : ١٩ — ٢٦ .

وهذه القضية تتضح حلولها بصورة جلية في العربية ، عندما تتسامح معايير العربية و أقيستها بحسب السياق، والحال انطلاقاً من مايعرف عند اللغويين بمناسبة المقام للمقام او قولهم: «لكل مقام مقال»، وبما يعرف في باب البلاغة العربية بمفهوم الاهتمام بالمتقدم او الاختصاص ، لاعتبارات بيانية ورمزية يألفها الفكر اللغوي العربي، وتحتضنها مفاهيم البلاغة العربية، وقواعد اللغة.

ان هذه الملاحظات وغيرها مما يدور حول النحو التوليدي التحويلي تعطي تصوراً عن صعوبة سيرورة نظرية النحو العام التي يسعى اليها نوام (١) تشومسكي وتطبيقها على سائر اللغات الطبيعية لما يواجهها من مشكلات في الدلالة والأصوات،والتراكيب والمفردات وهي مشكلات اساسها ان لكل لغة في العالم خصوصيات تميزها عن اللغات الأخرى . فلا تلتقي معها الا في حدود ضيقة من المسائل التي تدخل ضمن مواصفاتها، وهذه الحدود الضيقة لايمكن ان ينطلق منها لوضع قوانين عامة شاملة تنضوي تحت أحكامها اللغات، وتبقى القضية ان لكل لغة نحوها وقواعدها ومنطقها الخاص بها.

---

(١) يترجم اسمه كذلك إلى (نعوم) .

– أهم مصادر البحث والمراجعة

– الالسنية التوليدية د. ميشال زكريا – بيروت : ١٩٨٠
– البنيوية – جان بياجييه – بيروت
– البنيوية في اللسانيات – د. محمد الحناش – ط : الدار البيضاء
– تهذيب اللغة : للازهري (٣٧٠هـ) ط – مصر ١٩٦٤ .
– علم الدلالة – جون لاينز – ترجمة الماشطة وجماعته – بغداد
– علم اللغة – د. محمود السعران – مصر
– علم اللغة العربية – د. محمود فهمي حجازي – مصر
– في فونولوجيااللغة العربية – بحث لاوديث بتي : ص١٨٩من مجلته المعروفة : عدد : ٨
– فلسفة اللغة : كمال يوسف الحاج – بيروت
– اللغة العربية – معناها ومبناها – ط : الدار البيضاء د. تمام حسان
– اللغة بين الوصفية والمعيارية – ط : الدار البيضاء د. تمام حسان
– مجلة المعرفة – عدد : ٨ – ٩ سنة ١٩٧٩
– مجلة الثقافة العراقية – ط : وزارة الاعلام – بغداد
– مشكلة البنية – د. زكريا ابراهيم – مصر
– مناهج البحث في اللغة – د. تمام حسان – ط . الدار البيضاء
– النحو التوليدي التحويلي – عادل فاخوري – مصورة كلية الآداب . مراكش .
– نظرية النحو العربي – د. نهاد الموسى – بيروت وغيرهما مما ذكر في حواشي البحث .

دراسة تطبيقية لأسلوب التشبيه في شعر أبي الطيب المتنبي

د. عبد الرحمن شهاب احمد
كلية الاداب / الجامعة المستنصرية

مقدمة :

يجمع النقاد القدامى والمحدثون على أنّ المتنبي شاعر تفرّد بخصائص وسمات من العبقرية قلمّا تتأتى لواحد من الشعراء فقد سارَ ذكره مسير الشمس وبُعدَ في الآفاق فوثب الجبال وخاض البحار وهبّ شعره هبوب الريح فعمرتْ به المجالس وجرت به الالسن وحفظه الناس وأنشده الرواة .

والحق أن المتنبي من أعظم شعراء العربية به يضربَ المثل في غاية الفصاحة وجودة المعاني ودقة النظر وعمق الفكر .وقد كان المتأدبون في الممالك الاسلامية يرددون شعره ويسمعونه على الشيوخ ويأخذونه بالأجارة والاسناد (١) .

وقد ألفت كتب كثيرة قديماً وحديثاً لدراسة شعره والوقوف على أسراره .

---

(١) انظر الاحاطة في أخبار غرناطة / لسان الدين ابن الخطيب ص ٢٨٥

ولاغرابه في أن يتصدى لشرح ديوانه علماء تضلعوا في علوم العربية وتبحروا في فنون الادب فهو القائل في ثقه ٍ ويقين :

أَنامُ مُلءَ جفوني عن شواردها ... ويسهرُ الخلق جراها ويختصمُ

نعم كان المتنبي بارعاً في مسائل اللغة والنحو متفنناً في التصرف بأساليب البلاغة والبيان.

ولاريب أن إتقان أبي الطيب لتلك العلوم كان عاملاً رئيساً في خلود شعره وتبوئه المكانة الادبية التي إستحقها بجدارة فائقة على مر العصور .

وقد سُئل أبو القاسم إبن تافيا عن المتنبي وإبن نباتة والشريف الرضي فقال «أن مثلهم عندي مثل رجل بنى أبنية شاهقة وقصوراً عالية وهو المتنبي فجاء آخر وضرب حولها سرادقات وخيم وهو إبن نباته ثم جاء الرضي ينزل تارة عند هذا وتارة عند ذاك(١)»

ولستُ أريدُ أن اتوسعَ في مناقشة هذا الرأي انمّا قصدتُ ان ابيّن المنزلة الشعرية لابي الطيب في مفهوم النقاد القدامى.

وتؤكد المصادر ان المتنبي «كان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها. ولا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر (٢)» .

وقد أشار ابن جني الى ان ابا الطيب «قريع دهره في الشعر، ونسيج وحده لايختلف اثنان ممن يوثق بفهمه، وجودة نقده الشعر في رصانة لفظه ومخترع كثير من معانيه(٣)»

ويذكر ابن شرف القيرواني ان المتنبي «شغلت به الالسن وسهرت في أشعاره الاعين وكثر الناسخ لشعره والاخذ لذكره والغائص في بحره والمفتش عن جماله ودره ويقدر ان له حسنات وسيئات وحسناته اكثر عدداً واقوى مدداً وغرائبه طائره وامثاله سائرة وعمله فسيح وميزه صحيح يروم فيقدر ويدري مايورد ويصدر (٤)» .

اما القاضي الجرجاني صاحب الوساطة فقد ذهب الى «اننا لانجد لابي الطيب قصيدة تخلو من ابيات تختار ومعادن تستفاد والفاظ تروق وتعذب وابداع يدل على الفطنة والذكاء وتصرف لايصدر الا عن غزارة واقتدار (٥)».

---

(١) معجم الادباء ٢١٨/٥

(٢) انظر وفيات الاعيان/ ابن خلكان ص ١٢٠ — ١٢٥، وشذرات الذهب ١٣/٣.

(٣) تفسير ارجوزة ابي نواس ص ٣٦ — ٣٨ .

(٤) اعلام الكلام/ ابن شرف القيرواني ص ٢٥

(٥) الوساطه بين المتنبي وخصومه -- القاضي الجرجاني ص ٥٤ .

ويذهب الاستاذ أحمد أمين الى ان ابا الطيب المتنبي الشاعر الذي اجتمعت له التجربة والالهام، فقد ملأ قلبه شعوراً وملئت حياته تجارب وكان امير البيان وملك الفصاحة فنحن اذا التمسنا له مثالا في حكمه فلسنا نجده في افلاطون وارسطو وابيقور وانما نجده في زهير بن ابي سلمة وقد نطق في الجاهلية بالحكم الرائعة مما دلته عليه تجاربه واوحى اليها الهامه كما نجده في شعر ابي العتاهية وقد ملأ عالمه حكماً وامثالا خالدة على الدهر (١).

وقد كتب الاستاذ علي الجارم في بعض النواحي الفنية لدى ابي الطيب قائلا : «ان الناس في القديم والحديث كتبوا عنه كثيراً. وان شعره نال من عناية الادباء وبحثهم وجدلهم مالم ينله شعر قبله ولا بعده وان كتباً ضخاماً الفت في كل ناحية من نواحي الرجل والشاعر، حتى لقد يسبق الى الوهم ان كل قول فيه يكون معاداً، وان كل نظرة فيه تضع على نظرات سبقتها اليه من قرون، ولكن المتنبي الضخم يعز على من رامه ويطول، فهو الجبل الاشم اينما قلبت فيه النظر رأيت عجباً، وكيفما ملت برأسك الى ناحية من نواحيه رأيت جديداً(٢)» .

والحق ان اظهر مايمتاز به القوة والروعة والابتكار والنزوع الى غاية لم يصل اليها الشعراء قبل والقدرة على ارسال المثل ودقة الوصف والتصرف في المعنى القديم حتى يعود غضاً جديداً .

ويلاحظ الاستاذ نيقولا حداد «ان شعر المتنبي يمتاز بما فيه من سمو الخيال الذي لايكاد يطول، وابتكار المعاني التي ترى كأنها مختلقة من العدم. واختراع الصور الفنية التي تهتزلها النفس اعجاباً، والابداع في ابراز المعاني التجريدية في ذاتيات حسية، الى غير ذلك من المزايا التي تدل على ذكاء باهر وفكر ثاقب (٣)» .

ولست في معرض ايراد ومناقشة كل ماسجله نقادنا القدامى والمعاصرون حول شاعرية المتنبي فذلك ما يستحيل حصره في بحثنا هذا على اني قد اقتطفت هذه الملاحظات اليسيرة لأوضح عمق ثقافة المتنبي وروعة فنه التي تمتاز بالقوة والابتكار .

وسوف نخلص الى الوقوف على تطبيقاته الفنية في اسلوب التشبيه التي تتجلى في معظم قصائده المبثوثه في ديوانه الكبير .

---

(١) انظر ابو الطيب المتنبي حياته وشعره. ص ١٨ .

(٢) انظر ابو الطيب المتنبي حياته وشعره ص ٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٢

التشبيه في شعر المتنبي

التشبيه من وسائل التصوير الفني التي تبحث في علم البيان وقد اشبعه البلاغيون بحثاً ودراسة من جميع جوانبه وقلبوا فيه الرأي على وجوهه كافة. ولاأريد في هذا المجال عرض مجهودات البلاغيين ومناقشة ارائهم حيث ان كثيراً منها بحاجة الى مراجعة دقيقة ودراسة مفصلة لايتسع لها بحثنا هذا، وانما قصدت الى دراسة الصورة التشبيهية التي ذهب فيها المتنبي كل مذهب واتى فيها بأسمى الأفانين في شعره الخالد.

والمتنبي شخصية عبقرية في الفكر والفن ومن هنا فقد استطاع ان يمزج بين الفكر والخيال والأنفعال مزجاً موفقاً، ويبدو لي ان الخيال عند الشاعر هو الذي يتجاوز به الى ماوراء المسلمات اللغوية المنطقية، ويتجاوز العقلانية التي تزعم انها تبرز من خلال تحليل ساذج ومبسط لمكونات التشبيه والاستعارة والكناية والخيال ليس بديل العقل وانما يمر به و يتجاوز بها حدود الواقع المادي الذي يخيل الينا خطأ انه قائم خلف الصورة المجاز له وما علينا الا ان نقوم بتحليل ساذج لمكونات الاشياء حتى ينتصب امامنا.

والخيال يستطيع ان يركب ويوحد بين الاشياء لأقامة خلق جديد للصورة التشبيهية حيث يذوب فيها سياق الفواصل التي تلوح بين المشبه والمشبه به.

وقد استطاع المتنبي في تشبيهاته ان يتفنن بجدارة فائقة اذ بلغت صياغته لألوانها وصورها حداً يفوق الوصف، وقد يتعذر علينا دراستها في مجال هذا البحث وفق منهج احصائي شامل لكثرتها، حيث ان كل قصيدة في ديوانه الكبير تكاد تحفل بنمط عال بالغ من الصور التشبيهية، لذا سنقف على نماذج فريدة نلتمس من خلالها براعة شاعرنا ودقة تصرفه في فن التشبيه والتمثيل.

ولعل من بدائع التشبيه التمثيلي في شعر أبي الطيب تلك الصورة التي لايتردد أحدٌ في الحكم على براعتها أو اصالتها في هذا الفن قوله :

وردٌ اذا وردَ البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره نيلا
متخضبٌ بدمِ الفوارس لابسٌ في غيلهِ من لبْدَتيه غيلا

ما قوبلتْ عيناهُ الا ظنّتنا تحت الدُجى نار الغريق حلولا
يطأُ الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آسٍ يجس عليلا (١)

وتتجلى في هذه الابيات براعة المتنبي في خلق الصورة التشبيهية التي يُغذيها الشعور ويُنميها الأحساس ويرفدها الذهن الذي يتعامل مع معطيات هذه الصورة في تعاطف وجداني بالغ الرهافة . فذلك الاسد الذي شبهه المتنبي بالورد الذي يضرب لونه إلى الحُمرة ذلك الاسد عندما يرد البحيرة ليروي ظمأه من مائها يشتد زئيره حتى يرد النيل رامزاً بذلك إلى مصر ويبلغ الفرات ملوحاً بذلك إلى أرض العراق وتستمر الصورة في حركة متصلة فيبلي ذلك الاسد بلاءه في القتال حيث تتخضب هيئته بدماء قادة الاعداء وجندهم لكثرة مايوقع بهم من القتل والفتك، ويشبه لبدتيه بالغابة لكثافتها بمعنى أنه إذا كان في غابته من الشجر فهو في غابة أخرى من لبدتيه .

أما عينا ذلك الاسد فانها تتوهج ناراً مضيئة في حلك الدجى إذْ لا يراها راءٍ الا وقد ظنهّا نار الجماعة الذين فتحوا أبوابهم لنجدة منْ يلجأ إليهم ويستغيثً بهم في طريقه الشاقة. وتبلغ الصورة التي يرسمها المتنبي لهذا الاسد نهايتها في الروعة والجمال يبدو الاسد وهو يترفق عندما يطأ الارض في شموخ وزهو نابع من تيهه وكبريائه فيشبه أبو الطيب تأنيه بجس الطبيب ليد العليل وذلك أنه لعزة نفسه لايسرع في الخطو لأنه لايخاف شيئاً .

ويتداخل طرفا التشبيه في صورة متماسكة تلتحم اجزاؤها في بناء فني لانحس فيه بأي عنت او تعسف في قول المتنبي :

فَبِتُّ لياليّاً لانومَ فيها تخبُّ بك المسومهُ العرابُ
يهزُّ الجيشُ حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقابُ
وتسألُ عنهم الفلوات حتى أجابك بعضها وهم الجوابُ (٢)

فهو يصور سيف الدولة وكأن الكرى قد فارق عينيه في ليالٍ كان يستعدُ فيها لمنازلة اعدائه الذين استهدفوا احداث خرق في بلاده فقد قاد الجيشً بشجاعة منقطعة النظير حيث تعدو فيه الخيول الأصيلة التي تمتاز بسيماها الخاصة في معارك الأبطال ويتأزر

(١) ديوان المتنبي (ص ١٤٧)
(٢) ديوان المتنبي ص ٣٩٧ .

التركيب اللغوي في صورة حسية يثريها هذا التآزر بين الجيش وقائده فقد شبه ابو الطيب سيف الدولة وهو يقود الجيش بالعقاب اما الجيش الملتف نحو قائده في حثيث فقد شبهه ابو الطيب بجناحي العقاب اذا حركهما في الطيران وقد طلبه لهم في الفلوات كالسؤال وانتصاره عليهم كالجواب وان لم يكن ثم سؤال ولا جواب اي مازلت تتبع آثارهم في الفلوات حتى ادركتهم في واحدة منها .

ولنتأمل عمق الاحساس الشعري لدى المتنبي في صورة فذة من صوره التشبيهية حيث يقول :

والطير فوق الحباب تحسبها فرسانُ بلُقٍ تَخُونُها اللُجمُ
كأنها والرياحُ تضربُها جيشاً وغىً هارمٌ ومنهزمُ .
كأنها في نهارها قمرٌ حُفَّ به من جنانها ظُلَمُ (١)

ولعل اروع مايمتاز به المتنبي في تشبيهاته هو انه يسوقها في نسق بالغ الدقة اذ يبني تشبيهاً على تشبيه فتتعانق الصور وتنمو الدلالات في النفس فكلما وقفت على صورة تشبيهية جذبتك الصورة التي تليها فضلاً عن انك تتفاعل شعورياً ونفسياً مع دلالة المفردات في الابيات السابقة للفن التشبيهي واللاحقة به ففي هذه الابيات تبدو الطير شاخصة فوق طريق الماء عند الامواج وكأنها فرسان خيل تتلون بالسواد والبياض وانما شبه الامواج بتلك الخيول لأختلافها وعدم استقرارها على حال واحدة وقوله تخونها اللجم للفرسان اي تنقطع اعنتها فتذهب الخيل كما تشاء، يريد تصرف الموج على خير مراد الطائر على كل وجه وبتداخل مكونات الصورة التشبيهية عندما يشبه المتنبي الموج والطير بجيشي حرب ضروس تضربهما الرياح الهوج فتتابع الطير على اثر الامواج شبه المتنبي البحيرة في النهار بقمر لما يلمع عليها من نور الشمس والبساتين حولها ، بالليل لشدة خضرتها الضاربة الى السواد وهكذا يمضي أبو الطيب في تشبيهاته التي تزدان بها قصائده فتنثال صورها في القصيدة الواحدة متتالية تجسمُ أروع الانماط الفنية من ذلك قوله :

وما انا بالعيش فيهم ولكن معدنُ الذهبُ الرغامُ
ارانبُ غيرانهم ملوكٌ مفتحة عُيونُهم نِيّامُ (٢)

---

(١) ديوان المتنبي ص ٩١ .
(٢) ديوان المتنبي ص ٩٦

حيثُ يُصورُ انفعاله وسط اولئك القوم الذين لايضعون الامور في نصابها فيذكر انه ليس عجباً ان يعيش بينهم ويتخذ لذلك مثلا من معدن الذهب الذي يكون في التراب ولا يحسبُ منه كما يشبه اولئك القوم بالأرانب التي ترتدي زي الملوك وتتسلم مقاليدها وتبدو أعينهم يقظة لكنهم في حقيقة الامر غافلون كأنهم نيّام .

وفي معرض مدحه لابي علي هارون بن عبد العزيز الكاتب المتصوف يقول :

ولك الزمانُ من الزمانِ ومـــالــه   ولك الحمـــام من الحمـامِ فـــداءُ (١)

فقد تداخلت مكونات الصورة التشبيهية النابعة من اعماق نفس ابي الطيب والمعبرة عن ابداعه في خلق الصورة العقلية فالزمن هو الزمن في منطق المتنبي ولكن انفعالاته النفسية شاءت ان يكون ذلك الزمان وقاية للممدح من عواديه فكأنه يتمنى ان يهلك بها الزمن دون الممدوح ، اما الموت فقد تمنى ابو الطيب ان يكون فداء للممدوح من الموت نفسه. وتتعانق المفردات اللغوية وتتآزر اجزاء الصورة في نسق حسي ووجداني معبر عن براعة فنية يندر ان يتسنم ذراها شاعر غير ابي الطيب فيقول :

ارى حُللاً مـطـوّاةً حِسـانــا   عداني ان اراكَ بـهـا اعـتـلالـي

وَهَبـكَ طويـتـهـا وخرجـت عنها   ابـطـوي ماعليـك من الـجـمـال

لـقـد ظـلّت اواخـرهـا الاعالي   مع الاولى بجسـمـك في قـتـالِ

تلاحظك العيـرن وانـت فيـهـا   كـأن عليـك افـئدة الرجال (٢)

إن الابيات هنا تصور شعور المتنبي وهو ينظر بجانبه ثياباً مطوية من خلع بدر بن عمار وكان يومها المتنبي عليلا إذْ صَوّرَ شدّة ألمه في هذه الحال التي منعته من رؤيته وهو يزهو متألقاً في ولايته بهذه الحلل .ويؤكد أبو الطيب أن ممدوحه هذا لاتجمله تلك الثياب وإنما يستمدّ الجمال من هيئته وطباعه وخلاله فكأنه مغروس في كينونته ويسوق هذا المفهوم في إستفهام تنمُّ عن تعجبٍ بليغ انطوى ماعليك من الجمال أما عيون الرجال الذين يحفون بالممدوح فانها تنظر إليه نظرة المحبة والسرور وهو في هذه الحلل فكأنه في قلوب هؤلاء الرجال وهي لباسٌ عليه مكان تلك الثياب .

ومن روائع التشبيه التمثيلي عند أبي الطيب قوله :

كأنك بالفقر تبغـي الـغـنـى   وبالموت في الحربِ تبغي الخلودا (٣)

(١) ديوان المتنبي ص ١٢٨ .

(٢) ديوان المتنبي ص ١٥١ .

(٣) ديوان المتنبي ص ١٣٣

وتتجلى روعة تلك الصورة في تعبيرها عن جـــود ما وراءه من جود وشـجاعة مابعدها من شجاعة فقد صور مكارم وفضائل بدر بن عمار يوم كان يتولى حرب طبرية فألمح الى انه يبذل مالديه من مال في غاية السخاء الى حد يؤول معه الى الفقر فكأنه من فرط كرمـــه وجـــوده يشـعر بالغنى وهو في هذه الحـال امّا شـــــجاعته واقدامـــه فلا يقف دونها حائل فكأنه عند إقتحام الاهوال والحروب يطلب الخلود إذْ انه لايفتر عن السعي في بلوغهما (الغنى في البذل والعطاء والخلود في خوض غمار الحروب .

ومن الصور التشبيهية التي تنُمُّ عن حسٍ دقيقٍ وتخيل يمتزج بالادراك إمتزاجاً حسناً قوله :

لا يعتقي بلـــدٌ مسراه عـــن بلـــدٍ ... كالموت ليس له ريٌ ولاشبعٌ(١)

فهو يشبّه مسير سيف الدولة الى بلدان العدو ذلك السرى الذي لايعوقه فيه فتحُ بلدٍ منها عن التوجه الى غيره يُشبّهه بالموت. الذي يعمُ البشرَ قاطبةً دون ان يرتوي ويشبع مصوراً بذلك همةً سيف الدولة وعزيمة جيشهِ التي لاتقهر .

ان الصورة التشبيهية في كثير من قصائد المتنبي تتلبس بوجدانه واحاسيسه ومعاناته الخاصة وهي تلتحم بما قبلها وما بعدها في سياق القصيدة فتثير في المتلقي انفعالا نفسياً وتلقائياً كما في قوله :

فدنيـــاك من ربعٍ وانْ زدتنــا كربــاً ... فانك كنــت الشرق للشمــسِ والغربا
ومن صحِبَ الدُنيــا طويــلاً تـغـلبت ... على عينيه حتى يرى صدقهـــا كـذبا
ذكرتُ به وصلاً كأن لم أفُــز بـــه ... وعيـشــاً كأني كنـتُ اقطعــه نُهبا
وفتّانة العينين قـتــالة الـهـــــوى، ... اذا نفـحـت شيـخــاً روائحها شبا(٢)

فهو يتحدث عن ذلك الربع الذي استشعر فيه الذكرى التي اثارت فيه لواعج الشوق وكوامن الشجى اذ يخاطب ربع الحبيب فيقول فدنياك من نوازل الدهر وان زدتنا حزناً بما اثرت فينا من ذكريات الحبيب الذي كان يطلُ علينا كالشمس يخرج منك ويعود اليك فكنت له بمثابة المطلع والمغيب .

(١) ديوان المتنبي ص ٣٢٠ .

(٢) ديوان المتنبي ص ٣٣٤ — ٣٣٥

ويمضي ابو الطيب في تصوير ذكرياته بأسلوب تشبيهي فيقف ذاهلا امام انقضاء زمن الوصل في ذلك الربع فكأن ايامه قد انقضت في سرعة لمحات البرق فكل لفظه في هذه الابيات تتعانق مع الالفاظ الاخرى في اشارات ضوئية رامزة لتضفي على الصورة التشبيهية ظلالها وألوانها.

ثم يعرض في القصيدة ذاتها لواحدة من حروب سيف الدولة فيصور هزيمة الدمستق وجيشه بأسلوب تشبيهي بالغ الدقة ينم عن قدرة فائقة في الموائمة الفنية وترابط الصور في نسق وجداني بعيد عن الحشد والضم غير المؤتلف فيقول :

مضى بَعدَما التفّ الرماحان ساعةً كما يتلقى الهدبُ في الرقده الهُدْبُـا
وجيشٌ يثني كلّ طودٍ كأنـهُ خريفُ رياحٍ واجهت غُصناً رَطْبْا(١)

أرأيت كيف تداخلت الصورة التشبيهية واحكم نسجها فاذا بالحربِ الضروس تبلغ اوجها فتلتف رماح الفريقين ويختلط بعضها ببعض، فيشبة المتنبي ذلك الاختلاط بتلقي هدب العين العليا بالسفلى عند الرقاد .

اما جيش سيف الدولة الذي شبهه بالطود في صورة حسية منسجمة متداخلة هذا الجيش سرعان مايصبح عاصفاً من الريح الشديدة تحطم كل مايعترضها من اغصان هشة رطيبة يرمز بها الى جيش الروم ، فالمتنبي بحق لايتكلف في صياغة صوره التشبيهية انما نلحظه يبدع في تنسيق مكوناتها. اذ لانحسُ في البيتين السابقين بأنفصال الرماح عن الهدب والطود عن الريح الشديدة الهبرب. بل انها انسابت في تقمص وجداني عميق التأثير.

ومن تشبيهات المتنبي التي يصور فيها شجاعة سيف الدولة واقدام جيشه وبراعة فرسانه قوله :

ورُعْـن بنا قلب الفرات كأنمـّا يَخـرُّ عليه بالرجالِ سُيُـولُ
يطاردُ فيهِ موجَهُ كُـل سابـح سواءٌ عليه غَمْـرهُ ومَسيلٌ (٢) ..

نراه يتحدث عن اقتحام الخيل لنهر الفرات وكيف انها روعته اذ هبطت عليه بسيول دفاقة من الرجال الاشداد وصور قوة هذه الخيول بأنها لاتبالي بمطاردة هذا الموج القوي الفياض لقوتها فكأنها تندفع بسيرها في مسيل لاماء فيه .

---

(١) ديوان المتنبي ص ٢٢٨/ ص ٢٢٩.
(٢) ديوان المتنبي ص ٢٧٢ .

ومن الصور التشبيهية المضيئة قول المتنبي :ـ

قومٌ بُلوغُ الغلام عندهُمُ   طعنُ غَوْر الكُماة لا الحُلُمُ
كأنّما يولَدُ النّدَى مَعَهُمْ   لا صغرُ عاذِرٌ ولا هَرَمُ
تشرقُ اعراضهُمُ وأوجههم   كأنّها في نفوسهم شِيَمُ(١)

ولعل المتنبي في هذا اللون من التشبيه قد خَرَج على منطق الجامع في كل من وجهة نظار البلاغيين حيث أشراق الاعراض والوجوه في نقائها بخلائقهم وشيمهم التي كانوا يتحلون بها ، وقد تحفّظ في قبول امثال هذه الصور ، متناسين انّ التشبيه صورة تتلبس بوجدان الشاعر وتعبر عن حالة شعورية نابعة من ذاته الخاصة فالمفردات في ابيات المتنبي هذه تنمو لتضفي روحاً إلى الصورة التشبيهية فهؤلاء القوم الذين يصوّر شجاعتهم أمرٌ طبيعي ان يولد الجود معهم بصورة فطرية فترى صغيرهم وكبيرهم تمتدُ يده بالندى ويتهلل وجهه بالجود ، وتكتمل الصورة التشبيهية بأشراق الاعراض والوجوه كأشراق الشيّم في النفوس دون ان نحدس بعنتٍ في الاسلوب او كدٍ ذهني في قبولنا لهذا اللون من التشبيه .

ومن الصور التشبيهية التي جاشت بها قريحةِ ابي الطيب قوله :

وقفنا كأنّا كلَّ وجدِ قلوبنا   تمكّن من اذوادنا في القوائمِ
ديارُ اللواتي دارهُنّ عزيزةٌ   بُطولي(٢) القنا يُحفظنَ لابالتمائمِ
حسانُ التثني ينقشُ الوشي مثله   اذا مسن في اجسامهنّ النواعم
ويَبسمنَ عن درٍّ تقلّدنَ مثلهُ   كأن التراقي وشّحت بالمباسم (٣)

فقد صوّر المتنبي لواعج الشوق والوجد تصويراً دقيقاً حيث اطال الشاعر الوقوف في ربوع احبته فكأن ذلك الوجد الذي استحوذ على قلبه قد حلّ في قوائم الابل فوقفت بأبي الطيب في تلك الربوع ولم تبرح مكانها .

وقد اكثرَ الشعراء قبل ابي الطيب من مثيلات تلك الصور غير انّ المتنبي قد أبدعَ في تراكيبها فجاءت صوراً فنية مؤثرةً يتآزر فيها عمل الفكر والخيال الذي نستشفُ منه احساس الشاعر الرهيف حيث انّا لانجدُ حاجزاً بين الوشي (النقش) والثغور والترامي

(١) ديوان المتنبي ص ٥٩

(٢) طولى : مؤنث اطول . ويروى يطول

(٣) ديوان المتنبي ص ٢١٨ ، ص ٢١٩

واجسام الحسان اللواتي يصفُ المتنبي هيئتهنّ في حين انّ كثيراً من الصور وردت في هذا السياق وكأن اجزاءها وحدات منفصلة . ومن التشبيهات التي تتولى ولا تفتقد بريقها قول أبي الطيب في قصيدة له يمدح عبد الواحد بن العباس بن ابي الاصبع الكاتب :

أركائب الاحباب أنّ الادمعا تطس ُ الخدود كما تطسْنَ البرقعا
قد كان يمنعني الحياءُ من البُكا فاليوم يمنعهُ البكا ان يمنعا
حتى كأنّ لكلّ عظمٍ رنّةً في جلده ولكل عرقٍ مدمعا
سفرتْ وبرقعها الفراق بصفرهٍ سترت محاجرُها ولم تكُ برقعا
فكأنّها والدمعُ يقطرُ فوقها ذهبٌ بسمطي لؤلؤ قد رُصِعا
سرتْ ثلاث ذوائبٍ من شعرها في ليلةٍ فأرت ليالّي اربعا
واستقبلت قمرَ السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقتٍ معا
رُدّي الوصال سقى طلولك عارضُ لو كان وصلكِ مثله ماأقشعا
رجلٌ يُريك الجوّ ناراً والملا كالبحر والتلعات روضاً مُمرعا (١)

فقد صوّر المتنبي مايشعرُ به من الوجد واللوعة بحيث ان ادمعهُ تقرعُ خديه كما تطأ الابل الارض الرخوة حتى أنّه لايقوى على كتمان مافي ذاته من ألمِ الجوى فبات كُلّ عرق في جسدهِ يفيضُ الدمع واصبح لكل عظم من عظامهِ رنيناً . ولعلّ ذلك لايتناسب والاعراف التي شبّ عليها الرجال ولكنها انفعالات نفسية تلبست بمشاعر ابي الطيب فأستجاب لها في لحظةٍ من لحظات الذهول الفني الذي يمرُ بهِ الشاعر ، ثمّ يتحدث عن جزع جبينهِ التي أضفى عليها ألم الفراق في موقف الوداع شحوباً عم وجهها.ويأبى المتنبي الاّ ان يشبه صفرة وجهها بالذهبِ أما تلك الدموع التي تقطر من عينها فقد شبهها بسمطين من اللؤلؤ من كل عين سمط جرياً على عادةِ الشعراء في التشبيه ويمضي في تلك الصور التشبيهية التي كانت سائدة في تلك الفترة فيشبه الثلاث من شعرها بثلاث ليالٍ فضلاً عن تلك الليلة تمخضت وجدانياً مع الذوائب الثلاث فصرْنَ ليالي أرق ثم يشبه وجهها وهي تنظر إلى القمر الذي أمسى قمرين بوجهها ، وهكذا يسرق المتنبي هذه التشبيهات دون ان تحس بأي تحمّل في صياغتها ومن شواهد التشبيه التي سُحِرَ بها ابن جني قول المتنبي :

---

(١) ديوان المتنبي ص ١١٤ ص ١١٥ .

كأن العيسَ كانت فوق جفني مناخاتٍ فلما ثُرنَ سالا (١)

فهو لم يكن يبكي قبل فراق احبته فكأن ابلهم كانت باركةً تحبس دمع عينه فلما رحلوا انهملت مدامعه فكأنّ الابل انطلقت إلى الرحيل من فوق جفنه وقال ابي جني : «ماقيل في سبب بكاء اظرف من هذا البيت» ومن تشبيهات المتنبي قوله :

اعيدوا صباحي فهو عند الكواكب وردُّوا رُقادي فهو لحظُ الحبائب

فانّ نهاري ليلهُ مد لهمة على مقلةٍ من بعدكم في غياهب

بعيدة مابين الجفونِ كأنما عقدتم اعالي كل هُدبٍ بحاجبِ(٢)

فأبو الطيب هنا يصوّر لوعته في مخاطبته لظعن الاحبة الراحلين حيث حُرم اشراقة الصباح وبهجة الضحى وانتفى عن عينهِ الرقاد فاذا بنهارهِ ليلة مدلهمة امّا اهدابُ عينيه فقد باتت متباعدة وبات عنها الكرى بعيداً وهو يصل النهار بالليل على هذه الحال فالصورة التشبيهية في الابيات قد فجرت معاناة شعورية وأثراها هذا التداخل بين الليل والنهار الذي تُنمي المفردات اللغوية دلالته في النفس .

والذي يبدو لي انّ قيمة التمثيل لا تتأتى من تعامل المحسوس بالمحسوس وانتزاع الصورة من مدرك مادي وانما يتميز التشبيه في التمثيل من ارتقاء عناصره بالمحسوسات إلى مدرك ذهني يصعد الصورة وينوع روافدها التي تشكلها اي يحول التركيب اللغوي إلى متشكل من جزيئات الدلالة وبذلك يرقى بالتشبيه إلى مصاف المفهوم الحديث للصورة الادبية .

ومن التمثيل الذي ازدان به شعر ابي الطيب قوله :

نتاجُ رأيكَ في وقتٍ على عجلٍ كلفظِ حرفٍ دعاهُ سامعٌ منهمُ (٣)

حيث يصوّر تدبيره للأمور ونفاذ بصيرته بأنه يُدلي بالرأي السديد في المواقف الصعبة الدقيقة بلمحة خاطفة لا تعدو ان تكون مقدار مدة ادراك المخاطب الذكي لكلمة الناطق البيّنة .

ومن التشبيهات التي تعبر عن براعة ابي الطيب في نسج الصور التي تتخلقُ في حيوية داخل القصيدة قوله في بدر بن عمّار :

(١) ديوان المتنبي ص ١٣٩

(٢) ديوان المتنبي ٢٣٠ .

(٣) ديوان المتنبي ص ٤٤١

تتخيّر الافعال في افعالـــه ويقل ما يأتيه في أمثالـــه
قمـــراً نـرى وسحـابين بموضـعٍ مـن وجهـهِ ويمينـهِ وشمـــالـه (١)

ولا يخفى ان تشبيه الرجل الكريم بالبدر مرة وبالسحب مرةً أخرى كان مألوفاً عند الشعراء غير ان المتنبي قد اجادَ في هذا التشبيه دون تكلف في الجمع بين المشبه والمشبه به .

ومن تشبيهات المتنبي التي يُصوّرُ فيها هزيمة احد قادة الروم :

وأتيتَ معتـزمـــاً ولا أســـدُ ومضيـتَ منهـزمـاً ولا وعـلُ (٢)

حيثُ شبّه اقدامه على الحرب وشدة عزمه بأنه يفوق الاسود الضاربة ثم ما لبث ان تقهقرَ منهزماً مُدبراً عن المعركة ادبار الوعول التي تفرُ هاربة عند الصيد ، وفي هذا التشبيه صورة واضحة لعدم ثبات جند الروم امام جيش سيف الدولة رغم قوة استعداداتهم .

ومن الصور التشبيهية التي يعرض بها لضرارة الحرب قوله :

خـرجـنَ مـــن النقـع في عـــارضٍ ومـن عـرَقِ الركضِ في وابـل (٣)

فقد شبّه الخيول في خروجها للحرب وقد علاها الغبار بالسحب وهي تهيج في سرعتها وكأنها قد مطرت بوابلٍ شديد من شدة عرقها وهذه صورة تشبيهية تبدو في دلالتها وقد تعانقت مفرداتها التي اضفت على الصورة قوة في ابراز احتدام المعركة .

ولعل من بدائع الصور التشبيهية في شعر ابي الطيب قوله في قصيدته المشهورة بوصف الحمى :

وزائـرتـي كـأن بـهـا حيـــاء فليس تـــزور الا في الظـــلام
بـذلت لهـــا المطـارف والحـشايا فعـافتهـــا وبـاتـت في عـظـامـي
يضيـقُ الجلـد عـن نفسي رعنهـا فتـوسعـهُ بـأنـواعِ السـقـام
كـأن الصُبحَ يطـرِدُها فتجـــري مـدامعهـــا بـأربعـةٍ سجـــامِ
اراقـبُ رقتهـــا مـن غـيـر شـــوقٍ مـراقبـة المشوقِ المستهـــامِ (٤)

(١) ديوان المتنبي ص ١٥٧ ، ص ١٥٨ .
(٢) ديوان المتنبي ص ٦٠٠ .
(٣) ديوان المتنبي ص ٢٧٧ .
(٤) ديوان المتنبي ص ٤٣٣ .

ويتضح من هذه الابيات جزع الشاعر لهذه الحمى التي تنتابه في الليالي الحالكات اذ شبهها بزائرة يحدوها الحياء إلى هذه الزيارة المتخفية ويمضي في تصوير فزعه وألمه المرير حتى يبزغ نور الصباح الذي يطردها وتأبى الا ان تغادر جسمه باكية بأربع مدامع مّن موت كل عين فكأنّها تحزنُ على فراقه ، ثم يتمنى الشاعر الا تعود فيرقب وقتها في خوف وروع وهلع ولا يدري ماذا يصنع عندما تحل في عظامه ولا اجدني بحاجة إلى اطالة الحديث عن فنية هذه الابيات وتداخل الصورة التشبيهية في بُنيتها لتخلق تفاعلاً في سياقها العام الذي يؤثر في المتلقين وجدانياً ونفسياً .

ومن تشبيهاته التي استعمل فيها المصدر عوضاً عن الاداة قوله

فربما شفيت غليل صدري بسير او فتاة او حُسامِ
وضاقت خطةُ فخلصتُ منها خلاص الخمر من نسج الفدام (١)

فيُشبّه ابو الطيب هنا خروجه من المحنة التي قد تحلُّ به : بنزول الخمر صافياً من فوهةِ القارورة التي كانوا ينسجون عليها مايصفّي الخمرة بمعنى انه خرج من المحنة سالماً كصفاء الخمرة النازلة من تلك الفوهة .

ومن تشبيهات المتنبي التي أُعجبَ بها الثعالبي قوله :

رضّوا بكَ كالرضى بالشيبِ قسراً وقد وخط النواصي والفروعا (٢)

اذ يشبه خضوع اعدائه الذين سار لمحاربتهم بغزو الشيب للرأس واستحواذه على عموم شعره قسراً اذّ لاخيار فيه لاحدٍ من الناس ومن الصور التشبيهية التي تفنن ابو الطيب في صياغتها قوله في تشبيه قصائده الشعرية .

اذا خلعت على عرضٍ لهُ حُللاً وجدتُها منه في أبهى من الحُلل
بذي الغباوةِ من انشادها ضررٌ كما تضرُّ رياحَ الوردِ بالجعلِ (٣)

يقول انّ قصائده العصماء التي تقترن بمآثر الممدوح تزدان بفضائلهِ وتعبق بها وتطيب فكأنّ شرف الممدوح رعفته يلبسانها اثراباً من الجلال والجمال ، امّا الجاهلُ الذي لايعي مضامين تلك القصائد فأن المتنبي يشبهه بالخنفساء التي يسؤوها شذا الورد ومن التشبيهات التي تنمُّ عن براعةِ ابي الطيب وتمكنه من ناحية الفن الشعري قوله :

---

(١) ديوان المتنبي ص ٤٢٩ .
(٢) ديوان المتنبي ص ٨٧ .
(٣) ديوان المتنبي ص ٣٨٣ .

دعاءٌ كثناءٍ بلا رياءٍ ... يؤديه الجنان إلى الجنانِ
فقد اصبحت منه في فرندٍ ... واصبح منك في عضبٍ يماني
ولولا كونكم من الناس كانوا ... هراء كالكلامِ بلا معانِ (١)

فأبو الطيب وان استعمل اداة التشبيه الا انه يبين انما هو ثناء لممدوحه خال من الكذب والمراعاة فهو اطراء مخلص صادر من القلب إلى القلب لايشوبه التكلف والتمحل وان شعره هو انما هو جوهر للمدح الذي ماهو الا سيفاً قاطعاً . ثم يمضي ابو الطيب في مبالغاته التي لاتستريح لها في اكثر مدائحه على ُما سأبين–فيقول ان وجودكم بين الناس هو الذي جعلهم يرفلون بالمعاني السامية التي يتبوءون بها اعلى المنازل في القيم والمثل ولولا انك مقيم بينهم لكانت حياتهم كالهراء الذي لاطائل تحته .

ويشبّه ابو الطيب جرأة سيف الدولة وعزمه واقدامه فيقول :

اذا كان ماتنويه فعلاً مضارعاً ... مضى قبل ان تلقي عليه الجوازم (٢)

بمعنى انك إذا اردت ان تحقق امراً فأنه يتقرر حال حصول النية فكأن الفعل المضارع صار ماضياً قبل ان تكون فيه مهلة لدخول الجازم ، فكأن همتك لايرقى اليها نفي ولا ينتظر ان يقدر فيها شرط أو جزاء .

ومن الصور التشبيهية التي تمتليء ثراءً ونماءً قوله :

ايـن ازمعت ايُّ هـذا الهمـام ... نحن نبت الرُبى وانت الغمام (٣)

الخطابُ هنا لسيف الدولة عندما همّ بالرحيل عن إنطاكية حيث يحاوره مستفهماً بما ينمّ عن المهِ وحسرتهِ فيقول اين عزمت على المسير فأنت لنا بمثابة الغمام الذي يديمُ لنا السُقيا وما نحنُ الا نبتٌ بتلك الرُبى ، وانما خصّ الرُبى لانها لاتسقى إلا بماء الغمام .

وقد برع المتنبي في اون من التشبيهات البليغة لايجري على النمط الذي تعارف عليه البلاغيون في التشبيه الذي حددوا له اركاناً اربعة هي الاداة والوجه والطرفان واوجبوا الالتزام بذكر الطرفين وجوّزوا حذف الاداة او الوجه او حذفهما معاً وذلك هو التشبيه الضمني كقول ابي الطيب :

(١) ديوان المتنبي ص ٥٩٥ .
(٢) ديوان المتنبي ص ٢٧٥ .
(٣) ديوان المتنبي ص ٢٦٧

فان تفق الانام وانت منهم   فان المسك بعض دمِ الغزالِ (١)

فقد علق عبد القاهر على هذا اللون من التشبيه قائلاً : «وذلك انه اراد انهُ فاق الانام وفاتهم إلى حدٍ بطلَ معه ان يكون بينه وبينهم مشابهه ومقاربه بل صار كأنه اصلٌ بنفسه وجنسٌ برأسهِ وهذا امرٌ غريب وهو ان يتباهى بعض اجزاء الجنس في الفضائل الخاصة به به إلى ان يصير كأنه ليس من ذلك الجنس وبالمدّعي له حاجة إلى ان يصحح دعواه في جواز وجوده على الجملة إلى ان يجيء إلى وجوده في الممدوح ، فاذا قال : «فان المسك بعض دم الغزالِ »فقد اجتمع لدعواه وأبان ان لما ادّعاهُ اصلاً في الوجود (٢)

ومن تلك التشبيهات الضمنية التي سارت مسير الامثال قول المتنبي :

منْ يهن يسهلُ الهوانُ عليه   مابجُرحٍ بميت ايلام(٣)

يشبّه المتنبي ذلك الرجل الذي لايثور لكرامته ولا يهتزُ لعزته ويستسهل وقع الهوان على نفسهِ بالميت الذي لاتؤثر فيه الجراح فلا تخفى روعة هذه الصور التشبيهية التي يندر ان تتأتى لغير المتنبي ويكفي شاهداً على مثل هذه التشبيهات خلودها ماكرّ الجديدان وقبولها واستحسانها في كل جيل وأمة .

ومن التشبيهات الضمنية البارعة قول ابي الطيب :

والهجرُ اقتلُ لي مما أُراقبه   انا الغريقُ فما خوفي من البلل(٤)

يقول : ان هجر حبيبته امضى واشد فتكاً من بأس قومها وأسلحتهم القوية التي يرقبها المتنبي خشية الفتك به فاذا كان هجرها اشد قتلاً فعلام يخشى اقتحام قومها للايقاع به ويشبه هذه الحالة بحالة الغريق الذي يهوي في البحر فهل انه يخاف البلل ويخشاه؟ وهكذا تمضي صور ابو الطيب البلاغية عامةً والتشبيه بوجهٍ خاص اذ لانجد له قصيدة تخلو من رائع الافانين فتكاد تشبيهاته واستعاراته وكناياته تطبع كل صفحة من صفحات ديوانه الكبير الذي تظافرَ على شرحهِ ودراسته عشرات من خيرة الاعلام الذين ازدهرت بهم الثقافة العربية .

---

(١) اسرار البلاغة/ عبد القاهر الجرجاني ص ٢١١ .

(٢) ديوان المتنبي ص ١٦٣

على ان شاعرنا لم ينجُ من السقط والزلل في مواضع من ديوانه الزاخر بكل رائع وبليغ وقد حاول البعض من النقاد القدامى ان يدفعها عنه كما فعل القاضي في وساطته ولكنها واضحة في ديوانه لا تقبل النزاع والدفاع ولا اخالها عيباً كبيراً يغضُّ منْ شأنَ ابي الطيب بل هي حال طبيعية قد لا يسلم منها شاعر ولا ينجو منها اديب مهما اوتي من الفضل والمزية فالكامل من عُدت سقطاته والسعيد من حُسبت هفواته .

وانا لموردون بعد نماذج من الصور التشبيهية التي جانب فيها المتنبي فنهُ الاصيل الذي قرأناه له واكبرناه من خلاله، فمن التشبيهات التي تناقلتها كتب البلاغيين قول المتنبي :

بدت قمراً ومالت خوط بانٍ   وفاحت عنبراً ورنت غزالا (١)

وامثال هذه التشبيهات لا تعدو أن تكون نمطاً من الحشد والضم الذي يعتمد على المقارنات البصرية التي تجمد فيها روح الشعر وتبدو وحدات منفصلة لا ثراء فيها ومن مثيلات هذه الصور المفرغة من العواطف قول المتنبي :

ترنو اليّ بعينِ الضبي مجهشة   وتمسحُ الطلّ فوق الورد بالعنم (٢)

ومن تلك الصور التشبيهية قول ابي الطيب :

كأن الجنون على مقلتي   ثياب شققن على ثاكلِ (٣)

ويبدو اثر التكلف في هذا التشبيه واضحاً لا يحتاج إلى دليل ، حتى ان العلاقة تبدو منفكة بين اجزاء الصورة والاّ فما علاقة فتح الجفون بشق الثياب قد تكون الرابطة هي ذلك الحزن الشديد الذي تنهال فيه دموع الثاكلة ولكن المتنبي لم يوفق في صياغة هذه الصورة التشبيهية .

على ان الذي أخذه على ابي الطيب في تشبيهاته تلك المبالغات التي نلحظها في بضعة قصائد كرسها للمديح فجاءت صورها سقيمة لا تحرك في النفس انفعالاً ولا يهتزُ لها خاطر ذكي وحس رهيف كما في قوله :

قسا فالأسدُ تفزعُ من يديه   ورقّ فنحنُ نفزعُ ان يذوبا

اشدُ من الرياح الهوج بطشاً   واسرعُ في الندى منها هبوبا (٤)

---

(١) ديوان المتنبي ص ١٤٥ .

(٢) ديوان المتنبي ص ٢٠ .

(٣) ديوان المتنبي ص ٢٧٦ .

(٤) ديوان المتنبي ص ١٤٤ .

ولعل السبب في عدم رواق مثل هذه الصور التشبيهية كونها مفرغة من الثراء الوجداني فضلاً عن اعتمادها تلك المبالغات التي لانلحظ فيها غير الحشد والضم والا مامعنى ان يقسو قلب سيف الدولة حتى تخافه الاسود في الحرب ثم مايلبث ان يرقّ في اللطف والظرف حتى يرقّ له قلب المتنبي ويذوب ثم اي احساس يكمن وراء سيف الدولة الذي تموق سرعته الرياح الهوج في البطش وكرمه هذا الذي يهب اسرع من هبوب تلك الرياح فلا نحسُ ونحن نقرأها اكثر من كونها كلمات صُبّت في قالبٍ من الوزن والقافية .

ومن تلك الصور التشبيهية قوله :

انما بدرُ بن عمار سحـــابُ هطلُ فيـه ثواب وعقـــاب
انمـــا بـدرٌ رزايـا وعطـايــا ومنايا وطعـان وضـرابُ (١)

فان الشاعر وان كان موفقاً إلى حدٍ ما في صياغه الصورة التشبيهية الا ان المبالغة في دلالاتها المعنوية قد سلبتها ثراءها الحقيقي بوصفها صورة شعرية ولا يصعب على من ينظر في ديوان المتنبي ويتأمل قصائده بعمق ان يقف على نماذج من تلك المبالغات التي لاتستريحُ لها والذي تجدر ملاحظته ان هذه المبالغات قد اقتصرت على ابيات وردت ضمن قصائد متميزة بذل المتنبي فيها جهداً فنياً وفكرياً لا يُستهان بهِ ولعلّ شعر الرجل مرآة نتبين من خلالها شخصيته بكل مافيها من قلق وتناقض واضطراب ، ولستُ في معرض تحليل شخصية المتنبي من خلال شعره فتلك قضية اخرى ولكني أردتُ ان الح إلى المبالغات التي كثيراً ماتبدو نعمة سقيمة لاتصور واقعاً نفسياً او شعورياً كما هي الحال في تشبيهاته حين يمدح علياً بن منصور الحاجب قائلاً :

اسدٌ فرائسهـا الاسود يقودهـــا اسدٌ تصير له الاسود ثعالبـــا
هذا الذي افنى النضارُ مواهبـــاً وعداهُ قتلاً والزمان تجاربـــا
كالبدر من حيث التفت رأيتـــه يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبـــا
كالبحرِ يقذف للقريب جواهـــراً جُوداً ويبعثُ للبعيد سحائبـــا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربـــا (٢)

حيث نشعر ونحن نقرأ هذه الابيات بأن هذه الصور التشبيهية ليست الا تقمصاً ذهنياً — ان جاز التعبير — يقوم على ضمِ اجزائها في لقطاتٍ مجزوءة تعتمد الوهم الذي ليس

(١) ديوان المتنبي ص ١٠٨ — ١٠٩ .

للخيال فيه نصيب لأن الخيال الشعري الاصيل لايستند إلى وهمات كاذبة وانما يتآزر مع الفكر والانفعال في خلق الصورة التشبيهية يقول العقاد : «الخيال يجب ان يطير بجناحين من الحقيقة وكل كلام ليس مصدره صحة الادراك وصدق النظر في استشفاف العلاقات لن يكون الا هراء(١)» .

ان الصورة التشبيهية لايراد منها ان تحتوي على روابط نحسها من خلال ماديتها فحسب وانما نطلبُ منها ان تثير احاسيس انفعالية تقيم وشائج متبادلة بين الشاعر وقارئه ، وقد أشارَ إلى شيء من ذلك ابن سينا في مفهوم التخيل الذي نقله عنه حازم القرطاجني فقال : «والمخيل هو الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط لأمور ان تنقبض عن امور من غير رؤيّة وفكر واختيار وبالجملة تنفعل له انفعالاً نفسانياً غير فكري سواء كان المقول مصدّقاً به ، او غير مصدّق .... فأنه قد يصدّق بقول من الاقوال ولا ينفعل عنه ، فان قيل مرةً اخرى أو على هيئة اخرى انفعلت النفس له طاعةً للتخييل(٢)».

ومن تلك المبالغات الوهمية الكاذبة قول المتنبي :

واقسمُ لولا انّ في كل شعرة له ضيمخاً قلنا له انت ضيغمُ
يجَلُّ عن التشبيه لا الكف لجةٌ ولا هو ضرغام ولا الرأي مُخْذمُ (٣)

ولعل هذا اللون من الصور الشعرية هو الذي دفع النقاد والبلاغيين القدامى إلى ان يتقبلوا فكرة (اجود الشعر اكذبه) هذا امامهم عبد القاهر يقول : «ومن قال اكذبه ذهب إلى أن الصنعة انما تمدُّ باعها ، وتنشر شعاعها ، ويتسع ميدانها ، وتتفرع افنانها ، حيث يعتمد الاتساع والتخيل ، ويدعي الحقيقة فيما اصله التقريب والتمثيل ... وهناك يجد الشاعر سبيلاً إلى ان يبدع ويزيد ويبدي في اختراع الصور ويعيد ، ويصادف مضرباً كيف شاء واسعاً ومدداً من المعاني متتابعاً ، ويكون كالمغترف من غدير لا ينقطع ، والمستخرج من معدنٍ لا ينتهي» (٤) .

ان هذه المبالغات المترهمة يتمخض عنها دون ادنى ريب تصنع ذهني يبعدها عن الروح الفنية التي تكتنف القصيدة كلها متلبسة بسياقها العام فضلاً عن ان التشبيهات

---

(١) الديوان/ العقاد ص ٦٤

(٢) منهاج البلغاء/ حازم القرطاجني ص ٨٩

(٣) ديوان المتنبي ص ١١١

(٤) اسرار البلاغة عبدالقاهر الجرجاني ص ٢٥٠ – ٢٥١

التي تقوم على مثل هذه الألاعيب الذهنية واحاييل الوهم والغلو لا تثير اية مشاعر في نفس المتلقي ولعل من المفيد ان ننوّه إلى ان مراتب التشبيه كما صنفها السكاكي لا يمكن ان تعد مقياساً دقيقاً يصحُ تطبيقهُ على الاسلوب العربي البليغ فضلاً عن اضطرابها وذلك حيث يقول : «والحاصلُ من مراتب التشبيه ثمان احداها ذكر اركانه الاربعة وهي المشبه والمشبه به وكلمة التشبيه ووجه التشبيه كقولك زيدٌ كالاسد في الشجاعة ولاقوة لهذه المرتبة وثانيتها ترك المشبه كقولك كالأسد في الشجاعة وهي كالأولى في عدم القوة وثالثتهما ترك كلمة التشبيه كقولك زيدٌ اسدٌ في الشجاعة وفيها نوع قوه ، ورابعتها ترك المشبه وكلمة التشبيه كقولك اسدٌ في الشجاعة في موضع الخبر عن زيد وهي كالثالثة في القوة وخامستها ترك وجه التشبيه كقولك زيدٌ كالأسد ، وهي ايضاً قوية لعموم وجه التشبيه وسادستها ترك المشبه ، ووجه الشبه كقولك كالأسد في موضع الخبر عن زيد وحكمها كحكمِ الخامسة . وسابعتها ترك كلمة التشبيه ووجه الشبه كقولك زيدٌ اسد وهي اقوى الكل ، وثامنها افراد المشبه به في الذكر كقولك اسد في الخبر عن زيد وهي كالسابعة (١) » .

ونلحظ التعمّل في هذه المراتب التي صنّفها صاحب المفتاح فمن الناحية العددية يعدُّ السكاكي الثانية من الأولى والرابعة كالثالثة والسادسة كالخامسة والثامنة كالسابعة فلا ضرورة اذن لتعديد مراتب التشبيه عند السكاكي على هذا الوجه اما من الناحية الفنية فان الرابعة التي هي ترك المشبه وكلمة التشبيه كقولك اسد في الشجاعة في موضع الخبر عن زيد فهي غير متحققة واما الثامنة التي هي افراد المشبه به بالذكر كقولك أسدٌ في الخبر عن زيد فإنها تدخل في باب الأستعارة التصريحية وقد ذكر السكاكي ان التشبيهات التي تذكر فيها الأداة ليست قويه، فماذا يقول في ابيات المتنبي التي مرت وكثير من آي القرآن الكريم منها قوله تعالى : «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة (٢) »

وقوله عز وجل : «وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة (٣)» والحق أن للتشبيه دوراً في العمل الفني يتصل بسابقه ولاحقه فقد استطاع المتنبي في كثير من قصائده أن يركب تشبيهين يتصل أولهما بثانيهما مما يجعل التركيب النثري يشبه معماراً لا يمكن هدمه أو

(١) مفتاح العلوم / السكاكي ص ١٦٨ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦١

(٣) سورة الاعراف الآية ١٧٢ .

فصل بعضه عن بعض بل تتداخل الابنية لتتولد منها صورة نامية كقول المتنبي

الناس مالم يروك أشباه والدهر لفظ أنت معناه
والجود عين وانت ناظرها واليأس باع وانت يمناه (١)

ونؤكد على أن الصورة التشبيهية تستمد قوتها وتأثيرها في النفس من سياقها العام وقد المح عبد القاهر الى شيء من ذلك – وان لم يلتزم به في تحليلاته الفنية – حيث قال «البيت أذا قطع عن القطعة كان كالكاعب تفرد عن الاتراب ، فينظهر منها ذل الاغتراب والجوهرة الثمينة مع اخواتها في العقد ابهى في العين ، واملأ بالزينة منها اذا أفردت عن النظائر ربدت فذه للناظر (٢) » .

(١) ديوان المتنبي ص ٢٥٦ – ٢٥٧ .
(٢) اسرار البلاغة/ عبد القادر الجرجاني / ص ١٧٦ .

المصادر والمراجع

١ ــ ابو الطيب المتنبي ــ حياته وشعره ــ مجموعة مقالات لنخبة من الباحثين، بغداد . مكتبة النهضة ١٩٨٣ .
٢ ــ الاحاطة في أخبار غرناطة / لسان الدين ابن الخطيب مصر ١٣١٩هـ .
٣ ــ اسرار البلاغة ــ عبد القاهر الجرجاني، تحقيق هـ. ريتر استانبول ــ ١٩٥٤م.
٤ ــ اعلام الكلام ــ ابن شرف القيرواني . القاهرة ١٩٢٦م
٥ ــ تفسير ارجوزة ابي نواس ــ ابن جني.
٦ ــ الديوان/ عباس محمود العقاد .
٧ ــ ديوان المتنبي ــ الشيخ ناصيف اليازجي ــ بيروت. دار القلم
٨ ــ شذرات الذهب ــ ابن العماد الحنبلي .
٩ ــ مفتاح العلوم ــ السكاكي ــ القاهرة ١٩٣٧م .
١٠ ــ معجم الادباء ــ ياقوت الحموي .
١١ ــ منهاج البلغاء ــ حازم القرطاجني ــ محمد حبيب الخوجة تونس ١٩٦٦م.
١٢ ــ الوساطة بين المتنبي وخصومه ــ علي بن محمد البجاوي القاهرة ١٩٦٦م
١٣ ــ وفيات الاعيان ــ ابن خلكان. مطبعة بولاق ١٢٩١هـ .

شعر وشعراء الظرف والفكاهة الى القرن الرابع الهجري

د. عناد اسماعيل الكبيسي

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

يشكل هذا اللون من الادب ظاهرة عامة، تبدو أكثر شمولا في القرن الرابع الهجري وذلك من حيث شيوعها وعدد الشعراء الذين يمثلونها ،وربما تعذر علينا إيجاد موازنة بين شعراء الهزل من جهة وشعراء الجد من جهة أخرى ،والباحثون من ناحيتهم لم يولوا هذه الظاهرة عنايتهم لانهم يجدون حرجا وهم يتعرضون لها . فضلاً عن إختلاف الاذواق والمفاهيم، وإلا فاننا رأينا شيوعاً وتقبلاً لمثل هذا الشعر من معاصريهم كما أعتنى به أولئك الذين أرخوا لهذا العصر ،والثعالبي في يتيمة الدهر كان يصف مثل هذا الشعر ، على سخفه ،بالشعر الذي يقطر لطفاً وخفة ،وهو بمجموعه غريب على الروح العربية التي تعنى بالنكتة الشفافة والنادرة اللطيفة التي تنأى عن الاسفاف أو الانحدار واحسب أن هذه الظاهرة بكل هذا الشيوع والانتشار إنما كانت نتيجة طبيعية لانحسار المد العربي وظهور الاعاجم الطارئين على الحكم وإحتواء الخلافة العباسية منذ أن وصل البويهيون إلى بغداد في هذا القرن ،ولكي نجسم الدور الذي لعبه هؤلاء الطارئون نحاول أن نتعرف على هذا الشعر من خلال العصور الادبية التي سبقت هذا القرن ثم نقف

ها هنا وقفة تتلاءم إلى حد بعيد مع هذا الفيض من الشعر والشعراء ، أما البحث عن أسبابها فلها مجال آخر .

وفي العصر الاموي وجد أدب ظريف ولكنه كان محصوراً ضيق الحدود ،في أعلام أوجدتهم ظروف معينة لها مساس بالاحوال العامة ، فكان هناك عمر بن أبي ربيعة وغيره من أمثال الاحوص والعرجي والوليد بن يزيد ،أما النقائض فانها مجرد هجاء محض ،يختلف عن الهجاء الذي ندرسه عند شعراء الفكاهة في القرن الرابع ، فالروح الهجومية هي السمة العامة على أدب النقائض ،لان هم كل من جرير أو الفرزدق أن يجعل صاحبه عارياً بما يلصقه به من صفات موجعة تعيب صاحبها ،وهما بعد ذلك يتعديان حدودهما إلى آفاق أوسع حيث العائلة والقبيلة ، فاذا أراد الفرزدق أن يهجو جريراً مثلا فانه يرتفع بنفسه في البداية ، وبأبيه وبقبيلته ، ويلصق كل صفة حميدة به وبقومه ، كقول الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز واطول،
بيتاً بناه لنا المليك وما بنى ... حكم السماء فانه لاينقل

ويستمر الفرزدق على هذا المنوال وهو يذكر كرم وشجاعة وعفة اهله وقبيلته لينتقل بعد ذلك الى غرضه:

ولئن جدعت امك انفها ... لتنال مثل قديمهم لاتفعل
إنا لنضرب رأس كل قبيلة ... وأبوك خلف إتانه يتقمل (١)
يهز الهرافع عقده عند الخصى ... باذل حيث يكون من يتذلل(٢)

وهكذا يستمر الفرزدق وهو يتحفنا بكل لفظة ساقطة او صورة عارية ، من غير ان ينسى نفسه وذلك بعد كل عدة أبيات عارية لكي يظهر ضآلة خصمه الذي لم يكن بأقل منه في هذا المجال .

أما شعراء عصرنا هذا فانهم يتخذون من الهجاء وسيلة غايتها التفكه والدعابة ، ولهذا فهم يدخلون الى غرضهم مباشرة من غير مقدمات، كما انهم لايتعدون حدود مهجويهم الى غيرهم ، فهم يجعلون من المقابل وحده مادة للضحك ، أما الألفاظ المشتركة التي نراها عند شعراء النقائض وشعراء هذا العصر . ونعني بها الفاظ السخف والرفث فهي

(١) يهز الهرافع : يعني ينزع القمل ، والقمل الواحد هرفع (النقائض) .
(٢) النقائض : ابو عبيدة التميمي — تحقيق محمد الصاوي ص ١٦٨ .

ليست ملكا مقصوراً على شاعر دون آخر وانما يتناولها هذا وذاك متى احتاجا اليها، قال السري الرفاء وهو من شعراء هذا العصر يتعرض لابن العصب الملحي المعاصر له.

لك يابن العصب الملـ	حي عرض مستباح
وقفا فيه لايدي الشر	ب جَدْ ومزاح
هو للصفع قريح	وهو للرحب قراح
وقريض مثلما	تنطق باللغو الفقاح
لست أدري اسلاح	لك منه أم سلاح (١)

وهكذا نرى ان السري الرفاء لم يتعرض لغير ابن العصب الملحي، فلم يذكر أباه ولا أمه او قبيلته، واذا كان الثعالبي عند ذكر ابن الحجاج وابن سكرة قد شبههما بجرير والفرزدق، فانه انما كان يقصد العداوة المتمكنة بينهما، وهما شاعران يتنافسان على الصدارة في جيلهما، قال الثعالبي «وما اشبههما الا بجرير والفرزدق في عصريهما» (٢).

وكان حرياً ان نقف عند هذه المسألة ونعقد موازنة بين النقائض وشعر هذين الشاعرين لولا أننا لم نعثر على هجاء متبادل بينهما يشبه النقائض، اذ ليس بين ايدينا من شعر ابن سكرة في ابن الحجاج شيئا من ذلك، وهجاء ابن الحجاج في ابن سكرة قليل لايمكن الحكم من خلاله.

بالاضافة إلى هذا فان أصحاب النقائض أكثر شاعرية وامكن إسلوباً من الناحية الفنية من هؤلاء الشعراء الذين كثروا في هذا العصر، وفوق هذا وذاك كان شعراء هذا العصر كثيراً ما يعكسون الاغراض الشعرية المتعارف عليها في الادب العربي إلى ما يخدم مجالاتهم في الفكاهة، كالمدح والفخر وغيرها من الاغراض الشعرية المعروفة.

والذي نعرفه عن شعر عمر بن أبي ربيعة ومن لف لفّه من الشعراء أمثاله، أنه ما كان ليقال الا في المجالس الخاصة أوبين طائفة من الشعراء تجمعهم الامزجة المتشابهة على الاكثر لان المجتمع كان يستنكره والسلطة كانت من القوة بحيث أنها تستطيع أن تكبح اندفاع هؤلاء الشعراء، كما أن هذا الشعر كان نشازاً لدى عامة الناس لان الدين ما يزال قويّ التأثير وان عصر النبوة والخلفاء الراشدين ما يزال هو الاخر قريباً منهم

(١) الثعالبي — اليتيمة — ج٢ ص ١٥٨ .
(٢) اليتيمة ج٣ ص ٣ .

وفي العصر العباسي وبفعل ظروف وعوامل معينة تكوّن لون جديد من الادب أقرب ما يكون إلى المجون والدعوة إليه وإلى التحلل من كثير من القيم الاخلاقية التي يؤمن بها الناس فظهرت جماعة أبي نواس التي ذهبت في المجون كل مذهب، فأشاعوا لوناً طريفاً من الادب في مجالسهم الخاصة ،سواء أكانت هذه المجالس بين ذوي الامزجة المتشابهة أم كانت على مستوى آخر حيث الخلفاء والامراء ومن كان يتصل بهم ،فان لهذه الطبقة حياتها الخاصة ،مع أنها أمام الناس رجالات حكم ودين لاأقل من أن يكبحوا جماح هؤلاء المتبطرين خشية النقمة العامة عليها ، يقول الدكتور طه حسين « ان حياة هؤلاء الخلفاء ومشيريهم كانوا يحيون حياتين مختلفتين حياة للشعب يحتفظون فيها بجلال الدين ومجده ،وعظمة الخلافة وقوتها السياسية ،وحياة لانفسهم ولخلصائهم في القصور ومن وراء الحجب يتركون فيها لأنفسهم حريتها الفطرية فيلهون ويلعبون وينادمون ويشربون ويقترفون ضروباً من الاثم ،فترى الكثير منهم يحب شعر بشار ويلذ لشعر أبي نواس »(١)، فكم من مرة حبس فيها أبو نواس أونفي في زمن الرشيد والامين ،وقتل المهدي بشار بن برد بتهمة الزندقة وتخلص منه.

أما في القرن الرابع الهجري فالمسألة مغايرة لما ذكرنا من وجوه عدّة ،أهمها أن الحكام الحقيقيين في هذا العصر لم يكونوا من العرب ،وانهم هم الذين شجعوا هذه الظاهرة وقربوا أصحابها .

وبينما كان أبو نواس ومن ذهب مذهبه يمدحون ويفتخرون ولاينأون في أغراضهم الجديّة عن الشعر المألوف في الادب العربي، فيكون شعرهم لأنفسهم مرة وللناس مرة أخرى ،نجد أن شعراء هذا العصر يبتعدون في أكثر شعرهم هذا ويجعلونه وسيلة لخدمة روح الفكاهة التي عرفوا بها .

نرى هذا واضحاً في شعر ابن الحجاج وغيره من شعراء هذا العصر، فانهم حين يمدحون أميراً أو وزيرا، يحشرون من خلال قصائدهم هذه ماعرف عنهم من سخف او هزل ، كقول ابن الحجاج يمدح عز الدولة البويهي:

يا أبا الفضل نحن حيث كانا ... بحديثي تحدث
أنت مغرى بالخرا الاصفر ... يحكي الزعفرانا
في الخرا والبول نرعى ... خلق الله لحانا

(١) حديث الاربعاء — طه حسين — ج٢ ص ١١

رب يـــامـــن لانـــــراه وهـــو فـــي الغـيـب يـــرانـــا
اعــطـي عــز الدولة الـــقــرمَ مـــن الـدهـر أمـانـــا
والـــــذي لـــولاه كـــنـــا نـتـغـــذى بـــخـرانـــا (١)

ومعز الدولة هذا يقوم مقام الخليفة في بغداد، وذلك ان البويهيين ، وهم عجم فرس، خلخلوا كثيرا من المفاهيم والقيم العربية الاصيلة وأشاعوا روح التمرد واللامسؤولية بين الناس عن طريق امتهانهم للخلفاء ، منذ اليوم الاول لدخولهم بغداد سنة ٣٣٤هـ اذ خلع «عليهم الخليفة المستكفي وفوض اليهم الامور وضربت السكة باسمهم وخطب لهم على المنابر فلا غرو ان يخاطب هذا الشاعر المعروف بخفه الأمير بهذا الاسلوب وبمثل تلك الالفاظ»(٢). فهل كان أبو نواس يستطيع ذلك؟ وبالاضافة الى أبي نواس وجماعته فاننا نعثر في العصر العباسي الاول وفي فترات مختلفة منه على بعض الفكهين من امثال ابي دلامة وجحظة البرمكي وابي الشمقمق وابن بسام وغيرهم ، اذ شاع هؤلاء في مجال الفكاهة واصبحوا بارزين في حدود هذه الفنون، لابأس من ان نتعرف عليهم حتى تكون عندنا صورة اوضح عن شعراء الفكاهة في القرن الرابع الهجري.

أما أبو دلامة فهو «زند بن الجون أدرك آخر دولة بني أمية ولم تكن له نباهة في أيامهم ونبغ في أيام بني العباس وانقطع الى ابي العباس والمنصور والمهدي ، وكانوا يقدمونه ويستطيبون مجالسه ومنادمته ونوادره» (٣)، ونوادره متفرقة في كثير من كتب التراث من اهمها أغاني ابي الفرج، كان يقولها في مجالسه مراعاة لروح الظرف والخفة والمرح وهي بمجموعها تدل على حضور بديهته التي هي سر نجاحه ، ومن نوادره: «قال المنصور لابي دلامة ، ياأبا دلامة قد اقطعتك الف جريب عامرة ومثلها غامرة، فقال ابو دلامة قد عرفنا العامرة ياأمير المؤمنين فما الغامرة؟ فقال المنصور: التي لاتزرع ، فقال ابو دلامة وأنا اقطعت أمير المؤمنين كل الاراضي الغامرة» (٤)، فهذه نادرة عفوية جاءت في وقتها لتدل على ذكاء أبي دلامة واستغلاله الظرف النفسية للخليفة المنصور، ومثلها كثير نراها متفرقة في كتب التراث، أما شعره في هذا المجال فأبيات مفردة ومقطعات ، كانت تأتي عفو الخاطر ، وهي تخلو من السخف والرفث الذي نراه عند شعراء عصرنا

(١) مخطوطة ديوان ابن الحجاج — بغداد — مكتبة الاوقاف .
(٢) أخبار الدول — القرماني — ص ١٩٩.
(٣) الاغاني ج١٠ ص ٢٤٣
(٤) العقد الفريد — ج١ — ص ٥٠٢ والاغاني ج١٠ ص ٢٢

هذا، خرج المهدي وابو علي الى الصيد فرأى المهدي ظبياً فانفذ مقاتله ، ورمى علي بن سليمان فاصاب كلباً من كلاب الصيد فارتجل ابو دلامة وقال :

قد رمى المهديّ ظبيا شك بالسهم فؤاده
وعليّ بن سليمان رمى كلبا فصاده
فهنيئاً لهما كل فتى يأكل زاده (١)

وهكذا هو أبو دلامة في سائر نوادره يستغل اللحظة المناسبة التي يمكن أن تثير الحبور في نفوس نادميه من علية القوم، فكاهة مرحة تبتعد عن السخف والرفث الذي وقع فيه أهل هذا العصر .

أما أبو الشمقمق فإنما يأتي هزله من هجائه ، وقد شاع عنه هذا ، وهو هجاء يقصد به الاساءة إلى من يهجوهم لكي يستلب منهم لقمة العيش « كان منكر المنظر وكان غير جيد الشعر ، هجا كثيراً من متقدمي شعراء زمانه منهم بشار بن برد وابو العتاهية ومروان بن أبي حفصة وأبو نواس ، وهجا يحيى بن خالد البرمكي وجماعة من كبراء ارباب السلطان وقواده بالفاظ اكثرها ضعيفة» (٢) ، وكانت بينه وبين بشار أهاج قبيحة لأن أبا الشمقمق كان يستغل بشارا ويبتز منه الاموال « حدثني أبو الشمقمق قال : أتيت بشاراً وقد اخذ صلة جزيلة لشعر عمله ، فسألته مواساتي بشيء فقال لي : عافاك الله تسألني ومالي صنعة ولا مكسب سوى الشعر، وأنت شاعر مثلي تتكسب بالشعر ؟ فقلت : صدقني ، ولكني مررت الساعة بصبيان يقولون :

سبع جوزات وتينة فتحوا باب المدينة
إن بشار بن برد تيس أعمى في سفينة

فسكت ساعة ثم قال : يا جارية هاتي مائة درهم لشمقمق ، ثم قال : خذها يا أبا محمد ولا تكن راوية للصبيان » (٣)

وروى له الجاحظ الابيات التالية في كتاب الحيوان :

ألا قولوا لشرّان المخازي ووجه الكلب والتيس الضروط
له بطن يضل الفيل فيه ودبر مثل راقود النشوط (٤)

---

(١) مجاني الأدب — ج٧ — ص ١٠٥
(٢) معجم الشعراء — المرزباني — ص ٣١٩ .
(٣) تاريخ بغداد — الخطيب البغدادي — ج١٣ ص ١٤٦
(٤) الراقود: دن كبير او طويل الأسفل — والنشوط سمك يحضر في ماء وملح.

ولحية حائك من باب قلب موصّلة الجوانب بالخيوط
اذا نهض الكرام إلى المعالي ترى شرّان يسفل في هبوط (١)

والذي يقربه من شعراء هذا العصر ، الفاظ السخف التي يستعملها ، لكن عنصر الهجاء مقصود لذاته ، فضلا عما لدينا من قلة شعره ، بحيث يستحيل عقد مقارنة خاصة بينه وبينهم . أما ابن بسام فهو قريب من أبي الشمقمق «الذي كان لسنا مطبوعاً في الهجاء ولم يسلم منه أمير ولا وزير » (٢) ومن شعره في هذا المجال قوله في أبيه :

هبك عمرت عشرين نسراً أترى أنني أموت وأبقى
فلئن عشت بعد موتك يوماً لاشقّن جيب مالك شقّا

وكذلك ماقاله لعبدالله بن سليمان لما مات ابنه وبقى القاسم :

قل لأبي القاسم المرزيّ قابلك الدهر بالعجائب
مات لك ابن وكان زيناً وعاش ذو النقص والمعايب
حياة هذا كموت هذا فلست تخلو من المصايب

ورغم مافي هذه من فكاهات وتندر إلا أن امثالها قليل بحيث أنه يصعب علينا أن نعقد مقارنة بين هؤلاء الشعراء مع اختلاف عصورهم .

وأبو جحظة البرمكي قريب من أبي دلامة إلى حدبعيد فهو بهلوان قصور ومضحك طبقات عليا ، وهو مع هذا « كثير الرواية للاخبار متصرف في فنون جمّة ، عارفاً من العلوم بصناعة النجوم حافظاً لاطراف النحو واللغة مليح الشعر مقبول الالفاظ حاضر النادرة وأما صنعته في الغناء فلم يلحقه فيها أحد» (٣) وشعره ها هنا قليل هو الاخر ، على شكل أبيات مفردة أومقطعات قصيرة ، كالذي رواه أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر .

وقائلة ماذا دهى ناظريك فقلت رويدك اني دهيت
شققت دجاجة بعض الملوك فما زلت أصفع حتى عميت

وعلى آية حال فآثار هؤلاء الشعراء قليلة تبدو شيئا تافها اذا ماقورنت بالاثار التي خلفها امثال ابن الحجاج وابن سكرة وغيرهما من شعراء القرن الرابع ، وان تندر جحظة وابي

(١) الحيوان الجاحظ – ج١ ص ١٢٦
(٢) مروج الذهب – المسعودي – ج٤ ص ٢٢٧
(٣) تاريخ بغداد ج٤ ص ١٥

دلامة انما هو تندر مجالس لم يقتصر على الشعر وحده وانما هو خليط من هذا وذاك،(١).
كما نجد مثل هذه النغمات الغريبة والصور الداعرة في شعر ابن الرومي، لما عرف عنه من هجاء لاذع مفرق في رسم الصور والمناظر الغريبة، قال عنه المرزباني «وهو في الهجاء مقدم لايلحقه فيه أحد من اهل عصره» (٢)، والتفت ابن خلكان الى صور ابن الرومي في هذا الجانب فوصفه بانه «كان يغوص على المعاني فيستخرجها من مكامنها ويبرز في أحسن صورة وله في الهجاء كل شيء ظريف» (٣) واحسب انه ترك أثرا في هؤلاء الشعراء مهما كانت قوة هذا الاثر، ذلك ان لشعرائنا صورا غريبة ومناظر عجيبة تفوق ماكان يصوره ابن الرومي وغيره ممن برزوا في هذا الفن، وبخاصة الاغراق في وصف المناظر التي يغلب عليها طابع السخف، ولكي نعرف نفسية ابن الرومي وصوره، ونفسية ابن الحجاج وصوره ننقل لهما ابياتاً قيلتا في وصف لحية :

ان تطل لحيــة هارون وتعــرض ... فالمخالي معـروفة للحـميـر
علـق الله في عذاريـك مخـلاة. ... ولـكنـهـا بغـير شعيـر
لـو غـدا حكـمها الي لطارت ... في مهـب الرياح كل مطيـر (٤)

فقد رسم لنا ابن الرومي لحية أحد مهجويه وصورها بانها تشبه المخلاة التي يضعون فيها العلف للحمير، وهي صورة كاريكاتيرية نجدها في شعره كثيراً، لتعبر بالتالي عن نفسيته النزقة والمتشائمة التي تحمل حنقاً على من يتناولهم، وهكذا هم مرهفو الاحساس يثورون لاتفه سبب، أما شعراء عصرنا فانهم يتخذون من الهجاء وسيلة للتندر والضحك، قال ابن الحجاج يصف لحية هارون:

قـد زعمـت لحيـة هارون ... بان شعري غـير مـوزون
فقـال جحـري وهو يقـوطـا ... تاحظـي وزنـي وذوقينـي
تـطـعـمي طعمي مـن داخـل ... أو فاقـلبيني ثم شمـيـنـي
إن كـنـت أخطـأت فشـدي على ... جعسـي فعضـيـة وعضيني
او كـنـت لم أخطىء نـضـمـي الى ... صدرك شق أستي وبوسيني(٥)

(١) البصائر والذخائر – أبو حيان التوحيدي – ص ٤٩ .
(٢) معجم الشعراء – المرزباني – ص ١٤٥
(٣) وفيات الاعيان ابن خلكان – ج٣ ص ٤٢ .
(٤) ديوان ابن الرومي – تحقيق كامل كيلاني – ص ٧١ .
(٥) ديوان ابن الحجاج – الاوقاف – بغداد

والفرق بين هذه وتلك كالفرق بين صاحبيهما، ففي شعر ابن الرومي لمحات فنية طريفة لانستطيع ان نجدها في جل فكاهات هؤلاء الذين يعتمدون على اللفظة النابية او السخيفة في اضحاك الناس عليهم، أما صورهم فعارية عن كل حشمة ووقار ، ويبدو ان روح العصر وفي بعض جوانبه كانت تتقبل منهم هذا السخف، بينما مات ابن الرومي بسبب لسانه «وكان سبب موته أن الوزير ابا الحسن كان يخاف من هجوه وفلتات لسانه بالفحش، فدس له السم» (١)، في حين كان ابن الحجاج يزهو على ابناء عصره فلم يجبه قط باذى بسبب شعره، وكان ارباب السلطة يتسابقون الى ارضائه وسماع سخفه ، كما كان «ديوانه أسير في الآفاق من الامثال وأسرى من الخيال، وبلغني انه كثيراً مابيع شعره بخمسين دينارا الى سبعين» (٢)، ويؤجر الناس ديوانه ويؤخرونه عندهم، فيقول فيهم على مألوف عادته!

يامستعير الشعر الذي خريت ... على كبار اللحى قوافيه

وهناك نماذج من الفكاهات والدعابات تصل الى حد الخروج عن المألوف لما فيها من تعد للحرمات ، وقد نقل الثعالبي كثيراً منها ، حتى بات الذين يؤرخون للقرن الرابع الهجري، يتعجبون من انحسار القيم وضياع الحرمات، كتلك النادرة الغريبة التي رواها صاحب اليتيمة عن ابي الفرج الببغاء والتي علق زكي مبارك في النثر الفني حيث قال : «لم نقرأ في الأدب العربي أظرف من تلك الخطابة وهي تمثل الحرية المطلقة التي كان يمرح في ظلالها اهل الادب في ذلك الحين» (٣)

لقد وصف ابو نواس الخمرة لانه كان مغرماً بها وكان يقدسها ولهذا جاء وصفه ذاتياً معبراً عن شغفه بها وبما تفعله فيه من تغيير يبدو عليه من خلال تصرفاته، أما ابن الحجاج فيراها وسيلة للتفكه بغية اضحاك عليه وعلى شعره :

سيدي ما أظنه ... بعد يدري بما جرى
ما درى أن عبده ... فاله قد تقشرا
عبد من عنده نبيذ ... اذا كان احمرا
كم لم ذاقها قطا ... ب رقد كان انجرا

(١) وفيات الاعيان ج٣ ص ٤٢ .
(٢) اليتيمة ج٣ ص ٣٤ .
(٣) النثر الفني — زكي مبارك — ج١ ٢٨٦

وغـــلام بـكـأسـهـا راح يـسـعـى وبـكـرا
هـو فـيـنـا بـريـحـهـا عـبـق قـد تـعـطـرا
ظـل يـنـسـود عـنـدنـا أنـه قـد تـبـخـرا

والفكاهة بعد هذا ، وفي هذا العصر ، ظاهرة عامة لكثرة الشعراء الذين تعاطوها ، وكثرة ماألف من كتب جعلت منها مادة رئيسية لها ، حتى ان صاحب الفهرست يفرد باباً خاصاً لها ولاعلامها يقول في أحد ابوابه «اخبار القدماء والجلساء والادباء والمغنين والصفادمة والصفاعنة والمضحكين واسماء كتبهم» (١) ،وابن النديم من اهل هذا العصر ، واكثر الكتب التي ذكرها انما كانت لهم ، بل ان بعض الأدباء المعروفين بفكرهم الفلسفي لايتوانون عن ايرادها في كتبهم وعن محض النصح لغيرهم الا يستنكفوا عن سماع هـذه النوادر لانها تحي القلوب وتثير الهمم بعد ذلك ، يقول ابو حيان التوحيدي «إياك ان تعاف جملة سماع هذه الاشياء المضروبة بالهزل الجارية على السخف فانك لوأضربت عنها لنقص فهمك وتبلد طبعك» (٢) ، والثعالبي خير شاهد على ذلك ، في اليتيمة او في غيرها من آثاره من أمثال من (غاب عنه المطرب) او في (ثمار القلوب) وهو مغرم بالتمثيل من هذا اللون من الشعر ، ويعده واسطة العقد وحبة القلب ، يقول عن اليتيمة «إن كان لهذا الكتاب محل من قلوب الادباء وموقع من نفوس الفضلاء كالعادة فيما لم يقرع من قبـل آذانهم ولم يصافح اذهانهم» (٣) ويقول عن شعره هذا «إنه اجمع لنوادر المحاسن وانظم للطائف البدائع من سائر اشعار المذكورين لانتهائها الى ابعد غايات الحسن وبلوغها أقصى غايات الجودة والظرف » (٤) .

ويوشح صاحب محاضرات الادباء كتابه بسيل لاينقطع من الفكاهات ، بعضها يصل الى حد السخف ، والراغب الاصبهاني صاحبه من اهل هذا القرن ، يقول عن كتابه هذا «إنه دعاء ملأه ظرفا وحشاه جداً وسخفاً فمن شاء وجد فيه ناسكا يضحكه ويبكيه ومن شاء صادف منه فاتكا يضحكه ويلهيه» (٥). وقد تعدى هذا اللون من الشعر الى ،

(١) الفهرست — ابن النديم — ص ٢٠٥ .
(٢) البصائر والذخائر — أبو حيان التوحيدي — ص ٤٩.
(٣) اليتيمة ج١ — ص ١٨
(٤) اليتيمة ج١ ص ١٧ .
(٥) محاضرات الادباء — الراغب الاصبهاني — ج١ ص ٢

مجالات أوسع نلم يقتصر على العراق ، وان كان هاهنا أبين واظهرو أعم ، فإننالانعدم أن نجد امثالا لابن الحجاج او لابن سكرة في غير العراق ، وما ذلك الا بسبب انعدام الرادع وضعف الحكم واستبداء الفرس على السلطة ، ففي الشام نجد شعراً لابي الرقعمق وفي جوانب من شعره نلاحظ صورة ابن الحجاج « أبو حامد الانطاكي نادرة الزمان وجلية الاحسان ومن تصرف بالشعر الجزل بانواع الجد والهزل وهو بالشام كابن الحجاج في العراق » (١) ، ومن شعره قوله :

كفتّي ، لام لك ياذات الملامات — فما أريد بديلا بالرقاعات
كأنني وجنود الصفح تتبعني — وقد تلوت مزامير الرطانات
وقد مجنت وعلمت المجون فما — ادعى بشيء سوى ربّ المجانات
وذاك أنّي رأيت العقل مطرّحا — فجئت اهل زماني بالحماقات

رهذا يشير إلى تقلب المفاهيم والقيم واطّراح العقل والمنطق فيميل هذا وأمثاله إلى مثل هذا القول يجدرن فيه وسيلة للعيش ولو كان على حساب الكرامة الانسانية ، هذا القول يذكرنا بقول ابن الحجاج .

سيدي سخفي الذي قد — صار يأتي بالدواهي
أنت تدري أنه يد — فع عن مالي وجاهي

إلا أن الفرق بين أبي الرقعمق وابن الحجاج أن الاول لاينحدر ذلك الأنحدار السخيف ولا يتعدى على المحارم ، وانما يأتينا بالصور الغريبة التي تعتمد على مناظر يكون بطلها هو نفسه ، فيتحول إلى مهرّج يمثل دوره أمام الناس بغية أن يضحكوا منه ويتناول الثمن انظر اليه وهو يستوحي رائية المنخّل البشكري :

كتب الخصيبر الى الحصير — أن القصيل أبن البعير
فلا منعنّ حمارتي — سنتين من اكل الشعير
إن الذين تصافعوا — بالقرع في زمن القشرر
أسفروا علي لانهم — حضروا ولم أك في الحضور
ولقد دخلت على الصد — يق البيت في اليوم المطير
متشمرا متبخترا — بالصفع في الدلو الكبير
بالرجال تصافعوا — فالصفع مفتاح السرور (٢)

(١) اليتيمة ج١ ص ٢٢ .

(٢) معاهد التنصيص — ابو أحمد العباسي — ج١ ص ٢٢٦ .

وهذه وأمثالها اكثر مرحا وخفة من فكاهات ابن الحجاج، فليس المفروض بالذين يندفعون في الضحك ان يسمعوا الفاظ السخف والرفث وما يمكن ان يخدش الحياة والناس على اية يختلفون .

والثعالبي بعد هذا يفسر هذه الظاهرة، اعني بها ظاهرة الاغراق في السخف عند شعراء العراق فيقول : «لم يزل عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً قربهم من خطط العرب ولاسيما اهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة السنتهم من الفساد العارض لالسنة اهل العراق لمجاورة الفرس والقبط » (١) واحسب ان هذا لاينطبق على الشعر كفن أدبي لأن العراق معروف بذلك ، وانما صيغة الكلام انما تشير إلى أثر هؤلاء الاعاجم في التأثير على اخلاق الناس واندفاعهم هذا الاندفاع الغريب ، تأثرا بما جلبه هؤلاء الاعاجم من بوار في تصرفاتهم العامة ، يعكسه هذا الشعر بصورة جليّة واضحة ، فاذا كان شعراء السخف يشار اليهم لقلّتهم في المنطقة الغربية ، فانهم يشكلون ظاهرة عامة في المنطقة الشرقية ؛ وبخاصة في العراق وبلاد فارس ومنطقة خراسان ، نذكر منهم على سبيل المثال شعراء الكدية من أمثال أبي دلف الخزرجي صاحب القصيدة السامانية والأحنف العكبري وغيرهما الكثير .

على أن هذه الظاهرة لم تقتصر على الشعر لوحده وانما رأيناها في الجانب الأخر من الادب، فقد كان الكتاب كالشعراء يقصدون إلى الفكاهة قصدا ، كما كانوا يميلون إلى الصراحة ، والذي « يرجع إلى آثار الكتاب في ذلك العصر يقنع بانهم لم يكونوا في الاغلب رجال حشمة ووقار ، بل كانوا يفضلون الصراحة فيما يقولون ويفعلون » (٢) بل انهم كانوا يجدون لذة في مثل هذا الادب العاري ، ومن هنا نحس وكأنهم مولعون في أن يبحثوا عن كل لقطة ساقطة او مرذولة يوشحون بها أدبهم ، ولعلنا نتذكر جيداً ادب المقامات وادب الرسائل ، ولولا خشية الاطالة لتعرفنا على نماذج منها ، ونحن بعد ذلك بصدد الشعر ، وانما اردنا أن نعرف أن الفكاهة ظاهرة عامة في هذا العصر ، وانها لم تقتصر على الشعر وحده ، ويكفي أن نتذكر المقامة المضيرية والأخرى التي يكون ابطالها من المكدين .

---

(١) اليتيمة جـ١ ص ٢٤

(٢) النثر الفني جـ١ ص ١٢٨ .

أما الشعراء الذين يمثلون هذه الظاهرة الأدبية في العراق فكثيرون بحيث يستحيل علينا أن نحصيهم او أن نتعرف عليهم واحدا واحدا ، وكثيرون منهم مقلّون ولم يرد لهم ذكر في غير اليتيمة ، والثعالبي يورد لامثال هؤلاء شواهد قليلة ، كلها تشير إلى أنهم كانوا يرمون ، عن عمد ، إلى هذا اللون من الفكاهات ، من هذه الطائفة مسؤولون اتخذوا من الهزل والدعابة غرضاً خاصاً بهم رغم أنهم يتولون أمور الناس ، وربما وقع بعضهم بنفس المطبّات التي وقع بها شعراء الهزل والسخف ، مع ميل إلى الخفة والظرف ، يمازج هذا شيء من رقة الدين وابتعاد عن التكلف ، وهذا يشير إلى عيش رغيد هانيء ونعمة ضافية ، أو انهم يحسون بالفراغ وبتسلط اعلى فلا يفكرون بعواقب الامور ، وفي احيان كثيرة نحس أن هؤلاء المسؤولين كانوا يتخذون من مراكزهم وسيلة لخدمة اهوائهم ونزعاتهم الخاصة ، فأحاطوا انفسهم بكل وسائل الترفيه ، فلا غرو ان تظهر النفوس على حقيقتها وبخاصة عند هؤلاء المرضى ، فتشيع الآراء الغريبة ويقل أثر الدين في النفوس ، قال صاحب كشف اسرار الباطنية «ليس كولاة الامور من أهل زماننا هذا ، الذين غرقوا في الملذات واتبعوا الشهوات ولم يرغبوا في المكارم والخيرات» (١) ، ومن هذه الطائفة الخليفة الراضي «وهو آخر خليفة جلس اليه الندماء وآخر خليفة له شعر مدون» (٢) وفي خلافته انسلخت الكثير من الاقاليم وانحل جسم الخلافة «وأختلت البلاد وصارت بين خارجي قد تغلب عليها أو عامل لا يدفع مالا وصاروا مثل ملوك الطوائف ولم يبق في عهد الراضي غير بغداد والسواد» (٣) والظاهر انه حينما رأى انه لاقبل له بتسيير امور الدولة وان البلاد بأيدي هؤلاء الاجانب ترك لنفسه العيش في دعة، ومن قوله:

قد أقسمت بالوتر الاعجم ... وأفهمت من كان لم يفهم

جارية تخلف من نطقها ... مخاطباً ينطق لا من فم (٤)

وكذلك قوله:

قم فاسقني بين خفق الناي والعود ... ولا تبع طيب موجود بمفقود

كأساً اذا ابصرت في القوم محتشماً ... زال السرور له ثم غير مطرود

نحن الشهود وخفق العود خاطبنا ... نزوج ابن سحاب بنت عنقود (٥)

---

(١) كشف اسرار الباطنية – ص ١٩ .

(٢) السلوك – المقريزي ص ١٨

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٢٩٠ –

(٤) المؤتلف والمختلف – الامدي – ص ٤٦٥

(٥) السلوك – المقريزي – ص ١٨ .

ومن هذه الطائفة الامير والوزير والقاضي والكاتب ، وحتى لانذهب بعيداً نورد الرواية التالية «كان القاضي التنوخي ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء، وكان من جملة القضاة الذين ينادمون المهلبي (١) في الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة وهم ابن قريعة وابن معروف والقاضي التنوخي وغيرهم، وما منهم الا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان المهلبي ، فاذا تكامل الانس وطاب المجلس ولذ السماع واخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا ثوب الوقار للعقار ، وتقلبوا في اعقاب العيش بين الخفة والطيش ووضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب من الف مثقال الى ما دونها مملوءاً شرابا قطر بلياً أو عكبرياً فيغمس لحيته فيه ، بل ينقعها حتى تتشرب اكثره ويرش بها بعضهم على بعض ويرقصون أجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق البرم والمنثور ويقولون كلما كثر شربهم : هر ، هر واياهم عني السري الرفاء !

مجالس ترقص القضاة بها … إذا انتشوا في مخانق البرم
وصاحب يخلط المجون لنا … شيمة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شيبه عبثاً … أنامل مثل حمرة الضم (٢)
حتى تخال العيرن شيبته … شيبه تعلان ضرجت بدم

واحسب أن هذه ظاهرة لها ماوراءها، ومن هؤلاء اكثر امراء آل بويه وفي المقدمة منهم عضد الدولة البويهي الثقافة ومن شعره المرح قوله :

طربت الى الصبوح مع الصباح … وشرب الراح والغرر الملاح
وكان الثلج كالكافور نشرا … ونار عندنارنج وراح
فحشموم ومشروب وراح … وصبح والصبوح مع الصباح
لهيب في لهيب في لهيب … صباح في صباح في صباح (٣)

ومن مجرنيات عزالدولة قوله :

اشرب على قطر السماء القاطر … في صحن دجلة واعص زجر الزاجر

ومن الوزراء أبو محمد المهلبي الذي كانت أياديه لاتنسى على أدب الظرف والفكاهة ومجلسه يضم كل فكه وظريف منهم أبو اسحق الصابي «وكان المهلبي لايرى الدنيا الا

(١) ابو محمد المهلبي وزير معز الدولة البويهي والذي له أثر واضح في مجال

(٢) نزهة الجليس ج٢ ص ٣١ واليتيمة ج٣ ص ٣٢٧

(٣) اليتيمة ج٢ ص ٢١٨

به ويحن الى براعته وتقدم قدمه ويصطفيه لنفسه ويستدعيه في أوقات انسه» (١) ومن ندماء هذا الوزير أبن الورد «وهو من عجائب الدنيا في المطايبة والمحاكاة يخدم مجلس المهلبي ويحكي شمائل الناس والسنتهم فيؤديها كما هي فيعجب الناظر والسامع ويضحك الثكلان» (٢) ، والمهلبي هذا هو وزير معز الدولة البويهي الذي تقلد الوزارة سنة ٣٣٩هـ ومن شعره قوله في غلام

أتــــاني في قميـــص اللاذيمشي عـدو لي يلقـــب بالحبيـــــب
فقلت لـــه فديتـــك كيـــف هذا بلا واشـــ أتيـت ولا رقيـــب
فقـــال الشمس أهـــدت لـي قميصاً رقيق الجســــم مـــن شفـــق الغروب
فثوبي والمـــدام ولـــون خـــدي قريب مـــن قـــريب مـــن قريـب (٣)

وله غير ذلك أبيات غير قليلة لا يتورع فيهامن أستعمالِ الفاظ السخف كقوله على سبيل المثال .

فهبك طعامــك استوثـقـت منـــه فما بال الكنيف علـيـه تـغـل(٤)

وكذلك قوله وهو يجيز أبا الفرج.

أيـر بـغـل بـلـولـــــب في حر أم المهلــــــب (٥)

ومن هذه الجماعة كما ذكرنا القاضي التنوخي، ومجونه أشهر من أن يذكر فقد كان يتغزل بالغلمان المرد ويتخذ منها غزله هذا وسيلة للظرف والدعابة، كما كان يتخذ من شواذ الغلمان وسيلة للتفكه، كقوله في غلام ضخم الجثة وهو يرد على من لامه بحبه .

يامـــن استـــر وجدي وهو منهتـــك ما للمتيم في فـتـك الهـوى درك(٦)
قالـــوا عشـقت عظيـم الجسم قلـت لهم كالشمـس أعظم جسم حاكه الفلك

وأبو اسحق الصابي قريب من القاضي التنوخي «وهو كاتب الانشاء في الدولة البويهية عن الخليفة وعز الدولة» (٧)، وهزله في رسائله معروف ، ذلك انه اتخذ من الطفيليين

---

(١) م.ن ص ٢٤٤
(٢) م.ن ص ٢٧٨
(٣) معجم الأدباء — ياقوت ج٩ ص ١٥٩
(٤) اقسام ضائعة في تحفة الوزراء — الصابي — ص ٥٤
(٥) معجم الأدباء ج١٣ ص ١٠٨
(٦) وفيات الأعيان ج٢ ص ٤٩ .
(٧) م.ن ج١ ص ٣٤

وعهدهم وسيلة لاضحاك الناس، أما شعره فاكثره مفرق في المجون، كما أنه كثير التغزل بالشواذ من الغلمان، وهو ضرب من التندر والعبث كقوله في غلام أسود يكثر من وصفه:

أبصرت في رشد وقد أحببته ... رشدي ولم أحفل بمن قد ينكر
يالائمي أعلى السواد تلومني ... من لونه وبه عليك الفخر
دع لي السواد وخذ بياضك ... انني أدري بما آتي وما أتخير(١)

هؤلاء هم بعض من الشعراء المسؤولين عن الامور في القرن الرابع الهجري، أما غيرهم من شعراء الظرف فكثيرون لايمكن التعرف عليهم جميعاً ولكن الذي يهمنا ان هؤلاء الاخرين كانوا يتخذون من الخزازات التي بينهم وسيلة من وسائل السخف والضحك فاوجدوا هذه النغمة الهزلية الطريفة، فجعلوا من منافسيهم اضحوكة يتندر بها الناس لما لهذه السولة من رواج، وأحسب لو أنهم كانوا يملكون طريقاً شريفة لكسب العيش لما ظهر منهم هذا الذي نراه، من هذا القبيل ما كان يأتي به السري الرفاء الذي بدأ حياته يرفو ويطرز، حتى أسلمه أبوه الى الرفائين، كتب الى صديق له:

وكانت الابرة فيما مضى ... صائنة وجهي واشعاري
فاصبح الرزق بها ضيقاً ... كأنه من ثقبها جاري (٢)

وبعد أن ظهرت بوادر شاعريته ترك هذه الحرفة واتجه صوب حلب «ومدح سيف الدولة الحمداني واقام عنده في حلب حتى توفي سيف الدولة» (٣) ثم رجع الى بغداد « ومدح الوزير المهلبي وغيره من الصدور» (٤)، وشعره الفكه نراه في هجائه لابن العصب الملحي والخالديين من حيث أودع فيهم جل هزله، ومن شعره في هذا المجال قوله:

قد وهي ستر رقيق ... ومضى ود عليل
قصرت أيامنا البيض ... وفي يومك طول
دعوة ينتسب التحط ... اليها والمحول
مجلس فيه لارباب ... الخنا قال وقيل
وضراط مثلما انشق ... الربيقي الصقيل (٥)

---

(١) معاهد التنصيص ج١ ص ١٥٧
(٢) معجم الأدباء ج١١ ص ١٨٢
(٣) وفيات الاعيان ج٢ ص ١٠٤
(٤) اليتيمة ج٢ ص ١١٩
(٥) اليتيمة ج٢ ص ١٥٣

وله شعر كثير على هذا النمط ، حتى ان الثعالبي يفرد لشعره هذا باباً خاصاً رغم ان له شعرا جادا.

أما الخالديان فهما أبو بكر وعثمان «ساحران وكان ما يجمعهما من أخوة الأدب مثلما ينظمهما من أخوة النسب» (١) وكانت بينهما وبين السري الرفاء مها ترات مستملحة، والذي بين ايدينا للخالديين قصائد في اليتيمة نقلها عنه صاحبا المعجم والوفيات، وجل شعرهما مجون قالاه في الاديرة، ولهما كتاب في هذا المجال نسبه اليهما حاجي خليفة(٢) ومن شعرهما الفكه قول أبي عثمان في أبي رياشي:

كـأن قـمـل أبـي ريـــاش مابين صـئبـان قـفـاه الـقـاشـي
وذا وذا قـد لـج في النقــاش شهـد لـج يـذر في خشـخـاش

وهذه مقطوعة أخرى لابي عثمان قالها في انسان قصير تزوج طويلة ضخمة:

يامـن أحـل بـه الـرزيـة وأعاد نـعـمـتـه بـلـيـة
قـل لـي وكيـف.. مـع دل قامتـك القميـة
أنـت الـبـعـوضـة قلـة وكـأنها جمـل الـضحيـة
مـن لـيـس تشبعـه الهريسـة كـيـف تـشـبـعـه الـمـقـلـيـة
فـلـو اطـلـعـت عـلـيـهـا عـنـد ارتـكـابـهـمـا الـبـلـيّـة
لـذكـرت في شـخـصـيـهـما الـعـنـقـاء قـد خـطـفـت صـبـيـة (٣)

وابن العصب الملحي الذي يتردد ذكره كثيراً ، مقل ولم نعثر عليه في غير اليتيمة ، الامر الذي يشير الى ضياع شعره. ، وقد نقل له الثعالبي قوله في قاض :

لـنـا قـاض لـه وجـه على أخـذ الرشـا عـابس
ولكـن لـه ... يـدسـد الرطـب واليابـس

ومن الشعراء الذين يغلب عليهم هذا الطابع الخباز البلدي ، وانما تأتي نوادره من خلال تهكمه على المذاهب الاسلامية «وهو من قرية يقال لها بلد من بلاد الجزيرة التي فيها الموصل وشعره كله ملح وتحف وطرف وغرر» (٤) ومن شعره قوله :

(١) م.ن ج٢ ص ١٨٦
(٢) أنظر كشف الظنون حاجي خليفه – ص ٧٦٢
(٣) اليتيمة ج٣ ص ١٢٥
(٤) م.ن ج٢ ص ٢٠٨

أنـــا إن رمـــت ســلـــــــوا   عنك ياقـــرة عينــــــــي
كنت في الاثـــــم كمـــن شا   رك في قتـــــــل الحسيـــن
للـــك صولات عـــلى قلبـــــي   بقــــد كالــــرديـنــــي
مـــثـل صولات عـــلـــــي   يـــوم بـــدر وحـنـــيـــن

وهناك طائفة اخرى من الشعراء اتخذت من الهزل فناً خاصاً بها عرفت به وشاع عنها ، وهم بهذا يشبهون ابن سكرة وابن الحجاج في كل شيء كاستعمال الفاظ السخن ، واتباعهم لنفس الطريقة التي يتفكه بها شعراء هذا العصر ، ومن هؤلاء ابن لنكك ، الذي يأتي هزله من حدة طبعه ومن غضبه على الزمان الذي لم يقدر مواهبه ، ويبدو أنه كان في بداية حياته عالماً فاضلا ، كان «من النحاة الفضلاء والادباء النبلاء..» (١) إلاأن علمه وفضله لم يسبغا عليه لقمة هادئة ، فلم يقدره أهل زمانه في حين قدروا من هم دونه ، وفي وقته كان المتنبي يصول ويجول ، وعند نفسه انه لايقل عنه شاعرية ، كما قدروا خصمه أبا رياش الذي جعله عرضة تندره ، أما هو فغضب وكان غضبه ان انزلق وانحدر أما الثعالبي فيرى غير ذلك ، يقول عنه «وكانت محنة الفضل تدركه فتخدشه ، ونفسه ترفعه ودهره يضعه واتفق في أيامه هبوب ريح المتنبي وبعد صيته وارتفاع مقدار ابي رياش وسمو نجمه»(٢) ، فاتخذ من هجاء المتنبي وابي رياش وسيلة للتشفي منهما ، ومن هنا جاء هزله ينحو منحيين أحدهما ذم الزمان وثانيهما هجاء شعراء عصره ، وفي جوانب كثيرة من شعره هذا سخف لايقل عن سخف ابن الحجاج وابن سكرة وشعره عند الثعالبي كله ملح وطرف ، قال في ذم الزمان :

زمـــان قد تـفـــرغ لــلـفـضـــول   فسود كـــل ذي حـــمـق جـهـــول
اذا أجـبـــتـم فـــيـــه ارتـفـــاعـــا   فكونـــوا جاهـــليـــن بلا عقــول

وقال :

يقولون لي أصبحت فـــي العـــلم واحدا   وفي الشعر والاداب مالـــك ثانـــــي
فقـلـت صدقـتـم أيها الناس أنـــني   كذلك ولكـــن نـــي.. أم زمـــانــــي

ويجعل من أبي رياش أضحوكة يتندر بها الناس لما في شعره هذا من صور عارية والفاظ سخيفة ، يقول :

---

(١) الوافي بالوفيات — الصفدي — ج١ ص ١٥٦

(٢) اليتيمة ج٢ ص ٣٤٨

يطير الى الطعام ابو رياش مبادرة ولو واراه قبر (١)
أصابعه من الحلواء صفر ولكن الاخادع منه حمر

ويقول في المتنبي :

ما أوقح المتنبي فيما حكاه وادعاه
أبيح مال عظيم حتى أباح قفاه
يا سائلي عن غناه من ذاك كان غناه
ان كان ذاك نبياً فالجاثليق الاه (٢)

ويقول عن حر البصرة :

نحن بالبصرة في لو ن من العيش ظريف
نحن ما هبت شمال بين جنات وريف
فاذا هبت جنوب فكأنا في كنيف(٣)

والمفجع البصري قريب من هذا «وهو ابو عبد الله الكاتب وله مصنفات كثيرة، صاحب ابن دريد والقائم مقامه في البصرة في التأليف والاملاء » (٤) وكانت بينه وبين شخص يدعى بـ «شمال مهاجاة وملاحاة» ويروي ياقوت محاورة في معجم الادباء غريبة في بابها ، كلها هجاء القصد منها اضحاك الناس على شمال هذا ، ومن شعره(٥) :

نساعلى قوم فقالوا لحيته إن لم تقم من بيننا قمنا
فقال : لاعدت ، فقالوا له من نتن فيه ذاك ماكنا

وله مجون غريب يتعدى فيه على الحرمات والقيم ، كهذه الابيات التي قالها في جامع بالبصرة :

الا ياجامع البصرة لاخرّ بك الله
وكم ظبي من الانس مليح فيك مرعاه
نصبنا الفخّ بالماء لنيك تصدناه

---

(١) معاهد التنصيص ج١ ص ١٩٨

(٢) معجم الأدباء ج... ص ...

(٣) معجم البلدان ياقوت تحت كلمة البصرة.

(٤) اليتيمة ج٢ ص ٣٦٣

(٥) أنظر معجم الادباء ج١٧ ص ١٩١

بقـــــرآن قـرأنـــــاه وتفسيـــــر روينـــــاه
وكـــم مـــن طــالــب للشعـــر بــالشعـــر طــابنـــباه
فمـــا زالـــت يـــد الايّـــام حتـــى لان متنـــــاه

وهناك أبيات تركتها لسخافتها والشاعر هنا بلا قيم والافان هذه اللهجة لايتعاطاها الا من فقد كل المثل الانسانية، وانما نقلناه لكي نكون أمينين في نقل العصر والتعرف عليــه والحرية التي كانوا يتمتعون بها في ظل الدولة البويهية .

نترك المفجع البصري إلى شاعر آخر هو الخبز أرزي نسبة إلى بيعه خبز الارز في البصرة وهو شاعر غريب الاطوار ، اذ لم يتزوج قط لانحرافه ، وانه «كان ممن يفضلون الغلمان على الاناث(١)» فكان يتخذ من شعره هذا وسيلة لاغراء السذّج من الغلمان ، يمدحهم ثم يوقعهم في شراكه ، ومن غريب أمره كذلك انه كان «لايتهجّى ولا يكتب ، وكـان يقول اشعاره المقصورة على الغزل ،والناس يزدحمون عليه ويتطرفون باستماع شعره (٢) وجل شعره وصف حسّي للغزل بالغلمان ، يصف اجسامهم وحركاتهم كقوله :

ولّى فاقبلت الارداف لاعبـــــة كما تلاعبت الامواج في اللجج(٣)
ثم انثنى بانعطاف منه ملتفتـــــا كما ثنى نفساً خوف الرقيب شجـــي
كأن يوشع ردّ الشمس ثانيـــة عند التفاتتـــه نحوي بمنعـــــرج

وقـــال :

خليلي هل ابصرتما او سمعتمـــا باكرم من مولى تمشّى إلى عبـــد (٤)
أتى زائراً من غير وعد وقال لـــي اصونك عن تعليق قلبك بالوعـــد
فما زال نجم الكأس بيني وبينـــه يدور بافلاك السعادة والسعـــد
فطورا على تقبيل نرجس ناظـــر وطورا على تعضيض تفاحة الخـــد

ومن شعراء اليتيمة كذلك أبو الورد ، وجل شعره في السخف ، كما أنه على مايبدو كان بهلواناً «من عجائب الدنيا في المطايبة والمحاكاة ... يحكي شمائل الناس والسنتهم فيؤديها كما هي فيعجب الناظر ويضحك الثكلان(٥)» وله قوله :

(١) معجم الادباء – ياقوت – ج١٩ ص ٢١٨
(٢) وفيات الاعيان ج٥ ص ١٢
(٣) معاهد التنصيص ج٢ ص ٢١٣
(٤) وفيات الاعيان ج٥ ص ١٢
(٥) اليتيمة ج٢ ص ٣٧٨

ولي صاحب أفنا البرية كلهـــــا يشككني فيه اذا مـا تنفـــــــسا
تحوّلت الانفاس منه إلى أُستـــــــه فما أحد يدري تنفّس أم فــــسا

وقولـــه :

طفيـلي يـؤم الخبـز أنّـــى رآه ولو رآه على يقـــــاع(١)
ولا يروي مـن الاخبـــــار الا أجبـت ولـو دعيت إلى كراع

وانما اكثر شعره سخف قوله هذا لايليق بنا أن نتمثل به ، والاحنف العكبري من الشعراء المكدين ، معروف بهذا السخف وجعله حرفة له ومهنة يرتزق بها «أبو الحسن كان شاعراً أديباً مليح القول(٢)» ، ويبدو أنه ارغم على هذه المهنة ، لان امثال هؤلاء حين يصغون الى اعماقهم يثورون على انفسهم ويصبون غضبهم على الزمان الذي انحدر بهم هذا المنحدر ، يقول :

عشت في ذلة وقلـة مـــــال واغتـراب ومعـشر انـــذال
بالاماني أقـول لابالمعانـــــي فغـذائي حـلاوة الامـــــال
تر قسم الله رزقي في البلاد فمـــا يكاد يـدرك الا بالتفـاريـــق

ويقول :

قـد تسـم الله رزقي في البلاد فمـا يكـاد يـدرك الا بـالتـفـاريق
ولست مكتسبـاً رزقـاً بفلسفـة ولا بشعري ولكـن بالمخاريـــق
والناس قد علموا أني اخو حيـل فلست انفـق الا في الرساتيـــق

ويصفه الصاحب بن عباد على أنه «فرد بني ساسان في مدينة السلام (٣)» ولعل اهـم قصيدة له تلك القصيدة الرائعة التي يصف بها نفسه واخوانه مـن المكدين تصلح لأن تكـون ظاهرة اجتماعية بحد ذاتها للتعرف على هـذا العصر . يقـول

عـلى أنّـي بحمـد اللـه فـي بيـت مـن المحـــد
باخـراني بنـي ســـــا سان أهـل الجد والحـــدّ
لهـم أرض خـراســـــان فقـاشـان إلى الهنـــد

(١) يشير الى الحديث (وكرم في دعيت الى كراع لاجبت) الحقيقة اليتيمة
(٢) المنتظم — ابن الجوزي — جـ٧ ص ١٨٥
(٣) اليتيمة جـ٣ ص ١٢٢

إلى الـروم إلى الزنــــــج إلى البلغــار والـســنــــد
قطعنـــا ذلـــك النهـــج بـــلا سيـــف ولا غمـــد
ومـن خـاف اعـاديـــــه بنـا في الردع يستعـــــدي

وله شعر مغرق في السخف كذلك . وهناك شعراء غير هؤلاء ، إلا أن أهم مـــن هؤلاء جميعاً ، هما إبن الحجاج وابن سكرة ، وكل واحد منهما يحتاج إلى بحث لوحده ، وانما اردنا أن نبين كيف أن البويهيين كانوا عـاملاً فعالاً في شيوع هذا الادب بفعل روح الاستهتار التي اظهروها في حكمهم للخلافة العباسية وانحسار الظل العربي

مكتبتنا العربية

المراجع والمصادر

١ — اخبار الدول واثار الاول — القرماني مصر سنة ١٢٨٢

٢ — الاغاني — ابو الفرج — دار الكتب سنة ١٩٢٧

٣ — البصائر والذخائر ت احمد أمين ،مصر سنة ١٩٥٣

٤ — تاريخ بغداد — الخطيب البغدادي — السعادة سنة ١٩٣١

٥ — تاريخ الخلفاء — السيوطي — مصر سنة ١٣٥١هـ

٦ — حديث الاربعاء — طه حسين — مصر سنة ١٩٦٤

٧ — الحيوان — الجاحظ — عبد السّلام هارون مصر سنة ١٩٣٨

٨ — ديوان ابن الرومي — ت كامل كيلاني مصر سنة ١٩٢٤

٩ — السلوك — الغريزي — ت مصطفى زيادة — مصر سنة ١٩٤٠

١٠ — العقد الفريد — ابن عبد ربه — ت احمد امين — مصر سنة ١٩٤٠

١١ — الفهرست لابن النديم — مصر سنة ١٩٤٨

١٢ — معاهد التنصيص — العباسي — مصر سنة ١٩٣٦

١٣ — كشف اسرار الباطنية — محمد بن مالك ط٢ مصر سنة ١٩٠٥

١٤ — كشف الظنون / حاجي خليفة — اسطنبول سنة ١٩٤١

١٥ — محاضرات الادباء — الراغب الاصبهاني مصر سنة ١٣٢٦

١٦ — مجاني الادب — لويس شيخو — بيروت — بلا تاريخ

١٧ — مخطوطة ديوان ابن الحجاج — مكتبة الاوقاف تحت رقم ٥٧٣٠

١٨ — مروج الذهب — المسعودي مصر سنة ١٩٤٨

١٩ — المؤتلف والمختلف — الامدي — مصر سنة ١٣٥٤هـ

٢٠ — معجم الادباء — ياقوت الحموي بلا تاريخ

٢١ — معجم الشعراء للمرزباني — ت عبد الستار فراج — بلا تاريخ

٢٢ — معجم البلدان . ياقوت — بيروت / بلا تاريخ

٢٣ ــ المنتظم ــ ابن الجوزي ــ حيدر آباد / بلا تاريخ
٢٤ ــ النقائض . ابو عبيدة ت محمد الصاوي مصر سنة ١٩٢٥
٢٥ ــ نزهة الجليس الموسوي ــ مصر سنة ١٩٢٣
٢٦ ــ النثر الفنّي ، زكي مبارك ــ مصر سنة ١٩٣٢
٢٧ ــ وفيات الاعيان ــ لابن خلكان ــ محي الدين / مصر سنة ١٩٤٨
٢٨ ــ الوافي بالوفيات ــ الصفدي . دمشق سنة ١٩٥٣

* * * * *

أحمد بن فارس وعلم الدلالة

الاستاذ كاظم فتحي الراوي
كلية الاداب / الجامعة المستنصرية

الست نوال كريم زرزور
كلية الآداب /الجامعة المستنصرية

المبحث الأول :

حياة ابن فارس ومؤلفاته في علم الدلالة :

قبل أن أدخل في علم الدلالة الذي هو فرع من فروع علم اللغة ، نعلم اللغة لايفهم فهماً دقيقاً الا من خلال دراسة الدلالة ــ أود أن أعرض ترجمة موجزة لحياة العالم اللغوي الكبير (أحمد بن فارس) الذي يعتبر علماً من أعلام اللغة وعين من أعيان أهل العلم .

(أ) اسمه وموطنه : تتفق جميع المصادر التي ترجمت لحياته على أنه ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي(١) وقيل القزويني المعروف بالرازي ولم يشذ عن ذلك الا ابن الأثير في كتابه الكامل (٢) الذي سماه أحمد بن زكريا بن فارس ، أما سنة ولادته فلم يذكرها أحد من الذين ترجموا له ، وقد اختلفوا كثيراً في موطنه الأصلي (٣) فقيل كانت ولادته في قزوين ونشأته في همذان واكثر مقامه في الري

---

(١) أنباه الرواة (٩٢/١)، وفيات الاعيان (١١٨/١)، النجوم الزاهرة (٩٢/٤).
(٢) الكامل في التاريخ (٢٥٨/١)
(٣) النجوم (٢١٢/٤)

وقد ذكره الحنبلي في شذرات الذهب أنه رازي الأصل كما يتفق معه ابن خلكان في الوفيات (١/١١٨) ولكننا نجد القفطي يقول : «واختلفوا في وطنه فقيل من قزوين ولا يصح ذلك وانما قالوه لأنه كان يتكلم كلام القزاونة وقيل كان من رستاق الزهراء من القرية المدعوة كرسف جيانا باذ وأصله من همذان ورحل الى قزوين فأقام هنالك مدة ورحل الى زنجان ثم الى ميانج واستوطن أبو الحسين الري بأمره » (١) ، واختلفوا في وطنه فقيل كان من رستاق الزهراء من القريه : المدعوة (كرسف وجياناباذ) وقيل استوطن الري أخيراً وكان سبب ذلك أنه حمل اليها من همذان ليقرأ عليه مجد الدولة أبو طالب بن فخر الدولة مسكنها واكتسب مالا وبلغ ذلك بتعليمه من النجابة مبلغاً مشهوراً (٢) ويذكر أنه رحل الى بغداد لطلب الحديث ، يقول : « دخلت بغداد طالباً للحديث ، فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث وليست معي قارورة ، فرأيت شاباً عليه سمة الجمال ، فأستأذنته في كتب الحديث من قارورته فقال »من انبسط الى الأخوان بالاستئذان فقد استحق الحرمان«

(ب) **طبائعه :** أما طبائعه الخلقية فقد كان كريماً جواداً لايبقي شيئاً وربما سئل فوهب ثيابه وفرش بيته (٣) ، وقد كان شديد التعصب لآل العميد وكان الصاحب بن عباد يكرهه لذلك ، ولمّا صنف للصاحب كتاب الحجر وسيّره اليه في وزارته قال : «ردّوا الحجر من حيث جاء وأمر له بجائزة ليس سيئة (٤) وكان الصاحب بن عبّاد يكرمه ويتلمذ عنده ويقول «شيخنا أبو الحسين ممن رُزق حسن التصنيف وامن فيه من التصحيف» (٥)

(ج) **مكانته :**

كان ابن فارس فقيهاً شافعياً وكان يناظر في الفقه واذا وجد فقيها أو متكلّماً أونحوياً كان يأمر اصحابه بسؤالهم ايّاه ويناظر في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه فان وجده بارعاً جرّه في المجادلة الى اللغة فيغلبه بها وكان يحث الفقهاء دائماً على معرفة اللغة ويلقي عليهم مسائل ذكرها في كتاب سمّاه (فتيا فقيه العرب) ويخجلهم بذلك ليكون خجلهم

---

(١) انباه الرواة (١/٩٤)

(٢) انباه الرواة (١/٩٤) ، نزهة الألباء ص ٣٢٢ ، بغية الوعاة (١/٣٥٢)

(٣) رسائل في اللغة والنحو ص [illegible]

(٤) انباه الرواة ج ١ ص ٩٣ ، معجم الادباء (ج ٤ ص ٨٧)

(٥) انباه الرواة ج ١ ص ٩٤ ، النزهة ص ٣٢١ ، البغية ج ١ ص ٣٥٢

داعياً الى حفظ اللغة ويقول «مَنْ قصر علمهُ في اللغة وغولط غلَطَ»(١) وقد انتقل الى مذهب مالك في آخر حياته فسئل عن ذلك وقال «دخلتني الحمية بهذا الأمام المقبول على جميع الألسنة أن يخلو من هذا البلد يعني — الري — أجمع البلاد للمقالات والأختلافات في المذاهب على تضادها وكثرتها» (٢) .

أما مذهبه النحوي فانه كان على طريقة الكوفيين (٣) .

وقد حظي ابن فارس بثناء الناس واعجابهم بعلمه وأدبه وخلقه فهو عند الثعالبي «من أعيان العلم وأفراد الدهر ، يجمع اتقان العلماء وظرف الكتّاب والشعراء وهو بالجبل كابن لنكك في العراق ، وابن خالويه في الشام وابن العلاف في فارس وابي بكر الخراساني في خراسان» (٤) ، وعند ابن خلكان إماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة فأنه اتقنها ، (٥) وهو عند الأنباري من أكابر أئمة اللغة (٦) ، ويرى القفطي (انه كان واسع الأدب متبحّراً في اللغة العربية ومن رؤساء اهل السنة المجوّدين على مذهب أهل الحديث» (٧) وقال عنه ابن تغري بردي «كان كاملا في الأدب فقيهاً مالكياً مناظراً في الكلام» (٨) وذكره أبو الحسن الباخرزي فقال «ابو الحسين بن فارس إذا ذكرت اللغة فهو صاحب مجملها ، بل صاحبها المجمل لها ثم يقول : وعندي أن تصنيفه ذلك من أحسن ماصنفت في معناها وإن مصنفها الى اقصى غاية من الأحسان تناهي» .

ومازالت مكانته الرفيعة هذه الى الآن فكتبه تعتبر من المصادر المهمة التي لايستطيع دارس العربية والمتعمّق في بحورها أن يستغني عنها فهو في كتبه جامع لفنون العربية كلها ولو انه ذكرها ذكراً عابراً احياناً الا انها تعتبر اضاءات للذي يسير في طريق دراسة العربية إذ تشير معالم الطريق وتهديه الى الصواب فهو قد شهر بمعرفته الواسعة باللغة وكتابه (المجمل) مشهور ويدعم قولنا اضافة الى كتابه (المقاييس في اللغة) الذي وصل فيه — ابن فارس — الى درجة عالية من الذكاء والحذق والسعة في هذه اللغة الكريمة .

---

(١) انباه الرواة ج ١ ص ٩٤ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٩٢

(٢) نزهة الألباء ص ٣٦١ ، معجم الأدباء (٤/ ٨٣)

(٣) انباه الرواة (١/٩٤) ، النجوم الزاهرة (٤/٩٣)

(٤) يتيمة الدهر (٨/٤٠)

(٥) وفيات الأعيان (١/[illegible])

(٦) نزهة الألباء ص ٣٦١

(٧) انباه الرواة (١/٩٤)

(٨) النجوم الزاهرة (٤/٢١٢)

(و) أهم مؤلفاته في علم الدلالة :

لابن فارس مؤلفات كثيرة قسم منها حقق ونشر والقسم الاخر لايزال مخطوطاً لم ينشر بعد ونلاحظ ان المصادر التي ترجمت له ذكرت الكثير من مؤلفاته وبعضها ذكره هو نفسه في بعض كتبه ، وتآليفه الكثيرة هذه ترجع الى سعة هذا العالم في علوم شتى تتعلق باللغة والقرآن والأحاديث والذي يهمنا من تآليفه الكثيرة التي تخص علم الدلالة وهذه المؤلفات هي :

١ ـ **الصاحبي في فقه اللغة** : وقد كان الصاحبي أول كتاب يحمل هذا الاسم واخر كتاب كتبه سنة ٣٩٢ أي قبل وفاته بثلاث سنوات واعترف ابن فارس بنفسه بأن مؤلفه هذا ليس الاجمع متفرق أو شرح مشكل أوبسط مختصر أو اختصار مبسط ، ولقد تطرق فيه الى مواضيع شتى في علم اللغة واصلها وماقيل من آراء في أصل اللغة . كما تـطرق الى دلالة الحروف على المعاني وافرد باباً خاصاً في ذلك سماه (باب القول على الحروف المفردة الدالة على المعنى) (١) حيث قال : (وللعرب الحروف المفردة التي تدل على المعنى نحو التاء في خرجت ، والياء في ثوبي ، فرسي ومنها حروف تدل على الأفعال مثل وع من وعيت ، لِ من وليت ، نِ من ونيت ، هِ من وهيت (وقد ذكر فيه أيضاً انتقال الدلالة من العموم الى الخصوص أو من الخصوص الى العموم وأفرد له باباً سماه (باب العموم والخصوص) (٢) وذكر أيضاً تغير دلالة الكلمة لتغير البنية الداخلية لها في باب اطلق عليه اسم (باب الخطاب) الذي يقع فيه الأبهام من القائل والفهم من السامع (٣) ، كما انه تعرض بصورة سريعة الى ظواهر اللغة المختلفة مثل الترادف والتضاد والاشتقاق وثبت رأيه لكل ظاهرة .

وقد سمي هذا الكتاب (الصاحبي) لأنه الفه ليودعه بخزانة الصاحب اسماعيل بن عباد ويمكن تقسيم هذا الكتاب اربعة اقسام هي :

١ ــ القسم الأول منه يبحث في أصل اللغة أهي وقف ام اصطلاح ؟ وهل يمكننا الأحاطة بها ؟ وكيف تطورت اللغة بعد مجيء الأسلام ؟

٢ ــ القسم الثاني في النحو والصرف والصوت وهو منصب على الحروف وعليها .

٣ ــ القسم الثالث يهتم بالشعر .

٤ ــ القسم الرابع خاص بالتراكيب وطرائق التعبير .

---

(١) الصاحبي ص ٢٠٩

(٢) الصاحبي ص ١٩٠

٢ ــ المجمل في اللغة : من المصنفات المهمة التي صنفها ابن فارس ، وهو معجم صغير ذو قيمة عظيمة لدارس العربية وقد ذكره (١) ابن تغري بردي والحنبلي وابن خلكان حيث يقول (وألف كتابه المجمل في اللغة وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً) ، حيث تمسك ابن فارس في هذا المعجم المختصر بالترتيب الألفبائي حيث اتبع فيه اسلوب ابن دريد في معجمه (الجمهرة) بعد أن هذب منهجه تهذيباً واضحاً ، وتأثر بمعجم العين في تقسيمه الحرف الواحد الى مضعف الثنائي والثلاثي ومازاد على الثلاثة وهو مرتب ابجدياً على حسب الأصل الأول للكلمة مع الأصل الثاني والثالث مورداً الحرف مع ما يليه الى ان يصل الى حرف الياء ثم يعود الى ماتبقى من الحروف مبتدئاً بالألف الى الحرف الذي عقد له الباب فيظهر بذلك المعجم غاية في التنظيم لكنه لم يبرأ من كل عيب فقد وقع ابن فارس في خطأ كما ذكر ذلك الدكتور حسين نصار حيث قال : (وقع مؤلف كتاب المجمل في خطأ كبير عندما أصر ان يوقع كل حرف في هذين البناءين بالحرف مع مابعده فبدأ أبواب الثنائي في اللام مثلا بها مع الميم في لم ، ولما انتهى حديثه انتقل الى النون ثم الى الهاء ثم الى الواو ثم الياء وعند ذلك وجد نفسه قد ترك مادة كثيرة تشمل على الحرف مع ماقبله من الحروف أي من الألف الى الكاف (٢) ، وهذه ملحوظة جيدة من الدكتور حسين نصار اذ انه لو فعل عكس ذلك لجاء الكتاب اكثر ترتيباً ويجمع مادة اكثر من التي جمعها في هذا المعجم ولكن مثلما أخطأ في هذا فأنه الرائد يعتبر في انه تخلص من التقاليب مما اغرى كل أصحاب المعاجم بالسير على هذا النحو (٣) و نستطيع ان نميز بين معجم الجمهرة لابن دريد والمجمل لابن فارس بأن الأخير يهدف الجمع والترتيب والتيسير لذلك ابتعد فيه عن الغريب والوحشي والمستكره في حين ان ابن دريد أعلن بأنه يسعى وراء جمهور الكلام ليدونه في معجمه (٤) . كما انه عني عناية مفرطة باللغات القبلية وعلى رأسها قبائل اليمن فجاء الكتاب لذلك حاوياً على كثير من اللغات والشواهد والاستطرادات بعكس كتاب المجمل .

٣ ــ المقاييس في اللغة : وهو معجم كبير ونفيس في ثمانية أجزاء وقد وجه فيه ابن فارس كل عناية لاستنباط الصلات بين الألفاظ ودلالتها وقد بلغ فيه الذروة فنال

(١) النجوم الزاهرة (٢١٦/٤) ، وفيات الاعيان (١١٨/١)
(٢) المعجم العربي ص ٤٨
(٣) المعجم العربي ص ٤٩
(٤) الجمهرة (المقدمة)

وأسرف في استنباطه وتلمس من الصلات مالايخلو من التعسف والتكلف فهو قد أتى في معجمه بالكلمات التي تشترك في أصول ثلاثة وشرح معانيها مع ذكر تقلبات تلك الاصول فهو يقول مثلا (ان الميم والراء والضاد مادة يمكن أن تنشأ معها صورة متعددة)مرض ، رمض ، ضرم ، ضمر ، رضم ، مضر) ثم حاول ان يتلمس الصلة المشتركة بين معاني كل هذه الصور مستنبطاً منها معنى عاماً لهذه المادة ، وأحياناً يأتي بكلمات لاتشترك الا في حرفين ويحاول أيضاً أن يبين الصلة بين معانيها على أساس الأشتراك في هذين الحرفين ، ويبدو أن ابن فارس ، قد اقتبس فكـرة تقلبات الأصول من معجم (العين)للفراهيـدي الذي سلك فيه مسلكاً عجيباً في ترتيب الكلمات فقد كان يعرض لشرح كلمة من الكلمات يذكر معها تقلباتها ويذكر معنى كل صورة من صورها دون التعرض لربط بين دلالات تلك الصور فهي طريقة احصائية لجأ اليها الفراهيدي ومن بعده ابن دريد في (الجمهرة) بغية حصر كل المستعمل من كلمات اللغة وخشية أن يبعد بعضها عن اذهان الناس وعندما جاء الاشتقاقيون كابن جني وابن فارس ربطوا أيضاً بين دلالات تلك الصور واستنبطوا معاني عامة مشتركة بينها فكلفهم هذا كثيراً من المشقة والعناء ، اتبع ابن فارس في تصنيف هذا المعجم نفس المنهج الذي اتبعه في المجمل حيث اعتمد على الترتيب الألفبائي وقد ذكر الغريب المصنف ابن فارس في مقدمة كتابه(المقاييس)انه اعتمد على كتب خمسة وهي العين، الغريب المصنف وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام،واصلاح المنطق لابن السكيت وجمهرة اللغة لابن دريد ثم قال : «فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللغة ومابعد هذه الكتب فمحمول عليها وراجع اليها حتى اذا وقع الشيء النادر لصنفناه الى قائله ان شاء الله» (١) وقد جاء ابن فارس في معجمه الكبير هذا بفكرتين جديدتين تعتبر من صميم الدراسات في فقه اللغة وهما : فكرتا الأصول والنحت فهو فيه يحاول ان يعالج مفردات المادة الواحدة تحت أصل أو أصلين ويجمع أيضاً مازاد على الثلاثة من كل مادة تحت أبواب معينة وحاول تفسير بعضها بما يسمى النحت (٢) ، وعلى هذا فانه اذا جاء بمفرد جديد لم يكن مألوفاً ولكن له أصلا ومادة وجد منها بعض المشتقات فانه يبيحه ويعطف عليه بقوله : (والقياس لايأباه ، أو القياس يرتضيه) (٣) .

(١) المقاييس ج ١ المقدمة

(٢) فصول في فقه اللغة ص ٢٤٧

(٣) المعاجم العربية ص ٢٠٠

لقد بلغ ابن فارس في كتابه (المقاييس) الغاية من الحذق والذكاء وباللغة وتكنه أسرارها وفهم أصولها، ونستطيع أن نبين النظام الذي استخدمه ابن فارس في معجمه هذا بماياتي :

١ — تقسيم مواد اللغة اولا الى كتب ، تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهي بكتاب الياء .

٢ — تقسيم كل كتاب الى ابواب ثلاثة أولها باب الثنائي المضاعف وثانيها أبواب الثلاثي الأصول من المواد وثالثها باب ماجاء على اكثر من ثلاثة أحرف أصلية .

٣ — ان كل قسم من القسمين الاولين قد التزم فيه ترتيب خاص هو الا يبدأ بعد الحرف الأول الا بالذي يليه ولذا جاء باب المضاعف في كتاب الهمزة وباب الثلاثي مما أوله همزة وباء مرتباً ترتيباً طبيعياً على ترتيب حروف الهجاء،وقد ضم هذا المعجم الكبير الكلمات المتحدة المعنى وحتى الكلمات التي يختلف معناها مثل (صهصلق)منحوته من صهل (صلق) والصهل والصلق بمعنى واحد وذكر ان البرجد منحوته من (البجاد) و (البرجد)مع ان البجاد هو الكساء المخطط فلامعنى اذاً لضم البرد اليه ،وقد نقل الدكتور محمد ضاري رأياً للدكتور عبد الله أمين في ضم الصهل والصلق في (صهلق) حيث يقول «فأما من قبل المعنى فلأنها صفة تجمع معنيين متفرقين وهما : الحدة في (صهل)والصياح والولولة في (صلق) (١) .

٤ — متخير الألفاظ : ذكر في معجم الأدباء والنزهة (٢) وقد حققه وقدم له الأستاذ هلال ناجي وقد ذكر هذا الكتاب ابن فارس في آخر الجزء الثاني المخطوط من المجمل ولقد سمي الكتاب (متخير الألفاظ) يقول ابن فارس : (وانما هذا الاسم لما أودعته من محاسن كلام العرب ومتعذب الفاظها وكريم خطابها منظوم ذلك ومنثوره»، اتبع ابن فارس في هذا الكتاب جمع الألفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد حيث يقول : «يقال رجل جائع وغرثان ورجل ساغب وسغبان والمسغبة هي المجاعة ورجل ماضوم وقد ضرم ضرماً والمسحوت الجائع والمسغور الذي به سعار ورجل وحشي وقد أوحش وهو من قوم أوحاش أي جياع ويقال بتنا الوحش وبتنا القواء اذا لم يكن عندهم طعام . وقد أقوى القوم وأرملوا اذا نفد زادهم . والمخمصة المجاعة والطوى : ضمر البطن من الجوع ، ورجل طيان وقد طوي أي ضمر وجوع .. وهكذا في باقي الأبواب المعاني التي يختارها وقد اعتمد في اختيار هذه الأبواب على ذوقه الخاص واحسن كلام العرب وأجمله وهذا من جانب أن هذه تهيأت له في مقدمة كتابه .

---

(١) النحت في العربية واستخدامه في المصطلحات العلمية ص ١٩

(٢) معجم الأدباء (٤/٨٤)، النزهة ص ٢٢٣

٥ – كتاب الثلاثة : لقد ذكر هذا الكتاب في هدية العارفين (١) باسم كتاب المثلثة في اللغة ، اتبع ابن فارس في هذا الكتاب منهجا غاية في البساطة حيث يذكر اللفظة ومعناها ويستشهد عليها ببيت من الشعر أو اكثر وفي بعض الاحيان يشرح بعض كلمات الشعر الذي يستشهد به وقد بلغت الكلمات التي عالجها في رسالته حوالي مائة كلمة وقد سبقه الى مثل هذا التأليف كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب محقق هذا الكتاب محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ في كتاب سماه المثلث في اللغة ، وقد قال عنه ابن خلكان (٢) «وهو أول من وضع المثلث في اللغة» واليك بعض الشواهد من هذا الكتاب الذي قال فيه مؤلفه (هذا كتاب الثلاثة وهو ان نذكر الكلمة من تصريفها على ثلاثة أوجه) فمن ذلك : الحليم ، اللحيم ، الحميل ، فالحليم ؛ الرجل ذو الأناة والرفق يقول قيس بن زهير :

أرى حلمي يدلُّ عليَّ قومي   وقد يستجهَلُ الرجلُ الحليم

والحميل : الرجل الدعيّ يقول الكميت :

علامَ نزلتم من غير فقرٍ   ولا ضرّاءَ منزلةَ الحميلِ

اللحيم : هو العسل ، قال الهذلي :

وقالوا عَهِدْنا القومَ قد حصروا به   فلا ريبَ أنْ قد كان ثمَ لحيمُ

ومن ذلك أيضاً : البَردُ والبدر والدبر

فالبرد هو النوم قال الشاعر العرجي :

فأنْ شئتِ حرّمتُ النساءَ سواكمُ   وإنْ شئتِ لم أشرَب نقاخاً ولا بَردا

٦ – تمام فصيح الكلام : ذُكر في الأعلام (٣) ، وقد عني الدكتور مصطفى جواد في تحقيقه تحت عنوان «رسائل في اللغة والنحو» وهي ثلاث رسائل : فكتاب فصيح الكلام الذي نحن بصدده الآن وكتاب الحدود في النحو للرقاني وأخيراً كتاب منازل الحروف للرماني ايضاً . وقد قسّم ابن فارس كتابه هذا الى ابواب فيقول مثلاً : باب فعِلتُ بكسر العين ويعطي أمثلة على ذلك مع المادة الأصلية للفعل فيقول : نشيتُ نشوة ولحِنَ يلحنُ ، ونكِدَ الرجلُ ينكدُ ويذكر كذلك باب فعِلْتَ وفَعلْتُ باختلاف المعنى

---

(١) هدية العارفين (٦٩/١)

(٢) وفيات الاعيان (٤٣٩/٣)

(٣) الاعلام (١٨٤/١)

مثل (ضمِدت اضمَدُ ضمداً أي غضبتُ ، ضَمدت الجرح أي الزقتُ به ضماداً) . ويورد أيضاً أمثلة من باب سمّاه (باب المصادر) باختلاف المعنى تبعاً لاختلاف الحركة الأولى للحرف مثل خِطبة : خطبتُ المرأة ، خـطبة ، خـطبة : خَطبتُ على المنبرِ خطبة وكذلك قوله : غلواً : غلا بالسهمِ غلواً ، غلواً : غلاَ في القولِ غلواً إلى آخر الابواب

وقد توخىّ ابن فارس من كتابه هذا (تمام فصيح الكلام) ايراد الكلام الفصيح من كلام العرب وتعليمهم الصحيح الذي قد يقع فيه العامة خطأً في ضبط بعض الحركات وتداخل المعنى بينهما .

٧ — الإتباع والمزاوجة ـ وقد ذكر في البغية (١) ونشره كمال مصطفى بالقاهرة سنة ١٩٤٧ ، الأتباع هو تأكيد اللفظة وذلك بضم لفظة أخرى قد لايكون لها معنى في ذاتها غير انها تساويها في القافية لغرض الترادف واللفظةِ الثانية هذه هي التي تسمى الأتباع ، والأتباع إما أن يكون لها معنى واضح يدرك بسهولة مثل قولهم : هنيئاً مريئاً أو لايكون لها معنى اطلاقاً مثل حَسَنٌ بسرٌ ، وشرط الأتباع عند ابن فارس ان تكون الكلمتان المتتابعتان بلا رابط مثل (خرابٌ - يبابٌ وعفريتٌ نفريتٌ).

وأما المزاوجة فهي أن تربط اللفظة الأولى برابط مع اللفظة الثانية مثل قولهم في جواب من قال هات : لاأهاتيك ولا أواتيكَ ، فجاء بالرابط وهو الواو وكتاب الأتباع والمزاوجة رتب ترتيباً أبجدياً على حسب الأصل الأخير من الكلمة .

٨ — فتيا فقيه العرب : وقد ذكر في البغية باسم (فتاوي فقيه العرب (٢)) وجاء المزهر في باسم فتيا فقيه العرب وذكر أيضاً في انباه الرواة ونزهة الألباء ووفيات الأعيان وهو اسئلة يسأل بها الفقهاء ويخجلهم بذلك ليكون خجلهم داعياً إلى حفظ اللغة وفيه يحث الفقهاء دائماً على معرفة اللغة .

٩ — الحِجرُ : ذكره القفطي وذكره ابن فارس في نهاية كتابه الصاحبي في فقه اللغة ولَم ينشر لحدّ الآن ويقول القفطي (واما صنفَ لالصاحب كتاب الحجر وسيرّه اليه في وزارته قال : رَدّوا الحِجرَ من حيث جاء وأمر له بجائزة ليست سنية) .

١٠ — كتاب الفرق : ذكره في نهاية كتابه (تمام فصيح الكلام) . بقوله : (فاما الفرق فقد كنتُ النتُ على اختصاري له كتاباً جامعاً وقد شهِرَ وبالله التوفيق) ، ولكن

---

(١) بغية الوعاة (٣٥٢/١)

(٢) البغية (٣٥٢/١) ، الإنباه (٩٤/١) ، نزهة الألباء ص ٣٢١ الوفيات (١٠٠/١)

الكتاب لم يصل إلينا مع علمي بأن الدكتور رمضان عبد التوابّ قد حققّهُ منذ فترة . ولابن فارس مصنّفات كثيرة وجامعة لمواضيع عديدة في النحو والحديث والقرآن والفرائض والشعر لامجال لذكرها هنا لأننا اقتصرنا في ذلك على الكتب المؤلفة في الدلالة أو ماله علاقة (١) .

وفاته :

اختلف المؤرخون في سنة وفاته فقد ذهب ابن فرحون صاحب كتاب (الديباج المذهب ص ٣٦) الى انه توفي سنة ٣٥٧ وذكر في المعجم (٨٢/٤) انه وجد بخط الحميدي ان ابن فارس مات في حدود سنة ٣٦٠ وذكر في الشذرات (١٣٢/٣) انه توفي سنة ٣٩٥ ه وهذه أصح الأقوال كما جاءت في معظم المصادر(قضى بشيخ أبو الحسن احمد بن فارس من صفر سنه خمس وتسعين وثلاثمائة بالري في ناحية المحمدية ودفن فيها مقابل مشهد قاضي القضاة أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني) .

المبحث الثاني :

«تعريف علم الدلالة بين القدامى والمحدثين»

لقد اهتم علماؤنا الأوائل بدراسة معاني الألفاظ كثيراً والّفوا المعجمات الكثيرة في دراسة معاني الألفاظ مثل : معجم لسان العرب لأبن منظور ، تاج العروس للزبيدي ، مقاييس اللغة والمجمل لابن فارس ، المخصّص والمحكم لابن سيدة وغيرها من المعاجم التي يصعب حصرها ، وقد توسّعوا كثيراً في ذلك فألّفوا معاجم للألفاظ المترادفة وأخرى للالفاظ المتضادة مثل: كتاب الألفاظ المترادفة للرمّاني وكتاب الأضداد للأنباري ومع كل هذه التآليف فأنهم أغفلوا التطور التاريخي للألفاظ ولم يؤلفوا معجماً يحوي الألفاظ التي تتطور تطوراً تأريخياً .

لقد عدّ اللغويون الأوائل علم الدلالة فرعاً من فروع فقه اللغة والدليل على ذلك مؤلف ابن فارس (الصاحبي في فقه اللغة(وكذلك كتاب فقه اللغة للثعالبي ، والذي تحدّث فيه كثيراً عن عموم الدلالة وخصوصيتها وعن الأنتقال من العام إلى الخاص وبالعكس بالأضافة إلى ان مانسميه بعلم الدلالة الآن ونصفه بأنه علم من علوم اللغه قد تناثر بين الكتب والمعاجم اللغوية حيث افرد ابن دريد في معجمه (جمهرة اللغة باباً سمّاه باب الأستعارات) ومثله فعل ابن السكيت في كتابه اصلاح المنطق ، لقد درس علماء اللغة المحدثون علم الدلالة وجعلوه علماً مستقلاً .

وقد اختصر الاوائل لتعريفهم علم الدلالة بأن دراسة المعنى ، والمعنى في اللغة هو القصد والمراد يقال عنيتُ بالكلامِ كذا أي قصدتُ وعمدتُ(١)فالدلالة اذاً هي(٢) المعنى والدلالة أي لفظ هي ماينصرف إليه هذا اللفظ في الذهن من معنى مدرك أو محسوس فالترابط والوقوف بين اللفظة ومدلولها شيء لابد منه في أية لغة لكي يتم التفاهم بين المتكلمين في اية لغة ، وقد تمسّك القدامى بالدلالة القديمة للكلمة أو المعاني الأصلية للالفاظ

(١) الصاحبي في فقه اللغة ص ١٩٠

(٢) الترادف في اللغة ص ١٣

كما سجّلتها المعاجم أول مرة خلال ماتعارفوا عليه بعصور الأحتجاج (١) فقد ذهب ابن فارس انّ اي تغيرْ يحدث فهو موقوف على ماسمع حيث يقول (وكل ذلك عندنا موقوف على مااحتججْنا له وقول هؤلاء انّهُ كَثُرَ حتى صار كذا (٢) وابن فارس في موقفه هذا إنما يلغي تطور الدلالة للألفاظ ويقصرها على عصرٍ من العصور وهو عصر الاحتجاج على مااتفق على تسمية القدامى ، فهو يرى ان كلّ الألفاظ التي تطورت بعد عصر الاسلام لم تكن صحيحة وانما انتشرت لكثرة الاستعمال أو الاختلاط الذي أصاب العرب في غيرهم من الأقوام الاعجمية ، عصر الاحتجاج في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم وبعض الشعر في عصر صدر الاسلام ، وهذا رأيٌ مردود لأن يؤدي إلى تقلّص أو انكماش الدلالة بالأضافة إلى فقدان العربية لألفاظ كثيرة إذا ماأخذنا وسلّمنا لهذا الرأي لأنه تبعاً لرأيه هذا يعتبر كل لفظٍ تطورت دلالته بعد عصر الأحتجاج فهو محدَث أو مؤكد أو ماحَن إن صحَّ التعبير .

وليس غريباً أن نجد هذا الرأي لابن فارس وهو الذي عرِفَ بالمحافظة وخاصةً في المسائل اللغوية ، وخاصةً بعد أن نعرف انه كان من الذين قالوا بنظرية التوقيف في أصل نشأة اللغة ، وهذه النظرية تتفقُ كثيراً مع هذا الرأي في إلقائها للتطور الدلالي للألفاظ فهو يرى في نظريته ان أصل اللغة هي توقيفٌ من عند الله سبحانه وتعالى ويستدلّ على ذلك بقوله تعالى « وعلَّمَ آدمَ الأسماءَ كلّها » . ولا أريدُ أن أدخل في جدل الآراء التي قيلت حول هذه النظرية ، وإنما أردتُ فقط أن أوضح مدى تعصّب بعض القدماء ومنهم إبن فارس ومعارضتهم للجديد في اللغة حتى ولو كان جيداً . وقد ردّ الدكتور إبراهيم أنيس رداً صائبا على اللغويين القدامى حيث يقول (إن اللغويين القدامى قصروا السليقة اللغوية على قوم معينين وقصروها على زمنٍ معين وقصروها على بيئة معيّنة ، فنشأ في مخيّلاتهم مايمكن أن يعبر عنه بدكتاتورية الزمان والمكان (٣) حيث ان اللغويين القدامى قد قصروا الصحيح من اللغات على قوم وهم قريش وقصروها على بيئة معيّنة وهي بيئة الجزيرة العربية ، وعصر معيّن هو عصر الأحتجاج (الشعر الجاهلي ، القرآن الكريم ، قسم من شعر صدر الاسلام) ، فقد قصروا الفصاحة على لغة قريش وسموها

---

(١) الترادف في اللغة ص ١٧١

(٢) الصاحبي ص ٩٦

(٣) اسرار اللغة ص ٣٦

(لغة اهل الله) (١) فرأوا أنها كانت «مع فصاحتها وحسن لغاتها ، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم احسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ماتخيروا من تلك اللغات إلى نحائرهم وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب (٢) وهؤلاء إنما إطمأنوا لأصدارهم هذا الرأي لما رأوا ماتمسكت به قريش في القديم من مكانة دينية واقتصادية وسياسية وموقع جغرافي ، وقد نقل الدكتور أحمد الجنابي رأي ابن فارس في تفضيل لهجة قريش على باقي اللهجات العربية وهو يقول اجمع عنماؤنا بكلام العرب والرواة لاشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشاً أفصح العرب السنة، وأصفاهم لغة وذلك أن الله أختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمداً صلى الله عليه وسلم فجعل قريشاً قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش في أمورهم» .

من هذا نلاحظ أن القدامى قد قصروا الفصحى على بيئة معينة دون سواها ، وهذا أعتقاد خاطيء، وقد فنده الدكتور أحمد الجنابي وهو يقول(والصحيح أن تكون لغة الادب هي اللغة التي نسميها باللغة المشتركة وهي أختيار لاشعوري وليست من لهجة قريش وانما هي اختيار من هؤلاء وهؤلاء لينتج مايسمى باللغة المشتركة»(٣) .وقد قال الدكتور ابراهيم السامرائي . «أعتبر اللغويون الاقدمون اللغة الفصحى مقصورة على المستعمل منها في لغة الشعر الجاهلي ولغة صدر الاسلام وهذا الاعتبار انكار للغة لذاتها وجعلها أشبه ماتكون بالتحفة الاثرية التي يحرص عليها ويحتفظ بها علق لانها نفيس» (٤) وهؤلاء ينكرون الاستعمالات الجديدة التي شاعت في أدب بعض الشعراء المبدعين وقد أطلقوا على هؤلاء أسم (المولدين) كأبي تمام وغيرهم،وقد أخذ بهذا الرأي بعض المحدثين بدافع المحافظة أو الخوف من تغيير التراث «وهم مدفوعون بعاطفة نبيلة وهي الغيرة على التراث القديم والخوف من أندثاره» (٥) .

---

(١) الصاحبي ص ٢٣

(٢) الصاحبي ص ٢٣

(٣) ملامح من تاريخ اللغة ص ٢٤

(٤) التطور التاريخي اللغوي ص ٤٣

(٥) التطور التاريخي اللغوي ص ٤١

لقد ظلت دراسة اللغويين للدلالة دراسة أشتقاقية للالفاظ فأن تقارن الكلمة بنظائرها في الصورة والمعنى حتى يتسنى أرجاعها الى أصل معين تفرع الى فروع عديدة في لهجة واحدة أو أكثر من لهجة ، ولم تتجه عناية الدارسين الى الجانب الاجتماعي واثره في التطور الدلالي ولا الى المظاهر الانسانية والشعورية ، أي أنهم بحثوا أو عنوا بدراسة العناصر الداخلية في الالفاظ ولم يفطنوا الى العوامل الخارجة عنها ، ثم تطورت دراسة الدلالة بعد ذلك .

يعتبر علم الدلالة من الدراسات الحديثة بدأت منذ مطلع القرن التاسع عشر ولكنها لم تكتسب صنعتها العلمية الاصلية الا في أواخر هذا القرن ، ولقد كان الفرنسي (بريال) أول من فطن الى المصطلح (Semantique) وذلك في سنة ١٨٨٣ قاصداً به (علم المعنى) أو علم الدلالة ، وفي القرن العشرين أتسع البحث في الدلالة وانفتحت المناهج ، فالذين جاءوا بعد (بريال) فطنوا الى الناحية الاجتماعية في تطور المعنى والعوامل الانسانية(١).

وقد امتاز علم الدلالة الحديث بأهميته المتزايدة بدراسة المعنى دراسة علمية وموضوعية وفي التحديد الصحيح (٢) لعلاقة المعنى بحقول المعارف الأخرى مثل النحو ، علم النفس ومع الأسف أن مكتبتنا العربيه تفتقر الى هذه الموضوعات التي تعالج مايجد في مجالات علم الدلالة الحديث ، وتكتفي أحياناً بنقل المصطلحات الأجنبية التي تنقل عنها هذه المصطلحات مع أن لغتنا العربية غير عاجزة في اشتقاق أية كلمة وتعريبها ولكن هذا يحتاج الى بذل جهد اكثر للتنقيب عن المصادر الأصلية للمصطلحات في معجماتنا العربية القديمة فاللغة العربية مرنة وقابلة للتوليد والاشتقاق وهذه سمتها الرئيسة وقد عرفت بذلك ، كأكثر اللغات في العالم اشتقاقاً وتوليداً .

لعلم الدلالة علاقة وثيقة بعلم النحو ، وقد سماه الدكتور ابراهيم أنيس (الدلالة النحوية) (٣) فللجملة العربية نظام خاص بها فلو تقدمت كلمة على أخرى أو حرف على فعل لأختل المعنى أحياناً مثل قولك : ذهبت الى المكتبه فاستعرت كتاباً في النحو ، فلو قدمنا وأخرنا في هذه الجملة كأن نقول مثلا : الى ، ذهبت ، المكتبة ، كتاباً ، استعرت

---

(١) لحن العامة والتطور اللغوي ص ٣٦

(٢) علم الدلالة ، جون لاينز ص ٩

(٣) دلالة الألفاظ ص ٤٨

فماذا يحدث في هذه الجملة ؟ انها سوف تصبح مجرد كلمات مصفوفة لاترابط بينها ، ولايستطيع أي قاريء أو سامع أن يفهمها ، والدلالة النحوية نستطيع أن نعرفها من طريقة المتحدث ومن معايشتنا للبيئة التي نحياها والناس الذين نتعامل معهم وهذا مايعرفه العلماء القدامى بالسليقة اللغوية التي تتكون في المنطقة اللاشعورية عند الأنسان .

و (علم الدلالة) علاقة بعلم الأصوات ، ومن مظاهر هذه الدلالة الصوتية (١) النبر فقد تتغير الدلالة بأختلاف موقع صوت النبر من الكلمة فالمتكلم ينبر على الكلام الذي يريد من السامع أن يفهمه ، أو الكلام الذي يريد ايصاله اليه بدون شرح وزيادة وهنا يلجأ الى النبر في الصوت ، فمثلا صديق يحدث صديقه فيقول : ذهبت الى المكتبة فلم أجد فيها كتباً ، فيمكن أن ينبر بشدة على الكلمتين (فيها كتباً) فيعرف السامع أن وجه الغرابة في هذا الكلام أو الخبر الذي أراد المتكلم أن يوصله الى السامع هو عدم وجود كتب في المكتبة . ومن مظاهر الدلالة الصوتية مايسمى بالنغمة الكلامية ، فبألنغمة يستطيع السامع أن يتبين الدلالة التي يريدها المتكلم مثل كلمة (اذهب) ، وقد تكون للأمر بالذهاب أو للطرد ، وكل ذلك يفهم بالنغمة الكلامية لأن الدلالة واحدة في كل هذه الأحوال ولكن النغمة هي التي تتغير والتغير في النغمة هذا يتبعه تغير في الدلالة .

ولعلم الدلالة علاقة بعلم الصرف أيضاً ، والصرف معناه اصطلاحاً : هو تحويل الكلمة الى ابنيـــــة مختلفة لضروب من المعانـــــي كالتصغير والتكسير واسم الفاعل واسم المفعول ، وهـــــو تغيير الكلمة لغير معنى طارىء عليها ولكن لغرض اخر وينحصر في الزيادة والحذف والأبدال والقلب والأدغام ، مثل تحويل الضرب الى ضرب فالعلاقة بالصرف او ماتسمى (الدلالة الصرفية) (٢) تستمد عن طريق الصيغ وبنيتها مثلا قولك في وصف شخص انه كذاب فهذه الصيغة (فعال) أجمع اللغويون على أنها تفيد المبالغة وكان من الممكن أن نقول كاذب ، ولكن هذه الصيغة أمدت السامع بقدر من الدلالة ، والصيغة (فعال) دلالة أخرى وهي دلالتها عل النسب (٣) مثل : بقال ،بزاز ، فهذه لايمكن أن نعتبرها صيغة مبالغة وانما هي لدلالة النسب أي صاحب محل للبقالة ، أو صاحب محل القماش ومنه قوله تعالى : «وما ربك بظلام للعبيد» فظلام جاء على صيغة فعال ولكن لايمكن أن

(١) دلالة الألفاظ ص ٤٩

(٢) دلالة الالفاظ ص ٤٨

(٣) شرح أبن عقيل (٢٩٦/٤)

يفهم منها صيغة مبالغة لأن الله منزه عن الظلم وانما أراد به النسب أي: وما ربك بذي ظلم. وكذلك تتغير دلالة الكلمة عند التصغير مثل : نهر – نهير ، بطل – بطيل للتحقير أو للتكثير نحو : درهم – دريهمات .

تتغير الدلالة ايضاً في اسم الفاعل واسم المفعول مثل كتب – كاتب مكتوب ، وهذه الدلالة هي دلالة اجتماعية دلت على ان هذا الشخص يتصف بالكذب ودلت دلالة اخرى وهي الدلالة الصرفية ، والدلالة الأجتماعية تظل تحتل منطقة الشعور لأنها الهدف الأساسي في كل كلام (١) .

وقد عني العلماء القدامى بالدلالة الأجتماعية عند تأليفهم المعاجم كمعجم الجمل لابن فارس وغيرها .

قلنا ان تعريف علم الدلالة هو دراسة معاني الألفاظ اذاً فأداة الدلالة هي اللفظة – لأن اللفظ هو الدليل الحقيقي على المعنى ، ويرى علماؤنا القدامى ان الصلة بين اللفظ ومدلونه صلة ذاتية أو طبيعية ، يقول السيوطي في كتابه (المزهر) : «انه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها فسئل مامسمى ادغاغ وهو بالفارسية الحجر ، فقال أجد منه يبساً شديداً وأراه حجراً » (٢)

وقد عرف النحاة اللفظة بأنها أصغر صيغة حرة ولكل لفظة دلالة تميزها والدلالة هي التي تعيننا على فهم بدء الكلمة أونهايتها فاذا سمعنا مثلاقوله تعالى «وعلى الله فليتوكل المتوكلون » نعرف بداية كل كلمة ونهايتها لاننا نعرف معنى كل كلمة وماتحمله من دلالة . والالفاظ هذه لاتعدو في حقيقتها أن تكون بمثابة الرموز على الدلالات فكل لفظ يصلح أن يتخذ للتعبير عن أي معنى من المعاني يعتبر رمزاً على هذا المعنى (٣) ، فما تسمى بالشجرة يمكن أن تسمى بأي لفظ أخر متى أصطلح الناس عليه وتواضعوا على أستعماله فليس في لفظ الشجرة مايوحي بفروعها وخضرتهاوجذورها وقد كان من الممكن أن يعبر عن هذه المعاني برموز أخرى غير صوتية كالاشارة أو الكتابة أو أية وسيلة أخرى ولكن الانسان بدأ منذ عصر بعيد يتخذ من أصواته رموزاً للتعبير عما يجول في خاطره راستغل في هذا مانسميه بجهاز النطق ، والسؤال الذي يطرح نفسه في

---

(١) دلالة الالفاظ ص ٧٢

(٢) المزهر (٤٧/١)

(٣) دلالة الألفاظ ص ٧٢

هذا المجال هو : لاي مدى تستطيع الالفاظ أن تعبر عن المعاني الموجودة في ذهن الانسان وهل اللفظة التي يطلقها تدل دلالة تامة عن المعنى الذي يريده ؟ .

أختلفت الاراءفي ذلك فقد نقل السيوطي (١) رأي الشيخ أبي أسحق الشيرازي أذ يقول «الالفاظ موضوعة بازاء الماهيات الخارجية» وذهب الامام فخر الدين الرازي الى أن الالفاظ موضوعة بازاء الصور الذهنية ، والرأي الذي رجحه السيوطي هو رأي الشيخ أبو أسحق الشيرازي أذ قال عنه «وهو المختار» وهو رأي صحيح فيما أعتقد ، فقد لايجد الانسان في بعض الاحيان مايعينه على وصف مابداخله وصفاً دقيقاً واظهار مايحسه لان أحاسيس الانسان وعواطفه وما يشعر به الانسان قد يصعب ترجمتها في الفاظ معينة ؛ بسبب تعقد النفس البشرية وهذا فيما أظن أدى الى الغموض في الشعر ، الذي يمرقه بعض النقاد على أنه رمز لما يحس به الشاعر أذا فالالفاظ مجرد رموز تدل دلالة سطحية وغير متعمقة للمعنى الذي يريده الانسان .

فالانسان قد أوجد هذه الرموز (للالفاظ) (٢) لكي يتفاهم بها مع الاخرين ويتعاون لان الانسان وحده لايستقل بجميع حاجياته بل لابد من التعاون ولا تعاون الا بالتعارف ولاتعارف الا بأسباب كحركات أو أشارات أو نقوش أو الفاظ توضع بأزاء المقاصد وايسرها وافيدها واعمها هي الالفاظ ، وهذا رأي نقله السيوطي للامام فخر الدين واتباعه . وقد تمسك القدامى بالمعنى الاصلي للفظة والمعنى الاصلي هو أن يكون اللفظ قد، وضع لمعنى محسوس مادي ثم تطور الى معنى عقلي أو وصفي فالانسان في بداية حياته يحتاج الى الفاظ تدل على معان تمس حياته وحاجياته التي يسعى للحصول عليها ، فاذا مااطمأن الى توفير هذه الحاجيات يبدأ بابتكار معان عقلية بين المعنيين ، وقد أجمع اللغويون على أن المحسوس قبل العقلي مثلا : الخيل من الخيلاء ، فالخيل هي الاصل (٣) ، الرحمة من الرحم فالرحم هو الاصل فالشجاعة من الاشجع رهو الاسد فالاشجع هو الاصل ، الذكاء من ذكت النار إذا اشتد اشتعالها المجد من امتلاء بطن الدابة من العلف.

---

(١) المزهر (٤٢/١)

(٢) المزهر (٤٥/١)

(٣) دلالة الالفاظ ص ١٤٦

المبحث الثالث :

«البنية واختلاف الدلالة»

البنية : المقصود ببنية الكلمة تغير الحركات في الكلمة الواحدة أو اختلاف الحروف في الكلمـة .

إن تغير البنية يتبعه تغير الدلالة غالباً ، فمثلاً عندما نقول : قرأتُ الكتابَ وقرىءَ الكتاب فالأختلاف واضح سواء في اللفظ أو في المعنى . سنورد في هذا المجال أمثلة على اختلاف البنية ونقتصر في تلك الأمثلة على فاء الكلمة فقط لأننا لو أخذنا التغير في بنية الكلمة ككل (أعني في الفاء والعين واللام) فهذا سيصعب حصره ، واليك الأمثلة على اختلاف البنية الذي يتبعه اختلاف المعنى أو الدلالـة :

١ ــ الغَمر (١): الماء الكثير ويقال رجل غَمر الخلف ، الغُمر : الحقد في الصدر ، الغِمر : الجاهل .

٢ ــ العَدُّ (٢) : مصدر كالعدد ، يُقال ما أكثر عدده وهو كالعديد ، العُدُّ : ما يُعَدُّ لأمرٍ فيدّخره له ، العِدُّ : مجتمع من الماء وجمعه أعداد وهو مايعده الناس وموضع مجتمعه يقول ذو الرمّة :

دَعَتْ ميّةُ الأعـدادِ واستبدَلَتْ بها خناطـلُ وآجالٍ منَ العيشِ خُذَّلُ

٣ ــ الحبُ : المحبة ، الحَب : المعروف ، الحِب : الحبيب نفسه يقول الطغرائي في لاميته المشهورة :

فالحِبُّ حيثُ العـدا والأسدُ رابضةٌ حول الكِناسِ لها غابٌ من الأسـلِ

والحِب أيضاً جزوز الرياحين ويُقال ان الحِب (٣) : القرط كما جاء في المجمل .

(١) العين (١/٩٠)

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) المجمل ص ١٣٤

٤ — الطّعم (١) : الطعام ، الطُّعم : الشهوة للطعام .
٥ — الكُره : المشقة ، الكَره : الأكراه
٦ — الجُهد : الطاقة ، الجَهد : المشقة .
٧ — عُروض الشيء احدى نواحيه ، عَرضه خلاف الطول .
٨ — المَيْل : ماكان فعلاً نحو « مالَ عن الحق ميلاً » ، المَيَل : ماخان في خلقة يقال : في عنقه ميَل وفي الشجرة مَيل .
٩ — الندسُ (٢) : الصوت الخفي ، النُدُس : الذي يخالط الناس ، النِدس : العالِم بالأمور يقول السيرافي : النَدِسُ الذي يخالط الناس ويخفّف عليهم يقول ابن الاعرابي تندّستُ الخبرَ وتجسّسته بمعنى واحد ، والندُس : الفطنة .
١٠ — يهوى من هَوى بمعنى احبَّ ، يهوي من هَوى أيضاً بمعنى اسقط .
١١ — الهَون (٣) : يقال هو يمشي هَوْناً أي على هينته ، الهون : الهوان .
١٢ — المسِك : فعل من امسكتُ الشيء ، وهو الطيب برائحته ، يمسِك الحاسة عليه ولايعدل بها صاحبها (٤) .
١٣ — العَفوُ : مصدر عوتُ ، العِفوُ : ولد الحمار (٥) .
١٤ — ألَّ الشيء (٦) إن المح وألَّ الفرَس اذ اسرع في عدوه ، الأليل : الأنين ، إلٌ : الله جلّ ثناؤه ، الأَلُ : العهد والذمة ، ألٌ : الجؤار وفي الحديث « عَجِبَ ربُّكم من ألِّكم وقنوطكم » .
١٥ — الغَول : البعد ، الغول : مااغتال الأنسان فاهلكه .
١٦ — الطّحن (٧) : مصدر طحنتُ ، الطِّحن : الدقيق .
وغيرها من الكلمات التي تعجُّ بها معجماتنا العربية والتي تختلف في البنية .

(١) المزهر (٢/٢٩٧)
(٢) لسان العرب (٢/٥٠٧)
(٣) اصلاح المنطق ص ١٧٩
(٤) الخصائص (ج ١ /ص ٧)
(٥) تمام فصيح الكلام ص ٣٠
(٦) المجمل ص ٧ — ٨
(٧) المزهر (٢/٢٩٧)

واختلاف البنية هذا يؤدي حتماً إلى اختلاف اللهجات مما يؤدي إلى اختلاف في دلالات الألفاظ وتطورها أوجمودها .

وتتديز بيئة اللهجة بصفات صوتية خاصة تخالف كل المخالفة أوبعضها ، صفات اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة (١). وقد ملِئت المعاجم اللغوية بكلمات جوّزوا فيها اكثر من وضع واحد أو من صيغة واحدة ، مثال على ذلك كلمة) إصبَع ِ إصْبع َ ، إصْبعُ ، أَصبِع ، أَصْبع ، أُصْبَع َ ، أصْبع ، أُصْبوع) فهذه صيغ مختلفة لكلمة واحدة اختلفت في الصوت أو اللفظ فقط وإن هذا الأختلاف كان من اختلاف اللهجات العربية حتماً .

وتختلف اللهجات بعضها مع بعض في الأصوات ، فيروى أن قبيلة تميم كانوا يقولون في فزتُ « فزدُ » كما ينطقون بالهمزة عيناً (٢). وان تميم كانت تقول في أيهات هيهات ، وفي جونه جؤنة وفي قلنسية (قلنسوة) وفي لَعمري (رعملي) (٣) .

وإن اللهجات أيضاً تتميز بقليل من صفات ترجع إلى بنية الكلمة ونسجها ، أو في معاني بعض الكلمات ، فيُروى أن بني أسد كانوا يقولون في (سَكرى) سكرانة وان بعضاً من تميم يقولون « مديون» بدلاً من (مَدين) ، ويقولون أيضاً أصدْتُ الباب َ بدلاً من أوصدتُ الباب (٤) ، وان الحجاز يقولون (تخذتُ أوخذتُ) بدلاً من اتخذتُ ويُروى أيضاً ان تميم تقول أمضني الأمر (٥) ، وان أهل نجد يقولون أفتنته المرأة بدلاً من فتنته ، وان تميم تقول أحزنه الشيء بدلاً من حزنه التي هي لغة قريش ، ويذكر أيضاً أن أهل الحجاز يسمون الفرد الوَتر وأهل نجد يكسرون الواو وهي صلاة الوتر ، والوتر والوتر لأهل الحجاز ويقرءون والشفع والوتر والكسر لتميم وأهل نجد، يقول يونس : أهل العالية يقولون : الوتر في العدد والوَتر في الثأر وتميم تقول وِتر با لكسر في العدد والثأر على حد سواء ، والجوهري يقول : الوتر بالكسر الفرد ، الوَتر بالفتح الذحل هذه لغة أهل العالية فأما لغة الحجاز فبالضّد منهم واما تميم فبالكسر منهما (٦).

---

(١) في اللهجات العربية ص ١٥

(٢) في اللهجات العربية ص ٥

(٣) المزهر (٢/٢٤٠)

(٤) المزهر (٢/٢٢٤)

(٥) لسان العرب (١٢٧/٩) — تذكر المادة

(٦) لسان العرب (٥/١٣٥ — ١٣٦) كذلك

وتختلف أيضاً دلالة الألفاظ في بعض الأحيان بين لهجة وأخرى وهذا ادّى إلى نشوء ظاهرة التضاد ، والأشتراك اللفظي في اللغة العربية . ومثالنا على ذلك كلمة (الهجرس) حيث (١) انها تعني القرد عند الحجازيين وتعني الثعلب عند تميم ، كما ان (الطاؤوس) يعني (٢) الجميل من الرجال في كلام أهل الشام ويعني الطاؤوس في كلام أهل اليمن (الفضّة) والطاووس هو طائر جميل حسن ، والتقحيط يعني التلقيح في لغة بني عامر ، والقحطي يعني الأكول الذي لايُبقي من الطعام شيئاً في كلام الحاضرة من أهل العراق فلا نستطيع أن نفسّر سبب هذا الأختلاف في المعنى بغير اختلاف اللهجات العربية فيما بعضها ، ولكن يجب أن تكون مثل هذه الكلمات التي يختلف معناها من لهجة إلى أخرى في لغة واحدة ـــ يجب أن تكون قليلة بحيث لاتجعل اللهجة غريبة على أخواتها في باقي اللهجات وبعيدة عنها وصعبة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى في نفس تلك اللغة ، لأ ن مثل هذه الكلمات التي تختلف في المعنى لو كانت كثيرة لأصبحت لغات كثيرة تختلف الواحدة عن الأخرى ولما عددناها لهجات في داخل اللغة .

من الصعوبات التي يواجهها الباحث في موضوع اللهجات العربية هي : فقدان المكتبات العربية لمعجم يضم جميع اللهجات العربية بالأضافة الى ظاهرتي التصحيف والتحريف التي ارتزأت بها الكتابة العربية. وأخيراً عدّ القدامى لهجة قريش افصح اللغات وتفضيلهم لها على غيرها من اللهجات ، فهذا جعلهم يصفون اللهجات الأخرى بالقباحة أو الشذوذ.

(١) في اللهجات العربية ص ٤٣٤

(٢) في اللهجات العربية ص ٤٣٥

أثر اللهجات في نشوء ظاهرة التضاد

قبل أن نبدأ بتوضيح تأثير اللهجات في نشوء الأضداد، علينا معرفة معنى التضاد في اللغة أولاً، ومعرفة ماإذا كانت هذه الظاهرة ميزة من ميزات اللغة العربية؟ أو هي سبباً من أسباب ضعفها أو بعبارة أخرى مأخذاً من المآخذ التي وُجهت الى العربية كما يدّعي البعض، ثم نعرض بشيء من الأختصار للآراء التي قيلت في نشوء هذه الظاهرة، والعلماء الذين انكروا أو أقروا بوجود هذه الظاهرة، هذا ماسنعرفه من خلال الأسطر القليلة التالية:

معنى التضاد: يقصد بالتضاد: الكلمات التي تؤدي الي معنيين متضادين بلفظ واحد (١) ككلمة الجون للاسود والابيض، وكلمة الجلل تطلق على الامر اليسير والامر العظيم فالتضاد أذا هو أختلاف مع الضدية مثل الطرب وتعني نزوة تأخذ الانسان في حزن وفرح على السواء، ومثل الصريم (٢) يقال لليل صريم وللنهار صريم لان كل واحد منهم ينصرم من صاحبه، وقد أورد أبن الانباري شاهد من الشعر أستعملت فيها لفظة (الصريم) للتضاد، قال الشاعر:

بكرت علي تلومني (بصريم) ... فلقد عذلت ولست غير مليم

أراد الليل.

واستعملت بمعنى النهار، قال بشر بن أبي حازم يذكر ثوراً:

فبات يقول أصبح ليل حتى ... تجلى عن صريمته الظلام

الصريمة هنا الفجر.

وغيرها من الامثلة الكثيرة التي جاء بها أبن الانباري في كتابه الاضداد يقول أبو الطيب اللغوي في تعريفه للاضداد: «الاضداد جمع ضدا وضد كل شيء ما ناناه، نحو البياض والسواد، السخاء والبخل، الشجاعة والجبن، وليس كل ماخالف الشي ضداً له، الا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين. وانما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من الضاد، أذ ان كل ضدين مختلفين وليس كل

(١) الاضداد لابن الانباري (١/١١)

(٢) الاضداد للانباري (١/٨٤)

مختلفين ضدين» (١) . ويعرفه الدكتور رمضان عبد التواب بقوله « «التضاد نوع من العلاقة بين المعاني ، بل ربما كانت اقرب الى الذهن ولا سيما بين الاواز ، فذكر ، البياض يستحضر في الذهن السواد ، فعلاقة الضدية من أوضح الاشياء في تداعي المعاني فاذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة عن معنيين بينهما علاقة ، فمن باب أولى جواز تعبيرها عن معنيين متضادين ، لان استحضار أحدهما في الذهن يستتبع عادة استحضار الاخر فالتضاد فرع من المشترك » (٢) ، والدكتور رمضان في تعريفه هذا انما يوافق السيوطي الذي يقول : ويقصد بالتضاد نوع من المشترك (٣) ، وأيد مارآه من اندراج التضاد تحت الاشتراك بقول بعض العلماء الذين يذهبون الى أن المشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين ، فما يقع على الضدين الجون والجلل وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين» (٤) .

وقد كان لهذه الظاهرة (التضاد) جدل بين علماء اللغة ، فمنهم من أنكرها وزعم أنها غير موجودة في العربية ، ومنهم من أقر بوجودها واعتبرها صفة من صفات العربية يقول أبن فارس «ومن سنن العربية في الاسماء أن يسموا المتضادين بأسم واحد نحو : الجون للاسود والجون للابيض قال : وانكرناس هذا المذهب وان العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده ، وهذا ليس بشيء وذلك أن الذين رأوا أن العرب تسمي السيف مهنداً والفرس طرما هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين بأسم واحد » (٥) ، وابن فارس في رأيه هذا ينكر وجود التضاد مثلما أنكر وجود الترادف في اللغة . ومن أبرز الذين أنكروا الاضداد والف في ذلك كتاباً هو (أبن درستويه) فقد قال أبن درستويه في شرح الفصيح «النوء الارتفاع بمشقة وثقل ، ومنه قيل للكوكب : قد ناء اذا طلع ، وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضاً وأنه من الاضداد ، وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في أبطال الاضداد» (٦) .

(١) كتاب الاضداد لابي الطيب اللغوي (١/ص ١)
(٢) فصول في فقه العربية ص ٢٩٢
(٣) المزهر (١/٣٧٨)
(٤) المزهر (١/٣٨٧)
(٥) الصاحبي في فقه اللغة ص ٩٧
(٦) المزهر (١/٣٩٦)

ويرى ابن دريد أن الاضداد لايكون كذلك الا في لغة واحدة .

اسباب التضاد : تظافرت أسباب كثيرة على نشوء ظاهرة التضاد ومن هذه الاسباب :

١ ــ التفاؤل أو كما سماه د . صبحي الصالح (النكات البلاغية) (١) وهي أن تعبر عن الشيء بالعبارة الحسنة ، وهذا السبب يعود الى العقلية الاجتماعية السائدة في بيئة ما ، مثل قولهم للعطشان : الناهل من قبل التفاؤل ، وقولهم السليم للملدوغ وقولهم المفازة أو المنجاة للمهلكة أي الصحراء ، وكذلك تسميتهم للحمى (المبروكة) (٢) ومثلها البصير تطلق على المبصر أساساً وعلى الاعمى من باب التفاؤل وغيرها من الكلمات التي يصعب حصرها .

٢ ــ عموم المعنى الأصلي : فقد يكون المعنى عاماً ثم يتخصص في لهجة من اللهجات مثل (القات) فهي تعني النقرة الصغيرة في السهل أو الجبل عن لغة قيس وتميم وأسد وتعني مستنقع الماء في السهل عن لغة الحجاز ، ومثل كلمة (الذفر) بمعنى الريح الطيبة والريح النتنة ويبدو أن المعنى الأصلي للكلمة هو (الريح) وهو أعم من الريح الطيب والنتن ، يقول ابن الأنباري (الذفر) الريح في النتن والطيب جميعاً .

٣ ــ اختلاف اللهجات : لعلّ من أقوى الأسباب وأوضحها في نشوء الأضداد هو الاختلاف في اللهجات ، يقول ابن الأنباري : « إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أرقعه عليهما بمساواة منه بينهما ولكن أحد المعنيين لحيّ من العرب والمعنى الآخر لحيّ غيره ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء» (٣) . حقاً إننا لانرى سبباً في نشوء الأضداد أهم من اختلاف اللهجات العربية ، فاللهجات منتشرة ومختلفة بقليل أوكثير في بعض الألفاظ وفي بعض دلالات هذه الألفاظ (٤) مما كان سبباً في اختلاف الكثير من الظواهر التي نجدها الآن في كتب القدامى وسبباً في اضطراب المعجم العربي وخلطه ، فاللفظ واحد والمعنى مختلف حتى ترى ان لاعلاقة بين هذين المعنيين وكأن المعنى لاينتمي إلى لغة واحدة وهذه من الأسباب التي أخذها على المعجم العربي ، ونحن نعرف ان البيئات باختلافها وتوزيعها

---

(١) الجمهرة (٢٩١/١)

(٢) دراسات في فقه اللغة ص [illegible]

(٣) فصول في فقه العربية ص ٢٠٧

(٤) الأضداد لابن الأنباري ص ١١

الجغرافي تتميز بظواهر تختلف عن البيئة الأخرى ، ومن الطبيعي ان البيئة الحضرية تختلف كثيراً عن البيئة الريفية في كثير من العادات والتقاليد وفي المستوى الثقافي لأبنائه وحتى في الظروف المعاشية وفي الملبس والمأكل وهذا الأختلاف يؤدي تلقائياً إلى اختلاف في لغة هذه البيئة وفي اختيارها للألفاظ المستعملة أو المعاني التي تمسُّ حياتها مما يؤدي حتماً إلى اختلاف في بعض دلالات الألفاظ أوفي نطق الألفاظ وهذا الاختلاف في بعض الدلالات أسهم في وجود ظاهرة التضاد ، الأشتراك اللفظي ، الترادف . قلنا قبل قليل ان لكل بيئة عادات وتقاليد تميزها عن باقي البيئات ولكل بيئة مستوى ثقافي أو مستوى عقلي وهذا ينبع من الظروف التي تحياها هذه البيئة ، فمثلاً القبائل البدوية القديمة والتي تقابل المجتمعات الريفية في مجتمعنا الحاضر ، فهذه المجتمعات تتميز بعقلية اجتماعية ان صحّ التعبير ــ بسيطة ــ لبساطة حياتها وبعيدة عن التعقيد الذي نلاحظه في المجتمع الحضري أو المتمدّن ، وتتميز أيضاً بتمسكها الشديد بعادات ورثتها جيلاً من جيل في نفس البيئة بعكس المجتمع المتحضر الذي يخضع العقل في تحليل كل المسائل والتصرفات التي يقوم بها ، فالمجتمع البدوي أو الريفي يقوم أفراده بأعمال ويلتزم بأشياء لايعرف سبباً لتمسكه بهذه الأشياء ولم يفكر في السبب الاّ انه يعتبر هذه العادات كالمقدسّات عليه أن لايتجاوزها . فلا نستغرب مثلاً انهم يطلقون على الملدوغ السليم وعلى المهلكة المنجاة ويقولون للعطشان ناهل وللقافلة التي تعني الذاهب تيمناً منهم أن ترجع بسرعة أوقولهم للمريض فلان بعافيه ، المسجور التي تطلق أصلاً على المملوء واطلقت على الفارغ للتفاؤل ، ومن العادات التي نلحظها على المجتمعات البدوية أو الريفية الخوف الشديد من الحسد ، فهم يقومون بصنع أشياء عجيبة ظناً منهم أنها تدفع الحسد عنهم فلا عجب أن نراهم يطلقون الفاظاً معينة على الشيء الذي يريدون أن لاتصيبهُ العين وكان هذا سبباً في وجود التضاد ومثالنا على ذالك :

١ ــ لفظة الخشيب التي تعني السيف الذي لم يصقل ولكنهم يطلقونها على السيف الصقيل وهذا كان بسبب الفرار من العين واتقاء شرّ الحسد .

٢ ــ الشوهاء : من المعروف ان المادة (شوه) تعني التشويه والقبح (١) ولكنهم يقولونها للمهرة الجميلة لدفع الحسد .

---

(١) فصول في فقه العربية ص ٣٠٦

٣ ــ البلهاء والتي تعني الحمقاء وتطلق على المرأة الكاملة العقل لكن البله في اللغة هو نقصان العقل وفساد الأختيار والتميز . وفي المجتمعات المتحضرة حيث نرى الفكاهة صفة أغلب الناس وخلق النكته من صنعهم للتنفيس عن أنفسهم ونسيان المتاعب الكثيرة التي يلاقوها حيث تكثر السخرية والتهكم والذي كان سبباً من أسباب نشوء التضاد يكثر هذا خاصة في أوساط الشباب ، فيقولون لشخص يسخرون منه مثلاً : عاقل قاصداً السخرية والأستهزاء ومثل قولهم (القشيب) التي تعبر عن الجديد في أغلب احيان يطلقونها على الخلق واختلاف دلالة (لمَقتُ) (١) بين لهجتَي عقيل وقبائل قيس حيث انها تعني (كتب) في لهجة عقيل وتعني (محوثُ) عندَ قبائل قيس ، وأخيراً التطور في المعنى الأصلي (٢) للكلمة على نحو يؤدي إلى التضاد فيها وقد يحدث في لهجة من اللهجات العربية ويأتي ذلك كميزة من مميزات تلك اللهجة وقد تستعيره اللغة المشتركة ويسير معها جنباً إلى جنب مع المعنى الأصلي ، وفي هذه الحالة لايروي لنا اللغويون شيئاً عن اللهجة التي تم فيها التطور ومظاهر التطور في المعنى الأصلي هو : عموم الدلالة . تخصيص الدلالة ، وانتقال الدلالة من العام إلى الخاص وبالعكس . فعموم الدلالة يعني أنه قد يكون المعنى الأصلي للكلمة عاماً ثم يتخصص هذا المعنى في لهجة من اللهجات. وقد يحدث أن يتخصص في اتجاه مضاد في لهجة أخرى ، فكلمة الطرب تعني في معناها الاصلي (خفة تصيب الرجل لشدّة السرور أو لشدة الجزع) وقد قال ابن الأنباري : (الطرب ليس هو الفرح ولا الحزن ، وانما هو خفة تلحق الأنسان في وقت فرحه وحزنه) (٣)

ومثلها كلمة (الصارخ) فهي تعني في اللغة : المغيث والمستغيث والمعنى العام في كل من المغيث والمستغيث هو الصراخ لأن المغيث يصرخ بالأغاثة والمستغيث يصرخ بالأستغاثة فأصلها من باب واحد (٤) . ومن الكلمات المشهورة التي كان لها معنى عام ثم تخصص في بيئتين مختلفتين كلمة (السدفة) (٥) التي روى انها كانت تعني الظلمة في لهجة تميم والضوء في لهجة قبائل قيس ويظهر ان معناها العام كان يعبر عن حالة بين الظلمة والنور ثم تحدد معناها في تلك اللهجات فأدى الى التضاد . ويدخل ضمن تطور المعنى أيضاً تعريب

(١) في اللهجات العربية ص ١٩٧

(٢) فصول في فقه العربية ص ٢٩٩

(٣) الأضداد (١٠٢/١)

(٤) المزهر (٤٠١/١)

(٥) في اللهجات العربية ص ٢٠١

بعض الألفاظ الأعجمية فيخصص معنى هذه الألفاظ عن قبيلة معينة ويسير هذا التخصص في اتجاه مضاد عند قبيلة أخرى مثالنا على ذلك كلمة (الجبر) معناه في العربية الملك والعبد (١) وهو في الأصل معرب عن الأرامية بمعنى رجل وهو أعم من الملك والعبد .

استخلاص :

لقد عرضنا في الصفحات القليلة السابقة عرضاً سريعاً ومختصراً لمعنى التضاد في اللغة واراء العلماء في وجود هذه الظاهرة في اللغة أو ارتكازها وهؤلاء يصفهم ابن الأنباري بأهل البدع والزيغ والأزراء (٢) وهؤلاء عدوا سبب وجود التضاد هو نقصان العرب للحكمة والقلة في البلاغة ، وهذا رأي مردود اذ على العكس فالتضاد سببه اتساع ثقافة العرب وزيادة بلاغتهم وسعة اطلاعهم فهو ليس عيباً يؤخذ على العربية وانما هو من خصائص العربية ، ثم اننا لانستطيع أن نوافق العلماء الذين لم يعترفوا بأمكان وقوع الأضداد وعلى رأسهم (ابن درستويه) الذي انكر وقوع التضاد اطلاقاً في اللغة العربية ، لأننا مهما حاولنا أن نوجه الألفاظ المتضادة في معنى من المعاني ليست فيها معنى الضدية نبقى أمام ألفاظ لانستطيع أن نقول عنها الا انها تحمل معنى التضاد وليست نوعاً من الأشتراك اللفظي . إن الألفاظ المتضادة في لغتنا قليلة اذا ماقيست بالألفاظ المشتركة او الألفاظ المترادفة وقد جمع أبو بكربن الأنباري في كتابه (الأضداد) مايزيد على (٣٠٠) كلمة رأى فيها معنى الضدية ، وقد جاءت في هذا الكتاب ألفاظ لاتحمل معنى التضاد وانما نستطيع أن نعدها من الألفاظ المشتركة كما يقول السيوطي ووافقه على ذلك كثير من العلماء القدامى والمحدثين . لقد أثرت الاختصار في هذا الموضوع اذ انه يصلح أن يكون موضوع بحث وحده وقد اقتصرت على تأثير اللهجات في نشوئه لأنه السبب الرئيسي في وقوعه .

---

(١) في اللهجات العربية ص ٢٠٠

(٢) الاضداد (١/١١)

«أثر اللهجات في نشوء المشترك اللفظي»

ماهو المشترك ؟

المشترك اللفظي هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة (١) . فهواذاً يعني دلالة اللفظ الواحد على اكثرمن معنى، وقد يكون المعنى الثاني معنى بعيداً أو قريباً عن المعنى الأول (المعنى الأصلي) أو أن يكون الثاني معنى مجازياً والأول حقيقياً ، وهذا ماسنوضحه بعد قليل . ولعل من العبث أن نجمع كل ماجاء من ألفاظ مشتركة ، لأن معاجمنا العربية ملئت بالألفاظ المشتركة والتي يصعب حصرها وهذا دليل قوي على سعة اللغة العربية وتطورها .

لقد عرض القدماء في بحوثهم للمشترك اللفظي ، فأنكره بعضهم وتأول ماورد منه بأن قد جعل أحد المعنيين حقيقياً والاخر مجازياً ، وعلى رأس المنكرين لوقوع المشترك (ابن درستويه) الذي انكر قبل ذلك وجود الأضداد ، يقول ابن درستويه : (فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، لما كان ذلك ابانة بل تعمية وتغطية ، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذه العلل ، وانما يجيء ذلك في لغتين متباينتين ، أو لحذف واقتصار وقع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان وخفي ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ) (٢)

ولله در ابن درستويه حين قال ان دلالة اللفظ على معنيين أو اكثر تعمية أو تغطية مع ان هذا هو الأبانة نفسها كما يقول الدكتور أحمد الجنابي في أحدى محاضراته سنة ١٩٨٢ م ، وهل هناك توضيح اكثر من أن يرد للفظ واحد معان عدة ، فمتى غاب معنى عن ذهن السامع حضر الاخر ، وليورد بعض الأمثلة على ألفاظ مشتركة ولو أنها أقل من القليل اذ ماقيست في الألفاظ الموجودة في بطون المعجمات :

١ ــ العَمّ : أخو الأب ، الجمع الكثير (٣) ، وقد نقل السيوطي استعمال راجز لهذا اللفظ في المعنيين المختلفين ، يقول الراجز :

ياعامرَ بني مالكٍ ياعمّا　　　أفنيت عمّاً وجبرت عمّا

فعما الأولى يريد بها (عماه) ، وعما الثانية أراد بها الجمع أو القوم .

٢ ــ مشى يمشي من المشي ، ومشى اذا كثرت ماشيته .

---

(١) المزهر (٣٧١/١)

(٢) منقول عن المزهر (٣٨٥/١)

(٣) المزهر (٣٧١/١)

٣ ـ الخال : أخو الأم وهو أيضاً الخال الموجود في صفحة الخد .

٤ ـ الشؤم : السود من الأبل ، التشاؤم .

٥ ـ الأرض : الأرض المعروفة وكل ماسفل فهو أرض ، أسفل قوائم الدابة ، الرعدة (١) والزكام .

٦ ـ المجد : امتلاء بطن الدابة من العلف (٢) وهو المجد والرفعة أيضاً .

٧ ـ الروبة : روبة الليل معظمه وروبة اللبن رغوته و روبة الخمير ، زيادته، وروبة الفرس طرفه .

وغيرها من الألفاظ المشتركة التي نجدها عند تصفحنا لأي معجم يقع بين أيدينا .

ومن الذين اعترفوا بوجود المشترك اللفظي وضربوا أمثلة كثيرة له : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، سيبويه والأصمعي وقد أفرد بعض هؤلاء العلماء مؤلفات خاصة، جاءوا بأمثلة كثيرة للمشترك اللفظي . ومن العلماء من كان لهم موقفاً معتدلا في امكان وقوع المشترك (ابن سيدة) فهو لم ينكر المشترك انكاراً شديداً كما عند ابن درستويه ولم يسرف في وجوده فهويقول : «ان اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي الا يكون قصداً في الوضع ولا أصلا ولكنه من لغات (٣) تداخلت ، أو ان تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب وتصير بمنزلة الأصل» (٤) . فابن سيدة في رأيه هذا يكون قد بين سببين من أسباب وقوع المشترك هما : تداخل اللغات أو اللهجات ، والمجاز الذي نستعمله في الكلام سواء أكان شعراً أم نثراً ومن خلال ذلك ينبغي أن نلحظ المعاني الكثيرة والمختلفة التي تذكرها المعجمات العربية لهذا اللفظ أو ذاك ، ككلمة (العجوز) التي يروى ان لها اكثر من سبعين اسماً .

أسباب وقوع المشترك اللفظي :

لعل من الأسباب الرئيسية في وجود المشترك اللفظي هو : الاستعمال المجازي (٥) وليس من الضروري أن يكون الأستعمال المجازي متعمداً متعمداً كما نلحظه في بعض الأساليب الشعرية ، بل قد يقع من عدة أفراد في البيئة اللغوية في وقت واحد دون مواضعة أو اتفاق

(١) المزهر (١/٣٧٢)

(٢) دلالة الألفاظ ص ١٦٥

(٣) لغات : لهجات

(٤) المخصص (٢٥٨/١٣)

(٥) ينظر فصول في فقه العربية ص ٢٨٨ . و ينظر اللهجات العربية ص ١٨٢.

بينهم ، فالناس في لغة تخاطبهم قد يلجأون الى مجازات لتوضيح معانيهم وابرازها بصورة واضحة دون أن يعمدوا الى هذا عمداً فهم تعودوا أن يقولوا مثلا : ساق الأنسان يقولون كذلك ساق الشجرة ، أو كتعودهم أن يقولوا يد الأنسان يقولون أيضاً يد الالة (١) والذي سوغ لنا هذا الأستعمال هو شدة المشابهة بين هذا العضو من جسم الأنسان وساق الشجرة أو يد الالة ،وهذا استعمال مجازي واضح ، وشرط المجاز كما يقول الدكتور ابراهيم انيس (أن يثير الدهشة والغرابة عند السامع أو القاريء أي أنه بهذا المعنى أمراً غير عادي يبعد قليلا أو كثيراً عن مألوف الناس) (٢) فمثل قولنا ركب المخاطر فهذا التعبير تنوسيت فيه الناحية المجازية ، والحقيقة ان هذا الرأي جميل نتقبله لأن المعاني دائمة التغيير وان الهدف من الكلام هو أن نفهم مانريد الى السامع ، أي اننا نخاطب عقله ، فاستعمال (العين) بمعنى الدينار قد يكون غريباً في البداية ونعده مجازاً ولكن متى ماتعارف الناس عليه وكثر استعماله صار كالمعنى الحقيقي ، ويصعب علينا بعد ذلك ان نميز بين المعنى الأصلي لهذه الكلمة والمعنى المجازي لها ، لان المعنى المجازي أصبح يعبر عن المعنى الحقيقي الذي نريده فلا حاجة للتوضيح .

ومتى ماتضح لنا أحد المعنيين هو الأصل وان الاخر مجاز له ، فلا يصح أن يعد مثل هذا من المشترك اللفظي في حقيقة أمره ، ككلمة الهلال فهي تعبر عن هلال السماء وقلامة الظفر التي تشبه في شكلها الهلال (٣) لأن المعنى واحد في كل هذا ، ويقول الدكتور إبراهيم انيس : (ان شرط المشترك اللفظي انما يكون حين لانلمح ايه صلة بين المعنيين كأن يقال الأرض : الكرة الأرضية وهي ايضاً الزكام) (٤) . ولكلمة (العين) معان كثيرة قام فيها المجاز بدور أساسي في وجود بعض معانيها فهي تعني : عضو الأبصار في الانسان ، الأصابة في العين ، ضرب الرجل بعينه ، المال الحاضر ، الجاسوس ، وتعني أيضاً خيار الشيء ، السيد ، سنام الأبل ، الدينار ، عين الركبة ، عين الشمس ، عين الماء ، الأعرجاج في الميزان والسحابة التي تنشأ من ناحية قبلة أصل العراق ومطر كثير

(١) ينظر دلالة الألفاظ العربية وتطورها للدكتور مراد كامل ص ١٣

(٢) اللهجات العربية ص ٨٣

(٣) دلالة الألفاظ ص ١٨٣

(٤) دلالة الألفاظ ص ٢١٣

لايقلع وطائر وذات الشيء (١) ، ولابن فارس شعر في بعض معاني العين وهو في هذا أقدم من استعمل اسلوب الشعر في تقييد المسائل اللغوية ، يقول ابن فارس (٢) .

يادار سعدى بذات الضال من إضم ... سقاك صوب حيامن واكف العين (١)
يدني معشـــقة منا معتقســــــــــة ... في كل اصباح يوم قرة العيـــن (٢)
اذا تمـــر زها شيـخ به طـــرف ... سترت بقوتها في الساق والعيـن (٣)
والزق مـــلآن مـن ماء السرور فـــلا ... تخشـى تولـه مافيـه مـن العيـــن (٤)
وغاب عـــذالنا عنا فـــلا كـــدرٌ ... في عيشنا مـن رقيـب السـوء والعين(٥)
يقسم الـــود فيما بيننـــا قســـما ... ميزان صدق فلا يخسى ولاعين (٦)
وفائض المـــال يغنينا بحاضــــره ... فتكتفي مـــن ثقيل الدين بالعيـــن (٧)

فهي تعني حسب التسلسل :

١ — سحاب ينشأ من قبل القبلة ،
٢ — عين الأنسان
٣ — عين الراكبة
٤ — ثقب يكون في المزادة
٥ — الرقيب
٦ — العين في الميزان أو الأعوجاج فيه

٧ — المال الناض .

السبب الثاني في وجود المشترك اللفظي الذي لاتقل أهميته عن السبب الأول هو تداخل اللغات (٣) أو اللهجات بعضها مع بعض وقد لعب هذا السبب دورا كبيرا وخطيرا في استعمال الالفاظ المشتركة ، فكان مادة صالحة للتورية والتجنيس عند الشعراء المشغوفين بالمحسنات اللفظية فكلمة (السليط) تعني (الزيت) عند عامة العرب ، دهن السمسم عند أهل اليمن . فقد يتغير معنى الكلمة في لهجة من اللهجات ثم يمر زمن طويل ينسى خلاله المعنى الاصلي وتلتزم تلك اللهجة استعمال هذه الكلمة في معناها الجديد دون سواه . وربما نرى ألفاظ اتفقت صورتها واختلفت معانيها. نحن نعرف أن المعاني غير ثابتة فهي تتبع الظروف كما أكد ذلك الدكتور أحمد الجنابي في احدى محاضراته (سنة ١٩٨٢) حيث

(١) فصول في فقه العربية ص ٢٨٨
(٢) معجم الأدباء (٤/٩٥)
(٣) دراسات في فقه اللغة ص ٣٠٤ ، اللهجات العربية ص ١٨٥

يقول : (ان الالفاظ لها معنى حضوري ، وان اللغة كلها تخضع لهذه المسألة) فالألفاظ تتأثر بالظروف سواء اكانت اجتماعية أم سياسية أو ثقافية لأن اللغة هي وسيلة للتفاهم والألفاظ هذه لاتستقرعلى حال بل تتغيرتبعاً للظروف وتغير الالفاظ هذايتبعه تغير الدلالة، وقد يبقى اللفظ في صورته وتختلف دلالته وهذا مايسمى بالمشترك اللفظي ثم ان لكل بيئة ظروفها ولكل بيئة مستواها الثقافي وحياتها الأجتماعية التي تختلف قليلا او كثيرا في باقي البيئات ، ولكل بيئة طريقة خاصة وألفاظ خاصة تعبر عن معان قد لاتستعملها أو لاتعرفها البيئات الأخرى ، وحتى المعاني المجازية التي رويت لنا في بعض الألفاظ نشأت بالتأكيد في بيئات مختلفة (١) ، ولكن اللغويين حين دونو هذه الألفاظ لم ينسبوها الى، بيئة معينة من البيئات الا قليلا فنشأ مايسمى بـ (المشترك اللفظي) . وقد يدخل ضمن هذا أيضا سوء فهم المعنى فقد يسيء أحد الأشخاص فهم معنى الكلمة في بيئة من البيئات فنراه بذلك يستعمل الألفاظ لمدلولات جديدة وهذا — في ظني — مايشيع في لهجاتنا الحاضرة، فكثير من الناس يستعملون ألفاظاً لدلالات غير معروفة في معجماتنا العربية ولايكلفوا أنفسهم عناء الرجوع الى المعجم ، وهذا مانلحظه مثلا في لهجة أهل بغداد حيث سادت معاني تختلف كثيرا عن المعاني التي تستعمل في لهجة القاهرة ، فلفظة مبسوط تعني (مرتاح) في لهجة أهل القاهرة ، وتعني في لهجة اهل بغداد (مضروب) ، وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى مفروش ولا أرى علاقة بين الاستعمالين في اللهجتين وبين معناها الأصلي . وكذلك لفظة (العيش) التي تعني الحياة وتستعمل الان في اللهجة المصرية بمعنى (الخبز) ، ولفظة (العتيد) وتعني الحاضر ، وتستعمل الان بنفس اللهجة بمعنى القديم ولا علاقة كما ترى بين المعنيين ، ولفظة (المهلهل) التي تورد في المعجمات بمعنى النسيج الرقيق الذي يكاد يشف عما في داخله وتسود الان بمعنى الثوب الرث والعتيق الممزق ، وهذا كله يرجع الى سوء الفهم للدلالة الأصلية في الألفاظ .

(١) في اللهجات العربية ص ١٨٥

المبحث الرابع :

«تطور الدلالة»

اللغة هي كائن حي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره،فهي تنشأ وتتطور وتموت كأي كائن حي،وهي ظاهرة اجتماعية تحيا وسط المجتمع وتنمو بنموه وتنحط بانحطاطه ، وهي قابلة للتطور أو الانقراض كأي ظاهرة اجتماعية تنشأ في المجتمع وليست هي من صنع فرد او مجموعة أفراد وانما هي نتيجة حتمية للحياة في مجتمع يجد افراده أنفسهم مضطرين الى اتخاذ وسيلة معينة للتفاهم عما يجول في انفسهم وهي وسيلة لتبادل الأفكار وليس (١) في قدره الأفراد أن يوقفوا تطور لغة أو يجعلوها تجمد على وضع خاص ، فمهما أجادوا في وضع معجماتها وتحديد الفاظها ومداولاتها ، ومهما بذلــوا من قوة لمحاربة اللحن الذي يطرأ عليها فأنها لاتلبث أن تحطم هذه الأغلال وتفلت من هذه القيود وتسير في السبيل التي تريدها .

واللغة العربية هي اكثر اللغات قابلية للتطور لأنها من أوسع اللغات الحية لقابليتها عـلى الأشتقاق (٢) والنحت والتوليد لأن النحت يعتبر وسيلة من وسائل ابداع الألفاظ المطلوبة وهي كما قلنا ظاهرة اجتماعية تخضع لما يخضع غيرها من ألوان النشاط الأنساني الى عوامل الزمان فتتأثر سلباً وايجاباً ، فربما لاتتطور اللغة نحو مستوى متقدم رفيع بل ، تنزل الى درك من التغيير والتبدل تبعاً للمستوى الحضاري والثقافي الذي عليه الأمة .

ولقد نفذت (٣) مشكلة التطور اللغوي نبرزت في مختلف الموضوعات خاصة في الوقت الحاضر فظهرت مصطلحات العلوم والطب والفلسفة وغيرها .

ماالمقصود بتطور الدلالة ؟ نعني بالتطور الدلالي تغير معاني الكلمات ، وهي ظاهرة شائعة في جميع اللغات ، والحقيقة ان دراسة تطور المعاني من المشكلات الرئيسة التي تواجه اية

---

(١) ينظر لحن العامة والتطور اللغوي،ص ٣٠

(٢) ينظر النحت في العربية واستخدامه في المصطلحات العلمية ص ٢٧

(٣) ينظر التطور اللغوي التاريخي ص ٣٢

لغة لان اللغة مقيدة بحدود زمانية ومكانية ومقاييس اجتماعية ونفسية وثقافية يصعب معها توجيه دلالات الالفاظ وماتشير اليه بدقة (١) .

ان التغير الذي يطرأ على معاني الكلمات او الالفاظ يحدث في كثير من الاحيان بالتدريج بحيث لايستطيع المرء ان يكتشف الخطوات المختلفة لعلة التغير وسبب هذا التغير .

أسباب تطور الدلالة :

للتطور الدلالي أسباب كثيرة جداً وأحياناً أسباب لايعرفها الأنسان نفسه الذي يستعمل اللفظ بغير دلالته الاصليه ، ومنها أسباب لاشعورية توجد في كل بيئة ، ومنها أسباب مقصودة ، ومن المهمة في تطور الدلالة :

١ ــ الاستعمال (٢) :

ويقصد به استعمال اللغة في الماضي والحاضر ، وانتقالها بين الأجيال فمعاني الألفاظ التي كانت مستخدمة في العصر الجاهلي لم تبق جامدة على حالها بعد الاسلام بل طرأ عليها تغير كثير . وحتى الألفاظ الأسلامية لم تبقى ثابتة وهذا هو شأن اللغة، فألفاظ كثيرة في العصر الجاهلي كانت تحمل دلالات خاصة و بمجيء الأسلام تطورت هذه الدلالات واصبحت تحمل معان جديدة لم يكن يعرفها المجتمع الجاهلي ، وهذا شأن الألفاظ وما تحمله من دلالات في كل عصر وبيئة ، وقد يقتضي الأستعمال في بعض الأحيان غلبة ألفاظ أجنبية حتى نستغرب عندما نسمع انها غير عربية مثل : «التلفون» وهي كلمة فرنسية ، وكلمة «قماش» وهي فارسية الأصل و «دكان» وغيرها من الألفاظ المتداولة في لغتنا.

٢ ــ سوء فهم المعنى : وقد سمى الدكتور رمضان عبد التواب هذا بالقياس الخاطيء(٣) ومعنى القياس الخاطيء : أن الأنسان قد يأتي بكلمة من عنده فتنتشر ويكثر استعمالها ويقلده في ذلك الأجيال التي تأتي بعده ، ولم يعرف انها خطأ ، مثلنا لذلك لفظة الأستهتار التي تعني الولوع بالشيء والغرام به ، والمستهتر بزنة اسم المفعول : المولع وفي الحديث «والمستهترون» ــ بفتح التاء ــ المولعون بالذكر والتسبيح . وجاء في حديث اخر «هم

---

(١) ينظر الترادف في اللغة ص ١٣

(٢) ينظر دلالة الألفاظ ص ١٤ ولينظر أيضا الترادف ص ١٥

(٣) ينظر لحن العامة والتطور اللغوي ص ٢٣

الذين استهتروا بذكر الله » أي اولعوا والمستهتر في لغتنا الحاضرة الذي نتج عن القياس الخاطيء ، يعني الخارج عن القصد والمتزيد من العبث واللهو والذي لايلتزم الحدود في عبثه ولهوه .

ومثله الفعل «شجب» الذي يرد في المعجمات العربية بمعنى الهلاك ، وأشجنه الله أي أهلكه ، وقد استعملته اللغة الحاضرة وخاصة في لغة الصحافة بمعنى الرفض حيث نسمع مثلا (شجبت الحكومة الأردنية تأييد اسرائيل للعدو الفارسي) ومثله (المخابرة)(١) التي وردت بمعنى المزارعة ببعض مايخرج من الأرض ، وعن رسول الله (ص) انه نهى عن المخابرة المؤاكدة ، وهي الان تستعمل بمعنى حدوث سؤال وجواب ومكاتبة بين جهات عدة حول موضوع ومثل القياس الخاطيء ماوردناه في المبحث السابق في لفظه (عتيد) ، والسفاهة في الأصل من سفهت الطعنة اسرع منها الدم وجف وهي الان تعني الطيش . وقد عقد ابن السكيت في كتابه (اصلاح المنطق) باباً سماه (مما تضعه العامة في غير موضعه) (٢) حيث قال : أكلنا ملّة وانما الملة هي الرماد الحار واستعملوه بمعنى الخبز . وقوله (خرجنا نتنزه) اذ اخرجوا الى البساتين وانما التنزه التباعد عن المياه والأرياف .

٣ ـ التغير الأجتماعي والسياسي :

يصيب الأبتذال (٣) بعض الألفاظ لأسباب سياسية واجتماعية وعاطفية فنحن نعرف ان الحياة الأجتماعية في تغير مستمر مع تغير الزمن ، وهذا التغير في الحياة الإجتماعية يتبعه تغير في المستوى الثقافي وتغير في نوع السياسة ومن الطبيعي أن ينتج هذا التغير الفاظاً جديدة ذات دلالات جديدة تساير الحياة التي يعيشها الفرد ، والحقيقة ان هذه الأسباب (الأجتماعية ، السياسية ، الأقتصادية ، العاطفية) تعتبر الرئيسة والمهمة في تطور دلالات الألفاظ ، فنحن عندما نقرأ مثلا شعراً لأي شاعر جاهلي لانفهم بعض الفاظه الا بعد الرجوع الى المعجمات العربية . وقد كانت هذه الألفاظ الجاهلية مفهومة في عصرها ولم يجد أبناء ذلك العصر أية صعوبة في فهمها لأن الألفاظ ودلالاتها تنبع من داخل المجتمع وتواكب حاجاته وترقى بأغراضه .

---

(١) ينظر التطور اللغوي التاريخي ص ١٢٦

(٢) اصلاح المنطق ص ٣٠٢

(٣) دلالة الألفاظ ص ١٥

ولنمثل في الناحية السياسية فمن الطبيعي أن تكثر الفاظ معينه في كل عصر حسب نوع السياسة التي تحكم البلد فأين الألفاظ التي سادت في العراق بعصر من العصور (باشا بيك ، أفندي ، معالي ، ملك) ، لقد انزوت هذه الألفاظ وماتت وظهرت مكانها الفاظ (رئيس ، سيد ، أستاذ) ومثلها لفظة الحاجب التي شاعت بكثرة في العصر العباسي وهي تعني الشخص الذي يمنع دخول عامة الناس من مقابلة الخليفة ، وتطورت الى مايقابل رئيس الوزراء ، فقد ماتت هذه اللفظة نتيجة تغير نوع السياسة فكل حكم يأتي بمصطلحات أو ألفاظ لايلبث أن يتعود عليها أفراد المجتمع بتطور الزمن وبمجرد انتهاء هذا الحكم تنتهي معه الفاظه في أغلب الأحيان . وقد يترتب عن الأبتذال كما يقول الدكتور ابراهيم أنيس : انحطاط الألفاظ (١) ومن هذه الألفاظ المبتذلة ألفاظ الشتائم والسباب . وهي ألفاظ شاء لها القدر أن تكتنف بظروف اجتماعية جعلت منها الفاظاً قبيحة الدلالة بغيضة الى السمع واللسان .

٤ ـ الحاجة (٢) :

هو نوع من التطور في الدلالة يكون وليد الحاجة الى التجديد ، ويتم هذا التطور على أيدي الموهوبين من أصحاب المهارة في الكلام كالشعراء والكتاب ، ومن الحاجة ظهرت المصطلحات ، وهذه تتكون (٣) عندما يشعر الناس بالحاجة اليها ولايشعر أحد بالحاجة اليها الا عندما يفكر في مدلولاتها فيضطر الى البحث عنها في أحاديثه وكتاباته ، ولهذا السبب عندما انقطع العرب عن التفكير في مواضع العلوم توقفت نمو اللغة ونشوء الأصطلاحات ، وعندما اخذنا نلتفت الى العلوم الحديثة صرنا ندرسها باللغات الأجنبية فلم نترجم منها الا مبادئها كمصطلحات الطب والرياضيات وغيرها من العلوم الحديثة الأخرى .

واهم عناصر الحاجة أو دوافعها هو التطور الاجتماعي والأقتصادي وهذا مانستطيع أن نضرب له مثلا ظهور بعض الالفاظ في عصرنا الحاضر بسبب الحاجة اليها ، القنبلة ، اللغم الدبابة ، وهذه الألفاظ كلها جاءت وليدة الحاجة .

---

(١) ينظر دلالة الألفاظ ص ١١

(٢) ينظر دلالة الالفاظ ص ٧١

(٣) ينظر المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية ص ١١٨

٥ ــ العوامل النفسية (٤) :

من الاسباب المهمة التي تؤدي الى تطور الدلالة العوامل النفسية ، ويميل علماء اللغة في دراستهم لتطور معنى الكلمة الى تدقيق النظر في العوامل النفسية ويذهبون الى ان تحديد القوى النفسية التي تكمن خلف تغير المعنى يتبين في التغير الحقيقي وغير الحقيقي للمعنى فالتجديد الحقيقي للمعنى يبين نوع الارتباط بين المعنى القديم والجديد وهذا الارتباط ، الذي يحكم عملية (التغير) هو الاساس في توضيح العلاقة بين المدلولات وبين الالفاظ ، وهذه العلاقات تعتمد على وجود نوع من المشابهة بين المدلولين أو بين اللفظين ، كما تعتمد على الارتباط بين المدلول واللفظ ، ونقصد بقولنا المشابهة بين المدلولين أو بين اللفظين ، شدة التشابه بين اللفظين فاذا تحدثنا عن ساق الشجرة نكون قد استعملنا اللفظ الدال على ساق الأنسان استعمالا مجازيا ، والذي جوز لنا ذلك هو التشابه بين هذا العضو من جسم الانسان وساق الشجرة كما قلنا سابقاً .

والمجاز هو : انتقال الدلالة للعلاقة غير المشابهة بين المدلولين ، والمجاز هو واحد من سبيل التطور الدلالي وله اثر كبير في مجرى هذا التطور ومن امثلته انتقال الوغى من اختلاط الأصوات في الحرب الى الدلالة على الحرب نفسها لعلاقة المسببة (٢) .

وقد لعب المجاز والاستعارة دورا كبيرا في تطور الدلالة وتغيرها ، ويستعمل المجاز بدافع نفسي احيانا عندما تذهب اهمية لفظ ما اذا كثر استعماله فيحتاج الى تجديد، وقد يتغير مقياس الحكم على اللفظة من جيل الى جيل او طبقاً لاختلاف التقاليد او المستويات فتحتاج الى تجديد اللفظة لأن الكلام يفهم متى عرفه الناس ولم يستغربه وهذا مانلاحظه كثيرا في لغة الشعر والأدب ، فقد يورد الشاعر لفظة (وردة) ولايريد بها الوردة بمعناها الأصلي وانما يريد وصف حبيبته فنفهم ذلك بسبب كثرة الأستعمال .

ومن الذي يؤخذ على الأقدمين تحديد العرب بزمان معين ومكان معين وقد أدت هذه ، النظرة المحافظة (٣) الى ضياع كثير من السبل لمعرفة تطور دلالة الألفاظ .

واليك بعض الألفاظ التي تطورت دلالتها لسبب او لاخر من الاسباب التي ذكرناها :

---

(١) ينظر الترادف في اللغة ص ٥١ وينظر دلالة الالفاظ العربية/ مراد كامل ص ١٣

(٢) ينظر الترادف في اللغة ص ٢٦

(٣) ينظر الترادف في اللغة ص ٢٠

١ ـــ الشرف (١) :

معناها الأصلي المكان العالي الذي لاينال ثم تطورت الى العز والخلق الرفيع والكرم .

٢ ـــ المجد (٢) :

امتلاء بطن الدابة من العلف وهي الان بمعنى الرفيع من باب الاستعارة .

٣ ـــ المأتم :

أصله اجتماع النساء في الخير والشر ، وهو الان بمعنى المصيبة .

٤ ـــ الصمود (٣) :

لم يعرف العرب الصمود من قبل وانما كان المصدر (الصمد) وهو القصد ، ومن ذلك ماجاء في كلام علي بن ابي طالب (رضي) .

(امشوا الى الموت مشياً سجناً فصمداً صمداً حتى ينجلي لكم عمود الحق) فهو هنا بمعنى القصد ، ويستعمل الان في لغتنا بمعنى الثبات والمقاومة .

٥ ـــ الخمر (٤) : ما خامر القلب من الحب ، قال الشاعر :

حتى إذا ما أفاضَ اليوم عبرتَهُ قال العشي الخمري بالضحى فوري

ثم انتقلت إلى كل ما يسكر .

٦ ـــ الهلاك : كانت بمعنى الذهاب وهي الآن تعني الموت .

٧ ـــ المظاهرة (٥) : بمعنى اعلان الرأي أو إظهار العاطفة في صورة جماعية ، والعرب استعملوها بمعنى العون من الظهر كالمساعدة من الساعد .

٨ ـــ الهدف (٦) : كل شيء عظيم مرتفع وهو كل بناء مربع مشرف ، وهي الآن بمعنى القصد أو الغاية .

---

(١) دلالة الألفاظ ص ١٦٤

(٢) دلالة الالفاظ ص ١٦٤

(٣) المباحث اللغوية ص ٣٥

(٤) كتاب الثلاثة ص ٣٣

(٥) محاضرات عن مستقبل اللغة العربية ص ٤٧

(٦) التطور اللغوي ص ٢٦

٩ — الفشل (١) : في اللغة الكسل والتراخي والضعف وهي الآن بمعنى الخيبة وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى جبن «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» .

١٠ — اللّحن (٢) : الخطأ في الكلام ، ومعناها الأصلي قبل الأسلام هو : الميل والألتفات والتحوّيل ، وتفرع من هذا المعنى (الفطن) أي الذي لا يكاد يهدأ لفطنته وسرعة بديهته ، وقد ورد في شعر لبيد حين يصف وليداً يمانياً مرناً على الكتابة :

متعوّدٌ لحنٌ يعيدُ بكفّه فلمّا على عسبٍ ذَبُلْنَ وبانِ

ثم جائت كلمة(ألحن)في الحديث الشريف : «إنما أنا بشرٌ مثلكم وإنكم تختصمون اليّ فلعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجتهمن بعض فاقضي له على نحو ما أسمع منه ممن قضيتُ له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئاً فانما أقطع له قطعة من النار» . وتفسّر كلمة (ألحن) هنا بمعنى أوضح أو أكثر ميلاً والتفاتاً عن الطريق المستقيم في الأدلاء بحجته ، وتطورت (الحن) بمعنى (الغناء) التي عرفت أيضاً بهذه المادة في عصر الأسلام ، ويمكن أن نرجع الغناء إلى المعنى الأصلي العام وهو الميل والألتفات والتحوّل لأن الغناء ميلاً وانحرافاً عن المألوف في النطق العادي ، وتعني أيضاً النطق على اسلوب مخالف للمألوف أو (اللهجة) ويظهر هذا في قول القائل :

وقوم لهم لحن سوى لحن قومنا وشكل وبيت الله لانشاكله

وتغزل الملك بن أسماء وهو صهر الحجاج بن يوسف وقال في جاريته :

منطق صائب وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحنا

وقد شرح الجاحظ هذا بقوله (تلحن في الكلام أي تخطي ، وان اللحن في الكلام مما يستحسن في النساء) . ثم شاع اللحن بمعنى الخطأ حين عظم إختلاط العرب بالاعاجم فقد أطلقوا علماء اللغة على كل أنحراف عن المألوف في لغة العرب (لحناً) .

وغيرها من الالفاظ التي يصعب جمعها والتي تطورت نتيجة الاستعمال وتغير الزمن

«اتجاهات تطور الدلالة»

لقد حدد علماء اللغة المحدثون تطور الدلالة في مظاهر أو اتجاهات رئيسة هي :

أ — تخصيص الدلالة

---

(١) محاضرات عن مستقبل اللغة ص ٤٧

(٢) منقول عن اسرار اللغة ص ٢٠٣

٢ ــ تعميم الدلالة

وسنوضح بالتفصيل ما المقصود بخصوصية الدلالة وعمومية الدلالة، فاذا إنتقل مجال الدلالة من الخاص الى العام أو من العام الى الخاص ، فيكون هذا من أهم مظاهر تطور الدلالة .

تخصيص الدلالة : المقصود بخصوصية الدلالة اقتصارها على بعض أجزائها ، فيضيف بذلك شمولها ، يقول الثعالبي (الخاص هو الذي يتخلل فيقع كل شي دون أشياء وذلك كقوله تعالى من سورة البقرة «واتقون يااولي الالباب » (١) فخاطب الله سبحانه وتعالى أهل العقل خاصة .

وهذا تعريف بسيط جداً لخصوصية الدلالة ، والدلالة الخاصة هي أكثر شيوعاً من الدلالة العامة لانها أقرب الى فهم الانسان ، ولان الانسان في حياته اليومية يحتاج الى دلالات خاصة لتعبر عما يريده وما توفي بحاجياته لان اللغة أنما هي الوسيلة الوحيدة للايفاء بالتعبير عن الحاجات التي يريدها الانسان وان الانسان في نموه يعرف الدلالة الخاصة قبل معرفته للدلالة العامة ، يقول الدكتور ابراهيم أنيس: «كل لفظ جديد على سمعه علماً مثل السرير الذي يربطها جهده الخاص به» (٢) . والناس في حياتهم لايميلون ــ كما قلنا ــ الى الدلالة العامة أو الدلالة الكلية لانهم يرون ويسمعون ويلمسون الدلالة الخاصة ولذلك يسهل عليهم تداولها والتعامل .

ومن أمثلة خصوصية الدلالة ما جاء به الثعالبي في باب نعوت النساء حيث خص كل لفظة بصفة من صفات النساء :

الخريع : المتثنية من اللين وقد فرعت فرعاً .

الحواريات : نساء الاقصار لبياضهن .

العطبول : الطويلة العنق .

العيطل : الطويلة العنق في حسن جسم .

الرعدوة : السريعة الشباب مع حسن غذاء .

ومن الالفاظ الاخرى ماذكره السيوطي في باب (المطلق والمقيد) (٣) حيث يقول :

---

(١) فقه اللغة ص ٢٠٩

(٢) دلالة الألفاظ ص ١٥٣

(٣) المزهر (٤٤٩/١)

الكأس : لاتكون كأساً حتى يكون فيها شراب والا فهو قدح .
المائدة : لايقال لها مائدة حتى يكون عليها طعام والا فأنها خوان .
السجل : لايكون سجلا الا أن يكون دلواً فيها ماء .
وقود : لايقال وقود الا إذا اتقد النار والا فهو عطب .
ثرى : لايقال ثرى الا اذا كان ندياً .

وقد عقد أبن فارس في كتابه الصاحبي بابا سماه (باب الخصائص) (١) يقول : «وللعرب كلام بألفاظ تختص به معان لايجوز نقلها الى غيرها .. ومن ذلك التتابع : التهافت ولم يسمعه الا من الشر» ، وقد نقل السيوطي قول المبرد (٢) : التأويب : سير النهار لاتعريج فيه والاساد : سير الليل لاتعريس فيه، ونقل قول الخليل: اليعملة من الابل أسم مشتق من العمل ولا يقال الا للاناث وقول القالي :سبأت الخمر اشتريتها ولا يكون السباء الا في الخمر وحدها .

وفي فقه اللغة للثعالبي (٣) حيث حصى صفات الجمال عند الأنسان وتخصيص كل عضو من أعضائه بصفة جمالية خاصة وهو يقول: الصباحة في الوجه، الوضاءة في البشرة الجمال في الأنف، الملاحة في الفم، الحلاوة في العينين ، الظرف في اللسان، الرشاقة في القد، اللباقة في الشمائل، كمال الحسن في الشعَر.

وحدّد الثعالبي ألفاظاً خاصة لساعات النهار ولساعات الليل حيث رتبَ ساعات النهار بهذا الترتيب.

الشروق، البكور ، الغُدوة ، الضحى، الهاجرة، الظهيرة، الرواح، العصر ، القصر، الأصيل، العشي، الغروب.

واما ساعات الليل فهي بالترتيب الاتي:
الشفق، الغسَق، العتمة، السُّدفة، الفحمة، الزلة، الزُلفة ، البُهرة، السحرَ ، الفجر، الصبح ثم الصباح.

ومن الألفاظ الاخرى ماذكره ابن فارس في كتابه الصاحبي: (٤)

---

(١) الصاحبي ص ٣٦
(٢) المزهر (١/٣٢٤)
(٣) فقه اللغة ص ٣٢
(٤) الصاحبي ص ٤٠

القلم لايكون قلماً الاّ وقد بُري وأصلحَ والاّ فهو أنبوبة.
الكوب لايكون أنبوباً الاّ بلا عروة.

ولو تأملنا في كل هذه الألفاظ التي ذكرناها ومدى استعمالها في لغتنا الحاضرة لوجدنا ان اللغة العربية الحاضرة حررّت نفسها من كثير من الشروط التي وضعت في هذه الالفاظ فنحن الان نطلق لفظ (الكأس) على حدٍّ سواء في حالة امتلائه أو خلّوه من الماء ولا نخصص ساعات النهار الاّ بقولنا صباح، ظهر، عصر، غروب، ليل، ولذلك نلاحظ أختفاء الكثير من هذه الألفاظ التي لانستعملها لغتنا الحاضرة الاّ استعمالاً نادراً، وقد ماتت دلالة كثير من هذه الالفاظ.

عمومية الدلالة أو تعميم الدلالة :

وتعني إطلاق نوع خاص من أنواع الجنس على الجنس كلّه، وقد عرّف ابن فارس العموم بقوله «العام الذي يأتي على الجملة لايُغادر منها شيئاً»، وذلك كقوله جل ثناؤه «خلق كلُّ دابةٍ من ماء» (١). أي ان العموم يشمل جميع أجزاء الجملة.

ونلاحظ ان عموم الدّلالة يستعمل خاصة في المجتمعات المتقدّمة، وتبعاً للمستوى الثقافي الذي يسود ذلك المجتمع. فمتى ماأحسَّ المتحدث بأن السامع يفهم ما يقصده في الكلام لجأ الى التعميم لكي لايكلف نفسه جهد التخصص والأطالة في وصف الشيء بدقة، وقد يحدث مايشبه عموم الدلالة عند الأطفال، حيث انهم يطلقون ألفاظاً عامة يريدون أو يتوهمون بأنها ألفاظ خاصة كأطلاقهم لفظ (بابا) على كل رجل، أو أطلاقهم لفظ الحصان على كل حيوان كبير وهذا ينتج من قلة تجاربهم وقصر فهمهم.

لقد عقد الثعالبي في كتابه (فقه اللغة) باباً لهذا الموضوع اسماه (باب الكليات) (٢) يقول فيه وارداً لبعض الألفاظ التي تحمل العمومية.

كلُّ ماعلاك فاظلك فهو سماء.

كلُّ أرضٍ مستوية هي صعيد، كل بناء مربع هو كعبة، كل كريمة من النساء والأبل وغيرها فهي عقيلة (٣).

ونلاحظ في لغتنا الحاضرة إطلاق الفاظ خاصة يراد بها العمومية، وهذا ينتج اما

---

(١) الصاحبي ص ٢٠٩ يذكر رقم الاية والسورة
(٢) فقه اللغة ص ١٥
(٣) فقه اللغة ص ١٦

بقصد الأختصار ولأن السامع يفهم مراد المتكلم أو بسبب سوء فهم المعنى كأطلاقنا لفظة الشجرة على كل أنواع الشجر، واطلاق لفظ (الورد) على كل أنواع الورود أو الزهور، ولفظ البحر على النهر والبحر، ومن هذا التعميم أيضاً كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس (تحويل الأعلام الى صفات مثل: حاتم الكريم، المضياف وعرقوب المخادع) (١) ومثله تعميم الدلالة قولنا (خرجنا نتنزّه) فمعناها الأصلي عند ابن السكيت الخروج الى البساتين (٢)، ولكننا نستعمل هذه اللفظة (التنزه) لكل خروج حتى اذا لم يكن الى البساتين. وسنبين في السطور القليلة الآتية ظاهرة أنتقال الدلالة أو تطورها من الخاص إلى العام وبالعكس، وسنورد بعض الأمثلة لألفاظ تطورت بهذا الأتجاه أو ذاك.

١ — تطور الدلالة من الخاص الى العام: قد تنتقل دلالة الألفاظ من معنىً خاص ضيق إلى معنى عام واسع، وهذا يعتبر مظهر من مظاهر تطور الدلالة، أي أن اللفظة تخرج من نطاق ضيق الى نطاق واسع في المعنى (٣)، بحيث تصبح مدلول الكلمة حاوياً على أشياء تكثر في عددها عما كانت تدل عليه الكلمة في الأصل إلى الحد الملحوظ.

ويكون هذا التغير أو التطور لاسباب كثيرة منها أجتماعية ونفسية وثقافية وعاطفية بيناها سابقاً.

واليك بعض الالفاظ وإن كانت قليلة وهذه الالفاظ تطورت دلالتها من الخاص الى العام بسبب من هذه الاسباب السابقة الذكر.

١ — الورد (٤): أصله إيتان الماء ثم صار انتقال كل شي ورداً.

٢ — القرب: طلب الماء ثم صار يقال ذلك لكل طلب فيقال: هو يقرب كذا أي يطلب كذا.

٣ — الفعل جنى (٥): أصله من جنت الثمرة، والاصل في اجتناء الثمرة تناولها من الشجرة من غير إذن مالكها، وهو ذنب قبيح فكان الاستعمال الحقيقي قولهم (جنى
٤ — البأس (٦): الشدة في الحرب ثم صار معنى الشدة في كل شيء، قال الله سبحانه وتعالى «فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا».

---

(١) دلالة الألفاظ ص ١٥٥
(٢) اصلاح المنطق ص ٣٠٢
(٣) دلالة الألفاظ ص ٤٥
(٤) ينظر الصاحبي ص ٤١
(٥) التطور اللغوي ص ٣٨
(٦) الترادف في اللغة ص ٤٥

٥ ـ الوغى (١) : أختلاط الاصوات في الحرب ثم كثر فصار الحرب وغى .
٦ ـ الدفن للميت ثم دفن سره أذا كتمه .
٧ ـ الظمأ : العطش وشهوة الماء ، ثم كثر حتى قالوا: ظمئت الى لقائك ، وهذا استعمال مجازي مايقول المتنبي :

اظمأتني الدنيـا فلما جئتها مستسقيـاً مطرت علـي مصـائبا

٨ ـ الغيث : المطر ثم صار مانبت بالغيـث غيثاً ، ونحن الان نستعملها بالمعنى الاصلي
٩ ـ العمى : أصله في العين ثم قالوا : عميت عنه الاخبار اذا سترت ، ولا أرى في هذه الكلمة أنتقال من الخاص الى العام وانما هو تطور بسبب المجاز الذي كان السبب الرئيس في تطور الدلالة .
١٠ ـ السحاب : المطر والسماء، وهي الآ ن السحابة التي تسبق المطر (٢) .

٢ـتطور الدلالة من العام الى الخاص :

المظهر الثاني أو الأتجاه الثاني في تطوّر الدلالة هو انتقالها من العام الى الخاص، ونعني به خروج الكلمة من معنى عام إلى معنى خاص ، أي تصنيف شمول الدلالة وأقتصارها على أشياء أقل عدداً مما كانت عليه الكلمة في الأصل.

وقد عقد ابن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) باباً في ذلك سماه (باب في العموم والخصوص) وقد أوردنا أمثلة. منه مثل هذه الأسطر.

ومن بعض الألفاظ التي تطورت من معنى عام الى معنى خاص مايلي :

١ ـ الحميم (٣): يقع على الماء الحار والبارد، وهو الآن يستعمل للماء الحار خاصة، يقول أبو عمرو (والحميم الماء البارد) وانشد:

فـساغَ لي الشرابُ-وكـنتُ قبـلاً أكادُ أغـصُّ بالمـاءِ الحميـم.

٢ ـ السبت (٤): كانت تعني الدهر، وهو الآن خص بيوم من أيام الأسبوع.
٣ ـ الفيء: معناه في الأصل الظل مطلقاً ، وتخصص استعماله بالفيء بعد الظهر خاصة.

---

(١) المزهر (٤٢٩/١)
شرح في ديوان المتنبي ١٢٤/١ (التبيان)
ضمتني الدنيا : البيت
(٢) الجمهرة (٣٣٤/٢)
(٣) منقول عن الجمهرة (٣٣٤/٢) والمجمل ص ١٩٢
(٤) المزهر (٤٧١/١)

٤ ــ الوَغْد: أصله في كلام العرب (الضعيف) ثم كثر استعمالهم له حتى قالوا: اللئيم الى جانب الضعيف، يقول أبو العباس: أنشد ابو العباس (اي: ثعلب)

انشد ابو العباس (أي ثعلب النحوي) :

إذا أفسَدتَ أولَ كلِّ أمرٍ ... أبت إعجازُه الا التواءا (١)
إذا داوَيتَ دينكَ بالتناسي ... وبالايان أطفَاتَ الدواءا
إذا سوّمتَ أمركَ كلَّ وغدٍ ... لئيمٍ كان أمرُكُما سواءا

فاستعمل الوغد هنا بمعنى اللئيم والضعيف .

٥ ــ الغريب: أصل معناه المبُعَد عموماً ثم خصَّ به المبُعَد عن الوطن يقول الشاعر:

أما من مقامٍ أشتكي غربة النوى ... وخوفَ العدى فيه اليكِ سبيلُ(٢)

٦ ــ تخصيص الغنم باسم الضأن التي كانت تقع على الضأن والمعز جميعاً ولكن الاستعمال قصره على الضأن خاصة (٣) .

٧ ــ الحريم: كانت تطلق على كل محرّم لايُمَسّ وقصره الاستعمال الحاضر على النساء فقط.

٨ ــ البعير (٤) : مرادفاً للجمل والبعير يطلق على الجمل والناقة ثم خصوا به الجمل؛

٩ ــ الثُمالة (٥): بقية الماء في الأناء، الرغوة والجمع (الثمال) وقد استعملت الآن لغير هذا المعنى فيقال مثلاً (شرب حتى الثمالة) أي أكثر في شربه حتى أختلَ توازنه وفقد السيطرة على أعضائه، وكثر حتى سمعنا قول الروائيين (إنغمسَ في كذا حتى الثمالة) وهذا يجيء من باب المجاز.

«سمو الدلالة ــ انحطاط الدلالة ــ موت الدلالة»

تلنا قبل قليل ان اللغة كالكائن الحي تنمو وتتطور ثم تموت، وأنها تتأثر سلباً وإيجاباً بالظواهر الأجتماعية ، ربما ان اللغة ظاهرة اجتماعية نأنها تخضع لما تخضع له جميع الظواهر الاجتماعية في المجتمع ، نهي ترتقي برقي المجتمع وتنحط بانحطاطه.

---

(١) الأبيات في الزاهر (١/٤٠٣)
(٢) الابيات في الزاهر (١/٢٩٥)
(٣) ينظر دلالة الألفاظ ص ١٣٥
(٤) الترادف في اللغة ص ٤٥
(٥) المجمل ص ١٢٣

وكثيراً مايصيب الدلالة بعض الانهيار أو الانحطاط ، فنجدها تفقد بعضاً من قيمتها في الأذهان أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال من المجتمع الاحترام والتقدير، ومثلما تنحط الدلالة في الفاظ معينة تقوى في ألفاظ أخرى وهذا ماينتج عنه رقيّ أو سمو في الدلالة ، وأحياناً تموت الدلالة وتنسخ من الأذهان نهائياً.

ولو تتبعنا تطور الألفاظ العربية منذ العصر الجاهلي الى الآن لوجدْنا ألفاظاً كثيرة تطورت وسمَتْ وأخرى انحطت وانزوت في المجتمع وانمسخَت من الأذهان ، ونحن نعرف أن مجيء الأسلام كان ثورة كبرى في المجتمع، ثورة على كل العادات والقيم السيئة في المجتمع الجاهلي، فقد سادت في المجتمع الجاهلي عادات وتقاليد من الصعب بتها من جذورها لولا معجزة الله سبحانه وتعالى ببعث الرسول عليه الصلاة والسلام ونزول القرآن الكريم.

عندما نزل القرآن الكريم كان من واجب كل مسلم ان يعرف معنى جميع الكلمات او الألفاظ الموجودة فيه وشرح الغموض في بعض ألفاظه — إن وجدَ هذا الغموض — لذلك نلاحظ ظهور شروح وتفسيرات عديدة، وقد نشطت حركة التأليف وكان القرآن الكريم في الحقيقة هو المحور الاساسي لكثير من الدراسات اللغوية، يقول أبو عمرو بن العلاء وهو أحد القرّاء السبعة : « إن فهم لغة القرآن وتدبر معانيه غاية كل مسلم وان الشعر واللغة ينبغي أن يكونا أدوات لفهم لغة القرآن» (١) .

إن الاسلام هو النهضة الكبرى لكلّ شيء، وهو النهضة الكبرى أيضاً في تطور الألفاظ وسبباً مباشراً من أسباب سموّ ألفاظٍ كثيرة ، وان الأسلام هو حضارة جديدة بل هو كل الحضارة العربية لحدّ الان، فمن الطبيعي أن تتطلب هذه الحضارة الأسلامية الحديثة لغة جديدة أو مادة لغوية جديدة، فلذلك اهتم الأقدمون بشرح هذه اللغة لفهم العقيدة الأسلامية وشغفهم في معرفتها ، ففي لغة القرآن توجد ألفاظ استعملت بمعانٍ جديدة لم تكن سائدة .

يقول ابن فارس في باب (الأسباب الأسلامية) من كتابه الصاحبي:

«كانت العرب في جاهليتها على إرثٍ من إرثِ آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم فلما جاء اللهُ بالأسلام حالت أحوالٌ ونُسخت ديانات وأبطلت أمور ونُقلَت من اللغة ألفاظ من مواضع الى مواضعٍ أُخَر بزيادات زيدَتْ وشرائع شرعت وشرائط شُرطَت»(٢)

(١) التطور اللغوي ص ٣٤

(٢) الصاحبي ص ٧٨

وكان مما جاء به الأسلام ألفاظ كثيرة كانت تستعمل لغير معنى ، وبذلك كان الأسلام وما زال السبب المباشر في سموّ الألفاظ بحيث أصبحت بعض الألفاظ مقدّسة لاينصرف الذهن الى معنىً غيرها.

واليك بعض ماتيسر لنا من ألفاظ قد تطورت وسمت بمجيء الأسلام :

١ — الرسول، الأمام الملاك: كانت تعنى (الرسول) الشخص المبعوث لقضاء مهمة ما، ثم انحصرت هذه الكلمة بالرسالة وصاحبها وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك لفظة (الإمام) التي انحصرت فيما بعد بالشخص الذي يقود الجماعة فتطيعه وتتبعه .

٢ — الصلاة: كانت تعنى في لغة العرب الدعاء والتثويب ، وقد زاد بها الأسلام مازاد من سجود وركع.

٣ — رمضان (١): لم يعرف العرب هذه اللفظة قبل الأسلام وانما عرفوا (الرمض) التي تعني الحر الشديد، وقد خُصَّت في الأسلام بشهر الصيام .

٤ — الفلاح (٢): لم يكن معناه عند العرب غير البقاء، أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى ؟

لكلّ همّ من الهموم سَعَةْ والمسى والصبحُ لافلاحَ مَعَهْ

أراد لابقاءَ له ولا خلودُ ومنه أيضاً قول لبيد :

لو كانَ حيٌّ مدركُ الفلاحِ أدركهُ ملاعبَ الرماحِ

أراد البقاء أيضاً ، ثم تطورت الى معنى (الفوز) كقولنا في الصلاة (حيَّ على الفلاح) وقوله تعالى من سورة البقرة «أولئكَ هم المفلحون» أي هم الفائزون.

٥ — الأيمان والمؤمن (٣): لم يكن معناه عند العرب غير التصديق، والمؤمن هو المصدّق ثم زادت الشريعة شرائطاً وأوصافاً بها سمي المؤمن بالأطلاق وقد حدّدها الرسول الكريم (ص) بقوله: «الايمان أن تؤمنَ بالله وملائكتهِ وكتبه ورسُلهِ وباليوم الآخر» .

---

(١) الزاهر (٢/٢٦٨)

(٢) الزاهر (١/١٣٢)

(٣) المزهر (١/٢٩٤)

٦ ــ الصبر (١): معناه: معناه الحبس، وقيل قتلوا فلاناً صبْراً، أي حبساً، وفي الحديث «اقتلوا القاتل واصبروا الصابر» أي وأحبسوا، ومن ذلك أيضاً الحديث المروي في الزاهر أن الرسول (ص) نهى أن تُصبرَ البهيمة ثم ترمى حتى تُقتل (٢). وانتقلت الآن الى صبر النفس على المصائب التي تواجه الأنسان وعدم الجزع او الهلع، ويلاحظ ان العلاقة قوية بين المعنيين وانما انتقل من باب المجاز .

٧ ــ المنافق: اسمٌ استحدث في الأسلام، وهو الذي دخل الأسلام بلسانه دون قلبه، وقد كثر الآن بمعنى الأنسان الذي يظهر عكس مايبطن أو الأنسان الذي يراوغ في كلامه .

٨ ــ الفسق (٣) : لم يعرفوا العرب منها قبل الاسلام غير فسقَتْ الرطبة إذا خرجت من قشرها ، ومعناها في الاسلام الافحاش في الخروج عن طاعة الله ، والان يقال فاسق لكل من خرج عن الطريق السوي الصحيح .

٩ ــ الكُفر (٤) : لم يعرفه العرب الا بمعنى الغطاء والستر من قولهم (قد كفرت المتاع في الوعاء اكفره كفراً إذا سترته فيه) يقول أبو العباس (أنما قيل لليل كافر لانه يغطي الاشياء بظلمته) وقد أنشد لبيد :

يعلو طريقة متنها متواتراً في ليلة كفر النجوم غمامها

أراد غطى ويقال للزارع كفّار ، لانه يلقي البذر في الارض أي يغطيه في التراب متمثلا هذا بقوله تعالى من سورة الحديد «كمثل غيث أعجب الكفار نباته» .

١٠ ــ الثواب : الشكر أذا أطلق الفارس على الثواب أي على الشكر فعلى الاسير أن يشكر نعمة الفارس عليه وشكر الفارس يتم عن بعث دية والنعمة هو الفضل على الاسير ثم تطورت الى ما يقابل الاحسان والاجر .

وتوجد بعض الالفاظ ماتت وانزوت من المجتمع وابعدت عن الاذهان نهائياً ومن هذه الالفاظ :

---

(١) الجمهرة (١/٤٣٣)
(٢) الزاهر (٢/٢١٢)
(٣) الصاحبي ص ٨١
(٤) الصاحبي ص ٨١ ، المزهر (١/٢٩٥)

١ ــ السجنجل (١) : وكانت تعني المرآة ، يقول أمرؤ القيس :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

٢ ــ القافلة . التي كانت تعني الرجوع .

٣ ــ القرّ (٢) بمعنى الجرب .

٤ ــ الوضيمة : طعام المأتم .

٥ ــ النقيقة : طعام المسافر (٣) .

ومن المعاني التي كانت سائدة في العصر الجاهلي وماتت مايلي :

١ ــ المرباع : أي ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية .

٢ ــ الاتاوة : تعني الخربع

٣ ــ المكس (٤) : الجباية

٤ ــ الحلوان : ما يأخذه الرجل من مهر ابنته

٥ ــ وترك قولهم لمن لم يحج (صرورة) لقوله (ص) : «لاصرورة في الاسلام».

٦ ــ ترك أيضاً قولهم (حجراً محجوراً) فاذا ماتلفظ الشخص بهذه الالفاظ يعلم السامع أنه يريد أن يحرمه.

---

(١) الصاحبي ص١٩٠

(٢) المزهر (٢٩٧/١)

(٣) المزهر (٤٤٥/١)

(٤) الصاحبي ص ٩٠

المصادر والمراجع :

١ ـ إصلاح المنطق لابن السكيت ١٨٦ ـ ٢٤٤ هـ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، سلام محمد هارون / دار المعارف بمصر .

٢ ـ كتاب الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ابراهيم ، التراث العربي ، سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر في الكويت ١٩٦٠ .

٣ ـ الأفصاح في اللغة لعبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى ١٩٢٩ .

٤ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي ، القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ .

٥ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ .

٦ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ .

٧ ـ الترادف في اللغة لحاكم مالك لعيبي الريادي / منشورات وزارة الثقافة والأعلام ١٩٨٠ .

٨ ـ التطور اللغوي التاريخي : محاضرات القاها د . ابراهيم السامرائي على طلبة الدراسات الأدبية ١٩٦٦ .

٩ ـ كتاب الثلاثة : لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق د . رمضان عبد التواب ط . الأولى ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر / القاهرة ١٩٧٠ ، وطبع الكتاب مرتين في القاهرة وبيروت .

١٠ ـ الجمهرة في اللغة لابن دريد / دار صادر للطباعة والنشر .

١١ ـ الخصائص لابن جني / مطبعة الهلال بمصر ١٩١٣م .

١٢ ـ دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ط ٧ ، دار العلم للملايين / بيروت آذار (مارس) ١٩٧٨ .

١٣ ـ دلالة الألفاظ : للدكتور إبراهيم أنيس ط ٧ ـ ١٩٧٦ ، الناشر / مكتبة الأنجلو المصرية .

١٤ ـ دلالة الألفاظ العربية وتطورها : محاضرات آلقاها د . مراد كامل ١٩٦٣ .

١٥ — رسائل في اللغة والنحو : وزارة الثقافة والأعلام ، مديرية الثقافة العامة سلسلة التراث سنة ١٩٦٨ ، تحقيق د . مصطفى جواد .
١٦ — الزاهر لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ت ٣٢٨ هـ / تحقيق د . حاتم صالح الضامن / الجمهورية العراقية / وزارة الثقافة والأعلام / دار الرشيد للنشر ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩ م .
١٧ — شرح ابن عقيل تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد / مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٤ م
١٨ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي / القاهرة ١٣٥٠ هـ .
١٩ — الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق وتقديم مصطفى الشويمي مؤسسة بدران بيروت — لبنان ١٩٦٣ .
٢٠ — فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التوّاب ط ١ ١٩٧٣ .
٢١ — فقه اللغة وسر العربية للأمام أبي منصور الثعالبي، تصحيح عبد العزيز اسماعيل الطهطاوي الأنصاري .
٢٢ — في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ط ٤ القاهرة ١٩٧٣ .
٢٣ — لحن العامة والتطور اللغوي : للدكتور رمضان عبد التوّاب ، ط ١ القاهرة ، ١٩٦٧ .
٢٤ — لسان العرب للأمام العلاّمة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري / دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٦ .
٢٥ — المخصص لابن سيدة — بولاق ١٣١٦ هـ .
٢٦ — المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم واخرين/ القاهرة ١٩٥٨ .
٢٧ — المعاجم العربية د . عبدالله درويش — مكتبة الأنجلو المصرية — مطبعة الرسالة .
٢٨ — المعجم العربي : د . حسين نصار — الموسوعة الصغيرة (٨) منشورات دار الجاحظ للنشر / وزارة الثقافة والأعلام، بغداد ١٩٨٠ .
٢٩ — محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة : القاها د . ابراهيم أنيس على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية ١٩٦٠ .
٣٠ — المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية تأليف د . مصطفى جواد مطبعة العاني بغداد ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .

٣١ ـ المقاييس لابن فارس ط ١ / القاهرة تحقيق عبد السلام هارون .
٣٢ ـ المجمل في اللغة لابن فارس ، تحقيق محمد محيي الدين .
٣٣ ـ ملامح في تاريخ اللغة للدكتور أحمد نصيف الجنابي / دار الرشيد للنشر ١٩٨١ .
٣٤ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي تحقيق أحمد فريد الرفاعي / القاهرة ١٩٣٦ .
٣٥ ـ من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس ط ٥ ـ ١٩٧٥ ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية .
٣٦ ـ النجوم الزاهرة لابن تغري بردى، القاهرة ١٩٣٢ .
٣٧ ـ النحت في العربية واستخدامه في المصطلحات العلمية للدكتور محمد ضاري حمادي (فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي / الجزء الثاني في المجلد الحادي والثلاثين نيسان ١٩٨٠) .
٣٨ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٧ .
٣٩ ـ وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان لابن خلكان ٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ تحقيق د. إحسان عباس .
٤٠ ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين ـ اسماعيل باشا البغدادي استانبول ١٩٥٥ م .
٤١ ـ يتيمة الدهر للثعالبي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / القاهرة ١٩٥٦ .

الخاتمة

لقد تتبعنا في هذا البحث مسيرة تطور الدلالة وكيفية دراستها ، وكيف تناولــه اللغويون القدامى والمحدثون .

وقد جعلت هذا البحث على اربعة مباحث ، اما المبحث الاول فقد ضم تعريفاً موجـزا بحياة العالم اللغوي الكبير – احمد بن فارس – وتعريف بأهم كتبه في علم الدلالــة كما وضحت في هذا المبحث ماحظي به هذا العالم من مكانة محترمة سواء من القدامى ام المحدثين .

أما المبحث الثاني فتناول موضوع تعريف الدلالة بين القدامى والمحدثين حيث جدت على علم الدلالة الحديث دراسات كثيرة ، واصبح علماً مستقلا له مكانته بين علوم اللغــة الأخرى كما استعرضت فيه لأنواع الدلالات حسب الدراسة الحديثة لهذا العلم ، ثم كيف حدد هؤلاء المحدثون أسباباً جديدة للدخول كاسباب فعالة تلعب دورا مهماً فــي الدلالة وتطورها ، وتطرقت الى التعريف بأداة الدلالة والتي هي اللفظة او الكلمــــة ، ومدى تعبير هذه الالفاظ عن المعاني الموجودة في ذهن الانسان ، وهل حقيقة انها تعبّر تعبيرا كاملا عما يحسه الانسان في داخله من عواطف وأحاسيس .

أما المبحث الثالث فقد تضمن تعريفاً للبنية الذي يتبعه اختلافاً في الدلالة ، واوردنا بعض الأمثلة آثرنا فيها الأقتصار على فاء الكلمة تلافياً للاطناب والتطويل ، ثم عرضنا لأثــر اللهجات في نشوء ظاهرة الأشتراك اللفظي ورأي القدامى في وجود هذه الظاهرة في اللغة أو عدم وجودها والآراء التي قيلت في شأنها ، ثم تطرقنا في نفس هذا المبحث الى أثر اللهجات في نشوء ظاهرة التضاد ، وعرضنا لاراء القدامى الذين انكروا وجود التضــاد في العربية وعلى رأسهم (ابن درستويه) وأيدنا رأي السيوطي المعتدل في وجود هذه الظاهرة.

اما المبحث الرابع الذي كان باسم (تطور الدلالة) فقد عرضنا فيه المقصود بالتطور الدلالي واسباب هذا التطور الأجتماعية والنفسية وغيرها من الأسباب الأخرى ، كما بحثنــــا تطور الدلالة من الخاص إلى العام وأسبابه وأوردنا بعض الأمثلة على ذلك ، وبينا أيضاً المقصود بتطور الدلالة من العام إلى الخاص مع الأتيان ببعض الأمثلة على ذلك ، وأرجعنا السبب الرئيس من تطور الدلالة من العام إلى الخاص وبالعكس إلى المجاز اللغوي الذي يعتبر طريق الجمال في كلّ لغة وطريق التطوّر في اللغة والتوسع فيه تتعدّد الدلالات وتتطور .

كما تحدّثنا عن سموّ الدلالة وانحطاطها وموتها مع تركيزنا على الألفاظ التي تطوّرتْ وسَمَتْ في عصر الأسلام ، وجئنا ببعض ماتيسر لنا من الأمثلة على ذلك ، كما مثلنا لانحطاط الدلالة وموتها ، إذْ ان اللغة كالكائن الحيّ تُولد وتنمو ثم تموت ، وهي كالظاهرة الأجتماعية كما يقول بعض العلماء تخضع لما يخضع له المجتمع فترقى برقي المجتمع وتنحطُّ بانحطاطه .

وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب .

ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي (*)

محمد محمود يونس
كلية التربية / جامعة الموصل

توطئـــة

أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي علم من اعلام القرن الرابع الهجري في الأندلس، له دور بارز في الاحداث السياسية في عصره ، حيث استوزره الخليفة الحكم المستنصر ثم ولاه حجابته — اي رئاسة الوزراء — وهو أرفع منصب في الدولة بعد الخليفة .

لعب دوراً مهماً في تنصيب هشام المؤيد خليفة بعد أبيه الحكم ، وكان غلاماً صغيراً لم يناهز الحلم وتولى حجابته لمدة ست سنوات .

(*) للباحث دراسة مفصلة عن الحاجب المصحفي نشرت في مجلة آداب المستنصرية العدد العاشر لسنة ١٩٨٤ تحت عنوان : «الحاجب المصحفي حياته — وشعره، دراسة أدبية تاريخية».

نكب المصحفي في اخريات حياته على يد المنصور محمد بن ابي عامر احد وزراء هشام المؤيد آنذاك ، فاعتقله وصادر امواله ، طالت ايام محنته وامتدت الى ان توفي في المطبق سنة ٣٧٢ هـ .

جمع المصحفي بيده فني الكتابة والشعر وأجاد في كليهما وأبدع ، وعدّ مفخرة يفاخر بها الاندلسيون المشارقة حيث وضعوه ونفرا من شعراء الاندلس المبدعين بازاء بشار بن برد وأبي تمام وابي الطيب المتنبي ، الا انه لم ترد اشارة الى وجود ديوان مجموع له ، ولكن هناك اشارات الى وجود اشعار كثيرة له في مصادر الادب الاندلسي ، التي ضاع كثير منها فيما ضاع من آثار هذا الصقع الخالد من اصقاع الدولة العربية ، لذا وجدتني أتصدى لجمع ماتبقى من شعره وأضعه بين أيدي الباحثين والقراء .

في ترتيب النصوص راعيت التسلسل الهجائي ، معتمداً المصدر الاقدم اساساً للرواية اذا اشتمل على كل أبيات النص ، وان لم يكن الامر كذلك ، فاني اعتمدت المصدر الاحدث اذا كان مشتملا على النص كاملا ، وقد ذكرت المصادر التي اوردت النص ، مبتدئا بالاقدم مراعياً الاساس الذي تقدم ذكره . ويجد القاريء تعريفا ببعض الاعلام والمدن ومعاني بعض الكلمات التي اعتقدت صعوبتها .

كما أن هناك خمسة نصوص اختلف مؤرخو الأدب في نسبتها إلى المصحفي وإلى غيره وقد آثرت ايرادها في موضعها من قصائد المصحفي ، مشيراً إلى الخلاف حول نسبتها .

وأخيراً آمل أن أكون قد وفقت في جمع واستقصاء كل ماتبقى من شعر المصحفي ، والا فاني أرجو نوال أجر المجتهد .

ومن الله السداد والتوفيق

«الشعــر»

(١)

التخريج :

الابيات في الذخيرة ف٤،١:٦٩ ، الحلة السيراء ١:٢٦٧ .

الابيات ١ – ٣ في مطمح الانفس ١٤٤ ، البيان المغرب ٢:٢٧٢ ، نفح الطيب ١: ٤٢١ – ٤٢٢ .

قال لما سيق إلى مجلس الوزارة للمحاسبة : –

(الكامل)

١ – لاتأمنن من الزمان تقلبا   انّ الزمان بأهله يتقلـــب
٢ – ولقد أراني والليوث تخافني   وأخافني من بعد ذاك الثعلبُ (١)
٣ – حسب الكريم مذّلة ونقيصةً   ألا يزال إلى لئيم يطلـــب (٢)
٤ – واذا أتت أعجوبة فأصبر لها   فالدهر يأتي بالذي هو أعجب (٣)

(٢)

التخريج :

الابيات في : ذكر بلاد الأندلس (خ) الورقة ٢٢٤ – ٢٢٥ .

قال ضمن رسالة يستعطف بها المنصور بن ابي عامر(*) :

(الطويل)

١ – فررت فلم يغن الفرار ومن يكن   مع الله لم يعجز في الأرض هـــارب
٢ – ووالله ماكان الفرار لحالـــة   سوى حذر الموت الذي أنا راهـــب

---

(١) في البيان المغرب «والليوث تهابني» في المطمح والبيان المغرب والنفح «فأخافني» .

(٢) في المطمح والنفح «مذلة ومهانه أن لا » وفي البيان المغرب «مهانة ومذلة»

(٣) في الحلة «فالدهر يأتي بعد ماهو أعجب» .

(*) نص الرسالة : «يا مولاي انك اطعت الله فأيدك ، وعصيناه فأمكن منايدك ، وهكذا يكون ثواب الطاعة، وعقاب المعصية وانت بين انتقام تشفي به نفسك، وتجاوز فتضاعف به الى مالا نهاية أجرك، فان الله تعالى يقول وتنزله الحق «ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا» وهذا مالا نبلغه وان فاق فضلا ، ولا نباريه وان جل عملا، وعلمي يامولاى بعظم ذنبي يؤسيني . وبسعة كرمك تطمعني فأياس من صدك، وطمع من ردك، والمقربة حقك. والتجاوز فضلك، وألزمهما لك، اولا هما بك، وان لم اكن اهلا لعفوك فلتكن عقوبة مثلك، وكان الحكم الى كرمك المشهور وعدلك المأثور ان شاء الله تعالى، وأنا أقول : الابيات ...

٣ ـــ ولو أنني وفقت للرشد لم يكن ولكن أمر الله لابد غالـــــب
٤ ـــ وقد قادني قهر اليك بذمتــي كما (....) في رحى الحرب هارب (١)
٥ ـــ وأجمع كلّ الناس أنك قاتلي وربة ظن ربه فيه كـــاذب
٦ ـــ وما هو الا الانتقام فتشتفـي وتترك منه واجباً لك واجـــب
٧ ـــ والا فعفو ترتجي الله فعلـــه ويجزيك منه فوق ماأنت طالـــب
٨ ـــ ولا نفس الا دون نفسك فليكن على قدرها قدر الذي أنت واهـــب
٩ ـــ فما خاب منجزواك من جاء سائلا ولا ردّ دون السعي عندك راغبُ (٢)
١٠ ـــ وقد منحت كفاك مايعجز الورى وعمّت عمـوم الغيث منك المواهبُ

(٣)

التخريج :

الابيات في الحلة السيراء ١ : ٢٦٤ ـــ ٢٦٥ ، البيان المغرب ٢ : ٢٣٧ ، أعمـال الاعلام : ٤٤ . وفي «ذكر بلاد الاندلس» (خ) باستثناء البيت الثالث : الورقة ٢٠٣ .

ارتجل مهنئا الحكم المستنصر بمناسبة مولد ابنه هشام المؤيد فقال :

(مخلـع البسيـط)

١ ـــ اطّلـع البـدر مـن حجابـه واطـرّد السيـف من قرابـهْ (٣)
٢ ـــ وجاءنـا وارث المعالي ليثبـت الملك في نصابـهْ
٣ ـــ بشّرنـا سيـد البرايـا بنعمـة الله في كتـابـهْ
٤ ـــ لو كنت أعطي البشير عمري لم أقض حقا لما أتـى بـهْ (٤)

(١) لم أستطع قراءة مابين القوسين وهما كلمتان.
(٢) جزواك : جزاءك . احسانك.
(٣) في أعمال الاعلام (اطلع البدر من سحابة) وفي ذكر بلاد الاندلس «قد طلع .. وانتصل»
(٤) ورد هذا البيت في أعمال الاعلام على الوجه الآتي:
فلو منحت البشير عمري لكان نزرا لمن أتى به
وجاء في ذكر بلاد الاندلس على الوجه الاتي:
فلو وهبت البشير نفسي أقل منها لما أتى به

(٤)

التخريج :

الابيات في الذخيرة ف١٤،١ : ٧٠ الحلة السيراء ٢ : ٢٦٧ ، نفح الطيب ١ : ٦٠٣ قال يرد على ابيات نظمها الجزيري (*) على لسان المنصور بن ابي عامر ومطلعها «الان يـا جاهلا زلت بك القدم ...» وسيرد ذكرها فيما بعد .

(الكامـــل)

١ — لي مدة لابد ابلغهـا   فاذا انقضت أيامهـا مـت
٢ — لو قابلتني الاسـد ضاريـةً   والموت لـم يدن لما خفـتُ(١)
٣ — فانظر اليّ وكـن على حـذر   فبمثل حالك أمـس قـد كنـتُ

(٥)

التخريـج :

الابيات في المقتبس ٥ : ٤٨ — ٤٩ .

قال مادحاً الخليفة عبد الرحمن الناصر بمناسبة انتصاره على أحد الخارجين عليه في مدينة سرقسطة : (*)

(المتقـــارب)

١ — أيا زهرة المجـد والمكرمات   ويـا علم الفخـر والمأثـرات
٢ — وياشبـه البـدر في المدجنـات   وياخلف الغيـث في المحـلات
٣ — ويا ثامـن الخلفـاء الذيـن   حيوا بمساعيـه بعـد الممـات
٤ — ومن تنجـلي مظلمات الامور   لأوجـه آرائـه المشرقـات

(*) هو عبد الملك بن ادريس الجزيري، أبو مروان: وزير أندلسي من الكتاب . تولى الانشاء أيام المنصور ابن ابي عامر. وبقي الى زمن أبنه المظفر . نمزل واعتقل الى ان مات وله رسائل واشعار كثيرة مدونة. ينظر جذوة المقتبس (ت ٦٢٤) والمعجب ٣٠ والمغرب ١ : ٣٢١

(١) في الحلة : (والموت لم يفدر) وفي النفح : (والموت لم يقرب) .

(*) يشير أبن حيان الى ان أبيات هذه القصيدة كثيرة وأنه أكتفى بذكر هذه الابيات الستة ولم نجد هذه الابيات او شيئا من هذه القصيدة في مصدر آخر .

اما الخارج على الناصر فهو محمد بن هاشم التجيبي صاحب سرقسطة وكان ذلك في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. (المقتبس ٥ : ٣٣٤)

٥ ـ ومن تـرك الدهـر احسانــه   يروح ويغــدو بــلا نائبــات
٦ ـ أجلك أن تحتــوي بالظنون   وأعلاك أن تنتهــي بالصفــات

(٦)

التخريج :

الابيات في مطمح الانفس ١٣٨ ، البيان المغرب ٢ : ٢٧٠ ، نفح الطيب ١ : ٦٠٣ ـ ٦٠٤ .

قال في نكبته ينعى نفسه :

(الطويل)

١ ـ صبرت على الأيام لما تولـت   وألزمت نفسي صبرها فاستمرت(١)
٢ ـ فوا عجبا للقلب كيف اعترافه   وللنفس بعد العزّ كيف استذلت(٢)
٣ ـ وما النفس الا حيث يجعلها الفتى   فان طمعتّ تاقت والا تسلــت
٤ ـ وكانت على الايام نفسي عزيزة   فلما رأت صبري على الذّل ذلــت
٥ ـ فقلت لها يانفس موتي كريمة   فقد كانت الدنيا لنا ثم ولّــت(٣)

(٧)

التخريج :

الابيات في الحلة السيراء ١ : ٢٦٣ .

قال يصف مجلس شراب :

(البسيط)

١ ـ كم ليلة بتّ أطويهـا وأنشرها   ولا أرى في الذين أقضي بها حرجـا
٢ ـ في فتية نجب صاروا بمعـترك   يجرى النعيم على الصرعى بها خلجـا
٣ ـ والجرّ ملتحف (..........)   والـنجم مكحولةٌ الحاظه دعجا(٤)
٤ ـ نفرّا دجى ليلهم في نور كأسهم   وتنفسوا من خناق الزقّ فانبلجـا

---

(١) في النفح «حتى تولت»

(٢) في البيان المغرب «فيا عجبا للقلب كيف اصطباره».

(٣) في البيان المغرب «وقلت لها يانفسي»

(٤) البياض في الاصل: هاالحلة ١ : ٢٦٣ .

(٨)

التخريج :

الابيات في مطمح الانفس ١٤١ .

الابيات ١ ـ ٣ في البيان المغرب .

البيت الخامس في بهجة المجالس منسوب لعلي بن الجهم .

قال في نكبته مستعطفاً المنصور بن ابي عامر(*) :

(المتقارب)

١ ـ عفا الله عنك ألا رحمة ... تجود بعفوك أن أبعدا (١)
٢ ـ لئن جلّ ذنب ولم أعتمده ... فأنت أجلّ وأعلى يدا
٣ ـ الم تر عبدا عدا طوره ... ومولى عفا ورشيدا هدى
٤ ـ ومفسد أمر تلافيته ... فعاد فأصلح ماأفسدا
٥ ـ أقلني أقالك من لم يزل ... يقيك ويصرف عنك الردى

(٩)

التخريج :

الابيات في كتاب التشبيهات من أشعار اهل الاندلس ص٢٤٧ .

عاد المصحفي بعض اخوانه وهو مريض ، فتناول مروحة وجعل يروّح بها عليه ، فقال المصحفي بديهاً :

(المنسرح)

١ ـ روحّني عائدي فقلت له ... لا لاتزدني على الذي أجد
٢ ـ أما ترى النار وهي جامدة ... عند هبوب الرياح تتقّد

(*) في ديوان علي بن الجهم وردت هذه الابيات ضمن قصيدة استعطاف تقع في واحد وثلاثين بيتا ، بعث بها الشاعر من محبسه الى الخليفة المتوكل ونص الابيات كما يأتي :

عفا الله عنك الا حرمة ... تعوذ بعفوك أن أبعدا
لئن جل ذنب ولم أعتمده ... فأنت أجل وأعلى يدا
ألم تر عبدا عدا طوره ... ومولى عفا ورشيداً هدى
ومفسد أمر تلافيته ... فعاد فأصلح ما أفسدا
أقلني أقالك من لم يزل ... يقيك ويصرف عنك الردى

ديوان علي بن الجهم ص٧٧-٧٨

(١) في البيان المغرب «الا رحمة».

(١٠)

التخريج :

الابيات في كتاب التشبيهات من اشعار أهل الاندلس ص ٢٠٥ .

قال في وصف القسي والنبال :

(الكامـــــــــل)

١ ــ وكأن مستـّن السهام على الـ باقين منهم صيّب بُرُد (١)

٢ ــ وكأنّ قذف المنجنيق بها صعق غدا يهمي ويطّرِدُ (٢)

(١١)

التخريج :

الابيات في : البديع في وصف الربيع ١٢٠ ، البيتان : ١ ، ٢ في الحلّة السيراء ١ : ٢٦٢ .

قال هذه الابيات وقد اهدى اليه الوزير زياد بن افلح (*) وردا سيف اليه من رُيّه(**) في شهر كانون .

(الطويـــــــل)

١ ــ لعمرك مافي قطرة الروض قدرة تحيل بها مجرى الزمان عن الحدِ (٣)

(١) صاب المطر صوبا، وأنصاب: كلا هما أنصب. ومطر صوب وصيب، وكل نازل من علو الى سفل فقد صاب يصوب.

(٢) صعق: صعق الانسان صعقاً وصعقاً، فهو صعق: غشي عليه وذهب عقله من صوت يسمعه كالهدة الشديدة.

الصعقة والصاعقة: النار التي يرسلها الله مع الرعد الشديد. يقال صعق الرجل وصعق. وارجح المعنى الثاني .

(لسان العرب : مادة صعق)

(*) زياد بن أفلح : من كبار وزراء الدولة العامرية بالاندلس كان أبوه مولى للناصر عبد الرحمن ابن محمد . ينظر الحلة السيراء ١ : ٢٧٨ ــ ٢٨٠ ، البيان المغرب ٢ : ٢٩٥ ، الاعلام للزركلي : ٣ : ٩٠

(**) رية: كورة من كور الاندلس في قبلي قرطبة نزلها جند الاردن من العرب ، وهي كثيرة الخيرات . ينظر: الروض المعطار ٢٧٩ ــ ٢٨٠

(٣) في البيان المغرب «عن القصد»

٢ – ولكنما أخلاقك الغرّ نبهــت   بريعك في كانون نائمة الــورد (١)
٣ – كأنك قد أمطرتها ديمة المجد   وأجريت في اغصانها كرم العهــد

(١٢)

التخريج :

الابيات في البديع في وصف الربيع ١٢٠ – ١٢١ .

لما وصلت ابيات المصحفي (لعمرك مافي فطرة الروض ...) الى زياد بن افلح ، بعث اليه بوردة كان احتبسها لنفسه فكتب المصحفي اليه ثانية :

(السريـــــع)

١ – فاجانـي كانـون بالـورد   فزادنـي وجـدا الى الوجــد
٢ – ورد العـلى أهـدى لنـا وردة   ياحبـذا الـورد مــن الـــورد

(١٣)

التخريج :

الابيات في : التشبيهات من اشعار اهل الاندلس ص ٢١

قال في وصف السماء والنجوم :

(الكامـــــل)

١ – وكأنّ أثناء الثريــا اذ بـدت   قرط طريح في بسـاط زمـرد
٢ – وكأنما لبس السمـاء ملاءة   خضراء ترصف من جمال العسجد

(١٤)

التخريج :

الابيات في : التشبيهات من اشعار اهل الاندلس ص ٢١

قال في وصف الثريا :

(المنســـرح)

١ – صف الثريا بحليها صلفة   فقلت : قرط فصوله العنبر
٢ – سارقها في اعتدال خضرتها   زمرّد والنجوم فالجوهر

---

(١) في البيان المغرب «ولكنها أخلاقك الغر» .

(١٥)

التخريج :

الابيات في الحلة السيراء ١ : ٢٦ ، عنوان المرقصان ١٦ ، رايات المبرزين ت ٤٩ ، الدرة المضيئة ٦ : ٥٧٦ . ورد البيتان في التشبيهات من اشعار اهل الاندلس ف ٢٨ ص ١٤٤ منسوبين لاحمد بن فرج ، وفي نفح الطيب ١ : ٦٠٤ ذكر المقرى أن الفتح انشدهما في المطمح للمصحفي وأن غيره نسبهما لأحمد بن فرج صاحب كتاب الحدائق (*)

قال في الغزل

(الخفيف)

١ ــ كلمتني فقلت درّ سقيــط   فتأملت عقدها هــل تناثــــر (١)

٢ ــ فازدها ها تبسّم فأرتنـــا   عقد درّ من التبسّم آخــــر (٢)

(١٦)

التخريج :

الابيات في : مطمح الانفس ١٤٢ ، الحلة السيراء ١ : ٢٦٥ ، البيان المغرب ٢ : ٢٧١ ، نفح الطيب ١ : ٩١ ــ ٩٢ .

قال في نكبته متذكراً ايام عزه السالفة :

(الطويل)

١ ــ تأملت صرف الحادثات فلم أزل   أراها توفّي عند موعدها الحـــرا (٣)

٢ ــ فلله أيام مضت لسبيلهـــا   فأني لأنس لها ابدا ذكـــــرا

٣ ــ تجافت بها عنّا الحوادث برهة   وأبدت لنا منها الطلاقة والبشـــرا

٤ ــ ليالي لم يدر الزمان مكانـنـا   ولا نظرت منا حوادثـه شـــزرا (٤)

٥ ــ وما هذه الايام الا سحائب   على كلّ أرض تمطر الخير والشـــرا

(*) لم أجد هذين البيتين في المطمح .

(١) في عنوان المرقصان والدرة المضيئة (وتأملت)

(٢) في عنوان المرقصان ورايات المبرزين والدرة المضيئة ونفح الطيب (فأرتني نظم در).

(٣) في الحلة السيراء والنفح (توافى عند مقصدها الحرا)

(٤) في البيان المغرب «ولا نظرت منا حوادثه الشزرا» .

(١٧)

التخريج :

الابيات في : الحلّة السيراء ١ : ٢٦٠

(البسيط)

١ — بادر فانّ نذير الغيث قد نــــذرا   مجددا لسرور كان قـد دثـــرا
٢ — أرخت عز اليه واصطرت(*) بعنصره   ريح الصبا واستدرّت دمعه فجرى(١)
٣ — أوفى فبرّد من حرّ القلوب كما   أوفى علينا حبيب طالما هجــرا
٤ — فلاقه بكؤوس الراح مترعــة   شكراً له فكريم القوم من شكـرا

(١٨)

التخريج :

الابيات في : التشبيهات من اشعار اهل الاندلس ص١١٣

قال في وصف ابيات الشعر :

(البسيط)

١ — درّ نفيس من الاطراء صيره   قلائدا فيك منظومات كـالدرّرِ
٢ — اذا جوى السفر المضني اضربنا   تنرشدت فشفتنا من جوى السفــرِ
٣ — وان تطاول بي ليلى أنست بها   فيه كما أنس السارون بالقمــرِ

(١٩)

التخريج :

الابيات في الذخيرة ق٢ ١ : ١٠٩

قال في وصف الخمر :

(الطويل)

١ — ولما تولى بابنه الكرم جائــر   عليها فاصلاها بزعمكم الشمســا
٢ — ولم يبق من جثمانها غير جلدها   غدت للذي تحويه من روحها رَمْسا
٣ — وصلت بها الماء القراح محافظا   فراح لها جسما وراحت له نفســا

---

(١) العزالي : جمع ومفردها العزلاء وهي : مصب الماء من الراوية والقربة اسفلها حيث يستفرغ مافيها من الماء ، سميت عزلاء لانها في أحدى خصمي المزادة لا في وسطها ولا هي كفمها الذي منه يستقى فيها. وفي الحديث : وأرسلت السماء عز اليها ، كثر مطرها على المثل . اللسان مادة : (عزل) .

(*) **اشار محقق الحلة ان هذه الكلمة غير واضحة في المخطوط وانه ضبطها بـ (اصطرت) من** مادة صرر بمعنى صرفت.

(٢٠)

التخريج :

الابيات في مطمح الانفس ١٤٥ ، نفح الطيب ١ :٤٢٣ .

كتب إلى قوم توجعوا له مما وصل اليه في محنته :

(الطويل)

١ ــ أحنّ إلى انفاسكم فأظنهـــا بواعث أنفاسي الحياة إلى نفســي
٢ ــ وإنّ زمانا صرت فيه مقيـــدا لأثقل من رضوى وأضيق من رمس (١)

(٢١)

التخريج :

الابيات في مطمح الانفس ١٣٩ ــ ١٤٠ ،الحلة السيراء ١ :٢٦١ ــ ٢٦٢ وفيه لم يذكر البيت السابع وجاء البيت الرابع سادساً . البيتان ١ ، ٢ في نهاية الارب ١١ :١٧٠ غيـــر منسوبين .

قال في وصف سفرجله وهي مرتجله :

(الطويل)

١ ــ ومصفرة تختال في ثوب نرجس وتعبق عن مسك ذكيّ التنفس (٢)
٢ ــ لها ريح محبرب وقسوة قلبــــه ولون محب حلة السقم مكتسي (٣)
٣ ــ فصفرتها من صفرتي مستعـــارة وانفاسها في الطيب انفاس مؤنسي
٤ ــ وكان لها ثوب من الزغب أغبـــر على جسم مصفرة من التبر أملس(٤)
٥ ــ فلما استتمت في القضيب شبابهـا وحاكت لها الأوراق اثواب سندسي(٥)
٦ ــ مددت يدي باللطف أبغي اجتناءها لاجعلها ريحانتي وسط مجلـــسي
٧ ــ نبزّت يدي غضبا لها ثوب جسمها وأعريتها باللطف من كلّ ملبسي (٦)

---

(١) رضوى: جبل في المدينة المنورة .

(٢) في نهاية الارب (في ثوب سندسي)

(٣) في نهاية الأرب (له كمي)

(٤) في الحلة (يرف على جسم من التبر أملس).

(٥) في الحلة (وحاكت لها الانواء ابراد سندسي)

(٦) في الحلة (فلما تعرت في يدي من لباسها)

٨ــ ولما تعرت في يدي من برودها ... ولم تبق الا في غلالة نرجسي
٩ ــ ذكرت بها من لا ابوح بذكره ... فاذبلها في الكف حرّ التنفسي (١)

(٢٢)

التخريج :

الابيات في جذوة المقتبس ت٣٥٣ ص١٨٨ ، مطمح الانفس ١٤٠ ، بغية الملتمس ت٦١٤ ص٢٤٠ المعجب ٦٥ ، الحلة السيراء ١ :٢٦٥ ، البيان المغرب ٢ :٢٦٩ قال المصحفي حين اعاده المنصور بن ابي عامر إلى المطبق معزياً نفسه :

(المتقارب)

١ ــ أجاري الزمان على حاله ... مجاراة نفسي لانفاسها (٢)
٢ ــ اذا نفس صاعد شفها ... توارت به دون جلاّسها (٣)
٣ ــ وان عكفت نكبة للزمان ... عكفت بصدري على رأسها (٤)

(٢٣)

التخريج :

الابيات في : التشبيهات من اشعار اهل الاندلس ص ٢١٣
قال في باب الحرب ووصف الطعان والضراب والعجرش والفتح :

(الطويل)

١ ــ كتائب امثال البحار زواخراً ... تفيض على طول البلاد وعرضها
٢ ــ تزيل الكرى عن نوّم كأنما ... مراجلها بين الجفون وغمضها (٥)

---

(١) في الحلة (حر تنفسي)
(٢) في المطمح (أجازي ..... مجازاة) .
(٣) في الحلة (توارت به بين جلاسها)
(٤) في المطمح (عطفت بنفسي) .
(٥) ذكر المحقق أن الاصل في المخطوطة (يلزم) ونبه الى انه لعل الشاعر اعاد الضمير على المصدر ، بينما أعاد المحقق الضمير على (كتائب) كما ذكر ان الاصل في المخطوطة (مراحلها) المراحل: جمع مرحل وهو الطريق ولعلها مراجلها اي المراحل التي تقطعها تلك الجيوش.

(٢٤)

التخريج :

الابيات في المقتبس ٥ : ٤٧ وذكر ابن حيان ان هذه الابيات من قصيدة امتدح المصحفي بها الخليفة الناصر لدين الله .

(الطويـــــــــل)

١ ـ لي الامن من نهش الليالي وعضها   واحداثهـا مخشيهـا وممضهـا
٢ ـ وكيف يخاف الدهر عند خليفة   قدير على بسط الامور وقبضهـا

(٢٥)

التخريج :

الابيات في : التشبيهات من اشعار اهل الاندلس ص ١٤٦

قال يصف الاحاديث وفنونها :

(الخفيــــف)

١ ـ ليلتي غمضة ونومي لحظة   هكذا دهر كلّ من نال حظّـــه
٢ ـ وكأن الحديث وهو فنـون   خفقات السرور في كلّ لحظـــه

(٢٦)

التخريج :

الابيات في : جذوة المقتبس : ت ٣٤ ص ٤٧ ، المعجب ٦٤ ، نفح الطيب ٥ : ٦

كتب المصحفي هذه الابيات رداً على ابيات وردته من صاحب الشرطة ابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ،وقد كتب الزبيدي هذه الابيات بعد ان بعث اليه المصحفي كتابا ـ في امر ما ـ وفيه خطأ في كتابة (فاضت نفسه) (*)

(*) الزبيدي : محمد بن الحسن ابو بكر ، امام اللغة والادب ، أختصر كتاب العين اختصارا حسنا ، وروى عنه ابنه (ابو الوليد) وابن الا نايلي وهو اشبيلي الا صل توفي سنة ٣٧٩هـ. ينظر اليتيمة ٢ : ٧٠ ، الجذوة «ت ٣٤» المعجب ٦٣ .

وهذه ابيات الزبيدي :

قـل للـوزيـر السني محتـده   لي ذمـة منـك أنت حافظهـا
عنايـة بالعلـوم مفتخـرة   هو بسط الا وليـن باهضهـا
يقصـر لي (عمـرها) و (سمـرها)   فيها و (نظامهـا) وجاحظهـا
قـد كـان حقـا قبول حرمتهـا   لـكـن صرف الزمان لا فظهـا =

(المنسرح)

١ – خفّض فواقا فانت اوحدها ... علماً ونقّا بها وحافظها
٢ – كيّف تضيع العلوم في بلد ... أبناؤه كلّهم يحافظها(١)
٣ – الفاظهم كلّها معطلة ... مالم يعوّل عليك لافظها
٤ – من ذا يساويك ان نطقت وقد ... اقرّ بالعجز عنك (جاحظها)
٥ – علم ثنى العالمين عناك كما ... ثنى عن الشمس من يلاحظها
٦ – وقد أتتني فديت شاغلة للنـ ... ـفس أن قلت فاظ فائضها
٧ – فاوضحنها تفز بنادرة ... قد بهظ الاولين باهضها

(٢٠٧)

التخريج :

الابيات في الحلة السيراء ١ : ٢٦١.
قال في الفخر ووصف الطبيعة :

(الطويل)

١ – وكم مهمة لايوجد الركب مشرعا ... قطعت وبحر شامخ الموج أسفعا(٢)
٢ – خضم اذا أستعلت به الشمس لم يزل ... يطاولها حتى تمل فتخضعا
٣ – تغيب وتبدو فيه حتى كأنما ... غداً مغربا تجرى اليه ومطلعا

= وفي خطوب الزمان لي عظة ... لو كان يثني النفوس واعظها
ان لم تحافظ عصابة نسبت ... اليك قدما فمن يحافظها
لا تدعن حاجتي مطرحة ... فان نفسي قد فاظ فائضها

يقصد ب«عمرها ومعمرها» سيبويه وابا عبيدة معمر بن المثنى والملاحظ ان الزبيدي نبه الى الخطأ دون تصريح وانه نسب الخطأ الى كتاب المصحفي لا اليه.

ذكر الحميدي ان أبن حزم اخبره بجواز «فاضت نفسه» بالضاد. ذكر ذلك ابو يعقوب ابن السكيت في كتاب «الالفاظ» له. وفي لسان العرب ورد أنها أي (فاض) بالضاد لغة قضاعة، وتميم، وقيس.

(١) في النفح : «ابناؤها» .

(٢) السفعة : السواد والشحوب ، وقيل السواد المشرب حمرة .

٤ ــ اذا ماأرتمت أمواجه خلـــت أنها ذرى الشـم أمتّنا من البر نزّعـــــا
٥ ــ تقاذف في رحب الجمـال بسيطها يرد وفود الريــح حسرى وظلّعـا(١)

(٢٨)

التخريج :

الابيات في : التشبيهات من أشعار أهل الاندلس ص ٢٦٥ ــ ٢٦٦

قال يصف الدنانير ويمدح الخليفة الناصر وولي عهده الحكم المستنصر :

(الطويل)

١ ــ طوالع بشر طالعتنـــا كـــأنها أذا ما اجتليّناها نجـــوم طـــوالـع
٢ ــ جرت خمـــسة فينا فراحت شوافعا كما الصلوات الخمس فينا شـــوافع
٣ ــ دنانير باســم الناصر الله كـــرمت وباسم ولــي العهـد فهي ســواطع

(٢٩)

التخريج :

الابيات في الحلة السيراء ١ : ٢٦٣ ، البيان المغرب ١ : ٢٥٥ ، نفح الطيب ٥ : ٦٠٠

البيتان ١ ، ٢ في التشبيهات من أشعار أهل الاندلس ص ٩٠ ، يتيمة الدهر ٢٩٥/١

مطمح الانفس ١٣٩ ، نفح الطيب ١ : ٦٠٤ ، شرح مقامات الحريري ٣١٣/٥

البيت الاول في أنوار الربيع ٥ : ٢٣ .

البيت الثاني في الدرة المضيئة ٦ : ٢٧٦

قال في وصف الخمر :

(الكامل)

١ ــ صفراء تطرق في الزجاج فان سرت في الجسم دبّت مثل صلّ لاذعْ (٢)
٢ ــ خفيت على شرابها فكأنمـــا يجدون ريّا في اناء فــارغ(٣)
٣ ــ عبث الزمان بجسمها فتسترت عن عينها في ثوب نور سابـغ(٤)

---

(١) ظلعا : الظلع كالغمز . ظلع الرجل والدابة في مشية ظلعا : عرج وغمز في مشيه . اللسان مادة : (ظلع) .

(٢) في التشبيهات (دبيب صل) وفي اليتيمة «دبت مثل أيم» والايم : الحية ، وفي شرح المقامات «دبت مثل صل اللادغ» .

(٣) في التشبيهات واليتيمة (من اناء فارغ) .

(٤) في البيان المغرب تقدم البيت الثالث على البيت الثاني ، كما جاء فيه (فتسترت عن عينه) .

سابغ : اي كامل واف وسبغ الشيء يسبغ سبوغا : طال إلى الأرض واتسع .

التخريج :

الابيات في الحلة السيراء ١ : ٢٦٣ .

قال متغزلاً :

(البسيط)

١ — ياذا الذي لم يدع لي حبّه رمقا	هذا محبك يشكو البثّ والارقا
٢ — لو كنت تعلم ما شوقي اليك اذا	أيقنت أنّ جميع الشوق لي خلقا
٣ — ولم يبصر الحسن مجموعاً على احد	من ليس يبصر ذاك الخدّ والعنقا

(٣١)

التخريج :

الابيات في البديع في وصف الربيع ٩٧ .

قال يصف البهار وأشار في أول بيت إلى ممدوح لم يسمّه :

(الطويل)

١ — بنفسي وأهلي طالع خلت أنه	بأخلاق معشوق العلى يتخلقُ
٢ — حكى الفضة البيضاء والتبر منظرا	ولكنه بالنفس ألطى وأعلقُ
٣ — فصيح اذا استنطقته عن زمانه	وما خلت أنّ النّور من قبل ينطقُ
٤ — يبثك أنفاس الحبيب وانها	لأذكى من المسك الذكيّ وأعبقُ
٥ — أتانا على عهد الشتاء مبشرا	بعهد يروق الناظرين ويونقُ

(٣٢)

التخريج :

البيتان في يتيمة الدهر ١ : ٢٩٤ .

قال متغزلاً :

(البسيط)

١ — يا من أراني بألحاظ يصرّفها	عن الصبا والهوى رشدي وتوفيقي
٢ — جمعت فيك غليل العاشقين كما	جمعت ماتشتهي من كلّ معشوق

(٣٣)

التخريج :

الابيات في الحلة السيراء ١: ٢٦١ منسوبة للمصحفي ، وفي البديع في وصف الربيع : ١٣١ منسوبة إلى يحيى بن هذيل ، نهاية الارب ١١: ٢٧٦ غير منسوبة

قال يصف سوسنة :

(البسيط)

١ ـ يارب سوسنة قد بت ألثمها   ومالها غير طعم المسك من ريق(١)
٢ ـ مصفرة الوسط مبيض جوانبها   كأنها عاشق في حجر معشوق(٢)

(٣٤)

التخريج :

الابيات في البديع في وصف الربيع

قال في وصف النواوير والازاهير وهي ابيات بارعة فيها تشبيهات رائعة :

(الكامل)

١ ـ أنظر إلى الروض الأريض تخاله   كالوشي نمق أحسن التنميق
٢ ـ وكأنما السوسان صب مدنف   لعبت يداه بجيبه المشقوق
٣ ـ يوم الوداع ومزقت أثوابه   جزعاً عليه أيما تمزيق
٤ ـ والنرجس الغض الذكي محاجر   تعبت من التسهيد والتأريق
٥ ـ يحكي لنا لون المحب بلونه   واذا تنسم نكهة المعشوق
٦ ـ وكأن دائرة الحديقة عندما   جاد الغمام لها برشف الريق
٧ ـ فلك من الياقوت تسطع نوره   فيه كواكب جوهر وعقيق

(٣٥)

التخريج :

الابيات في التشبيهات من أشعار أهل الاندلس ص٩٥

---

(١) في نهاية الارب «يارب سوسنة قبلتها شغفا» .
(٢) في نهاية الأرب (مصفرة الوجه) .

قال في الثمل من الشراب :

(الطويل)

١ — عجبت لقوم ضيّعوا كلّ لذةّ ... ولاموا ظريقاً شاطرا في طرائفــه

٢ — اذا ماشكا بالراح في الثمل سرهم ... وكم قائل قولا بغير حقائقــه

٣ — وانّا لنشكوها اليها كما شكــا ... مشوق على الاعجاب عضّة شائقه

(٣٦)

التخريج :

الابيات في المقتبس ٥:٤٩

قال يمدح الخليفة الناصر في وقت ارتحاله من سرقسطه *

(الطويل)

١ — على أيمن الأوقات كان ارتحالكا ... وفي أيمن الساعات كان احتلالكــا

٢ — رجاريت ذا للسيف العريض بمية ... أرت مستجيش الشرك كيف اغتيالكا

٣ — وأقفلت عنهم والمنايا صوائـب ... تسيل بها في ساحتيهم سجالكــا

٤ — اذا ما الكرى رام اغتلاق جفونهم ... تخطفه با لخوف عنها خيالكــا

٥ — هل الأجل المرهوب الا صيالكا ... أم الأمل المرغوب إلا نوالكــا

٦ — بقيت اميــر المؤمنين مملكــا ... فمــا الروضة الزهراء الا حلالكــا

(٣٧)

التخريج :

الابيات في الحلة السيراء ١:٢٦١

قال يصف تفاحة اهداها لاحد اصدقائه :

(الطويل)

١ — لعمري لئن اهديت نفسي وماحوت ... فأنت بها مني أحقّ واملــكُ

٢ — ولكنني أهدي التي لاتردهــا ... يمين رلا نيها لذى اللحظ مترك

٣ — تنارلتها من غصنها وكأنهــا ... من الحسن ذالك الناجم المتفلــك

(*) سرقسطة : في شرق الاندلس وهي المدينة البيضاء وهي قاعدة من قواعد الاندلس كبيرة القطرة آهلة وهي من أطيب البلدان بقعة راكثرها ثمرة . ينظر الروض المعطار ٣١٧ . وربما قيلت هذه القصيدة بعد اخضاع محمد بن هاشم التجيبي ، صاحب سرقسطة ، وقد قاد الناصر هذه الحملة بنفسه . ينظر المقتبس ٥:٣٢٣ .

(٣٨)

التخريج :

الابيات في الحلة السيراء ١: ٢٥٩ ، سرور النفس ٣٤، نفح الطيب ١: ٦٠٤ — ٦٠٥

البيتان ١ ، ٣ في التشبيهات من اشعار أهل الاندلس ص٢٠

قال في وصف الثرّيا :

(الطويل)

١ — سألت نجوم الليل هي ينقضي الدجى　　فخطت جواباً بالثريا كخط (لا)

٢ — وكنت أرى أني بآخر ليلة　　فأطرق حتى خلته عاد أو لا (١)

٣ — وما عن هوى سامرتها غير أنني　　أنافسها المجرى إلى رتب العلا (٢)

(٣٩)

التخريج :

الابيات في قضايا اندلسية ص٢٧٩ نقلا عن نسخة مخطوطة ليتيمة الدهر في مجلدين أدب ٧٧٥٣ رقم ٣٠٨٧: ١: ١٨٧ ولم ترد هذه الابيات في طبعة محيي الدين عبد الحميد.

قال يصف تذلله في الحب :

(الخفيف)

١ — قد رضيت الهوى لنفسي خليلا　　ورأيت الممات في الحبّ سهلا

٢ — وتذللت للحبيب وعزّ الـ　　ـصبّ في سنة الهوى أن يذلا

(٤٠)

التخريج :

الابيات في الحلة السيراء ١: ٢٦١ .

قال في وصف الخيال :

(الطويل)

١ — لئن سلبوني شخصه ووصاله　　لما قدروا أن يسلبوني خياله

٢ — اذا حجبت عني الحوادث وجهه　　أقام الهوى لي حيث كنت مثاله

(١) في سرور النفس والنفح (بآخر ليلتي) ..

(٢) في التشبيهات (ماعن جوى) . وفي النفح (إلى طرف العلا)

(٤١)

التخريج :

الابيات في الذخيرة ف٤ ١ : ٧٠ ، البيتان ٢ ، ٣ في نفح الطيب ١ : ٦٠٣ .

قال ابن بسام : ومما يروى جعفر المصحفي عند ظهور ابن ابي عامر عليه وانتزاعه ماكان من الحجابة في يديه وافضائه به إلى هذه الحال من الهضم والاعتقال قال : —

(الطويل)

١ — تندمت والمغرور من قد تندمـا وهل ينفع الانسان أن يتندمّـا

٢ — غرست قضيباً خلته عود كرمـة كنت عليه في الحوادث قيمـا

٣ — أكرّمه دهري فيزداد خسّـة ولو كان من عود كريم تكرّما(١)

(٤٢)

التخريج :

الابيات في قضايا أندلسية ص٢٥٢ نقلا عن نسخة مخطوطة ليتيمة الدهر في مجلدين، أدب ٧٧٥٣ رقم ٣٠٨٧ : ١ : ١٨٧ ، علماً ان الابيات لم ترد في طبعة محيي الدين عبد الحميد .

قال في الحبّ والهوى

(الطويل)

١ — أعد نظرا واستوقف الطرف منعما تجد كلفاً صبا بحبك مغرمـا

٢ — سرى الحبّ في أخلاقه فأرقهـا وعلّمه أحكامه فتعلمـا

٣ — ولست تراه سائلا منك عطفـه حذاراً من التفتيل الا توهمـا

٤ — فان جدت لاتته الحياة كريـة وان لم تجد لاقى الحمام مقدمـا

(٤٣)

التخريج :

الابيات في الحلة السيراء ١ : ٢٦٠

قال في الهوى والحب :

---

(١) ورد هذا البيت في النفح على الوجه الاتي :

وأكرمه دهري فيزداد خبثه ولو كان من أصل كريم تكرما

(الطويل)

١ ــ أما ــ الهوى ــ ماكنت اعرف ماالهوى ولا ما دواعي الشوق حتى تكلما
٢ ــ دعاني بلفظ لو دعا (يذبلا) بــه للبّاه مشتاقاً ووافاه مغرمـا (١)

(٤٤)

التخريج :

الابيات ، في الذخيرة ق٤ : ٦٩ ، الحلة السيراء ١ : ٢٦٥ قال ابن الابار «هذه الابيات متنازعة ينسبها الى المصحفي جماعة وقد وجدتها منسوبة الى ابي عمر ابن دراج القسطلي ، (*) وذكر ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق في تاريخيه انها لكاتب ابراهيم بن أحمد بن الأغلب وكلاهما اساء الردّ على من قالها وتمثل بها...»

الابيات في نفح الطيب ١ : ٤٠٧ ــ ٤٠٨ وكذلك في الصفحة ٦٠١ من الجزء نفسه.
كتب المصحفي هذه الابيات من محبسه يستعطف بها المنصور بن ابي عامر .

(البسيط)

١ ــ هبني أسأت فأين الفضل والكرم اذ قادني نحو الاذعان والندم (٢)
٢ ــ ياخير من مدت الايدي اليه امـا ترثي لشيخ نعاه عندك القلـم
٣ ــ بالغت في السّخط فاصفح صفح مقتدر ان الملوك اذا ماسترحموا ارحموا (**)

(٤٥)

التخريج :

الابيات في نفح الطيب ١ : ٤٧٠ قال المقرى قبل ذكره لهذه الابيات (وقال الفتح في

---

(١) يذبل : اسم جبل بعينه في بلاد نجد
(*) لم اجد هذه الابيات في ديوان ابن دراج .
(٢) في الحلة والنفح «فاين العفو والكرم» .
(**) رد المنصور بن ابي عامر على هذه الابيات بأبيات منسوبة لعبدالملك بن ادريس الجزيري جاء فيها :

الآن جاهلا زلت بك المقدم تبغي التكرم لما فاتك الكرم
أغريت بي ملكا لولا تثبته ما جاز لي عنده نطق ولا كلم
فايأس من العيش اذ قد صرت في طبق ان الملوك اذا ما استنقروا نقموا
نفسي اذا سخطت ليست براضية ولو تشفع فيك العرب والعجم

وهناك اختلاف في رواية الابيات ونسبتها . ينظر : الذخيرة ق٤ : ١ : ٦٩ ، الحلة ١ : ٢٦٧ النفح ١ : ٤٠٨ .

قلائده لما ذكر الوزير ابن عمار: وتنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجرى في اتقانه الى غير أمد ، وأبدع بناؤه ونمقت ساحاته وفناؤه ، واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار أفراحهم ، وحكوا به قصرهم بالمشرق وأطلعوه كالكوكب المشرق وأنشد فيه لابن عمار : هذه الابيات. ثم قال المقرىء وهي — أى هذه الأبيات منسوبة للحاجب ابي عثمان جعفر ابن عثمان المصحفي.

(الخفيف)

١ — كلّ قصر بعد الدمشق يذمّ   فيه طاب الجنى ولذّ المشم
٢ — منظر رائق وماء نمير   وثرى عاطر وقصر أشمّ
٣ — بتّ فيه والليل والفجر عندي   عنبر أشهب ومسك أحمّ(١)

(٤٦)

التخريج :

الابيات في البيان المغرب ١: ٢٣٦ — ٢٣٧، أعمال الاعلام ٤٣ — ٤٤ .

عندما بشرّ الخليفة الحكم المستنصر باشتمال (صبح) على حمم، كان المصحفي حاضرا عنده فانشده بديهة : (الوافر)

١ — هنيئا للأنام وللامام   كريم يستفيد على الكرام(٢)
٢ — مرجى للخلافة وهو ساء   ومأمول لآمال عظام(٣)
٣ — اضاء على كريمته ضياه   فلم تعلم بغاشية الظلام(٤)
٤ — ولم لايستضاء بجانبيها   وبين ضلوعها بدر التمام

(٤٧)

التخريج :

الابيات في التشبيهات من اشعار اهل الأندلس ص ١١٤ قال المصحفي يذكر شعرا ورده لاسماعيل بن بدر * : (الطويل)

---

(١) أحم الشيء : اذا قرب ودنا .
(٢) في اعمال الاعلام (على كرام) .
(٣) في البيان المغرب (مأمول لآمال ..) والخلل في الوزن واضح .
(٤) في اعمال الأعلام (أضاء على كريمته ضياء) .
(*) اسماعيل بن بدر بن اسماعيل ابو بكر — شاعر اديب مشهور ، وكان في ايام عبدالرحمن الناصر اثيرا عنده ، ولي اشبيلية للناصر . (٠٠٠ — ٣٢٠هـ) ينظر : جذوة المقتبس (ت ٣٠٠) بغية الملتمس (ت ٥٤٣) .

١ ـ اذا انحدرت من بين فكيك خلتها أُساود رمل يحذر الناس سمّها (١)
٢ ـ وقد وردتني عنك غرّ شوارد تعالين أن يمنحن غيرك ضمّها
٣ ـ فخلتُ الثريا طالعتني وغادرت مطالعها سود الذّر امد لهمّها
٤ ـ مراسيل الفاظ كما انسكب الحيا تطبق بطنان البلاد فأُكمها

(٤٨)

التخريج:
البيت في المقتبس ٥:٤٨ .
ورد هذا البيت ضمن قصيدة مطولة في ذكر بروز الخليفة الناصر لغزو سرقسطة اكثر فيها من التشبيب ثم قطع الى المدح: (طويل)
١ ـ ويوم بدا فيه الامام مبرزا أهبّ لنفسي سلوة من غرامها

(٤٩)

التخريج :
الابيات في البيان المغرب ٢:٢٣٣، الحلة السيراء ١: ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ولم يرد فيه البيت الثاني قال يرثي الخليفة الناصر لدين الله (الطويل)
١ ـ الا أن أيامنا هفت بامامها لجائرة مشتطة في أحتكامها (٢)
٢ ـ فلم يؤلم الدّنيا عظام خطوبها وأحداثها الا قلوب عظامها
٣ ـ تأمل فهل من طالع غير آفل لمنّ وهل من قاعد لقيامها (٣)
٤ ـ وعاين فهل من عائش برضاعها من الناس الا ميت بفطامها
٥ ـ كأن نفوس الناس كانت بنفسه فلما توارى أيقنت بحمامها
٦ ـ فطار بها يأس الأسى وتقاصرت يد الصبر عن إعوالها وأحتدامها

(٥٠)

التخريج :
الابيات في الحلة السيراء ١:٢٦٤ وهي تتمة الابيات الواردة في النص السابق:

(١) الاساود : الحيات .
(٢) في الحلة : «باحتكامها» . الهفت : تساقط الشيء قطعة بعد قطعة ، وتهافت القوم تهافتا اذا تساقطوا موتا .
(٣) في الحلة «بهن» .

قال مهنئا الحكم المستنصر بالخلافة بعد مبايعته بها: (الطويل)

١ — امام تلقته لخلافة صبة ... الى نسم محمولة عن امامها
٢ — فصارت اليه في حدود تمامه ... وصار اليها في حدود تمامها
٣ — فلم ينتقل بالناس يوم أنتقالها ... اليه سبيل عن محل قوامها
٤ — أتوه فاعطوه المواثق عن هوى ... تمكن في أبشارها وعظامها
٥ — وناولهم كفا يطول الهدى بها ... رضا الله في تقبيلها واستلامها

(٥١)

التخريج:

الابيات في التشبيهات من أشعار اهل الاندلس ص ١٧٢ .

قال يصف الشتاء والصقيع: (الخفيف)

١ — طرقتنا طوارق الغيث وهنيا ... فمحت أيدي الحوادث عنا
٢ — فكأن الرياض حلة وشي ... ندفت حولها السحائب قطنا

(٥٢)

التخريج:

الابيات في الحلة السيراء ١: ٢٦٠.

قال متغزلا: (الكامل)

١ — إن فاه أشربت الضلوع هوى ... حتى كأن جميعها أذن
٢ — لاتنكروا كلف الضلوع به ... فحديثه لو جيبها سكن

(٥٣)

التخريج:

الابيات في يتيمة الدهر ١: ٢٩٤، الحلة السيراء ١: ٢٦٣، نفح الطيب ٥: ٦٠٢ .
البيتان ١، ٢ في مطمح الانفس ١٣٩، البيان المغرب ٢: ٢٥٥.
البيتان ١، ٣ في نفح الطيب ١: ٤٠٣

قال متغزلا: (الطويل)

١ — لعينيك في قلبي علي عيون ... وبين ضلوعي للشجون شجون (١)
٢ — لئن كان جسمي مُخْلقا في يد الهوى ... فحبك غض في الفؤاد مصون (٢)
٣ — نصيبي من الدنيا هواك وإنه ... عذابي ولكني عليه ضنين (٣)

(١) في المطمح والحلة والنفح (للشجون فنون) .
(٢) في المطمح (فحبك عندي في الفؤاد ..) .
(٣) في النفح ١: ٤٠٣ (نصيبي من الدنيا هواك وانه غذائي) .

(٥٤)

التخريـج :

الابيات في التشبيهات من اشعار أهل الاندلس (*) ص ٢٧٥، جذوة المقتبس ت ٣٥٣، ص ١٨٨ بغية الملتمس ٦١٤ ص ٢٤٠ ، المعجب ٦٥ ، نفح الطيب ١ : ٦٠٤ قال في كتمان السر :

(السريع)

١ ـ قل للذي أودعـني سره　　لاترج أن تسمعـه مني (١)
٢ ـ لم أجره قط على فكرتي　　كأنه لم يجر في أذني (٢)

(٥٥)

التخريـج

الابيات في الحلة السيراء ١ : ٢٦٤.

قال يمدح المستنصر :

(الطويـل)

١ ـ يطالعنا في كل يوم بغـرة　　بنو الـدين والدنـيا معا يأملونها
٢ ـ أذا ما تراءته العيون تـواضعت　　لاجلالـه عن أن تقل شؤونـها
٣ ـ عليها من الرحمن نور جلالة　　يقصر بالالحاظ أن تستبينهـا

(٥٦)

التخريج :

الابيات في المقتبس ٥ : ٤٧ وهي مجتزأة من قصيدة مطولة ذكر فيها أسفار الناصر لدين الله في الجهاد وتعبئته على الوادي الاحمر في غزاته المدعوة بوخشمه (*)

(*) عد ابن الكتاني هذه الابيات من باب شواذ تقل نظائرها بجودتها .

(١) في الجذوة والبغية والمعجب ونفح الطيب (ياذا الذي) .

(٢) في الجذوة والبغية والمعجب والنف :

لـم أجـره بعـدك في خـاطري　　كـأنه مـا مـر في أذنـي

(*) غزوة وخشمة قادها الناصر بنفسه سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة .. واعتزم الناصر اقتحام بنبلونة فوردت عليه رسل طوطة ابنة أشينر تقدم فروض الطاعة وعاهدت الناصر على الطاعة والتبرؤ من سائر ملوك النصرانية ومن ولي وصهر ، ومعاونة قواد الثغر على كل من خرج على طاعة الناصر ينظر المقتبس ٥ : ٣٣٥ .

(الطويل)

١ ـ كفى باميـر المؤمنيـن لهـذه الـ رعـة مأمولا يسـر حزينهـا
٢ ـ ويحفظ قاصيهـا ويعلـى وضيعها وينعش مكديهـا ويفـدى رهينهـا

١ ـ ورد الفعل «يسر» في المقتبس مبنياً للمعلوم والصواب أن يكون مبنياً للمجهول كما ثبتناه في المتن . ليستقيم المعنى ويتفق الفعل «يسر» مع بقية الافعال المعطوفة عليه وكلها مبنية للمجهول .

«المصادر والمراجع»

١ - الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين - خيرالدين الزركلي ، بيروت ١٩٦٩ ، المطبعة الثالثة .

٢ - اعمال الاعلام في بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام - لسان الدين بن الخطيب السلماني (- ٧٧٦هـ) تحقيق ا . ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ١٩٥٦ ، الطبعة الثانية .

٣ - أنوار الربيع في أنواع البديع - السيد علي صدرالدين بن معصوم المدني (١٠٥٢ - ١١٢٠هـ) حققه وترجم لشعرائه شاكر هادي شكر ، الطبعة الأولى ١٩٦٨ - ١٩٦٩ ، النجف الاشرف .

٤ - البديع في وصف الربيع - ابو الوليد اسماعيل بن عامر الحميري (٤٤٠هـ) اعتنى بنشره وتصحيحه هنري بيرس ١٩٤٠م نشر مطبوعات معهد العلوم المانيا المغربية ، الرباط .

٥ - بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس - احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الضبي (- ٥٩٩هـ) طبع في مجريط ، سنة ١٨٨٤م .

٦ - بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس - الأمام أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨ - ٤٦٣هـ) تحقيق محمد مرسي الخولي ، مراجعة الدكتور عبدالقادر القط ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة - سلسلة تراثنا - د.ت .

٧ - البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب - أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي (- ٧١٢هـ) تحقيق ج.س. كولان وأ . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٧ .

٨ - التشبيهات من أشعار اهل الاندلس - الشيخ ابو عبدالله محمد بن الكتاني الطبيب (- ٤٢٠هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٦.

مكتبتنا العربية

٩ — جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس — أبو عبدالله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي الحميدي (— ٤٨٨هـ) طبع الدار المصرية للتأليف ١٩٦٦ — المكتبة الاندلسية ، سلسلة تراثنا (٣) .

١٠ — الحلة السيراء — ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي المعروف بابن الابار (— ٦٥٨هـ) تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ ، الطبعة الأولى .

١١ — الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية — ابو بكر بن عبدالله بن ايبك الدواداري (توفي بعد ٧٣٦هـ) تحقيق صلاح‌الدين المنجد ، القاهرة ١٣٨٠هـ—١٩٦١م .

١٢ — ديوان علي بن الجهم — تحقيق خليل مردم — الطبعة الثانية ، بيروت ، لجنة التراث العربي ، د.ت .

١٣ — الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة — أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (— ٥٤٢هـ) القسم الرابع — المجلد الاول تحقيق الدكتور احسان عباس ، طبع ونشر دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت ١٩٧٩ ، الطبعة الاولى .

١٤ — ذكر بلاد الاندلس وفضلها وصفتها وذكر اصقاعها — مؤلف مجهول ، مخطوطة ، نسخة مصورة عن فيلم الخزانة العامة ، الرباط ، رقم ٥٥٨ .

١٥ — رايات المبرزين وغايات المميزين — علي بن موسى عبدالملك بن سعيد الأندلسي (— ٦٨٥هـ) تحقيق الدكتور النعمان عبدالمتعال القاضي ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ١٩٧٣ .

١٦ — الروض المعطار في خبر الاقطار — محمد بن عبدالمنعم الحميري (— ٧٢٧هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس ، مكتبة لبنان — بيروت ١٩٧٥ .

١٧ — سرور النفس بمدارك الحواس الخمس — ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشي ، هذبه محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) حققه د. احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٨٠م ، ١٤٠٠هـ .

١٨ — شرح مقامات الحريري — أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي (٥٧٧ — ٦١٩هـ) حققه محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٩ .

١٩ — عنوان المرقصات والمطربات — علي بن موسى بن سعيد المغربي (— ٦٨٥هـ) تحقيق مقداد عبدالقادر ، الجزائر ١٩٤٩ .

٢٠ ـ قضايا اندلسية ـ الدكتور بدير متولي حميد ، الناشر دار المعرفة ، القاهرة، الطبعة الاولى ، يناير ١٩٦٤ .
٢١ ـ لسان العرب ـ جمال‌الدين محمد بن منظور (ـ ٧١١هـ) طبع ـ دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر/ بيروت ١٩٥٦ .
٢٢ ـ المعجب في تلخيص اخبار المغرب ـ عبدالواحد المراكشي (ـ ٦٤٧هـ) حققه محمد سعيد العريان ، لجنة احياء التراث الاسلامي ١٩٦٣ .
٢٣ ـ المغرب في حلى المغرب ـ علي بن موسى بن سعيد الاندلسي (ـ ٦٨٥هـ) تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، طبع دار المعارف بمصر ، سلسلة ذخائر العرب ١٩٦٤، الطبعة الثانية .
٢٤ ـ مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس ـ الفتح ابن خاقان (ـ ٥٢٩هـ) تحقيق هدى شوكة بهنام ، مجلة المورد ، المجلد العاشر ، العدد الثاني سنة ١٩٨١ .
٢٥ ـ المقتبس ـ ابن حيان القرطبي (ـ ٤٦٩هـ) الجزء الخامس ، اعتنى بنشره ، ب . شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف . كورينطي و ، م . صبح وغيرهما، طبع المعهد الاسباني العربي للثقافة ، كلية الاداب بالرباط ، مدريد ١٩٧٩ .
٢٦ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ـ احمد بن محمد المقري التلمساني (ـ ١٠٤١هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس ، طبع ونشر دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ .
٢٧ ـ نهاية الادب في فنون الادب ـ شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب النويري (٦٧٧ ـ ٧٣٣هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، تراثنا ، القاهرة ، صححه أحمد الزين .
٢٨ ـ يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ـ أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (٤٢٩هـ) تحقيق محيي الدين عبدالحميد ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٣ ، الطبعة الثانية .

إبراهيم بن المدبّر

حياته ، أدبه ، رسالة العذراء

الدكتور : يونس احمد السامرائي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

اسمُهُ وكُنْيتُهُ ولَقَبُهُ :

هوَ إبراهيمُ بنُ محمّدِ بنِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ المُدبّرِ(١) ، يُكْنَى بأبي إسحاق(٢) ، ويُلَقّبُ بالضّبّيّ (٣) .

---

(١) ينظر : معجم الادباء ٢٢٦/١ .

(٢) ينظر : الأغاني ١٥٧/٢٢ .
من الجدير بالذكر ان الأستاذ محمد كرد علي كناه بأبي اليسر (رسائل البلغاء ٢٢٧) وجاراه بعض المحدثين ، ولكنه جعل له كنيتين فقال : (وأول من صنف في صناعة النثر ابو إسحاق (ويكنى أبا اليسر) إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن المدبر (تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١١٧/٢) . ونحسب أن هذا وهم ، وأنه لم يكن إلا بأبي إسحاق ، وجاءت هذه الكنية على ألسنة الشعراء والمؤلفين ، ولم يشر أحد من القدماء إلى تكنيته بأبي اليسر . ينظر : ديوان البحتري : ٣٣١ ، ٤٢٧ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٨٧٢ ، ١٩٦١ ، ١٩٩٤ ، وديوان ابن الرومي : ٢٤٠٣ ، والأغاني ١٥٧/٢٢ ، ١٧٧ ، ٢٤/٢٣ ، ومعجم الأدباء ٢٢٦/١ .

(٣) ينظر : ديوان البحتري ٢٣١٧ ، وديوان المعاني ٢٢٠/٢ ، وسمط اللآلي ١٣٤/١ والجدير بالذكر أنه ورد العقد الفريد (١٧١/٤ ، ١٧٢ ، ١٨٠) ما يفهم منه تلقيبه بالشيباني . جاء ذلك في مقدمة النصوص التي استشهد بها ابن عبد ربه ، وهي أجزاء من الرسالة العذراء المنسوبة إلى ابن المدبر ، ونحسب أن هذا وهم أيضاً ، ودليلنا على ذلك أن أحداً من مادحيه او هاجيه من الشعراء او من مترجميه وذاكري أخباره لم يلقبه بهذا اللقب=

ويُعْرَفَ بآبن المُدَبّر (١) .

وآلُ المُدَبّرِ من دَسْتُميانَ ، وهي كُورةٌ بينَ واسطَ والبصرةِ والأهوازِ وهي إلى الأهواز أقربُ (٢) .

وجَديرٌ بالذِكرِ أنّنا لانعرفُ الوقتَ او السّببَ الذي لُقّبَ به بَنو المُدَبّرِ بهذا اللّقبِ . وهو بدونِ شكٍّ مأخوذٌ من التّدبيرِ ، وفي ماوصلَ إلينا من مدائحِ الشُعراءِ وإشاراتِهم إليهِ دَليلٌ على هذا .

وقد أختلفَ في ضَبْطِ هذا اللّقب أيضاً ، فجاءَ في مُعْجَمِ الأدباءِ : «المُدْبِر» بسكون الدّالِ وكَسْرِ الباءِ (٣) ، وجاءَ في المُشْتَبَهِ بتشديدِ الدّالِ وفتحها (٤) .

وجاءَ في الشّعْرِ مايَدلُّ على أنّهُ بتَشديدِ الدّالِ وكَسْرِها ، فقالَ ابنُ عبدِ كانَ في أحمدَ بنِ المُدَبّرِ :

لَولا قيامُكَ بالدُنيا تُدَبّرُهـا يآبنَ المُدَبّرِ لآستَهوى بها العطبُ(٥)

وقالَ البُحتُريُّ في إبراهيمَ :

كلُوا الغايَةَ القُصْوَى إلى مَن يفوتُكم بها ، ودعُوا التّدبيرَ لآبنِ المُدبّرِ(٦)

وجاء في وفياتِ الأعيانِ في الحديثِ عن أحمدَ بنِ المُدَبّر :

«والمُدَبّرُ : بكسرِ الباءِ المُوحّدة المُشَدّدةِ» (٧) .

= ومعلوم أن الشعراء وخاصة في حال غضبهم كثيراً ما كانوا يعيرون وينبزون مهجويهم بمثل هذه الأمور وقد هجا ابن الرومي ابن المدبر أكثر من مرة ولكنه لم ينبزه بانتحال لقب الشيباني ، ينظر ديوانه : ٤٠٣ ، ٤٧٥ ، ٦٠٣ ، ٧٣٦ – ٧٣٩ ، ٧٧٩ – ٧٨٠ ، ١٠٧٩ ، ١٥٦٢ ، ١٥٦٣ ، ١٦٤٥ ، في حين نرى ابن الرومي قد غمز اسماعيل بن بلبل بهذا اللقب الذي كان يدعيه (ديوانه ٢٩٩) ، كما أن بعض الشعراء غمز ابن المدبر بانتسابه إلى ضبة (معجم الشعراء ٤٠٩ ، ومعجم الادباء ٢٣١/١) .

(١) ينظر : ديوان البحتري : ١٠٥٨ ، ١٠٦٤ ، ١٥٤٨ ، ١٦٩٧ ، وديوان ابن الرومي : ٧٢٦ ، ١٠٩٥ ، ١١١٨ ، والأغاني ١٥٧/٢٢ ، وإعتاب الكتاب ١٥٩ .

(٢) ينظر : معجم الأدباء : ٢٢٨/١ ، ومعجم البلدان ٤٥٥/٢ .

(٣) معجم الادباء ٢٢٦/١ ، والجدير بالذكر أن ضبط الاسم على هذا النحو من عمل الناشر .

(٤) المشتبه من أسماء الرجال : ٥٨١ ، وتبع الذهبي غير واحد ممن ذكر هذا اللقب من المحدثين

(٥) الوافي بالوفيات : ٣١٥/٣ .

(٦) ديوان البحتري ١٠٦٤ .

(٧) ٥٦/٧ ، وينظر : مجلة الأقلام الجزء الحادي عشر ١٩٦٩ ص ٣٤ .

ولادتُهُ :

ذَكَرَ الكُتُبي والصَّفَدِيُّ أنَّ وِلادةَ إبراهيمَ كانت في سنة ٢١١هـ (١) .

غيرَ انَّ هناكَ خبراً رَواهُ ابنُ المُعتزِ عن ابنِ المُدَبِّرِ نفسه أَشارَ فيه الى أنّه خَرَجَ مَعَ المأمونَ الى أرضِ الرومِ ، يَطلب مايَطلبُهُ الأحداثُ من الرِزقِ ، فكانَ يَسيرُ مَعَ العَسْكرِ (٢) . ومَعلومٌ أنَّ المأمونَ شَخَصَ من مَدينةِ السَّلامِ لِغَزْوِ الرّومِ في سنة ٢١٥ هـ وبقي الى سنة ٢١٦ هـ (٣) .

وإذا افترضنا أن عمر بن المدبر في سنة ٢١٥هـ كان في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة فتكون ولادته في سنة ١٩٩هـ أو ٢٠٠هـ (٤)

ونحنُ لانعرفُ شَيئاً عَن مَسْقَطِ رَأْسِ الرَّجلِ ، ولكنَّ الزّركلي أَشارَ إلى أنّهُ «من أهلِ بغدادَ» (٥) .

حَياتُهُ :

لَيسَ من السّهلِ على الدّارسِ – حينَ تُقْتَضَبُ الأخبار ، أو تُطْمَسُ بَعضُ مَعالمِهَا ، أو تَتَداخلُ ، أَو يُسْكَتُ عن تَسَلْسُلِها او تأريخِها – أَنْ يَرْسُمَ صورةً دَقيقةً واضحةَ المَعالمِ ، سَليمةَ التّدرُّجِ ، لِمَنْ يحتَفِلُ بدراستهِ من الأعلامِ الأدبيةِ او التأريخيةِ ، وابنُ المُدبِّرِ واحدٌ من أولئكَ الذينَ يَصْدُقُ عَليهم ماسَبَقَ ذكرُهُ .

وسَأحاولُ مَعَ ذلكَ – أَنْ أُوضِّحَ شَيْئاً من مَلامحِ هذهِ الصُّورةِ بما تجَمَّعَ لَدَيَّ من نُصوصٍ وأَخبارٍ عنها .

---

(١) ينظر : فوات الوفيات ٤٧/١ ، والوافي بالوفيات ١١٠/٦ .

(٢) ينظر : الأغاني ٦٤/٢١ .

(٣) ينظر : الطبري : ٦٢٣/٨ ، ٦٢٥ حوادث سنة ٢١٥هـ ، و٢١٦هـ .

(٤) جاء في تاج العروس : «وحداثة السن : كناية عن الشباب وأول العمر ... ورجل حدث : أي شاب». والجدير بالذكر ان بعض دارسي ابن المدبر أشار إلى ولادته مستنداً على هذا الخبر فقال : «والذي تحقق لي أن ابراهيم بن المدبر ولد في احدى السنوات الخمس الأولى من القرن الثالث الهجري . الأقلام الجزء ١١ السنة الخامسة ص ٣٥ .

(٥) الأعلام : ٥٦/١ .

يَظهر أنَّ أوّلَ مايُطالعُنا من سمات هذه الصورة الخبَرَ الذي رواه ابن المُعتزِ عن إبراهيمَ هذا ، وهو يُشيرُ إلى أنّهُ كانَ حدَثاً وأنّهُ خرَجَ معَ المأمونِ إلى أرضِ الرُّومِ ، يَطلُبُ مايَطلُبُهُ الأحْداثُ من الرِّزقِ ، فكانَ يَسيرُ معَ العَسْكرِ ، وأنّهُ راهَنَ بعْضَ أترابهِ في أنْ يَمرَّ في جَنَبات العَمّاريّاتِ (١) . وتقدَّمَ أنَّ خروجَ المأمونِ إلى أرض الرّومِ كان في سنة ٢١٥هـ (٢) .

وتختفي مَعالمُ تلكَ الصُّورةِ بَعْدَ ذلكَ ، ولكنّها تَبْرزُ واضحةً جَليّةً في عهدِ المتَوكّلِ الذي أُستُخلِفَ في سنة ٢٣٢هـ (٣) .

وأشارَ غيْرُ واحدٍ من مُتَرجِميهِ وذاكري أخبارِهِ إلى صلتهِ القَويّةِ الطّويلةِ بالمُتَوكّلِ فقالَ الصُّولي : (وخدَمَ المُتوكّلَ وكانتْ له عندَهُ حُظْوَةٌ) (٤) وقال أبو الفرَجِ : (وكانَ المتوكّلُ يُقدّمُهُ ويُؤْثِرُهُ ويُفضّلُهُ) (٥) ، وقالَ الصّفَديُّ : (خدَمَ المتوكّلَ مُدّةً طَويلةً) (٦) .

وهنالكَ أخبارٌ في علاقةِ ابن المُدبّرِ بالمُتوكّلِ تدُلُّ على صلتهِ القَويّةِ ، ومَكانه القَريبِ من نَفْسِ الخَليفة . فقدْ رُوِيَ عنهُ قولُهُ :

(لمّا طَهّرَ المُعتَزَّ، اجتَمعَ مَشايخُ الكُتّابِ بَيْنَ يدَيْ المُتوكّلِ....) (٧) ،وكانَ أحَدَ مَنْ خرَجَ معَ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عاملِ الشُّرْطةِ ببغدادَ حينَ أوعزَ المُتوكّلُ إليهِ بالقَبْضِ على إيتاخَ في سنة ٢٣٥هـ (٨) .

وشاركَ الشُّعَراءَ في الثّناء على مُبايعةِ المُتوكّلِ لبنيهِ الثّلاثةِ بولايةِ العَهْدِ وذلكَ في سنة ٢٣٥هـ(٩) ، وهوَ الذي اقترحَ على المُتوكّلِ إقطاعَ مروانَ بنِ أبي الجنوبِ

---

(١) ينظر : الأغاني ٦٤/٢١ . العماريات : الهوادج .

(٢) ينظر : الطبري حوادث ٢١٥ ، و٢١٦هـ .

(٣) ينظر : البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ١٥٧ .

(٤) إعتاب الكتاب ١٥٩ .

(٥) الأغاني ١٥٧/٢٢ .

(٦) الوافي بالوفيات ١٠٧/٦ ، وينظر : فوات الوفيات ٤٥/١ .

(٧) الديارات : ١٥٤ .

(٨) ينظر : الطبري حوادث ٢٣٥هـ .

(٩) ينظر : مروج الذهب : ٥/٤ .

الذي قَدِمَ من اليَمامةِ لِتَأْييدِ مُبايعةِ الخليفةِ لبنيهِ بوِلايةِ العَهْدِ ، لقاءَ أجْرٍ سَنَوِيٍّ زَهيدٍ (١) .

ورَوِيَ عن ابنِ المُدَبّرِ أنّهُ كانَ وَاقفاً بَيْنَ يَدَيْ المُتوكّلِ وقَدْ جيءَ بِرأسِ أَحَدِ الخارجينَ عَلَى الخَليفةِ فَأرتَجَلَ عَليُّ بنُ الجَهْمِ شعْراً في ذلك (٢) ! كَمَا رُوِيَ عَنهُ خَبَرُ ثَلْبِ المُتوكّلِ لأبنِ الجَهْمِ هذا (٣) .

وكانَ إبراهيمُ يَنْتَهِزُ كُلَّ فُرْصةٍ لإظهارِ حُبِّهِ للمُتوكّلِ وإخلاصهِ لهُ ، فَرُوِيَ عنهُ ، أنَّ المُتوكّلَ مَرِضَ مَرْضَةً خيفَ عَليهِ منها ثُمَّ عُوفِيَ وأذِنَ للنّاسِ في الوصولِ إليهِ ، فَدَخَلَ في جُمْلَةِ مَنْ دَخلَ عليه وأنشَدَ قَصيدةً في مَدْحِهِ أعْجِبَ بها الخَليفةُ وقالَ للفَتْحِ صَديقِهِ : (إنَّ إبراهيمَ لَيَنْطِقُ عَنْ نيّةٍ خَالصةٍ وَوُدٍّ مَحْضٍ ، ومَا قَضَيْنَا حَقّهُ فَتَقدّمْ بأنْ يُحْمَلَ إليه السّاعةَ خمسونَ ألفَ دِرْهمٍ ، وتَقدّمْ إلى عُبَيْدِ الله بن يَحيَى بأنْ يُولّيَهُ عَمَلاً سَرِيّاً يَنْتَفِعُ به((٤) . ورُوِيَ أيضاً أنَّ المُتوكّلَ وَلاّهُ دِيوانَ الأبنية) (٥) .

ويَظهرُ أنَّ حبَّ الخليفة ومَيْلَهُ إلى ابنِ المُدبّرِ لم يُرْضِيا وَزيرَهُ ، وكأنّهُ أوْجَسَ خيفَةً من هذه الصّلة لمَا كانَ عليه إبراهيمُ من حَيَويةٍ وذكاءٍ وآقتدارٍ فآهْتَبَلَ فُرْصةَ إخْفاقِ أخيهِ أحمدَ في عملِه ـ إذا صَحَّ ـ للإيقاعِ بهما والعَمَلِ على نَكْبَتهما . وقد روى عن بعضهم في ذلك قولَهُ :

(كانَ أحمدُ بنُ المُدبّرِ وَلِيَ لعُبيدِ اللهِ بنِ يحيى بنِ خاقانَ عَمَلاً ، فلم يَحمدْ أثَرَهُ فيه ، وعَمِلَ علَى أنْ يَنْكُبَهُ . وبَلَغَ أحمدَ ذلكَ فَهربَ ، وكانَ عُبيدُ الله مُنحرِفاً عن إبراهيمَ ، شَديدَ النّفاسة عليه برأيِ المُتوكّلِ فيهِ ، فأغراهُ بهِ ، وعَرّفَهُ خَبَرَ أخيهِ ، وادّعَى عليهِ مالاً جَليلاً ، وذكَرَ أنّهُ عندَ إبراهيمَ أخيهِ ، وأوْغَرَ صدْرَهُ عليهِ حتّى أذِنَ لهُ في حَبْسهِ) (٦) .

(١) ينظر الطبري ٩/٢٣٢ ، والأغاني ١٢/٨١ .

(٢) ينظر : ديوان المعاني ٢/٢٢٠ – ٢٢١

(٣) ينظر : الأغاني ١٠/٢١١ .

(٤) نفسه ٢٢/١٥٧ – ١٥٨ .

(٥) الرائي بالوفيات ٩/١٠٧ .

(٦) الأغاني : ٢٢/١٥٩ . وينظر : الفرج بعد الشدة ٢/١٢٤ وفيه : (وذكر ابن عبدوس في أخبار الوزراء ان نجاح بن سلمة حبس ابراهيم بن المدبر مكايدة لأخيه، وذلك في أيام =

لقد حبس للسبب الذي اتّهمَ بهِ ، غيرَ أنّه يُخبرنا في شعرهِ — وهو محبوسٌ أنّه كان مظلوماً ، وأنّ أعداءَهُ ظفروا بهِ عن حيلةٍ ، وهو يَرجو أنْ يجمعهُ وإياهم مجلس ليدافعَ عن نفسه ، ويدرأَ عنها الشبهاتِ وليظهر الحقُّ ويَبينَ ، فينال الخائن جزاءَهُ ، وليحكمْ في أمرهِ وأمرِ أعدائه حاكمٌ منصفٌ عَدْلٌ . وذكر في شعرهِ أسماءَ بعضِ مَنْ كادوا له ، وَسَعَوْ به فأوقعوهُ في محنته ، فهوَ يَقولُ في قصيدة وَجّهَ بها الى أبي عُبيد الله بن حمدون النديم يسأله إذكارَ المتوكلِ والفتحِ بأمره .

وأبو عُمران مُوسَى حَنِــــقٌ   حاقِـدٌ يَطلُبني بــــالأحسنِ
وعُبيْـدُ اللهِ أيضـــاً مِثلُـــهُ   ونَجـاحٌ بي مُجِـدٌّ مــاينى
مارأى القَــومُ كـذنبي عنـدهـمْ   عُظْـمُ ذَنبـي أنّني لمْ أضُـنِ
ظفرَ الأعـداءُ بي عَـن حيلــةٍ   ولَعَــلَّ اللهَ أنْ يُظفِـرَنــي
لَيْـتَ أني وَهُـمُ في مجلِـــس   يَظْهَـرُ الحَــقُّ بـهِ للفَطِـنِ
فتَـرَى لي ولَهُـمْ مَلحَمَـــةً   يَهلِكُ الخائِـنُ فيهـا والـدَّنـي
والـذي أسألُ أنْ يُنصِفَنـــي   حاكِـمٌ يَقضـي بما يُلـزِمني(١)

وحاولَ ابنُ المُدبّرِ — على مايظهرُ — في أوّلِ عهدهِ بالحبسِ أنْ يتجلّدَ — ويتضاهرَ بالصبر واحتمالِ المكروهِ . فأخذَ يُعلّلُ وجودَهُ في غياهبْ السجنِ ، ويتذّرعُ بكلِّ وَسيلةٍ ليبدوَ مُتماسكاً قَوياً ، وكأنّى به يُريدُ أنْ يُقلّلَ من شأْنِ ماحاكَهُ له أعداؤهُ من مَكيدهِ ، ودبّروا له من حيلةٍ ، فهو يقول :

تَسَلّى لَيسَ طُولُ الحَبسِ عَاراً   وفيهِ لنــا من اللهِ اختبــارِ (٢)

= المتوكل) . من الجدير بالذكر ان الطبري أشار في حوادث ٢٤٥هـ إلى ان نجاح بن سلمة طلب إلى المتوكل أن يدفع اليه قوماً حتى يستخرج له منهم أموالا ، ذكر منهم اثني عشر رجلا ، مع انه قال : ان عددهم نحو من عشرين رجلا غير ان في الخبر شيئاً آخر ، وهو قول عبيدالله بن يحيى المتوكل يرد على دعوى نجاح : يا أمير المؤمنين أراد ألا يدع كاتباً ولا قائداً إلا أوقع بهم ...

وواضح من الخبر أن عبيدالله بن يحيى لم يرض بما سعى به نجاح في مصادرة الكتاب والقواد، فهل ما رماه صاحب الفرج بعد الشدة غير صحيح ، وانه التبس عليه الأمر في هذه الحكاية.

(١) الأغاني ٢٢/١٦٨ — ١٦٩ .

(٢) الأغاني ٢٢/١٦٩.

ويقولُ :

هوَ الحبْسُ مافيهِ علَى غضاضةٌ	وهلْ كانَ في حبْسِ الخليفة من عار
ألستِ ترينَ الخمرَ يظْهرُ حُسنها	وبهجتها بالحبْسِ في الطيـنِ والقارِ
ومَا أنا إلاّ كالجَوادِ يصُونُــهُ	مُقوّمُهُ للسّبْقِ في طيّ مِضمار
أوِ الدُّرّةِ الزّهراءِ في مقرِ لُجّة	فلا تُجتلَى إلاّ بِهوْلٍ وأخطار(١)

ويقول :

لاتُؤنسَنكَ مِن كريمٍ نَبْــوَةٌ	فالسيفُ ينْبو وهوَ عضْبٌ باترُ
والحَبسُ يحجبُني وفي اكنافـــهِ	منّي عل الضرّاء لَيْثٌ خادرُ (٢)

وبعدَ انْ طالَ حبسُهُ ، وتعذّرَ خلاصُهُ ، بسببِ عضْلِ عُبيدِ الله وتشدّدِهِ ، أحسَّ بشدّةِ وطأةِ الحَبسِ عليه ، وثِقلِ ماينوءُ بهِ من حديد ، فتغيّــرتْ صُورةُ السّجْنِ لديهِ ، وبدَتْ عزيمتهُ تضْعفُ ، وقُواهُ تخورُ ، وصبرُهُ ينفذُ ، وإذا بهِ يقول في مُقدّمة قصيدةٍ له وجهّها الى أحدِ مُقرّبيه يُناشدُهُ فيها ويسألُهُ اذكارَ الخليفة وصديقه بأمره :

كمْ ترى يبقَى علَى ذا بدَنــي	قدْ بلِي منْ طولِ همّ وضنَي
أنــا في أسْرٍ وأسبـــابِ ردَىً	وحَديـدٍ فـادحٍ يكْلمنــي (٣)

وأحسَّ أخوهُ أحمدُ بما يلْقاهُ أخوه من عنَتِ السّجْنِ ، فأخذَ يُصبـــرُهُ ويواسيهِ ، ويُقوّي عزيمتهُ بقوله :

أبا إسحاقَ إنْ تكُنِ الليّـــالي	عطَفْنَ عليكَ بالخطبِ الجسيمِ
فلمْ أرَ صرْفَ هذا الدهْـرِ ينحو	بمكْروهٍ على غيْـرِ الكريـمِ (٤)

ولم تتخلّف صديقتهُ المُغنيّةُ (عَريب) من مُساندته ومساعدته في محنته هــذه ، فسألتْ الخليفةَ في أمرِه ، فوعدَها بما تحُبُّ ، فكتبتْ الى ابراهيمَ بذلكَ فأجابهـا مُثنياً عليها وشاكراً لها صنيعها (٥) .

---

(١) نفسه ١٦١/٢٢ .

(٢) نفسه ١٥٩/٢٢ — ١٦٠ .

(٣) نفسه ١٦٨/٢٢ .

(٤) المنتحل ٢٦٩ .

(٥) ينظر الأغاني ١٦٢/٢٢ .

ويظهرُ أنَّ كلَّ مابُذِلَ مِن مَسْعىً في سبيلِ إطلاقهِ من الحَبْسِ لم يُجْدِ نفعاً وَبَقِيَ الرَّجلُ حَبيساً ، يُلاقي الضّيقَ والشدّةَ ، فَفَزِعَ الى محمدِ بن عبدِ اللهِ بن طاهرٍ مُسْتَغيثاً ، ومدحَهُ بقصيدة سألَهُ فيما سألَهُ فيها أنْ يُكلِمَ الخليفةَ في شأنِه ، وجَوَّدَ هذه المسألةَ في امرهِ وتحدّى الوزيرَ عُبيدَ الله بن يحيى (وبذَلَ أن يحتمِل في مالهِ كُلَّ مايُطالَبُ به فأعفاهُ المتوكّلُ من ذلك ووهبهُ له) (١) .

وإذا كانَ الحَبسُ قدْ أَضرَّ بجسم ابن المدبرِ ونفسهِ وعَملهِ فأنّهُ عادَ على الأدب بِنماذجَ جيّدة من شِعْرِ السّجونِ ، وفي هذا يقولُ أبو الفَرَجِ : (ولأبراهيم في حَبسهِ أشعارٌ كَثيرةٌ حِسانٌ مُختارةٌ) (٢) .

ويبدُو أنَّ بعض مُناوئي إبراهيم كانوا في أيامِ نكبته عليه . جاء في الاغاني أن عيسى بن ابراهيم النصراني المُكنّى أبا الخير (٣) ، كاتبَ سعيدِ بن صالح (٤) ، (كان يَسْعى على إبراهيم بن المدبّرِ في ايام نكبته فلمّا زالت ، وماتَ سعيدٌ نُكِبَ عيسى بنُ إبراهيم وحُبِسَ ونُهِبَتْ دارُهُ فقالَ فيه إبراهيمُ ...) (٥) كما أنَّ بعضِ من كانَ يُصفيهِ الوُدَّ قد تقاعسَ عن إعانتهِ والأخذ بيدهِ في نكبته ، فقدْ رُوِيَ عن إبراهيم أنه كانَ يقولُ : (نُكِبنا نكْبةً مِن نكباتِنا ، فَسَقَطَ من إخواننا مَن كُنا نجَعلُ من أهلِ الوُدِّ ، فكتبتُ الى بعضهم :

---

(١) نفسه ١٦١/٢٢ ، وينظر : الفرج بعد الشدة ١٢٤/٢ وفيه : أن سبب خلاصه غير ما ذكره أبو الفرج ، وينظر : الشعر الرقم (١٢) .

(٢) الأغاني ١٥٩/٢٢ .

(٣) كذا في الأغاني ، ولعله أبو نوح عيسى بن إبراهيم ، كاتب الفتح بن خاقان ، الذي قبض عليه صالح بن وصيف مع احمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد في آخر عهد المعتز في أوائل جمادي سنة ٢٥٥ للمطالبة بمال يدفع منه للأتراك ، ثم أمر صالح في يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان في تلك السنة وذلك في عهد المهتدي بضرب احمد بن اسرائيل وأبي نوح بالسياط ، فضربا حتى ماتا في اليوم نفسه وينظر : ديوان البحتري ٢٣/١ الحاشية) ولعل أبا نوح هذا قد انتقل من كتابه الفتح بعد مصرعه في سنة ٢٤٧ إلى سعيد بن صالح .

(٤) لعله سعيد بن صالح الحاجب ، اشتهر أمره منذ عهد المتوكل ، وقد عهد إليه أمر المستعين بعد خلعه وقدومه إلى سامراء فذبحه في القاطول ، وفي سنة ٢٥٦ أرسل إلى البصرة من قبل الخليفة لحرب صاحب الزنج (عن شعر ابن المعتز القسم الاول ٥٣٤/١) .

(٥) الأغاني ١٧٥/٢٢ .

وصَديقٍ تَراهُ حُلْواً أنيقاً ... مُؤْنِساً مُلْطِفاً حَفِيّاً شَفِيقَا
ثُمَّ لَمّا رَمانِيَ الدَّهْرُ بالغِلْظَـ ... ـةِ منهُ صارَ البعيدَ السَّحيقَا) (١)

غيرَ أنَّ بعضاً آخر قد أسِفَ لِمَا أصابَ بني المُدبّر من مِحْنَةٍ ، وفَرِحَ لَمّا رَدَّ فَتْهُم نعمةٌ . فكتبَ إلى الأخوين كتاباً بهذا المعنى (٢) .

ويظهر أن إبراهيمَ اتّخذَ بغدادَ دارَ إقامةٍ في أيّامِ نكبته ، أو بعدَها مباشرة على الأصحّ (٣) .

ولا نَعرِفُ على وَجْهِ الدّقّة المدّة التي قَضاها بدون عَمَلٍ بعدَ إطلاق سَراحه وخروجه من الحَبْسِ ، ولكنَّ أبا الفَرَجِ أشارَ إلى أنَّ (جعفَرَ بنَ قُدامةَ قال :

وَلِيَ إبراهيمُ بنُ المُدبّرِ بعقب نكبته وزَوالها عنهُ الثُّغُورَ الجَزَرِيّةَ ، فكان أكثرُ مُقامه بمَنْبِجَ ...) (٤) . وذكرَ الصُّولي خبرين في كتابه (أخبار البُحتري) أحدُهما :

أنَّ (أملَ) جاريةَ الفتحِ بنِ خاقانَ كانتْ تُنازِعُ البُحتريَّ في ضِياعٍ أقطعَها من ضِياع للفتح ، فَصارتْ إلى إبراهيمَ بنِ المُدبّر ، وهو يلي النّاحيةَ ، فَخافَ أنْ يُعينَها عليهِ ، فكتبَ اليه ...) (٥) .

وثانيهما : ان البحتريَّ كانَ يَلزمُ إبراهيمَ بنَ المدبّر في كلِّ سنةٍ أن يُسقطَ أكثرَ خَراجهِ أو يؤدّيَهُ عنه ، فأرادَ شراءَ ضَيْعَةٍ ، واستَماحَ إبراهيمَ ، فَلامَهُ لكثْرةِ ضياعه ، وقال تكفيكَ ضِياعُكَ فقد كَثُرتْ وعظُمَتْ ، فأنشدَه ... إلى أنْ بلغَ إلى قوله ... فأمرَ له بإتمامِ ماله) (٦) .

وأرّخَ مُحقق ديوانِ البُحتريّ القصيدتين في سنة ٢٥٧هـ (٧) ، وأكبرُ الظّنِّ أنَّ إقطاعاتِ البُحتريّ كانتْ في بلادِ الشّامِ ، ولعلّها في مدينةِ (مَنْبِجَ) او بالقُرْبِ منها .

---

(١) إعتاب الكتاب ١٦٢ .
(٢) ينظر : أدب الكتاب ٢٠١ .
(٣) ينظر : الأغاني ١٨٢/٢٢ .
(٤) الأغاني ١٧٦/٢٢ ، وتشمل الثغور الجزرية : انطاكية ومرعش .
(٥) ١١٨ .
(٦) ١١٩ .
(٧) ينظر : ديوان البحتري ٤٢٩ ، ١٦٤٤ الحاشية .

وفي أخبار البُحتريّ عن عبد الله بن المعتز قال : (كان المُعتزُ قد أقطعني إقطاعاً، وجاورني في بعضه البُحتريُّ ، فسألني أن أهبَ له الضيْعةَ التي تُجاورُهُ ، فوعدتُه، فتحمّلَ عليّ بأبي ، وعملَ في ذلكَ أشعاراً ... فقال لي : يا عبد الله ، اقضِ حاجةَ البُحتريّ ، فوهبتُ له الضيْعةَ ، فأنشأ البُحتريُّ قصيدةً في مدح المعتزّ أشارَ فيها إلى مكان الضيعة في قوله :

وجَاورَ ربْعي بالشّآمِ رِباعَهُ ... وليسَ الغنى إلاّ مُجاورَةُ البَحْرِ(١)

وأرّخَ محقّقُ الديوانِ القصيدةَ في سنة ٢٥٣هـ .

وواضحٌ من قولِ أبي الفرجِ أنّ ابنَ المُدبّرِ وَليَ الثّغورَ الجزَريّةَ بعقبَ نكبته وزوالها ، وأنّ الذي أمرَ بإخراجهِ من الحَبْسِ هو المُتوكّلُ ، ونحنُ لا نعرفُ المدّةَ التي قضاها في الحَبْسِ ، ولكنّهُ أُطلقَ قبلَ مقْتلِ المتوكّلِ في سنة ٢٤٧هـ .

ومعلومٌ أنّ المعتزّ مكثَ في الخلافةِ من سنة ٢٥٢هـ إلى ٢٥٥هـ (٢) ، وواضحٌ كذلك من الخبرِ الأوّل الذي ذكرَه الصولي أنّ إقطاعَ الفتح الذي صارَ إلى إحدَى جواريهِ كانَ بعدَ مقتله معَ المتوكّل في سنة ٢٤٧هـ ، وقد لا يَبعدُ أنْ يكونَ الخبرُ الثاني كذلكَ حدثَ للبحتريّ بعدَ مقتلِ المتوكّل والفتحِ ؟

وواضحٌ أنّ تاريخ القصيدتين اللّتين جاءَ خبراهما في أخبارِ البحتريّ في سنة ٢٥٧هـ، لا يقومُ على سَنَدٍ قويٍّ ؛ لأنّ ابنَ المُدبّر في سنة ٢٥٧هـ رجعَ هارباً من البَصرةِ عندَ اجتياحِ الزّنج لها (٣) ، وليسَ هناكَ دليلٌ على أنّ الرّجلَ استمرّ في ولايته الثّغورَ الجزَريّةَ بعقب زَوال نكبته إلى سنة ٢٥٧هـ ؛ لأنّ ولايتَهُ البصرةَ تنقضُ هذا وتُفنّدُه .

وفي أخباره أنّه وَليَ البصرةَ ، ثمّ عُزِلَ عنها ، ولكنْ متى وَليَها ؟ وما العملُ الذي عُهِدَ اليه في هذه الولاية ؟ ومتى عُزِلَ عنها ؟

ذكرَ ابنُ الأبّار في أعقابِ حديثِه عن حَبسِه في عهدِ المتوكلِ وخلاصِه منه قائلاً :

---

(١) ديوان البحتري : ١٠٢٧ .

(٢) ينظر : البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل ٤٩ — ٥٠ .

(٣) ينظر : الطبري : حوادث ٢٥٦ ، ٢٥٧هـ .

وولي ابراهيم بعدَ ذلك البصرة والأهوازَ ، وأسَرَهُ صاحبُ الزَّنج فهربَ منه وجاء في الأغاني عن أبي الفياض سَوَّار بن أبي شُراعةَ قولُه :

(كانَ إبراهيمُ بنُ المُدبرِ يتولّى البصرةَ ، وكانَ محُسناً إلى أهل البَلد إحساناً يَعُمُّ ، ويَشْتَمِلُ على جَماعتهم نفعُهُ ، ويخصنّا من ذلكَ بأوفرِ حظٍّ وأجزَلِ نَصيبٍ ، فلمّا صُرِفَ عن البصرةِ شيّعَهُ أهلُها ، وتفجعوا لفراقهِ وساءَهُم صَرْفُهُ ، فجعلَ يرد الناسَ من تشيعهم على قَدْرِ مراتبهم من الأنسِ به ، حتى لم يَبقَ معَهُ إلاّ أبي ، فقالَ لهُ : يا أبا شراعةَ ، انَّ المُشيّعَ مُودّعٌ لامحالهَ ، وقد بلغْتَ أقصى الغاياتِ ، فبحقي عليكَ إلاّ انصرفتَ ... فودّعَهُ أبي ، ثمَّ قالَ :

يا أبا إسحاقَ سرْ في دَعَـــة وامضِ مَصحوباً فَما فيك خَلَفْ

وَصرْفُ الرّجلِ من عملهِ اوعزٌ لهُ عنه جَعلَ غيرَ واحدٍ من الشعراءِ يأسف له ، ويتحسّرُ على ماأصابه (٣) ، بل ذهبَ بعضهُم الى تَهنئته بهذا العزل ، لأنه بعدَه أعلى وأفضلُ :

ليهْنيءْ أبا إسحاقَ أسبابُ نعمةٍ مُجَدَّدَة بالعزْلِ ، والعزْلُ أنبَلُ
شَهِدْتُ لقدْ مَنوا عليكَ وأحسنوا لأنّكَ بَعدَ العزْلِ أعلى وأفضلُ(٤)

وذكرَ الطبري في حوادث ٢٥٦هـ فقال :

حتّى وافَوا (اي الزّنج) الأهوازَ ، وبها يومئذ سعيدٌ بنُ يكْسينَ والٍ وإليه حَربُها ، وإبراهيمُ بنُ محمّدِ بن المُدبّرِ ، وإليه الخَراج والضّياعُ ، فهَربَ النّاسَ منهم أيضاً فلم يُقاتلْهم كثيرُ أحد ... وثبتَ إبراهيمُ بنُ المدبّرِ فيمن كانَ معَهُ من غلمانه وخَدَمه ، فدخلوا المدينةَ ، فاحتوَرها وأسَروا إبراهيمَ بنَ المُدبّرِ ، بعدَ أنْ ضُرِبَ ضَربةً على وجههِ وحوَوْا كلَّ ما كانَ يَملكُ من مالٍ وأثاثٍ

(١) إعتاب الكتاب ١٦٢ .
(٢) ٢٢/١٨٠ ، وينظر المصدر نفسه ٢٣/٢٢ — ٢٤ .
(٣) ينظر : الفاضل في صفة الأدب الكامل ١٢٧ ، والفرج بعد الشدة ٥/٧٥ ، وديوان المعاني ٢/٢٢٢ ، والبصائر والذخائر ١/٣٨٨ ، والمستطرف ١/٢٣٥ .
(٤) نهاية الأرب ٥/١٣٩ ، والوافي بالوفيات ٩/٧٧ ، وينظر : المستطرف ٢/٦٨ — ٦٩ جاء في الوافي : (وكتب أبي ابراهيم بن عيسى إلى إبراهيم بن المدبر ، وقد انتزع اسماعيل بن بلبل من يده عملا كان معه) .

رقيق وذلك يوم الأثنين لأثنتي عشرةَ ليلةً خلَتْ من شهرِ رمضانَ سنةَ ستٍ وخمسينَ ومائتين) (١)

وذكرَ في حوادثِ ٢٥٧هـ تخلُّصَ إبراهيمَ من الحَبْسِ ومعهُ ابنُ أخٍ له يُعْرَفُ بأبي غالبٍ ، ورجلٌ من بني هاشمٍ (٢) .

يتّضحُ ممّا تقدّمَ أنّ ما أشارَ إليه ابنُ الأبّارِ من أنّ ابراهيم تولّى البصرةَ بعقِبِ تخلّصه من نكبته في عهدِ المتوكل ، غيرُ صحيحٍ ؛ وذلك لأنّه ولِيَ — كما تقدّمَ — الثّغورَ الجزَريّةَ .

كمَا أنّ المدّةَ التي قضاها في ولايةِ البصرة غيرُ واضحةٍ كذلك ، فهلْ بقيَ والياً عليها وعلى الأهوازِ إلى أنْ أسرَهُ الزّنجُ؟ أو أنّه شغَلَ هذه الولايةَ مرتين ؟ فما ذكرَهُ أبو الفرجِ عن أحد مقرّبي ابن المُدبّرِ في البصرةِ من تشييع أهلِ البصرةِ له — عندَ عزْلِه — لا يمكنُ أنْ ينسجِمَ معَ الحالِ التي كانوا عليها عندَ اجتياح الزّنجِ لها واحتوائِها من قِبلِهم ، فمن غير المعقولِ أنْ يخرجَ أهلُ البصرةِ وهُمْ في قبْضتي الزّنجِ — في تشييعِ الرّجلِ ؛ لأنّ الحالَ تستدْعي أن يكونَ هناكَ أمْنٌ واستقرارٌ وهدوءٌ ، وهذهِ كلُّها غيرُ متوفّرة في ذلك الوقتِ !

لقدْ كانَ موقفُ ابنِ المُدبّرِ وصمودُهُ الرّائعِ أمامَ الزّنجِ نموذجاً حيّاً لرجلِ المسؤوليةِ ؛ ولهذا اتّخذَ الأدباء من هذا الموقفِ المسؤولِ ومن الضّربةِ في وجههِ منطلقاً للإشادة بالرّجلِ والثّناءِ عليه (٣) .

كما اتّخذَ بعضٌ آخرُ منهما مُنطلقاً للتنديدِ بهِ والحَطِّ منه (٤) .

وأجملَ الصّفَدي بعضَ ماشغَلَه هذا الرّجلُ بعدَ صرْفِه من البصرة ، فقال : (ولم يزَلْ في رتبةِ الوزراءِ وأحضرَ في سنةِ ثلاثٍ وستينَ للوزارة فاستعفَى لعِظَمِ

---

(١) ٤٧٢/٩ .

(٢) ينظر تاريخ الطبري ٤٧٧/٩ ، والكامل ٢٤٢/٧ .

(٣) ينظر : ديوان البحتري ٢٨٩ ، ١٦٩٣ ، ١٦٩٤ ، من أخبار البحتري ١١٣ — ١١٤ وديوان ابن الرومي ١٩٧١ .

(٤) ينظر : ديوان ابن الرومي ٨١٣ وزهر الآداب ٢٩٦ — ٢٩٧ .

المُطالبةِ (١)، فاستكتبه المُعتمدُ لابنهِ المُفوّضِ وضمّ إليه دواوينَ ، ثُمّ إنّ المُعتمدَ دفعَ الى إبراهيمَ ثلاثمائةِ ألف دينارٍ وخلعَ عليه بتكريتَ وقالَ لقوّاده ممنْ معَه : ماآستوزرْتُ بعدَ عُبيدِ الله بنِ يحيى وزيراً أرضاهُ غيرَ الحسنِ بنِ مُخلّد وإبراهيمَ في هذا الوقتِ ، وخرجَ الى المَوْصلِ ليلتقي جيشَ ابنِ طُولون (٢) ، ثُـمّ إنّ إسحاقَ بنَ كُنْداجَ مُتولّيَ المَوْصلِ وديارَ ربيعةَ قبضَ على القوّادِ بحيلةٍ دبّرَها وأرادَ القبضَ على إبراهيمَ فحذّرَهُ الى بغداد وحبسَه إلى أنْ رَضيَ المُوفّقُ عنهُ وهو بواسطَ وخلعَ عليه) (٣) والجدير بالذكرِ أنّ في ديوانِ ابنِ الرّوميّ قصيدةً جاءَ عُنوانُها على هذا النحو :

(وقالَ لابنِ المُدبّر لمّا قُلّدَ مصرَ ، وقد كانَ منه على مَواعيدَ).

وأكبرُ الظّنِ أنّ ابنَ الرُّوميّ قد أيّدَ استنزارَ ابنِ المُدبّر في سنة ٢٦٩هـ وهـي السّنةُ الّتي عزمَ فيها المُعتمدُ على الهربِ الى مصرَ ، وحسبَ أنّ الأمرَ سيتمُّ فقالَ قصيدتَهُ ، وفيها إشاراتٌ الى ذلك منها قولُهُ :

وطئتَ أبا إسحاقَ أثبتَ وَطْـــأةٍ   وأثقلتَها ثقْلاً علـى رَغْمِ رَاغمِ
وهُنّئتَ ماأُعطيتَـهُ مـن كَرامـةٍ   وهُنّئْكَ المعطاكَ بَـاني المَكارِمِ
سَبقْتَ به الكُتّابَ عفْواً كَسَبْتَـهُ   بلِ السّادةَ ، الأملاكَ من آل هاشمِ
وأصبحتُما مُستَبْشريْنِ كِلاكُـما   بصاحبِه قدْ فازَ فوزةَ غانـمِ
أمّا والهَدايا الدّامياتِ نُحورُهـا   ضُحىً والمَطايا الدّامياتِ المَناسِمِ
لقدْ أُيّدتْ منكَ الخلافةُ طَوْدَهـا   بركْنٍ وثيقٍ غيرِ واهي الدّعائمِ
كأنّي بمصرٍ قد تجلّيتُ طالعـاً   عليها بوجهٍ مُسْفرٍ غيرِ قاتمِ (٤)

(١) جاء في اللطائف والظرائف ١٤ (وكان إبراهيم بن المدبر اذا عرضت عليه الوزارة أنشد قول العتابي :
تلوم على ترك الغنى باهلية   نفى الدهر عنها كل طرف وتالد
...)

(٢) كان هذا في سنة ٢٦٩ (الاعلام ١/٥٩) .

(٣) الوافي بالوفيات ٦/١٠٧ وينظر : إعتاب الكتاب ١٦٢ ومعجم الأدباء ٦/٢٢٦ ومختصر التاريخ ١٦٣ .

(٤) ديوان ابن الرومي ٢٤٠٢ — ٢٤٠٤ .

ويظهر أنّ آخر عمل له كان على ديوان الضِّياع ، قال المرزباني :

(لمّا قلّد عبيد الله بن سليمان عند تقلّده الوزارة إبراهيم بن المدبّر ديوان الضّياع ببغداد ، وذلك في سنة ثمان وسبعين ومائتين ، فنقص إبراهيم كتّاب الدّواوين من أرزاقهم ، وتوفّي إبراهيم في عقب ذلك فقال محمّد الماسح...) (١) وممّا يؤيّد هذا الخبر الذي رواه الحُصري والذي جاء فيه :

(ودخل (ابو العيناء) إلى عبيد الله بن سليمان ، فشكا إليه حالَه ، فقال : أليس قد كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبّر ؟ فقال : كتبت إلى رجل قد قصّر من همّته طول الفقر ، وذلّ الأسر ، ومعاناة الدّهر ، فأخفقته في طلبتي) (٢) .

هذه الأعمال التي تقلّب فيها أبن المدبّر هي التي حملت بعض مترجميه على القول فيه .

(من وجوه كتّاب أهل العراق ومتقدّميهم وذوي الجاه والمتصرّفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات) (٣) .

إنّ حياة الرّجل ــ كما تقدّم ــ لم تكن على نمط واحد وانّما كان يعتورها مايعتور حياة أيّ رجل طموح ذي همّة في ظروف مختلفة متقلّبة ، ومن غير شكّ في أنّه قد تمتّع بالحياة تمتعاً يتناسب ومركزه الاجتماعي والسّياسي والأدبي.

لقد كان الميل الى الادب وأهله جانباً من متع الرّجل ، ومن أجل ذلك كثُر المتصلون به من الشعراء والأدباء ، كما كثرت أخباره معهم كثرة تلفت النظر وكانت داره مألفاً لهم ومنتدى يجتمعون فيه ، وقد رُوي عن الأخفش قوله : (استهدى إبراهيم بن المدبر المبرّد جليساً يجمع الى تأديب ولده الامتاع بأيناسه فندبني لذلك ...) (٤) . ويظهر انّ إلحاح الشّعراء وطمعهم في الحصول على الجوائز قد حملا ابن المدبّر على اتخاذ حاجب له صعب ، لايسهّل الدخول

(١) معجم الشعراء ٤٠٩ وينظر : معجم الأدباء ١/٢٢٧ . مما ينبغي ذكره أن بروكلمان أشار في ترجمته ابراهيم انه كان والياً على خراج للسلطين المهتدي بالله (تاريخ الأدب العربي ١١٧/٢) ، والصحيح ان الذي ولي ذلك احمد بن المدبر (مروج الذهب ٤/١٠٠) .

(٢) زهر الآداب ١/٢٩٩ .

(٣) الأغاني ١٥٧/٢٢ ، وينظر : معجم الأدباء ١/٢٢٧ .

(٤) البصائر والذخائر ٤٩٩/٣ وينظر : قطب السرور ٢٩٦ .

اليه في كل وقت ، ولهذا شكا غير واحد من الشعراء هذا الحاجب بل هجوه وأكثروا من هجائه (١) . كما كان يستمتع بالغناء ، ويأنس بالندماء ، ويشغف بالجواري ، ويعقد مجالس الأنس والشراب في داره على الشاطىء في المطيرة (٢) وهي قرية من نواحي (سامراء) كانت من متنزهات بغداد وسامراء (٣) . فكان من مغنيه المفضلين أبو العبيس بن حمدون الذي كان يحضر مجالس أنسه ، فيستمع الى غنائه وينادمه ، وبلغ حبه لغنائه أنه كان يتراءى له ذلك في منامه (٤) .

كما كان يستمتع بغناء تحفة وبدعة وكراعة ونبت وسواهن من الجواري المغنيات ، فكان يطلق نفسه على سجيتها ، او كان يلبس لباساً آخر غير الذي كان يلبسه في حال الجد والوقار ، فيقبل عليهن بنظره ومزحه وتجميشه ، وكثيراً ماتفتق تلك المجالس الغنائية قريحته الشعرية فيسجل مايحدث له ولأصحابه فيها من أمور (٥) .

ومع كل ذلك فقد كان حبه لكبرى مغنيات ذلك العصر — وهي عريب — يفوق حب كل من اتصل بهن من المغنيات . كما أن أخباره معها تفوق أخبار سواها ، وهذا ما جعل أبا الفرج يقول في مقدمة ترجمة إبراهيم وكانت بينه وبين عريب حال مشهورة كان يهواها ، وتهواه ، ولهما في ذلك أخبار كثيرة ، قد ذكرت بعضها في أخبار عريب ، وأذكر باقيها ها هنا) (٦) .

وصلة ابن المدبر بعريب قديمة ترجع إلى حداثته ، فقد تقدم أنه خرج مع جيش المأمون إلى بلاد الروم وهو حدث ، وراهن بعض لداته أن ينشد شعر

(١) ينظر : رسائل الجاحظ ٣٧/٢ ، وديوان البحتري ١٠٦٦ ، ٢٢١٧ ، ومعجم الأدباء ٢٢٩/١ ، ٤/٣ ، والوافي بالوفيات ١٠٩/٦ .

(٢) ينظر : الأغاني ١٦٥/٢٢ .

(٣) سامراء في أدب القرن الثالث الهجري ٢٣ .

(٤) ينظر : الأغاني : ١٦٤/٢٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٨٤ .

(٥) ينظر المصدر نفسه ١٦٢/٢٢ ، ١٦٤ ، ١٨٤ .

(٦) الأغاني ١٥٧/٢٢ . عريب : هي عريب المأمونية ولدت سنة ١٨١ﻫ وهي شاعرة ، مغنية ، أديبة ، من أعلام العارفات بصنعة الغناء والضرب على العود ، قيل : هي بنت جعفر بن يحيى البرمكي ، نشأت في بغداد ، وأعجب بها المأمون فقربها حتى نسبت اليه ، ماتت بسامراء سنة ٢٧٧ﻫ (عن الاعلام ١٩/٥) .

بعضهم في عَريبَ التي كانتْ تُرافقُ الجيشَ ، والتي فَطنتْ إلى أنَّ السببَ في هذا الإنشادِ هو الرِهانُ ، ومَنْ يَدري فلعلَّ تلكَ الحادثةَ هي البَدْءُ في العَلاقة بينهما .

إنَّ أخبارَهما تُصوِّرُ ما كانَ بينهما من عَلاقةِ حبٍّ طاغيةٍ ، وما جَرى لهما من الصفاءِ والهَناءِ ، كما تَعكسُ ما كانَ يَنتابُ تلكَ العَلاقةَ من حالاتِ الفُتورِ والجَفاءِ . لقد كانَ يَرتاحَ إلى عَريبَ ، ويأنسُ بمجالسها ، ويلذُّ غناءَها ، ويَتفقدُ أحوالَها ، ويُسبغ عليها من الهدايا والهباتِ الشيءَ الكثيرَ . ولم تكنْ هي بأقلَّ عنايةً منهُ ، وتفقُّداً لأُمورهِ ، حتى قيلَ إنه كان في إصبعِ إبراهيمَ خاتَمانِ وهبتْهما له ، وكانا مُشهورين لها (١) .

لقد كانَ يُظهرُ من الاحتفاءِ بمَقدمها ما لا مَزيدَ عليه ، حتى كانَ يَخرجُ إليها حافياً ، ويُقبلُ الارضَ بينَ يَديها (٢) .

لقد حفظ لنا الأغاني نماذجَ من رسائلها اليه ، كما حفظَ لنا نماذجَ من شعره فيها ، ويبدو أنَّ العَلاقةَ بينَهما استمرَّتْ أمداً طويلاً ، ثُمَّ فَترَتْ ورُبما انتهتْ بعدَ أنْ امتدَّ بهما الزَّمنُ إلى أرذلِ العُمرِ ، وضاقتْ الحالُ بالرجل ، فقد رُويَ عنه قوله :

(كنتُ أتعشقُ عَريبَ دهراً طويلاً ، وأنفقتُ عليها مالاً جليلاً . فلما قَصدَني الزَّمانُ ، وتركْتُ التصرّفَ ، ولزِمتُ البيتَ ، كانتْ هي أيضاً ، قد أسنتْ وتابتْ من الغناءِ ، وزَمنتْ) (٣) .

صفاته :

لم نقفْ على شيءٍ يَتعلقُ بصفاته الخلقية ، لا في الأخبار التي رُويتْ عنه ، ولا في مدائحِ الشعراءِ وأهاجيهم له ، ولكنْ جاءَ في الرّسالة العَذراءِ المنسوبةِ إليه في صفاتِ الكتابِ المحمودةِ (لأنَّ الحكماءَ قد شَرطُوا في صفات الكتّاب :

اعتدالَ القامةِ ، وصِغَرَ الهامةِ ، وخفةَ اللهازمِ ، وكثافةَ اللحيةِ ، وصدقَ الحسِ ، ولُطفَ المَذهبِ ، وحلاوةَ الشمائلِ ، وخفةَ الإشارةِ ، ومَلاحةَ الزّيِ .. (و) أنْ يكونَ الكاتبُ بَهيَ المَلبَسِ ، نظيفَ المجلسِ ، ظاهرَ المروءةِ

(١) ينظر الأغاني ١٦٤/٢٢ .

(٢) نفسه ١٧٨/٢٢ .

(٣) نثر الدر المحاضرة ٢٧٠/١ .

عَطِرَ الرّائحة ، دَقيقَ الذّهنِ ، صادقَ الحسِّ ، حَسَنَ البيان ، دقيق حَواشي اللسانِ ، حُلْوَ الإشارةِ ، مَليحَ الاستعارةِ ، لَطيفَ المَسْلك ، مُسْتَفْرَهَ المَركَبِ، ولا يكونُ مَعَ ذلك فَضْفاضَ الجُثةِ ، مُتفاوتَ الأجزاءِ ، طويلَ اللحية ، عظيم الهامةِ ...) (١) .

وأكبرُ الظنِّ أنّ الرّجلَ كان يَتحلى بهذه الصفاتِ أو أغلبها ، ولو كانَ فيه شيءٌ مما يخالفُ ما في هذا النصِّ لنالَ منهُ من هجاهُ من الشعراءِ وخاصةً ابنَ الرّومي .

وفي أخباره إشاراتٌ إلى الصفاتِ الخُلُقيةِ التي جاءتْ في تَضاعيفِ هذا النصِّ أيضاً .

فقد كانَ دَمِثَ الخُلُقِ ، سَمْحَ الطبْعِ ، حُلْوَ الشمائلِ ، ومن أجلِ هذا كثُرَ أخوانه وأصفياؤه ، من فئاتِ المجتمعِ المختلفة .

كما كان بارعاً في عملهِ ، مُتقناً له ، مَعروفاً بمرونته الادارية وقدرته الأبداعية ولهذا تقلّبَ في جليلِ الاعمالِ ومذكورِ الولاياتِ كما تقدّمَ ، وكان بعضُ الخلفاءِ قد أثنى عليهِ وعلى قدرتهِ في إدارة شُؤون الخلافة حينَ استوزرَهُ كما سلفَ .

ولعلَّ براعتَه الأداريّةَ وحُسْنَ سيرتِه بينَ النّاسِ هي التي حملتْ أهلَ البصرة على الخروجِ لتَشييعه وتَوديعهِ حينَ عُزِلَ عن قريتهم كما تقدّمَ. كما كانَ حَسَنَ الرّعايةِ لندمائه وأصدقائهِ وحاشيته ، يَعملُ على إرفادهم بعطاياه في حياتهم ، ويأخذُ بيدِ أُسرهم بعدَ وفاتهم ، ولعلّ فيما رُويَ من أنّ أحدَ المغنين ماتَ عندَه فتحمّلهُ الى بناتهِ وما كسبَه فاقتسمْنَهُ بَينهنّ (٢) ، دليلٌ على هذا .

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٠٢ — ٢٠٣ ، وينظر : مجلة الأستاذ العدد الثاني ١٩٧٨ — ١٩٧٩ ص ٥٤٧ — ٥٤٨ . الهامة : الرأس . اللهزمتان : ناتئتان تحت الأذنين من أعلى اللحيين والخدين . الفاره من الجياد : الجيد السير ، واستفرهها : استكرمها أي انتقاها كريمة فارهة .

(٢) ينظر الأغاني ٢٣/٢٧٦ وينظر : أخبار البحتري ١١٩ ، ونشوار المحاضرة ١/٢٧٠ حيث منح عريب في آخر حياتها ضيعة زوجته المجاورة لضيعتها ، وهو في حال ضيق .

وكانَ من سَماحةِ خُلقه عفوه عمن ثلبَه ونال منه بعد اقتداره عليه ، من ذلك ان ابنَ الرُومي (قد أخنى عليه بالهجاءِ الفاحش فطلبه ابنُ المدبر أشدّ الطّلبِ ، فلمّا ظَفرَ بهِ وأرادَ قتلَه أنشأ يقولُ ... فعفا عنه وأجازه) (١) .

وكانَ فيه مَيلٌ الى المرْح والدعابةِ ، وقد رُويتْ له أخبارٌ في هذا الشأن (٢) .

وتقدّمَ أنّه كانَ محُبّاً لمجالسِ الأُنْسِ والشرابِ والغناءِ ، كما كانَ سَريعَ البديهةِ ، صادقَ الحَسّ ، ولعلّ في علاقاتهِ مع رِجالِ العَصْرِ وأدبائه فيما ذُكرَ عنه من إتمامِ الأشاراتِ والتلميحاتِ دليلاً واضحاً على هذا (٣) .

ويظهر أنّه لم يكن يحَفلُ بالتنجيمِ والمُنجّمينَ ، ومُماراتُه أحدَ المُنجمين الهلالِ لشهرِ رمضانَ شهيدٌ على ذلك (٤) .

وإذا كان الصُّمودُ أمامَ الأزماتِ الحادة ، والمواقف الحرّجةِ دليلَ الشّجاعةِ ورباطةَ الجأْشِ ، فصُمودُه في البصرةِ أيّامَ اجتياحِ الزّنجِ لها — كما سلف — خيرُ بُرهانٍ على هذا .

ومعَ كلّ ماكانَ يتمتّعُ به من هذهِ الصّفاتِ ، فإنّ غيرَ واحدٍ من الشُّعراءِ أو الأدباءِ قد وقفَ منهُ موقفَ المُندّد له ، الطّاعنِ عليهِ مواقفَه منهم وتلكُؤَهُ عن مساعدتهم ، وتعودَه — لسبب من الأسباب — عن الأخذ بأيديهم ، بعدَ أنْ كالُوا له المديحَ جُزافاً ، وأطرَوّا خلالَه ، وأثنَوْا عليه ، ولا نحسبُ أنّ مثلَ هذه المَطاعنِ يُمكنُ أنْ يُركنَ إليها ، فتتخذَ معياراً يُعتمدُ عليه في تقويم الرجل! (٥) .

ثقافتُهُ :

ليسَ في أخبارِه مايُشيرُ إلى أوليّةِ ثقافته أو مؤدّبيهِ الذين تعهّدوه بالتّعليمِ والتّثقيفِ فأخذَ عنهم وتأثّرَ بهم ، فالأخبارُ عن أوليّةِ أسرته تكادُ تكونُ نادرةً اللّهمّ إذا استثنّينا الخبرَ الذي رُوِيَ عن أخيهِ أحمدَ ، الذي يُشيرُ الى أنّ والدَه قـد

(١) ديوان المعاني ١/٢٠٢ .

(٢) ينظر : الهفوات النادرة ٢٥٩ ، ٢٦٩ .

(٣) ينظر : الأغاني ٢٢/١٧٢ ، والأذكياء ٢٣٣ .

(٤) ينظر : الأغاني ٢٣/٢٤ .

(٥) ينظر : مجلة الاستاذ ع د ١٩٧٨ — ١٩٧٩ ص ٥٤٨ — ٥٤٩ .

دَفَعَ الى أحد أصدقائه خمسةَ آلاف دِرْهَمٍ دونَ علْمِ ابنه الذي خرَجَ مع أحدِ رجالِ المأمونِ في خروجِ الأخيرِ إلى بلادِ الرُّومِ سنة ٢١٥هـ كما تقدَّمَ ، ليَعرضَها عليهِ في حالِ اختلالِ حاله وحاجته الى المال .

ومَعنَى هذا أنَّ والدَه كانَ ميُسَّرَ الحالِ ، وإذا صَحَّ هذا ـ فأكبرُ الظَّنِّ أنه تعهَّدَ أولادَه ومنهم إبراهيمُ بالتّعليمِ والتّهذيبِ ، ومَنْ يَدري فلعلّهُ هَيّأَ لهم من وسائلِ التثقيفِ مايتَناسبُ وحالَه التي كانَ عليها .

ومما يَجدرُ ذكرُه أنَّ أقدمَ خَبَرٍ عن إبراهيمَ ـ كما تقدَّمَ ـ هو خبرُ خروجهِ إلى بلادِ الرُّومِ معَ عَسْكرِ المأمونِ ايضاً، ولعلّه كان يُصاحبُ أخاه أحمدَ، فراهن أحَدَ لِداتهِ أنْ يَمرَّ بالقربِ من جمّازةِ عَريبَ ويُنشدُ أبياتَ عيسى بنِ زَينب فيها ومَعنَى هذا أنّه كانَ يَحفظُ جُملةً من الشّعرِ بلْ ومن الشّعرِ الخاص الذي قالَه شاعرٌ معين في امرأةٍ مُعيّنةٍ .

والمظنونُ أنّه تَلقّفَ في طفولتهِ وصباهُ العلومَ التي كانَ يتلقّفها أبناءُ العَصر ، وأنَّ الأبَ كانَ يُريدُ أنْ يكونَ أبناؤُهُ كتاباً ، فدفعهم الى من يزوّدُهم بكلِّ مايؤهّلهم الى ذلك . ولعلَّ الخبرَ الذي تقدمَ عن ابنه احمدَ في خروجهِ الى بـلادِ الرّوم والذي كانَ في أولِ عَهدهِ بالكتابةِ والذي جاء فيه :

(كنتُ أتقلّدُ مجلسَ الأسكدارِ في ديوانِ الخراجِ)، وما تَقلّدَه أحمدُ هذا .. ، وأخوه إبراهيمُ بعدَ ذلك من الولايات والأعمال الأداريةِ ، دليل واضح عـلى هذا .

وإذا جاز لنا ـ بعدَ تَعذّرِ الوقوف على أوليّة الرجلِ ـ أن نتخذَ ممـا جاءَ في الرسالة المنسوبةِ الى إبراهيمَ ،فيما يَجبُ أنْ يأخذَ الكاتبُ به نفسهمن الثقافةِ والتحصيلِ ، وممّا استشهدَ به ابنُ المدبرِ في تضاعيفها من النّصوص ، وما ذكرَه من الأسماء ، وأنْ نَستأنسَ بالأخبار التي رواها أو رويتْ عنهُ أيضاً ، دليلاً على ثقافته وعلمـه . فاننا نَستطيعُ انْ نَمضيَ في هذهِ السبيل ، وانْ نَضعَ أيدينا على مختلفِ أنـواعِ ثقافته ومعارفه .

جاء في الرسالة العذراء :

(واعلَمْ أنَّ الاكتسابَ بالتعلمِ والتّكلّفِ ، وطولِ الاختلافِ الى العلماءِ ، ومدارسة كُتُبِ الحُكماءِ ، فإنْ أردتَ خوضَ بحارَ البلاغةِ ، وطلبتَ أدمانَ الفَصاحـة نتصفّحْ من رسائلِ المتقدمينَ ماتعتمدُ عليهِ ، ومن رسائلِ المتأخرينَ ماترجعُ اليهَ

في تلقيح ذهنك ، واستنجاح بلاغتك ، ومن نوادر كلام النّاس ماتستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسّير والأسمار مايتسع به منطقك ، ويعذب به لسانك ، ويطول به قلمك ، وانظر في كتب المقامات والخطب ، ومحاورات العرب .. وحدود المنطق .. بعد أن تتوسط في علم النحو والتصريف واللغة والوثائق والسّور والشّروط ككتب السجلاّت والأمانات ...) (١) .

وقد ضمّن رسالته جملة من النصوص النثرية والشعريّة ، وسمّى أغلب أصحابها الى جانب تضمينها الأحاديث النبوية ، وسنجتزىء بذكر الأسماء التي وردت في هذه الرسالة والتي تمثّل بنماذج من كلام اصحابها بحسب تسلسل ورودهم فيها :

محمود الوراق – عبدالله بن طاهر – محمد بن عبد الملك الزّيات – كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العلاء الحضرمي وأقيال اليمن وكسرى وقيصر – الإمام عليّ بن أبي طالب – ابن عباس – إبراهيم المزني – لبيد – الحباب بن المنذر – أبو نواس – العتابي – الحسن بن وهب – العتبي – أبو تمام – ابن قيس الرّقيات أبو العتاهية وابن مناذر – الجاحظ – خالد بن صفوان – عيسى بن لهيعة – مخلد الموصلي – ارسطا طاليس – هشام بن عبد الملك – علي بن عبدة – الأعور التيميّ – عليّ بن الجهم – سهل بن بركة – عبد الرحمن بن كيسان – بشر بن خالد – عمر بن عبد العزيز – عمرو بن عبيد – الخليل بن أحمد .

أما الأخبار التي رواها عمن اتصل بهم من رجال العصر أو الأخبار التي رواها عنه من اتصل به من الأدباء والشعراء والنقاد ، أو رويت عنه دون ذكر اسم من أخذها عنه مباشرة ، فكثيرة .

ليس لدينا – كما سبق القول – خبر يشير إلى من أخذ عنهم في عهد صباه أو شبابه ، وإنما الأخبار التي رواها عمن اتصل بهم من رجال العصر كانت في جملتها تدور في فلك القرن الثالث الهجري . فقد روي عن عليّ بن الجهم ابراهيم الصولي ، ودعبل ، واحمد بن المعتصم (المستعين) ، وأحمد بن عمار أخباراً

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٠١ .

حول : عليّ بن الجهم ، وإبراهيمَ الصُّوليّ ، ودعبلٍ والحارثيّ (١) ، وأبي نواس والحُسين بن الضحاك (٢) ، وشجاع بن القاسم ، كاتب أوتامش (٣) .

وبعد أن قطع شوطاً بعيداً في علاقاته بالمجتمع ورجاله وأصبحتْ له مكانة مرموقة اتصل به غيرُ واحد من رجال العصر — كما تقدّم ، فاخذوا عنه ورووا أخباراً متنوعة كان يتحفهم بها ، وعرف عن الرجل ميله إلى الأخبار حتى نعته بعضهم بالأخباري (٤) .

وأشار بعضهم إلى مَن روى عنه فقال : (روى عنه أبو الحسن الأخفشُ ، وأبو بكر الصُّوليُّ ، وميمونُ بنُ هارونَ ، وجعفرُ بنُ قُدامةَ الكاتبُ)(٥) .

والحقُّ إنّ هناك آخرين حدّثوا عنه غيرُ هؤلاء ، أمثال : محمد بن القاسم بن مَهْرَوَيه ، وابن المُعتز ، وعبد الله بن جعفر الوكيل ، وأحمدَ بن سعيد ، وعمّ أبي الفرج ، وأحمد بن يزيدَ المُهلبي ، وقد رووا عنه أخباراً حول :

مروانَ بن أبي حفصةَ ومسلم بن الوليد (٦) ، واحمدَ بن يوسفَ وكاتبه (٧) ، وعوف بن مُحلم (٨) ، والحسين بن الضحاك وأبي نواس (٩) ، وابراهيمَ الصُّولي ودعبل (١٠) ، وعليّ بن الجهم (١١) ، ومروانَ بن أبي الجنوب (١٢) ، وعبد الله

(١) ينظر : الأغاني : ١٠/ ٢٦ ، ٢١٠ — ٢١١ ، ٢٢٠ ، ٢٠ /١٨٣ ، وبدائع البدائة ١٧٦
(٢) ينظر : الأغاني ٧ / ٢٠٣ .
(٣) ينظر : الهفوات النادرة ٢٦٩
(٤) ينظر : المشتبه في اسماء الرجال ٥٨١ .
(٥) الوافي بالوفيات ٦/١٠٧ ، وينظر : تاريخ بغداد ١٣/٢١٠ .
(٦) ينظر : الأغاني ١٠/٩٣ — ٩٤ .
(٧) ينظر : أخبار البحتري .
(٨) ينظر الاغاني ١٢/٨٦ .
(٩) ينظر : الاغاني ٧/١٥٥ ، ١٥٦ ، ٢٠٣ .
(١٠) ينظر : الأغاني : ١٠/٤٦ ، ٢٠/١٨٣ ، وبدائع البدائة ١٧٦ — ١٧٧ .
(١١) ينظر : الأغاني ١٠/٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ .
(١٢) ينظر : تاريخ الطبري ٩/٢٣٢ .

بن العبّاسِ الرَّبيعي (١) ، وسعيدِ بنِ حُمَيْدٍ وفضلٍ الشاعرةِ (٢) ، والخريميّ (٣) والحسنِ بنِ وَهْبٍ (٤) .

كما رووْا أخباراً تتعلقُ بابنِ المُدبرِ نفسه ، كخروجه إلى أرضِ الرُّومِ معَ عسكرِ المأمونِ وهو حدث (٥) ، وتعصُّبِه على أبي تمامٍ (٦) ، وعلاقته وأخيه أحمدَ بإبراهيم الصوليِ (٧) ، وإحدى رسائلِ الجاحظِ إليه (٨) ، واستهداءِ مؤدِّبٍ لولده (٩) ، وأحد مجالسه الأدبيةِ (١٠) .

وهناكَ أخبارٌ أخرى حدّث بها ابنُ المُدبر ولم يُشرْ إلى مَنْ رواها عنه مباشرةً ، وهي أخبارٌ استقاها من قراءآته او من علاقاته بأصحابها ، وهي تتعلقُ بالرشيد وبعض حاشيته (١١) ، وإيتاخَ التركيِّ (١٢) ، وإعتذارِ المُعتزِ (١٣) ، ومحمدِ بنِ الفضلِ الجرْجَرائيِّ (١٤) ، وأحمدَ بنِ الخصيبِ (١٥) ، ودِعْبلٍ (١٦) ، والبُحتُريِّ (١٧)

يتضحُ مما تقدَّمَ أنَّ ثقافةَ الرّجلِ كانت واسعةً وعميقةً ، وأنه قد استمدَّ من المعارفِ والعلومِ القديمةِ ماقوَّمَ به نفسَه ، كما ألقى بثقله على الثقافةِ الحديثةِ فقالَ

---

(١) ينظر : الأغاني ١٩/٢٣٠ .

(٢) ينظر : الأغاني ١٩/٣٠٦ .

(٣) ينظر : معاهد التنصيص ٤/٩٣ – ٩٤ .

(٤) ينظر : الأغاني ٢٣/١٠٥ .

(٥) ينظر : الأغاني ٢١/٩٤ .

(٦) ينظر : أخبار أبي تمام ٩٧ – ٩٨ .

(٧) ينظر : الأغاني ١٠/٥٧ .

(٨) ينظر : معجم الادباء ١٦/٩٢ – ٩٣ .

(٩) ينظر : البصائر والذخائر ٣/٤٩٦ ، ومعجم الأدباء : ١٣/٢٥٥ .

(١٠) ينظر : أخبار البحتري ١٢٤ – ١٥ .

(١١) ينظر : الأذكياء ٩٦ .

(١٢) ينظر : تاريخ الطبري حوادث ٢٣٥ هـ .

(١٣) ينظر : الديارات ١٥٤ – ١٥٥ .

(١٤) ينظر : الهفوات النادرة ٢٥٩ .

(١٥) ينظر : جمع الجواهر ٢١٧ ، والهفوات النادرة ٢٦٤ – ٢٦٥.

(١٦) ينظر : معاهد التنصيص ٢/١٩٣ – ١٩٤ .

(١٧) ينظر : أخبار البحتري ١١٣ – ١١٤ .

منها ما نال ، ومن أجل هذا كانت معارفُه الحديثةُ هي الطاغيةَ على ثقافته ، كما يتضح أنَّ الجانبَ الأدبيَّ كانَ الغالبَ عليها أيضاً .

ولعلَّ البُحتريَّ لَمسَ فيه هذا فقال :

عِشْ للمروءةِ والفُتُوَّةِ والعُـــلا ومحاسنِ الآدابِ والأخــــلاقِ
حُفِظَ القريضُ فما يُضيعُ حقَّــه أبداً . وأنتَ لهُ من العُشاقِ (١) ،

ولا شكَّ أنه بعدَ أنْ شدا من العلومِ والمعارفِ ـ ماجعلَه يُحسُّ بقدرتهِ على النهوضِ والسيرِ في السبيلِ التي انتهجها لنفسه ـ مضى قُدُماً في التزوّدِ والتحصيلِ ولا شكَّ في أنَّ مركزَه الاجتماعيَّ والإداريَّ كان مما ساعدَ على إغناء ثقافته وتنويعها ايضاً . ولعلَّ المجالسَ الأدبيةَ ومجالسَ الأنس التي كان يحضرها أو يعقدها كان ذا الأثرَ الكبيرَ في تغذية هذه الثقافة وتلوينها ؛ ذلك لأنها كانت مجالسَ تدور فيها كثير من المطارحات الادبية والمحاورات الثقافية ، ويحضرها العديد من رجال الأدبِ والفكرِ والفنِ .

فمن تلكَ المجالسِ مارُوِيَ عن ابن المدبرِ نفسهِ قال : (اجتمعَ يوماً عنديِ الفضل اليزيديُّ والبحتريُّ وأبو العيناءِ ، فجلس الفضلُ يلقي على بعض الفتيات نحواً ، فقال ابو العيناءِ : في أيِّ بابٍ هو من النحو ؟ ، فقال : في بابِ الفاعل والمفعول به ...(٢)

ومنها مارُوِيَ من أنَّ عَريبَ زارتْ جماعةً في مجلسِ شرابٍ نسألوهـا أنْ تُقيمَ عندَهم فأبتْ وقالتْ : (قد وعدتُ جماعةً من أهلِ الأدبِ والظَرفِ أنْ أصيرَ إليهم وهم في جزيرة المُؤَيَد ، منهم ابراهيمُ بنُ المدبرِ وسعيدُ بنُ حُمَيْدٍ ويحيى بنُ عيسى بنِ منارةَ ...) (٣) .

ولعلَّ ممّا يندرجُ ضمن هذه المجالس ماكانَ يدورُ بينَ ابنِ المدبرِ وبعضِ الأدباء فقد رُوِيَ عن ابن المعتز قولُه : (كانَ إبراهيمُ بنُ المدبرِ يتعصّبُ على أبي تمامٍ ويحطّه عن رتبته . فلا حاني فيه يوماً فقلت لَه :

(١) ديوان البحتري ١٥٤٨ .
(٢) اخبار البحتري ١٢٤ - ١٢٦ .
(٣) الأغاني ١٧٢/٢٢ ، وينظر المصدر نفسه ١٦٢/٢٢ - ١٦٣ للوقوف على مجلس آخر .

أتقولُ هذا لمن يقولُ ...: ولمن يقولُ ... ولمن يقول ... قال وأنشدته أيضاً غيرَ ذلكَ، فكأني — والله — ألقمتُه حجراً) (١) .

وتقدمت الأشارة الى ان مجلساً كانَ يضمه والجاحظَ في كلِّ ثلاثة أيام ، وأنه تأخرَ مرةً عن الحضورِ لشغلٍ عرَضَ له ، فبعثَ إليه الجاحظ ، رسالةً يتشوّقُه فيها ويتساءلُ عن سببِ الغَيْبةِ .

وبعدَ أنْ استوى الرجلُ أديباً متمكّناً ، وخالطَ كبارَ الأدباءِ والشعراءِ والنقّاد أصبحتْ له آراءُ في تذوقِ الشعرِ وأحكامٌ في نقدِه ونقدِ أصحابهِ والأحاطة بانتحال بعضه ، فقد رُوِيَ عن بعضهم قوله :

(أنشدت ابراهيمَ بنَ المدبّر قولَ حسينِ بنِ الضحّاك :

كأنما نُصبَ كأسهِ قمر يَكرَعُ في بعضِ أنجمِ الفلكِ .

فقال لي إبراهيمَ بنُ المدبّرِ : إنَّ الحسينَ يزعمُ أنَّ أبا نواسٍ سرقَ منه هذا المعنى حين يقول :

يُقبِّلُ في داجٍ من الليلِ كوكبا .

فانْ كانَ سرقَه منه فهو أحقُّ به؛ لأنه قد برزَ عليهِ ، وإنْ كانَ حسينٌ سرقَه منه فقد قصرَ عنه) (٢) .

كما رُوِيَ عن بعضِ آخرَ قولُه :

(حدّثني ابراهيم بن المدبّرِ قالَ :

مَرِضَ عمرو بنُ مَسعدةَ ، فدخلَ عليهِ مروانُ بنُ أبي حفصة وقد أبلَّ من مرضه فأنشأ يقول :

صَحَّ الجسمُ ياعمرُو لكَ التمحيصُ والأجرُ
ولله علينا الحمدُ والمنّةُ والشكرُ
لقد كانَ شكا شرتنا إليكَ النهيُ والأمرُ

قال: فنحا نحرَه مسلمٌ بنُ الوليدِ فقالَ :

قالوا أبو الفضلِ محمومٌ نقلتُ لهم نَفسي الفداءُ له من كُلِّ محذورِ

---

(١) اخبار البحتري ٩٧ — ٩٨ ، ينظر : مروج الذهب ٤٨٣/٣ وفيه ان هذا حدث لابن المدبر مع محمد بن أبي الازهر الذي قال : (كان ابراهيم بن المدبر مع محله في العلم والادب والمعرفة — يسيء الرأي في أبي تمام ٢٠٠٠ وتاريخ بغداد ٢٥٠/٨ — ٢٥١.

(٢) الأغاني ١٥٥/٧ — ١٥٦.

ياليتَ علتَه لي غَيـرَ أنّ لــه   أجْـرَ العَليلِ وأنّي غيرُ جورِ(١)م

ورُوِيَ عن ابنِ المدبّر قولـه:

(أنشدني عليٌّ بنُ الجهمِ لنفسهِ :

وإذا جَزَى اللهُ امرءاً بفِعالـه   فجَزى أخاً لي ماجداً سَمْحـاً

ناديتُه عن كُرْبةٍ فكأنّمـا   أطلعتُ عن لَيلٍ به صُبْحـا

فقلت له : ويلك ! هذا لإبراهيم بنِ العبّاس يقولُه في محمّدِ بن عبدِ الملكِ الزيّاتِ فجحدَني وكابر. فدخلَ يوماً عليُّ بنُ الجهمِ الى ابراهيمَ بن العبّاس وأنا عندَه ، فلما رآني قال: اجتمعَ الإبراهيمان. فتركتُه ساعةً ثُمّ أنشدتُ البيتين، وقلتُ لإبراهيمَ بنِ العباس ، إنّ هذا يزعمُ أنّ هذينِ البيتين له. فقال . كذبَ هذان لي في محمّدِ بنِ عبدِ الملكِ الزيّاتِ. فقال عليٌّ بنُ الجهمٌ بقحَةٍ : ألمْ أنهكَ أنْ تنتحلَ شعري! فغَضِبَ إبراهيمُ وجعلَ يقولُ بيدِه : سَوءةً لكَ سَوْءةً لكَ...) (٢).

وكان ابنُ المدبر يُعجبُ بشعرِ البحتريَ ويُطريه كما سيأتي ، كما كان معجباً بدعْبلٍ حتىّ عدّه أخبرَ الناسِ وأقدمَهم بسببِ شعرِه في المأمون (٣)، كما كان يعجب بشعر أبي الشّيعي في عَينيهِ (٤).

وكان لطيف الحسِّ الادبيَ مُرهفَه ، ولعلَّ مارُوِي من تعليقاته على رسالة عريبَ إليه والى أصحابهِ وهم في مجلسِ أُنسٍ دليلٌ على هذا، فقد رُوِى أنها كتبتْ (سطراً واحداً بسمِ اللهِ الرّحمن الرحيم، أردتُ ولولا ، ولعلّي) ووجهتْ الرُّقعةَ إليهم، فلما

---

(١) نفسه ١٠/٩٣ – ٩٤ ، من ينظر : شرح ديوان صريع الغواني ٣٢٣ ، والتبيان منقولان من الأغاني ، وينظر : الأغاني ١٢/٨٦ وفيه ان مروان بن ابي الجنوب نحا نحو عوف بن محلم في مثل هذا .

(٢) الأغاني ١٠/٢٢٠ – ٢٢١، والبيتان في ديوان ابراهيم الصولي في الطرائف الأدبية ١٣٠ – ١٣١، وينظر مثل هذا ايضاً ، الأغاني ١٠/٢١١، وجمع الجواهر ٢١٢ والجدير بالذكر ان ابن المدبر لم يكن على مايظهر — على وئام مع ابن الجهم ، وفي الأخبار التي رواها عن ابن الجهم مايشير إلى هذا ، ينظر الاغاني ١٠/٢١١، ٢١٣ وفي ديوان المعاني ٢/٢٢٠ خبر يشير إلى انتقاد ابن المدبر على سرقة ابن الجهم وصداقته له .

٣ – ينظر : معاهد التنصيص ٢/١٤٣ – ١٤٤ .

٤ – ينظر المصدر نفسه ٤/٩٣ .

وصلتْ قرأوها، وعيّوا بجوابها، فأخذها إبراهيمُ بنُ المدبّرِ، فكتبَ تحت اردت (ليت)، وتحت لولا (ماذا؟) وتحت لعليَّ (أرجو) ووجّه بالرُّقعة إليها، فلما قرأتها طَرِبَتْ ونَعَرَتْ...) (١).

ولم تخل مجالسه من تعليقاته الفكهة على احاديث مَن يحضر تلك المجالس من الرجال الذين لم يخلوا من السذاجةِ أو قلّةِ الفطنة (٢).

ولعلَّ شهرةَ الرجلِ الأدبيّةَ وحبه للأدباء حملا بعض العلماء والأدباء على ان يصنف او يؤلف له رسائلَ او كتباً. جاءَ في الوافي بالوفيات: ان من مصنفات احمدَ بنِ أبي طاهرِ (رسالة الى ابراهيمَ بنِ المدبر) (٣)، وجاء في تأريخ الادب العربي لبروكلمان في الحديث عن قسطا بنِ لوقا (وفي خلافة المقتدر ٢٩٥ – ٣٢٠ – الفَ لإبراهيم بنِ المدبر كتابَه (الجامع في الدخول الى علم الطبِّ) (٤). وواضح ان بروكلمان واهم في هذا، فابن المدبر توفي قبل ٢٩٥هـ كما سيأتي.

علاقتُهُ برجال العصْر وأُدبائهِ :

إنَّ طولَ الزمنِ وتقلبَ الأحوالِ مَحكٌ لاختيارِ معادنِ الناسِ، وسَبْرِ أغوارِهم، والوقوفِ على جواهرِهم. وابنُ المدبرِ قطعَ شوطاً بعيداً في مضمارِ القرنِ الثالثِ الهجري حتى كادَ يستنفدُه، وهو القرنُ الذي شهدَ من اضطرابِ الأحوالِ السياسيةِ والاجتماعيةِ والخُلُقيةِ مالم يَشهدْهُ قرنٌ آخرُ وقلما نجا من أشراكِ حبائِلِه، وفخاخِ مكائدِه أحدٌ.

وكان ابنُ المدبرِ أحدَ من شَمِلَه شيءٌ من مآسي ذلك العَصرِ كما تقدّمَ في نكبته. ولكنه معَ ذلك كادَ أنْ يكونَ من الأفذاذ الذين استطاعوا بما أُوتُوا من المُرونةِ والحِذْقِ، والحُنْكةِ وسياسةِ التدبيرِ أن يُوطدوا صلاتِهم الحسنةَ وعلاقاتِهم الطيبةَ معَ أكثرِ شخصياتِ ذلكَ القرنِ. فقد نالَ حُظْوةً لدى المتوكلِ، وأعجبَ به المعتمدُ والمعتضدُ فكانَ وزيراً للأولِ، وأحدَ متولي

(١) الأغاني ٢٢/ ١٢٧.

(٢) للوقوف على نماذج من التعليقات الفكهة يحسن الرجوع إلى :
جمع الجواهر ٢١٢، والمفوات النادرة ٢٥٩ – ٢٦٠، ٢٦٤ – ٢٦٥.

(٣) ٩/٧.

(٤) ٩٧/٤.

الضياع للثاني كما سبق ، بل أحرز مكاناً مرموقاً لدى الموفق أحد رجال الدولة المعروفين في عصره .

وممن اتصل بهم من رجال العصر ابو عيسى بن المتوكل الذي كان يجتمع معه في مجالسه.

الأنس واللهو(١) ، كما كان على وفاق مع صاعد بن مخلد (٢) ، وكان صديقاً لأبي الصقر اسماعيل بن بلبل ، ولكنه لم يرض فعلته لما نكب ولا نيابته عنه ، فقال فيه شعراً يعاتبه على مابدر منه (٣) ، وكانت علاقته طيبة بمحمد بن عبد الله بن عبد الله بن طاهر الذي نهض كما تقدم — بما ندبه له من تخليصه من نكبته .

وكانت صلاته بأدباء العصر وعلمائه جيدة في أكثرها ، وعلى رأسهم الجاحظ الذي كان أحد المقربين اليه ، فكان يضمهما مجلس في كل ثلاثة أيام ، وكان أبو عثمان يعز ابن المدبر ويعده أحب أحبته اليه وأخلصهم ، ورسالته اليه — وقد تأخر اجتماعه به لشغل عرض له — دليل على المودة الصافية بين الرجلين (٤). وقد تمثل ابراهيم — وفي أكثر من موضع بكلام الجاحظ في رسالته العذراء. ومع

---

(١) ينظر : الأغاني ٢٢/ ١٧٧ .

(٢) ينظر : الهفوات النادرة ٢٦٤ .

(٣) ينظر : الأغاني ٢٢/ ١٨٤ .

(٤) ينظر : معجم الادباء ١٦/٩١ — ٩٤ ، والجاحظ حياته وآثاره ٣٨٨ وذهب مؤلفه إلى ان صلته بابن المدبر انما كانت في البصرة أيام ولايته بها ، متخذاً من تعليق أحد جلساء ابن المدبر على ماجاء في هذه الرسالة وهو قوله : (هذه رقعة عاشق لارقعة خادم) ، دليلا على ذلك .

وتقدم أننا لانعرف على وجه الدقة السنة التي تولى فيها ابن المدبر البصرة ، ولكننا ذكرنا اجتياح الزنج لها في سنة ٢٥٦هـ وهرب بن المدبر من الاسر في سنة ٢٥٧هـ. ومعلوم ان وفاة الجاحظ كانت في سنة ٢٥٥هـ ، وانه في اواخر عمره قد أصيب بالفالج فأقعد (وفيات الاعيان ٣/٤٧٣ وأمالي المرتضى ١/١٩٩ ، وتاريخ بغداد ١٢/٢٢٠). واغلب الظن ان علاقة الرجلين ببعضهما تمتد إلى أبعد من هذا التأريخ ، ولا يبعد ان تكون منذ أيام تردد الجاحظ إلى سامراء واقامته فيها واتصاله برجالات الدولة كابن الزيات وابن أبي دواد والفتح بن خاقان وسواهم ، فقد كان الجاحظ في ذلك الوقت قوي البنية ، قادرا على المخالطة متمكنا من المشاركة والاجتماع ! .

كلّ ذلكَ فقد غمَزَ الجاحظُ في رسالته (ذمُّ اخلاقِ الكتّابِ) ابنَ المدبّرِ فقال: (وابن المدبّر في الخبّ والمكايدة). وجدير بالذكر اننا لانعرف ان كانَ يريدُ بذلك ابراهيمَ هذا أو أخاهُ أحمدَ .

ومن أدباء العصر الذين كانتْ له صلاتُ حسنةٌ وأخبارٌ. سعيدُ بنُ حُميدِ الذي كانَ أحدَ أصدقائه، يحضر معه مجالسَ الأدبِ والظّرفِ ، وقد ذكره في الرسالة العذراء كما روَى بعضَ أخباره معَ فضلِ الشاعرةِ التي كان يتعشّقُها. (١)

ومنهم المُبَرِدُ الذي استهداهُ ابن المدبر كما — تقدم — جليساً يجمعُ الى تأديبِ ولدهِ الإمتاعَ بايناسه (٢) ، فكان أنْ ندَبَ الأخفش لذلك ، وكتبَ معه إليهِ رسالةً، وقد كانَ ابراهيمُ يُنشدُ الأخفشَ هذا بعضَ شعره (٣) .

وممن كانَ يُنادمُه ويُصفيهِ وُدّه أبو عبدِ الله بنُ حمدونُ الذي كانَ يأْنسُ بهِ، ويرتاحُ اليه . ويلاعبه النرْدَ ، وقد استغلتَ بهِ في أيام نكبتهِ ، فكتبَ إليه قصيدةً يسألهُ فيها اذكادَ المتوكّلِ والفتحِ من خاقانَ بأمرهِ (٤)

ومنهم أبو العيْناءِ الذي كانت له معَه أخبارٌ وحكاياتٌ. (٥) كما كانتْ صلاتُهُ حسنَةً معَ آخرينَ أمثال: الفضلِ اليزيدي (٦)، وأبي حَشيشةَ المغنى (٧). وعلّي بنِ يحيَى المنجّمِ الذي كانَ أحدَ مُشاركيه مجالسَ الأُنْس والظرف. فكانا يتكاتبانِ بالاشعار (٨)، ويحيى بنِ عيسى بنِ منارةَ (٩) وأحمدَ بنِ أبي طاهرٍ (١٠).

---

(١) ينظر : جمهرة رسائل العرب ١٢٧/٤ ، ووسائل سعيد بن حميد وأشعاره الفهارس .

(٢) ينظر : البصائر والذخائر ٤٩٦/٣ ، وقطب السرور ٢٩٦ .

(٣) ينظر : أمالي القالي ٢٩/١ .

(٤) ينظر الديارات ١١ ، والأغاني ١٦٨/٢٢ .

(٥) ينظر : اخبار البحتري ١٢٤ — ١٢٥ ، والاقتباس من القرآن الكريم ١٧٤ وزهر الآداب ٢٩٦ ، ومعجم الادباء ٢٩٣/٨ — ٣٠ .

(٦) ينظر : أخبار البحتري ١٢٤ — ١٢٥ .

(٧) ينظر : الأغاني ٧٥/٢٣ — ٧٩ ، ٨٣ .

(٨) ينظر : الأغاني ١٦٣/٢٢ — ١٩٣ .

(٩) ينظر : الأغاني ٢٢/ ١٧٢ .

(١٠) : ينظر الوافي بالوفيات ٩/٧ .

أمّا علاقاتُه بشعراء العصر فكانت أغلبها وديّة، فكانوا يتوددون اليه، ويسترفدونه بحكم مركزه الاجتماعي والإداري، ومن أجل ذلك كثر مدّاحوه المثنون عليه حتّى قال الصولي (ليس في زماننا شاعر إلاّ قد استفرغ بعض مدحه فيه) (١) .

فمن الشعراء الذين كانت تربطُه بهم صلة حسنة، دعبل الخزاعي (٢)، وإبراهيم الصّولي الذي كان — كما يقولُ ابنُ المدبّر — يودّه دون أخيه أحمد (٣)، وأبو هفّان المهزمي (٤)، ومحمّدُ بنُ صالحِ العلوي الذي كان صديقاً له. وكان لابن المدبّر فضل في تزويجه، فمدحه هذا بمدائح كثيرة ردّاً لجميله وصنيعه له (٥)، وأبو شُراعة القيسي الذي كان صديقاً له أيّام تقلّده البصرة، (حتّى كان لا يُفارقه في سائر أحواله، ولا يمنعه حاجة يسألُه أيّاها، ولا يشفعُ لأحد إلاّ شفعه) (٦).

ومن مدح الرجل وأثنى عليه من الشعراء: ابراهيمُ بنُ عيسى الكاتبُ (٧)، وماني الموسوس (٨)، وأبو صفوان القُديدي البصرى (٩).

---

(١) الواني بالوفيات ٦/١٠٧ .
(٢) ينظر : معاهد التنصيص ٢/١٩٣ — ١٩٤ .
(٣) ينظر الأغاني ١٠/٥٧ ، والطرائف الأدبية ١٢١ ، ومعجم الادباء ١/٢٢٨ وفيه هجاء ابن المدبر للصولي .
(٤) ينظر : الوافي بالوفيات ٦/١٠٧ .
(٥) ينظر : الأغاني ١٦/٣٦٧ ، ٣٦٨ .
(٦) الأغاني ٢٧/٢٤ ، وينظر : جمع الجواهر ١١٧ ، وفيه هجاء منسوب إلى أبي شراعة في احمد بن المدبر وأخيه ابراهيم لتنشد ودمافي الحجاب .
(٧) ينظر : نهاية للارب ٥/١٣٩ ، المستطرف ٢/ ٩٨ — ٩٩ .
(٨) ينظر : الفاضل في صفة الأدب الكامل ١٢٧ — ١٢٨ .
(٩) ينظر : الفرج بعد الشدة ٥/٧٥ ، وديوان المعاني ٢/٢٣٢ ، والوزراء والكتاب ٢٠١ وفيه : ان من جيد اشعار ديك الجن قصيدته في ابراهيم بن مدبر الكاتب ... ومعلوم ان وفاة ديك الجن كانت في سنة ٢٣٥ ، ٢٣٦ هـ (ديوان ديك الجن ٥١) ، ولاندري نوع العمل الذي كان يقوم به ابراهيم في هذا الوقت ، بحيث يجعل شاعراً شامياً كديك الجن يقول فيه قصيدته هذه . والجدير بالذكر انه لم يرد من هذه القصيدة سوى بيتين (الديوان ١٤٩) . وفي اعتاب الكتاب ١٥٩ في الحديث عن احمد بن المدبر وولى احمد هذا خراج الشام ، وامتدحه البحتري وديك الجن وغيرهما) ويبدو ان هذا الصواب .

ومن كبارِ شعراءِ العصرِ الذين كانتْ له علاقةٌ بهم البُحتريُّ وأبنُ الروّميِّ . ويظهرُ أنَّ صلتهِ بالبحتريِّ قديمةٌ ترجعُ الى أيّامِ الشبابِ ، ولعلّها تعودُ الى الوقت الذي بدأَ بهِ البحتريُّ يتردَّدُ الى سامراءَ منذ أواخرِ عهد الواثقِ ، ويتقرّبُ الى الكتّاب والعُمّالِ (١)،وقد أشارَ البحتريُّ في أبيات له الى انهُ كانَ يجاورُ ابنَ المدبرِ ، والى تلك العلاقة القديمة بينهما ، فقد جاء في مقدّمة أبيات له في ديوانه (وقال يمازح أحدهم) وكان البحتريُّ وعده أن ينتقل من جوار ابن المدبّر الى جواره ، ثم ندم على ذلك فتقاضاه الانتقالُ فكتب اليه :

تزيلَ رَحليَ يابهـل بن بهـلانـــا أعَنْ جوارِ أبي إسحاقَ تَطمعُ أَن
فكيفَ أَصنَعُ بالالفِ الذي كانـا هَبْني غَنيتُ بوَفري عَن نَوالـهم
بَديئه ، وخبطُنا فيهِ أَزمانـــا عهد من الأنس عاقرنا الكؤوس علىَ
وقد قَطعنْا بهِ الأيّامَ شُبّـانا(٢) نمازُ عنهُ كُهولاً بعدَ كَبرتنـا

ومما يَنبغي ذكرُه أنّ محقّق ديوان البحتريّ يقول في تعليقه على إحدى مدائحِ الشاعرِ في أحمدَ بنِ المدبرّ : (ويبدو لنا ان صلته به وبأخيه (ابراهيم) قد بدأت في آخر عهدِ المهتدي . وبدءِ عهد المعتمد) (٣) . ومعنى هذا ان بدء صلة البحتري بإبراهيم كانت في سنة ٢٥٦هـ ، وهي السنة التي قتل فيها المهتدي ، (٤) واستخلف المعتمد (٥) . ونحن نعرف أنَّ سنَّ الشاعرِ في هذا الوقتِ قد بلغتْ الخمسين ، وهذا يناقضُ ماجاءَ في الأبياتِ السابقةِ التي تشيرُ الى صلتهما في عهدِ الشبابِ .

إنَّ الأخبار التي تسرّبتْ إلينا عن صلة الشاعرِ بابنِ المدبرّ تشير الى انها كانتْ حسنة في اكثر الاحيان . وأنَّ البحتريَّ نشطَ في علاقتهِ هذهِ فقال في الرجل (٢٢) اثنتينِ وعشرينَ مقطوعةً وقصيدةً في مدحه وعتابهِ والشكوى من حاجبه الى غير ذلك من الأمورِ (٦) .

---

(١) ينظر : الفصل الاول من كتاب (البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل) .
(٢) ديوان البحتري ٢٢٣٠
(٣) ديوان البحتري ٣٧ / الحاشية .
(٤) ينظر : البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل ١٧٣ .
(٥) ينظر المرجع نفسه ١٩٤ .
(٦) تقع هذه المقطوعات والقصائد في اكثر من (٥٠٠) خمسمائة بيت .

ويظهر أنَّ الشاعرَ أحسَّ بَدالتهِ على الرجلِ (فكان يُلزمه في كلِّ سنة أنْ يسقط أكثرَ، خراجه، أو يؤديه عنه) (١).

كما أنَّ ابنَ المدبر قد شعرَ بأهمية الشاعرِ وشعرهِ فيه، فكانَ يُطربه ويُقرِّظه، وقد رُوِيَ أنه ذكره يوماً فقال: (ما رأيت أتمَّ طبعاً منهُ، ولا أحضرَ خاطراً، مدحَني حينَ تخلصتُ من الأسرِ، وذكرَ الضربةَ التي في وجهي وتخلصي، ومدحَ المأسورَ وهذا حمىً مارعاهُ قبلَه أحدٌ) (٢).

وجَهدَ ابنُ الرّوميِّ أنْ يتقرَّبَ إلى ابنِ المدبرِ فبدأ يمتدحُه ويُثني عليه. ويأملُ أنْ ينالَ منه مايَنالُه سواه من الشعراء، ويبدو أنَّ إلحاح الشاعرِ في طلبهِ كانَ من أسبابِ تلكؤ ابن المدبرِ في استجابةِ ماكان يُنشده منه، ولهذا ظهرتْ شكواهُ وعتابُه ثُمَّ تحوَّلا إلى الهجاءِ الذي لم يَخلُ منَ الهُجْرِ والفُحْشِ (٣)، وتقدَّمَ انَّ ابنَ المدبر طلبَ الشاعرَ حين هجاهُ ولكنه عندَما ظَفرَ بهِ وأرادَ قتلَه، اعتذرَ الشاعر وتنصلَ مما قاله فيه فعفا عنه وأجازه (٤).

وهناكَ طائفةٌ من الشعراءِ الذين كانوا يختلفون إلى بابهِ — فكانَ حاجبُه يتشدّدُ في حَجْبهم. ولا يُيسرُ لهم الدخولَ اليه قد أثرتْ لهم مقطعاتٌ في عتابِ الرّجلِ والشكوى من حجابه وحاجبهِ، بلْ وهجاءُ ابنِ المدبرِ نفسه (٥).

---

(١) اخبار البحتري ١١٩.

(٢) أخبار البحتري ١١٣ وتنظر ص ١٣٤ وفيها: (ان البحتري جاء إلى باب ابراهيم، وكان أخو ابن المدبر واقفاً فقال: ... واذن ابراهيم للبحتري، فغضب ولم يدخل، فوجه اليه، ماأحسب الذي هجاك بأقدر على الهجاء منك، فاهجه ولاتأخذنا بذنبه، وتغضب علينا).

(٣) لابن الرومي في مدح وعتاب وهجاء ابن المدبر (٢١) احدى وعشرون مقطوعة وقصيدة تقع جميعها في اكثر من (٤١٠) اربعمائة وعشرة أبيات، انها خمس مقطوعات واربع قصائد في هجائه.

(٤) ديوان المعاني ١/ ٢٠٥.

(٥) ينظر: رسائل الجاحظ ٣٧/٢، ومعجم الشعراء ٤٠٩، وثمار القلوب ٢٢٤، ومعجم الادباء ٢٢٩/١، ٢٣١ — ٢٣٢، والوافي بالوفيات ١٩١/٢.

الأسْرَةُ :

في المظانّ التي رجعنا اليها إشاراتٌ وأخبارٌ عن بعض أفراد أسرة بني المدبر وأكثرها إذا استثنينا أخبارَ إبراهيمَ وأحمدَ — أخبارٌ مُقتضبةٌ وإشاراتٌ سريعةٌ أو تلميحاتٌ خاطفةٌ .

وقد تجمعَ لدينا عدد من أفراد هذه الاسرة ، فجدهم الأعلى هو عُبيدُ اللّه ولا نعرفُ عنه شيئاً ، وانّما جاءَ في سياقِ الحديثِ عن نسب إبراهيمَ وأخيه احمدَ وابنه محمّد . وجاء خبرٌ عنه في عهدِ المأمون حينَ خروجه الى أرض الروم في سنة ٢١٥هـ كما تقدّمَ ويبدو انّه كان على شيء من اليسارِ .

ولعلّ أوّل من ذكر أبناءَ محمّدٍ هذا أبنُ النديم فقال :
(بنو المدبّر . أحمدُ ومحمّدٌ وإبراهيمُ ، وجميعهُم شاعرٌ مُترسّلٌ بليغٌ) (١) ولا نعرفُ شيئاً عن محمّد هذا سوى ماذكره أبنُ النّديمِ .

أما أحمدُ ، فهو أبو الحسن (٢) ، وكان أسنّ من إبراهيمَ (٣) ولعلّ مايؤيّد هذا ماذكره عنه الجهشياريَ — ويظهرُ أنه أقدمُ خبر عنه — من أنّ أحمدَ هذا كانَ يتقلدُ مجلس الاسكدارِ (٤) في ديوان الخراج في سنة ٢١٥ هـ وهي السنة التي خرج فيها المأمون الى بلادِ الرومِ ، وكان أحمدُ في ذلك الوقتِ يكتب بين يدي جعفر الخيّاط الذي كانَ في صُحبةِ المأمونِ فاصطحبَ أبنَ المدبّر معه ، وكان آنذاك قد اكتمل (٥)

---

(١) الفهرست ١٨٤ . علق بعض الدارسين على كلام ابن النديم بقوله : (غير ان ابن النديم انفرد في فهرسه باضافة أخ آخر له (اي ابراهيم) هو (محمد) فقال : (بنو المدبر ...) والمعروف أن أباه هو محمد ولعل ابن النديم يعني ذلك) الاقلام ٣٥ . ولو صح هذا لقدم الوالد على الابن فقيل (محمد واحمد وابراهيم) وقد أكد الصفدي ماذكره ابن النديم فقال في ترجمة ابراهيم : (وهو أخو احمد ومحمد) الوافي ١٠٧/٦.

(٢) ينظر : جمع الجواهر ، والوافي بالوفيات ٢٣٨/٨ وفوات الوفيات ١٣٢/١ ، وفي أدب الكتاب ، ١٦٠ (ابو الحسين) .

(٣) ينظر : اعتاب الكتاب ١٥٨ ، والوافي بالوفيات ٨/ ٣٨ .

(٤) الاسكدار : مدرج يكتب فيه عدد الخرائط ، والكتب الواردة والنافذة ، وأسامي أربابها (الوزراء والكتاب ١٩٩ هامش ٣) .)

(٥) ينظر : الوزراء والكتاب ١٩٩ ومما ينبغي ذكره ان الجهشياري أشار إلى ماجرى بين عريب المغنية التي كانت في جملة من خرج مع المأمون واحمد ، يقارن ذلك بما حدث لاخيه ابراهيم معها كما تقدم .

وتشيرُ أخباره الى انه كان يكتبُ لابن الزيّات أيامَ المعتصم، فلما جاء المتوكّل ورأى فيه مقدرته وعلمه وتضلعه من الكتابة ، قرّ به وأدناه، فتولّى في عهده الاعمالَ الجليلةَ، ولاّه سبعة دواوين. ولمّا عزمَ المتوكّلُ على اتخاذ دمشق عاصمةً له، كان احمدُ المسؤولَ عن إعدادِ وتهيئةِ كلّ مايُحتاجُ اليه في هذا الشأن. وفي عهودِ الخلفاء الذين أعقبوا المتوكل: كالمنتصر والمعتزّ والمهتدي والمعتمد كان يتولّى الخراجَ في بلادِ الشام ومصر، فلما اشتدتْ الملاحاةُ بينه وبين احمد بن طولون، حبسه هذا وقيّده فمات في حبسه سنه ٢٧٠هـ (١).

كان ابنُ المدبّر مبرّزاً في عمله، معروفاً له بمقدرته فيه، وفي أخباره مايشير الى هذا؟ ولعلّ مناظرته إبراهيمَ الصولي في حضرة المتوكل دليلٌ على هذا (٢).

وتعرّض في حياته الى ما تعرّضَ إليه الكثيرونَ من أمثالهِ في تلك الحقبة، وهو الحبس ويبدو انه تعرّضَ الى هذا اكثرَ من مرّة، فقد رُوِي أنه كان في حبس الواثق مع عدد من الكتاب، كما طُولبَ بالأموال في عهد المتوكّل فاضطر الى الأختفاءِ، وحبس من قبل ابن طولون أكثرَ من مرة، وانتهت حياته وهو في غيابة السجن كما تقدم (٣).

إنّ حياتَه لم تخلُ من الجمع بينَ الجدّ الصارمِ الذي يحتّمُه عليه عملُه حتى قيل إنه كان يصلحُ للقضاء (٤)، وبينَ اللهوِ الذي لم ينغمسْ فيه كما انغمس أخوه إبراهيم، ولهذا قلتْ الأخبار عن الجانبِ اللاهي في حياته ، حتى نعت بأنه كان قليل المناومة، وانه اصطفى لنفسه عدداً من الندماء ، أنفرد كلُّ رجل منهم بنوعٍ من العلمِ لايساويهِ فيه غيرُه (٥).

---

(١) ينظر : تأريخ اليعقوبي ٣/٢٢١ — ٢٢٦ ، ٢٣٤ — ٢٣٩ ، ومروج الذهب ٤/٨٠٠ والولاة والقضاة ٢١٤ ، واعتاب الكتاب ١٥٨ ، ووفيات الاعيان ٦/٥٥ .

(٢) ينظر : معجم الادباء ١/١٩٤ — ١٩٩ .

(٣) ينظر : آل وهب من الاسر الأدبية في العصر العباسي ٢٤٨ — ٢٥٠ ، ومروج الذهب ٤/١٠٠ ، وفوات الوفيات ١/١٣٣ .
وفي الوافي ٨/٣٨ ان موته كان في سنة ٢٦٥ او ٢٧٠ ، او ٢٧١ هـ .

(٤) ينظر : الوافي بالوفيات ٨/٣٨ ، وفوات الوفيات ١/١٣٣ .

(٥) ينظر : مروج الذهب ٤/١٠٠ — ١٧ وشرح مقامات الحريري ٢/٧٦ وفيه ان الذي اشتهر بهذا هو ابراهيم بن المدبر .

وعلاقة احمد برجال العصر وأدبائه وشعرائه، كانت تترجحُ بين الإعجاب به والثناء عليه ، والإفراط في تقديمه على أقرانه فيما اختصّ به من العلم بالأعمال ، فامتدحه الشعراء مقرظه الادباء، وبينَ النيلِ منه، والتألبِ ضدّه، والايقاعِ بهِ (١) .

وكان ممن تعاطى فني الأدب ، وشارك فيهما ، وعدّه ابن عبد ربه أحد الكتاب الذين نبلوا بالكتابة ، واستحقوا اسمها (٢) . ونعته ابن النديم بالقـــدرة على البراعة في الشعر والنثر ، واشار الى أنّ له ديوانَ شعر يقع في سبعين ورقة ، وأنّ له ديوانَ رسائلَ . وسَبقَ أنْ شككنا في قولِ ابنِ النديمِ (٢) فيما يتعلق بديوان شعر الرجل.

ومن الجديرِ بالذكرِ أننا لم نقفْ على نصٍّ نثريٍّ واحدٍ منسوبٍ إلى احمد هذا ولكننا جمعنا له مقطوعات شعرية تقعُ جميعُها في (٢١) واحـــدٍ وعشرينَ بيتاً ، وهي لاترتفعُ في مستواها الفنيّ الى مأثرَ لأخيه من الشعر.

ومن ولد احمد أبو غالبٍ الذي كان مع عمه إبراهيمَ في البصرة حين أجتاحها الزّنجُ فحُبِسَ معه ثم هربَ معَ عمهِ بعد ذلك .

والحق اننا لانعرف اسمه اذ لم تذكره الأخبارُ إلاّ بالكُنية ، والبحتري الذي مدحه بثلاث قصائدَ لم يُسمه ، وإنما ذكرَه بالكُنية ايضاً . وفعل مثل ذلـــك من أشار اليـــه من المحدثينَ . ومنهم محققُ ديوان البحتري (٣).—

ومن أولاده أيضاً ، محمّدٌ ، ولمحمّد هذا ولدٌ اسمُه عبدُ اللهِ ، ولانعرف عنهما شيئاً سوى ورودِ اسميهما في سياقِ الخبرِ الذي رواه عبدُ اللهِ هذا حولَ خروج جدّه الى أرضِ الرُّومِ معَ المأمونِ كما تقدّم (٤) .

---

(١) ينظر : العقد الفريد ٣/٢٣٤ — ٢٣٥ ، وأدب الكتاب ١٦٠ — ١٦١ والاغاني ١٠/٥٨، ٦٧ ، والفاضل في صفة الادب الكامل ١٣٤ ، والموشح ٥٣٣ ، والوزراء والكتاب ٢٥٢ ، رجوع الجواهر ١١٧ ، واعتاب الكتاب ١٥٩ ، ومعجم الادباء ١/١٧٩ ـ ١٨٤ ، والوافي بالوفيات ٢/١٠٧ . من الطريف ان احمد هذا كان اذا مدحه شاعر فلم يحسن ، وكل به من يمضي معه إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلي مائه ركعة ٠٠٠ ١ جمع الجواهر ٧٧ .

(٢) ينظر : العقد الفريد ٤/١٧٠ ، واعتاب الكتاب ١٥٨ .

(٣) ينظر : ديوان البحتري ٢٨٩ الحاشية ، وأخبار البحتري ١١٣ — ١١٤ ، وتاريخ الطبري حوادث ٢٥٧ .

(٤) ينظر : الوزراء والكتاب ١٩٩ .

وأشارَ التّنوخي الى أنّ لاحمدَ بنتاً ، وجاءَ ذلكَ في أحدِ الاخبارِ التي رواها ابنُ بنتِ المدبّر هذا (١) .

ويبدو أنّ بعض أحفاده أنتقلوا الى المغرب فسكنوها وأصبحَ لهم فيها عَقِبٌ كثيرٌ وعَرفوا ببني العشيرةِ واشتهروا بالكرمِ والشجاعة (٢) .

وأما ابراهيمُ فقد ألمحت مظانّ أخبارهِ الى أنّ زوجتَه كانت معه في حبس الزنج له في البصرة ، وانها تخلّصتْ من الاسر وهربتْ معه . (٣)

كما ألمحتْ الى ولده الذي أستهدى المبرّدَ جليساً لتأديبه (٤) .

كما ذكرتْ أنّ له بنتاً وأنّ من أولادها أبا الحسين عبدَ الواحد بن محمّد الخصيبيّ (٥)

ومما يجدرُ ذكره أنّ بعضَ الأخبار تحدثت عن أبناء المدبّر ولكنّها لم تُسمّ فقد ذكر الصّولي أخاً لابراهيمَ فقال : (وحدثني اليزيديُّ قال : جاءَ البحتري الى باب ابراهيم ، وكان (أخو أبن المدبر) واقفاً فقال (أبيات في هجاء البحتري) (٦)

كما أشار التنوخيُّ الى أبي صالح بن المدبّر الذي كان موجوداً في عهد المعتمد (٧)

كما ذكرَ الكتبي في حديثه عن أبن خزابةَ الذي تقلدَ وزارة كافور وأحمدَ بن الاخشيدِ بمصرَ والذي كان مولعاً بالحشرات كالحيات وغيرها أنه كتبَ الى أبن المدبّر الذي كانَ من كتاب أيّامهِ ودولته ، وهو عزيزٌ عنده ويسكن جواره ، كتاباً في هربِ بعض حيّاته الى مسكنه ... (٨)

ومن الاخبار التي تندرجُ ضمنَ الحديث عن (أبن المدبر) ولم تسمّه ، والتي لا

---

(١) ينظر : الفرج بعد الشدة ١/٢٤٧ .

(٢) ينظر : اعتاب الكتاب ٢٢٤ .

(٣) ينظر : أخبار البحتري ١١٤ .

(٤) ينظر : البصائر والذخائر ٣/٤٩٩ ، ومعجم الأدباء ١٣/٢٥٥ ، كما يجدر ذكره أن لفظة (ولده) قد تعني الجمع ، وليس في الخبر الذي نقله أبو حيان وياقوت مايدل على أنه مفرد أو جمع .

(٥) ينظر : نشوار المحاضرة ٨/١٣١ .

(٦) أخبار البحتري ٥٣ .

(٧) ينظر : نشوار المحاضرة ٨/١٤٥ .

(٨) ينظر : فوات الوفيات ١/٢٩٤ . كما يجدر ذكره أن ولادة ابن حنزابة في سنة ثمانية وثلاثمائة ، ووفاته في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة .

نستطيع القطعَ في نسبتها الى أحد الاخوينِ :ابراهيم أو أحمد ماذكره أبن عبدربه في قوله :

(وفصل لابن المدبر : وصل كتابك المفتتح بالعتاب الجميل ..) (١)

وما ذكره التوحيدي ، كقوله : (قيل لابن المدبر يوماً : ماتقول في الشعر ؟

قال : يرفع الخسيسَ ، ويضعُ الشريفَ) (٢) .

وقوله : (قال أبن المدبّر : أنشدني أبن السكيت .

إقرِ الهمومَ إذا ضاقَتْ معتّقـــــةً صَهْباءَ يُحدْثُ فيها الماءُ تفـويفـا
تكسو أصابعَ ساقيها إذا مُزجـــــتْ من الشّعاعِ الذي فيها تطـــاريفا) (٣)

وفاته :

توفي أبنُ المدبّر يومَ الاربعاءِ لثلاثَ أو أربعَ عشرة بقيت من شوّال سنة تسعٍ وسبعينَ ومائتينِ (٤) ببغداد (٥) .

أَدبُهُ :

كانَ ابنُ المدبرِ أحدَ من جمعوا بين فني الادب : شعره ونثره ، وكان مـــن البارعينَ فيها المتمكنينَ منها ، وقد ألمحَ الى هذا غيرُ واحدٍ ممن ترجمَ له ، او تحدثَ عنه من القدماء .

فقال أبو الفرج : (شاعرٌ كاتبٌ متقدّمٌ من وجوهِ كتابِ أهلِ العراقِ ومتقدّميهم)(٦)

وقال الصولي : (كان إبراهيمُ بنُ المدبرِ رجلاً جليلاً عالماً شاعراً ، لايُدانيه في ذلك كلـه أحد) (٧) .

---

(١) العقد الفريد ٤/ ٢٢٩ .

(٢) البصائر والذخائر ٣٥٧/١ .

(٣) نفسه ٤٦٨/١ ، وينظر ايضاً المصدر نفسه ٦٦/٤ ، وفيه خبر استعراض ابن المدبر طباخة ، وقوله لها ، واجابتها عن قوله .

(٤) ينظر : تاريخ الطبري حوادث ٢٧٩هـ ، ومعجم الأدباء ٢٢٧/١ ، وفوات الوفيات ٤٧/١

(٥) ينظر : الاعلام ٥٩/١ .

(٦) الأغاني ٢٢/ ١٥٧ .

(٧) اعتاب الكتاب ١٥٩ ، وينظر : الوافي بالوفيات ١٠٧/٦ .

وقال ابنُ النديمِ ، (احمد ومحمدٌ وابراهيمُ وجميعهم شاعرٌ مترسلٌ بليغٌ) (١)

وقال ياقوتُ : (الكاتبُ الأديبُ الفاضلُ ، الشاعرُ الجوادُ المترسلُ ، صاحبُ النظمِ الرائقِ والنثرِ الفائقِ) (٢) .

وقال ابنُ شاكرٍ الكتبيُ : (كانَ كاتباً بليغاً فاضلاً مترسلاً) (٣) .

نثرُهُ :

على الرغمِ مما اشتهرَ به ابنُ المدبرِ من الميلِ الى الكتابة ، والبراعةِ فيها كما تقدّمَ فانّ ماوصلَ إلينا من نثره لايتناسبُ وسمعتَه فيها ، اللهـمَّ اذا استثنينا الرسالة المنسوبة اليه ، فكلُ ماوقفنا عليه من نثـره رسالتانِ صغيرتان ، وجملةٌ من الأقوال المنسوبة اليهَ جاءتْ في تضاعيفِ أخباره (٤) ، وفصلٌ من رسالة لم تتأكـد نسبته اليه او الى أخيـه ، لانه جاء على هذا النحو :

(فصل لابن المدبر) (٥) .

واننا لنعجبُ من هذه الندرة في نثره ، مع ان هناك أسباباً كانتْ داعيةً الى الأكثار منه ، فالرجلُ بدأ حياتَه كاتباً كما تقدمَ ، وكانتْ علاقاته في المجتمعِ قويةً واسعةً وأعمالُه كثيرةً مهمةً ، وصلاتُه برجالِ الأدبِ مشهورةً ومعروفةً ، وتعرّضَ في أثناءِ حياته الى مايستوجبُ الكتابةَ ، بل الاكثارِ منها . أضفْ الى كلِ ماتقدمَ انه قد مُدَّ له في عمره ، كما أسلفنا .

ولاشكَّ في أنَّ شيئاً غيرَ قليلٍ من كتاباتِه قد فُقـدَ ، ولعلَّ فقدان مكاتباته لعريبَ خيرُ دليلٍ على هذا ، فقد ذُكرتْ جملةٌ من مكاتبات عريبَ الى ابن المدّبرِ ، فيها إشاراتٌ الى أنّها أجوبةٌ عن رسائلِ الرجلِ إليها ، فقد رُوِيَ عن ابن المعتزّ قوله : (قرأتُ في مكاتباتِ لعريبَ فصلاً أجابتْ به ابراهيمَ بنَ المدبرِ.. قرأتُ رُقعتَكَ المسكينةَ

(١) الفهرست ١٨٤ .

(٢) معجم الادباء ١/٢٢٦ -- ٢٢٧ .

(٣) فوات الوفيات ١/٥٤ ، وينظر : الاعلام ١/٤٥ .

(٤) يمكن الوقوف على ما أثر له من نثر بالرجوع إلى :

الصداقة والصديق ٢٤٣ ، ٤٤٤ ، ومحاضرات الأدباء ١/٣١٩ واخبار البحتري ١١٢ ١١٤ والأغاني ٢٢/ ٢١٨٠ ، ٢٣ /٢٤ ، وجمع الجواهر ٢٠٨ ، ومعجم الأدباء ٩٢/١١ .

(٥) العقد الفريد ٤/٢٢٩ .

التي كلّفتها عن أحوالنا..) (١)وقوله: (وقد كتبَ اليها يشكو علّته: كيفَ أَصبحتَ (٢) وقوله: وكتبتْ إليه.. وقد وافاني كتابُك لاعدمته... ((٣)

وجديرٌ بالذكرِ أنَّ هناك — على مايظهر — اضطراباً وقعَ في الفهرست في الحديث عن بني المدبّر ونتاجهم، فقد جاء فيه:

(بنو المدبر: أحمد ومحمد وابراهيم وجميعُهم شاعرٌ مترسّلٌ بليغٌ ولأحمدَ كتاب المجالسةوالمذاكرة) (٤)،ثم أعقبَ ذلك الحديثُ عن(هارون بن محمّدِ بن عبدالملك الملك الزّيّات)، ثُمَّ الحديثُ عن سعيدِ بن حُمَيْدٍ، وعدّدَ ابنُ النديمِ ماأُثر لسعيدٍ من الكتب قائلاً: (وله من الكتب كتابُ... كتابُ ديوان رسائلهِ كتاب شعرهِ (والمصارعة لأحمد وابراهيم ولكل واحد منهم كتاب رسائل) وواضحٌ أنَّ العبارةَ الأخيرة ابتداءً من (والمصارعة) لاصلةَ لها بترجمةِ سعيدٍ، واكبرُ الظنِّ أنها سَقَطتْ او انْتُزعَتْ من ترجمةِ بنِ المدبّرِ فأُقحمتْ في ترجمةِ سعيدٍ، واذا صحَّ هذا، فأنَّ لإبراهيمَ ديوانَ رسائلَ ولكنه فُقدَ في جُملةِ مافُقدَ من التراثِ!

اشتهرتْ هذهِ الرسالةُ باسمِ (الرسالة العذراء)، وكأنَّ هذا الأسمَ أَصبحَ عُنواناً لها كسائرِ عنواناتِ الكتبِ والمصنّفاتِ المشهورةِ، وكثيراً ماكانَ المقتبسونَ منها او المتحدّثونَ عن صاحبها يشيرونَ الى هذا الأسم. ولمّا كانَ الأمرُ كذلك، فمن حقِّ الدارسِ أنْ يقفَ عندَ هذا الاسم ليتحقّقَ منه، ومن صحّته، وفيما اذا كانَ من وَضْعِ صاحبِ الرسالةِ او سواه ويبدو أنَّ تسميةَ الرسالةِ بالعذراءِ جاءتْ من الفقرةِ الأخيرة من الرسالة وهي: (هذه الرسالة عذراءُ...) (٥)

وأكبرُ الظنِّ أنَّ هذهِ التسميةَ لم تكنْ وضعتْ للرسالة في إبانَ إنشائها، وإنمّا أُلحقتْ بها بعد زمنٍ طويلٍ. وسنبينُ موقفنا من الفقرةِ الأخيرة من هذه الرسالةِ في أعقابِ حديثنا عنها. ولعلَّ سكوتَ المصادرِ التي ترجَمتْ لابنِ المدبّر، أو ذكرتْ

---

(١) الاغاني ٢٢/ ١٧٢ .

(٢) نفسه ٢٢ / ١٧٤ .

(٣) نفسه ٢٢/ ١٧٤

(٤) الفهرست ١٨٤ — ١٨٥ ، ومما ينبغي ذكره ان هذا الاضطراب جاء في طبعة الفهرست الاوربية أيضاً .

(٥) جمهورة رسائل العرب ٤/ ٢٤١ .

أنَّ له ديوانَ رسائلَ، او التي اقتبستْ من هذه ِالرسالة ِنصوصاً طويلة عن ذكر هذه ِالتسمية مايؤيّدُ ماندهبُ إليه، فلو كانتْ هذه التسميةُ شائعةً منذ إنشاء هذه الرسالة ِلما عدمنا الأشارة اليها، ولو كانتْ هذه الإشارةُ عابرةً كما يقولون – في مصدرٍ قديم.

وقد نشرَ هذه ِالرسالة بهذا العنوان الاستاذُ محمّد كرد عليّ في (رسائل البلغاء) والدكتور زكي مبارك، وأحمد فريد رفاعي في مجموعته (التذييل على المقدمة) وأحمد زكي صفوت في جمهرة رسائل العرب) (١).

والحديثُ عن نسبة هذه الرسالة لايقلُّ أهميّةً عن اسمها بلْ يَحتاجُ الى وقفة متأنية. فالنشرات السابقة نسبتها الى ابراهيم بن المدبّر، ويظهرُ أنَّ ناشريها لم يقفوا عندَ أمرٍ مهمٍ جداً، كانَ عليهم ان لايغفلوه، او لايكتفوا بالإشارة السريعة إليه، دونَ إعطائه حقّه من التحقيق والبحث. ومعلومٌ أنَّ البتَّ في صحّة نسبته ِالنّصّ ليسَ بالأمرِ الهيّنِ خاصةً إذا كانَ هناكَ مايشكّكُ في هذه ِالصّحة او يُضعفها.

فالأستاذُ كرد على جعلَ عنوان نشرته على هذا النحو:

الرّسالة العذراء

في موازينِ البلاغةِ وأدوات الكتابة كتب بها أبو اليسر ابراهيم بن محمد المدبر (٢) ولكنه أشار في الحاشية الى أمرينِ مهمين قائلاً:

١ – إنَّ الرسالة (منقولةٌ من مجموعٍ قديمٍ من كتبٍ إسلاميةٍ للشيخِ الطاهرِ الجزائريّ. وقد عرضناها على الإصلِ وعلى مخطوطةٍ أُخرى محفوظةٍ بدار الكتبِ المصريّةِ رقم (٨٠ مجاميع تيمور) وانه رجعَ الى العقد الفريدِ ونهاية الارب لمقابلة النصوصِ الواردةِ فيهما.

٢ – جاء (في التيموريّة: كتب أبو اليسرِ إبراهيمُ بنُ محمّدٍ الشّيبانيُّ الى براهيمَ بنِ محمّدِ بنِ المدبّر).

---

(١) ينظر: مجلة الاقلام ٥٤.

(٢) رسائل البلغاء ٢٢٧، وتبعه في هذا العنوان صاحب جمهرة رسائل العرب.

وتبعه في هذا احمد زكي في الجمهرة ، وأضاف أن ابن عبد ربه والنويري والقلقشندي كانوا يلقبون صاحبها بالشيباني وقال : (والظاهر انه ينتمي الى شيبان بالولاء) (١) .

أما الدكتور زكي مبارك فلم يشر الى نسخة مخطوطة معينة ، ويظهر أنه اعتمد على نص كامل للرسالة وصححه على مافي العقد الفريد ونهاية الأرب فجاء عنوان نشرته على هذا النحو.

الرسالة العذراء :

لابراهيم بن المدبر.
مصححة ومشروحة مع مقدمة مفصلة بالفرنسية عن فن الإنشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث.

وجاءت نقول كثيرة من هذه الرسالة في العقد الفريد (٢) ، وكان يقدم لها بعبارة قال ابراهيم بن محمد الشيباني او قال إبراهيم الشيباني .

ويظهر أن النويري والقلقشندي قد نقلا من العقد ، ولهذا كانا يقدمان للنصوص المنقولة بقولهما : قال إبراهيم بن محمد الشيباني ، او قال ابراهيم الشيباني أيضاً (٣)

وأشار الأستاذ هلال ناجي في نشره (كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها) للبغدادي الى هذا الأمر ، فقال في حديثه عن أهمية الكتاب الذي نشره :

(والحقيقة العلمية الثانية التي كشفها هذا المخطوط هي تصحيح نسبة الرسالة العذراء وردها الى صاحبها ، فالنصوص التي اقتبسها مصنفنا من الرسالة المذكورة نسبها الى الشيباني . ومعلوم أن بعض مخطوطات الرسالة العذراء قد ذكرت صراحة مانصه مما كتب به إبراهيم بن محمد الشيباني الى إبراهيم بن محمد المدبر .
لذلك يكون ماورد في مخطوطتنا معززاً لنسبة الرسالة الى الشيباني لا ابن المدبر . فلاناً لما ذهب اليه زكي مبارك وكرد علي في نشرتهما للرسالة العذراء .

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٤١ الحاشية .
(٢) ٤/١٥٩ — ١٧١ — ١٧٢ ، ١٨٠ — ١٩٠ . ٥/٢٩٢ — ٢٩٥.
(٣) ينظر : نهاية الأرب ٧/١٢ — ١٣ ، ١٩ ، وصبح الأعشى ٢/٤٥١ ، ٤٥٧، ٢/٦٢ ، ٩/٢١٩ .

وجدير بالاشارة الى ان القلقشندي في صبح الأعشى وابن عبد ربه في العقد الفريد قد نسبا مقتبساتهما منها الى الشيباني أيضاً ، ويعزز رأي البغدادي الأكثر قدماً (١).

وواضح ان فيما تقدم جملة أمور ينبغي الوقوف عندها والالمام بها او التساؤل عنها :

١ — يبدو أن أقدم المصادر التي نقلت فقرات طويلة من الرسالة وأشارت الى اسم صاحبها صراحة هو العقد الفريد ، ثم أعقبه النويري فالقلقشندي ولكنهم أسموا صاحبها — كما تقدم — إبراهيم بن محمد الشيباني .

٢ — إن المجموع القديم الذي وردت فيه هذه الرسالة — كما قيل — لا يرقى الى تاريخ العقد الفريد ، بل لعله لايصل الى تاريخ نهاية الأرب ، ومن يدري فلعله من القرون المتأخرة من صبح الاعشى . ولو ذكر تاريخ هذا المجموع كما هي الحال في أكثر مايحقق من النصوص لساعدنا كثيراً على كشف الغموض عن هذه الرسالة .

٣ — إن هناك اضطراباً في اسم صاحب الرسالة كما ورد في نشرتي كرد علي واحمد زكي . فالاول ذكر ان صاحبها (ابو اليسر ابراهيم بن محمد بن المدبر) وأشار في أن الاسم جاء في نسخة تيمور على هذا النحو :

(وكتب أبو اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني الى ابراهيم بن محمد بن المدبر)

٤ — إن أحمد زكي تبع كرد علي ولكنه حاول أن يضيف شيئاً بعد أن احس بالاضطراب في لقب الرجل وهو (الشيباني) فقال: (والظاهر أنه ينتمي الى شيبان بالولاء) .

٥ — إن ماجاء في كتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها من إشارات الى نصوص وردت في الرسالة العذراء . لم ينص البغدادي فيها على أسم الشيباني صراحة .

٦ — لم يلفت نظر أحد من ناشري الرسالة كما سلف — ماورد في العقد ونهاية الارب وصبح الاعشى والمجموع القديم أو نسخة تيمور من اختلاف في أسم صاحب الرسالة أو النصوص المنقولة منها ، وانما اعتبروا الامر شيئاً ثانوياً وانصب همهم على النص الذي نسبه المحدثون الى ابن المدبر .

---

(١) مجلة المورد م ٢ ع ٢ ٤٥٢ .

فمن هو أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني ، أو إبراهيم بن محمد الشيبانيّ ومن هو أبو اليسرِ ابراهيمُ بنُ محمّد المدبر ؟ ولماذا أحجمَ أبنُ عبدِ ربّه ومن نقلَ عنه عن نعتِ صاحب الرسالةِ باللقب الذي عُرِفَ به وهو (المدبر)مع أنّ ابنَ عبدِ ربّه لقبَ أخاه أحمدَ بن المدبر بهذا اللقب ؟ (١) .

وتقدمَ أنّ كُنيةَ إبراهيمَ بن المدبر هي أبو أسحاق ، ولم يكنْ معروفاً بكنية أخرى وتقدمَ كذلك أنّ أبنَ المدبر كان يلقبُ بالضَّبّى وبابن المدبّر وليسَ هناكَ في أخباره مايشير الى أنّه انتمى الى شيبانَ .

وليس في أخباره التي وقفنا عليها مايشيرُ الى صلتهِ برجل يسمى ابراهيم بنَ محمّد الشيبانيّ. هذه كلها حقائقُ كان ينبغي أنْ لاتُغفل أو تُهمل لانها من صُلب منهج البحث وتحقيقِ النصوص !

ثم من هو أبو اليسرِ إبراهيمُ بنُ محمّدِ الشيباني؟هلْ هو أحدُ رجالِ القرنِ الثاني أو الثالث؟ . وهل جاء اسمه مرتبطاً فقط بالنقولِ التي ذكرها أبنُ عبدِ ربّه من رسالته ؟

الحقّ أنّ ابنَ عبد ربّه كرّرَ في أكثر من موضع من نقوله من الرسالة الى هذا الاسم ، وانه نقل أخباراً أخرى عن الشيباني لاتمتّ الى الرسالة بصلّة ،وكانَ يقدم لها بقوله (ابراهيم الشيباني قال..) (٢) (وقال ابراهيمُ الشيباني) (٣) .

والاخبارُ التي ذكرها تتناولُ قصصَ الاعرابِ أو ابا دلامه أو بهلولَ المجنونَ.أو غيرَ ذلك . ولعلّ أهمّ ما في هذه الأخبار مايتعلّقُ ببهلولِ المجنون ، فقد جاء فيه .

(وقال إبراهيمُ الشّيبانيّ : مررتُ ببهلولِ المجنون وهو يأكلُ خبيصاً ، فقلت : أطعمني . قال : ليس هو لي ، أنّما هو لعاتكةَ بنتِ الخليفةِ بَعثتْه اليَّ لآكلَه) (٤)

وجديرُ بالاشارةِ الى أنّ بهلولا هذا توفى سنة ١٩٠هـ (٥) ، واذا صحّ هذا فمعنى ذلكَ أنّ ابراهيمَ الشّيبانيّ هذا كانَ موجوداً قبلَ ولادة إبراهيمَ بنِ المدبر كما تقدّمَ .

---

(١) ينظر : العقد الفريد ٣/٢٣٤ ، ٤/١٧٠ .

(٢) العقد الفريد ٢/١٨٦ – ١٨٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٣) نفسه ٣/٣٥ ، ٦/١٥١ .

(٤) نفسه ٦/١٥١ .

(٥) ينظر : الأعلام ٢/٥٦ .

وفي العقد نصٌ آخرُ مهمّ منقولٌ عن ابراهيمَ بنِ محمّدٍ الشّيباني هذا يتعلّقُ بافتتاحِ الرسائلِ جاءَ فيه :

(لم تزلْ الكتب تستفتح باسمكَ اللّهمَّ حتّى أنزلتْ سُورةُ هودٍ وفيها ... فكتب بسم الله الرحمن ، ثم نزلت ...) (١). وأهمية هذا النّصِ تتجلّى في كونه غيرَ موجود في الرسالةِ العذراءِ ، فهل يعني هذا أنه نصّ آخرُ لا صلةَ له بالرسالةَ أو أنَّ الرسالةَ المنشورةَ سقط منها شيء ، وانها كانتْ أطولَ مما نشر منها ؟ أو أنَّ هناك كتاباً بهذا المعنى ، وأنَّ ابنَ عبد ربّه اقتطعَ منه ماشاءَ وما وافقَ غرضه ؟

ومن المهمّ جداً أنْ أشيرَ الى أنَّ هناكَ من سُمّي بابراهيمَ بن محمّدٍ ، وكنّي بأبي اليُسرِ ، ولقبَ بالشّيباني ، فقد تَرجمَ له صاحبُ الاعلام بما هذا نصّه (الشّيباني : ٢٢٣ — ٢٩٨ هـ ٨٣٨ — ٩١١م

إبراهيم بن محمّد الشّيبانيّ ، أبو اليسر . ويعرفُ بالرياضيّ الكاتبِ : أديبٌ أصله من بغدادَ ، واستقرّ في القيروانِ ، فترأسَ ديوانَ الانشاءِ لبني الاغلبِ ثمّ للفاطميّين الى أنْ توفي . من كتبه (سراج الهدى) في معاني القرآن وإعرابه . و (مسند) في الحديث ، و (قطب الادب) ، و (لقط المرجان) في الادب (٢) .

وبعدُ ، فلمن تصح نسبةُ هذه الرسالةِ ؟ واضحٌ أنّ النسبةَ تترجحُ بينَ أثنين هما الشّيباني وأبنُ المدبّر ، ويبدو أنْ ليس لهما شريكٌ ثالثٌ فيها ، فاذا صحّ هذا ، فمن هو صاحبها ، أو لمن منهما تترجحُ هذهِ النسبةُ ؟

الحق أننا لانريدُ أنْ نبتَّ في هذا الامرِ أو القطعِ به ، فالامر ليسَ بهذه السهولة ولكنْ نرى أنْ نضعَ بعضَ الحقائقِ بينَ يديْ القرّاء لينطلقوا منها في الحكم أو الترجيحِ .

١ — ذكرنا أنَّ ابنَ عبدِ ربّهِ نقلَ أخباراً عن الشّيباني غيرَ مانقله من فقراتٍ كثيرةٍ من هذه الرسالة ، ومنها خبرُ مرورِ الشيباني ببهلول المجنون . الذي توفي في سنة ١٩٠هـ . وتقدمَ أنَّ الشّيبانيَّ الذي ترجمَ له الزّركلي قد وُلد في سنة ٢٢٣هـ ، وهو هذا يعني أن ولادته كانتْ بعدَ وفاةِ البهلول بمدّةٍ طويلةٍ كما أنَّ ولادةَ ابنِ المدبّرِ كانتْ بعدَ وفاةِ البهلولِ بعشر سنينَ أو أكثرَ .

(١) العقد الفريد ٤/١٥٨ وينظر : صبح الأعشى ٦/٢١٩ .

(٢) الاعلام ١/٥٧ . ومن الجدير بالذكر ان مصدر الزركلي — كما يقوله كتاب صدور الافارقة وهو مخطوط .

٢ ــ في الرسالة أعلامٌ ذكرَ صاحبها السماعَ منهم أو الكتابةَ اليهم :

فمما جاءَ من ذلك قولهُ :(فاني سمعْتُ جعفرَ بنَ محمدٍ الكاتبَ يقول (١)) وقولهُ : (سمعتُ سعيدَ بنَ حُمَيدٍ الكاتبَ : يقول ...) (٢) .

وقوله (وسألني بعضُ أهلِ العلمِ أنْ أكتبَ له قصةً الى جعفرِ بنِ عبدِ الواحد القاضي .. فكتب له قصةً لاتصلحُ ...) (٣)

وأكبرُ الظّنّ أنّ هؤلاءِ الرجالَ كانوا في جُملةٍ من اتّصلَ بهم ابنُ المدبّر او اتصلوا به، وقد تقدَّمتْ علاقتهُ بسعيدٍ بنِ حُميدٍ . ويظهرُ ان صلته بالرجلينِ الآخرينِ كانتْ وطيدةً أيضاً .

٣ ــ ليس لدينا مايُشيرُ الى أنّ الشيباني قد اتّصلَ بواحدٍ من هؤلاءِ الاعلامِ ، فسمعَ منهم او كتبَ إليهم ، اللّهمّ إلاّ إذا كانَ هناكَ شيبانيٌ آخرُ غيرُ الذي ذكره صاحب الأعلامِ .

تشيرُ مقدّمةُ الرسالة الى أنّ أحدَهم طلبَ الى صاحبها إنشاءَها، ولا ندري إنْ كانَ هناكَ شخصٌ حقيقيٌ قد طلَبَ ذلكَ، أو أنّ مُنشئَها جرَى في هذا على ماجرَى عليهِ سواهُ من ادّعاءِ مثلِ هذا الطلبِ في مقدّمات رسائله وكتبه.

لقد ذكرَ مؤلّفُ الرسالةِ في مقدّمتها الى ماطُلبَ منه وهو الكتابة في موازينِ البلاغةِ وأدواتِ الكتابةِ ، فقال:

(بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيم: فتقَ اللهُ بالحكمة ذهنَك، وشرَحَ بها صدرَك، وأنطقَ بالحقّ لسانَك، وشرفَ به بيانَك. وَصلَ إليّ كتابُك العجيبُ الذي استفهمتني فيه بجوامعِ كلمك ــ جوامعَ أسبابِ البلاغةِ ، واستكشفتني عن غوامضِ آدابِ

(١) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٠٩ . جعفر بن محمد : هو جعفر بن محمد بن خالد بن ثوابة أحد الكتاب البلغاء الفصحاء ، صاحب ديوان الرسائل توفي سنة ٢٨٤هـ (تاريخ بغداد ٧/١٧٣ ــ ١٧٥) .

(٢) جمهرة رسائل العرب ٤ / ٢١٧ .سعيد بن حميد : هو سعيد بن حميد الكاتب الشاعر ورئيس ديوان الإنشاء في عهد المستعين، توفي بعد سنة ٢٦٥هـ عن (رسائل سعيد بن حميد راشداره).

(٣) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٢٩ ــ ٢٣٠ . جعفر بن عبدالواحد : هو جعفر بن عبد الواحد ولي قضاء القضاة بسر من رأى في سنة ٢٤٠ هـ ، وعزل عن القضاء في سنة ٢٥٠ هـ وتوفي في سنة ٢٥٨ (معجم الادباء ٧/٨٧) .

أدوات الكتابة : سألتني أنْ أقفَ بكَ على وزْنِ عُذوبةِ اللفظِ وحلاوتهِ ، وحدودِ فخامةِ المعنَى وجزالتهِ ، ورشاقةِ نَظْمِ الكتابِ ، ومُشاكلةِ سَرْدِهِ ، وحُسْنِ افتتاحهِ وختْمهِ ، وانتهاءِ فصولهِ ، واعتدالِ وُصولهِ ، وسلامتِهما من الزَّللِ ، وبُعْدِهما من الخَلَلِ ، ومتَى يكونُ الكاتبُ مستحقاً اسمَ الكتابةِ . والبليغُ مُسلماً له مَعاني البلاغةِ ، في إشارتهِ واستعارتهِ ، والى أيِّ أدواتهِ هو أحوجُ وبأيِّ آلاتهِ هو أعملُ ، اذا حَصحصَ الحقُّ ، ودُعيَ الى السبْقِ ، وفهمتُه) (١) .

انَّ مافي الرسالة من الأخبار وأسماء الاعلام — وهي ليست قليلةً — تدلُّ على أن كتابتَها لم تتعدَ القرنَ الثالثَ الهجري ، وتقدَّمَ أنَّ ابنَ المدبّر والشّيبانيَّ كانا من رجالِ هذا القرنِ أيضاً.

كما جاءَ فيها مايدلُّ على أنَّ مؤلّفَها قد نَهضَ بالعملِ وهو يعاني أموراً كثيرةً غيرَ مريحةٍ . جاءَ فيها :

(وأنا راسمٌ لكَ — أيّدكَ اللهُ — من ذلك مايجمعُ أكثرَ شَرائطكَ ، ويُعبّرُ عن جُملةِ سؤالكَ ، وإنْ طوّلتُ في الكتابِ وعرّضتُ ، وأطنبتُ في الوصفِ وأسهبتُ ومُستقْصٍ على نفسي في الجوابِ ، على قدْرِ استقصائك في السؤالِ ، وإنْ أخلَ به التياثُ الحالِ ، وسكونُ الحركةِ ، وفتورُ النشاطِ ، وانتشارُ الرؤيةِ ، وتقسُّمُ الفكْرِ ، واشتراكُ القلبِ ، واللهُ المستعانُ) (٢)

وتقدَّمَ أنَّ ابنَ المدبّر تعرّضَ الى شيءٍ من اختلال الحال في فترة من حياتهِ ، فهل يعني هذا أنّه — إذا صحّتْ نسبةُ الرسالةِ إليه — كتبها في غضونِ أيّامِ نكبتهِ ، أو بعدَها بقليل؟

إنَّ من يقرأ الرسالةَ يجد أنَّ صاحبَها قد تأثّرَ في بعض اجزائها وخاصةً فيما يتّصلُ بدورِ اللفظِ والمعنى فيها بالبيانِ والتبيين للجاحظ ، بل انَّ الرجل قد نظرَ طويلاً في كتابِ الجاحظ هذا ، فنقلَ منه فقراتٍ نقلاً تاماً ، واختزلَ في بعضِ الأحيانِ واقتضبَ مابسطه أبو عثمانَ في مؤلّفه المذكور .

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٤/١٩٩ — ٢٠٠ .

(٢) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٠٠ .

وقد أشارَ الدكتور زكي مبارك الى بعض تلك النقولِ (١)، كما نبّه احمد زكي صفوت الى بعضٍ آخرَ منها (٢) .

والحديثُ عن أُسلوبِ الرسالةِ العذراء، أو أسلوبِ ابنِ المدبّرِ فيها باعتبارِها أطولَ ماوصلَ إلينا من نثره على قلّته، يَدعونا الى استحضارِ خصائصِ مدرسةِ الجاحظِ النثّريّةِ والّتي من أهمها.

(تقطيعُ الجملةِ الى فقراتٍ كثيرةٍ مقفاة أو مرسلةٍ، وزيادةُ الأطنابِ في الألفاظِ والجمل ... وتحليلُ المعنى واستقصائه، وتحكيمُ العقلِ والمنطقِ والاعتراضُ بالجمل الدّعائية) (٣) .

إنّ الرسالةَ المذكورةَ انطوتْ على كثير من هذهِ الخصائصِ، ولاغرْو فانّ ابنَ المدبّر كانَ صديقاً حميماً للجاحظ، ومُعجباً بأدبهِ، وتقدّمَ أنه تأثّرَ كثيراً بكتابِ البيان والتبيين، ويظهرُ أنّ هذا التأثّرَ جاوزَ حدودَ النّقلِ الى الاسلوبِ، حتّى لأكادُ أذهبُ الى أنّ من يقرأ الرسالةَ هذه فكأنّه يقرأ في كتاب الجاحظ الآنفِ الذكرِ.

ولِلتدليلِ على ماذكرتُه أرى أنْ أتمثّلَ بنموذجين مِن نثرِ ابن المدبّر، أحدهما من رسالتهِ، والآخر مما أُثِرَ له في أحدِ أصدقائهِ، قال :

(وكلما احلولىَ الكلامُ وعذُبَ ورقَّ وسَهُلتْ مخارجهُ، كانَ أسهلَ ولوجاً في الأسماعِ، وأشدَّ اتّصالا بالقلوبِ، وأخفَّ على الأهواءِ، ولاسيمّا إذا كانَ المعنى البديعُ مُترجَماً بلفظٍ مُونقٍ شريفٍ، ومُعبّراً بكلامٍ مؤلّفٍ رشيقٍ، لم يَشِنه التكلّفُ بميسمِهِ، ولم يُفسدْه التعقيدُ باستهلاكه) (٤) . وكتب الى أحدهم قائلا :

---

(١) ينظر : الرسالة العذراء ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ (الهوامش) .

(٢) ينظر : جمهرة رسائل العرب ٤/٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ (الهوامش) .

(٣) تاريخ الادب العربي للزيات ٢١٧ ط ٢٥ .

(٤) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٢٧ . والجدير بالذكر ان الجاحظ يقول في هذا المعنى .
(وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه ، وتقوى قائله. فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه، ومنزهاً عن الاختلال ، مصوناً من التكلف ، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة) . البيان والتبيين ١/٨٣ .

(ذكرتَ ـ جَعلني اللهُ فداءَكَ ـ خوفَكَ إملالي، والزّيادة في أشغالي بكثرة كُتُبكَ فأقول: أخي، قُدّمتُ قبلك ـ لم أُرزَقْ ـ فيما قلتَه ـ عدلَكَ، هلْ يملُّ الروحُ جسدَه؟ والجسدُ جوارحهُ؟ والجوارحُ سلامتها، والسلامةُ دوامَها؟ ظلَمتني ـ عفا اللهُ عنك ـ فأما الشغلُ فيكَ ولكَ فأنّه غيرُ منقطعٍ بذكركِ، والفكرُ فيكَ، والشوقِ والنزاعِ إليكَ. والخوضِ والإفاضةِ في محاسنك ...) (١)

وممّا لحظتُه فيهذه الرسالةِ ميل صاحبها أحياناً الى تكرارِ اللفظِ والمعنى، ولعلّه كان يتوخّى من ذلك التأكيدَ فيما كانَ يدعو له، ويذهبُ إليه في هذه الرسالة، من ذلك قوله: (بعدَ أن يكونَ الكاتبُ صحيحَ القريحةِ، حُلْوَ الشمائلِ، عَذْبَ الألفاظ دَقيقَ الفَهْمِ، حَسَنَ القامةِ، بعيداً من الفَداحةِ، خفيفَ الروح، حاذِقَ الحس مُحنّكاً بالتجربةِ، عالماً بحلالِ الكتابِ والسّنّةِ وحرامِهما، وبالملوكِ وسيرِها وأيامها وبالدُّهورِ في تقلبِها وتداوُلِها، معَ براعةِ الأدبِ، وتأليفِ الأوصافِ، ومشاكلة الاستعارةِ، وحُسْنِ الإشارةِ، وشرحِ المعنى بمثله من القولِ، حتى تنصّبَ صورا منطقيّةً تُعربُ عن أنفسها، وتدلُّ على أعيانها، لأنّ الحكماءَ قد شرطوا في صفات الكتّاب: اعتدالَ القامةِ، وصغرِ الهامةِ، وخفّةَ اللّهازِمِ، وكثافةَ اللّحيةِ، وصِدْقَ الحِسّ، ولُطفَ المذهبِ، وحلاوةَ الشمائلِ، وخفةَ الإشارةِ، وملاحة الزّيّ، حتّى قالَ بعضُ المهالبة لولده: (تزيّوا بزيّ الكتّابِ، فانّ فيهم أدبَ الملوكِ، وتواضُعَ السّوقة)

ومن كمالِ آلة الكتابةِ: أنْ يكونَ الكاتبُ بهيّ المَلْبَسِ، نظيفَ المجلسِ، ظاهرَ المروءةِ، عَطِرَ الرائحةِ، دقيقَ الذهنِ، صادقَ الحسِ، حَسَنَ البيانِ رقيق حواشي اللّسان، حلْوَ الإشارةِ، مليحَ الإستعارةِ، لَطيفَ المسلكِ، مُستَقِرَّه المركبِ، ولايكونُ مع ذلكَ فَضْفاضَ الجُثّةِ، متفاوتَ الأجزاءِ، طويلَ اللّحية عظيمَ الهامة، فإنهم زعموا أنّ هذه الصورةَ لايليقُ بصاحبها الذكاءُ والفطنةُ) (٢).

وواضح أنّ في هذه الفقراتِ الكثير من الالفاظ والمعاني المكرّرة، وكان بالامكان الاستغناءُ عن بعضها والتّركيزُ على المطلوبِ من الأمر.

وقوله:

(١) الصداقة والصديق ٤٤٣.

(٢) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(اذا احتجت الى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والخطباء والادباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم ، فخاطبْ كلا على قدر أبهته وجلالته ، وعلوه وارتفاعه ، وتفطنه وانتباهه ...) (١) ، ثم يقول في المعنى نفسه :

(ولكل طبقة من هذه الطبقات معانٍ ومذاهبُ يجبُ عليك أن تراعيَها في مراسلتك إيّاهم في كتبك ، فتزنَ كلامَك في مخاطبتهم بميزانه ، وتُعطيَه قِسْمه ، وتوفّيَه نصيبه ...) (٢) ، ثم يكررُ المعنى ذاتَه في موضعٍ ثالثٍ فيقول :

(ولكلّ مكتوبٍ اليه قَدْرٌ ووزْنٌ ينبغي للكاتبِ أنْ لايتجاوزَهُ عنه ، ولايقصر به دونَه ...) (٣) .

وممّا جاءَ في الرسالة قولِ مؤلفها : (وانظرْ الى سَلاسة الحسن بن سهلٍ حيثُ قال شَرِستَ بلْ لِنْتَ بلْ قابلتَ ذاكَ بذا فأنتَ لاشكَ فيكَ السّهلُ و الجبَلُ) (٤). والمعروفُ أنَّ البيتَ لأبي تمّامٍ ، وهو من قصيدةٍ له في مدحِ المعتصم (٥) .

وتنتهي الرسالةُ بفقرتينِ ، وهما :

(وقالَ الخليلُ بنُ احمدَ : كلُّ ماأدّى الى قضاءِ الحاجةِ فهو بلاغةٌ ، فإنْ استطعت أنْ يكونَ لفظُكَ لمعناك طبقاً ، ولتلكَ الحالِ وَفْقاً ، وآخرُ كلامك لأوّله مُشابهاً وموارِدُه لمصادرِه مُوازناً فافعلْ . واحرِصْ أنْ تكونَ لكلامك متّهِماً وإنْ ظَرفُ ولنظامِك مُسترِيباً وإنْ لطُفَ ، بمواتاة آلتك لك ، وتصرّفِ إرادتك معَك ، فافعلْ إنْ شاء الله .

وهذه الرسالةُ عذراءُ ؛ لأنها بِكْرِ معانٍ لم تفترِعْها بلاغةُ الناطقينَ ، ولا لمَستها أكفُّ المفوّهينَ ، ولاغاصتْ عليها فِطنُ المتكلمينَ ، ولاسبقَ الى الفاظها أذهانُ الناطقينَ ، فاجعلها مثالاً بينَ عينيك ، ومصوّرةً بينَ يديك ، ومسامِرةً لكَ في ليلك ونهارك ، تهطُلْ عليكَ شآبيبُ منافعها . ويُظللك منها بركاتُها ، وتُوردكَ مناهلَ بلاغتها ، وتدلك على سَوْبِع رشدِها ، وتُصدرك وقد نُقعَ ظمؤك بينابيع

(١) نفسه ٤/٢٠٣ .

(٢) نفسه ٤/٢٠٤ .

(٣) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٠٧ وينظر نماذج أخرى من هذا التكرار في المرجع نفسه ٤/٢٠٤ — ٢٠٥ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٤) نفسه ٤/٢٢٨ .

(٥) ديوان أبي تمام ١١/٣ ، وفيه (بل قانيت) .

بحر إحسانِها إنْ شاءَ اللهُ عزَّ وجل ، والحمد للهِ وحدَه ، وصلى اللهُ على سيّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبهِ وسلّمَ) (١) .

وأغلب الظنّ ان الفقرةَ الثانيةَ التي تبدأ بعبارة (وهذهِ الرسالةُ عذراءُ) ليستْ من أصلِ الرسالة ، وانما هي مقحمةٌ عليها ، ولايبعد أنْ يكون ذلك من عمل أحدِ النّساخ المعجبين بها ، ويظهرُ أنه عمدَ الى مجاراة اسلوب المؤلف . فجاءت عباراتُه قويّةً تحاكي عباراتِ الرسالة .

أمّا الذي يحملنا على هذا الشّكِ ، وهذا الظنّ فاسبابٌ ، منها :

انّنا لم نَتَعَوَّدْ أنْ نجدَ في أعقاب الرسائلِ إطراءَها من قبلِ أصحابها، كما نجدُ من هذه الرسالةِ .

ومنها :

اننا نشكُّ في انزلاقِ ابنِ المدبرِ او تبجحه في إطراءِ هذهِ الرسالةِ ، وهو يعلَم ونحن نعلمُ كذلك ، أنّه نظر في كتبِ الآخرينَ وخاصةً الجاحظ كما تقدّمَ . ومنها :

ان هذهِ الفقرةَ الأخيرةَ تكادُ تكونُ نافرةً عن مضمونِ الرسالةِ ، وأنَّ موقعها قلق مضطربٌ .

ومنها :

انَّ مَن نَقلَ فقراتٍ طويلةً من هذهِ الرسالةِ لم يُشيروا الى هذهِ الفقرةِ الأخيرةِ .

ومنها :

انَّ الرسالةَ تنتهي بانتهاءِ الفقرةِ السابقةِ لهذه الأخيرةِ . ومعلومٌ أَنَّ صاحبَ الرسالة قد نَهجَ طريقةَ الكتّابِ في ذلك العصرِ بانهاءِ رسالته بعبارةِ (فافعل إن شاء الله) ، وهي طريقةٌ مألوفةٌ معروفةٌ ، وقد وصلتْ الينا رسائلُ كثيرةٌ تنتهي بما انتهت به الرسالة العذراء (٢) .

---

(١) الجمهرة ٤/٣٩٤ .

(٢) للوقوف على نماذج من انتهاء الرسائل — كما انتهت به الرسالة العذراء — يحسن الرجوع إلى جمهرة رسائل العرب ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، ٣/١٠ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٢٤ ، ١٤٩ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ... ٤/٨ ، ٧٥ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩١ ...

وعلى الرغمِ من كلِ ماتقدَّمَ ، فانَّ لهذهِ الرسالةِ اهميةً كبيرةٍ ؛ لأنها رائدةٌ في صناعةِ الكتابة ، (١) بل لعلهَّا تخرج من حدودِ الرسائل ، الى صنف المؤلفات ، إنهَّا كُتيبٌ رصينٌ بليغٌ في فنِّ صناعة النثر .

شعرُه :

يظهرُ أنَّ ميلَ ابنِ المدبرِ الى الشعرِ لم يكنْ بأَقلَّ منهُ الى النثرِ ، بل لعلَّ اهتمامه به أكثرُ ، وهو به أعرفُ واشهرُ ، ومن أجلِ هذا فقد وصلَ إلينا من شعره اكثـرَ مما وصلَ إلينا من نثره . وقد حَفلتْ ترجماتُه بشعره أكثرَ مما حفلَتْ بنثر ه . ولهـذا قلّتْ نماذجُ نثرِ ه في تلك الترجماتِ ، وكثرتْ النماذجُ الشعريّةُ فيها .

ولانعرفُ على وجهِ الدّقةِ متى بدأَ يقولُ الشعرُ ، وإنْ كنا قد وقفنا على حفظـه نماذج منه في حداثته كما تقدَّمَ .

غيرَ انا نعرفُ من أخباره أنَّ هناك مجالات غيرَ قليلة كانتْ تَستدعي قولَ الشعر ويبدو أنّه بدأ يتكسبُ به في أولِ الأَمر ، اذا صحَّ ماجاءَ في الأَغاني عن ابن المدبر نفسه الذي قال : (كنتُ وابراهيمُ بنُ العبّاسِ رفيقينِ نتكسّب بالشعر ...) (٢) ، ولانعرفُ الأشخاصَ الذينَ قصدَهم بهذا اللون من الشعر ، ولكنا نعلم أنّه امتـدَحَ ولاةَ عهودِ المتوكلِ . كما مدَحَ المتوكل حين ألمَّ به مرض خطير . ومدح محمد بن عبد الله بن طاهر في أيّام نكبته .

وأشار أبو الفرجِ الى شعرِ ابراهيمَ هذا قائلاً :

(قرأتُ على ظهر دفترٍ فيه شعرُ ابراهيمَ بن المدبرَ أهداهُ مجموعاً الى أخيهِ احمدَ ، فلما وصل اليهِ قرأه وكتبَ عليه بخطه :

---

(١) ينظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١١٧/٢ .

(٢) ١٨٣/٢٠ من الجدير بالذكر ان أبا الفرج روى الخبر بصورة أخرى عن ابن المدبر نفسه فقال : (وقال محمد بن داود ، حدثني محمد بن القاسم قال : حدثني ابراهيم بن المدبر قال : حدثني ابراهيم بن العباس — قال حدثني به دعبل أيضاً فكانا متفقين في الرواية — قال : كنا نطالب جميعاً بالشعر...)

رينظر : بدائع البدائه ، ١٧٦ فقد جاء فيه أيضاً مثل هذه الرواية .

أَبا إسحاق إنْ تكن الليالي عطفْنَ عليكَ بالخَطْبِ الجسيمِ
فلَمْ أَرَ صَرْفَ هذا الدّهرِ يجري بمَكروهٍ على غيرِ الكريمِ (١)

ومعنى هذا انّ الرجلَ بعد أنْ تجمّعَ لديه شيءٌ كثيرٌ من الشعرِ ارتأى جمعه في دفترٍ او ديوانٍ وأهداه الى أقرب الناسِ رحماً إليه وهو أخوه . ومعنى هذا أيضاً أنّ شعره او ديوانه كان معروفاً بحيث استطاع ابو الفرج في القرن الرابع الاطلاع عليه ، وربمّا استعانَ به في ترجمته لابراهيم ، ولعلّ النماذجَ الكثيرة التي انفرد بها ابو الفرج هيَ من ذلك الدفتر او الديوان .

وأكبرُ الظنّ انّ هذا المجموعَ ليسَ كلّ ماأُثِرَ له من شعرٍ ، ويظهرُ أنّه جمعه وهو في حبسِ المتوكل ، وبيتا أخيه شاهدٌ على ذلك ، وإذا صحّ هذا ، فلا بُدّ أنْ يكونَ لابنِ المدبر شعرٌ آخرُ كثيرٌ لم يضمّه الى هذا المجموعِ ؛ لأنّ الرجلَ عاشَ بعدَ خروجهِ من حبسِ المتوكلِ حقبةً من الزمن تُنيّفُ على ثُلثِ قرنٍ .

غيرَ أنّ ابنَ النديمِ أشار في الفهرست الى شيءٍ آخرَ يَلفتُ النظرَ ، فقد ذكر شعرَ احمد بن المدبرِ فقال :

(احمدُ بنُ محمّدٍ المدبرُ سبعونَ ورقةً) (٢) ، ثمّ ذكر في موضعٍ آخرَ ضمنَ اسماءِ الشعراءِ الكتّابِ الذين ذكرهم ابنُ حاجبِ النعمانِ في كتابه شعرَ ابن المدبّر احمد وابراهيمَ فقال :

(احمدُ بنُ المدبرِ أبو الحسنِ خمسونَ ورقةً ، إبراهيمُ بنُ المدبّرِ مقلّ) (٣) .

ويُخيّلُ إلينا أنّ في روايةِ ابنِ النديم شيئاً من عدمِ الدقّةِ ، وقد لايستبعدُ أنْ ،

---

(١) الاغاني ١٧٧/٢٢ مما يجدر ذكره أن ياقوت الحموي روى خبراً في هذا الشأن عن الجهشياري قال فيه : (رأيت دفتراً بخط ابراهيم بن العباس الصولي فيه شعره، قال في حبس موسى بن عبدالملك إياه يصف غلظ ما فيه من الحبس وثقل الحديد والقيد ، ويذكر موسى في شعره ... وقد كتب احمد بن المدبر بخطه في ظهر هذا الدفتر ...) ١٩٦/١ ، وينظر : الطرائف الادبية ١٨٨ فقد نقل محقق ديوان ابراهيم الصولي الخبر عن معجم الادباء (وجعله في جملة ما ذيل به الديوان .

وهذا وهم من الجهشياري وياقوت ومحقق الطرائف ؛ لان الابيات التي ذكرت في هذا الخبر من جملة أبيات قصيدة لابن المدبر قالها في الحبس .

(٢) الفهرست ٢٤١ .

(٣) نفسه ٢٤٢ .

يكونْ الامرُ قد اختلطَ عليه في تقديرِ شعرِ الأخوينِ ، فجاءته روايتُه مضطربة وغيرَ دقيقةٍ . ونحنُ نرى أنّ الأمر معكوسٌ فيما يتّصلُ بمقدارِ شعريهما ، وذلك — لأسبابٍ عدّةٍ :

منها : انّ ترجمةَ إبراهيمَ في المصادر كانت أوسعَ من ترجمةِ أخيهِ ، وانها أكثرُ اشتمالاً على النماذجِ الشعرية التي تمثّلَ بها من شعره ممّا في ترجمة أخيه .

ومنها : انّ اهتمامَ ابراهيمَ بالشعرِ وتعاطيه له كانا اكثرَ مما لدى أخيهِ

ومنها : انه كان يستخدم شعره في التكسب ، كما كانَ يمتدحُ به ولاةَ الامورِ .

ومنها : أنّ إبراهيم اكثرُ اتصالاً — كما تشير أخباره بالجواري ، وانه عُرِفَ بصلته القوية بواحدةٍ منهنّ حتّى كانت له معها أخبارٌ معروفةٌ ، وكان جزءٌ كبيرٌ ممّا وصلَ إلينا من شعرِه قد قيلَ في علاقته بهذه الجارية .

ومنها انّه تعرّضَ الى الحبسِ ، الذي أوحى له بشعرٍ كثيرٍ معروف .

ومنها : انّه جمعَ شعره في دفتر ، وهذا معناه كثرة هذا الشعر ، وحرص صاحبه عليه من الضّياعِ .

ومنها : انّ ماوصلَ إلينا من شعرِه يفوقُ كثيراً ماوصل إلينا من شعر أخيه (١) .

إنّ مااستطعنا جمعَه من شعرِ إبراهيم هو تسعٌ واربعونَ قصيدةً ومقطوعةً تقعُ جميعها في (٢٦٤) مائتينِ واربعة وستينَ بيتاً (*) .

ولاشكّ في أنّ ماوصلَ إلينا من شعرِه قليلٌ بالقياسِ الى مايجب أن يكون عليه شعره للاسباب الآنفةِ الذكرِ .

فلم يصل إلينا شيءٌ كثيرٌ من شعرِه في حبسه الذي قال عنه أبو الفرج : (ولابراهيم في حبسهِ أشعارٌ كثيرةٌ مختارةٌ) (٢) . كما فُقدَ شيءٌ كثيرٌ من شعره في (**نبت**) الذي ذكره ابو الفرجِ ايضاً قائلاً : (ولابراهيمَ في نبتٍ هذهِ أشعارٌ كثيرةٌ ..) (٣) .

إنّ موهبةَ ابنِ المدبّرِ الادبيةَ كانتْ موزّعةً بين فني الشعر والنثرِ ، وقد نجحَ الى حدٍ غيرِ قليلٍ في النهوضِ بهذينِ الفنينِ الى مايتناسبُ وتلكَ الموهبةَ ، فكانت

(١) من الجدير بالاشارة ان ما وقفنا عليه من شعر احمد بن المدبر يتألف من ست مقطوعات تقع جميعها في (٢١) واحد وعشرين بيتاً .

(*) سننشره على حدة إن شاء الله .

(٢) الأغاني ١٥٩/٢٢ .

(٣) نفسه ١٦٤/٢٢ .

شاعريتُه جيّدةً ، مكنّته من أنْ يرتفعَ بشعره الى مستوى شعر الكتّابِ الذي نرى من المفيدِ الاستئناسَ برأي ابن رشيقٍ فيهِ وفي أصحابه ، قال :

(والكتّابُ أرقُّ الناسِ في الشعرِ طبعاً ، وأملحُهم تصنيعاً ، وأحلاهم ألفاظاً وألطفهم معانيَ ، وأقدرُهم على تصرّفٍ ، وأبعدُهم من تكلفٍ .. وليسَ يلزمُ الكاتبَ أنْ يجاري الشاعر في أحكامِ صنعةِ الشعرِ ؛ لرغبة الكتّابِ في حلاوةِ الألفاظِ وطيرانها وقلّةِ الكُلفةِ ، والاتيانِ بما يخفُّ على النفسِ منها ، وأيضاً فإنَّ أكثرَ أشعارِهم إنما يأتي تَظرُّفاً ، لاعن رغبةٍ ولا رهبةٍ ، فهم مُطلَقون مُخلَونَ في شهواتهم مسامحونَ في مذهبهم ، إذ كانوا انمّا يصنعون الشعرَ تخيراً واستظرافاً ...) (١) .

ان اكثر ماجاء في كلام ابن رشيق على شعر ابن المدبر وشاعريته ففي شعره صدق عاطفة،ولطف معان، وأناقة لفظ ، وبعد عن التكلف . واقتصاد في الصنعة .

ورزق ابراهيم شاعرية مطواعة، فكانت تمدّه بكل ما كان .. يجول في نفسه، ويضطرب في وجدانه . ولهذا كثرت أخبارُ ارتجاله للشعر ، وسرعة تجاوب شاعريته للحدث. وكان طويل النفس، ثرّ الخيال، مفنّاً .

وعلى الرغم مما أثر له من فنون شعرية : كالمديح والهجاء والعتاب ، فان غزله وشكواه الذي يمثّله ما قاله في حبسه يقفان في مقدمة ماأثر له من فنون ، انهما يمثلان تمثيلا صادقاً ماانطوت عليه مشاعر الرجل وإحساساته في حالاته المختلفة ، من رضا وغضب وهدوء واضطراب. . أنهما صورة حيّة صادقة لنفس شاعرة متأثرة . (٢)

---

(١) ينظر : رسائل سعيد بن حميد وأشعاره ٦٩ .

(٢) اكتفينا بالاشارة إلى فنونه الشعرية ، من غير أن نمثل بشيء منها ، لضيق المجال .

العلوم الاجتماعية

المتخلفون عقليا وتكيفهم الاجتماعي والنفسي

د . ابراهيم الكناني
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

السيد عبدالرزاق عزت
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

يجدر بنا عند الحديث عن التخلف العقلي أن نبتدىء بتحديد المقصود بالتخلف العقلي . فقد أتفق على أنه يعني الانحراف الملحوظ عن مواصفات العاديين في بعض السمات وعلى هذا الاساس فالفرد المتخلف لاينمو بنفس المعدل الذي ينمو به الفرد العادي، ولا يصل الى المستوى العقلي الذي يصل اليه الفرد العادي، وينعكس تخلفه العقلي في جميع جوانب ومظاهر سلوكه .

ونقصد بالتكيف في المجال السيكولوجي بأنه العملية الديناميكية المستمرة التي يهدف بها الفرد الى أن يغير أو يعدل سلوكه ليكون أكثر توافقاً بينه وبين البيئة . وقد يكون من الصعب أن نضع الفواصل بين التكيف النفسي والاجتماعي الا أننا لغرض التبسيط نقول ان الشخص المتكيف نفسياً هو ذاك الذي كانت حياته النفسية خالية من التوترات والصراعات . النفسية الحادة . وهو متكيف إجتماعياً عندما يصبح موائماً بين مطالب الذات ومايفرضه المجتمع من قواعد وقيم وأخلاقيات .

واذا أردنا أن نميز الافراد في مجال التكيف ، فيكون بالامكان أن نوزعهم الى صفين أفراد متكيفون وغير متكيفين وبين هؤلاء وأولئك منازل. وإذا جاز لنا تصنيف الناس الى قطبين من السواء أو عدمه فلنا في هذا التصنيف معايير، ونحن على هديها نميز

فنحن نلمح التكيف في خلاص الفرد من القلق الشديد ، أو الأفكار التسلطية ، وفي قدرته على التغلب على العقبات والاحباط وقد يكون شاهدنا على تكيفه خلوه من إضطراب أعضاء الجسم . فكثيراً مانرى أن مايبدو من إضطراب البدن يعتبر دليلا على ماعند الفرد من إضطراب في التركيب النفسي . والفرد في سوائه يعطي صورة عن ذاته الواقعية نلمح فيها بعد أن نقارنها بذاته المثالية وبذوات الناس الاخرين الذين يحيطونه شيئاً من إقتراب وقلة عن بعد . وهو بعد هذا يتقبل الاخرين ويتقبله الاخرون، فيحصل عنده تقبل لذاته . والسوي يضع لنفسه أهدافاً واقعية يسعى للوصول اليها ، وليس في طموحه شيء من بعد نوال . وهو الذي يستطيع أن يتحكم في رغباته ، وأن يؤجل بعض الاشباع لحاجاته ، ويكون أقدر على ضبط ذاته دون حاجة الى رقيب . ولو جمعنا كل مواصفاته لقلنا أنها تنصب في بوتقة المجتمع لتصوغ لنا إنساناً إجتماعياً يعترف بحاجته الى قومه ، ميالا الى التعاون ، معهم ، وقادراً على لعب الدور الاجتماعي السليم .

وعلى النقيض مما لمحناه عند المتكيفين ، فان نمط الشخصية للمتخلفين يتبع في نموه مساراً مختلفاً فوظائف الذات تتأثر الى حد كبير بعدم سلامة الجهاز العصبي وبنموه بألاتجاه غير السوي والطبيعي . فالاضطراب في وظائف كالحركة والادراك يقود الى نمو غير سليم لوظائف الذات. وعندما يحاول هؤلاء إنجاز المهمات الطبيعية ولا يقدرون على ذلك، فان هذا يقودهم الى الشعور بالاحباط أكثر من شعورهم بالانجاز وبناء على ذلك ، فأنه بدلا من تنمية الاحترام للذات فان نشاطاتهم تؤدي الى تكوين إتجاه بعدم احترام الذات وهم لايثيرون إستجابة الوالدين الطبيعية بالافتخار بهم ، وبدلا من ذلك فأنهم يجعلون الوالدين يواجهون مشاعر القلق والاحباط، والتي تؤدي في النهاية الى النبذ أو الحماية المفرطة .

إن مشاعر هؤلاء الافراد التي يكونونها عن أنفسهم ، والتعزيز السلبي الذي يحصلون عليه من البيئة يؤدي بهم الى تكوين مفهوم عن عالم غير آمن ومهدد لهم، كما ويؤدي بهم أيضاً الى تكوين مفهوم عن أنفسهم بأنهم أشخاص ليسوا على وفاق مع المجتمع ومثل هؤلاء لايحصلون على الاشباع الفردي من الاعتراف والحماية .

ويظهر من دراسات العديد من الباحثين أن المشكلات الانفعالية غالباً ماتتواجد في هذا النوع من الافراد ، وخاصة في المجال المدرسي، ذلك لانهم غير قادرين على التعلم الذي يقدر عليه الاخرون من الأسوياء ، والذي يتبعه لا محالة سوء التكيف الانفعالي .

وقد أجمع الكثير من السيكولوجيين على أن هناك أشكالا معينة من الاستجابات الانفعالية

التي يكونها هؤلاء بالنسبة الى المشكلات التي تواجههم في تعلمهم. وهي بالشكل الآتي: (١) الرفض الشعوري للتعلم ، (٢) اليأس السريع (٣) التعلق بأهداب الاتكالية (٤) تكوين إتجاه بأن النجاح عسير (٥) القلق المتطرف (٦) الشرود الذهني المتطرف (٧) الاندماج في عالم من صنع الذات . (٣ ، ص ٢٢ — ٣٦)

مصادر سوء التكيف للمتخلفين عقلياً .

طالما أن أغلب الدراسات التي تناولت المتخلفين عقلياً ركزت على الفترات الاولى من النمو، لذلك فان مجال حديثنا ينصب في الواقع على الاطفال وخاصة في العمر المدرسي إن من الملاحظ أن الاطفال المتخلفين عقلياً يخضعون لنفس مشكلات التكيف التي يخضع لها الاطفال العاديون ، ولكن هذه المشكلات تتعاظم عند المتخلفين بفعل ثلاثة عوامل: أولا ، إن إستجابات وسلوك الوالدين نحو إبنهم المتخلف تؤثر تأثيراً عميقاً على سلوكه الانفعالي . ثانياً ، إن مشكلة تكوين علاقات شخصية بين الناس الذين يختلف عنهم من الناحية العقلية تواجهها عقبة خطيرة . ثالثاً ، إن الكثير من الاضطراب العقلي يصاحبه إستجابات نفسية لايستطيع الطفل ضبطها والتي تؤثر على تكيفه الشخصي والتقبل الاجتماعي له.وقد ظهر من كثير من الدراسات التتبعية أن هذه العوامل الثلاثة ترتبط إرتباطاً معنوياً بالشعور بالعزلة والذي يشكل قاعدة للعديد من المشكلات السلوكية التي تظهر من قبل المتخلفين.

التأثيرات الولادية : ومن الآباء من يحب اطفاله المتخلفين محبة كبيرة وهم يتقبلونهم على ماهم عليه ، ويشجعونهم لتطوير قدراتهم ومنهم من يعتبر ولادة طفل متخلف لهم عبئاً ثقيلا لايمكن تحمله . وقد يشعرون بالالم العميق لهذا النصيب ، أو قد يرفض بعضهم الاعتراف بأن طفله يختلف عن غيره من الاطفال الى أن يصبح عجزه واضحاً .

ونتيجة لمشاعر الاباء هذه،فأنهم قد ينبذون طفلهم صراحه أو بطريقة مقنعة ويبدو هذا النبذ بقسوة الوالدين عند إطعامهم طفلهم المتخلف،أو عند إجباره على جدول زمني لتناول الدواء ، أو بالمطالب غير الواقعية التي يفرضونها عليه . والاباء الذين يلومون أنفسهم على تخلف طفلهم قد يضاعفون من حمايته الى الدرجة التي لاتعطي له فرصة لاستغلال قدراته وقد يطيلون فترة رضاعته وطفولته بحيث يترك متكلا عاطفياً عليهما طيلة حياته .

إن المعاملة النفسية للوالدين وإتجاهاتهما نحوه تنعكس في سلوكه . فهو يستخدم عاهته العقلية وسيلة لاشباع حاجاته متمثلة في اشباع حاجاته ومطالبه العديدة . والطفل الذي ، ينبذ أو يكثر من إنتقاده أو يعاقب سوف يعتزل الاخرين ولا يتوقع منهم سوى الاذى ،بل إنه قد يلتجأ الى إستخدام العدوان وأذى الاخرين .

وبسبب الحماية الزائدة ، أو النبذ الاجتماعي والعائلي فان الطفل المتخلف غالباً مايأتي للمدرسة وهو غير سعيد، ويحمل إتجاهات مناهضة لافراد المجتمع ويشعر بالعزلة منهم وهذا العجز في الاتصال بالاطفال أو الكبار خارج البيت قد يؤدي به الى السلوك غير الناضج (٣ ، ، ص ٣٠٨ — ٣١٠)

العلاقات الاجتماعية : إن إتجاه الاطفال العاديين نحو الطفل المتخلف عقلياً غالباً ما يعزز المشكلات السلوكية عنده . وهناك عدد من الاطفال والكبار أيضاً لايشعرون بالراحة لوجود شخص متخلف بينهم. وقد يشعرون بالعطف وحب الاستطلاع أو يحاولون تجاهله كلياً . وفي بعض الاحيان يكون سلوك الطفل المتخلف أو مظهره سبباً في خوف الاطفال الاخرين منه وخاصة عندما يقوم ببعض التصرفات غير الاعتيادية والتي ترتبط بتخلفه. وبسبب الطبيعة التخلفية للطفل والسلوك الذي يصاحبه فان ذلك مدعاة لان يظهر إستجابات إنفعالية مؤلمة تتمثل بمشاعر الخوف والقلق والافراط في الاتكالية (٣، ص ٣١٠ — ٣١١)

مصاحبات التخلف: إن التخلف العقلي تلف يتضمن الشخصية كلها . وغالباً مايقترن هذا التخلف بضعف فسيولوجي وضعف في التناسق العضلي . ويكون ناتج ذلك أن أغلبهم قد يصعب عليه إيجاد عمل، أو أنهم إذا ماوجدوه يتنقلون من عمل لاخر ، وتكون، معدلات زواجهم واطئة ، ومعدلات الطلاق مرتفعة .

إن تعليم الطفل المتخلف يجب أن يكون — إذا ماأريد أن يكون فعالا — في صفوف صغيرة حيث يستطيع المعلم أن يساعده في بناء ذاته ويستغل قدراته لما فيه منفعته . وإذا ما تحقق ذلك فأنه قد يجد التقبل من أقرانه ، وأن يتعلم المهارات التي يحتاجها في كسب عيشه ، ويتكون لديه سلوك أخلاقي جيد عن طريق ممارسة التوجيه معه .

وهناك عاملان رئيسيان يجب التغلب عليهما لتحقيق الاهداف المشار اليها أعلاه . العامل الاول هو النقص الحاد في المؤهلين لتدريب المتخلفين . والمشكلة الاخرى تتعلق بالتأثيرات الوالدية السلبية على الصحة النفسية لهؤلاء الاطفال المتخلفين . فنسبة عالية من آباء هؤلاء الاطفال من مستوى واطئ من الدخل والتعليم . وهم يميلون الى المشاعر العدائية لاطفالهم ، ويحملون مشاعر سلبية نحو المدرسة والمجتمع . وهكذا ، فأنه في غالب الاحيان يكون المدربون والاباء سبباً إضافياً في مشكلات المتخلفين (٣ ، ص ٣١٤)

ابعاد التكيف النفسي والأجتماعي للأطفال المتخلفين عقلياً :

إختلف الباحثون في ميدان التخلف العقلي بخصوص إمكانية تكييف المتخلفين عقلياً. فمنهم من يرى استحالة ذلك ؛وما يبذل من جهد وكلفة يعتبر هدراً . وهؤلاء القوم اتخذوا جانب العلاج الطبي. وهناك من يرى بفائدة التدريب والتعليم في هؤلاء ، وان مايبذل من جهد وكلفة له نتائج مثمرة. وهؤلاء إتخذوا الجانب النفسي والتربوي والاجتماعي طريقاً لهم .ويهمنا في هذا المجال الجانب الثاني لأن عليه المعول .لذا نحن يمكننا تصنيف مجالات التكيف إلى : (١) التكيف النفسي (٢) التكيف الاجتماعي (٣) التكيف الأسري. وهذا التصنيف ليس له من وضوح في الواقع ، وانما فعلنا ذلك لأغراض التبسيط.

فالعلاج النفسي مع المتخلفين عقلياً يعتمد على مبدأ إحداث العلاقة الجيدة بينه وبين أبناء مجتمعه. فالأصل انه حرم من العطف والحنان وتمكن منه الخوف. وإحداث العلاقة الجديدة يتم بمنحه ماحرم منه.وإن إحداث هذه العلاقة الجديدة يتم أولاً عن طريق رفع وابعاد ما حصل عنده من مخاوف نحو معلميه ووالديه ومجتمعه. وهي مخاوف يكاد يكون بعضها مبنياً على أسس حقيقية نتيجة مايلقاه من أساليب الاستهجان والقوة في المعاملة من الناس ، وهناك من المخاوف مالا أساس له من الصحة. ولابد لهذه الاساليب القاسية في المعاملة أن تحدث عنده نزعات عدوانية نحو الناس ونفسه. وهنا يأتي دور تخليص المتخلف من هذه الاتجاهات العدوانية. ويحتاج الأطفال عموماً إلى أن يشعروا بانجازهم لأعمال يقومون بتأديتها . وهي حاجة ملحة وخاصة عند الأطفال المتخلفين . ذلك لأن بحوزتهم أشياء قليلة يستطيعون معالجتها بقدراتهم الذاتية . وهكذا فأنهم يحتاجون إلى المساعدة في إكتشاف قدراتهم. والثناء عليهم عند قيامهم بانجازها . وان نجاحاتهم البسيطة يجب أن يعطى لها أعتراف وثناء لكي يكونوا قادرين على تنمية الشجاعة في أنفسهم على انجاز مهمات أصعب . ان دور المعالج هو مساعدة هؤلاء الأطفال على استغلال طاقاتهم الى أقصى حد. وان يتنبه إلى استجابات الفشل التي تحصل عندهم. فهي تعتبر أمراً خطيراً بالنسبة لهم . بل ويصبح عندهم ميل إلى الانسحاب من المهمة التي فشلوا فيها. كما أن الضغط الكبير لانجاز المهمة قد يؤدي إلى الفشل فيها ايضاً .

ويعمل المعالج على مساعدة الطفل المتخلف عقلياً لتقبل تخلفه العقلي وتقبل وظيفته الأجتماعية المحدودة دون أن يحدث له ذلك شعور بالاحباط. والمعالج بحكم عمله مع هؤلاء الأطفال سوف يواجه تخلفاً في القدرات العقلية. ومع ذلك فان هذا لاينسيه الحاجات الاجتماعية والأسرية لهم. فلا يصح تعريضهم للنبذ أو الافراط في الحماية. ولأن يجبروا على القيام بعمل شاق. ولان أن يسمح لهم بأن يقوموا بأعمال أقل مما هم قادرون على

إنجازه. فالهدف هو المحافظة قدر الامكان على تطور شخصية هؤلاء الاطفال بالاتجاه الطبيعي حتى يُخَفَّف من الحرمان الذي يعانون منه.

وإذا كانت العائلة في كثير من الأحيان سبباً فيما يعانيه الطفل من سوء تكيف ، فان دور المعالج النفسي هو مساعدته على إحداث علاقة جيدة بينه وبين والديه قوامها الحب والعطف، وتقبله كعضو في الاسرة شأنه شأن بقية الاعضاء.

ورغم أن المتخلف عقلياً يكون متخلفاً من الناحية الاكاديمية وتكون مشكلاته الانفعالية كثيرة، فانه بالمساعدة المناسبة وبالتدريب يكون قادراً على التكيف. ولايكفي المدرسة مشاركة الاطفال بالعطف أو الحنان؛ بل إنها تقدم خدمة عظمى لهم بمساعدتهم على الحصول على التقبل من الآخرين وباشعارهم بصلاحيتهم الشخصية. فالاطفال الذين حصلوا على الاهتمام والرعاية الأكثر خلال طفولتهم المبكرة قد يطورون مشاعر قوية جداً من الاتكالية بعد ذلك ، ويكون واجب المدرسة أن تعاملهم بمزيج من الواقعية والمشاركة العاطفية. فيجب الا تعطى لهم مساعدة كبيرة جداً ولا أن يجبروا على التخلي عن أنماط إتكاليتهم بصورة سريعة جداً. فبالتوجيه المناسب يستطيعون تعلم إتخاذ القرارات ، ويتحملون مزيداً من المسؤولية. وهكذا، فانهم إذا علموا الكفاءة الذاتية تدريجياً وقبلوا إجتماعياً فيمكنهم بعد ذلك أن يتغلبوا على مشاعر عدم صلاحيتهم ، بل ويمكنهم تطوير الاحترام الذاتي (٦٠، ص ٥٠ – ٥٢)

ويعاني الطفل المتخلف عقلياً من تأخر في النضج الاجتماعي وصعوبة شديدة في التكيف. فهو غير قادر على تكوين علاقات إجتماعية سليمة، وسوء في التصرف في المواقف الأجتماعية التي تتطلب شيئاً من الروية، ويكثر الخروج على المألوف بين هؤلاء . واذا كان الشفاء التام يعتبر امراً صعباً بل ومحالاً ، الا اننا في هذا المجال يمكن مساعدة الطفل على تكوين نمط جديد للسلوك المقبول من قبل المجتمع .

وتعتبر وظيفة المعالج الاجتماعي صعبة للغاية . فهو يحاول اعادة المواءمة السليمة بين المتخلف عقلياً وبين المجتمع ، وأن يعيد الفجوة التي حصلت بينهما . وقد تنبهت البلدان المتقدمة إلى ذلك فاقامت مؤسسات خاصة بهؤلاء تحاول سد حاجات الطفل بما فيها تدريب الطفل على تكوين عادات الأكل والشرب والنوم وتناول اللباس وطرد الفضلات ،وتعويده على تكوين علاقات إجتماعية سليمة مع رفاقه في المؤسسة ومع أولئك الذين يشرفون على رعايته . وتدريبه على العمليات الضرورية في المجتمع ،

كالخروج إلى الشارع والقيام بعمليات الشراء والبيع وزيارة الأماكن الضرورية ، وتدريبه على بعض الأعمال اليدوية البسيطة المفيدة في الحياة ، كتعليمه عمليات التنظيف وغسل الصحون غير القابلة للكسر ، ويمكن للبالغين منهم التدريب على عمليات تلميع الخشب والنحاس .وهكذا فان العلاج الأجتماعي للمتخلف عقلياً يهدف إلى عودة الفرد المتخلف إلى الحياة الاجتماعية معتمداً على نفسه كلياً أو جزئياً ويعمل على أكسابه المهارات والقدرات والامكانيات التي تؤدله ليعيش حياته الاجتماعية في حدود وسعه الذهني . هذا بالاضافة إلى ضرورة الانتباه إلى إصلاح البيئة الاجتماعية التي يعيش المتخلف ضمنها وخاصة مجاله الأسري والمدرسي.

وفي مجال التكيف الأسري فان كثيراً من الباحثين يرون أن البيئة الاسرية هي أفضل مكان لتطور الطفل المتخلف وتكيفه . شريطة أن تكون الاسرة قادرة على مواجهة إحتياجاته. والعمل على تربيته دون الاخلال بقواعد حسن المعاملة . وقد تكون هذه البيئة أفضل من بيئة المؤسسات إن توفرت شروط الرعاية . والسبب في ذلك أن المشرفين على رعاية الطفل في المؤسسة مهما بالغوا في العناية به الا أن شعوره بالدفء والحنان يكون أوضح في البيت حيث يشعر الطفل بانتسابه إلى أبوين وحيث يحس الوالدان بانتسابه لهم. ولكن عندما يكون حال البيت من حيث وضعه الاقتصادي والاجتماعي والتربوي سيئاً فليس هناك أفضل من مؤسسات الرعاية .

الأساليب المتبعة في التكيف النفسي والاجتماعي للاطفال المتخلفين عقلياً :

لقد كان حديثنا حتى هذه النقطة يدور حول المنطلقات العامة التي يتناولها كل باحث في علاج المتخلفين عقلياً . فهل هناك أدوات معينة أو اساليب يلتجأ اليها في علاجه ؟ والذي يبدو أن هذا الميدان من العلاج التجأ إلى ما ابتكره علماء النفس من أساليب تناولت جوانب الشخصية فاستعارها ليطبقها على مرضاه .

ومن أهم الطرق أو الادوات التي شاع استخدامها في الاونة الاخيرة ما يطلق عليها أساليب تعديل السلوك Behavioral modification techniques والتي يمكن أن توصف على أساس أنها تدبير منظم للحوادث البيئية لأحداث تغييرات معينة في السلوك الملاحظ . أن هذا الأسلوب في دراسة السلوك الانساني هو ناتج من مفاهيم الأشتراط الأجرائي المطور من قبل أصحاب نظريات التعلم مثل Skinner .

وقد أجريت الدراسات الاولى عن هذا المفهوم على الحيوانات . وقد وضح من هذه الدراسات أن الحمام والفئران يثابرن على سلوكيات (كالضغط على العارضة) إذا ما أعطي لها تعزيز إيجابي (كأستخدام القطع الصغيرة المدورة من الطعام) بعد قيامها بالنشاط المطلوب .وهكذا فان استخدام التعزيزات كان شرطاً للسلوك المرغوب .

وعندما طبقت مفاهيم واجراءات الاشتراط الإجرائي على البشر أطلق عليها إسم اساليب تعديل السلوك . وقد لاحظ الباحثون أن هذه الاساليب يمكن أن تستخدم ، لتعديل أو لتشكيل السلوك بصورة عامة وبالنسبة لتعديل سلوك المتخلفين عقلياً بصورة خاصة .

والذي يستخدم اساليب تعديل السلوك في المتخلفين لاينشد اكتشاف الأسباب التي أدت إلى السلوك الذي قام به الطفل المتخلف . ولكنه يحاول تغيير السلوك بمعالجة بيئة المتعلم . فالطفل الذي يحصل عنده الشرود الذهني الكبير والذي يستهلك غالبية يومه شارداً يمكن أن يشجع لتعديل سلوكه باعطائه مهمة بديلة عن الشرود يصاحبها تعزيز لهذا السلوك (٤ ، ص ٣٣١ — ٣٣٢) .

ومن الدراسات الحديثة التي جرت بهذا الشأن دراسة Musick' Watson' Luckey (١٩٦٨) حيث استخدموا حزاماً يلبسه اطفال في عمر (٦) سنوات من أجل ايقاف التقيؤ المزمن الذي يحصل لهم . إن هذا الحزام يتضمن منبهاً كهربياً . فعندما كان يحصل القذف تحصل للطفل رجة كهربية . وهكذا امكن التغلب على هذا السلوك ولم يتكرر عند الفرد التقييء المزمن بعد انتهاء التجربة لمدة (٩٣) يوماً . كما شاهد هؤلاء الباحثون تحسناً عاماً في مظاهر السلوك الاخرى مع اهتمام الطفل المتزايد بعناية نفسه (٢ ص ٨١)

وفي دراسة أخرى مهمة لـ Sherman Peterson' Baer (١٩٦٧) استخدم الطعام والمكافئات اللفظية من أجل تكوين السلوك التقليدي عندهم . إن هؤلاء الأطفال لم يكن يحصل عندهم السلوك التقليدي التلقائي سواء كان لفظياً أم حركياً (٢ ، ص٨١)

وان دراسة Giles و Wolf ، (١٩٦٦) أظهرت أن استخدام اساليب الاشتراط مكن أولئك المصابين بالتخلف العقلي العميق ان يتدربوا على الاستخدام الافضل للتواليت (٥، ص ٢٦٦) . كما أن دراسة Baldwin (١٩٦٧) أظهرت أن الاطفال المتخلفين عقلياً أظهروا تقدماً في بعض المهارات الاجتماعية باستخدام الاشتراط الاجرائي (٥ ، ص ١٣١). واظهرت دراسة Birnbrauer (١٩٦٥) حصول بعض التقدم في المجال الاكاديمي (٥ ، ص ١٣١)

وقد يكون من المفيد أن نعطي تفصيلا لبعض الحالات الفردية التي انتفع المتخلفون عقلياً باساليب تعديل السلوك في بعض خصائصهم السلوكية .

فقد جرت محاولة لتشكيل عادات أكل مقبولة إجتماعياً في الفرد (س) الذي كانت عنده عادات أكل غير مقبولة . فهو يلتهم الطعام بطريقة تبعث على الرثاء ، ويستخدم كلتا يديه ، ويبلع الطعام دون مضغ.وغالباًما يقف فجأة ويمد يده عبر المائدة ليلتهم الطعام.

كان عمر هذا المتخلف (١٨) سنة وقد أقام في مؤسسة للرعاية مدة ٣ سنوات، ونصف وخلال فترة التدريب كان هذا الفتى يؤخذ الى غرفة خاصة .أريد لهذا الفتى أن يتدرب على استخدام الملعقة والتي لم يكن قد استخدمها من قبل . واستخدم الباحث في تعزيز السلوك الجديد قطع الحلوى .

كان الباحث يقدم قطع الحلوى تدريجاً في صحن إذا ما حاول الفتى المتخلف مسك الملعقة لتناولها . كل ذلك تم خلال الجلسة الاولى .

وفي الجلسة الثانية هيئت (صينية طعام) . وعندما أدخل الفتى الغرفة اندفع نحو صينية الطعام يريد التهام ما بها لكنه نهر . ثم أجبر على الجلوس أمام مائدة الطعام ، ولكنه قام بمحاولات متكررة لكي يتناول الطعام. ونتيجة لذلك وضعت الصينية بعيداً عن الفتى ووضعت صينية فارغة أمامه وكرر التدريب مع قطع الحلوى .

وعندما اصبح نمط الاستجابة المرغوبة مستقرا ، أي اعتاد على استخدام الملعقة في الاكل ، استبدلت القطع الصغيرة من الحلوى بقطع من الطعام . وفي البداية خرق الفتى الاستجابات المنظمة وبدأ يستخدم يديه . وكما كان الباحثون يعملون في بداية التجربة الأولى ، فانه كلما استخدم يديه تسحب منه الصينية ، وهكذا إلى ان عاد إلى استخدام الملعقة بصورة منتظمة . وكلما تشكل سلوك مرغوب فيه للطعام فان مزيداً من قطع الطعام تقدم مرة واحدة على الصينية .

ولتطوير عادة الأكل البطيء عند الفتى . فأنه كلما حاول آن يلتهم الطعام وفي فمه طعام . فأن الصينية تسحب منه . وبعد جلسات قليلة من هذا التدريب بدأ الفتى الأكل ببطيء مع مضغ الطعام .

إن هذا الفتى كان يصل عادة إلى غرفة التجريب قبل جلب صينية الطعام . وفي بداية الأمر كان يندفع إلى الباب وعندما تصل الصينية يندفع اليها ويحاول التهام الطعام . ولكي تشكل عنده عادة مرغوبة ، فأن المجرب كان يقف على الجهة المقابلة للفتى وبمواجهة

الباب . وفي كل مرة كان الفتى يجلس ويتطلع إلى الباب دون أن يهب من مكانه تقـدم له قطعة من الحلوى . وبفترة تقل عن اسبوعين ، فان الفتى كان يأتي إلى الغرفة التجريبية ، فيجلس ، ثم ينتظر الصينية ، فيأكل ببطء باستخدام ملعقة ، ومن صينية مملوءة طعاماً . (٢ ، ص ٨٥ — ٨٧) .

وقد استخدمت الطريقة ذاتها في تعويد اطفال المؤسسات على التدريب على التواليـت . إن الأطفال الذين استخدم معهم هذا الاسلوب تتراوح أعمارهم بين (٧ — ١٤) سنة . وقد قسموا إلى ثلاث مجموعات : مجموعة الأشتراط الأجرائي ويبلغ عددها (٨) ، ومجموعة التدريب التقليدي ، اي التدريب العادي الذي يقوم به المشرفون على المؤسسة ، ويبلغ عددها (٨) أفراد ، والمجموعة الضابطة ويبلغ عدد أفرادها (١٣) . وقد اصبح عدد الافراد فيما بعد (٢٦) فرداً بدلاً من (٢٩) ، موزعين على الشكل الآتي : (٧) أفراد للمجموعة الأشتراطية و (٦) أفراد لمجموعة التدريب التقليدي و (١٣) فرداً للمجموعة الضابطة . إن كل أفراد المجموعتين يوضعون بصورة فردية في مكان معين خصص ونظم من قبل الباحثين للتبول والتبرز ، وذلك مرة في كل ساعتين او عندما تحصل اشـارات سلوكية تدل على حاجة هؤلاء لطرح الفضلات . وفي الأشتراط الاجرائي فان كل محاولة منظمة يقوم بها الولد في طرح فضلاته يثاب حالاً بتقديم قطعة من الحلوى له . امـا المجموعة التقليدية فلم تكن تثاب بشيء عندما تطرح فضلاتها بطريقة منظمة . اما المجموعة الضابطة فلم يستخدم معها روتين منظم بالنسبة للتدريب على التواليت . ان النتائج تظهر أن المجموعة التي استخدم معها اسلوب الاشتراط الاجرائي قد اظهرت زيادة ملحوظة في تنظيم عمليات التبول والتبرز . اما المجموعة التقليدية فلم تظهر تغيراً معنوياً في عادات التواليت . (٢ ، ص ٩٧ — ١٠١) .

وقد اتبعت طريقة في علاج المتخلفين عقلياً تعتمد على التعزيز اللفظي الأجتماعي . فعندما كان يطلب من المتخلف تذكر الألفاظ المنسجمة مع المعايير والنظم الاجتماعية كقوله مثلاً (من المهم أن يكون عندي أصدقاء . الناس يحبونني عندما أحبهم) وتكرر هذه الالفاظ مرات عديدة . فان ذلك يعقبه مباشرة التعزيز الاجتماعي .

ولنضرب على ذلك مثلاً . فالولد (س) في الثالثة عشرة من عمره . دخل مؤسسة رعاية المتخلفين عقلياً . وبالأضافة لتخلفه العقلي فانه يحمل سلوكاً صريحاً مضاداً للمجتمع .

وقد كان في المدرسة يحمل سلوكاً عدوانياً ويكثر من سرقة الدراجات الهوائية ، ويكثر من التغيب أيضاً ، وعنده سلوك منحرف جنسياً ، وكثيراً ما كان يعتدي على عائلته وجيرانه .

وقد بدأ علاج سلوكه بعد (٣) أشهر من دخوله المؤسسة ، واستمر علاجه بصورة مستمرة قرابة (٦) شهور ولمدة (٤٥) دقيقة في الأسبوع الواحد . كان هدف العلاج هو جعل المتخلف شاعراً بعدوانيته إلى النقطة التي يكون فيها تعديل مثل هذا السلوك فعالاً . ففي بدء العلاج كان المعالج يتحدث مع المتخلف عن معنى كلمة عدوان والاسباب المحتملة لمثل هذا السلوك . وقد بنيت معالجة السلوك من خلال التعزيز اللفظي الاجتماعي لأي وصف يتفوه به المتخلف يحمل طابعاً إيجابياً ، أي أنه يتلفظ بعبارات تعتبر مقبولة إجتماعياً . وعندما يستخدم المتخلف لغة غير مرغوبة أو بها إحتمالية العدوان فان كل التعزيزات اللفظية تسحب منه . وعلى سبيل المثال ، فعندما يتحدث الولد (س) عن الناس الذين حوله على أساس أنهم قوم مساعدون له ويفهمونه بدلاً من نعتهم بأنهم غير تعاونيين وناقدين له ، فان المعالج يوماً برأسه دلالة الاستحسان ثم يتبعه رد لفظي ايجابي. وعندما يتلفظ المتخلف بعبارات غير مستحبة فان المعالج إما أن يشيح بوجهه عنه أو يبقى صامتاً بضع دقائق .

وقد طلب من الولد (س) في جلسات متتابعة أن يكرر جملاً معينة وضعت من قبل المعالج وتدور حول مواضيع تحدثا عنها سابقاً . وعندما تُكَرَّر مثل هذه العبارات من قبل الولد (س) يقدم المعالج مباشرة تعزيزاً لفظياً .

وتتطور أساليب المقابلة بحيث ان المعالج في المراحل الاخيرة يضع أمام المتخلف تصوراً لوضعيات يتعرض فيها إلى تهديد وتقدم بدائل لمعالجة كل وضعية . فالمعالج يسأل المتخلف أسئلة كهذه «ما الذي تفعله إذا إتهمك أحد الأفراد بسرقة شيء منه لم تقم بسرقته منه أبداً؟ ثم تناقش إجابات المتخلف . وتطرح البدائل في كيفية معالجة مثل هذه الوضعيات من قبل المتخلف مستقبلاً . وقد يكون طرح البدائل من قبل المعالج بالشكل الآتي : إنه لمن الطبيعي أن تشعر بالقلق أو بالغضب بالنسبة للأولاد الذين إتهموك بفعل أشياء لم تفعلها سلفاً ، ولكن أن تعبر عن مشاعرك بضربهم بدلاً من التحدث عن الاشياء المسروقة ، فان ذلك سيقودك حتماً إلى مشكلات أنت في غنى عنها . والحل الأنسب ان تتعلم كيف تطلب المساعدة من الآخرين ، وأن تتعلم كيف تضبط نفسك . ثم يطلب المعالج من المتخلف

أن يكرر ما قاله له قبل قليل . وقد وجد من نتائج مثل هذه المعالجات أن تكرار الولد أو تقليده لمثل هذه الجمل تؤدي به في النهاية إلى ان تحصل عنده عملية تعلم ذاتي للأحداث التي تطرأ له .

لقد تعلم الولد (س) أن يكون تعاونياً . كما كان يقيم من قبل المعالج لتفاعله الأجتماعي السليم وذلك عن طريق الأصغاء كلياً له مع استخدامه عبارات الاستحسان المتتابعة . (٢ ، ص ١٢٥ — ١٢٦) .

أما الولد (ص) فقد كان في الثانية عشرة من عمره ، جيئ به إلى المؤسسة لتخلفه العقلي ، وكان يعاني من عزلة قاسية ويقوم بأفعال تتسم بالعدوان والتدمير . هيئت للمتخلف غرفتان إحداهما للعب والأخرى للمقابلة العلاجية . وقد كان العلاج يتم إسبوعياً ولفترة دامت (١١) شهراً . وكان المعالج يستخدم التعزيز اللفظي الاجتماعي بناء على ما كان يتلفظ به المتخلف من عبارات مقبولة إجتماعياً وما يقوم به من نشاطات تتضمن اللعب البناء وكان المعالج يمتنع عن إستحسانه والثناء عليه عندما يقوم بسلوك غير مناسب ويطلب المعالج من المتخلف أن يكرر باستمرار الألفاظ المقبولة إجتماعياً أثناء المقابلة ، مثل (يجب علي أن أتعلم محبة الآخرين ، إن المدرسة شيء جيد لأنها تعلمنا الكثير ، يجب علي أن أشكر اولئك الذين يساعدونني) . ولكي يشعره المعالج بسلوكه غير المرغوب فيه وتعزيز الضوابط الاجتماعية ، فقد كان يطلب منه أن يكتب بصورة متكررة الجملة الآتية «علي أن أتصرف تصرفاً حسناً ينال قبول الآخرين» . وبالأضافة إلى ذلك ، فأن المعالج كان يكافىء المتخلف لمجيئه إلى غرفة العلاج في الوقت الذي حدده له المعالج بالثناء والمدح اللفظي ، وبشيء مادي كقطعة من الحلوى . وكلما إزداد العلاج تقدماً ، فان النشاطات التعاونية تزداد عند المتخلف بصورة مضطردة ، في الوقت الذي تتضاءل فيه الافعال غير المرغوبة إجتماعياً .

وقد كان تقييم المشرفين على المؤسسة التي ترعى هؤلاء المتخلفين ، أن هناك تطوراً ملحوظاً في سلوك هؤلاء ؛ بحيث أن كثيراً من مظاهر الاضطرابات السلوكية السابقة قد إختفت إلى حد ملموس . (٢ ، ص ١٢٦ — ١٢٨) .

ومن الاساليب المتبعة في تكييف الأطفال نفسياً واجتماعياً مايسمى بمبدأ تقليل المثيرات ولكي نوضح هذا المفهوم ، فان علينا أن نعرف ماالذي وفر للاطفال العاديين في المدرسة باعتبارها أفضل مؤسسة لرعاية الطفل . ففي المدرسة الأبتدائية الحديثة تكون الصفوف

الدراسية أماكن ممتعة للأطفال . ويحاول معلموهم أن يهيئوا الوضعيات المثيرة التي يستطيع الاطفال من خلالها أن يتعلموا وينموا . وبعبارة أخرى فان هؤلاء المعلمين يحاولون جعل الصفوف مملوءة بالمثيرات من أجل دفع الطلبة للتعلم : وبمقدار ماتكون البيئة المدرسية مليئة بالمثيرات تزداد الخبرة التعلمية عند الطالب ، وهذه حقيقة يتفق عليها كل التربويين .

ولننظر الان الى حاجات الطفل المتخلف عقلياً بالمقارنة مع الطفل العادي : فحاجات الأثنين مختلفة تماماً . فاطفال المجموعة الاولى يراد منهم أن يتكيفوا الى بيئة غنية بالمثيرات اما بالنسبة للطفل المتخلف عقلياً فله حاجاته الخاصة به . فهو يحتاج الى ان يكون متحرراً من الاستجابة الى المثيرات غير الرئيسية ، حتى لايتشتت انتباهه بالمثيرات غير الضرورية في البيئة المدرسية ، وبعبارة أخرى ، فانه كلما قل تشتت انتباهه قل تعبه الفكري والبدني.

وهكذا فان الصفوف الدراسية للمتخلفين عقلياً يجب أن تتضمن أقل عدد ممكن من المثيرات ، اي الا تكون الصفوف ممتلئة بالصور المختلفة الالوان والا تكون الوان الصفوف الواحد متعددة ،وان تكون الوان الستائر بنفس لون الجدران والباب.والا تفرش الأرض بسجاجيد زاهية الالوان ، بل يفضل لفراش الأرض أن يكون معتماً . إن التعليل الذي قدمه اصحاب مبدأ تقليل المثيرات هو ان الطفل إن أريد تعليمه مهمة من المهمات أو مهارة من المهارات فيجب أن يركز انتباهه على المهمة أو المهارة المعينة ، لأن من طبيعة الطفل المتخلف أن يكثر من التلفت الى المثيرات التي حوله مهما كان عددها أو طبيعتها . فان رفعت هذه المثيرات لم يبق أمام المتخلف من سبيل الا الانتباه الى المثير الذي نريد ان نعلمه الاستجابة له بطريقة صحيحة (١ : ص ١٠١ — ١٠٨) .

وإذا كان هذا هو شأن المدارس التي ترعى المتخلفين عقلياً وهي بيئة مقننة ويمكن تهيئة مايحتاجه المتخلف فكيف الحال بالبيت الذي يعيش فيه : فهل نفعل مانفعله في المدرسة . ام نترك الامر فيه وشأنه دون تدخل ؟ وقد يطرح الوالدان مثل هذا السؤال الذي مر . اي هل يفعلون الشيء نفسه مع غرف البيت . كما تفعله المدرسة في غرفها بحيث لايكون هنالك شيء في الغرفة ماعدا الاشياء الضرورية التي تعتبر رئيسية للمهمة التي يراد تعليمها للطفل . والجواب بالطبع (لا) فالبيت هو مكان لكل أفراد العائلة بما فيهم الطفل المتخلف فلا يمكن لغرف البيت أن تكون خاوية كما هو الحال بالنسبة لغرف المدرسة .

لذلك فمن المهم أن تعدل بعض الاماكن في البيت لمواجهة حاجات الطفل . والمكان المنطقي والذي يعتبر أقل كلفة للوالدين عندما يريدون اجراء التعديل عليه هو غرفة نوم

الطفل . فليس من الصعب جدا تقليل المثيرات في غرفته . فالستائر يمكن أن تصنع من قماش ذي لون معتم أفضل من صنعه من قماش ذي الوان متعددة . والحيطان والاثاث والارض مكسوة بلون واحد ، بل حتى سريره ولون فراشه يجب أن يكونا من ذات الوان المثيرات الأخرى في الغرفة . ومن الأفضل أيضاً رفع انواع الصور والرسوم المعلقة على الجدران وكذلك الامر بالنسبة الى النصب .

إن خبرة المتخصصين في علاج الاطفال المتخلفين عقلياً تظهر أن الاطفال عندما يشعرون بالتعب والخوف والتوتر من الحياة العائلية فأنهم يرتدون الى غرفهم ويبقون هناك برغبتهم . نوجود الغرباء في كثير من الاوقات في البيت ، او وجود نشاطات ذات طابع مثير يجعل من المرغوب فيه بالنسبة للطفل أن يترك المكان ويكون لوحده في وضعية متحررة من تشتت الانتباه .

وليس الهدف من وراء ذلك هو حماية الطفل من كل هذه المثيرات . ولكن الهدف هو تهيئة وضعية يستطيع فيها الطفل أن يتعامل تعاملا صحيحاً مع عدد من المثيرات وبناء على ذلك فيجب أن تعطى عناية كبيرة للنشاطات الأجتماعية التي يقوم بها . فليس من المعقول أن تهيىء له ذات البيئة الاجتماعية التي تهيىء للطفل العادي ، بل يجب أن تكون بيئة محددة ومنظمة خالية مما يشوش انتباهه ويبعده عن النشاط الذي يقوم به .

إن بعض السيكولوجيين يطبقون هذا المفهوم بالنسبة لأستخدام التلفزيون بصورة معقولة مع هؤلاء الاطفال . ففي الغرفة المظلمة أو شبه المظلمة بالنسبة للتلفزيون تكون المثيرات الخارجية معدومة الى حد كبير ، والشيء الوحيد الذي يجلب انتباه الطفل هو ضوء شاشة التلفزيون ، والباحثون يرون أن متعة الطفل المتخلف تكون أكبر عندما تكون الغرفة مظلمة وتكون المتعة عنده أعظم عندما يحصل على ثناء والديه بجلوسه امام الشاشة ، وغالباً مانجد أن الطفل يكرر الخبرة . (١٠ ص ١٠٩) .

وهكذا فان هؤلاء الأطفال يجدون البيئة غير المثيرة مكاناً فيه الراحة والامان وبعيداً عن التهديد . ولهذا فان البيت المنظم او الصف المنظم يخدمان في جعل الطفل يستجيب استجابة ناجحة لبيئته . والباحثون في هذا المضمار يرون أن التغيرات التي تحصل عند الطفل هي تغيرات بطيئة وغالباً ماتكون واضحة للذين يتعاملون معه دون غيرهم . لذلك يتطلب الأمر أشهراً أو سنيناً لملاحظة التغيرات الرئيسية عنده . وهناك اتفاق بين الباحثين على أن الأطفال قادرون على تعديل سلوكهم ، رغم أنها خبرة شاقة ومتعبة لبعضهم (١٠ ، ص ١٠٨ – ١١٠)

وإذا كان مفهوم تقليل المثيرات له هذه الأهمية الكبيرة في مجال التكيف النفسي ... والاجتماعي للطفل المتخلف عقلياً فهل يمكن تطبيقه في وضعيات الحياة العائلية والمدرسية المختلفة ؟ والاجابة على هذا السؤال بـ (نعم) . فكثير من الوالدين تهمهم عادات الأكل لأطفالهم المتخلفين على سبيل المثال

ولنفترض وضعية طعام للعائلة . فهناك أشياء عديدة على المائدة تعتبر غير أساسية بالنسبة للطفل المتخلف. فالأطباق الأضافية والشوكات والسكاكين والملاعق والاكواب والصحون والكؤوس والأطباق المملوءة بالخضروات والاطعمة والورود في منتصف المائدة هذا بالأضافة الى الملح والفلفل وغيره ، كل ذلك مثيرات بعضها فائض عن الحاجة . ونحن في وضعية الأكل نلمح افراد العائلة وهم يحركون أيديهم ويتحدثون ، ونلمح مرور الاطباق وحركة ادوات الاكل. هذه الوضعية تعتبر ممتعة للأفراد العاديين ويستطيعون التكيف لها . ولكن لننتبه الى الطفل المتخلف الذي يجلس هو الآخر الى المائدة ، والذي يحصل عنده شرود ذهني لما يراه أمامه ، والذي يجعله غير قادر على الأكل بصورة ، مناسبة . إن هذا التشتت للأنتباه يجعله غير قادر على تناول الطعام بالطريقة المرضية فهو ينهش الطعام ويدخله في فمه دون الألتفات الى آداب الأكل ، أو شعور بالآخرين ، أو تنبيه والديه له . وإذا ماحدث التصحيح من قبل والديه فغالباً مايتسم بالقوة ، وكل فرد من أفراد العائلة يشعر بالألم لما يحدث ، ولايبدو أن أحداً يقدر على مساعدة الطفل في هذا الموقف العصيب بالنسبة له .

ويمكن للوالدين ان يتجنبا وقوع ذلك وبدون اللجوء الى العقاب . فالوالدان يمكنهما أن ينظما أكل الطفل لوحده ،في وضعية لاتجعله مشتت الفكر ، وحيث يجلس أحد الأبوين أو الاخ الكبير معه على المائدة لمساعدته . فمائدة صغيرة موضوعة في زاوية الغرفة بمواجهة جدران خالية من الصور والتزويق ، وامامه مايحتاجه من ضروريات ، الطعام فقط ، أي طبقاً به طعامه مع شوكة أو سكين كفيلة في أن تجعله في وضعية مطمئنة خالية من التهديد . وهكذا فان عدد الاشياء غير الضرورية يجب ان تبعد عنه الى أن يتعلم كيفية التعامل الأنسب مع الأشياء التي عنده والتي تعتبر ضرورية له . وعلى هذا الاساس فان الادوات والاطباق يمكن أن تضاف عنده . يصبح الطفل قادراً على إحتمال المثيرات.

ويمكننا تطبيق مفهوم البيئة المتحررة من المثيرات على وضعيات أخرى غير البيت والمدرسة فالطفل المتخلف عندما يفحص من قبل عالم النفس الأكلينيكي تكون استجاباته أفضل عندما يكون في غرفة علاج صغيرة خالية من مشتتات الأنتباه والفكر. ومعالج الاضطرابات الكلامية يجب أن ينتبه الى ضرورة وجود الوضعية الخالية من المثيرات والتي ينجز فيها النمو اللغوي ، وكذا الأمر بالنسبة للتدريب الحركي . (١،ص ١١٠ — ١١٢) .

مصادر البحث

(1) Cruickshank, W.M. (1967). The Brain-injured children in home, school and Community . Pitman Publishing. New York.

(2) Graziano, A.M. (1971) . Behavior therapy with children. Aldine. Atherton, Chicago.

(3) Kaplan. L. (1971). Education and mental health. Harper . and Row, New York.

(4) Lerner, J.W. (1976). Children with learning disabilities.- Houghton Mifflin Company. U.S.A.

(5) Ross, A.o. (1974). Psychological disorders of children. Mc Graw—Hill, Inc, New York

(6) Stevens, M. (1971). The Educational needs of severly subnormal children. Latimer trend & Co Ltd Plymouth, London.

الألوان والتدرج اللوني المفضل للخرائط التعليمية العراقية

الدكتور ابراهيم محمد حسون القصاب
كلية التربية / جامعة الموصل

١ — المقدمة

عند تصميم اية خارطة موضوعية (١) ملونة غير مقيسية الالوان (٢)، تظهر امام المصمم مشكلتان رئيسيتان وهما :

١ — اختيار الالوان المناسبة لتمثيل الظواهر .

٢ — انواع المتدرجات اللونية الملائمة :

فيهدف المصمم أن تصبح الخارطة ذات الوان مستساغة منسجمة وجذابة ، ليكون تأثيرها اكثر فعالية وكفاءة بحيث يتمكن قارئها من الحصول على اكبر قدر من المعلومات باقل

(١) ان الخرائط الموضوعية تهتم بالتمثيل الملائم للظواهر المختلفة المحددة الموقع وعلاقاتها على سطح أساسي وذلك بواسطة رموز نوعية او كمية :

Fernand Joly. La cartographie Paris P.U.F''MAGELLAN'' 1976 p36.

(٢) الخرائط ذات الالوان غير المقيسة هي الخرائط التي لم يحدث اجماع او اتفاق او وضع قواعد عامة لاختيار لون او تدرج لوني لتمثيل ظواهرها .

جهد ممكن وان يكون الاختلاف بين الحقيقة التي يدركها منشىء الخارطة وتلك التي ... يدركها القارىء اقل قدر ممكن .

وفي العقدين السابقين ازداد الاهتمام باختيار الوان الخرائط وتناسقها وادراكها وتوج هذا الاهتمام عندما انبثقت لجنة لدراسة انماط الاتصال في علم الخرائط عام ١٩٧٢ ضمن لجان الاتحاد الدولي لعلم الخرائط والتي كان من احد اهدافها تقييم كفاءة وفعالية وسائل الاتصال — من ضمنها الالوان — بواسطة الخرائط لدى مجموعات مختلفة من الناس مستخدمي الخرائط (١) .

فتنامت الابحاث بسرعة وفي اماكن متعددة من العالم وكانت الحصيلة نتائج مختلفة بأختلاف المجتمع الذي خضع للدراسة وذلك لان تفضيل لون من الالوان وتدرج دون اخر يختلف من مجتمع لاخر فلكل لون معان معينة واثارة لمشاعر خاصة للناس .

وفي بحثنا هذا سنحاول الكشف على الالوان الاكثر تفضيلا والتدرجات الاكثر تلائماً مع الذوق الجمالي لدى عينة عراقية لكي تصبح مؤشراً اولياً لاي مصمم خرائط للاغراض التعليمية في العراق .

٢ — عينة واداة البحث

ان دراسة التذوق الجمالي للالوان يتطلب استخدام عينة كبيرة وذلك بسبب عدم تجانس هذه الاذواق تجانساً كبيراً ونظراً لان الدراسة تتطلب وجود مراحل ثلاث فقد تم استخدام ثلاثة عينات ، وذلك لاستحالة المرور من مرحلة لاخرى ، الا بعد فرز نتائج الاستجواب للمرحلة السابقة ، الامر الذي ادى إلى ان تكون هذه العينات منفصلة ، فكان عدد افراد العينة الاولى ٥٠٠ فرداً والثانية والثالثة ٤٠٠ فرد ونصف عدد الافراد من الاناث ، وقد تم اختيار افراد العينات بصورة عشوائية من المتعلمين فقط ذو المستوى الاعدادي والجامعي لكون هذا المستوى من المتعلمين هم الاكثر استخداماً للاطالس التعليمية التفصيلية او المتخصصة . اي ان الصفة المشتركة بين افراد العينة هو المستوى التعليمي فكان التحقق من المستوى التعليمي هو الشرط الوحيد للانتماء للعينة وبذلك فقط اختلفت المتغيرات الاخرى التي قد تؤثر في اختيار الالوان كالجنس والانحدار البيئي والمستوى الاقتصادي .

(١) Arthur H. ROBINSON, Barbara Bartz PETCHENIK, The Nature of Maps. Chicago. Uni. Chicaco press 1976. P25

أما اداة البحث فهي عبارة عن قطعة من الكارتون تم وضع الالوان عليها بصـورة متصلة في مرحلة البحث الاولى والثالثة ومتفرقة للمرحلة الثانية ، وقد خصصت مساحة لكل لون هي ١٢٠ سم٢ . وقد طلب من افراد العينات اختيار التدرج اللوني الاكثر جاذبية في الاستفتاء الاول والثالث واللون الاكثر جاذبية في الاستفتاء الثاني .

٣ ــ مراحل البحث ونتائجه

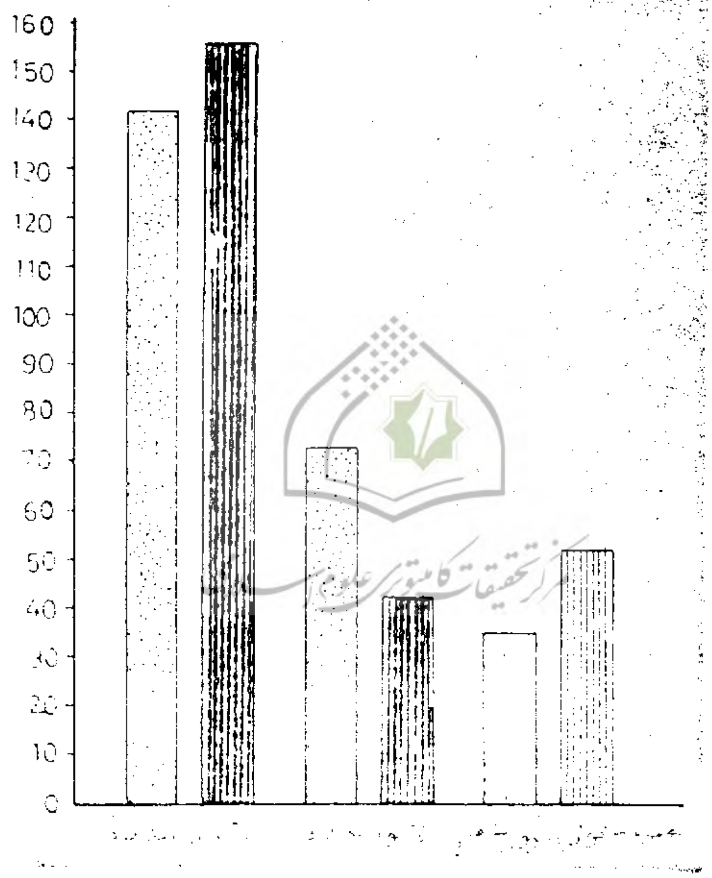
أ ــ اختيار مجموعة الـوان

ان اختيار مجموعة الوان دون غيرها يختلف من فرد لاخر فهو او يتعلق بالتذوق الجمالي للفرد غير ان هنالك اتجاه عام لتفضيل مجموعة الوان يشترك فيها غالبية افراد المجتمع ذو البيئة المحلية والمناخ الواحد . . وفي هذه المرحلة من البحث تم تصميم اداة البحث لتظهر ثلاث تدرجات لونية تشتمل على الوان الطيف الشمسي وهي : البنفسجي ، الأزرق ، الاخضر ، الاصفر ، البرتقالي ، الاحمر ، والتدرج الثاني شمل الالوان الباردة فقط وهي البنفسجي ، الأزرق ، الأزرق المخضر ، الاخضر ، الاخضر المصفر في حين شمـل التدرج الثالث الالوان الحارة : الاحمر ، الاحمر البرتقالي ، الأصفر البرتقالي ، الاصفر ، ان هذه الالوان جميعاً كانت في حالة التشبع الكاملة اي انها استخدمت في تفاوتها الكاملة ولدى اجراء الاستفتاء كانت النتائج كما يلي :

الجنس	الالوان الباردة	الالوان الحارة	مجموعة الوان الطيف الشمسي	المجموع
ذكور	١٤٢	٧٣	٣٥	٢٥٠
اناث	١٥٦	٤٢	٥٢	٢٥٠
المجموع	٢٩٨	١١٥	٨٧	٥٠٠

اي ان نسبة عالية قد فضلت الالوان الباردة ٥٩,٦٪ وارتفعت هذه النسبة عند الاناث الى ٦٢,٤٪ أما الالوان الحارة فقد فضلها ٢٣٪ فقط وارتفعت عند الذكور الى ٢٩,٢٪ في حين ان مجموعة الوان الطيف الشمسي لم يفضلها الا ١٧,٤٪ وارتفعت عند الاناث الى ٢٠,٨٪ .

شكل رقم ـ ١ ـ
اختيار مجموعة الألوان



ولدى اختبار النتائج لمعرفة العلاقة بين المتقربين الجنس واختبار مجموعة الوان دون غيرها باختبار كا٢ وبمستوى ثقة ٥ ٪ وبدرجات حرية ٢ ، وجد ان المتغيرين غير مستقلين وتوجد هنالك علاقة واضحة بينهما .

ب — اختبار اللون المفضل

بعد الكشف عن مجموعة الالوان المفضلة لجئنا إلى استفتاء اخر لمعرفة اللون المفضل ضمن مجموعة الالوان الباردة فصممت اداة البحث من جديد لتحمل الالوان الباردة بصورة متفرقة ، وكانت نتائج الاستفتاء كما يلي :

الجنس	بنفسجي	ازرق	ازرق مخضر	اخضر	اخضر مصفر	المجموع
ذكور	٣٣	٦٢	٢٠	٣٣	٥٢	٢٠٠
اناث	١٠٥	٢٧	٣٢	١٦	٢٠	٢٠٠
	١٣٨	٨٩	٥٢	٤٩	٧٢	٤٠٠

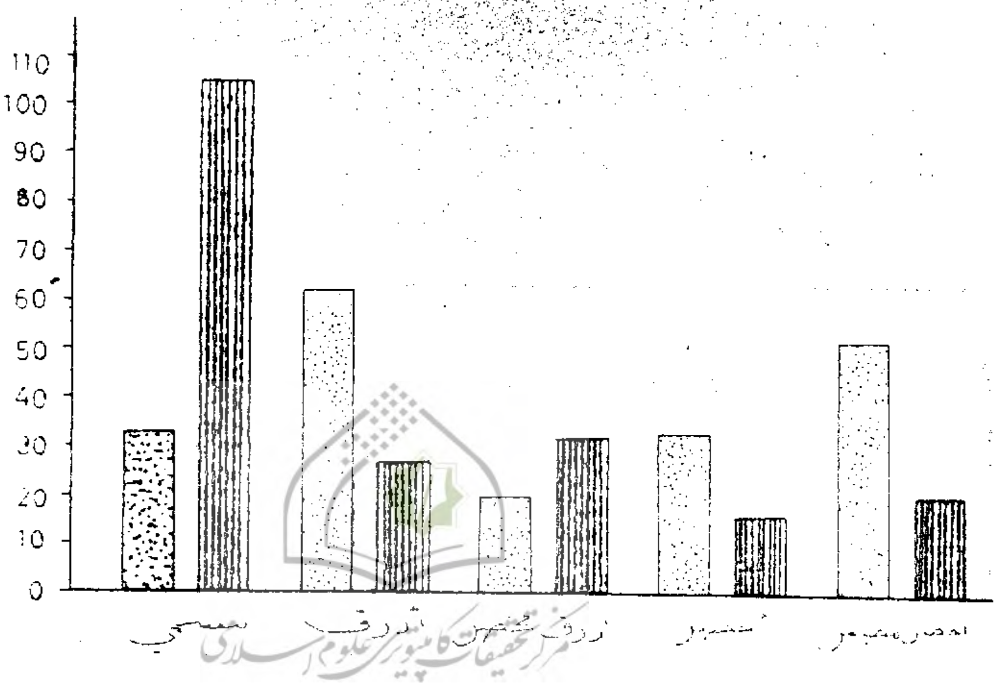
ويتضح في هذه النتائج ان التفضل الاول كان اللون البنفسجي فقد فضله ٣٤,٥ ٪ من أفراد العينة وكانت النسبة عند الاناث ٥٢,٥ ٪ بينما انخفضت هذه النسبة عند الذكور إلى ١٦,٥ ٪ فقط ، في حين فضل ٣١ ٪ من الذكور اللون الازرق والذي لم تفضله سوى ١٣,٥ ٪ من افراد العينة الاناث ، حيث ان اللون الازرق قد ورد ترتيبه الاول في التفضيل بالنسبة للذكور ، والثاني في عموم العينة بنسبة قدرها ٢٢,٢٥ ٪ وباختبار النتائج باختبار كا٢ بمستوى ثقة ٥ ٪ وبدرجات حرية قدرها ٤ وجد ان هنالك علاقة بين متغير الجنس والميل نحو لون معين .

جـ — افضل تدرج لوني

ان وجود لونين او اكثر في اية خارطة موضوعية يدل على وجود تدرج لوني ، والتدرجات المستخدمة في المرحلة الثالثة في هذا البحث صممت بناء على نتائج المرحلة الثانية وهي :

١ — تدرج لوني مشترك في كنه اللون اي تكون هذه الالوان متجاورة على الدائرة اللونية وكانت الالوان البنفسجي المائل للزرقة ، البنفسجي ، بنفسجي مائل للاحمرار .

شكل رقم -٢-
اختيار اللون للمصور



٢ — تدرج لوني تكاملي اي ان تكون الالوان متقابلة على الدائرة اللونية ، بنفسجي، اصفر .

٣ — تدرج لوني من كنه واحد تختلف الوانه باختلاف القيمة (١) .

والكروما (٢) تتم اختيار عدد من الالوان البنفسجية المختلفة القيمة فكانت نتائج الاستفتاء كما يلي :

الجنس	التدرج الاول	التدرج الثاني	التدرج الثالث	المجموع
ذكور	٦٢	٢٥	١١٣	٢٠٠
اناث	٤٣	٤١	٢٢٩	٢٠٠
المجموع	١٠٥	٦٦	٢٢٩	٤٠٠

وبذلك فيتضح ان التفضل الأول هو تدرج البنفسجي باختلاف القيمة ٥٧,٢٥٪ وقد تساوى هذا التفصيل تقريبا بالنسبة للاناث والذكور يليه التدرج المشترك الكنة بنسبة قدرها ٢٦,٢٥ ٪ وتزداد هذه النسبة عند الذكور لتصبح ٣١، اما التدرج التكاملي فلم يفضله سوى ١٦,٥ ٪ من افراد العينة و ٢٠,٥ من الاناث.

٤ — محددات استخدام النتائج

ان اية دراسة للتدرج اللوني المفضل تكون ذات تأثير كبير في اتخاذ القرارات لاختيار الالوان عند تصميم الخرائط الموضوعية فلا بد من توضيح محددات استخدام نتائج هذا البحث وبيان نقاط الضعف فيها واهم هذه المحددات والعيوب :

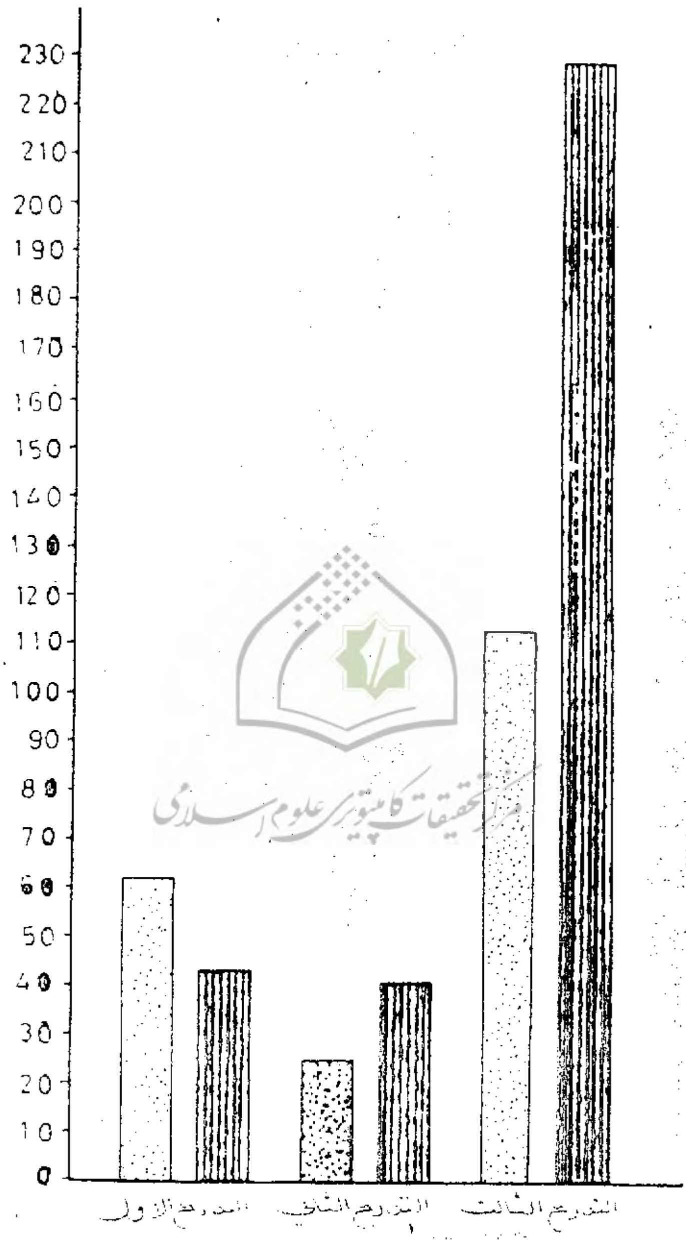
١ — ان نتائج هذه الدراسة اخذت من عينة محدودة الانتماء الجغرافي فغالبية الافراد من سكنة محافظة نينوى والقليل منهم من المحافظات الاخرى فهي بذلك ليست ممثلة لجميع المتعلمين في العراق تمثيلا دقيقاً.

(١) قيمة اللون : صفة تدل على درجة لمعانه .

(٢) الكروما : احد صفات اللون وتدل على مدى نقائه اي درجة تشبعه ومدى اختلاطه بالالوان المحايدة (الابيض الرمادي ، الاسود) .

شكل رقم ـ ٣ ـ

اختبار التدرجات اللونية



٢ ــ ان العينة المثالية لمثل هذه البحوث يجب ان تكون حصصياً ان يكون تمثيل الاناث فيها والذكور وطلبة المدارس الثانوية والجامعة بقدر نسبة وجودهم في المجتمع الام ولكن تغير هذه النسب باستمرار خصوصاً في السنوات الاخيرة وبقفزات سريعة قد يكون مبررا منطقياً لعدم استخدام العينة الحصصية ولاسيما وان نتائج هذا البحث لايمكن ان تظهر تطبيقاتها العملية الا بعد مرور بضع سنوات وهي الفترة بين موعد اجراء الاستفتاء واتخاذ القرار من قبل المصمم وصدور الخرائط بشكلها الاخير.

٢ ــ ان اختيار لون معين او تدرج معين قد يتغير باختلاف الظروف الاجتماعية والثقافية ولكن هذا التغير يحدث بصورة بطيئة وعليه لابد من اجراء اختيار للالوان والتدرجات المفصلة عند القيام بالمشاريع الكارتوكرافية الكبيرة والمهمة مثل الاطالس الوطنية التعليمية التفصيلية

٤ ــ ان استخدام اي تدرج لوني متساوي الابعاد في الكنة او القيمة والكروما على مساحات غير متساوية يؤدي الى حدوث ظاهرة عدم توازن وسيادة لون دون اخر وهذا امر غير مرغوب فيه في العديد من مجالات رسم الخرائط للاغراض العلمية لكي لاتحدث عمليات خداع بصر في نسب وجود الظواهر. فلا بد اذن من اجراء توازن بين ابعاد الألوان والمساحات التي تشغلها وهذا التناسب يكون عكسيا مع درجة التشبع وفق الصيغة التالية :

مساحة اللون الاول= (القيمة × الكروما) للون الثاني

―――――――――― = ――――――――――

مساحة اللون الثاني (القيمة × الكروما) للون الاول

٥ ــ ان بعض الظواهر غير المقتبسة الالوان تثير مشاعر خاصة لدى القارىء الخارطة الامر الذي يؤدي الى وجوب استخدام الوان معبرة عن هذه الظواهر وتحتاج الى الوان اخرى خاصة لتمثيل مناقضاتهما لاتخضع لاي من التدرجات السابقة فمثلا ان تمثيل ظاهرة الفقر يفضل ان يكون باللون الاصفر وبذلك فيجب تمثيل ظاهرة الغنى باللون الاخضر بدل من اللون البنفسجي المكمل للون الاصفر. اي ان طبيعة الظاهرة تفرض أحياناً التدرج الممثل لها على الخارطة.

٥ ــ الخلاصة

يتضح لن نتائج البحث ان المتعلمين العراقيين يفضلون الالوان الباردة بنسبة عالية وهذه الالون توحـــي بالهدوء والراحة والسكينة والطبيعة والاتساع وهذا التفضل يتماشى مع ذوق سكان المناطق الحارة، بينما لم يفضل الالوان الحارة الا نسبة قليلة معظمها من الذكور تلك الالوان التي تدل على القوة والحرارة والدفء فهي الالوان الاثارة. ومن الالوان الباردة كان اللون المفضل هو البنفسجي ولاسيما عند الاناث فهو لون الحب والحكمة والوفاء وان كان فيه مسحة من الحزن الخفيف في حين كانت هنالك زيادة ملحوظة في تفضيل الذكور للون الازرق وهو اللون المذكر بالسماء والمطر ويوحي بالهدوء والسكينة.

والتدرج المفضل هو تدرج البنفسجي باستخدام القيمة اي الاتجاه نحو زيادة اللون الابيض يثير في النفس الشعور بالطهارة والنقاء والنظافة.

المراجـــع

1– F. Joly. La Cartographier. Paris. P.U.F. 1976.

2– A.H. ROBINSON and B.B. PETCHENIK. The Nature of maps. Chicago. University of Chicago press. 1976.

تقويم مدرس التربية الفنية

في المدرسة الثانوية خلال العملية التدريسية

خضير مهدي عمران
اكاديمية الفنون الجميلة / الجامعة المستنصرية

الفصل الاول

اهمية البحث والحاجة اليه

يعتقد البعض أن مادة التربية الفنية ليست من الاهمية بمكان وانها مادة ترفيهية مسلية وجدت لاصحاب القابليات والمواهب الفنية فحسب ويمكن لاي شخص أن يقوم بتدريسها أذا كان ملماً بالحقائق التي سيقوم بتدريسها وحيث أن من الامور البديهية ان التربية الفنية أحد ميادين التربية ومن خلالها يتهذب السلوك ويتعدل ولها دور في بناء شخصية الطالب الذي يعيش وسط التحولات الأجتماعية المعاصرة . فالفن وسيلة من وسائل الثقافة وبالثقافة تتغير المفاهيم والعادات وتدرك المعاني والقيم بالاضافة الى أن الفن يتضمن القوى المهذبة لغرائز الانسان والتسامي بها الى المستويات الرفيعة . نعدم الاعتناء بالفن من زاويته السليمة القادرة على تهذيب غرائز الانسان والتسامي بها يعني اهمال مادة من المواد التي تهذب الوجدان وبالتالي تنتهي المدارس بخلق شخصيات متناقضة منقسمة غير قادرة على التكامل السليم . وعلى هذا ليس كل مشتغل بالتربية الفنية قادر على المثابرة وتعليم الطلبة القيم الفنية وتشجيعهم على ممارستها . (فالمدرس هو العامل المهم جداً في عملية التربية وان المناهج والتنظيم المدرسي والاجهزة مع اهميتها تتضائل أمام هيئة المدرس أذ أنها لاتكتسب حيويتها الا من شخصية المدرس) (٢٠ص ٤٢٧) (١٣ ص ٤٩) (٢٣ ص ١٩٢) فاهمية المدرس

في أي نظام تعليمي ليس الى انكارها سبيل ولكون مهنة التدريس من المهن العامة والصعبة يجب الا يسمح بمزاولتها الا لمن يحمل المهارات اللازمة للمهنة ونحن أن لم نحسن اختيار من يقوم بالتدريس فسيتسرب الى المهنة كثير ممن لايصلحون لها وحينئذ فالويل للمتعلمين . فالمدرس هو الصانع الذي يكون للامم عدتها البشرية وهو المسؤول عن الشعب العقلية والجسمية والروحية وهذا مايتطلب أعداداً يتناسب وخطورة المهمة التي يقوم بها بحيث يكون مزوداً بالاسلحة التي تمكنه من مواجهة مهنة التدريس .

ونحن نتعرض في هذا البحث للمدرس الذي يربي النشىء عن طريق الفن ثم نسأل ما هي النواحي العلمية والموضوعية التي ان توفرت في سلوكه عند تدريس الفن أو عند تربية النشيء عن طريق الفن كان مدرساً ناجحاً ؟ ويعني ذلك أننا نقصد ، سلوكه في تفاعله مع الطلاب وفي أعداده لهذا التفاعل وبتعبير أدق نحن نبحث بطريقة التدريس التي تؤدي الى نجاحه في التدريس ولاننسى ان ننبه الى انه طالما كانت عملية التدريس لاتنفصل عن المدرس فان طريقة التدريس المناسبة التي يستعملها والتي ينتج عنها بالتالي تحصيل الطلبة لمادة الدرس تندمج بشخصيته تصبح شيئاً واحداً هو الطابع المميز لكل مدرس (١٧ ص٢) وهذا يعني ان صلاحية المدرس ونجاحه تجمع بين طريقة التدريس المناسبة وميوله واتجاهاته وصفاته الشخصية ولكن قياسهما معاً يحتاج الى جهد كبير والبحث فيهما معاً يحتاج الى جهد اكبر ولهذا حاول الكثير من الباحثين الفصل بينهما من أجل الوصول الى نتائج اكثر دقة وبجهد أقل (١٧ — ص ٢).

كما يفترض هذا البحث ان استيعاب المدرس للمواد والانشطة التي تدخل في اعداده كمدرس والتي تؤهله لممارسة مهنة التدريس ومالها من اثر في تحسين قيامه بالتدريس قد قيست من قبل التدريسيين في الكلية وبعد اجتيازه لهذا القياس ثم تخريجه واعتباره مؤهلا لممارسة التدريس لهذا فان البحث لايتعرض لتقويم هذه المواد والانشطة علماً بأن هذا البحث سوف يقيس بشكل غير مباشر اثر هذه المواد والانشطة في نجاحه كمدرس لان ذلك الاثر يظهر في تحضيره الدرس وفي عرضه اياه.

وبناءاً على ماذكرنا فان اوجه السلوك والانشطة التي يتناولها هذا البحث يفترض ان تكون واضحة ومعروفة لمدرسي التربية الفنية والتدريسيين الذين اشرفوا على اعدادهم خلال سنوات الدراسة في اكاديمية الفنون الجميلة. ونقصد هنا ان كل نشاط يقوم به المدرس في المدرسة الثانوية بقصد تدريس الفن سواء كان هذا النشاط داخل الصف او خارجه. والواضح ان النشاط الذي يقوم به المدرس ليس مرادفاً لطريقة التدريس لان

كل طريقة من طرق التدريس وان كانت تمثل فكرة او فلسفة معينة الا أنها على مستوى الممارسة الفعلية تستخدم مجموعة من الانشطة وان اختلف الاسلوب والهدف الذي يستخدم من اجله النشاط بما يحقق الغاية التي يهدف اليها المدرس في تدريسه. فنجاح التدريس يتوقف على مدى مايبذله المدرس من جهد في سبيل تحقيق غايات التربية بصفة عامة، واهداف مادته بصفة خاصة على اساس معرفته بطرق اختيار وتوجيه الانشطة من خلال فهمه لطرق التدريس وما تتطلبه من اوجه النشاط الذي توصله الى تحقيق اهدافه حيث يعتبر هذا من اول مقومات النجاح في مهنة التدريس (٢٢ص ١٩٤ – ١٩٥) ولكن هناك تفاوتاً بين المدرسين والتدريسيين من حيث تقدير أهمية اوجه النشاط او لزومها في تقويم طريقة تدريس مدرس التربية الفنية بمعنى انهم مختلفون في تحديد المهم منها وغير المهم كما ان مدرسي التربية الفنية يختلفون فيما بينهم ايضاً في تقدير اهمية كل منها. وعلى هذا الاساس فان الحاجة الى هذا البحث اصبحت ضرورة ملحة حيث اننا بحاجة الى تقويم مدرس التربية الفنية في المدارس الثانوية من حيث نجاحهم كمدرسين لاننا لانقبل ان يكون اي فرد مدرساً دون قيد او شرط ولا نترك اعداد المدرسين للمصادفة وما دام الأمر كذلك فلا بد ان نفاضل بين المدرسين والمفاضلة بطبيعتها حكم بأن شيئاً أحسن من شيء اخر بالنسبة لموضوع ما.

ونحن محتاجون لهذا الحكم بل مضطرون اليه ولكن مهما تكن قدرتنا على المفاضلة فانها تتأثر بموضوع الحكم والمفاضلة قد تكون سهلة نسبياً واذا كان موضوعنا جمادا مادامت الموازين متوفرة اما اذا تناولت المفاضلة عمل الانسان وكيف يؤديه اصبحت عملية الحكم او المفاضلة صعبة حتى لو مارسناها في حياتنا باستمرار. ولذلك فان عملية التقويم عملية شاقة ومعقدة وهي تقتضي اتباع بعض القواعد والنظم التي تحول دون تدخل الانطباعات العارضة او الذاتية حتى تكون دقيقة وعملية وموضوعية منطقية مؤدية الى الهدف بعيدة عن التأثر بالعاطفة والانفعال.

ومن خلال ماذكرناه يتبين مقدار الحاجة والاهمية الى البحث الحالي وذلك للوصول الى اوجه النشاط الهامة والتي يجب ان يقوم على اساسها مدرس التربية الفنية من حيث نجاحه في التدريس وان توضع في نظر الاعتبار عند الحكم عليه انه مدرس ناجح كما ان الباحث رغم سعيه الحثيث لم يحصل على دراسات او بحوث تتعلق بهذا الجانب لقلتها او تناولها جوانب اخرى في هذا الميدان التربوي وهي كلها عربية في حين لم يتيسر للباحث الحصول على دراسة عراقية بهذا الخصوص.

اهداف البحث :

يهدف البحث إلى –

١ – تحديد أوجه النشاط التي يجب أخذها في الاعتبار عند تقويم مدرس التربيةالفنية خلال العملية التدريسية للحكم على مدى نجاحه كمدرس للتربية الفنية.

٢ – التعرف على أوجه الاختلاف والاتفاق بين المدرسين والتدريسيين على أوجه النشاط التي يجب اعتبارها أساساً في تقويم مدرس التربية الفنية.

٣ – الكشف عن مظاهر السلوك المرغوبة في المدرس الناجح كمحصلة لاراء افراد العينة من مدرسين وتدريسيين .

حدود البحث :

يقتصر البحث على : –

١ – مدرسي التربية الفنية في المدارس الثانوية في محافظة بابل من الذكور والاناث.

٢ – التدريسين في أكاديمية الفنون الجميلة في محافظة بابل – قسم اعداد مدرسي التربية الفنية من الذكور والاناث.

المصطلحات :

١ – التدريسي : هو الشخص الحاصل على شهادة الدكتوراه أو الماجستير ويقوم في بالتدريس في أحد الكليات أو المعاهد العالية.

٢ – المدرس: هو الشخص الحاصل على شهادة البكالوريوس أو مايعادلها ويقوم بالتدريس في المدارس المتوسطة أو الاعدادية أو الثانوية.

٣ – العملية التدريسية – وهي العملية التي يقوم بها المدرس والتي لاتقتصر على تحضير المدرس والاعداد له ولا على مايقوم به في غرفة الدرس بل تشتمل على كل نشاط يقوم به المدرس في المدرسة داخل الصف وخارجه . (١٧ص٤) (١٠ص٢٠ – ٢١).

٤ – التقويم : عملية الوصول إلى إصدار حكم على مدى نجاح المدرس في العملية التدريسية في ضوء النشاطات التي يقوم بها والتي تشتمل على النواحي العملية والموضوعية في سلوكه عند تدريس مادة التربية الفنية أو عند تربية النشيء عن طريق الفن.

الدراسات السابقة :

لم يجد الباحث ماله علاقة ببحثه من الدراسات الا أنه وجد بعض الدراسات وماله علاقة ببحثه في جوانب محدودة جداً وذلك على مايبدو أن هذا الجانب التربوي لم يحظ بنصيب كبير من اهتمام الباحثين التربويين وانما هناك فقط اجتماعات للمعنيين بهذا الميدان التربوي اطلع عليها الباحث وتنتهي بتحديد أوجه النشاط التي ينبغي أن يقوم على أساسها مدرس التربية الفنية وسوف نذكر بعضها وهي كلها عربية ولم يتيسر للباحث الحصول على دراسة عراقية لها علاقة ببحثـــه.

٢ ــ دراسة عبد الحليم ١٩٦٧ .

اجريت هذه الدراسة بجمهورية مصر العربية لوضع بطاقة لتقويم طلبة لمعهد اعداد معلمي التربية الفنية اثناء فترة التطبيق في السنة الاخيرة من اعداد هم للحكم على مدى نجاحهم كمدرسين للتربية الفنية وكانت عينة البحث من (٨٥) فرداً مقسمين إلى ثلاث فئات الاولى : عينة من طلاب السنة الاخيرة من معهد اعداد معلمي التربية الفنية المطبقين وكان عدد افرادها (٥١) طالباً وطالبة أما الفئة الثانية فهم تدريسيوا المعهد ومن الاقسام المختلفة في المعهد والذين قاموا بتدريس طلابهم في المعهد وتقويمهم أثناء فترة التطبيق وعدد افرادها (٢٦) تدريسياً أما الفئة الثالثة فهم المشرفون التربويون للتربية الفنية وعددهم (٨) مشرفين أما اداة البحث فكان الاستفتاء ويتكون من ٢٧ فقرة تشمل أوجه السلوك التي يقوم بها المدرس في عملية التدريس .

أما الوسيلة الاحصائية التي استخدمها الباحث فكانت النسبة المئوية ومربع كاي وكانت نتائج البحث التي توصل اليها الباحث هي أن هناك (١٠) أوجه للنشاط ينبغي أن يقوم على اساسها مدرس التربية الفنية (الطالب) موزعه على مجالـين همـــا: ــ

اولا : تحضير الدرس والاعداد له: ويشتمل على (٦) أوجه للنشـــاط وهي وضوح هدف الخطة وتسلسل الدروس المؤدية إلى تحقيق الهدف. مناسبة خطة الدرس للتلاميذ. اختيار الموضوع المناسب لتحقيق هدف الدرس. اختيار الخامة المناسبة لتحقيق الهدف الفني. استعداد المدرس من حيث تجريب الخامات والادوات ومعرفته بخواص الخامات وطرق معالجتها تجهيز الخامات اللازمة قبل دخول حجرة الدرســـس.

ثانياً : تقديم الدرس :

ويشتمل على اربعة اوجه للنشاط هي صحة مايقول المدرس من الناحية الفنية والعلمية، طريقة عرض الدرس واثارة انتباه التلاميذ، مقدار توضيح الغرض الفني من الدرس وابرازه للطلاب، أحصار الوسائل التعليمية المناسبة واستعمالها (١٧ص ٧ — ٤١).

٢ — دراسة القوصي واخرون

وفيها حاولوا ان يقدموا بطاقة لتقييم المدرس بصفة عامة ولكنهم اهتموا في الدرجة الاولى بالمدرس بعد تخرجه ودخوله الميدان واحتوت البطاقة على خمس نواحي شاملة لصفات المدرس الذاتية والتكوين المهني والقدرة على التدريس وأثره في الجو المدرسي والمواظبة وصفات أخرى ورأوا ان لتناول ناحية التكوين المهني والقدرة على التدريس اهمية اكبر فتكون ٣٠ درجة من المائة التي تعبر عن النهاية العظمى للبطاقة والملاحظ ان هذه البطاقة عامة وانها تهدف في المحل الاول الى تقويم المدرس في الخدمة في جميع المواد وقد أشاروا الى اهم الوسائل التي تتبع في تقييم عمل المدرس ومن اهمها رأي المدرس في نفسه، رأي المدرسين الاخرين في المدرس، تقدير مدير المدرسة للمدرس، أحكام المشرفين، واراء التلاميذ عن المدرس التسجيلات السمعية والبصرية للمواقف الواقعية للمدرس أثناء تدريسه، ويستخدم الاستفتاء كاداة للحصول على ارائهم وقد توصلوا الى مظاهر السلوك التي يجب ان تدخل في اعتبارنا عند الحكم على عمل المدرس. ماياتي :

١ — مدى حرصه على البقاء في المدرسة اكبر وقت ممكن سواءا طلب منه او لم يطلب

٢ — مدى اشتراك المدرس في الهوايات العلمية والجمعيات المدرسية.

٣ — مدى اشتراك المدرس في رفع الروح المعنوية للمدرسة سواءا باشتراكه في تنفيذ قوانينها بروحه او عمله على بث الرضى والاستقرار في الجو المدرسي.

٤ — مدى حرص المدرس على دراسة المناهج المدرسية ونقدها والمساهمة في تعديلها بما يناسب البيئة المدرسية في طرق التدريس التي تساعد على حسن تنفيذ المنهج.

٥ — مدى عناية المدرس بتحضير دروسه ورسم خطة توزيع عمله على شهور السنة وتدوين خطوات عمله والاحتفاظ بها منظمة.

٦ — مدى اشراك المدرس في دراسة تلاميذه والاشراف على نواحي حياتهم وحل مشكلاتهم

٧ — مدى حرص المدرس على المواظبة والحضور في المواعيد وعدم التخلف عن المدرسة لاسباب مصطنعة .

٨ ــمدى استجابة المدرس لما يطلب اليه من الاعمال الاضافية التي يكلف بها من آن لاخر سواء أكانت حصصاً اضافية أو اعمالا أدارية ومقدار مايظهره من تعاون أو تذمر.

٩ ــ مدى أقبال المدرس نفسه على النشاطات ومبلغ استعداده لمشاركة التلاميذ نشاطاتهم ومسابقاتهم ورحلاتهم وزياراتهم .

١٠ ــ مدى المام المدرس بالشؤون الادارية بالمدرسة ومدى مساهمته في معاونة الجهاز الاداري بالمدرسة على تسيير الامور .

١١ ــ الروح الخلقية والاثار التي يتركها في تلاميذه من عطف واحترام وبث للمباديء والمثل العليا .

١٢ ــ المرونة واللياقة في معاملة أولياء أمور الطلبة والاتصال بالاهالي والاثار التي يتركها في نفوسهم .

١٣ ــ المام المدرس بمادته واستعداده لزيادة ثقافته العامة والخاصة .

١٤ ــ مدى مشاركة المدرس في النشاط الثقافي والاصلاحي والاجتماعي في البيئة المحيطة بالمدرسة .

١٥ ــ قدرة المدرس على افادة تلاميذه ومدى نجاحه في مهنته كمدرس داخل الصف .

١٦ ــمدى احترام المدرس لدستور مهنة التدريس والعمل على رفع شأن المهنة (٩ ص ٦٨ ــ ٧٦) .

منهج البحث :

يتضمن منهج البحث على عينة البحث .أداة البحث . اسلوب تطبيق أداة البحث الوسائل الاحصائية التي عولجت بواسطتها بيانات البحث .

هيئة البحث :

تقتصر عينة البحث مدرسي التربية الفنية . والتدريسين في اكاديمية الفنون الجميلة في بابل فقط لعدم وجود مشرفين تربويين اختصاص التربية الفنية في المديرية العامة لتربية بابل .

(أ) عينة المدرسين : ــ

تم أخذ جميع مدرسي التربية الفنية في المدارس الثانوية في محافظة بابل من الذكور والاناث الذين يقومون بتدريس مادة التربية الفنية عمليا وبذلك أصبح عدد أفراد عينة المدرسين (٢٨) مدرساً ومدرسة وبواقع (١٦) آناث (١٢) ذكوروهم يمثلون جميع

مدرسي ومدرسات التربية الفنية في محافظة بابل بعد الحصر الشامل وبذلك فهم يشكلون ١٠٠ ٪ لعينة المدرسين والمدرسات .

(ب) — عينة التدريسيين

تم أخذ جميع التدريسيين من اساتذة اكاديمية الفنون الجميلة في بابل / قسم أعداد مدرسي التربية الفنية وعددهم (٨) ثمان تدريسين وهم يمثلون جميع التدريسيين وبذلك فانهم يشكلون ١٠٠٪ لعينة التدريسيين .

أداة البحث :

لما كان البحث الحالي يهدف الى تحديد أوجه النشاط التي يجب أن يقوم على أساسها مدرس التربية الفنية في المدرسة الثانوية والتي تعتبر مهمة في عملية التدريس ولكون طبيعة البحث تتطلب جمع بياناتعن وجهة نظرمدرسي التربية الفنية في المدارس الثانوية والتدريسيين في اكاديمية الفنون الجميلة فقد عمد الباحث الىصياغة استفتاء يتضمن جميع النشاط التي ينبغي أن يقوم بها مدرس التربيةالفنية للحكم علىنجاحه في التدريس وقد أهتدى الباحث في تحديد أوجه النشاط ومجالاتها التي تضمنتها فقرات الاستفتاء بالاعتماد على الاستفتاء المعد منقبل الدكتور عبدالحليم فتح الباب(١٧ ص ٦٧ — ٧٠) والذي يحتوي على (٢٧)فقرة تضمنت معظمأوجه النشاط التي يجب أن يقوم بها مدرس التربية الفنية . وقد قام الباحثبادخال بعض التغيرات على فقراته واعادة صياغتها فاصبح الاستفتاء بصورته النهائية يحتوي على (٣٢) فقرة قام الباحث بعد ذلك بعرضه على لجنة من الحكام المتخصصين في مجال التربيةالفنية وعلم النفس لغرض تحديد فيما أذا كانت كل عبارة من العبارات تشكل نشاطاًمن الانشطة في عملبة التدريس أم لا وقد اجريت التعديلات على بعض العبارات في ضوء الاتفاق الحاصل منقبل اغلبية أعضاء لجنة الحكام وبذلك اعدت قائمة تحتوي على (٣٢) فقرة تمثل أوجه النشاط وهي على أربعة مجالات تمثل جوانب العملية التدريسية للتربية الفنية وهي «شخصية المدرس، التحضير والاعداد للدرس ،تقديم الدرس للطلبة ،أثر المدرس في الحياة المدرسية)

---

* الدكتور ابراهيم الكناني . كلية التربية / الجامعة المستنصرية
السيد كامل عجيل السمرمد · كلية الفقه / = =
السيد احمد عبدالكاظم العلي باحث علمي / المديرية العامة لتربية بابل
السيد فاضل عبدالكريم الصفار مرشد تربوي / = = = =

(١٧ ص ٦٥) وقد وضع أمام كل فقرة ثلاث مستويات بالنسبة لاهميتها (مهم – غير مهم – لا أدري) وتضمنت الصفحة الاولى من الاستفتاء للهدف من الدراسة وتعليمات عن كيفية الاجابة حيث يطلب من المستفتي. وضع (√) أمام الفقرة وتحت المستوى الذي يختاره وكان توزيع فقرات الاستفتاء عشوائياً بعد حذف عنوان المجال رقم (١) .

صدق الاداة :

لاجل التحقق من صلاحية اداة البحث فقد اتبعت اجراءات تضمن الصدق المنطقي للاداة والذي يشتمل على الصدق الخارجي وصدق المحتوى (٢٥ –ص ٥٥٦) (٢٦ ص ٤٠٧) فقد تم عرض المجالات وفقراتها على متخصصين في التربية وعلم النفس * لابداء ارائهم والحكم على صلاحيتها وقد تم تعديل بعض الفقرات في ضوء آرائهم ومقترحاتهم.

ثبات الاداة :

لقد تم ايجاد ثبات اداة البحث بطريقة اعـادة تطبيقهـا teast ret east Method على جزء من عينة البحث تم اختيارها بالطريقة العشوائية البسيطة وكان عـدد أفرادها (١٠) بواقع (٥) ذكور و(٥) أناث بعد مضي فترة زمنية بين التطبيقين امدها اسبوعان (٢٤ص ٥٨) وتم ايجاد معامل ارتباط بيرسون بين درجات التطبيق الاول والتطبيق الثاني وكانت قيمة معامل الارتباط ٨٢٪ وان ثباتاً مثل هذا يعتبر مقبولا قياساً الى الميزان العام لتقويم دلالة معامل الارتباط (٥ ص ٦٣) (١٢ ص ٣١٢) (٢١ص ٥٨)

تطبيق الاستفتاء

لقد قامت المديرية العامة لتربية بابل – الشعبة الفنية بارسال نسخة من الاستفتاء الى كل المدارس الثانوية للبنين والبنات التي فيها مدرس او مدرسة للتربية الفنية وطلبت مـن ادارة المدرسة تسليمها الى المدرس المختص للاجابة على فقراتها وقد اعيد الاستفتاء بعد اجابة كل مدرس ومدرسة عليه الى الشعبة المذكورة ومن ثم الى الباحث .

الوسائل الاحصائية :

استخدمت في هذا البحث الوسائل الاحصائية التالية :

١ – معامل ارتباط بيرسون (Person) (٧ص ١٨٣) وذلك للتحقق من ثبات الاداة.

---

* الدكترر زكريا زكي أثناسيوس — كلية التربية / الجامعة المستنصرية.
السيد كامل عجيل السمرمد — كلية الفقه / = =
السيد احمد عبدالكاظم الللي — باحث علمي / المديرية العامة لتربية بابل

٢ ــ النسبة المئوية للتعرف على نسب آراء المستجيبين للمقارنة بينهما.

٣ ــ قانون الفرق بين النسب المئوية للتعرف على الدلالة الاحصائية للفرق بين نسبتي استجابات المدرسين والتدريسيين (٨ص ١١٣) .

اسلوب تحليل النتائج :

استخدم الباحث النسبة المئوية للتعرف على آراء افراد العينة بشأن أوجه النشاط المهمة التي يجب أخذها بعين الاعتبار عند تقويم طريقة تدريس مدرس التربية الفنية ولذلك فقد اعتبرت النسبة (٥٠٪) معياراً لمقارنة النسب المئوية حيث تعتبر الفقرة التي تحصل على نسبة (٥٠٪) فما فوق مهمة في تقويم طريقة التدريس واهمال الفقرة التي تقل عن(٥٠٪) باعتبارها فقرة غير مهمة في تقويم طريقة التدريس كما يستخدم قانون الفرق بين النسب المئوية للتعرف على الدلالة الأحصائية للفرق بين النسب المئوية لأستجابات المدرسين والتدريسيين .

ولذلك فسوف يقوم الباحث بمناقشة الفقرات التي تعتبرها عينة البحث غير مهمة لبيان مايعتقده من اسباب حملت عينة البحث على اعتبارها غير مهمة في تقويم طريقة تدريس مدرس التربية الفنية وكذلك مناقشة الفقرات التي تكون ذات دلالة احصائية هذا وسوف ترتب نسب الاستجابات لافراد العينة ترتيباً تنازلياً لسهولة التعرف على الفقرات المهمة وغير المهمة .

نتائج البحث :

ستعرض نتائج كل مجال على حدة ومن ثم تحليلها وتفسيرها كما ستعرض أوجه الاختلاف والاتفاق بين المدرسين والتدريسيين في جميع أوجه النشاط التي يتضمنها كل مجال من المجالات الاربعة وهي (شخصية المدرس، التحضير والاعداد للدرس، تقديم الدرس للطلبة، أثر المدرس في الحياة المدرسية).

(أ) شخصية المدرس :

يتضح من الجدول رقم(٢) أن نسبة ثلاثة أرباع افراد العينة يرون أن اتزان المدرس أثناء الدرس ومقدرته على ادارة الصف وضبطه للنظام فيه من الاوجه المهمة والتي يجب أخذها بعين الاعتبار عند تقويم طريقة تدريس مدرس التربية الفنية في المدرسة الثانوية وقد أشار إلى أهمية ذلك الاستاذ (اليوت) بجامعة (هارفرد) بقوله (أن القيمة العظمى للمدرس لا تكمن في الطريقة العادية لتأدية واجباته ولكنها كامنة في قدرته على القيادة وقدرته على

الايحاء لابنائه الطلبة عن طريق تأثير شخصيته وعن طريق القدوة الحسنة) (١٩ص٤٤٨) فالمدرس الذي يعمل في التدريس والذي يريد أن يقدر قياس كفايته ويقيس مستوى نجاحه عليه أن يأخذ في حسبانه اهمية شخصيته اذ أكد جميع قادة التربية وجميع القائمين باعمال التفتيش والاشراف الفني على المدرسين عنصر الشخصية على انه من أهم العناصر في انجاح العملية التربوية (١٨ص٤٤٧ ــ ٤٤٨).

أوجه الاتفاق والاختلاف :

يتضح من ملاحظة الجدول رقم (٣) ان هناك اتفاقاً بين استجابات المدرسين والتدريسيين على اهمية الفقرات التي تضمنت أوجه النشاط المتعلقة بشخصية المدرس حيث لم تظهر فروق ذات دلالة احصائية بين النسب المئوية لاستجاباتهم وهذا مايؤكد اتفاقهما على اهميتها كما يتضح من الجدول رقم (٣) بانه لايوجد اختلاف بين استجاباتهم :

جدول رقم (٢)

الفقرات المتعلقة بشخصية المدرس والنسب المئوية لاستجابات افراد العينة

رقم الفقرة	الفقرات	النسبة المئوية
(١)	ان يكون المدرس متزنا أثناء الدرس	٧٧
(٢)	ادارة المدرس للصف من حيث سيطرته على النظام	٧٤

جدول رقم (٣)

الفقرات المتعلقة بشخصية المدرس والتي اتفق على اهميتها المدرسون والتدريسيون ونسب الاستجابات لها

رقم الفقرة	الفقرات	المدرسون ٪	التدريسيون ٪	الفرق بين النسب	مستوى الدلالة
(١)	ان يكون المدرس متزناً أثناء الدرس	٨٢	٥٧	١/٢٥	ــ
(٢)	ادارة المدرس للصف من حيث سيطرته على النظام	٧٥	٧١	٠/٢٢	ــ

٢ ـ التحضير والاعداد للدرس

يشتمل هذا المجال على التحضير الكتابي للدرس والذي يتضمن التفكير العلمي بخطة الدرس واهدافها وموضوعاتها التي تؤدي الى تحقيق اهداف الخطة ومناسبتها لاعمار الطلبة وميولهم والبيئة المحلية وترتيب خطوات الدرس والاعتناء بالجانب اللغوي.

كما يشتمل على التحضير العملي للدرس والذي يتضمن التجهيزات التي يعدها المدرس قبل دخوله غرفة الدرس من خامات وادوات وتجريبها ، والوسائل التعليمية المناسبة(١٧ ص٧) ومن ملاحظة الجدول رقم (٤) يتبين ان اوجه النشاط التي يرى افراد العينة انها مهمة في تقويم طريقة تدريس مدرس التربية الفنية هي التي تضمنتها الفقرات (٥، ٤، ٣، ٧، ١٣، ١٢، ١٤) وقد انحصرت نسب استجاباتهم مابين (٨٣٪ ـ ٥٤٪) حيث اجاب (٨٣٪) من أفراد العينة ان تكون موضوعات الخطة ذات مغزى تربوي ووطني وقومي كما يرى (٧٤٪) ان تكون موضوعات خطة الدرس مؤدية الى تحقيق الهدف من الدرس ويرى (٧١٪) وضوح الهدف العام والخاص لخطة الدرس في حين يرى (٦٩٪) أن تكون موضوعات الدرس مناسبة لاعمار الطلبة والمرحلة الدراسية و (٦٣٪) يرون تجريب ، الخامات والادوات من قبل المدرس قبل دخوله الى غرفة الدرس لمعرفة خواصها وطرق معالجتها بينما يرى (٦٠٪) اختيار الخامات والادوات المناسبة لتحقيق الهدف الفني من الدرس هذا وترى عينة البحث اهمية تحضير الوسائل التعليمية المناسبة لموضوع الدرس ، قبل بداية الدرس حيث شكلت نسبة (٥٤٪) من استجابات افراد العينة اما اوجه النشاط غير المهمة كما هو موضح في الجدول رقم (٤) والتي ينبغي عدم اخذها بعين الاعتبار عند تقويم طريقة تدريس مدرس التربية الفنية فقد تضمنتها الفقرات (٦، ١١، ٩، ٨، ١٠) حيث انحصرت نسب استجابات افراد عينة البحث مابين (٣٧٪ ـ ٢٦٪) وهي اقل من المعيار الذي اتخذه الباحث وبذلك تعتبر هذه الاوجه من النشاط غير مهمة في طريقة تدريس مدرس التربية الفنية ولايمكن اخذها في الاعتبار عند تقويم طريقة تدريسه حيث استجاب (٣٧ ٪) من افراد العينة ان تكون موضوعات خطة الدرس متسلسلة من حيث الصعوبة ومرتبطة مع بعضها وهذا يعني ان (٦٣ ٪) من افراد العينة يرون بأن هذه الفقرة غير مهمة واستجاب (٣٤٪) من افراد العينة ان يكون التحضير الكتابي معتنى به من حيث صحته اللغوية وبهذا يكون (٦٦٪) من افراد العينة يرون بان ذلك غير مهم في حين استجاب (٣١ ٪) ان تكون موضوعات الخطة مناسبة لميول الطلبة ورغباتهم وهذا يعني ان(٦٩٪) من افراد العينة يرون بان ذلك غير مهم وقد استجاب (٢٩٪) من افراد العينة

ان تكون الموضوعات مناسبة للبيئة المحلية للطلبة وبذلك يكون (٧١ ٪) من افراد العينة بان هذا النشاط غير مهم هذا وقد استجاب (٢٦٪) من افراد العينة ان يكون التحضير الكتابي للخطة صحيحاً من حيث ترتيب خطوات الدرس وهذا يعني ان (٧٤٪) من افراد العينة يرون بأن ذلك غير مهم ومن ملاحظة اوجه النشاط التي ترى عينة البحث بانها غير مهمة نجد بانها ذات علاقة بعضها ببعض ولهذا فان الباحث يعتقد ان ذلك يعود الى جملة اسباب يمكن اجمالها بان معظم خريجي اكاديمية الفنون الجميلة لم يعدوا الا اعداداً بسيطاً

جدول رقم (٤)
الفقرات المتعلقة بالتحضير و الاعداد للدرس والنسب المئوية لاستجابات افراد العينة

رقم الفقرة	الفقرات	النسبة المئوية
٥	ان تكون الموضوعات ذات مغزى تربوي ووطني و قومي بعيدة عن الجمود	٨٣
٤	يجب أن تكون موضوعات خطة الدرس مؤدية الى تحقيق الهدف من الدرس	٧٤
٣	ينبغي أن تكون خطة الدرس واضحة الهدف العام والخاص	٧١
٧	أن تكون الموضوعات مناسبة لأعمار الطلبة والمرحلة الدراسية	٦٩
١٣	يجب تجريب الخامات والادوات لمعرفة خواصها وطرق معالجتها قبل دخول الصف	٦٣
١٢	يجب أن يكون أختيار الخامات والادوات مناسباً لتحقيق الهدف الفني	٦٠
١٤	تحضير الوسائل التعليمية المناسبة قبل بداية الدرس	٥٤
٦	أن تكون الموضوعات متسلسلة من حيث الصعوبة ومرتبطة مع بعضها	٣٧
١١	أن يكون التحضير الكتابي معتنى به من حيث صحته اللغوية	٣٤
٩	أن تكون الموضوعات مناسبة لميول الطلبة ورغباتهم الفنية	٣١
٨	أن تكون الموضوعات مناسبة للبيئة المحلية للطلبة	٢٩
١٠	يجب أن يكون التحضير الكتابي للخطة صحيحاً من حيث ترتيب خطوات الدرس	٢٦

جدول رقم (٥)

الفقرات المتعلقة بالتحضير والاعداد للدرس والتي اختلف فيها المدرسون، والتدريسيون والنسب المئوية ودلالة الفروق

رقم الفقرة	الفقرات	المدرسين ٪	التدريسيين ٪	الفرق	مستوى الدلالة
٤	يجب أن تكون موضوعات خطة الدرس مؤدية إلى تحقيق الهدف من الدرس	٨٢	٤٤	١و٩٦	٠و٠٥
٦	أن تكون الموضوعات متسلسلة من حيث الصعوبة ومرتبطة مع بعضها	٢٩	٧١	٢و١٠	٠و٠٥

جدول رقم (٦)

الفقرات المتعلقة بالتحضير والاعداد للدرس والتي اتفق عليها المدرسون والتدريسيون ونسب الاستجابة لها

رقم الفقرة	الفقرات	المدرسين ٪	التدريسيين ٪	الفرق	مستوى الدلالة
٣	ينبغي أن تكون خطة الدرس واضحة الهدف العام والخاص	٧٢	٧١	٠و٠٥	
٥	أن تكون الموضوعات ذات مغزى تربوي ووطني وقومي بعيدة عن الجمود	٨٦	٧١	٠و٨٨	
٧	أن تكون الموضوعات مناسبة لاعمار الطلبة والمرحلة الدراسية	٧٢	٥٧	٠و٧٨	
١٣	يجب تجريب الخامات والادوات لمعرفة خواصها وطرق معالجتها قبل دخول الصف	٦١	٧١	٠و٥٢	
٨	أن تكون الموضوعات مناسبة للبيئة المحلية للطلبة	٢٩	٢٩	صفر	
٩	أن تكون الموضوعات مناسبة لميول الطلبة ورغباتهم الفنية	٣٢	٢٩	٠و١٥	
١٠	يجب أن يكون التحضير الكتابي للخطة صحيحاً من حيث ترتيب خطوات الدرس	٢٥	٢٩	٠و٢٢	
١١	أن يكون التحضير الكتابي معتنى به من حيث صحته اللغوية	٣٦	٢٩	٠و٣٨	
١٢	يجب أن يكون أختيار الخامات والادوات مناسباً لتحقيق الهدف الفني	٦٤	٤٣	١و٠٥	
١٤	تحضير الوسائل التعليمية المناسبة قبل بداية الدرس	٦١	٢٩	١و٦٠	

لمهنة التدريس لأقتصار التدريس في هذه الكليات على التدريب الاكاديمي واصول التدريس العامة التي لاتنتمي قط بصلة للتربية الفنية بالاضافة الى الاساليب والطرق الاكاديمية المتبعة من قبل التدريسيين والتي تؤدي الى تلقين الطلبة اصول الصنعة في الرسم اذ لايزال البعض يخلط بين الاسلوب الذي يعد فيه الفنان والاسلوب الذي يعد فيه مدرس التربية الفنية فما يستساغ في حالة اعداد الفنان يتخذ احياناً قاعدة في اعداد المدرس بالرغم مما بينهما من فروق في الاهداف ففي الوقت الذي لابد من ان يلم مدرس التربية الفنية الماماً بالمعرفة والمهارات اللازمة للمهنة التي سيضطلع بها في المستقبل التربوية منها والسيكولوجية نجد خريجي اكاديمية الفنون الجميلة يلتحقون بمهنة التدريس ورأسمالهم في الاعداد نهاً بسيط نتيجة لقلة المواد الدراسية التربوية والسيكولوجية وطرق التدريس التي تضمن هذا التكوين المهني وقد اكد المؤتمر الدولي الرابع للجمعية الدولية للتربية الفنية المنعقد في منتريال عام ١٩٦٣ . اهمية هذا التكوين المهني بتوصية (ضرورة اعداد مدرس التربية الفنية اعداد تربوياً ومهنيا يساعده على ادراكه لمسؤولياته الفنية والتربوية ولايتحقق نوع التدريس المثمر في الفن الا عن طريق اعداد مدرس التربية الفنية ذي الكفاءة المهنية العالية الذي يستطيع تحقيق الغايات التربوية والفنية) (١ص ٤٥٩ — ٤٨٤) كما اشارت الى ذلك حلقة دراسات اليونسكو الدولية في التربية الفنية ببرستل في انجلترا ١٩٥١ من ان مدرس التربية الفنية هو (فنان ومربي لابد ان تعد له البرامج والخبرات في معاهد اعداده بحيث تضمن تحقيق هذه الصفات) (٢ص ٢٠٦) وعلى هذا فان فهم البعض لاعداد المدرس بمعنى اعداده بالمادة التي يدرسها انما هو ادراك العرض واخطاء الجوهر فالمدرس هو الصانع الذي يكون للامم عدتها البشرية واذا كان الاب مسؤولا عن ابنه فان المدرس مسؤول عن صحة الشعب العقلية والجسمية والروحية وهذا يتطلب منا ان تعد له البرامج والخبرات التربوية التي تصوغ منه زعيماً وقائداً تربوياً في مختلف نواحي النشاط ولايفوتنا ان نقول بأن العناية بالبرامج لاتجدي الا اذا سبقتها عناية كبرى بالقائم على تنفيذها من التدريسيين في المعاهد والكليات (٢٠ ص ٤٣٧) .

فاذا ماتناولنا الفقرات التي ترى عينة البحث بأنها غير مهمة في العملية التدريسية يظهر لنا مدى القصور في الاعداد المهني لخريجي اكاديمية الفنون الجميلة مايجعلهم لايقدرون اهمية الجوانب التربوية للفقرات التي يعتبرونها غير مهمة فالتحضير الكتابي وترتيب خطوات للدرس مهماً لانه يظهر مهارة المدرس في ترتيب مادة الدرس والحقائق التي . يتضمنها الموضوع ويجنب المدرس الكثير من الحرج عند مواجهته لطلابه ويجعله يقدر

الوقت الكافي عند شرحه للدرس وانهائه ويمكنه من اعداد الوسائل التعليمية التي تعينه في انجاح مهمته ويبين مدى مقدرته على السير في الدرس بشكل منظم فهو جزء اساسي في العمليـة التدريسية (١٩ ص ٢١٠ — ٢١٥) (١٦ ص ٥٢ — ٥٦) اما مناسبة الموضوعات لميول الطلبة لها من الاهمية مايحتم على المدرس مراعاتها اذا ماعرفنا ان الطالب يمر بمراحل نمو مختلفة ونحن نصوغ من اجله المادة الدراسية ونحاول ان نضعها في خطط تتلائم معه حيث تتسم كل مرحلة من النمو بصفات خاصة وقد تظهر ميول وتختفي اخرى فعالم ، الطالب ومفهوماته وادراكه يجب ان يوضع نصب عين المدرس وهي تحتم تكيف المادة بما يتلائم معه فالطالب في المرحلة الاولى مثلا يميل الى الاشياء التي تغذي ذاته وتدور حول نفسه بينما الطالب المراهق لاينظر الى المسائل من زاويته فحسب انما تكسب الاشياء في نظره معان اجتماعية ويتدرج من الذاتية الطليقة والخيال الجامح الى نوع الواقعية والنظرة الى الحياة نظرة نقدية مجردة من المعالم .

هذا بالاضافة الى اهمية ربط الموضوعات الدراسية بالبيئة المحلية فلا تقتطع المادة اقتطاعاً من ملابساتها الحيوية والاجتماعية وحتى يتاح للطالب ان يفيد منها فائدة عملية ويعالـج موضوعات الدراسة علاجاً واقعياً وعملياً يرتبط بالحياة الخارجية وفي الوقت نفسه تصبح الموضوعات شائقة وتبعث على اهتمامه (١٦ ص ٢٨) .

اما فيما يتعلق بالصحة اللغوية للتحضير الكتابي فان الباحث يعتقد بان مرد ذلك قد يعود الى تدريس اللغة العربية في اكاديمية الفنون الجميلة فقط في السنة الدراسية الاولى مما يجعـل خريجيها عاجزين عن تذكر قواعدها لضمور معلوماتهم نتيجة لعدم ممارستها خلال ، الثلاث سنوات الدراسية الاخرى وحتى البعض منهم بعد تخرجه لانصرافه للجانب العملي فقط وقد يتبين لنا مدى القصور في الاعداد لمهنة التدريس في التربية الفنية من خلال اهمية تسلسل الموضوعات من حيث صعوبتها وارتباطها مع بعضها والتي تراها عينة البحث غير مهمة فمدرس التربية الفنية عندما تكون عنده خطة درس تهدف الى التكوين الفني سـواء اكان هذا التكوين التوافق والتباين اللوني او الايقاع الخطي او الجانب الانفعالي او الجانب الانماري او الهندسي او الزخرفي فان تحقيق هـذا الهدف يلزمه ان يختار سلسلة مـــن الموضوعات المنسجمة والمتدرجة في الصعوبة وتهدف في مجموعها تحقيق غرض واحـد بحيث اذا درسها الطلبـــة الواحدة بعد الاخرى تنمو قابلياتهم الفنية نمواً مطرداً يتخلله التعمق التدريجي في اكتشاف العلاقات والقيم الفنية الموجودة فيها حيث تنسجم بعضهـا مع بعض في تحقيق الهدف العام وكل منها يحقق الهدف الفني الخاص (٣ص ١٣٠ — ١٣٣)

أوجه الاتفاق والاختلاف

(أ) اوجه الاتفاق :

يتبين من ملاحظة جدول رقم (٦) ان هناك اتفاقاً بين المدرسين والتدريسين على اوجه النشاط التي تضمنتها الفقرات المذكورة في الجدول المذكور اعلاه حيث ان الفرق بين النسب المئوية لاستجاباتهم لم تكن ذات دلالة احصائية .

ويتضح ايضاً من الجدول رقم (٦) ان هناك اتفاقاً بين المدرسين والتدريسين على اهمية الفقرات (٢، ٥، ٧، ١٣، ١٢، ١٤) في حين اتفقا على عدم اهمية الفقرات (٨، ٩، ١٠، ١١) ويلاحظ ان الفقرات (١٢، ١٤) بالرغم من وجود فروق بين نسبتي استجابات المدرسين والتدريسين الا ان هذه الفروق بين النسب ليست ذات دلالة احصائية مما يؤكد اتفاقهما حول اهميتها .

(ب) اوجه الاختلاف :

لقد اختلف افراد العينة من المدرسين والتدريسين في اهمية بعض اوجه النشاط حيث ظهر هناك فروق بين النسب المئوية لاستجاباتهم ذات دلالة احصائية والجدول رقم (٥) يوضح ذلك .

يتبين من الجدول رقم (٥) ان المدرسين يرون اهمية ان تكون موضوعات خطة الدرس مؤدية الى تحقيق الهدف من الدرس اكثر من التدريسين وهذا يعني انهم يرون ضرورة اخذ هذا النشاط بعين الاعتبار عند تقويم طريقة تدريس مدرس التربية الفنية وان الفرق بين استجاباتهم ذو دلالة احصائية بمستوى (٠,٠٥) ولعل ذلك يعود الى ان المدرسين قد تأكد لهم ذلك من خلال ممارستهم لمهنة التدريس وتراكم الخبرة لديهم . كما يتبين من الجدول المذكور سابقاً ان التدريسين يرون اهمية ان تكون الموضوعات متسلسلة من حيث الصعوبة ومرتبطة مع بعضها اكثر من المدرسين وكان الفرق بين نسب استجاباتهم ذا دلالة احصائية بمستوى (٠,٠٥) ولعل ذلك يعود الى ان التدريسين يعتبرون ذلك مهماً نتيجة تخصصاتهم الدقيقة التي يقومون بتدريسها والتي تتعلق بجانب واحد من الفن مما يسهل اختيار موضوعاته اضافة الى الخبرة التي اكتسبوها خلال سنوات دراستهم التخصصية في حين ان المدرسين مسؤولون عن تعليم طلبتهم جميع مبادىء الفنون والتي تشتمل على سبيل المثال لا الحصر التخطيط ، الالوان ، المنظور ، الانشاء التصويري ، الاعمال اليدوية والتي يجب مراعاتها

في كل موضوع من اجل تحقيق الهدف من الدرس وهذا مايتطلب الدقة والمتابعة وسعة الاطلاع بالجوانب الفنية والتربوية من اجل اختيار الموضوعات التي تحقق الاهداف التي يضعها المدرس لخطة التدريس لذا كثيراً مايواجه معظم المدرسين صعوبة في اختيار مثل هذه الموضوعات المترابطة والمتدرجة في الصعوبة :

٣ ـ تقديم الدرس للطلبة :

يشتمل هذا المجال على طريقة عرض الدرس واثارة انتباه الطلبه واستخدام الوسائل التعليمية المناسبة ويشمل ايضاً التوجيه الفردي للطلبة وفرز نتائج الدرس وخلق الجو الديمقراطي والفكري الصالح للدرس .

ويتبين من ملاحظة الجدول رقم (٧) ان اوجه النشاط التي ترى عينه البحث بانها مهمة والتي ينبغي اخذها بعين الاعتبار عند تقويم مدرس التربية الفنية هي التي تضمنتها الفقرات (١٦ ، ١٩ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٣) وقد انحصرت نسب الاستجابات بين (٨٦٪ ــ٥٢٪) حيث يرى (٨٦٪) من افراد العينة اهمية صحة مايقوله المدرس من الناحية الفنية والعلمية و(٨٠٪) من افراد العينة يرون اهمية تشجيع الطلبة من قبل المدرس.

جدول رقم (٧)

الفقرات المتعلقة بتقديم الدرس للطلبة والنسب المئوية لاستجابات افراد العينة

رقم الفقرة	الفقرات	النسبة المئوية
١٦	ان مايقوله المدرس يجب أن يكون صحيحاً من الناحية الفنية والعلمية	٨٦
١٩	تشجيع الطلبة على المشاركة وابداء آرائهم وحملهم على التفكير والشعور بالحرية أثناء التعبير	٨٠
١٨	يجب جذب انتباه الطلبة والبراعة في صياغة وتوجيه الاسئلة	٧٤
٢٥	مدى الاهتمام باشراك الطلبة في مناقشة النتائج وابداء آرائهم وطريقة معالجتها	٧٢
٢٤	قدرة المدرس على فرز النتائج ومعرفة محاسنها ومساوئها	٦٣
١٥	يجب أن يكون عرض الدرس موضحاً للغرض الفني وابرازه للطلبة	٦٠
٢١	مدى استفادة الطلبة من الوسائل التعليمية التي قام المدرس بتحضيرها	٥٢
٢٣	قدرة المدرس على ادراك المشكلات الفنية الفردية للطلبة ومساعدتهم على حلها	٥٢
١٧	ينبغي أن يلتزم المدرس باللغة العربية السليمة عند العرض والمناقشة	٤٠
٢٦	عدد النتائج الناجحة ذات القيمة الفنية والتي تفصح عن فردية الطالب	٤٠
٢٠	يجب أن يكون استعمال الوسائل التعليمية في الوقت المناسب لها	٣٧
٢٩	معاملة المدرس للطلبة داخل الصف ومراعاته للفروق الفردية بينهم	٣٧
٢٢	مدى مراعاة المدرس لوقت الدرس وتقسيمه على خطواته	٢٨

جدول رقم (٨)

الفقرات المتعلقة بتقديم المدرس للطلبة والتي اتفق عليها المدرسون والتدريسيون ونسب الاستجابة لها

رقم الفقرة	الفقرات	المدرسين ٪	التدريسيين ٪	الفرق	مستوى الدلالة
١٦	ان مايقوله المدرس يجب أن يكون صحيحاً من الناحية الفنية والعلمية	٨٢	١٠٠	١,٦٣	
١٩	تشجيع الطلبة على المشاركة وابداء آرائهم وحملهم على التفكير والشعور بالحرية أثناء التعبير	٧٩	٨٦	٠,٤١	
١٨	يجب جذب انتباه الطلبة والبراعة في صياغة وتوجيه الاسئلة	٧٩	٥٧	١,٢٩	
٢٥	مدى الاهتمام باشراك الطلبة في مناقشة النتائج وابداء آرائهم وطريقة معالجتها	٦٨	٨٦	١,٠٥	
٢٤	قدرة المدرس على فرز النتائج ومعرفة محاسنها ومساوئها	٦١	٧١	٠,٥٢	
١٥	يجب أن يكون عرض المدرس موضحاً للغرض الفني وابرازه للطلبة	٦١	٥٧	٠,٢٠	
٢١	مدى استفادة الطلبة من الوسائل التعليمية التي قام المدرس بتحضيرها	٥٤	٤٣	١,٣٧	
٢٣	قدرة المدرس على ادراك المشكلات الفنية الفردية للطلبة ومساعدتهم على حلها	٥٧	٢٩	١,٤٠	
١٧	ينبغي أن يلتزم المدرس باللغة العربية السليمة عند العرض والمناقشة .	٣٩	٤٣	٠,٢١	
٢٦	عدد النتائج الناجحة ذات القيمة الفنية والتي تفصح عن فردية الطالب	٣٩	٤٣	٠,٢١	
٢٠	يجب أن يكون استعمال الوسائل التعليمية في الوقت المناسب لها .	٣٦	٤٣	٠,٣٥	
٢٩	معاملة المدرس للطلبة داخل الصف ومراعاته للفروق الفردية بينهم .	٣٦	٤٣	٠,٣٥	
٢٢	مدى مراعاة المدرس لوقت الدرس وتقسيمه على خطواته	٢٩	٢٩	صفر	

على المشاركة وابداء ارائهم واعطائهم الحرية في التعبير بينما استجاب (٧٤٪) باهمية جذب انتباه الطلبة وبراعة المدرس في صياغة وتوجيه الاسئلة لهم واستجاب (٧٢٪) من افراد العينة باهمية اشراك الطلبة في مناقشة النتائج وطريقة معالجتها و (٦٣٪) يرون اهمية قدرة المدرس على فرز النتائج ومعرفة محاسنها ومساوئها في حين ان (٦٠٪) من افراد العينة استجابوا باهمية ان يكون عرض الدرس موضحاً للغرض الفني وابرازه للطلبة هذا واستجاب (٥٢٪) باهمية كل من مدى استفادة الطلبة من الوسائل التعليمية التي قام المدرس بتحضيرها للدرس وقدرة المدرس على ادراك المشكلات الفنية الفردية للطلبة ومساعدتهم على حلها . اما اوجه النشاط غير المهمة والتي لاينبغي اخذها بعين الاعتبار عند تقويم مدرس التربية الفنية فهي التي تضمنتها الفقرات (١٧ ، ٢٦ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٢) وقد انحصرت نسب استجابات عينة البحث مابين (١٠٪ — ٢٨٪) وهو اقل من المعيار الذي اتخذه الباحث لذا فهي تعتبر غير مهمة ولايمكن اعتبارها اساساً عند تقويم طريقة مدرس التربية الفنية فقد استجاب (٤٠٪) من افراد العينة باهمية ان يلتزم المدرس باللغة العربية السليمة عند العرض والمناقشة وهذا يعني ان (٦٠٪) من افراد العينة يرون بان هذا النشاط غير مهم وقد يعود ذلك الى خلو مناهج الدراسة في الاكاديمية من مادة اللغة العربية ماعدا السنة الدراسية الاولى مما يؤدي الى ضمور معلومات الطالب بقواعد اللغة العربية خلال دراسته في الاكاديمية وقد استجاب (٤٠٪) باهمية عدد النتائج الناجحة ذات القيمة الفنية التي تفصح عن فردية الطالب وبهذا يعتبر (٦٠٪) من افراد العينة يرون بانها غير مهمة ويعتقد الباحث ان ذلك يعود الى ماذكرناه سابقاً وهو ان خريجي اكاديمية الفنون الجميلة لم تكن لديهم القاعدة التربوية العريضة والواعية في طرق التدريس التي يستطيعون على اساسها تقدير اهمية مثل هذه الفقرة في العملية التربوية فالتدريس الناجح هو الذي يؤكد بناء وتركيب المادة الدراسية بحيث تكون اكبر نفعاً للطالب الاقل قدرة منه لصاحب الاستعداد والموهبة وقد عبر عن ذلك احد المربين في التربية الفنية (بانه عندما نعلم بنجاح يبدو دائماً ان ٧٥٪ من الطلاب يقعون فوق المتوسط) (١٥ ص ٤٠) ويرى خبراء التربية الفنية بأن مدرس التربية الفنية يجب ان يقوم اعمال طلابه وتقويم اعمالهم معناه نقدها من ناحية ماحققته من محاسن وماعجزت عن تحقيقه ومعيار هذا النقد عادة يرتبط بالهدف الذي وضعه المدرس وهذا يتطلب ان يكون المدرس ذا رؤية فنية تربوية بحيث يعي ان النتائج تتميز بالفردية في التعبير الذي يرتبط بشخصية المتعلم وعدم تشابه النتائج هو الغاية وتأتي كنتيجة

طبيعية لتعهد الفروق الفردية بالرعاية وليس كما كان معروفاً من قبل ان تكون النتائج متشابهة فيكون التعبير الذي ينتهي اليه الطلبة ميتاً جامداً لاحيوية فيه فان عدد النتائج الناجحة يجعل المدرس مطمئناً الى ان طلابه قد ادركوا الهدف ومايتضمنه من قيم فنية ويعرف اذا كانوا قد اكتسبوها ام لا (٤ص ٦٩ ــ ١٩٥) هذا ويرى (٣٧٪) من افراد العينة اهمية استعمال الوسائل التعليمية في الوقت المناسب لها وهذا يعني ان (٦٣٪) من افراد العينة يرون بانها غير مهمة في تقويم مدرس التربية الفنية عند قيامه بالعملية التدريسية وقد يعود ذلك الى الاسباب التي سبق وان ذكرناها فالوسائل التعليمية في درس التربية الفنية لها اكثر من اهمية بالاضافة الى تفسير مايصعب من الدرس وتوضيحه فهي لها دور مهم في معالجة المشكلات الفردية التي يتعرف عليها المدرس في تعبيرات الطلبة وعلى المدرس ان يحسن استعمال هذه الوسائل والا لم تحقق الفائدة منها بل تعطي نتائج عكسية حيث، تؤدي الى اعاقة وتوقف نمو الطلبة الفني (١١ ص ١٣٣ - ١٣٩) وقد استجاب (٣٧٪) من افراد العينة باهمية مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة من قبل المدرس وهذا يعني ان (٦٣٪) من افراد العينة يرون بانها غير مهمة في تقويم مدرس التربية الفنية خلال قيامه بالتدريس وقد يعود ذلك لنفس الاسباب التي سبق ذكرها والتي تجعل مدرس التربية فناناً اكاديمياً غير ملم الماماً جيداً بالجوانب السيكولوجية والتربوية لطلبة فادراك مدرس التربية الفنية للفروق الفردية بين الطلبة والانماط المتعددة في تعبيراتهم والتي هي انعكاس لشخصياتهم بكامل جوانبها الجسمية والعقلية والانفعالية واهمية مراعاتها تساعده على النجاح في خطته وتكييف موضوعاتها بما تناسب طلابه وتكون علاقته مع طلابه في حالة دائمة من الاحترام المتبادل كنتيجة لهذا الفهم في حين فشل المدرس في توفير هذا الثبات من الأحترام المتبادل يكون عرضة للاستبداد في العلاقة واملاء ارادته وافراغ معلومات وافكـــار مهضومة يترتب عليها ان يشب المتعلم ضعيف الهمة ذليل الأعتماد على نفسه والثقة بها قليل التهيؤ في تكوينه من الناحية الاجتماعية والفكرية (١٤ ص ٣٣١ ــ ٥١٧) .

اما فيما يتعلق بمراعاة المدرس لوقت الدرس وتقسيمه على خطوات خطته فقد اجـــاب (٢٨٪) من افراد العينة باهمية ذلك وهذا يعني (٧٢٪) من افراد العينة يرون بان ذلك غير مهم في تقويم مدرس التربية الفنية وقد يعود ذلك لنفس الاسباب التي مر ذكرها عندما تحدثنا عن الفقرات التي تخص التحضير والاعداد للدرس .

(أ) اوجه الاتفاق :

يتبين من ملاحظة الجدول رقم (٨) ان هناك اتفاقاً بين المدرسين والتدريسيين حول، اوجه النشاط التي تضمنتها الفقرات المذكورة في الجدول المذكور حيث ان الفروق بين نسب استجاباتهم ليست ذات دلالة احصائية ومن ملاحظة الجدول رقم (٨) يتبين ان ، هناك اتفاقاً على اهمية اوجه النشاط التي تضمنتها الفقرات (١٦، ١٩، ١٨، ٢٥، ٢٤، ١٥، ٢١ ، ٢٣) وهذا يعني ضرورة اخذها بعين الاعتبار عند تقويم طريقة مدرس التربية الفنية .

كما يلاحظ ان الفقرات (١٧، ٢٦، ٢٠، ٢٩، ٢٢) قد اتفق المدرسون على انها غير مهمة وهذا يعني عدم اخذها في الاعتبار عند تقويم طريقة تدريس مدرس التربية الفنية حيث ان الفروق بين نسب استجاباتهم ليست ذات دلالة احصائية وهذا مايؤكد اتفاقهما على انها غير مهمة .

(ب) اوجه الاختلاف :

لم تظهر هناك اختلافات بين استجابات المدرسين والتدريسيين حول اوجه النشاط التي تضمنتها الفقرات المذكورة في الجدول رقم (٨) حيث لم تكن الفروق بين نسب استجاباتهم ذات دلالة احصائية مما يؤكد على اتفاقهما حولها .

٤ ــ اثر المدرس في الحياة المدرسية :

يتبين من الجدول رقم (٩) ان اوجه النشاط التي ترى عينة البحث بانها مهمة في تقويم طريقة مدرس التربية الفنية هي التي تضمنتها الفقرات (٣٠، ٢٧، ٢٨) وقد انحصرت نسب استجاباتهم مابين (٨٤٪ ــ ٥٧٪) حيث يرى (٨٤٪) من افراد العينة اهمية اهتمام المدرس بغرس المثل والقيم الاشتراكية بين الطلبة و (٦٣٪) يرون اهمية مساهمة المدرس في النشاط المدرسي العام هذا وقد استجاب (٥٧٪) من افراد العينة باهمية تعاون المدرس مع زملائه المدرسين اما اوجه النشاط التي ترى عينة البحث غير مهمة فهي التي تضمنتها الفقرات (٣١، ٣٢) وقد انحصرت استجابات افراد العينة بين (٤٦٪ ــ ٣٥٪) حيث يرى (٤٦٪) من افراد العينة اهمية تشجيع المدرس للطلبة على المنافسة واحترام تعبيرات بعضهم البعض وهذا يعني ان (٥٤٪) من افراد العينة ترى بانها غير مهمة ويعتقد الباحث ان مرد ذلك الى ازدواج معظم المدارس والاعداد الكبيرة للطلبة يجعل من المتعذر على المدرس،

جدول رقم (٩)

الفقرات المتعلقة بأثر المدرس في الحياة المدرسية والنسب المئوية لاستجابات افراد العينة

رقم الفقرة	الفقرات	النسبة المئوية
٣٠	مدى اهتمام المدرس بغرس المثل والقيم الاشتراكية بين الطلبة من خلال التخطيط للاعمال الفنية الجماعية	٨٤
٢٧	مدى مساهمة المدرس في النشاط المدرسي العام	٦٣
٢٨	مدى تعاون المدرس مع زملائه المدرسين	٥٧
٣١	تشجيع المدرس للطلبة على المنافسة الحرة واحترام تعبيرات بعضهم لبعض	٤٦
٣٢	مواظبة المدرس على الحضور إلى المدرسة قبل المواعيد المقررة	٣٥

جدول رقم (١٠)

الفقرات المتعلقة بأثر المدرس في الحياة المدرسية والتي اختلف فيها المدرسون والتدريسيون والنسب المئوية ودلالة الفروق

رقم الفقرة	الفقرات	المدرسين %	التدريسيين %	الفرق	مستوى الدلالة
٢٧	مدى مساهمة المدرس في النشاط المدرسي العام	٧٢	٢٩	٢,١٥	٠,٠٥

جدول رقم (١١)

الفقرات المتعلقة بأثر المدرس في الحياة المدرسية والتي اتفق عليها المدرسون والتدريسيون ونسب الاستجابة لها

رقم الفقرة	الفقرات	المدرسين	التدريسيين	الفرق	مستوى الدلالة
٣٠	مدى اهتمام المدرس بغرس المثل والقيم الاشتراكية بين الطلبة من خلال التخطيط للاعمال الفنية الجماعية .	٧٩	١٠٠	١,٧٥	
٢٨	مدى تعاون المدرس مع زملائه المدرسين	٥٧	٥٧	صفر	
٣١	تشجيع المدرس للطلبة على المنافسة الحرة واحترام تعبيراتهم بعضهم لبعض	٣٩	٧١	١,٩٠	
٣٢	مواظبة المدرس على الحضور إلى المدرسة قبل المواعيد المقررة	٣٦	٢٩	٠,٣٨	

توجيه جميع الطلبة ومتابعتهم عن كثب واحياناً عدم استطاعة السيطرة على الطلبة داخل الصفوف اثناء الدرس بالاضافة الى عدم توفر الاماكن اللازمة التي تضم النتائج المنتهية لاعمال الطلبة لعرضها وابراز القطع الفنية الجيدة بحيث يكون عرضها مغرياً يوحي بتشجيع الطلبة الاخرين على التمثل بها والاهتمام بشأنها .
هذا وقد استجاب (٣٥٪) من افراد العينة حول اهمية مواظبة المدرس على الحضور الى المدرسة قبل المواعيد المقررة وبهذا يكون قد استجاب بانها غير مهمة (٦٥٪) من افراد العينة وقد يعود ذلك الى ان نظام المدارس يلزم المدرس بالحضور الى المدرسة قبل بداية الدوام وفي حالة تأخره بعد دخول الطلبة الى الدرس الاول يوجه اله استجواب رسمي من قبل ادارة المدرسة عن سبب تأخره ولهذا فان مدرس التربية الفنية ملزم بالحضور في المواعيد المقررة رسمياً .

اوجه الاتفاق والاختلاف :

(أ) اوجه الاختلاف :

يتبين من الجدول رقم (١٠) ان هناك اختلافاً بين المدرسين والتدريسين حول احد اوجه النشاط المذكور في الجدول رقم (١٠) حيث كان الفرق بين نسب استجاباتهم ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) فيما يتعلق بمساهمة المدرس في النشاط المدرسي حيث يرى المدرسون اهمية مساهمة المدرس في النشاط المدرسي العام اكثر من التدريسين ولعل ذلك يعود الى ان حيوية مدرس التربية الفنية في المدرسة الثانوية تظهر منعكسة في الجو المدرسي باجمعه وبمجرد ان يدخل الزائر يلمح هذا النشاط مسجلا على الجدران وفي الصفوف وفي المكتبة وفي الحديقة والملاعب فتميز اي مدرسة عن الاخرى بهذا الجو الفضفاض ، الذي يبين الى اي حد تعتني المدرسة بالجوانب الجمالية وكل هذه الجوانب يجب ان يكون لمدرس التربية الفنية دخل فيها بل يجب ان تعتبر احد الدعامات في تحقيق رسالته لتنشئة طلبته هذه التنشئة التذوقية (٤ ص ٢٨٢ — ٢٨٧) .

ومن جانب اخر قد يعود الى ان معظم التدريسين ينصرف نشاطهم الى اعمالهم الفنية الخاصة لاقامة المعارض الشخصية بينما نجد مدرس التربية الفنية مطالب بالاشتراك بالمعارض السنوية التي تقيمها المديريات العامة للتربية عن طريق طلبته وهي جزء من نشاطه التدريسي في حين مثل هذه المعارض غير مطالب بها التدريسي في اكاديمية الفنون الجميلة وهذا مايجعلهم يرون مساهمة المدرس في النشاط المدرسي غير مهم في تقويم طريقة تدريسه

(ب) اوجه الاتفاق :

يتبين من الجدول رقم (١١) ان المدرسين والتدريسين قد اتفقا على اهمية اوجه النشاط التي تضمنتها الفقرات (٢٨ ، ٣٠) حيث ان الفروق بين نسب استجاباتهم لم تكن ذات دلالة احصائية وهذا مايؤكد اتفاقهما حول اهميتها اما الفقرات (٣١ ، ٣٢) قد اتفقا على انها غير مهمة حيث ان اوجه النشاط التي تضمنتها لم تكن ذات اهمية في تقويم طريقة مدرس التربية الفنية وان الفروق بين نسب استجاباتهم ليست ذات دلالة احصائية وهذا مايؤكد اتفاقهما على انها غير مهمة .

اما الهدف الثالث للبحث الحالي وهو الكشف عن مظاهر السلوك المرغوبة في المدرس الناجح كمحصلة لاراء افراد العينة من مدرسين وتدريسين .

تشير النتائج المعروضة في الجدول رقم (١) الى ان افراد العينة من المدرسين والتدريسين قد اتفقوا على اهمية (٢٠) فقرة تشمل مظاهر السلوك المرغوبة في طريقة مدرس التربية الفنية الناجح وهي التي يجب اخذها في الاعتبار عند تقويمه خلال العملية التدريسية التي يقوم بها في المدرسة الثانوية وقد حصلت على نسبة اكثر من (٥٠٪) من استجابات افراد عينة البحث حيث انحصرت نسب استجاباتهم مابين (٨٦٪ — ٥٢٪) وهي مايقوله — المدرس يجب ان يكون صحيحاً من الناحية الفنية والعلمية ، واهتمام المدرس بغرس المثل والقيم الاشتراكية بين الطلبة وان تكون موضوعات الخطة ذات مغزى تربوي ووطني وقومي بعيدة عن الجمود ، وان يقوم المدرس بتشجيع الطلبة على المشاركة بمناقشة موضوع الدرس وابداء ارائهم وترك الحرية لهم اثناء التعبير ، وان يكون الدرس متزناً اثناء الدرس ، وان يكون مسيطراً على النظام في الصف على ان لاتكون هذه السيطرة نتيجة لدكتاتورية وانما ذا شخصية رحبة محبوبة لدى الطلبة يقبلون عليه ليستوضحوا منه وهو امين حين يوجه ويبدي رأيه متفتحاً صبوراً لايضيق ذرعاً بطلبته ، وان تكون موضوعات خطة الدرس مؤدية الى تحقيق الهدف من الدرس ويمتاز بالبراعة في صياغة وتوجيه الاسئلة لجذب انتباه الطلبة ، واهتمام المدرس باشراك الطلبة في مناقشة نتائج اعمالهم وطريقة معالجتها ، وتكون خطة الدرس واضحة الاهداف الخاصة والعامة وتكون موضوعات الخطة مناسبة لأعمار الطلبة ومرحلتهم الدراسية واختيار الخامات والأدوات المناسبة لتحقيق الهدف الفني الذي يضعه المدرس ، مجرباً لهذه الخامات والأدوات لمعرفة خواصها وطرق معالجتها قبل دخوله الصف وتهيئة الوسائل التعليمية المناسبة التي تساعده

جدول رقم (١)

الفقرات المتعلقة بمظاهر السلوك المرغوبة وغير المرغوبة في المدرس الناجح كمحصلة لآراء افراد العينة والنسب المئوية لاستجاباتهم

رقم الفقرة	الفقرات	النسبة المئوية
١٦	ان مايقوله المدرس يجب ان يكون صحيحاً من الناحية الفنية والعلمية	٨٦
٣٠	اهتمام المدرس بغرس المثل والقيم الاشتراكية بين الطلبة من خلال التخطيط للاعمال الفنية الجماعية	٨٤
٥	ان تكون موضوعات الخطة ذات مغزى تربوي ووطني وقومي بعيدة عن الجمود	٨٣
١٩	تشجيع الطلبة على المشاركة وابداء آرائهم وحملهم على التفكير والشعور بالحرية أثناء التعبير.	٨٠
١	ان يكون المدرس متزناً أثناء الدرس	٧٧
٢	ادارة المدرس للصف من حيث سيطرته على النظام	٦٤
٤	ان تكون موضوعات خطة الدرس مؤدية الى تحقيق الهدف من الدرس	٧٤
١٨	جذب انتباه الطلبة والبراعة في صياغة وتوجيه الاسئلة	٧٤
٢٥	اهتمام المدرس باشراك الطلبة في مناقشة النتائج وابداء آرائهم وطريقة معالجتها	٧٢
٣	ان تكون خطة الدرس واضحة الهدف العام والخاص	٧١
٧	ان تكون موضوعات الخطة مناسبة لاعمار الطلبة والمرحلة الدراسية	٦٩
١٣	تجريب الخامات والادوات لمعرفة خواصها وطرق معالجتها قبل دخول الصف	٦٣
٢٤	قدرة المدرس على فرز النتائج ومعرفة محاسنها ومساوئها	٦٣
٢٧	مساهمة المدرس في النشاط المدرسي العام	٦٣
١٢	ان يكون اختيار الخامات والادوات مناسباً لتحقيق الهدف الفني	٦٠
١٥	ان يكون عرض الدرس موضحاً الغرض الفني وابرازه للطلبة	٦٠
٢٨	تعاون المدرس مع زملائه المدرسين	٥٧
١٤	تحضير الوسائل التعليمية المناسبة قبل بداية الدرس	٥٤
٢١	مدى استفادة الطلبة من الوسائل التعليمية التي قام المدرس بتحضيرها	٥٢
٢٣	قدرة المدرس على ادراك المشكلات الفنية الفردية للطلبة ومساعدتهم على حلها .	٥٢
٣١	تشجيع الطلبة على المنافسة الحرة واحترام تعبيرات بعضهم لبعض	٤٩
١٧	ان يلتزم المدرس باللغة العربية السليمة عند العرض والمناقشة	٤٠
٢٠	عدد النتائج الناجحة ذات القيمة الفنية والتي تفصح عن فردية الطلبة	٤٠
٦	ان تكون موضوعات الخطة متسلسلة من حيث الصعوبة ومرتبطة مع بعضها	٣٧

٢٠	ان يكون استعمال الوسائل التعليمية في الوقت المناسب لها	٣٧
٢٩	معاملة المدرس للطلبة ومراعاته للفروق الفردية بينهم	٣٧
	مواظبة المدرس على الحضور إلى المدرسة قبل المواعيد المقررة	٣٥
١١	ان يكون التحضير الكتابي معتنى به من حيث صحته اللغوية .	٣٤
٩	ان تكون الموضوعات مناسبة لميول الطلبة ورغباتهم الفنية	٣١
٨	ان تكون الموضوعات مناسبة للبيئة المحلية للطلبة	٢٩
٢٢	مراعاة المدرس لوقت الدرس وتقسيمه على خطواته	٢٨
١٠	ان يكون التحضير الكتابي للخطة صحيحاً من حيث ترتيب خطوات الدرس	٢٦

على توضيح مايصعب فهمه من قبل الطلبة ، ومقدراً مدى استفادة الطلبة من هذه الوسائل التعليمية وقدرته على ادراك المشكلات الفنية الفردية للطلبة ومساعدتهم على حلها ، على ان يكون عرضه للدرس موضحاً فيه الغرض الفني وابرازه للطلبة ، ويكون له الدور الرئيس في تهيئة الجو الصالح في المدرسة من خلال مساهمته بالنشاط المدرسي العام ، والتعاون مع زملائه المدرسين .

اما فيما يتعلق بمظاهر السلوك غير المهمة في تقويم عمل مدرس التربية الفنية فقد اظهرت النتائج المعروضة في الجدول رقم (١) ان هناك (١٢) فقرة غير مهمة تشمل على مظاهر السلوك غير المرغوبة فقد اتفق افراد العينة من المدرسين والتدريسيين عليها وقد حصلت على نسبة اقل من (٥٠٪) من نسب استجابات افراد العينة حيث انحصرت نسب استجاباتهم مابين (٤٦٪ – ٢٦٪) وهي: تشجيع المدرس للطلبة على المنافسة الحرة ، واحترام تعبيرات بعضهم لبعض ، والتزام المدرس باللغة العربية السليمة في العرض والمناقشة وعدد النتائج الناجحة ذات القيمة الفنية والتي تفصح عن فردية الطالب ، وان تكون موضوعات الخطة متدرجة من حيث الصعوبة ومرتبطة مع بعضها . ويكون استعمال الوسائل التعليمية في الوقت المناسب لها ومراعاة الفروق الفردية بين الطلبة . ومواظبة المدرس على الحضور الى المدرسة في المواعيد المقررة . والعناية بالتحضير الكتابي من حيث صحته اللغوية . ومناسبة موضوعات الدرس لميول الطلبة ورغباتهم . ومناسبة هذه الموضوعات للبيئة المحلية للطلبة . ومراعاة المدرس لوقت الدرس وتقسيمه على خطوات على ان يكون ترتيب خطوات الدرس صحيحاً . وقد نوقشت هذه الفقرات كل في مجالها لبيان مايعتقده الباحث من اسباب جعلت افراد العينة على اعتبارها غير مهمة .

التوصيات :

بعد تحليل النتائج يمكن التوصل الى التوصيات التالية في حدود هذا البحث .

١ ــ لما كان المدرسون هم بناة صروح التقدم فيكون لزاما علينا ان نحسن اختيار من يريد ان يتخذ من التدريس مهنة له وحيث من المعروف ان اكاديميات الفنون الجميلة تجري اختبارا خاصاً لطلبة الذين يتقدمون للالتحاق بها لاختيار ذوي المقدرة والقابلية الفنية وتوجيههم الى ماينمي مواهبهم واستعدادهم (الرسم ــ المسرح... الخ) .

لهذا نرى من الضروري الا يهمل الجانب الاخر في قسم اعداد مدرسي التربية الفنية فيمن يختارون ليكونوا مدرسين من حيث الشخصية والمظهر العام والمقدرة على التعبير بوضوح عما يريد التعبير عنه وخلوه مما يثير السخرية عند التلاميذ او يقلل من قدرته كقائد وزعيم لهم وقدرته على ضبط النفس في المواقف الحرجة ومدى مايتمتع به من بداهة تسعفه حتى لايفلت منه الزمام الى غير ذلك من الصفات الواجب توافرها في المدرس اضافة الى الايمان والرضا عن المهنة التي يعد لها (٢٠ ص ٤٣٦ ــ ٤٣٨) .

٢ ــ اعادة النظر في مناهج قسم اعداد مدرسي التربية الفنية ، في اكاديميات الفنون الجميلة بحيث تكفل اعداد طلبة القسم اعدادا مهنياً وفنياً فالمتخرج منه ينبغي ان يمتلك ناصية المادة والطريقة اي يعد كفنان ومربي والجدير بالاشارة هنا . ان مناهج قسم اعداد مدرسي التربية الفنية لاتوجد فيها الموازنة بين المواد التي تكفل التكوين المهني والمواد التي تكفل التكوين المعرفي وان ظن البعض في مادة علم النفس وطرق التدريس العامة والتي هي في نظر بعض المسؤولين دون المواد الفنية قيمة بالاضافة الى عدد ساعاتها التي لاتتناسب ، واهميتها في الاعداد المهني. الكفاية في تكوين الاطارات التدريسية مهنيا فمرد ذلك الى ، جهل او تجاهل للاسس المعتمدة في الدول المتحضرة لاعداد اطاراتها التدريسية اعدادا مهنيا حقيقياً من اجل اضطلاعهم بمسؤولياتهم التربوية (٦ص ــ ٥٠) .

٣ ــ ان يكون من بين شروط تعيين عضو الهيئة التدريسية في الجامعة حصوله على ما يؤهله للقيام بمهنة التدريس اذا ماعرفنا (ان الدول المتحضرة التي تنبهت لخطر المهمة التي يقوم بها التدريسي تطالب من سيقوم بالتدريس في الجامعة بدراسة التربية وطرق التدريس مهما كانت مادة اختصاصه (١ ص ٣٨٣) .

فحرصنا على اخراج نماذج صالحة من المدرسين يتطلب ان نختار هذا المخرج اولاً .

٤ ـ اقامة الدورات التدريبية اثناء الخدمة للتدريسيين في الجامعة لكون التدريب اثناء الخدمة رافدا اساسيا في زيادة خبرات التدريسي ومهاراته واطلاعه على احدث مستجدات العصر والتقدم العلمي والتكنولوجي وخاصة فيما يتعلق بطرق التدريس واساليبها بما يمكن ان يعود بفوائد عظيمة على العملية التربوية .

٥ ـ اقامة الدورات التدريبية لمدرسي التربية الفنية في المدارس الثانوية بهدف نموهم مهنيا ورفع مستوى ادائهم وزيادة خبراتهم ومهاراتهم التعليمية باطلاعهم على ماطرأ من تقدم في محتوى التعليم وطرق التدريس واساليبها .

مصادر البحث

١ — البسيوني ، محمود الثقافة الفنية والتربية ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥

٢ — البسيوني ، محمود قضايا التربية الفنية ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩

٣ — البسيوني ، محمود اسس التربية الفنية ، ط ٤ ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢

٤ — البسيوني ، محمود طرق تعليم الفنون ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢

٥ — الشيخ ، يوسف محمود ، وجابر عبد الحميد جابر سيكولوجية الفروق الفردية القاهرة ، دار النهضة ، ١٩٦٤

٦ — السويسي ، رضا «طرق التدريس بالتعليم العالي بين التلقين والتواصل الألسني» ، مجلة اتحاد الجامعات العربية ، العدد ١٨ ، ١٩٨٢

٧ — البياتي ، عبد الجبار توفيق وزكريا زكي اناسيوس الاحصاء الوصفي والآستدلالي في التربية وعلم النفس ، بغداد ، مطبعة مؤسسة الثقافة العمالية ، ١٩٧٧

٨ — المنصور ، ابراهيم يوسف التصميم التجريبي والتحليل الاحصائي ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٧

٩ — القوصي ، عبد العزيز واخرون الاحصاء في التربية وعلم النفس، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٦

١٠ — آل ياسين ، محمد حسين ، مبادىء في طرق التدريس العامة ط ٤ ، بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر

١١ — جودي ، محمد حسين ، التربية الفنية واصولها ، النجف ، مطبعة الاداب ، ١٩٦٨

١٢ — جابر ، جابر عبد الحميد واحمد خيري كاظم مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، القاهرة ، دار النهضة ، ١٩٧٣

١٣ — حمدان ، محمد زياد ، الوسائل التعليمية مبادئها وتطبيقاتها ط ١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١

١٤ — ريد ، هربرت ، تربية الذوق الفني ، ترجمة يوسف ميخائيل اسعد ، بيروت دار النهضة العربية ، ١٩٧٥

١٥ – زكي ، لطفي محمد ، في مجال التربيه الفنية ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٧

١٦ – زريق ، معروف ، كيف تلقي درساً ، القاهرة ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٧٤

١٧ – عبد الحليم ، فتح الباب ، تقويم طريقة تدريس التربية الفنية ط ١ ، القاهرة ، علم الكتب ، ١٩٦٨

١٨ – عبد العزيز ، صالح ، التربية وطرق التدريس ج ٣ ط ٢ ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥

١٩ – عبد العزيز ، صالح ، وعبد العزيز عبد المجيد ، التربية وطرق التدريس ج ١ ط ١٢ ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦

٢٠ – عبد العزيز ، صالح . التربية الحديثة ج ٣ ط ٦ ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥

٢١ – عيسوي ، عبد الرحمن محمد ، القياس والتجريب في علم النفس ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤

٢٢ – عميرة ، ابراهيم بسيوني ، وفتحي الديب ، تدريس العلوم والتربية العلمية ط٦ القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٧

٢٣ – ميالاريه ، غاستون مدخل الى التربية ، ترجمة نسيم نصر ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٨٠

Adams, Glaria sachs. *Measurement and evaluation in Education Psychology and Guidance*. New York, HoliT. 1964

Ebel, Robert L. *Essentials of Educational Measurement*. 2Nd ed. Engle wood cliffs, N.J. prentic. Hall 1972

Guilfard, J.P. *Fundamental and statistics in psychology and education* 4Th ed, New york Mc Graw—Hill, 1956

ملحق رقم (١)

استفتاء

الاخ التدريسي

الأخ المدرس

يهمنا جميعاً تقويم طريقة تدريس مدرس التربية الفنية ورغبة منا في ان يتم هذا التقويم على خير وجه من قبل المقومين (المشرفون التربويون) وفقاً لاستمارة تقويم مدروسه ونحن نحاول القيام بدراسة تهدف الى تحسين هذا التقويم وجعله اكثر دقة وموضوعية عن طريق البحث عن اوجه النشاط الهامة التي يجب ان يقوم على اساسها المدرس وتكون موضع اعتبار عند الحكم على طريقته بمدى نجاحه في التدريس وقد حاولت هذه الدراسة كتابة اوجه النشاط في عبارات موجزة ضمنها هذا الاستفتاء ويهمنا كثيراً مساهمتك في ابداء رأيك في النشاط الذي تدل عليه كل عبارة من حيث اهميته في تقويم طريقة تدريس مدرس التربية الفنية مع التقدير

التعليمات : —

١ — امام كل عبارة مقياس مؤلف من ثلاث درجات تبين مقدار اهمية هذا النشاط الذي تدل عليه العبارة في تقويم طريقة تدريس المدرس ضع علامة (صح) تحت الدرجة التي تعبر عن رأيك بمقدار اهمية هذا النشاط . المقياس (مهم — غير مهم — لاادري)

٢ — في اخر ورقة الاستفتاء تجد فراغاً اكتب فيه اوجه السلوك التي تراها هامة ولازمة في تقويم طريقة تدريس المدرس ولكنها لم ترد ضمن فقرات الاستفتاء اكتبها ثم حدد درجة أهميتها بنفس الطريقة التي حددت بها درجات فقرات الاستفتاء

ت	فقرات الاستفتاء	مهم	غير مهم	لاأدري
١	أن يكون المدرس متزناً أثناء الدرس			
٢	ادارة المدرس للصف من حيث سيطرته على النظام			
٣	ينبغي أن تكون خطة الدرس واضحة الهدف العام والخاص			
٤	يجب ان تكون موضوعات خطة الدرس مؤدية إلى تحقيق الهدف من الدرس			
٥	ان تكون الموضوعات ذات مغزى تربوي ووطني وقومي بعيدة عن الجمود			
٦	ان تكون الموضوعات متسلسلة من حيث الصعوبة ومرتبطة مع بعضها			
٧	ان تكون الاعمار مناسبة لاعمار الطلبة والمرحلة الدراسية			
٨	ان تكون الموضوعات مناسبة للبيئة المحلية للطلبة			
٩	أن تكون الموضوعات مناسبة لميول الطلبة ورغباتهم وخبراتهم الفنية			
١٠	ان يكون التحضير الكتابي للخطة صحيحاً من حيث ترتيب ترتيب خطوات الدرس			
١١	ان يكون التحضير الكتابي معتنى به من حيث صحته اللغوية			
١٢	يجب ان يكون اختيار الخامات والادوات مناسباً لتحقيق الهدف الفني			
١٣	يجب تجريب الخامات والادوات لمعرفة خواصها وطرق معالجتها قبل دخول الصف			
١٤	تحضير الوسائل التعليمية المناسبة قبل بداية الدرس			
١٥	يجب ان يكون عرض الدرس موضحاً الغرض الفني وابرازه للطلبة			
١٦	أن مايقوله المدرس يجب أن يكون صحيحاً من الناحية الفنية والعلمية			
١٧	ينبغي أن يلتزم المدرس باللغة السليمة عند العرض والمناقشة			
١٨	يجب جذب انتباه الطلبة والبراعة في صياغة وتوجيه الاسئلة			

ت	فقرات الاستفتاء	مهم	غير مهم	لا أدري
١٩	تشجيع الطلبة على المشاركة وابداء آرائهم وحملهم على التفكير والشعور بالحرية اثناء التعبير			
٢٠	يجب ان يكون استعمال الوسائل التعليمية في الوقت المناسب لها			
٢١	مدى استفادة الطلبة من الوسائل التعليمية التي قام المدرس بتحضيرها			
٢٢	مدى مراعاة المدرس لوقت الدرس وتقسيمه على خطواته			
٢٣	قدرة المدرس على ادراك المشكلات الفردية للطلبة ومساعدتهم على حلها			
٢٤	قدرة المدرس على فرز النتائج ومعرفة محاسنها ومساوئها			
٢٥	مدى اهتمام المدرس باشراك الطلبة في مناقشة النتائج وابداء آرائهم وطريقة معالجتها			
٢٦	عدد النتائج الناجحة ذات القيمة الفنية والتي تفصح عن فردية الطالب			
٢٧	مدى مساهمة المدرس في النشاط المدرسي العام			
٢٨	مدى تعاون المدرس مع زملائه المدرسين			
٢٩	معاملة المدرس للطلبة داخل الصف وخارجه ومراعاته للفروق الفردية بينهم			
٣٠	مدى اهتمام المدرس بغرس المثل والقيم الاشتراكية بين الطلبة من خلال التخطيط للاعمال الجماعية الفنية .			
٣١	تشجيع المدرس للطلبة على المنافسة الحرة واحترام تعبيرات بعضهم لبعض			
٣٢	مواظبة المدرس على الحضور إلى المدرسة قبل المواعيد المقررة			

بعض ملامح النظام المالي في العراق القديم

د. طاهر موسى عبد   محفوظ صالح مخيبر
كلية الأدارة والاقتصاد
الجامعة المستنصرية

مقدمـــة :

لقد ظهرت أولى الحضارات البشرية في وادي الرافدين، وقد أحدث علم الآثار بكشفه عن المراحل التاريخية للتطور البشري انقلاباً مدهشاً جداً في مجال المعرفة الانسانية، وفتح ابواباً واسعة في تاريخ التقدم البشري وفي اتجاه الانسان ونظرته المتطورة إلى الحياة. أن ماعثر عليه المنقبون تحت التراب من حياة اعدد لايستهان به من الحضارات والشعوب والامم كانت مجهولة لدى العالم طيلة الحقب التاريخية الماضية، بل أن العالم يجهل حتى أسماء بعضها قد غير النظرة إلى التاريخ القديم في هذه المنطقة، حيث أن هذا الاكتشاف الهائل قد جعلنا نتعرف على تاريخنا السياسي والحضاري وتراثنا الثقافي بما فيه العلوم والفنون والآداب والمراحل والادوار التي استطاعت أن تمثلها على مسرح التاريخ الانساني. وقد هيأت هذه المعرفة بنشوء الحضارات وأسباب زوالها الفرصة لتسليط الضوء أمام المختصين في تحليل الانسان العراقي القديم العظيم صانع المعجزات وخالق هذه الحضارات والمعارف الانسانية والتراث عبر آلاف السنين .

---

(١) صموئيل كريمر « من الواح سومر » ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ١٩٥٦ ، طه باقر ، مقدمة المترجم ، ص ٦ .

مكتبتنا العربية

يقول السيد الرئيس صدام حسين : تؤكد الحضارة أو الحضارات العربية بشواهد لا تقبل الدحض أن الامة العربية قد حسبت أدق الصفحات والاحتمالات في كافة شؤون الحياة والعلم في الوقت الذي كانت جميع الامم تعيش في دياجير الظلام والتخلف.(١)

يعد السومريون المؤسسون الاوائل لاقدم الحضارات في وادي الرافدين قبل ٣٥٠٠ق.م فهم واضعوا المقومات الاساسية للحضارة، الا أنهم لم يحتكروا حضارتهم وتراثهم الثقافي على أنفسهم وانما نشروها لتمتد فتغطي منطقة الشروق الادنى وتستفيد منها الانسانية، ولتصبح فيما بعد مصدراً للثقافة وللمعرفة للانسانية في العالم أجمع، نرى أن على الامة رسالة انسانية تتمثل بمقدار ماتساهم به من دور في خدمة الانسانية في أي مكان في العالم ..(٢)

وقد برزت ملامح هذا التراث الحضاري (٣) من خلال :

— اختراع الكتابة المسماة «الكتابة المسمارية» .فكانت بمثابة اداة مثلى للتدوين ونقل الافكار والمعرفة الانسانية.

— الابداع في أسس العمارة والفنون والنظم السياسية والاجتماعبة .

— كانت آراوءهم في الديانة والمسائل الروحية والعقلية واضحة.

— كان نتاجهم الادبي أصيلاً وغالبه من الشعر، وتأثرت الحضارات اللاحقة به كالبابلية والآشورية... إلى حد بعيد، وقد ترشح جزء كبير منه إلى الحضارات المعاصرة.

يهدف هذا البحث إلى تحليل بعض جوانب النظام المالي في العراق القديم، ومقارنته بمثيله في العصر الحديث كلما أمكن ذلك، وفقاً للسياق الآتي . :

أولاً — دور الضرائب في التنمية

ثانياً — الضرائب في بلاد سومر

---

(١) صدام حسين « التراث العربي والمعاصرة » دار الحرية للطباعة ، بغداد حديث بتاريخ ١٩٧٧/١٢/١ ، حول كتابة التاريخ ، ص ٣٢ .

صدام حسين ، « المطلوب تضحيات اكثر ودقة في العمل » دار الحرية للطباعة بغداد ، بدون تاريخ ، ص ٧ .

(٢) صدام حسين ، « سياستنا تجسيد لحاضر الأمة ومستقبلها » منشورات دار الثورة ، بدون تاريخ ، ص ٧ .

(٣) صموئيل كريمر ، مقدمة المترجم ، ص ٩ .

ثالثاً — الشرائع العراقية القديمة

رابعاً — الادارة الماليـــة

خامساً — المحاسبـــة

سادساً — الرقابـــــة

سابعاً — كفاءة الاداء

خاتمـــــــــة

أولا : دور الضرائب في التنمية

ترتبط الضرائب بطبيعتها بالنظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي السائد في مجتمع معين في مرحلة تاريخية معينة، ذلك لانها نظام فني يمكن أن يخدم أهداف كل من الرأسمالية والاشتراكية، وهي من المرونة بحيث يمكن أن تشكل بما يخدم أهداف أي من النظامين، السياسية والاقتصادية والاجتماعية. (١)

فلقد شهد التطور التاريخي تغييراً بارزاً في اتجاهات السياسة الاقتصادية والاجتماعية في معظم دول العالم . فلم تقف الدول المتقدمة بما حققته من تقدم وانما استمرت على تطوير اقتصادياتها، مستخدمة أحدث الطرق العلمية والتكنولوجية وصولاً إلى تحسين كفاءتها الانتاجية لتحقيق معدلات مرتفعة من النمو الاقتصادي، وتجنب الازمات، فضلا عن محاولة تحقيق التوازن الاجتماعي، وتقليص الهوة في التفاوت في توزيع الثروات والدخول لتحقيق الرفاهية.

كما أنصب اهتمام الدول النامية بصورة عامة على تجاوز التخلف وتحقيق التنمية الاقتصادية المتوازنة السريعة، والارتفاع بمستوى المعيشة إلى الدرجة التي أحتلت فيه مسألة التنمية الاقتصادية أهمية بالغة .هذا بالاضافة إلى أن موضوع التنمية وتوزيع الدخل القومي قد اصبحتا مسألة اساسية بسبب انتشار الوعي السياسي من جهة وسوء توزيع الثروات والدخول من جهة أخـرى .

وما من شك أن هذه الاتجاهات قد انعكست بصورة واضحة على الادوات الحالية وكيفية استخدامها، وعلى الضرائب بوجه خاص على اعتبار انها (الضرائب) اداة رئيسية من أدوات السياسة المالية لتحقيق هذه الاغراض .

لقد آمنت النظرية التقليدية بتلقائية التوازن، وبذلك فقد نادت بأن ليس للنظرية دلالة اقتصادية أو إجتماعية وان يتحدد هدف السياسة الضريبية بالغرض المالي فقط دون أن تمتد إلى توزيع الدخل. وتتحدد إيراداتها لتغطية نفقات الدولة الضرورية.

غير أن زيادة الوعي السياسي للجمهور ومطالبته بتحقيق العدالة وتقليص التفاوت قد اضطر الدولة إلى التوسع في الخدمات العامة وبالتالي زيادة نفقاتها. هذا فضلاً عن الحروب وما ترتب عليها من زيادة في الانفاق سواء مايتعلق بالاستعداد لها أو لمعالجة آثارهـا.

(١) د. حكمت الحارس، السياسة المالية، وتطور النظام الضريبي في العراق، مطبعة وهدان، القاهرة ١٩٧٣ - ١٩٧٤ .

لقد فرضت الازمة الاقتصادية في عام ١٩٢٩ ضرورة تدخل الدولة إلى درجة أن أصبح هذا التدخل ضرورة حتمية لتحقيق الاستقرار والنمو المتوازن، فضلاً عن تأمين تحقيق التوازن الاجتماعي وتقليص حدة التفاوت في الدخول ...

وانطلاقاً من وحدة السياسة المالية فرضت الضرائب اهميتها كأحدى أدوات التدخل الاقتصادي والاجتماعي إلى جانب النفقات العامة لتحقيق التكامل والتناسق بينهما .

لقد انتقلت الضرائب من الضرائب النسبية والتناسبية إلى الضرائب التصاعدية، وممن نظام يعتمد اساساً على الضرائب غير المباشرة إلى آخر يعتمد على الضرائب المباشرة (على الدخل والثروة) مع الاحتفاظ بالضرائب غير المباشرة. أن الفكر المالي الحديث يشير إلى ضرورة استخدام الضرائب يشكل يؤدي إلى التأثير في الطلب وفقاً لطبيعة المرحلة الاقتصادية لكل قطر. أي تشجيع الاستهلاك وزيادة الاستثمار وتقليص حجم الضرائب على الدخول والارباح في حالة الكساد، وعلى العكس من ذلك في حالة التضخم.

كما يمكن أن تساهم الضرائب في اعادة توزيع الدخل القومي من خلال زيادة عبئها على الدخول المرتفعة وتخفيضها على الدخول الواطئة. حيث يتم ذلك بزيادة نسبة الضرائب المباشرة على مثيلتها غير المباشرة .

وتستخدم الضرائب في ظل النظام الرأسمالي لحل مشكلاته البنيانية الناشئة عن قصور الطلب الكلي عن مقابلة العرض الكلي . وتختلف من حيث الطبيعة والاهداف في ظل النظام الاشتراكي .حيث يقوم هذا النظام أساساً على تملك الدولة لوسائل الانتاج وبالتالي تستعمل جهاز الثمن لبيع السلع والخدمات باسعار تفوق كلفة انتاجها بحيث تستطيع توفير موارد لتمويل الانفاق . وتستخدم أدوات التأثير على الاستهلاك والانتاج بحيث يجعلها ذلك تستغني عن استعمال الضرائب في الرقابة والتوجيه .

أما في الدول النامية فتكتسب الضرائب أهمية خاصة : بالنظر لتباين بنيتها الاقتصادية وطبيعة المشكلات التي تواجهها . ذلك أنها تسعى الى محاولة تجاوز طوق الفقر من خلال تحسين استغلال فروع الانتاج القائمة والموارد المعطلة البشرية والطبيعية على وجه أفضل وصولا الى رفع مستوى المعيشة وزيادة متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي لتحقيق الرفاهية .

والواقع في أية مرحلة فأن أصلاح النظام الضريبي أمر يفرض ضرورته لتحقيق الاغراض المشار اليها وقد عرف العراق القديم الاصلاح الضريبي كأداة لتحقيق العدالة الاجتماعية ومن أجل أن نتعرف على طبيعة هذا النظام لابد من أن نعرف على هذه الاوضاع ، وكذلك طبيعة هذا النظام طبيعة الاعمال التي يمارسها السكان، ولنأخذ مثالا على ذلك أمارة (الجحش)

ثانياً ــ الضرائب في بلاد سومر :

تتألف امارة «لجش» وهي موطن السومريين من مجموعة من المدن الصغيرة المزدهرة التي تتجمع بكاملها حول مركز المدينة الديني وهو المعبد ، ويحكمها أمير يسمى في السومرية انسني (   ) الذي يعد ممثلا للاله الحامي .

ويعمل السكان بالزراعة ورعي الماشية والصيد والتجارة والصناعة . أما نظامهم الاقتصادي فيحمل بعض خصائص النظام الاشتراكي ،حيث يقع جزء من الاموال تحت سيطرة الدولة ، كما يملك الافراد الاموال والمشروعات. أما الارض فتعد ــ نظرياً ــ ملكا للاله ، أي المعبد (١) .

وقد فرضت الاوضاع السياسية والاقتصادية التي سادت في تلك الفترة على ملكهم الدخول في حرب طاحنة مدمرة مكنتهم من بسط سلطانهم على بعض الدول المجاورة ، غير ان عملية تمويل هذه الحرب قد وضعت الملك امام الحاجة الملحة الى الموارد المالية لبناء الجيش وتوفير السلاح مما اضطرهم الى اللجوء الى الضرائب على الثروة والاملاك باسعار مرتفعة كوسيلة من وسائل التمويل .

وكذلك السيطرة التامة على املاك المعبد التي تعد من الاموال العائدة للدولة ، فتم فرض أنواع متعددة من الضرائب (٢) بهدف تحقيق موارد مالية للدولة .

١ ــ فرض ناظر السفن ضريبة على السفن .

٢ ــ فرض ناظر الماشية ضريبة على الماشية ، بصرف النظر عن حجمها صغيراً كان أم كبيراً .

٣ ــ وفرض ناظر صيد الاسماك ضريبة على مصائد الاسماك (٣) .

٤ ــ وتفرض ضريبة مقدارها خمسة شيقلات (٤) على جز صوف الاغنام ذو اللون الابيض .

---

(١) يبدو ان النظام الاشتراكي قد عرفه العراقيين القدماء، حيث تعتبر مشروعات الري والمياه بصورة عامة من الامور التي تديرها الدولة لانها تهم مصلحة المجتمع(صموئيل كريمر ، المصدر السابق ، ص ١٠٦ — ١٠٧) .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(٣) يلاحظ ان بعض انواع الضرائب لم تحدد اسعارها .

(٤) صموئيل كريمر ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

٥ ـ وتفرض خمسة شيقلات على كل رجل يقوم بطلاق زوجته يدفعها الى الملك وشيقلا (١) واحداً الى الوزير .

٦ ـ ويدفع صانع العطور عن كل نوع من أنواع العطور يقوم بصناعته خمسة شيقلات الى «ايشاكو ـ الملك » وشيقلا واحداً للوزير ، وشقيلا أخر لناظر القصر .

ومن الملاحظ ان بعضا من هذه الضرائب تتشابه مع الضرائب السائدة في العصر الحديث فمثلا الفقرة (٦) أعلاه ماهي الا ضريبة على الانتاج بالرغم من ان العرف الاداري عندنا في العراق قد جرى على تسميتها «بالمكوس» كما أن الضرائب الجمركية قد سميت بالرسوم الجمركية في أغلب قوانين الضرائب في الاقطار العربية .

أما الضرائب الواردة في الفقرات (١، ٢، ٣) فتمثل رسوماً مقابل الخدمة التي تقدمها الدولة، وهي السماح لهؤلاء بممارسة مهنهم واعمالهم وكذلك الفقرة (٤) حيث يبدو ان أداة جز الصوف لايملكها سوى الملك . ولذلك فان ما يدفعه من يستفيد من استخدام هذه الالة يسمى في العصر الحديث «ثمناً عاماً» (٢) .

ولم يكتف الأمراء بذلك ، وانما قاموا بمصادرة أملاك المعبد وامواله واستخدام حيواناته لحرث ارضه واستولى على أفضل حقول الاله وقاموا بزراعتها بالمحصولات الزراعية المختلفة مما شجع موظفي المعبد الكبار فاستولوا بدورهم على الحيوانات والغلات الزراعية العائدة للمواطنين (٣) .

كما تفرض ضريبة على دفن الميت ، حيث يقوم بدفنه ذويه وهي مقدار من الشعير والخبز والجعة والمؤن والتجهيزات المختلفة (٤) . واذا كان هذا النوع من الضرائب يمثل ضرائب عينية بدورها ، فان المقابر ـ كما يبدو ـ تعد من الاموال العامة العائدة للدولة ، لذلك فان ما يدفعه المكلفون يمثل رسوماً كمقابل للسماح الممنوح لذوي المتوفي بدفنه في المقبرة التي هي ملك الدولة . وتمثل ايرادا ينفق على صيانة المقبرة .

امام هذه الاوضاع وانتشار جباة الضرائب في المناطق المختلفة للدولة لا غرو ان تتضخم ثروات الامير وتتضاعف امواله إلى الدرجة التي اصبحت معها تشكل ثروة كبيرة (٥)

(١) الشيقل ـ نقد متداول عند البابليين وهو يعادل ١ : ٦ من (المنا) .

(٢) صموئيل كريمر ـ المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

ومما اكد هذه الحقيقة هـو ما ورد على لسان مؤرخ سومري قوله (١) . « بيوت آل الامراء وحقولهم وبيوت حرم (سيدات) القصر وحقول حرم القصر وبيوت اطفال القصر وحقول اطفال القصر كان يتاخم احدها الاخر بعضها إلى جانب بعض ». في ظل هذه الظروف العصيبة شعر سكان لجش بالحيف والظلم الواقع عليهم من جراء ضغط الضرائب (٢) فثاروا وانتقل الحكم من لجش عن طريق الانقلاب العسكري الى أوروانمكينا صاحب الاصلاحات المشهورة ، الذي سعى حثيثا نحو استعادة النظام واحترام القانون ومنح المواطنين الحرية . وقد سبقت اصلاحات أوروانمكينا القوانين المدونة المعروفة من حيث القدم (٣) .

(١) المصدر السابق ص ١١٠ .

(٢) يشير اغلب الباحثين في تاريخ الضرائب إلى ان هذا التاريخ غني بالصراع الناشيء من الضرائب فلقد كان النظام الضريبي عاملا رئيسيا من عوامل انهيار الامبراطورية الرومانية . كما ان اعفاء طبقتي النبلاء ورجال الدين من فرنسا كان سببا اساسيا لانفجار الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ . وخسرت المانيا الحرب العالمية الأولى بسبب فشل جهازها المالي في مراقبة الاستهلاك المدني لصالح تمويل الحرب . كذلك الصراع البريطاني وعدم تحقق التوازن بين مجلسي الواردات والعموم في عام ١٩١١ كان سببه الاساس ذو علاقة بالضرائب ، كما ان انفصال امريكا وحصولها على الاستقلال كان سببه الصراع بين بريطانيا وامريكا حول احقية البرلمان البريطاني في فرض الضرائب ورفض الاخيرة واصرارها على ان هذا الحق من اختصاصها وكانت نتيجة الصراع ظهور الولايات المتحدة الامريكية . انظر : د. محمد عبدالله العربي ، اصول علم المالية والتشريع المالي ، ط ٢ ، الاسكندرية ١٩٥٣ ، ص ٨ – ٩ .
د. عبدالعال الصكبان ، الضرائب على التركات ، الاتحاد الاشتراكي العربي ، دار مطابع الشرق ، ١٩٦٣ ، ص ٢٨ .
U. Hicks, Public finance, London, London, 1971, p.10.
J.Rivoli, Vive L 'impot, ed. Seuil, 1965, p. 10.
T.Abid, Recherche sur les impots laucaux en droit Francais et droit Irakiens, L 'exemple de la Contribution Fonciere, These, Nine 1977, p. 65

(٣) والحقيقة ان الدوافع التي دفعت اوروانمكينا إلى القيام بهذه الاصلاحات غير معروفة اللهم ما ورد في الاسباب الموجبة التي وردت في نصوص تلك الاصلاحات ومنها العودة إلى القوانين القديمة العادلة وانه فعل ذلك بامر من الاله ننكرسو اله دولة لجش .

ومن ضمن الاصلاحات التي قام بها أورانمكينا في هذا المجال هي أنه الغى الضرائب التي كانت تفرض على السفن والماشية وصيد الاسماك وجز الصوف الابيض ؛ وتلك التي تفرض على من يطلق زوجته ، والضرائب المفروضة على صناعة العطور ، كما خفض الضريبة المفروضة على دفن الموتى الى النصف ، واشاع أحترام الاموال العامة ، وصرف جباة الضرائب الى درجة لم يعد هناك جاب للضرائب . وبذلك يكون هذا أول أصلاح ضريبي في التاريخ تحقق في العراق القديم . ومن جهة أخرى أزال أوركاجينا المظالم والاستغلال المفروض على الفقراء وطارد المرابين واللصوص والقتلة (١) . وكذلك اشاع النظام واحترام القانون . وقام برعاية الايتام والمعوزين وتحقيق العدل في البلاد . غير أن حكمه لم يدم أكثر من ثمانية أعوام .

لاشك أن الوصول الى طبيعة الضرائب التي كانت تفرض في العراق القديم من حيث أنواعها واسعارها تتطلب عرض تحليل نصوص الشرائع المتعلقة بموضوع الضرائب نفسها وشرحها والتعليق عليها . وهو موضوع الفقرة الاتية .

ثالثاً — الشرائع العراقية القديمة

١ — شريعة اورنمو

بالرغم من أن هذه الشريعة من أقدم الشرائع (٢١١١ ق . م) ، الا أن المواد المكتشفة منها لاتتضمن أي اشارة للضرائب . ولما كانت أحداث أوروانمكينا سابقة لها ، فاغلب الظن أن الحضارة السابقة تترشح في الحضارة اللاحقة. وحيث تضمنت أحداث أورانمكينا أشارة صريحة الى الاصلاح الضريبي الاول في التاريخ البشري ، لذلك يكون أغلب الظن أن شريعة أورنمو حاوية على المواد التي تتناول الامور المالية ولكنها غير مكتشفة لحد الان .

٢ — شريعة لبت عشتار : (٢٠١٧ — ١٧٩٤ ق .م) :

نصت المادة الثامنة عشرة من هذه الشريعة على مايأتي :

«إذا مالك العقار أو مالكة قد تغيب ولم يدفع ضريبة العقار وتحملها (أي الضريبة) شخص غريب لمدة ثلاث سنوات ، ولم يحدث أن جرد المالك الحقيقي من الملكية خلالها.

---

(١) صموئيل كريمر ، المصدر السابق ، ص ١١٠ — ١١٢ .
د. ادور غالي الذهبي ، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ، المكتبة الوطنية ، ط ١ ، ١٩٧٦ ، ص ٩٩ .

بعد ذلك(أي بعد مرور الثلاث سنوات) يمتلك العقار الرجل الذي دفع الضريبة ولا يحق للمالك الحقيقي اقامة الدعوى ضده .

وبالرغم من أن المادة التاسعة عشرة ناقصة كلياً،الا أن كل ما تبقى منها يشير الى علاقته، بالمادة الثامنة عشرة .

ويبدو أن الضريبة في هذه الشريعة سبب من أسباب كسب الملكية (١) في العراق القديم ،بحيث أن المكلف بدفع الضريبة هو واضع اليد ، اذ يبدو أنه المالك الظاهر . وهذا مانص عليه التشريع الضريبي الحالي في العراق ، حيث أعتبر واضع اليد على العقار ،مكلفاً بدفع الضريبة المفروضة عليه (٢) .

٣ ـ شريعة اشنونا :

ن ت المادة الأولى من هذه الشريعة على ما يأتي :

« كور شعير واحد (سعره) شيقل واحد من الفضة .

٣ « قا» زيت نقي (سعره) شيقل واحد من الفضة .

١ « سوت» و ٢ « قا» من زيت السمسم (سعره) شيقل واحد من الفضة .

١ « سوت» و٢ « قا» من شحم الخنزير (سعره) شيقل واحد من الفضة .

٤ « سوت» من زيت النهر (سعره) شيقل من الفضة .

٦ « منا» من الصوف (سعره) شيقل واحد من الفضة .

٢ « كور» من ملح الطعام (سعره) شيقل واحد من الفضة .

١ «كور» من (حب الهال = هيل) (سعره شيقل واحد من الفضة .

٣ «منا» من النحاس (سعره) شيقل واحد من الفضة .

٢ « منا» من النحاس المصفى (سعره) شيقل واحد من الفضة .

اما المادة الثانية فقد قالت :

١ « قا» من زيت السمسم من نوع « نسخاتم» (سعره) حبا ٣ «سوت» من الشعير

١ «قا» من شحم الخنزير من نوع « نسخاتم» (سعره) حبا ٢ « سوت» و٥ «قا» من الشعير.

١ «قا» من زيت النهر من نوع «نسخاتم» (سعره) حبا ٨ «قا» من الشعير .

---

(١) يشير د. صبيح مسكوني ان من اسباب كسب الملكية في العراق القديم هو الاستيلاء، انظر كتابه « تاريخ القانون العراقي القديم » بغداد ، مطبعة شفيق ، ط ١ ، ١٩٧١ ص ٢٧٤ .

(٢) انظر على سبيل المثال :
المادة الحادية عشرة من قانون ضريبة العقار رقم ١٦٢ لسنة ١٩٥٩ المعدل .

غيـر أن الدكتور فوزي رشيد (١) قد اشار عند تعليقه على هاتين المادتين انهمـــان خاصتان بتحديد الاسعار ، في حين ان المادة الأولى تختلف تماما عن المادة الثانية اعلاه من حيث المحتوى والمدلول ،فاذا فرضنا ان المادة الاولى خاصة بتحديد الاسعار فعلاً،فان المادة الثانية تتناول الضريبة بالتأكيد ، يؤكد هذا الرأي ما ذهب اليه الدكتور فوزي رشيد في (٢) الطبعة الأخيرة من كتابه حيث اشار إلى ان نسخاتم معناه ضريبة القصر .

اما المادة الأولى ، فنعتقد ان الاسعار الواردة فيها تمثل اسعار للضريبة . لان نظام التسعير بالصورة التي اشار اليها الدكتور فوزي لم يكن معروفا لا في الشرائع السابقة لهذه الشريعة ، ولا في الشرائع اللاحقة لها من جهة ، كما ان هناك ازدواج ضريبي حيث تفرض وتدفع ضريبة للمعبد من جهة ، واخرى لقصر الملك من جهة اخرى . وقد رأينا ذلك في الاصلاح الضريبي الذي قام به الملك اوركاجينا.

٤ ـ شريعة حمورابي : ١٨٩٥ ـ ١٥٩٤ ق . م

تعتبر شريعة حمورابي انعطافا تاريخيا مهما في العراق القديم حيث اعتبرت هـذه الشريعة بحق محتوا وتنظيماً من ارقى ما وصل اليه العقل العراقي من التقدم والرقي في تلك الفترة ، حيث ساد احترام الناس للقانون والنظام والعدل ، وقد كتبت على مسلـة كبيرة من حجر الدايوريت الأسود، طولها ٢٢٥ سم وقطرها ٦٠ سم وبشكل اسطواني، وباللغة البابلية (السامية) وتحتوي على ٢٨٢ مادة .

لقد عالجت المواد من (٤١ ـ ز) مسألة الحقل والبيت والبستان .....ونعتقد أن سبب تنظيمها بهذا الشكل يعود إلى رغبة المشرع لتعيين المكلف بدفع الضريبة، حيث أن المكلف بدفع ضريبة العقار ـ كما رأينا ـ في شريعة اشنونا وهي السابقة لشريعة حمورابي هو شاغل العقار نفسه، وفي هذه الحالة فان المستأجر وحكمه حكم واضع اليد. وكذلك الحال بالنسبة إلى شريعة حمورابي حيث نظمت المواد اعلاه كيفية اكتساب ملكية العقار، وبالتالي عملية التكليف بالضريبـــــة .

أن الدكتور فوزي (٣) قـد أشار إلى أن شريعة حمورابي ماهي الا جمع منقح للشرائع السابقة لها مضيفاً إلى شريعته مواداً جديدة اقتضتها مصلحة الدولة ،كما يؤيد هذا الرأي بعض

(١و٣) د. فوزي رشيد « الشرائع العراقية القديمة » وزارة الاعلام ، مطبعة دار الحرية للطباعة بغداد ـ ١٩٧٩ ـ ص ٧٢ .

(٢) د. فوزي رشيد ، المصدر السابق ـ ص ١٠٧ .

الاثار المكتشفة في حوالي سنة ١٤٦٥–١١٧٦ لمواد قانونية بابلية أو كاشبه والتي نصت:
المادة (٥) :

«(دفع) الحبوب من أجل ضريبة الغلة ،ودفع الحبوب من أجل نصف ضريبة مدينة سوخوم قد أرسلت ، لان الملك قد وطد النظام للبلاد وأنه سوف لايجمعها، وسوف لا يستدعي للمحكمة جنود مدينة سوخوم من أجل ضريببة دورهـــم» .

المـــادة (٦) :

«ان الجابي سوف لا يستدعي للمحكمة فلاحاً (قروياً) أو صانعة بيرة ممن دفع حبوب البيرة والفصل بالوزن إلى القصر كضريبة ،لان الملك قد وطد النظام للبلاد» .

وواضح من هاتين المادتين أن مشرعهما قد تأثر إلى حد بعيد بالشرائع السابقة .

وقد كان الملك يستقبل دافعي الضرائب (المكلفون) الذين يأتون باعداد كبيرة من أنحاء الامبراطورية. ويكون استقباله لهم بحضرة السفراء بقصد اخافة الاخرين من سطوته. ويحمل هؤلاء المكلفون إلى الملك الهدايا والجزية من أمثال الاواني المصنوعة من المعـادن الثمينة والمزينة بالنقوش الفاخرة وخشب الابنوس والمجوهرات واحياناً عربات وخيـولا . أما جزية لبنان وسوريا فقد كانت تمثل الخشب من شجر الارز والصنوبر التي يحمله المكلفون إلى الملك خاصة ، وان المملكة بحاجة إلى الخشب لعملية البناء واقامة السقوف (١) .

رابعاً : الادارة المالية :

يبدوا أن مزرعة المعبد قد تطورت فتحولت إلى ملكية للدولة الذي مثلها الحاكم في باديء الامر، ثم مثلها الملك بعدئـــذ .

يمثل المعبد مركز الحياة المالية والاقتصادية في البلاد، ويمتلك أموالاً عقارية ومنقولة كبيرة. ويقدم الولاة الذين يعينهم الملك كميات محددة من الغلة والمواشي تمثل ضرائب، وتسلم هذه الضرائب بشكل عيني حيث لم تكن النقود سائدة في ذلك الوقت،وتوضع هذه الاموال في الخزائن الخاصة بالمعابد، كما كان المعبد يقبل التبرعات والهبات أو ما يخصص له من حاصلات ومواشي نفيسة (٢). ويقوم المسؤول عن الشؤون المالية بانفاق

(١) جورج كونتينو « الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور » ، وزارة الاعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٩ ، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ،ص ٢٤٦ – ٢٤٩ .

(٢) د. صبيح مسكوني ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

هذه الايرادات على الخدمات العامة . (١) فيعتبر المعبد في هذه الحالة بمثابة بيت المال، تدفع له هذه الاموال باعتبارها واجباً على المكلفين أن يدفعوه إلى الالهة، وعندئذٍ يجري تنفيذ النفقات .

أما الملك فله بيت مال خاص به. ويطلق على الجابي الذي يقوم بجباية الضرائب التي يحصل لحسابه اسم (المعكيزو) وتعتبر امواله اموال المعابد أو الخاصة من الاموال المقدسة لا يجوز الاعتداء عليها لانها تمثل مركز للخدمات الاجتماعية (٢) .

وفي عصر سلالة «أور» الثالثة، فان حكام المقاطعات يقومون بدور الوسيط بين المكلفين في المقاطعات وبين السلطة المركزية. حيث يقوم هؤلاء الوسطاء بدفع كمية من الضرائب إلى السلطة المركزية ثم يستردونها من المكلفين في المقاطعـــة .

أما عملية دفع الضريبة فقد أوضحت لنا التنقيبات أنواع الضرائب التي فرضت على الاراضي في العصر الكشي، كما أوضحت أن تحصيل الضريبة قد جرى بالمعادن في العصر الآشوري (٣) .

وهكذا نرى أن العراقيين القدماء قد عرفوا النظام المالي الدقيق ومايشمله من عمليات الانفاق وتحصيل انواع الايرادات .

يعتبر هذا النظام متطور مقارنة بالانظمة اللاحقة والحاليـــة.

خامساً — المحاسبة :

لقد فرض التطور المالي والاقتصادي وتوسع دور الدولة التدخلي العناية بتطوير العمل الحسابي وتنظيم الاجهزة الحسابية على اعتبار أن المحاسبة تمثل الجانب التطبيقي للعمليات الايرادية والانفاقية التي تقوم بها الدولة بما فيها المشروعات الاقتصادية . اذ أن تضخـم ميزانية الدولة بعنصريها — الايرادات والنفقات — وتوسع نطاق القطاع الاشتراكي في المجال الاقتصادي واعتماد أسلوب التخطيط الاقتصادي واستخدام السياسة المالية، كأداة لتحقيق الاهداف الاقتصادية يستلزم بالضرورة مزيداً من العناية والاهتمام بالنظام

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٢) ديلايورث ، بلاد ما بين النهرين ، ص ١٦٢ .

(٣) فرضت ضريبة مقدارها (١٠٠٠) وحدة على مدينة كروكيش الواقعة على الفرات ، ١٠ وحدات على مدينة ميجيدو في فلسطين ، ٣٠ وحدة على نينوى ، ٢٠ وحدة مقاطعة آشور (انظر كونتينيو ، المصدر السابق — ص ٣٠٣ — ٣٠٤) .

المحاسبي للدولة وتركيزاً أقوى على الجانب التطبيقي الا وهو المحاسبة . اذ أن ضعف الاجهزة المحاسبية وعدم الاهتمام بالدقة في العمل الحسابي من شأنه أن يعيق تنفيذ الخطط الاقتصادية والمالية ، ويؤدي بالتالي الى أضعاف الرقابة المالية .

وتتطلب العناية بالمحاسبة علاوة على الدراسة النظرية لمبادئها الاحاطة التامة بقواعدها العملية وبخاصة تلك المتعلقة بانواع الحسابات والسجلات والمستندات .

وتقدم المحاسبة فكرة واضحة عن أهميتها في التخطيط المالي وبخاصة فيما يتعلق باعداد وتنفيذ ميزانية الدولة التي تمثل منهاجاً سنوياً للانفاق والجباية .

وبالرغم مما بلغه علم المحاسبة من تقدم واسع فأن العراقيين القدماء لم يتخلفوا في هذا المضمار .

وما من شك أن هذه العمليات تقتضي نوعا من التنظيم الحسابي بحيث يتم تحديد الايرادات العامة وما يتطلبه هذا الامر من أجراءات حسابية دقيقة كمسك سجلات واستخدام موظفين والاحتفاظ بالوثائق ، ويدل هذا على دقة العراقيين القدماء في تنظيم الامور المالية للدولة ، وقد تم العثور على حسابات منتظمة تتضمن قوائم النفقات الشهرية وسجلات عن كميات الشعير المسحوبة من المخازن وعدد الافراد العاملين في ضيعة الاله من ذكور واناث. كما حددت هذه القوائم الحصص المدفوعة مقدماً الى الوسطاء والصيادين وعدد عربات الاله ، وتفصيلات أخرى عن الحيوانات (١) .

كما أن هناك كشوفات خرائطية للحقول تعين مساحتها وخصائصها ومقدار ماتحتاجه من البذور ،وقوائم بموجودات الدولة بما فيها الخام والجاهزة التي تحفظ في مخازن معينة وكذلك قوائم بانواع الماشية وهكذا نجد أن العراقيين قد وضعوا نظاماً محاسبيا دقيقياً يشتمل على مختلف فروع المحاسبة في العصر الحديث بدءاً بتحديد حجم الانفاق أو الايراد وانتهاءاً باستخدام هذا النظام كوسيلة من وسائل الرقابة بانواعها المختلفة بما فيها الرقابة على كفاءة الاداء .

---

(١) د.صبيح مسكوني، المصدر السابق، ص ١٣٩ — ١٤٠

سادساً : الرقابة :

تهدف هذه المرحلة الى التأكد من تنفيذ التعليمات المتعلقة بالاموال العامة . وان عملية التنفيذ قد تمت وفقاً لما أقرته سياسة الدولة ، وبصفة خاصة ان الاعتمادات التي أقرتها السلطة قد تحقق فعلا استخدامها لتحقيق الاهداف التي خصصت لها .وغير خاف أن الهدف من الرقابة على عمليات الانفاق والايراد هو لضمان تحقيقه لاقصى حد من المنافع للمجتمع. إذ لاشك أن أية مشكلة أقتصادية تخضع في دراستها الى منهجية التحليل الاقتصادي والمالي من جهة ، كما تعد مشكلة سياسية ،حيث يضمن للسلطة العليا في البلاد مراقبة قيام الجهاز التنفيذي بما الوكل له من مهام على الوجه الاكمل .

وقد شملت الرقابة المشروعات الاقتصادية على اختلاف أنواعها حيث كانت أدارية واقتصادية في آن واحد .

لقد وضع العراقيين القدماء نظاماً للرقابة حري بنا أن نتأمله ونتمعن فيه ، حيث يبدو من خلال ذلك ،ان الانسان العراقي الذي عاش قبل ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد عظيماً ومبدعاً، وكم كانت امكاناته الذهنية تتحدى الزمن .

واذا كان ماسبق أن ذكرناه عن (المحاسبة) يمثل جزءاً رئيسياً من الرقابة على الامـوال العامة ، فنسوق هنا بعض الامثلة على الرقابة المثلى التي مارسها هذا العراقي .

فقد أدت فكرة تشكيل وحدة أقتصادية موحدة ومركزة يديرها مركز مالي واحد الى ايجاد نظام مركزي يقوم بمهمة الاشراف والمحاسبة والرقابة على الانواع المختلفة للانفاق العام والايراد العام .

وكانت عملية الانتاج تخضع لمحاسبة ومراقبة واشراف دقيقين ؛فمثلا اذا قام العمال بتسليم مواد خام من الصوف لاتمام عملية صناعة نسيجية ، فان الموظف الذي أوكلت له مهمة الرقابة يقوم بحساب كمية الصوف للمستهلك وعدد الايام التي انفقها العامل في صناعة النسيج . أما في الوحدات الانتاجية فيقوم بالاشراف أحد الوكلاء وتكون رقابته صارمة الى درجة انه يقوم بتدقيق جدرى العمل الاقتصادي مرة أو عدة مرات في الشهر ، كما عليه أن يقدم تقايراً عن صرف المواد المستخدمة ومقدار المواد التي تم صنعها .

سابعـاً : كفاءة الاداء

اذا كانت كفاءة الاداء هي مدى قدرة الفرد وطاقته وطريقة ادائه تبعاً لطبيعة واجبات العمل ومسؤوليته ، فهي تكشف امكانية الاعتماد عليه في تقديمه إلى اعمال اوسع واكبر. وما من شك ان القدرات الفكرية والجسدية للانسان واستعداده تلعب دورا فعالا في تحديد هذه الكفاءة .

وتعد عملية تقييم اداء الانسان عند ادائه عمل معين من اهم مرتكزات ادارة الافراد، خاصة وان ادارة الافراد تعتمد على نتائج تقييم اداء الفرد ، لذلك فان حسن اداء المؤسسة بوجه عام يعتمد على تحسين اداء افرادها . والعكس صحيح ، اذ ان سوء اداء الفرد يعكس نتائج سلبية على عمل المؤسسة ويؤخر بلوغها في تحقيق اهدافه .

ان تقدير كفاءة العامل تعين تحليل وفهم وتقييم ادائه خلال مدة محددة من الزمن، وهذا يستلزم الوقوف على قدراته وسلوكه ومرتبة فهمه لعمله ومستوى ادائه الفني والعملي وقياس درجة صلاحيته في انجاز العمل المناط به ، اي ان تقدير الكفاءة يعكس التقدير الموضوعي لنوع الانجاز الذي قدمه العامل وحجمه ومقارنتها بالمعدلات الموضوعة والمستهدفة نوعا وكما (١) .

تمثل عملية تقدير كفاءة الفرد عملية ادارية مستمرة ودائمة وترافق حياة العامل ، فتتم تقدير كفاءة الفرد العامل عند ترشيحه إلى عمل آخر او عند النظر في زيادة اجرته او مكافأته او ترقيته .

وطالما أن تقدير الكفاءة عملية موضوعية فهي تتطلب تحديد مستويات أو معدلات الاداء، وبالتالي استخدام اسلوب علمي لبلوغ تحديد نوعية العمل المطلوب انجازه وحجمه والزمن اللازم الذي يتم خلاله، وطبيعة النتائج المتوخاة ونوعهـا.

كما يمثل معدل الاداء مصدراً مهما يقاس على أساسه مدى قيام العامل بعمله من جهة، كما يحدد كمية الانتاج المطلوب تقديمها في فترة زمنية معينة.ولهذا فهو طريقة مثلى لربط الانتاج بالزمن من حيث الكمية.

غير أن مقاييس الاداء ليست متماثلة ،فهي تعتمد على الارقام أو عدد الوحدات التي ينبغي انتاجها أو تكون نوعية أو كيفية. اذ تعتمد على الجودة والكيـف .

(١) د. فؤاد محمد القاضي ، نظم قياس كفاءة الاداء في الاجهزة والهيئات الحكومية ، مجلة التنمية الادارية ، اكتوبر ، بغداد ١٩٧٩ ..

وفي الطرق القديمة ينظم الموظفون المسؤولون عن ادارة المخازن سجلات خاصة يسجل فيها الكميات التي يسلمونها إلى الوكلاء التجاريين والرعاة، مراقبو فرق العمل، وما يتسلمونه إلى هذه المخازن من أدوات ومواد. كما يسجلون مقدار العمل الذي تم انجازه خلال الوقت المحدد له ونفقات ذلك اليوم، ثم ينظمون تقارير سنوية استناداً إلى هذه المعلومات المدونة في السجلات كما أن على مراقبي فرق العمل أن يقدموا تقارير سنوية عن عملية تشغيل العمال الدائمين والمؤقتين وايام العمل الفعلية. ويلزم الفلاحون أن يقدموا أيضاً معلومات عن وضع الحيوانات الموضوعة تحت تصرفهم لاغراض العمل.

لقد سبق العراقيون غيرهم من الامم الاخرى على وضع معايير لقياس كفاءة الاداء وتحديد مستواها لوضع المؤشرات اللازمة التي تعكس مدى دقة الاداء ونجاحه وإبتكار الاسس العملية لاتمام هذه العملية. اذ بعد ٥٠٠٠ سنة تبرز مسألة قياس كفاءة الاداء والتعرض لمعايير تحديدها كمسألة هامة في عملية الانتاج وترد الدعوات بين الحين والاخر باتخاذ المعيار الذي قال به العراقيون القدماء كمقياس لكفاءة الاداء.

خاتمـة :

كان الانسان العراقي سباقاً في تنظيم السياق العلمي، فهو أول مبدع في مجال اكتشاف الكتابة والنظم السياسية والاجتماعية والمالية. واول مبدع في الادب والشعر والفن. وقد رأينا أيضاً كيف أنه كان مبدعاً في التشريع ، هذا التراكم الحضاري الرائع له الفضـل الأكبر والتأثير المباشر في الحضارات الاخرى حيث ترشحت حضارته واستفادت منها حضارات الانسانيـة الاخـرى .

المصادر العربية :

١ — د. ادوارد غالي الذهبي ، «تاريخ النظم القانونية والاجتماعية » المكتبة الوطنية ط ١ ، ١٩٧٦ .

٢ — جورج كونتينو، « الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور » وزارة الاعلام دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٩» ترجمة طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي .

٣ — د.حكمت الحارس، السياسية المالية، وتطور النظام الضريبي في العراق » مطبعة وهدان، القاهرة ١٩٧٣ — ١٩٧٤ .

٤ — ديلايورث، « مابين النهرين».

٥ — صدام حسين «سياستنا تجسيد لحاضر الامة ومستقبلها» منشورات دار الثورة، بدون تاريخ .

٦ — صموئيل كريمر، من الواح سومر، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ١٩٥٦، ترجمة طه باقر .

٧ — د. صبيح مسكوني، « تاريخ القانون العراقي القديم» مطبعة شفيق ط١ ،بغداد١٩٧١

٨ — طه باقر، « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١، دار الثقافة ودار البيان بيروت ١٩٧٣ .

٩ — د. عبد العال الصكبان، « الضرائب على التركات،» الاتحاد الاشتراكي العربي، دار مطابع الشرق، ١٩٦٣ .

١٠ — د. فوزي رشيد، « الشرائع العراقية القديمة» ،وزارة الاعلام ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٩ .

١١ — د. فؤاد محمد القاضي، « نظم قياس كفاءة الاداء في الاجهزة والهيئات الحكومية مجلة التنمية الادارية ،بغداد أكتوبر ١٩٧٩ .

١٢ — قانون ضريبة العقار رقم ٩٦٢ لسنة ١٩٥٩ المعدل .

١٣ — د. محمد عبدالله العربي، « أصول علم المالية والتشريع المالي» ط٢ ، الاسكندرية ١٩٥٣ .

المصادر الاجنبية :

U. Hicks, Public Finance, London, 1971
J. Rivoli, Vive L 'impot, ed. Seuil, 1965
T. Abid, Recherche sur les impots Laucaux endroit Transcais et droit Irakiens, L 'exemple de la contribution Fonciere These, Nice, 1977

تقنية المعلومات
وتأثيرها على تطور المكتبات

Information Technology and its
Influence on Libraries
Devclopment

ظافر عبدالقادر عبد الجبار
كلية الآداب / جامعة بغداد

مقدمة عامة :

ان علاقة الانسان بوسائل الاتصال والتعبير عن الأفكار علاقة قديمة ووثيقة وتعود إلى المراحل الأولى من تطور الانسان الحضاري . فقد استخدم الانسان صوته كوسيلة للتعبير عن افكاره وكطريقة للتفاهم مع اخيه الانسان وبتعلمه الكتابة بدأ يرسم النقوش الصورية المختلفة واعتمدها كوسيلة للتخاطب وايصال المعلومات (١) وهذه الرسوم والنقوش اضافة إلى الكتابات والوثائق والآثار الشاخصة والمندرسة هي التي حفظت المعلومات التأريخية ونقلتها .

ونتيجة للتطور الحضاري فقد تطورت هذه الوسائل واصبحت تستخدم كوسيلة فعالة في التعليم والتربية والاعلام الجماهيري . ومما زاد من اهميتها التطور التكنلوجي وظهور التقنيات الحديثة مما ساعدت في ادخال المعلومات كعنصر اساسي في انجاز جميع الأعمال اليومية للانسان المعاصر .

ونتيجة لازدياد اهمية المعلومات منذ الحرب العالمية الثانية ، فقد تركزت الجهود على البحث عن طرق بديلة لتنظيمها بالشكل الذي يتيح استرجاعها بسرعة فائقة وبالكمية والنوعية المطلوبة وقد تسبب في تكييف هذه الجهود عوامل منها : —

١ ــ انفجار المعلومـات :

وهذا يعني الزيادة الهائلة في كمية المعلومات اضافة إلى تداخل المعلومات لارتباط العلوم فيما بينها مما ادى إلى عجز الفرد او المنظمة في استرجاع المعلومات بالطرق التقليدية.

٢ ــ العنصر الزمنـي :

وهذا يعني الحصول على المعلومات بشكل سريع ومنظم حسب الحاجات الملحة في وقت معين في عمليات صنع القرارات حيث يكون العنصر الزمني ذو أهمية خاصة .

٣ ــ المعلومات ذات الصيغة العالمية :

وهذا يعني اهتمام الانسان المعاصر بعمليات التبادل الاقتصادي والثقافي وتزايد طلب المعلومات في هذه المجالات لتشمل العالم كله .

٤ ــ تعدد مصادر المعلومات :

وهذا يعني ان المعلومات موزعة ومشتتة في اماكن عديدة او مصادر كثيرة وعجز الوسائل التقليدية في تلبية حاجة الانسان المعاصر للحصول على تلك المعلومات .

فلهذا كله بذلت جهود مكثفة في البحث عن طرق بديلة لتنظيم واسترجاع ونقل المعلومات بالكمية والنوعية والسرعة المطلوبة ومن ضمن هذه الطرق التي اوليت اهتماما هي : —

١ ــ الأتجاه او التحول إلى طريقة التعليم الذاتي او الفردي .

٢ ــ الأتجاه إلى استعمال المواد السمعية والبصرية .

٣ ــ الأتجاه إلى استعمال التقنيات الحديثة وشبكات المعلومات .

ونظرا للاتجاهات التي سبق ذكرها أدى ذلك إلى ظهور اسماء متعددة منها : —

١ — وسائل الايضاح
٢ — الوسائل السمعية والبصرية
٣ — الوسائل التعليمية
٤ — تكنلوجيا التعليم .
٥ — تقنية المعلومات حيث نجد المصطلحات التالية : —

"Communication technology"
"Data communication"
"Computer–Telecommunications"
"Telecomputing"

وبسبب تعدد وسائل نقل المعلومات باستخدام التقنيات الحديثة فقد ظهرت اسماء ومصطلحات متعددة فبدلا من المكتبة شاع استعمال : —

١ — مركز التوثيق	Dooumentation Center
٢ — مركز المعلومات	Information Center
٣ — مركز المصادر المدرسية	School Resources Center
٤ — مركز الاتصالات	Communication Center
٥ — قواعد المعلومات	Information Bases
٦ — بنوك المعلومات	Information Banks

فمهما تعددت الأسماء والمصطلحات فان المعنى المطلوب يتجسم في اوعية نقل المعلومات باشكالها المختلفة والتي بواسطتها يتم نقل المعلومات (٢) .

مما لاشك فيه أنه مهما بلغت دقة التنظيم وسلامة الادارة بمراكز المعلومات فان هذا المجال لايخلو من مشاكل وصعاب وان هذه المراكز مثل سائر المؤسسات العلمية لا مفر لها من التأثر بمعالم هذا العصر المتميز بالتطور العلمي والتكنولوجي المذهل . وقد تأثرت مراكز المعلومات ولا زالت تتأثر بالعوامل التي مر ذكرها .

فكل تلك العوامل تساهم مجتمعة في المشكلة التي تواجهها مراكز المعلومات في الوقت الحاضر ولا يمكن حلها بزيادة الميزانيات أو شراء مواد أو أجهزة أكثر أو تعيين عدد أكبر من المتخصصين المهنيين أو استخدام الحاسبة الالكترونية لاداء مالم ينجز بطريقة أسرع واكثر دقة اذ أن التغير السريع والمتلاحق الذي يواجه المراكز يعتبر المشكلة الاساسية لذلك فان أي حل للمشكلة يجب أن يراعي أولا فهم طبيعة التغيير ذاته ثم أعداد

منهج ملائم لمراكز المعلومات واستخدام أفضل للموارد المتاحة لها باعلى درجة من الكفاءة .

شبكة المعلومات

قبل أن أتطرق الى شبكة المعلومات أود أن أوضح التحديد اللغوي للاصطلاح (Comm-unication) والذي أقره العديد من الاساتذة العرب اذ تم التأكيد على استعمال كلمة التواصل وليس الاتصال باعتبارها المصطلح الاقرب والانسب للاصطلاح اللاتيني فان الاتصال يعني في معناه الواسع حركة تواصلية بين فرد واخر . لابلاغ رسالة معينة بهدف معين وليس ثمة أي مفهوم للتواصل غير هذا بينما نجد كلمة (التواصل) التي تعني أولا ابلاغ رسالة، وتعني ثانياً خلق شروط التكييف والنماذج ضمن حركة تواصلية هادفة فان مفهوم التواصل واغراضه بعد هذا التوضيح هو حركة تهدف الى تسهيل ونقل وتداول وتبادل المعلومات والاخبار والافكار والمعرفة من فرد الى اخر ومن جماعة الى أخرى بهدف التعايش ، والاختلاط لخلق بعد انساني واحد . (٣)

أدت ثورة المعلومات الى زيادة الوعي باهمية المعلومات في عملية التنمية اضافة الى تطور الامكانات المادية الهائلة التي وفرتها الحاسبات في عملية معالجة وتخزين المعلومات مما أدى الى سيل جارف من الوثائق خاصة في المجالات العلمية والفنية وتدل دراسات اليونسكو على أنه ينشر مابين ٦٠٠٠ و ٧٠٠٠ مقالة علمية يومياً في جميع أنحاء العالم. ومن هذا كله يتبين لنا مدى تحديد القدرة على معالجة الحجم والكم والكيف من الوثائق مما أدى الى مضاعفة أهمية تكثيف القدرة على انتقاء المعلومات المطلوبة ومعرفة كيفية الحصول عليها وتصنيفها وتحليلها واسترجاعها ونشرها وكان هذا سبباً في انشاء بنوك ومراكز المعلومات حيث أتاحت استخداما افضل للحصول على المعلومات متحاشية بذلك الاسراف والازدواجية في العمل والوقت والموارد والطاقة .

ان مفهوم شبكة المعلومات يرجع أساساً الى مايسمى بالتعـاون بين المكتبات في كل من مجال :

تبادل الاعارة بين المكتبات (Inter Library Loan) وكذلك في مجال تبادل المطبوعات واهدائها (Gift & Exchange)

أما المجالات الاخرى التي تضمنها التعاون فكان ذلك في كل من حقل الفهرسة والتصنيف (Classification & Cataloging) وحقل اصدار القوائم الموحدة (Union Lists)

ولكن المفهوم الحديث لشبكة المعلومات هو ادخال التقنيات الحديثة في اساليب المعالجة التي حولت اسماء المكتبات التقليدية الى مراكز للمعلومات كما بينا سابقاً لمواكبة التطورات والتغييرات التي نجمت عن السيل الجارف من الوثائق وتداخل المعلومات في شتى المجالات .. ان شبكة المعلومات يمكنها أن تقدم خدمات متعددة منها : —

١ — التعاون في مجال عمليات التزويد بعد وضع الخطط اللازمة وصولا الى التكامل والاستثمارات الاجدى للموارد المتاحة .

٢ — التعاون في عمليات اعداد وتنظيم ومعالجة المعلومات وذلك عن استخدام معايير موحدة تتناول اخراج محتويات الرصيد الفكري من الكتب والدوريات وغيرها.

٣ — التعاون في عمليات التوحيد القياسي والقواعد والجداول والارشادات التي تتبع في العمليات الفنية .

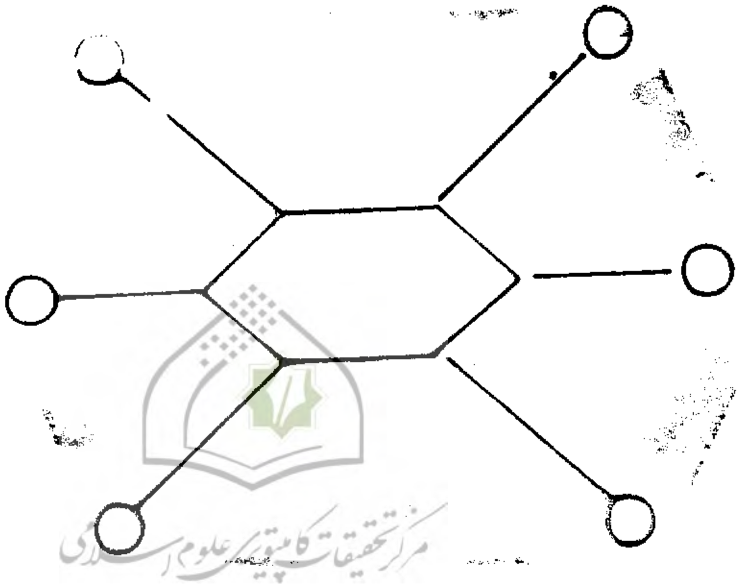
٤ — التعاون في تكثيف القدرات المتناثرة لتحقيق قدرات أكبر في اشباع طلب المستفيدين للمعلومات وتتمثل في الرد على الاستفسارات واعداد الببليوغرافيات المفيدة وخدمات الاحاطة الجارية والبث الانتقائي للمعلومات وخدمات الاستخلاص والتكشيف واصدار القوائم الموحدة للكتب والدوريات واصدار الادلة .

٥ — التعاون في مجال استخدام التقنيات الحديثة فالتعاون والتنسيق في هذا المجال بين جهات متعددة يؤدي الى الاطمئنان والثقة في عملية اختيار الاجهزة ولربما يقلل الكلفة بالاضافة الى أن التزويد باجهزة متشابهة يؤدي الى توحيد وفهم الكثير من الانشطة وسرعة حل الكثير منها لان العالم اليوم يشهد انتاجاً هائلا من الاجهزة في مجال التقنيات وما ينطبق على النقطة الاخيرة ينطبق كذلك على شبكة المعلومات ذاتها . حيث أن هناك أنواع مختلفة من الشبكات لكل منها تأثيرها المباشر على امكانيات نجاحها ولكل منها سلبياتها وايجابياتها نذكر منها : —

أ — شبكة المعلومات المركزية او الموجهة :

وتتم عملية الاتصال بين الجهات المشاركة عن طريق خدمة التحويل من خلال المركز الرئيسي الذي يلعب دور الوسيط المنظم.

كما يمكن اشراك مركز متخصص في نشاطها ولكن الاتصال بالمركز المتخصص هنا يتم عن طريق الوسيط الذي يتفق عليه وفي هذه الحالة يزيد عدد القنوات الفعالة قناة أخرى.

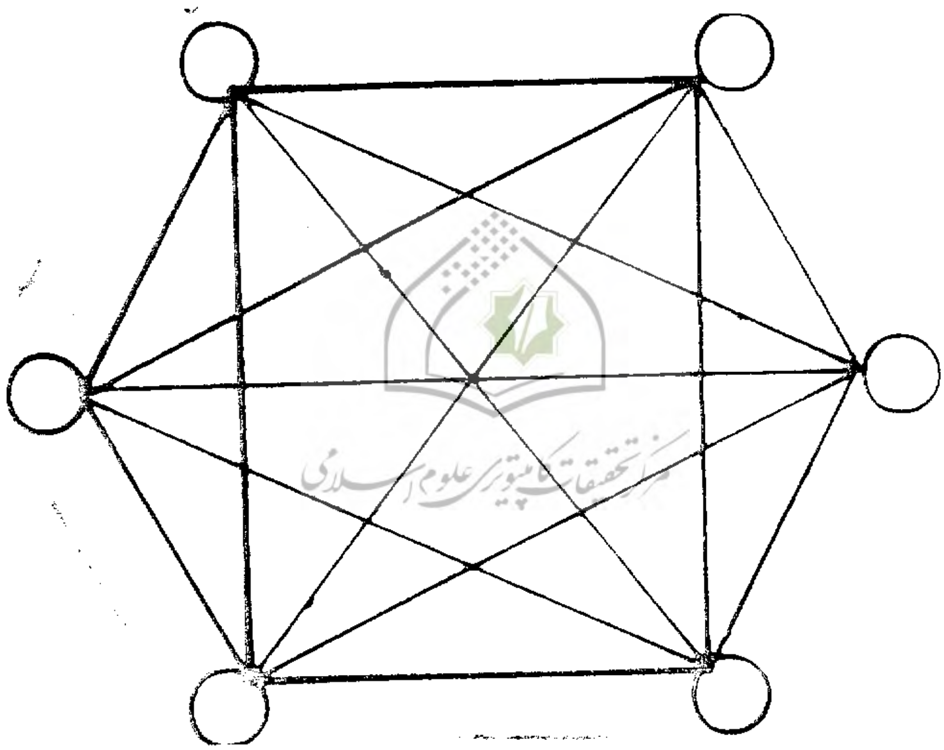


شكل رقم (١)
شبكة معلومات مركزية أو موجهة

٢ ـ شبكة المعلومات غير المركزية او الموجهة:

ومن خلال هذا النوع من الشبكات تكون لاي جهة مشاركة قناة اتصال مفتوحة دوماً مع كل الجهات المشاركة وليس هناك أي وسيط للتوجيه أو التحويل.

هذا ويمكن اشراك مركز متخصص يتم اختياره من قبل المجموعة المشاركة بحيث يساعد ويكمل ويدعم احتياجات جميع المشاركين من المعلومات ويكون مثل هذا المركز عادة محطة ابحاث أو مركز ببليوغرافي أو مركز قومي للابحاث وبهذه الحالة يرتفع عدد قنوات الاتصال .



شكل رقم (٢)
شبكة معلومات غير مركزية أو موجهة

كما يمكن التداخل والتفاعل من خلال حدود مشتركة لشبكتين تعملان وفق نظام شبكة معلومات مركزية أو موجهة ويوجد هذا النوع في المناطق التي تكثر بها شبكات المعلومات خارج الحدود .

وعلى هذا الاساس ظهر نظام الاتصال الالي المباشر (On-Line Information Service) حيث اعتمد هذا النظام في تطوره على تطور أجهزة الحاسبات الالكترونية (Computers) التي بدورها أدت إلى ثورة في طريقة تسجيل المعلومات ان طريقة عمل هذا النظام باختصار هي : —

١ — الاتصال ببنوك المعلومات عن طريق الهاتف وبعد أن يتم الاتصال الهاتفي يربط الهاتف بالمحطة الطرفية (Terminal) ويستخدم الرقم السري الخاص بالمشترك لاكمال الاتصال ببنك المعلومات حيث أن لكل مشترك رقم سري خاص يتم الارتباط ببنك المعلومات عن طريقه وسمي بالرقم السري لكونه معروف من قبل المشترك فقط وبهذا تكون المحطة الطرفية متصلة ببنك المعلومات ومهيئة للاستعمال .

٢ — طلب المعلومات المرغوب الحصول عليها من تلك البنوك (Data Banks) يتم بواسطة الضرب على المفاتيح الموجودة تحت شاشة المحطة الطرفية (Terminal) والتي تشبه الالة الطابعة تماماً .شكل رقم (٣)

٣ — تظهر المعلومات على الشاشة حيث يمكن قراءتها أو تحويلها مطبوعة على ورق باستعمال جهاز طابع (Printer) مرتبط بالمحطة الطرفية ويقوم هذا الجهاز بطبع المعلومات الظاهرة على الشاشة على ورق بأمر من المستفيد وقد تطور هذا النظام وزاد استعماله زيادة كبيرة وبشكل سريع لما يمكن أن يقدمه الكومبيوتر من وفرة المعلومات وسرعة [illegible] نسبة إلى الطرق التقليدية موفراً بذلك الجهد والوقت. كما ويمكن للمستفيد أن يطلب المعلومات من الكمبيوتر ويستلم تلك المعلومات مطبوعة ليس بالشكل الذي يناه ولكن يتم [illegible] عن طريق البريد الاعتيادي لاحقاً لتقليل الكلفة أي كلفة استخدام الكمبيوتر وهذا مايسمى (Off-Line) .

فقد ظهر مثلاً نظام يقدم خدمات مرجعية في عام ١٩٧٦ لشركة خدمات استرجاع المعلومات [illegible] (Bibliographical [illegible])
من الاهداف الاولى لهذا النظام منذ تأسيسه هو تقديم خدمات مرجعية عن طريق الاتصال الآلي المباشر فيما يتعلق باستفسارات مرجعية مكتبية عامة ولكن في عام ١٩٧٩ عرض



شكل رقم (٣)

هذا النظام ٢٤ قاعدة معلومات حيث يمكن الاستفادة من الملفات الخاصة بالسنوات الحديثة من تلك القواعد عن طريق الاتصال الآلي المباشر . أما بالنسبة لملفات السنوات القديمة فيمكن الحصول عليها عن طريق البريد (Off-Line) حيث يتم ارسالها بعد مرور يوم واحد فقط من تاريخ الطالـــب (٥) .

كما يوجد نظام آخر يستحق الذكر وذو شهرة واسعة وهو نظام (OCLC) المتخصص في حقل علم المكتبات ومن اهدافه :-

١ - زيادة توفيـر المصادر المكتبية إلى المكتبات المشتركة بالنظام مـن البيليوغرافيات ومستخلصات وبطاقات فهرسة ....الخ .
٢ - تقليل نسبة زيادة الاسعار
٣ - إثراء المكتبات الاعضاء والكادر المكتبي بالمعلومات وقت الحاجة
٤ - توفير معلومات ادارية .
٥ - توفير خدمات شخصيـة .

ومن أهم الخدمات التي يقدمها نظام (OCLC) خدمات الفهرسة والتصنيف وخدمات الاعارة بين المكتبات وخدمات الدوريات والسيطرة على الاجراءات الفنية المتعلقة بها.

كما وأجد من الضروري التطرق إلى بعض قواعد المعلومات في كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا واوربا واليابان . ففي الولايات المتحدة الامريكية توجد قواعد معلومات تجارية تقوم بتقديم خدمات متعددة باستخدام نظام الـ (On-Line) ومن هذه القواعد ذو الصيغة العالمية لما تقدمه هذه القواعد من خدمات سريعة تفيد الباحثين في الحصول على المعلومات المطلوبة حين يصعب الحصول عليها محلياً . كما واذكر بعض هذه القواعد للتعريف بها خصوصاً وأن مركز التوثيق العلمي في مجلس البحث العلمي له اتصال مباشر مع قاعدة المعلومات (DIALOG) كما وقام المركز مؤخراً بشراء ملف (BIOSIS) على شكل شريط ممغنط .

١ - قاعدة معلومات (DIALOG)

وهذه القاعدة تحوي على العديد من الملفات وكل ملف يختص في موضوع معين فمثلاً ملف رقم (15) واسمه (ABI / INFORM) يخص موضوع الاعمال (Business) والادارة (Administration/Management) وجـد هـذا السجل سنة 1971 ويحوي على (98.000) سجل وتجري التحديثات عليه كل شهر. كذلك ملف رقم (10)

وأسمه (AGRICOLA) يخص موضوع الزراعة وجد هذا الملف سنة ١٩٧٠ ويحتوي على (1.265.000) سجل وهذه تعتبر موجودات المكتبة الزراعية الوطنية الامريكية. وهناك ملفات أخرى كثيرة ومتعددة يطول الشرح عنهـا نكتفي بالمثلين السابقين.

٢ ـ قاعدة معلومات (ORBIT)

وهذه القاعدة من القواعد المهمة وتحوي على ملفات متعددة اذكر منها على سبيل المثال الملف المسمى (BIOSIS) والاختصاص هو في مجال علوم الحياة (Biologioal Science) ويضـم هـذا الملف (200.000) سجـل سنويـاً وقـد انشـأ سنـة (1969) الملف الآخـر هـو (SSIE) ويحتوي عـلى أحـدث البحوث في العلـوم الزراعية والكيميـاء والهندسة والالكترونيك وعلم الارض والرياضيات والعلوم الطبية والفيزيـاء والعلـوم الاجتماعية ومشاريع البحوث من أكثرمن (1,300) ومنظمة أمريكية كالجامعات والكليات والجمعيات غير التجارية.

أما في المملكة المتحدة فأذكر على سبيل المثال قاعدة معلومات (BLAISE) خدمات المعلومات للمكننة للمكتبة البريطانية(British Library Automated Information Service) (وقد بدأ هذا النظام في تقديم خدمات الببليوغرافية الوطنية البريطانية) (BNB British National Bibliography)
وخدمات ببليوغرافية أخرى كمكتبة الكونكرس الامريكية ونظامها (MARC) وكذلك قاعدةالمعلوماتالطبية (MEDLARS data base) التي تستخدمها المكتبة البريطانيةايضاً. وفي كانون أول عام ١٩٧٩ تم استخدام قاعدة المعلومات (BLAISE) من قبل (١٢٠) منظمة اجنبية (غير بريطانية) والتي استخدمت بنجاح في أوربا من خلال شبكة المعلومات الاوربية EURONET DIANE) وفي نيسان عام ١٩٨٠ بدأت تقدم خدمات أخرى ذات علاقة بقاعدة المعلومات الطبية (MEDLINE) بواسطة الاتصال الآلي المباشر منها (MESH) رؤوس الموضوعات الطبية (MEDICAL SUBJECT HEADINGS) كما ارتبطت بها ملفات عديدة منها: ـ

١ ـ TOXLINE ترثيق علم السموم والمراضيع ذات العلاقة
٢ ـ RTECS سجل التأثيرات السامة
٣ ـ CHEMLINE قاموس المواد الكيمياوية

أما شبكة المعلومات الاوربية (EURONET DIANE) والتي تدعم من قبل السوق الاوربية المشتركة حيث ركز الاهتمام فيها على الاتصال الآلي المباشر وما يقدمه من خدمات الى

الدول الاوربية ولكون اللغات الاوربية متعددة فقــد استحدثت لغة قياسية موحدة لاستعمالها والتخاطب بها مع الشبكة من قبل الدول المشاركة وقد تم تطويرها واستحداث مواد مساعدة شرورية ممكنة كاستحداث بنوك خاصة بقاعدة المصطلحات المستعملة والمكانز .

لقد بدأت الشبكة بالعمل تجارياً في ١٥ اذار من عام ١٩٨٠ وقد أتصلت بها (١٥) خمسة عشر من المؤسسات التي تقدم خدماتها الخاصة بالمعلومات (Information Service) وفي نهاية عام ١٩٨٠ أنظمت عشرة مؤسسات أخرى .

ان شبكة المعلومات الاوربية تقدم خدمات لاكثر مــن (٩٠) تسعين قاعدة معلومات موزعة كالاتي : —

١ — (٣٠) قاعدة معلومات لمؤسسات أوربية غير وطنية (تجارية)
٢ — (١٣) = = بريطانية وطنية
٣ — (٢) = = دنيماركية =
٤ — (٣٢) = = فرنسية =
٥ — (٢٨) = = المانية =

ان نظام الاتصال الالي المباشر قد استخدم كذلك في دول متعددة أخرى في العالــم ولكن ليس بنفس الطاقات المستعملة في أمريكا واوربا وان من أهم المعوقات في اللغة وحروفها الهجائية فاليابان مثلا حروفها الهجائية مختلفة تماماً عن الحروف اللاتينية بل أنها تتكون من مقاطع وليس حروف مجردة وقد أستطاعت اليابان التغلب على هذه المشكلة من خلال الترجمة الالية حيث أن اليابان شعرت بأهمية نظام الاتصال الالي المباشر فركزت أهتمامها على العمل به وتطويره فالمكتبة الوطنية اليابانية استطاعت بنجاح مكننة الببليوغرافية الوطنية والفهارس الموحدة للاستفادة منها عن طريق الاتصال الالي المباشر حيث يمكن للدول الاخرى في العالم الاستفادة منها .

وقد أنشأ في عام ١٩٥٧ مركز المعلومات الياباني للعلوم والتكنولوجيا (JICST) من قبل الحكومة اليابانية وفي عام ١٩٧٢ بدأ المركز في تقديم خدمات البحث الانتقائي للمعلومات (SDI) مستنداً في ذلك على قاعدة المعلومات الببليوغرافية الخاصة بالمركز ، وفي عام ١٩٧٦ قدم المركز نظام جديد (JOIS) نظام استرجاع المعلومات عن طريق الاتصال الالي المباشر حيث يقدم هذا النظام خدماته بلغتين الانكليزية والكانجي اليابانية (Kanji) .

رسائل الاتصال وعلاقتها في المكتبات ومراكز المعلومات

تعتبر المكتبات ومراكز المعلومات من المنظمات الاجتماعية التي واجهت صعوبة اتصال أجزائها المختلفة بعضها ببعض للحصول على المعلومات المطلوبة حيث كلما كبرت المكتبات كلما تعقدت نشاطاتها أو صعب اتصال أجزائها. لهذا فقد حاولت المكتبات ومراكز المعلومات أن تستخدم التقنيات الحديثة التي شقت طريقها بشكل بطيء. وقد أدى ادخال تلك التقنيات في خدمات المكتبات الى تعزيز وزيادة التعاون بين المكتبات ومؤسسات علمية أخرى (٦) .

وسأوجز ذكر بعض التقنيات الحديثة المهمة متحاشيا الدخول في تفصيلاتها لان الدخول في تفصيلات كل تقنية على حده قد تكون مقالة منفصلة .

فمن التقنيات المهمة اوجز مايلي : —

١ — الاقمار الصناعية :

ان الاقمار الصناعية من احدث النظم التقنية لنقل المعلومات حيث بواسطتها يمكننا نقل الصوت والصورة والبيانات الاخرى الى اي بقعة على الكرة الارضية وعن طريقها ايضاً يتم ربط اجهزة الاتصال الالي المباشر للاستفادة منه دوليا .

ان اول قمر صناعي اطلقه الاتحاد السوفيتي باسم سبوتنيك عام ١٩٥٧ وتلاه الامريكيون فاطلقوا اول قمر باسم اكسبلور — ١ عام ١٩٥٨ (٧) .

ان ماقامت به الاقمار الصناعية منذ اطلاقها لاول مرة في اواخر الخمسينات هو النقل الفوري للاخبار والاحداث اينما وقعت وان اول نقل للبرامج بين محطات التلفزيون تم عندما قدمت شاشة التلفزيون البريطاني (BBC) برنامج عن ميناء كاليه الفرنسي .

لقد قدمت اليونسكو معاونات مختلفة للاتحادات الاذاعية في الدول النامية لاقامة تجربة ولمدة شهر خلال عام ١٩٨٣ لاختبار مدى امكان نجاح نظام دولي للتبادل يقوم على استئجار قنوات دائمة للاذاعيين من شبكات اقمار الاتصالات الصناعية الدولية . ثم اجريت التجربة في اواخر عام ١٩٨٣ وشاركت فيها ٣٠ محطة تلفزيونية في آسيا وافريقيا والدول العربية وقام تلفزيون الكويت بمهام تنسيق التبادل من رالى الدول العربية المشاركة وهي الامارات العربية والسعودية وقطر والعراق (٨) .

ومادام الحديث عن الاقمار الصناعية اجد من الجدير بالاشارة الى مشروع القمر الصناعي العربي حيث تتألف الشبكة العربية من عنصرين العنصر الاول هو منظومة الاقمار الصناعية والعنصر الثاني هو مجموعة المحطات الارضية وتظم منظومة الاقمار الصناعية ثلاثة اقمار يوضع اثنان منها في المدار الثابت المتزامن جغرافيا على خطوط الطول ١٩شرق بالنسبة للقمر الاول و ٢٦ شرق بالنسبة للقمر الثاني فوق خط الاستواء وعلى ارتفاع ٣٦٠٠٠ كيلومتر عن سطح الارض ويكون الاول القمر العام والثاني احتياطيا له وتكون سرعة دوران القمر نفس سرعة دوران الارض بحيث يبقى ظله ثابتا فوق سطح الارض اما القمر الثالث فهو قمر احتياطي يظل على سطح الارض ويطلق حالما يتعرض احد القمرين للعطل او التوقف .

ويعتبر القمر الصناعي العربي من مجموعة الجيل الجديد لاقمار الاتصالات وهو متوسط الحجم ومتعدد الوظائف ويوفر بالتنسيق مع المحطات الارضية وعبر الشبكات القطرية والمحلية الخدمات التالية : —

١ — خدمات البث التلفزيوني

٢ — التلكس — التلفون — البرق

٣ — البرامج الاذاعية

٤ — تبادل المعلومات

وفي هذه الايام تزدحم السماء باقمار صناعية مختلفة التشكيل ومتفاوتة الاغراض فمنها اقمار عسكرية للتجسس والتدمير واخرى سلمية لمسح الموارد الطبيعية ومراقبة الطقس وتحقيق الاتصالات (٩) .

الفاكسميلي Facsimile

يعتبر هذا النظام من الوسائل المهمة بجانب البريد العادي ووسيلة مثلى لنقل المعلومات من مصادرها الاصلية الى المستفيدين حيث يتميز هذا النظام ببعض الايجابيات منها كلفته المناسبة مقارنة مع غيره من الانظمة الاخرى وقلة الاخطار التي تحدث اثناء النقل .

وتطلق الكلمات الاخرى التالية في هذا النظام الذي يقوم بنقل صورة او وثيقة او ارسالة ايا كانت لغتها او شكلها وبجميع تفاصيلها : —

تليفاكسيلي (TeleFacsimile) فاكس (Fax)

تلفزيون الكيبل : (Cable Tv.)

يعتبر هذا النظام احد الوسائل المهمة في نقل الخدمات والمعلومات بين المكتبات نفسها او بين المكتبات والمستفيدين مباشرة اذ تستطيع المكتبة بواسطته نقل قواعد البيانات ، الالكترونية (Electronic Data Bases) وملفات المعلومات بما فيها فهرس البطاقات الى بيوت المستفيدين مباشرة وقد استخدم هذا النظام في مراحله الاولى كأداة لتوضيح صورة الاستقبال التلفزيوني في المنازل ثم تطور الى وسيلة لنقل البرامج الخاصة والمحلية وبقنوات متعددة ..

الهاتف

ان الهاتف يعتبر من الوسائل المهمة لنقل الصوت اليوم وقد ارتبط الهاتف العادي ، بانظمة حديثة ومتطورة والتي ادت بدورها الى زيادة الفائدة وتعدد الاستخدامات .

ومن هذه الانظمة الحديثة التي تؤدي وظائف اخرى اضافة الى مايقدمه الهاتف الاعتيادي نظام الاتصال الداخلي (Dial Intercome) الذي يسهل عملية الربط المباشر بين اجزاء الادارة المختلفة من شعب واقسام . وكذلك نظام تلفون الفديو (Video Telephone) والذي ينقل الصوت والصورة الثابتة او المتحركة ويعتبر هذا النظام من احدث الانظمة ولايزال تحت التحسين والتطوير .

الآلة الكاتبة المبرقة TWX (Teletypewriter Exchange)

يمثل هذا النظام احد اهم انظمة الاتصال الكتابية وقد استخدم هذا النظام في مجال خدمات القراءة والاعارة بين المكتبات وربط المكتبات بدور النشر والمنظمات الاخرى ولكن التكلفة المالية في استخدام الآلة الكاتبة المبرقة ادت الى الحد من استعمالها وتخصيص خدماتها للاعمال الادارية .

هذا مايتعلق بوسائل الاتصال ، اما مايتعلق بالتقنيات فاوجز اهمها : —

١ — الفديو

يعتبر الفديو من انظمة المعلومات التي استخدمتها المكتبات في الاونة الاخيرة وتركز مجموعات مواد الفديو في المكتبات على موضوعات مثل المواد المساندة للمناهج المدرسية والتعليمية وادب الاطفال والثقافة الصحية كذلك ضمت موضوعات علمية ساعدت على زيادة التركيز على التعليم الذاتي او الشخصي .

وقد ظهرت أنظمة عديدة ذات استعمالات متعددة نتيجة للتطورات الهائلة في تقنية الفيديو منها :

الفيديوكاست

وهو أيضاً بأنواع وأنظمة متعددة منها نظام يوماتك(– Yumatic) الذي انتجته شركة سوني في السبعينات ثم تبعه نظام (في سي ار –VCR) الذي انتجته شركة فيليبس وبعد ذلك ظهرت انظمة اخرى منها نظام بيتاماكس (Betamax) الذي انتجته شركة سوني أيضاً وكذلك نظام (في اج اس (– VHS) المعروف والشائع الاستعمال .

قرص الفديو :

لحداثة هذا النظام فان ايجابياته وسلبياته لم تتضح بعد . لقد قامت الشركات بانتاج نموذجين منه الاول للاستهلاك وهو موجه إلى الأسواق العامة والنموذج الثاني خـــاص بالمؤسسات التجارية والصناعية والمنظمات العامة وقد عرضت شركة سوني احدث الانظمة من قرص الفديو للمنافسة ولم تبدأ تسويقه . كما وقد قامت شركة أم سي اي (–MCA) بتطوير نظام اطلقت عليه اسم (Discovision) وقد قامت بانتاجه شركة بايونـير الالكترونية اليابانية .

ان قرص الفديو يتوقع مستقبلا كبيراً . لاستخدامه في اعمال المكتبات وانظمـــة المعلومات بسبب قدرته على التخزين الكبير .

الفديوتكست

ان هذا النظام صمم لنقل وتوصيل نصوص المعلومات المختلفة إلى داخل المنـازل والمكاتب وبتكاليف مناسبة حيث يتم ذلك عن طريق استخدام جهاز تلفزيون او اي جهاز عرض آخر . وهناك نوعين من نظام الفديو تكست . النوع الاول يسمى تليتكس (Teletex) والنوع الثاني فديو داتا (Video Data)

٢ – المصغرات الفلمية : Microforms

لكون المصغرات الفلمية من التقنيات الحديثة والمهمة خصوصا في مكتباتنا ومراكز المعلومات والتوثيق في الوطن العربي ولسهولة تداولها ولسعرها المناسب إذا ماقورنت بالتقنيات الحديثة الاخرى حيث فرضت المصغرات الفلمية نفسها في الاونة الاخيرة شأنها في ذلك شأن باقي التقنيات الحديثة لما تتميز به من الخصائص التالية : –

١ – القدرة على البقاء لفترة زمنية طويلة

٢ — صغر الحيز الذي تشغله

٣ — سرعة وسهولة الاسترجاع

٤ — السرية التامة في حفظ الوثائق والمعلومات

كما وتعددت التعريفات لتحديد مفهوم المصغرات الفلمية اذكر منها تعريف صلاح القاضي في كتابه المرجع في المايكروفلم بانها مساحة فيلمية ذات خصائص معينة ، تسجل عليها كمية من المعلومات تقرأ وتطبع على ورق خاص وافلام خاصة بواسطة اجهزة قراءة وطباعة معينة (١٠) اما اشكال المصغرات الفلمية فهي متعددة ولتبسيط الشرح يمكن ان نقسمها الى قسمين هما الاشكال الملفوفة (Roll Forms) والاشكال المسطحة (Flat Forms) فالاشكال الملفوفة تتضمن افلام باحجام مختلفة (١٦ ملم — ٣٥ ملم — ٨٢ ، ٥ ملم — ١٠٥ ملم) ولكن الاكثر استخداما هما حجم ١٦ ملم و٣٥ ملم . ونجد هذه الافلام ملفوفة على بكرة مفتوحة Open Reel او داخل كاسيت Cassette او كارترج Cartridge اما الاشكال المسطحة فتتضمن (الجاكيت — المايكروفيش — البطاقة ذات الفتحة — الالترافيش — المايكرواوباك) ولكن الاكثر استعمالا المايكروفيش والجاكيت .

ويعتمد في اختيار الاشكال التي استعرضتها على عوامل متعددة اذكر منها : —

١ — مساحة الوثيقة المطلوب تصويرها

٢ — اسلوب الحفظ والاسترجاع المعتمد

٣ — طبيعة المعلومات التي تحتويها الوثائق فيما اذا كان هناك اضافة او حذف وللتسجيل المايكروفلمي اجهزة متعددة ومتباينة من حيث المواصفات وطرق التشغيل . فللحصول على التسجيلات الفلمية المصورة تمر الوثائق المراد تصويرها عبر مجموعة من الاجهزة ، ودون الخوض في التفصيلات لمواصفات هذه الاجهزة اذكر منها بشكل عام : —

١ — اجهزة التسجيل (التصوير) انواع الكاميرات

٢ — اجهزة التحميض (المعالجة) تصوير الافلام

٣ — اجهزة الفحص البصري (القارىء) يمكن ان يكون جهاز واحد يسمى قارىء طابع

٤ — اجهزة الاستنساخ (الطابع) يمكن ان يكون جهاز واحد يسمى قارىء طابع

وبهذا ارجو ان اكون قد وفقت قدر المستطاع في توضيح اهمية الاستفادة من التقنيات الحديثة بمختلف انواعها للحصول على المعلومات حيث يعيش عالمنا المعاصر اليوم عصراً يسمى بعصر (انفجار المعلومات) فبفعل التطور الحاصل في مختلف المجالات العلمية وتعدد وسائل نقل المعلومات والتقدم التكفلوجي الحديث تدفقت المعلومات بشكل اصبح ليس من السهل للباحث تتبعها ولا للمكتبات تجميعها ومن هنا اصبح لزاما على المكتبات ان تبحث عن الوسائل الحديثة المختلفة كل مكتبة حسب استراتيجيتها ونوع الخدمات التي تقدمها فمن خلال تلك الوسائل يمكنها ان تتيح لمستفيديها الوصول الى المادة المرغوبة بدقة وبسرعة وبأقل جهد ممكن .

مراجع البحث

١ — السامرائي ، ايمان فاضل : تنظيم المواد السمعية والبصرية في مكتبات التلفزيون
سلسلة بحوث ودراسات تلفزيونية ٥ — جهاز تلفزيون الخليج

٢ — صدقي دحبور : المواد السمعية والبصرية في المكتبات وعلاقتها بالمكتبة العربية
المجلة العربية للمعلومات، المجلد ٣ العدد (١) ص ١٤٣ — ١٦٧ تونس (١٩٨٢)

٣ — العلي ، محمد الادريسي وآخرون : الجوانب العلمية والسياسية والقانونية لنظرية الاتصال
مجلة البحوث، العدد الحادي عشر ص ٢٢ — ٣٨ ايار/مايو (٩٨٤)

٤ — المكاوي ، احمد حسن الرحمن : شبكة المعلومات الصناعية العربية : حاضرها ومستقبلها
المجلة العربية للمعلومات المجلد ٤ / الرابع العدد الثاني ص ٨٠ — ٩٤ (١٩٨٣)

٥ — G. Chandler: *How to find out*. Pergamon Press. Oxford, 1982

٦ — الحزيمي ، سعود عبد الله : وسائل الاتصال ودورها في خدمات المكتبات والمعلومات
مكتبة الادارة — المجلد العاشر — ص . ٢٢ — ٤٢ ، رمضان ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

٧ — يماني ، محمد عبده : اقمار الفضاء ...... غزو جديد
جهاز تلفزيون الخليج، سلسلة بحوث ودراسات تلفزيونية (٩) (١٩٨٤)

٨ — حمدي قنديل : التبادل التلفزيوني بالاقمار الصناعية نحو شبكة فضائية خليجية
جهاز تلفزيون الخليج — سلسلة بحوث ودراسات تلفزيونية (١١) (١٩٨٤)

٩ — الرفاعي محمد محمود :القمر الصناعي العربي والتنمية
المجلة العربية للعلوم العدد ٣ السنة الثانية ص ٦٨ — ٧٦ ربيع الاول (١٤٠٤) هـ

١٠— مدبولي محمد حسين : نظام المعلومات المايكروفلمي : اهميته ومراحل انشائه
مكتبة الادارة — المجلد. الحادي عشر العدد الاول ص ٣٨ — ٥١ (محرم ١٤٠٤هـ اكتوبر ١٩٨٣م)

١١ — شكل رقم (٣) اخذ من: Reger Christian: *The Electronic Library*
Bibliographic Data Bases 1978–1979.

ميناء الدمّام

ودوره في التنمية الصناعية في المنطقة الشرقية

من المملكة العربية السعودية

د. عبد خليل فضيل
كلية التربية / جامعة بغداد

تمثل المنطقة الشرقية احدى الوحدات الادارية في المملكة وتقع في الطرف الشرقي منها (لاحظ خريطة رقم ١) . وتحتل سواحل المملكة على الخليج العربي الممتد من راس مشعاب حتى حدودها مع قطر اي أنها تحتل واجهة بحرية على الخليج يربو طولها على ٦٠ كم . وتعتبر المنطقة من الوجهة التضاريسية امتداد لهضبة نجد حيث يستمر انحدار الهضبة من وسط المملكة حتى تنتهي بسهل ساحلي مجاور للخليج (خريطة رقم ٢) . وتظهر الكثبان الرملية في هذه المنطقة وتغطي مساحة كبيرة من اقليمها ، كما تنتهي حافات الهضبة ، بسلاسل مرتفعة تعرف في بعض المناطق باسم هضبة الصمان . ويمكن القول بصورة عامة بأن المنطقة تتميز بتنوع معتدل لسطحها الذي يتصف باستوائه خصوصاً في الجهـــات المحاذية لسواحل الخليج . اذ لايزيد ارتفاع الارض في اغلبها عن ثلاث امتار عن مستوى سطح البحر بينما قل مستوى الأرض لدرجة أنها أمتزجت مع البحر فظهرت فيهـــا مسطحات مائية كثيراً ماتسمى بالسبخات (١) . أما حافات هضبة الصمان فعندما تظــهر

(١) السبخة اراضي واطئة تغطى بمياه مالحة نتيجة لظاهرة المد وتنحسر عنها ونظراً لزيادة التبخر ازداد الملح فيها حيث يغطي سطحها فيصبح السير فيها خطراً .

احياناً على شكل تلال وقد قطعتها كثير من الوديان المنحدرة منها نحو البحر ، ولايزيد ارتفاع اكثر هذه التلال عن ٤٠٠م فوق مستوى سطح البحر . وقد تظهر بعض هذه التلال بسفوحها المواجهة للبحر بانحدار شديد مما جعل لها حافات واضحة اعطت معالم طبوغرافية جعلت المنطقة مضرسة . الا ان اكثر مدن الاقليم تقع مابين حافات تلك التلال والبحر حيث ظهر سهلا ساحليا كثير الاستواء غزير المياه تنتشر فيه البساتين عامرة بالنخيل وبعض المحاصيل الزراعية التي من اهمها الخضراوات والبرسيم الامر الذي ادى الى تركز السكان في مستوطنات تكثر فيها البساتين والمساقي والبرك التي تستخدم للاستحمام والسباحة لاسيما في موسم الصيف الذي يتميز بحرارة عالية بالاضافة الى استخدام المياه للري . (خريطة رقم ٢) .

وعلى الرغم من كثرة العيون والآبار المائية الا ان الاقليم يفتقر الى الانهار الدائمية ولهذا فان معظم مدن الأقليم الكبيرة كالدمام والخبر تعاني نقص المياه سواء للاغراض المدنية او للاغراض الصناعية مما جعل انسان هذا الاقليم ان يتوجه بالبحث عن المياه الباطنية . وقد لعبت المياه دورا اساسيا في توزيع المدن والقرى التي يستقر فيها الانسان (١) . أما المناطق التي ظهرت فيها مدن جديدة غير المدن الزراعية فهي تلك المناطق التي تطورت مع ظهور النفط فيها .فالمدن التي اوجدتها ظروف المنطقة النفطية امتازت عن القرى والمدن الزراعية بأن مؤسساتها تعاني من نقص الماء وانها دائماً تسعى للتغلب على صعوبة امداد سكانها بحاجتهم من الماء ، ولذا يمكن القول مقدماً بان الحصول على الماء سواء من الباطنية منها او من تحلية مياه البحر سيكون أحد مهام المؤسسات الرسمية لتلك المدن وخطط التنمية فيها باعتبار ان الحاجة لامداد صناعاتها وسكانها المتزايدة للمياه تدعو الى استثمار هذه الموارد . ويتمثل هذا الاتجاه بمدن عديدة منها الدمام والخبر والجبيل ورحيمة وابقيق والثقبة والمقربية . ان الناس القاطنين على طول سواحل الخليج العربي اتجهوا الى البحر ولذلك اصبحوا بحارة من الطراز الاول وهذا مايحدثنا عنه تاريخ الخليج وخاصة المناطق التي امتازت اراضيها بخصوبة قليلة . وان قدرتها على اعالة هذا العدد المتزايد سواء قبل اكتشاف النفط أو بعده ، اصبحت محددة . ولهذا فان البحر اصبح قادراً على تلبية احتياجات سكان السواحل وتوفير بعض متطلبات الحياة من الغذاء كالاسماك او المتاجرة عن طريق الاتصال بغيرهم من الاقطار المجاورة وخاصة العراق .

(١) راجع : د. عبد خليل فضيل : القطيف : دراسة في الجغرافية الاقليمية ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، المجلد التاسع لسنة ١٩٧٦ ، ص ١٥١ — ص ١٨٦ .

فالمعروف عن الظروف الطبيعية للمنطقة صعبة، التربة الساحلية أنها ذات خصوبة قليلة بالنسبة للمناطق البعيدة عن الساحل وذلك لكثرة التزيز والمستنقعات والسبخات ، والمناخ بصورة عامة يمتاز بقسوة متناهية في الصيف حيث يصل معدل درجة الحرارة العظمى في تموز ٤٢,٧°م في الوقت الذي يصل فيه معدل الحرارة العظمى في كانون الثاني الى ٢٠,٧°م وهذا مما يوضح مدى التباين الحراري مابين الصيف والشتاء ، مما يترتب عليه استعمالات كبيرة للمياه خلال موسم الصيف ، وتصل الرطوبة النسبية الى اكثر من ٨٣ في تموز بينما في كانون الثاني تصل ٥٩ . أما بالنسبة للامطار فأنها لم تزد في المعدل عن ٩٢ ملم ولم يزد مجموع عدد الايام المطيرة عن شهر واحد خلال السنة (١) . ومما يزيد الأمر تعقيداً هبوب العواصف الرملية حيث يصل عددها في المعدل في السنة نحو ٢٩ عاصفة ، ولم يزد عدد الايام التي يحصل فيها الضباب عن ١٣ يوم في السنة . وعليه فالحرارة المرتفعة تستمر لاكثر من تسعة شهور مع ندرة الامطار لمعظم أشهر السنة ، ورغم قصر الايام التي تسقط فيها فهي تتركز خلال أشهر الشتاء . من هذا نخلص إلى أن ندرة الامطار على قلتها والتبخر العالي بسبب الحرارة المرتفعة جعلت المياه قليلة في المنطقة مما حتم على سكان الاقليم أن يتوجه إلى البحر لتكملة ما تجود به الارض من محاصيل محدودة من أجل معيشتهم. ومع هذا فان البحر يكون أقل جذباً للعمل فيه اذا لم تكن هنالك موانيء مناسبة تخدم مصالح القاطنين في المناطق الساحلية والاراضي المجاورة للبحر التي حددها السكان لغرض الاستثمار مما جعلهم أن يتوجهوا لاستثمار الارض في الزراعة. وقد خدم الانسان الذي يسكن الاقليم التطور العلمي الذي استطاع به أن يكتشف مستودعات غزيرة بالنفط جلبت له الخير الوفير. وضمن هذه الاحوال والظروف حصلت بعض الفوارق مابين المدن والقرى ، الزراعية المنتشرة في واحة القطيف وبين تلك المدن التي ارتبط وجودها مع أكتشاف النفط كالدمام والخبر وابقيق ورحيمة حيث كانت الاراضي الزراعية المحيطة بهذه المدن ، محدودة مما جعلها تعتمد على التجارة والخدمات والصناعة . أما واحة الهفوف بينما اعتمدت على الزراعة لبعدها عن البحر وتوفير المياه وخصوبة الارض نكثرت القرى وانتشرت في مساحة أكبر من واحة القطيف ، ولكن سكان القطيف اهتموا بالزراعة وبركوب البحر والاستفادة من ثرواته وبخاصة الثروة السمكية للحصول على الغذاء . أما المدن الواقعة

---

(١) المملكة العربية السعودية وزارة المالية ، مصلحة الاحصاءات العامة — الكتاب الاحصائي السنوي العدد التاسع / ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣. ص ١٧ — ص ٢٨.

على البحر فقد تميزت بكبر أحجامها وبتقديم الخدمات عن طريق موانئها كالدمام والخبر واعتمدت في نشاطها الاقتصادي على الوظائف التجارية والصناعية بالاضافة إلى نشاطها البحري.

وأزاء تطور وسائل البحث العلمي لم يعد الماء مشكلة في الاقليم اذا وضحت الدراسات أن الطبقات الحاوية للمياه الجوفية قريبة للسطح ولذلك فان الآبار والعيون تتدفق بالمياه وتمد أكثر المدن الساحلية بما تحتاجه منها. الا أنه مع ذلك تعاني زيادة عدد سكان هذه المدن بصورة متزايدة سواء النمو الطبيعي أو عن طريق الهجرة مما جعلت هذه المدن في حاجة اضافية لهذا المورد . وهكذا نجد أن مدن السواحل مثل القطيف وصفوى وسيهات وثاروت وكذلك القرى الزراعية مثل الخويلدية والحبش وام الحمام (لاحظ خريطة رقم ٣) التي يتوفر فيها الماء بكميات كبيرة مما يؤهلها للتوسع الزراعي، ومع هذا فان الانتفـــاع من هذه المياه يتوقف على قدرة الانسان على استخدام تلك المصادر وحسن استعمالها في الزراعة والمحافظة عليها من التبريد بزيادة الري وخلق اراضي مغطاة بالمياه التي ستحولها إلى اراضي تغطيها الاملاح وتقليل خصوبتها هذا اذا علمنا أن معظم تلك المياه تحوي على نسب كبيرة من الاملاح ومواد ذائبة وخاصة الكلسية ، مما يعيق استثمارها للزراعة والصناعة.

إن الوضع الطبوغرافي المتمثل بالتعرجات الكثيرة لسواحل الخليج العربي وانتشار العديد من الجزر في مياهه ادى إلى خلق نشاط تجاري له اهميته وذلك عن طريق قيام الموانيء التي جعلت من التجارة وظيفتها الاولى لخدمة مناطق الظهير في اقاليمها . ومع هذا فان عرب الخليج في هذه المنطقة — وفي غيرها — تمسكوا بقراهم ومدنهم وموانئهم ومزارعهم رغم ظروف البيئة المتطرفة والمتمثلة بـالجفـــاف وبالحرارة العـــالية ولكن الصبر مفتاح الفرج. فقد وجد ان أراضي الصحراء وطقوس الرمال قد اخفت تحتها ثروة مهمة تمثلت بعصب الحياة ذلك هو البترول الذي وجد بكميات هائلة في حقول الوفرة والخفجي والسفانية والفاضلي وابو جدرية والقطيف والدمام وابقيق وحقل الغوار وخريص وجميعها تقع ضمن المنطقة الشرقية فكانت ولازالت تلك الحقول مصدر ثروتها وثرائها والتي تؤلف القلب الاقتصادي لكل المملكة حيث أن أكثر من ٩٥٪ من عوائدها تأتي من انتاج هذه الحقول من النفط الخام والغاز الطبيعي. (خريطة رقم٢) .

لقد أظهرت المنطقة الشرقية وفي كل الفترات التاريخية باعتمادها على بيئتها الزراعية والبحرية .فقد كان لموقعها الجغرافي المتقدم نحو البحر أثر في هذا التوجه والتكييف.

(لاحظ خريطة رقم ١) اذ أن تأثير صحراء الدهناء في خلق العزلة مابين المنطقة الشرقية وهضبة نجد جعلها أن تعتمد على ظروفها البحرية .أما الاتجاه الحالي فهو قائم على خلق فعاليات صناعية من شأنها أن تؤدي إلى استثمار بيئتها ومواردها الطبيعية من احجار ونفط وغاز طبيعي ،مما كان له الأثر الفعال في جذب اعداد كبيرة من سكان اقليم نجد للعمل في مدن وحقول النفط في الاقليم بالاضافة إلى أن منتجات مصانعه قد وجدت فيها اسواقاً في انحاء المملكة.

وقد اظهرت الدراسات الجيولوجية أن معظم ترب الخليج نشأت عن ترسبات بحرية إذ ان اكثر المنطقةالشرقية مصدرها من تكوينات الصخور الجيرية والرملية مكونة تربات جيرية وأخرى رملية . وعلى العموم يمكن القول بأن معظم الاراضي الساحلية في المنطقة الشرقية تتكون من أراضي ملحية يطلق عليها السبخات تحتوي على أملاح ذائبة ويظهر على سطحها قشرة ملحية وتتأثر الاجزاء القريبة من البحر بملوحة البحر وترسباته ومثل هذه الاراضي لاتصلح للزراعة وذلك لوجود طبقة الماء الارضي ورداءة التصريف ، وارتفاع نسبة الاملاح . إذ المعروف ان التربة تتأثر بالاملاح حيث ثبت بأن منطقة القطيف تمتاز بوجود نسبة عالية من الاملاح القابلة للذوبان ونسبة عالية من الجبس وكاربونات الكالسيوم (١) بما يسيء الى الخصائص الطبيعية للتربة ويجعلها وسطاً غير ملائم للنبات . ولذلك فان مساحة واسعة من اراضيها تشغلها صحار قاحلة فازالة ملوحة مياه البحر سيساعد على تزويد الجزء الاعظم من الاحتياجات المحلية بالمياه العذبه لهذه المناطق.أما العامل البشري فانه يشكل قدراً مهماً من التحدي لظروف البيئة الصعبة وهي ظروف سيواجهها العمل في الصحراء التي ماانفكت أن تزحف على الاراضي المزروعة فتهدد انتاج احتياجاته من الغذاء

الوضع السكاني في المنطقة الشرقية :—

تتضمن المنطقة الشرقية مساحة قدرها ٥١٤٤٦٧ كم أي ماتساوي ٩٢, ٢٣٪ من مجموع مساحة المملكة بينما عدد سكانها نحو ٧٦٢٠٣٧ (٢) نسمة أو مايساوي ٩٧, ١٠٪ من نفوس المملكة . وعليه فان الكثافة السكانية تبلغ ١.٢٨ نسمة لكل كم٢ .

---

(١) راجع مقالة الاستاذ حسن حمزة حجرة : مشاكل التربة الجافة وشبه الجافة في المملكة العربية السعودية — السجل العلمي المؤتمر الزراعي الاول لعلماء المسلمين — المجلد الثاني — التربة والحياة — مطبوعات جامعة الرياض ، ١٩٧٩ . ص ٣٠— ٣٣.

(٢) حسب احصاء وتعداد سكان المملكة سنة ١٩٧٤ .

وبصورة عامة تأتي المنطقة من حيث ترتيب عدد سكانها بالمرتبة الثالثة بعد أقليم الرياض (المنطقة الوسطى) واقليم مكة المكرمة (المنطقة الغربية) (١) ، و هذه النسبة عالية نسبياً خصوصاً لمنطقة لها خصائص صحراوية ولايمكن أن يعزى ذلك الا لموارد المنطقة وخاصة النفط .

وقد امتازت المنطقة بتحضرها وتبدل حياتها الاجتماعية نتيجة ظهور النفط فيها فنمو السكان وصل فيها إلى أعلى درجة حيث يقدر بنحو ٦٫٣٪، وتغير التحضير فيها يرجع إلى تغير نمط حياة السكان المقيمين في المدن ومثل هذه الحالة احتوت على ظروف من شأنها أن تشكل الاساس في عملية النمو الاقتصادي وخاصة القطاع الصناعي في المنطقة الشرقية . ومع هذا فان المنطقة امتازت بوجود ثلاث مدن متميزة يزيد عدد سكان كل مدينة فيها على ثلاثين ألف نسخة وقد بلغ تعداد سكانها نحو ٢٧٤٦٠٨ نسمة أو مايساوي ٣٫٩٪ من مجموع سكان المملكة أو ١٠٫٦٪ من مجموع سكان المدن الرئيسة التي تزيد عدد سكانها على ثلاثين ألف في المملكة كالدمام (١٢٤٣٤٦نسمة) والهفوف (١٠٦٩٧١نسمة) والخبر (٤٣٢٩٢نسمة). وعلى الرغم من آن المنطقة الشرقية تتمثل فيها بيئة بحرية جافة خالية من المراعي الطبيعية الأأن القبائل البدوية فيها تؤلف ٨٪من مجموع سكانها أو ٧٤و ٤٪ من مجموع سكان البدو في المملكة . ومع هذا فان نسبة التحضر فيها عالية حيث تصل نحو ٤٦و ٥٨٪ من مجموع سكان المنطقة .وهذا يعني أن الحياة الريفية لازالت ايضاً تحتل نسبة مهمة تصل إلى ٣٣٫٤٣٪ من مجموع سكان المنطقة(٢) . ويتركز سكان الارياف في واحة القطيف الزراعية وكذلك في واحة الهفوف الزراعية.

ويمكن القول بصورة عامة أن الكثافة السكانية بدأت تزداد في هذه المدن بينما بدأت تقل الكثافة السكانية في المناطق الريفية، حيث بلغ عدد القرى في الاحساء والقطيف نحو (١١١) قرية ولكن الكثافة السكانية فيها لاتزيد عن ١٠نسمة لكل كم٢ ،وتتوزع تلك القرى في جميع الاقليم ولكن بدرجة كبيرة في الاجزاء الشمالية منه أي في المناطق المجاورة لمدينة القطيف وكذلك في الاجزاء الجنوبية أي المجاورة لمدينة الهفوف.

(١) راجع كتاب المهندس عمر عبدالله قاضي ، دكترر حازم محمد ابراهيم ، تخطيط المدن العربية السعودية ط ١ ، الرياض ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١م . ص ٩.

(٢) راجع كتاب : المهندس عمر عبدالله قاضي والدكتور والمهندس حازم محمد ابراهيم جدول رقم ١ ، ص ١١. المصدر السابق ذكره .

ومع هذا فالدمام والخبر والهفوف تمتاز بكثافة سكانية عالية ،بينما المناطق الزراعية تتمثل بكثافة سكانية واطئة. وعليه فان الزراعة في الوقف الحالي لاتمثل النشاط الاقتصادي المهم في الاقليم كما كان معروفاً في السابق فان عدداً من سكان الارياف اتجهوا للعمل في المدن لما تقدم من فرص العمل المتعددة وخاصة الصناعة. وهذا ممايساعد على تطور الصناعة وخلق مراكز حضرية متطورة ومتقدمة .الا أن نقص اليد العاملة في المناطق الريفية سيساعد على تقليل الحاصلات الزراعية وخاصة الخضروات وهي مواد غذائية يحتاج اليها سكان تلك المدن التي ازداد عددهم فيها . وعلى الرغم من أن الدولة قامت بدعم المزارع في المنطقة الشرقية عن طريق توفير مستلزمات الانتاج من البذور والاسمدة والمبيدات ومضخات المياه ومضخات لرش المبيدات وكذلك توفير الادوية البيطرية اضافة إلى انشاء حقول تجريبية زراعية تستخدم فيها الوسائل العلمية في الزراعة وتزرع الاصناف الملائمة للبيئة وظروفها السائدة هناك. كما أن الحكومة حاولت أن تتابع عملية تطبيق النظريات والاساليب الحديثة في الري لتحقيق المقننات المائية، الا أن هذه الوسائل المهمة لم تستطع أن تمنع الهجرة من الارياف الزراعية إلى المدن الجديدة وذلك بسبب تفاوت المستوى المعاشي والدخل مابين سكان المدن وسكان الارياف والقرى الزراعية .

وعليه فان سكان المناطق الريفية يعتبرون الممولين للمدن التجـــارية والصناعية . وعند دراسة تلك المدن وحاجتها من العمل ومن كل الاختصاصات فقد تظهر ان تلك المناطق الريفية لا يمكن أن تسد هذا النقص. لذا فان الاعتماد على اليد العاملة من العرب والاجانب المستوردة اصبح من خارج المملكة ، ولهذا فإن عنصر العمل في تلك المدن لا يكون مستقراً ومتوفراً بصورة دائمية، فالعمل يعتبر مشكلة رئيسة فيها خاصة إذا علمنا أن العنصر النسائي لايشارك في العمل بسبب التقاليد الاجتماعية والدينية التي لاتسمح بخروج المرأة إلى العمل وخاصة في الصناعة .

أما الطبقة العاملة الزراعية، اذا ماأرادت المشاركة في الصناعة فانها إما أن تهاجر وتترك أرضها الزراعية أو أنها تقوم برحلة يومية بالنسبة للاماكن القريبة من مراكز الصناعة. ومما يلاحظ عن هذه المناطق المجاورة للمدن أنها بقيت محتفظة بالزراعة إلى جانب اهتمامها بالتجارة والصناعة. وفي الحقيقة ان الزراعة كانت ولا زالت أحد فروع الاقتصاد الاساسية في المناطق الريفية التي تمد المدن بمنتجاتها من التمور والخضروات ومنتجات الدواجن من البيض واللحوم. وغالباً ماتكون المسافة التي تسوق فيها هذه الحاصلات غير كبيرة

إذ لاتزيد عن ٤٠ كم في المتوسط. فحاصلات ريف الاحساء تسوّق إلى الهفوف والمبرز. بينما حاصلات ريف القطيف تسوق الى الدمام والخبر ورحيمة وابقيق. ومع هذا فان الاعتماد على الزراعة في تلك المناطق الريفية لايساعد على اعطاء مستوى معاشي لائق لسكانها، بل لابد من مزاولة العمل في مناطق النفط وفي مراكز حضرية مجاورة، خصوصاً أن ظروفها الطبيعية لم تساعدها على زيادة الاراضي القابلة للزراعة. فالتربة المحلية غير خصبة ونمو ثلثي أراضي المنطقة غير صالحة للزراعة، والثلث الباقي يعاني من نقص المياه. وعلى الرغم من أن الادارة الزراعية في المنطقة قد حفرت عدد من الآبار مما ساعد على ايجاد ظروف صالحة للزراعة، الا أن رقعة الأرض الصالحة للزراعة لم تزد بصورة كبيرة.

وبناءاً على ماتقدم فان الاتجاه العام لتنمية المنطقة اقتصادياً ورفع مستواها المعاشي وتوفير فرص العمل وتنويعه واستثمار موارد البيئة الطبيعية والبشرية سيتجه نحو التصنيع وتنمية حركة الصناعة فيهـــا.

التنمية الصناعية في المنطقة الشرقية :

يتطلب الالمام بهذا الموضوع الاهتمام بالصناعات القائمة فعلاً في المنطقة وبالصناعات التي نصت عليها مقررات خطط التنمية في المملكة.

١ ـ الوضع الصناعي في المملكة ونصيب المنطقة الشرقية منها: يؤلف التصنيع أحد الركائز التي تسعى معظم الدول النامية إلى الأخذ بها حيث تفكر هذه الدول أن ارتفاع المستوى المعاشي في الدول المتقدمة ورفاهية سكانها قد اعتمد بالدرجة الاولى على الصناعة ولذلك اهتمت الدول النامية بادخال أحدث أساليب الصناعة من خلال خطط تتبناها لهذا الغرض (١).

ولاشك أن حركة التصنيع في المملكة حديثة، وان تتبع تطور هذه الحركة يتطلب معرفة مجموعة من الاحصاءات التي لا تشير فيها على مقدار عدد المصانع وعدد العمـــال وؤوس الاموال المستثمرة فيها وإنما يتطلب تأريخ المنشأة وعدد القطاعات وحجم المصانع من خلال عدد العمال في كل قطاع ولكل مؤسسة وكذلك مقدار رؤوس الاموال المستثمرة فيها ومقدار الناتج لكل قطاع ودرجة تأثير الصناعة عامة على رفع دخول الافراد فيها ..

---

(١) د. نجيب عيسى، نموذج التنمية في الخليج العربي والتكامل الاقتصادي العربي، معهد الانماء العربي، فرع لبنان، بيروت ١٩٧٦. ص ٦٢.

الا ان مثل هذه المعلومات المهمة لبحثنا قد لانجدها على مستوى المملكة فكيف إذن يمكن الحصول عليها على مستوى الاقاليم الادارية والمراكز الحضرية في المملكة أو معرفة التوزيع الجغرافي للاماكن التي توطنت فيها تلك المصانع .

وعليه فان الدراسة هذه ستهتم بما سبقني غيري في هذه الابحاث وما توفر لدي من الاحصاءات التي وردت من خلال النشرات والكتب الصادرة عن المملكة والتي حصلت على بعضها من مكتبة الملحق الثقافي للمملكة في بغداد .

وبالتأكيد أن الوعي الصناعي وشعور اصحاب رؤوس الاموال وحوافز الدولة للمستثمرين الصناعيين كانت من أهم أسباب النهضة الصناعية في المملكة . ولا ينكــــر من ان السوق المفتوحة أمام الانتاج المحلي ، وتذبذب أسعار السلع المصنوعة المستوردة كان عاملا آخر لهذا التقدم .

إن نظرة سريعة للجدول التالي (رقم ١) لمعرفة البنية الصناعية في المملكة في عام١٩٧٥ تظهر منه مايلي : —

النشاط الصناعي	عدد المصانع	٪	رأس المال (مليون ريال) (١)	٪
١ — الصناعات المعدنية	١٨٥	٢٨,٩	٥٧٢	١٥,٥٩
٢ — صناعات مواد البناء	١٣٥	٢١	٢٢٢	٦
٣ — الصناعات الكيمياوية	١٢	١٤,٢	٩٧٦	٢٦,٥٥
٤ — الصناعات الغذائية	٨٥	١٣,٢٨	٣٧٧	١٠,٢٥
٥ — صناعة الورق والطباعة	٥٧	٨,٩	١٢٠	٣,٢٦
٦ — صناعة المنتجات الخشبية	٣٣	٥,١٥	١٠٢	٢,٧٧
٧ — = المنسوجات والالبسة	٢٤	٣,٧٥	٧٠	١,٩
٨ — الصناعات الزجاجية	٤	٠,٦٢	٥٩	١,٦٠
٩ — الصناعات الجلدية	٢	٠,٣١	٢٦	٠,٧
١٠ — صناعات أخرى	٢٥	٣,٩	١٥٠	٤,٠٨
المجموع	٦٤٠	١٠٠	٣٦٧٥	١٠٠

(١) د. محمد الحماد ي ، تطور حركة التصنيع في المملكة العربية السعودية ، المجلة الجغرافية السورية ، المجلد السادس ، كانون الاول ١٩٨١ . ص ١٦٩ ص ٧٨ .

١ ـ إن المصانع المذكورة وضمن قطاعاتها الصناعية تتسلسل على وفق أعدادها فكانت الصناعات المعدنية تأتي بالمرتبة الاولى واكثر منتجاتها تخدم جوانب معينة من البناء كصناعة الشبابيك واسلاك التسليح وصفائح حديدية تستخدم في صناعة السخانات والمكيفات الصحراوية .

٢ ـ أما قطاع صناعة البناء ومواد البناء فيأتي بالمرتبة الثـــانية ، ومن صناعات هذا القطاع صناعة السمنت . وهذا طبيعي حيث الحركة العمرانية واقامة السدود وبناء الطرق والمطارات والموانيء تحتاج الى هذه المادة بكميات كبيرة .

٣ ـ الصناعات الكيميائية وتضم صناعة الاسمدة وصناعة المبيدات والصابون ومواد التجميل والادوية والمواد البلاستيكية .

٤ ـ صناعة المواد الغذائية وتتعدد صناعات هذا القطاع لدرجة كبيرة ومن أهمها طحن الحبوب وصناعة الخبز والمعجنات والحلويات والالبان وغيرها .

٥ ـ أما الصناعات الاخرى فتتضمن مجموعة من المؤسسات الصغيرة مثل قطاع صناعة الطباعة والاثاث من الخشب وقطاع صناعة الزجاج وقطاع صناعة الجلدية والمنسوجات والالبسة .

ولو قارنا عدد المؤسسات الصناعية بمقدار الاستثمارات في كل قطاع لظهر لدينـــا معلومات أخرى تظهر في الجدول السابق ومنها :

١ ـ ان قطاع الصناعات الكيميائية يأتي بالمرتبة الاولى من حيث مقدار رؤوس الاموال المستثمرة فيه حيث يتطلب هذا القطاع تقنيات متقدمة واستخدامها يتطلب مهارة خاصة مثل صناعة الاسمدة وتكرير البترول والبتروكيمياوية .

٢ ـ وعلى الرغم من أن عدد مؤسسات قطاع الصناعات المعدنية تأتي بالمرتبة الاولى الا ان مجموع رؤوس الاموال المستثمرة فيها لا تزيد عن ١٥ر٦ ٪ من مجموع الأستثمارات في جميع قطاعات الصناعة أو مايعادل ثلثي مجموع رؤوس الاموال المستثمرة في قطاع الصناعات الكيميائية ويرجع ذلك الى أن ملكية أكثر مؤسسات هذا القطاع الى الاهالي وهي مؤسسات صغيرة تضم صناعات استهلاكية خفيفة ولاتتطلب رؤوس اموال كبيرة

٣ ـ ويأتي قطاع الصناعات الغذائية بالمرتبة الثالثة من حيث رؤوس الاموال المستثمرة في مؤسساته . وهذا الاتجاه يتفق وحاجة اسواق المملكة الى منتجاته .

(٤) اما قطاع صناعة مواد البناء فهي دون باقي المؤسسات السابقة من حيث مقدار رؤوس الاموال المستثمرة فيها. وباستثناء صناعة السمنت فان مؤسسات هذا القطاع لايحتاج إلى رأسمال كبير وذلك لان استخدام الاجهزة الميكانيكية فيه محدودة.

(٥) أما باقي القطاعات الصناعية كالمنسوجات والطباعة والصناعات الجلدية فهي مؤسسات صغيرة ومنتجاتها محدودة ولذلك فان مجموع استثماراتها كانت ايضاً محدودة

— ويمكن القول بعد هذا أن البنية الصناعية في المملكة تمتاز بالتنوع رغم أن عدد مؤسساتها محدود. وهذا التنوع يتفق والحاجة المحلية إلى منتجات تلك الصناعات. وعلى الرغم من أن تحديد حجم المصانع يتم بصورة اساسية بعدد العمال، الا أن الجدول السابق ينقصه هذا المعيار. فاذا أخذنا الجدول الثاني (رقم٢) الذي يوضح اقاليم المملكة ومراكزها لاتضح منه نصيب كل اقليم من عددالمصانع وعدد العمال فيها ومعدل حجم المؤسسة باعتبار معدل عددالعمال الذي يشتغل فيها:

المنطقة (الاقليم)	نسب عدد المصانع ٪	نسب عدد العمال في المصانع ٪	معدل عدد العمال في المصنع	نسب رأس المال ٪
١ — الغربية (جدة)	٥٠٪	٤٥	٤٣	٢٩
٢ — الوسطى (الرياض)	٣٠٪	٢٠	٣٠	١٣
٣ — الشرقية (الدمام)	٢٠ ٪	٣٤	٧٨	٥٨
٤ — المناطق الأخرى	—	١	—	—
المجموع	١٠٠	١٠٠	المعدل ٤٣	١٠٠

(١) تحتل في المنطقة الشرقية اقل النسب من حيث عدد المصانع، اذ تتفوق عليها المنطقة الغربية والوسطى.

(٢) تتفوق المنطقة الشرقية على باقي اقاليم المملكة في حجم الصناعة المتمثل بنسب رؤوس الاموال المستثمرة فيها وكذلك بمعدل عدد العمال المشتغلين في المؤسسة الواحدة.

(٣) ان الاتجاه العام لحركة الصناعة سيكون متمركزاً في المناطق البحرية والمملكة العربية في القاهرة ١٩٧٦ ص ١٩٩.

وربما كان للعامل الجغرافي الاهمية في هذا التركز حيث تساعد الموانيء على البحر الاحمر والخليج العربي على الاتصال بالخارج للحصول على متطلبات الصناعة سواء من حيث الاجهزة أو المواد الاولية. اضافة إلى سهولة تصدير منتجاتها التي تفيض عن الحاجة المحلية.

إن التوزيع الاقليمي للصناعة لايعطي الصورة الحقيقية لمكان الصناعة ، اذ أن أكثر المصانع تتركز في المدن حيث يتوفر فيها المناخ الملائم للصناعة. فلو أخذنا الجدول التالي (رقم٣) الذي يمثل توزيع الصناعة في بعض المدن في المملكة لظهر منه نصيب مدينة الدمام من الصناعة باعتبار عدد العمال ومقدار رؤوس الاموال المستثمرة فيها :

(جدول رقم ٣)

المدينة	عدد المصانع	٪	رأس المال (مليون ريال)	٪	عدد (١) العمال	٪
١ ــ جدة	٩٥	٣٢,٣	٣٢٩	٢١,٣٦	٤٥٦٣	٣٦
٢ ــ الرياض	٨٢	٢٧,٨٩	١٠٦	٧,٢	٢٥٢٨	٢٠
٣ ــ مكة	٣٥	١١,٩	٢٢	١,٤٩	٨٤٠	٧
٤ ــ الدمام	٣١	٧,٥٤	٣٤٦	٢٣,٥٢	١٨٨٨	١٥
٥ ــ مدن أخرى١٥		١٦,٢٧	٦٦٨	٤٥,٣	٢٧٨٦	٢٢
المجموع	٢٩٤	١٠٠	١٤٧١	١٠٠	١٢٦٠٥	١٠٠

يظهر من هذا الجدول أن جدة تحتل المرتبة الاولى في عدد المؤسسات وفي مجموع عدد العمال العاملين فيها ، الا أن الدمام جاءت في المرتبة الاولى في مقدار الاستثمار الصناعي . ومع هذا فان الاستنتاج الوارد عن الجدول اعلاه لا يختلف عما قلناه في السابق من حيث ان جدة والدمام تتمثل فيهما ظروف بحرية جغرافية لها علاقة بتوطن الصناعات فيهما (٢) ومع هذا فان الدمام امتازت عن جدة بوجود حقول البترول في اقليمها.(خريطة رقم٤).

(١) د. محمد الحمادي، مصدر سابق ، ص ٧٢.

(٢) Association of American yeog raphies

٢ – التنمية الصناعية في المملكة ونصيب المنطقة الشرقية منها :

بدأت الحاجة في المملكة إلى التخطيط من أجل خلق الموازنة مابين حجم الاستيرادات وحجم الصادرات وتنويع اقتصاد المملكة بما يؤمن رفع المستوى المعاشي للافراد واستغلال الموارد الطبيعية والبشرية بشكل أمثل وبالاضافة إلى توزيع الاستثمارات الانتاجية على أساس الموارد الخاصة بكل منطقةمن مناطقها .كما تهدف إلى الاكتفاء الذاتي الاقتصادي في المستقبل كاجراء وقائي ضد نفاد النفط.

لقد ازدادت عوائد المملكة من النفط وذلك على أثر زيادة الانتاج وصادراتها منه وارتفاع اثمانه في الاسواق الخارجية ، لقد كان انتاج السعودية من النفط في سنة ١٩٧٣ نحو ٢٧٧٢٦٠٥ الف برميل ، أصبح في سنة ١٩٨٢ نحو ١,٨٤٨,٢٣٠ الف برميل ، وقد بلغ عائدها من النفط في عام ١٩٧٣ نحو ٦١٠٠ مليون دولار بينما اصبح في سنة ١٩٧٩ نحو ٥٤٢٠٠ مليون دولار وكان استيعاب الحكومة السعودية لهذه العوائد مع انفاقها على خططها التنموية نحو ٢٣,١ بليون دولار بينما عائداتها كانت نحو ٣٣,٣ بليون اي ان الفائض نحو ١٠,٢ بليون دولار في سنة ١٩٧٦ (١) . وعلى الرغم من ان انتاج السعودية من النفط بلغ ١٥,١ ٪ من الانتاج العالمي او مايساوي ٢٨٪ من أنتاج الأوبك في سنة ١٩٧٦ الا ان استيراداتها كانت كبيرة ومع ذلك فأن مجموع الفوائض لموازينها الدولية الجارية كانت كبيرة ايضاً . فالسعودية استحوذت وحدها على ٤٦٪ من الفوائض الجارية ففي سنة ١٩٧٧ بلغت صادراتها من النفط نحو ٤١,١٣ بليون دولار ، بينما كان الميـــــزان التجاري نحو ٢٨,٩ بليون دولار . ففي الوقت الذي تتغير فيه اسعار النفط في الخارج فانهنالك اتجاه نحو حدوث ارتفاعات أخرى في اسعار السلع المصنعة والمستوردة من قبل الاقطار المنتجة للنفط (٢). اضافة الى ان حجم الصادرات من الاقطار الصناعية الى الدول النامية قد ازدادت مابين ١٩٧٣ – ١٩٧٤ بمعدل سنوي ٩,١٢٪ بينما لم تزد مابين ١٩٦٣ –١٩٧٣ عن ٢,٨٪ . بينما ازدادت الى الدول المنتجة النفط بما فيها المملكة العربيـــــة السعودية نحو ٢,٤٢٪ . ولم تكن هذه الزيادة تتناسب مع زيادة دخول هذه الاقطار حيث كانت بحدود ٣,٥٪ .

---

(١) راجع مقالة: عبدالخالق فاروق حسن ؛ عائدات النفط العربي والصراع الدولي ، مجلة المنار ، العدد الثاني ، السنة الأولى ١٩٨٥ . ص ٨٠ – ٨١ .

(٢) د. عبدالمنعم السيد علي، دراسات في اقتصاديات النفط العربي – معهد البحوث والدراسات العربية . ،القاهرة ، ١٩٧٩ – ص ١٩٩ – ٢٠١ .

ولم يحرك النفط كثيرا الوضع العام في المملكة من حيث تغيير الحالة البدوية الى الحالة الزراعية او الى الحالة الحضرية ، فقد بلغ مجموع من يشتغل في النفط من السعوديين اكثر من ١٥ الف عامل وهو عدد قليل بالقياس الى مجموع الذكور المهيئين في سن العمل والبالغ عددهم اكثر من ٨٠٠ الف (١) . ولذلك فان التنمية الصناعية في المملكة تعتبر قوة اقتصادية وحالة استراتيجية لها قدرة على تحويل المجتمع السعودي وعلى المدى البعيد من قطر مستورد الى قطر مصدر .

وعليه فإن استراتيجية التنمية الصناعية كما وردت في الخطة الخمسية الثانية (١٩٧٥ — ١٩٨٠) تستهدف تنوع القاعدة الاقتصادية عن طريق التركز على زيادة الانتاج الزراعي والانتاج الصناعي مع تنمية الموارد البشرية وتوزيع التنمية الاقتصادية والاستثمارات الانتاجية على اساس الموارد الطبيعية والبشرية الخاصة بكل منطقة (خريطة اقاليم المنطقة التخطيطية) . وقد اخذ بنظر الاعتبار تقليل اعتمادها على مصدر واحد وهو النفط والاهتمام بالصناعة ، وبتنويع كافة أوجه النشاط الصناعي . ونظراً لكون المنطقة الشرقية من اهم مناطق المملكة من حيث انتاجها للبترول الأمر الذي اعطاها مركزا صناعيــاً كبيراً ، فالمصانع الكبرى الخاصة بجمع الغاز وتصنيعه وزيادة عدد مصافي تكرير البترول ومجمعات الصناعة البتروكيمياوية وانتاج الاسمدة وصناعة الحديد والصلب والالمنيوم والتي تعــد من الصناعات الاساسية الضخمة التصدير للسوق العالميــة اكثر من استهلاك المحلية . واستهدفت الخطة زيادة طاقة انتاج السمنت في جميع المناطق المنتجة لهذه المادة والى اقامة مصانع جديدة في الجبيل (٢) .

وكانت الاهداف المرسومة ضمن الخطة الثانية عن الصناعات التحويلية هي التوسع في صناعة تكرير النفط الخام وذلك لمقابلة حاجة البلاد المتزايدة من مشتقاته والتصدير ، كمــا ان هذه المشاريع هي من الضخامة بحيث تطلبت استثمار رؤوس اموال كبيرة مع خبـرة متقدمة الأمر الذي جعل ان تشترك في هذه المشاريع الصناعية عدد من الشركات متعددة الجنسيات لتنمية الصناعات البتروكيمياوية وتصنيع المعادن والتركيز كذلك على استثمار الغاز الطبيعي . كما وانها تخلت عن الصناعات الاستهلاكية غير البترولية الى القطاع

---

(١) Middle East Review .

(٢) المملكة العربية السعودية ، وزارة التخطيط ، خطة التنمية الثانية (١٩٧٥ — ١٩٨٠) ص ١٠١ — ١٣٥ .

الخاص ، وعلى الرغم من ان مثل هذه الصناعات تتطلب خبرة عالية من الايدي العاملة وبجميع الاختصاصات وهذا يعني أن هذا الشرط قد لايتوفر محلياً ، وسيكون للايدي العاملة الاجنبية والعربية الاهمية الكبيرة في توطن هذه الصناعات .

لقد ازداد نمو انتاج المؤسسات الصناعية بدرجة محدودة وذلك بتأثير تلك الخطط التنموية كصناعة البترول ازدادت منتجاتها بمعدل (٤,١ ٪) مابين ١٩٧٠ ــ ١٩٧٥ ، وازداد مقدار انتاج صناعة السمنت بنحو (١٤,٧ ٪) بينما باقي قطاعات الصناعة ازداد انتاجها بنسبة (١١,٢ ٪) (١) . ومع هذا فان البناء الأساسي (الرأسمال الاجتماعي) ازداد مقدار المخصص له في الخطط التنموية بما يساعد الصناعة على النمو ، كبناء الموانيء والطرق المعبدة وتخصيص الارض للاغراض الصناعية وتأسيس صندوق التنمية الصناعية .

أما المشاريع الصناعية الكبرى التي وردت في الخطة الخمسية (١٩٧٥ ــ ١٩٨٠) في المنطقة الشرقية يوضحها الجدول رقم (٤) التالي : ــ

المشاريع الصناعية	راس المال مليون ريال	القابلية الانتاجية	عدد العمال
١ ــ جمع الغاز ومعالجته	١٦٠٠٠	١٦٠٠ مليون قدم في اليوم	٢٣٠٠
٢ ــ مشاريع بتروكيمياوية عدد ٤	٩٠٠٠	٢مليون طن من الاثيلين	٦٨٠٠
٣ ــ مصافي عدد ٢	٤٦٠٠	٥٠٠ الف برميل يومياً	١٧٠٠
٤ ــ مصفى للزيت	٢٥٤٠	١٠٧ الف برميل يومياً	٥٥٠
٥ ــ مصافي للاسمدة عدد ٤	١٤٠٠	٢مليون طن في السنة	٢٠٠٠
٦ ــ مصنع للالمنيوم	٥٠٠٠		٨٦٠٠
المجموع	٣٩٨٤٠		٢٣٨٥٠

(١) المصدر السابق ذكره ، ص ٢٦٢ .

أما المشاريع الصناعية القائمة على مواد خام زراعية من اجل تصنع مواد غذائية واستهلاكية فيها :

جدول رقم (٥) يوضح مقدار الاستثمارات في الصناعات الاستهلاكية .

الصناعات	الطاقة الانتاجية	الاستثمارات (بآلاف الريالات)
١ — دبغ الجلود	١,٥ مليون قدم٢	١٦٨٠
٢ — تكرير السكر	١٠٠ الف طن	٩٣٠٠٠
٣ — اسمدة فوسفاتية	٥٠٠ الف طن	٢٠٠ ٠٠٠
		٢٩٤,٦٨٠

بينما نجد الخطة تهتم بالمشاريع الصناعية لانتاج مواد البناء والانشاء بالمنطقة الشرقية يوضحها الجدول التالي :

جدول رقم (٦) يوضح الصناعات الانشائية والبنائية وما يصاحبها ومقدار الاستثمارات فيها .

المؤسسات الصناعية	الطاقة الانتاجية	رأس المال (بآلاف الريالات)
١ — ابواب وشبابيك المنيوم عدد ٢	٣٩٠٠ م٢	١٢٠٠
٢ — مواسير واغطية	٢٤٠٠ طن	١٩٨٠
٣ — شباك التسوير	١٤٠٠ لفة	٤٢٠
٤ — مواسير	١٨٠٠ طن	٥١٠
٥ — انابيب حديدية لنقل النفط	١٥٢٥ وحدة	١٧٩٠
٦ — انابيب حلزونية	٨٤٠٠	٧٧ ٠٠٠
٧ — شباك ونسيج معدني	٦٠٠٠ طن	١٥٠٠
٨ — بلوك وطوب	٢٥ مليون بلوك	١٥٠٠٠
٩ — طين حفر آبار الزيت	٨٥٠٠٠	١٢٥٠٠
١٠ — مسامير وانابيب فولاذية	٤٤٠٠	١٢٩٥٠
المجموع		١٢٤,٧٦٠

أما المشاريع الصناعية الجديدة التي وردت ضمن الخطة الخمسية الثانية والتي تخص المنتجات المنزلية وغيرها فهي :

جدول رقم (٧) يبين الصناعات الاستهلاكية المنزلية ومقدار طاقتها والاستثمارات فيها

	المؤسسة الصناعية	الطاقة الانتاجية	رأس المال (بآلاف الريالات)(١)
١ –	الاثاث من الخشب	٢٠٠٠ طن	٦٢٠٠
٢ –	منصات خشبية	١١٠,٥٨٠ منصة	٢٠٠٠
٣ –	ورق للعقل الالكتروني	٨٥ مليون نموذج	٢٧٠٠
٤ –	معمل اكياس البروبلين	١٢ مليون كيس	٤٠٠٠
٥ –	تجميع مكيفات	١٠ الف وحدة	٢٩٠٠
٦ –	اسلاك ومحركات كهربائية	١٧٢ الف حصان	٦٠٦٠
٧ –	اواني منزلية	٣٠ الف وحدة	٣٢٣٠
٨ –	أدوية	١٨٠ مليون حبة	٣٨٠٠
			٣٠,٨٩٠

يظهر من الجدول اعلاه ان الخطة التنموية اهتمت باستثمارات النفط والغاز الطبيعي اللذان امتازت بهما المنطقة الشرقية اضافة الى ظروف الصناعات الاخرى التي تصاحب زيادة دخول الافراد ونمو الحركة العمرانية بالمنطقة .

وبصورة عامة يمكن القول ان المملكة مهمتة بالقطاع الصناعي اكثر من اهتمامها بالقطاع الزراعي وذلك من خلال الاستثمارات التي وردت في الخطط التنموية في القطاعات الاقتصادية المختلفة ، فقد كانت حصة القطاع الصناعي في الخطة الاولى من الاستثمارات نحو (١١,٧٪) ووصلت في الخطة الخمسية الى (١٤٪)، بينما كان نصيب القطاع الزراعي نحو (٣,٦٪) . اما الرأسمال الاجتماعي فقد وصل نحو ٣٠٪ من مجموع الاستثمارات الواردة في الخطة الثانية ، كما ازداد نصيب مساهمة القطاع الصناعي الخاص بنسبة (٥٪) عما كان في الخطة الخمسية الاولى .

(١) راجع – كتاب : خطة التنمية الثانية (١٩٧٥ – ١٩٨٠) مصدر سابق ، منه تم أخذ أرقام الجداول ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ . ص ٢٩٢ – ص ٢٩٤ .

ومما يلاحظ عن المشاريع الصناعية الضخمة في المنطقة الشرقية أنها مشتركة في رؤوس اموالها مابين الرسمال الحكومي والرأسمال الذي ساهمت به شركات من جنسيــــات مختلفة ومن الأمثلة على ذلك :

١ — شركة الجبيل للبتروكيماويات — نسبة راس المال المحلي ٥٠ ٪ ، بينما راس المال للولايات المتحدة ٥٠ ٪ .

٢ — الشركة السعودية للبتروكيماويات — نسبة راس المال المحلي ٥٠ ٪. وللولايات المتحدة ٥٠٪ . .

٣ — الشركة الوطنية للميثانول — نسبة راس المال المحلي ٥٠٪ ، وللولايات المتحدة ٥٠ ٪ .

٤ — الشركة الشرقية للبتروكيماويات — نسبة راس المال المحلي ٥٠٪ ، والشركة اليابانية ٥٠ ٪ (١) .

ويمكن الاستنتاج من الجداول السابقة المناقشة التالية من عملية توطن صناعات متعددة وضخمة برؤوس اموال عربية واجنبية بمايلي :

١ — هل حصل تغير اساسي بعد قيام هذه المشاريع الصناعية في مقدار دخل الفرد ، وتغيرات اساسية على طلب منتجات هذه المصانع ؟ ان التغيرات التي حصلت في نسبة الصناعة تعكس التغيرات في مكان الصناعة ومواقعها الجغرافية ، كما تعكس حجم المصانع والمشاريع الصناعية من خلال الاستثمارات التي تتطلبها تلك المشاريع ، وعليه فان توجه الانتباه اولا الى نوع الصناعات التي تستخدم تقنيات عالية من خلال مؤشرات رؤوس الاموال المستثمرة فيها التي نجم عنها تغيرات بنيوية لصناعة المنطقة .

ان التطور الصناعي بالمنطقة قد ارتبط بالنمو الاقتصادي السابق لنشوء المشاريــــع الصناعية الجديدة . وقد استهدفت الخطة التطور والتنمية الصناعية من اجل اجراء تغيرات بنيوية في التركيب الاقتصادي وذلك بتنويع الانتاج والاهتمام بالتصدير .

(١) راجع كتاب د. الدكتور احمد رمضان شقلية — دراسات في الجغرافية الاقتصادية المملكة العربية السعودية والبحرين — الرياض ، ١٩٨١ ، ص ٧١.

The Strategy of Economic development (٢)

كما ان الصناعات والمشاريع التي اهتمت بها الشركات المستثمرة ستكون قطباً مهماً من شأنه ان يدفع عملية التنمية الصناعية والاقتصادية في جميع المملكة . ان الصناعات المعدنية الاساسية والبتروكيماوية هدفها التصدير بالدرجة الاولى سيصاحبها توفير خدمات عديدة تتطلب القيام بها من قبل فئة من السكان من شأنها ان تستفيد من عوائد خدماتها . وقد اكد عدد كبير من الاقتصاديين امثالPerroux (١٩٥٥) والاقتصادي هيرشومان Hirs Homan (١٩٥٨) (٢) على ان مثل هذه الصناعات ستكون هي القائدة وسيكون لها الدور الفعال في التأثير على النمو الصناعي وعلى الاقتصاد الخاص بالمنطقة والتي تمثلت بصناعة الالمنيوم والبتروكيمارية والاسمدة .

٢ — اظهرت الخطة الخمسية الثانية (١٩٧٥—١٩٨٠) استثمارات مهمة تزيد عن ١٤٣ مليار دولار ، ولكن من الملاحظ عن هذه الخطة انها ظلت اسيرة الستراتيجية التصنيع من اجل التصدير . وهذا مايجعل الهيكل الانتاجي لهذه الشركات تشو به التشويه من خلال اعتمادها على الربح اساساً . وقد استغلت الشركات الاجنبية المنطقة الشرقية موقعهـــا الجغرافي حيث سيكون تكاليف انتاج تلك المشاريع ارخص من انتاج الدول المستثمرة المصدر اليها ، فتستفيد الدول المستوردة للحصول على مواد مطلوبة في صناعات متعددة كالصناعات الالكترونية التي من شأنها أنها تدر ارباحاً هائلة لاصحابها ولاتسبب اي تلوث للبيئة ومتاعب للانسان. وقد تفرض بعرض الشركات شروطاً معينة منها الحصول على الغاز الطبيعي مجاناً من اجل صناعة الحديد والصلب وهذا مايوفر من تكاليف انتاج هذه المادة التي ستصدر الى بلدانهم . وهذه طريقة جديدة للالتفاف على فوائض رؤوس الامـوال السعودية وجعل اقتصادها تابعاً لتلك الشركات وتصرفاتها وعلاقاتها التجارية (١) .

٣ — ان مسألة التصدير لمنتجات الصناعات الثقيلة غير مضمونة دائماً فهي تعتمد على ظروف تقع خارج نطاق الدولة المنتجة . ولما كانت الغاية من انشاء هذه المصانع هـــو استخدام مواد خام من النفط والغاز الطبيعي ، ولذا فان الخسائر التي تؤثر على هذه المشاريع يجعلنا ان نفضل استبقاء النفط في مستودعاته تحت الارض احرى من استخدامه في صناعات غير مضمونة .

٤ — ان استغلال الشركات الاجنبية موانىء المنطقة الشرقية وخاصة الجبيل والدمام واعتمادها على خدمات توفر لها من قبل الدولة كالسكن والمستشفيات والطرق المعبـــدة

---

(١) مجلة المنار ، مصدر سابق ، ص ٨٤.

والكهرباء وتحلية ماء البحر يجعلني ان اقول بأن الافضل ان يكون الاستثمار كله بيد الدولة وبدون الحاجة الى اشراك دول اجنبية التي ستتحكم في الانتاج والتصدير . وفي هذا يفضل التعاقد من اجل الحصول على الخبرة وتحت رقابة الدولة السعودية .

٥ ــ ان التوزيع الجغرافي للاستثمارات على اقاليم المملكة ادى الى اتفاق الراسمال الاجتماعي لجميع هذه الاقاليم وبدون تحديد . الا ان الاستثمارات الكبيرة في المنطقة الشرقية امتازت بوجود مالكين من جنسيات متعددة لها قدرات تقنية وادارية عالية ، وهذا أمر طبيعي باعتبار جميع موارد المنطقة والتي من اهمها النفط والغاز الطبيعي يقع تحت تصرفات شركات اجنبية أيضاً .

٦ ــ اتجاه الصناعات الاستهلاكية بالمنطقة الشرقية نحو النمو من خلال رؤوس الاموال المستثمرة فيها وذلك من أجل سد احتياجات السوق المحلية من منتجاتها . وهذا أيضاً مؤشر آخر على تبدل اتجاه المستثمرين من اصحاب رؤوس الاموال من القطاع التجاري الى القطاع الصناعي بعد أن لمسوا اهمية الصناعة في توفير الارباح المطلوبة منها .

٧ ــ ان هذا التوطن الكبير والاستثمار الكثيف يتطلب الى اليد العاملة بدرجة اكثر من قدرة المنطقة على توفيرها . ولذلك فقد زاد عدد العمال الاجانب المؤقتين حتى وصل الى (١٠٢٣١ عامل) وكذلك العمال الدائميين وصل الى (٦٩٨٥) عامل . وقد اشارت خطة التنمية الثانية على ضرورة استقدام موظفين وعمال ومهندسين وتوقعت أن يصل عددهم في جميع المملكة الى حوالي (٨١٢٦٠٠) عامل في سنة ١٩٨٠ (١) . وان هذه الزيادة لاتشمل قطاع الصناعة فقط وان جميع الانشطة الوظيفية . وهذا جانب آخر يتعلق بتصدير نسبة عالية من العملات من اجل اليد العاملة الاجنبية التي تساهم في الصناعات وباقي القطاعات الاقتصادية الأخرى ، وهذا مما يجعل توقعاتنا عن فشل أو نجاح الصناعة في المملكة غير معروف .

٨ ــ ومع هذا فهناك سؤال يطرح نفسه والذي له علاقة بالفقرة الثانية والثالثة السابقتين ، ما المسؤولية والنتيجة التي ستبني على سيطرة الشركات الصناعية على التصدير؟ لايمكن تصور ماذا يحدث من خلال زيادة تصدير بعض السلع المصنوعة الى أسواق العالم وكم حجمها وكم طاقتها على الاستيعاب ؟ فامكانية التصدير ستجعل في مقدور الشركة

(١) المملكة العربية خطة التنمية الثانية (١٩٧٥ — ١٩٨٠) ، مصدر سابق ، ص ١٠٧ السعودية ، وزارة التخطيط .

الصناعية تغيير النمط الانتاجي والتنظيم والبنية العامة للصناعة وعلى تفضيل الشركة لهذا الانتاج دون غيره .

ان التغيرات البنيوية المصاحبة للتصنيع لاتساعد فقط على زيادة الانتاج على نطاق المملكة وإنما ستساعد على زيادة صادراتها من منتجاتها الصناعية لدول أخرى . إن هذا الانتاج الاقتصادي الجديد والروابط التجارية مع بعض دول العالم سيعكس ظروف جديدة في زيادة الاستيراد وكذلك في زيادة التصدير .

وستتطلب زيادة القدرة الانتاجية للصناعات القائمة ذات العلاقة مع المصادر المتوفرة محلياً انتخاب صناعات معينة مربحة او أنها تتمتع بكفاءة موقعية ومعتمدة على اليد العاملة التي من شأنها ان تساعد على تركيز الصناعة في المنطقة الشرقية . ومثل هذا التخصص ، الانتاجي وتلك الكفاءة الموقعية سيكون لها أثر في خلق روابط تجارية وحركة نقل واسعة يتم عن طريق ميناء الدمام البحري المهيأ لجميع الفعاليات الخاصة بالتصدير وبالاستيراد مما يتطلبها التقدم والنمو الصناعي بالمنطقة الشرقية .

وبناءً على ماجاء في الفقرات السابقة فإن حركة التصنيع وسياستها تتطلب الاعتبارات التالية :

١ — ترجيه الانتاج للسوق المحلية وهنا يتحدد مركز حضري كبير للصناعة يقوم بخدمة اقليم واسع يتضمن جميع المنطقة الشرقية . وهذا ماسأذكره عن دور مدينة الدمام في خدمة الصناعة بالمنطقة .

٢ — الصناعة تخدم اولا السوق القومية اي على نطاق المملكة واسواق بعض اقطار الوطن العربي المجاورة ، وهذا يتطلب وجود نقل داخلي واسع يربط مدينة الدمام بمدن المملكة ، ويربط ميناء الدمام مع موانىء الخليج العربي .

٣ — الصناعات الموجهة للتصدير وهذا يتطلب استثمارات كبيرة وضمن تنظيم شركات كبرى لها القدرة على التصدير والاتصال بالاسواق العالمية وهذا ماتتمتع به مدينة الدمام وميناؤها من حرية الاتصال عن طريق الخليج العربي مما سيخدم الصناعة والتجارة في القطر .

دور مدينة الدمام وميناؤها في التنمية الصناعية :

تمثل مدينة الدمام العاصمة الاقليمية والادارية للمنطقة الشرقية ، وتعد من اكبر المراكز الحضرية في القسم الشرقي من المملكة ، واهميتها تأتي للمملكة من حيث أنها عاصمة اقليم البترول وبمثابة القلب الاقتصادي فيها ، ولها ميناء مهم يقع على الخليج العربي يأتي بمرتبة موازية لميناء جدة على البحر الأحمر . ويبدو ان الدمام تقع في منتصف المسافة التي تمثل امتداد المملكة على الخليج العربي مابين رأس مشعاب شمالاً وخليج سلوى جنوباً .

بالرغم من ان مدينة الدمام تقع ضمن موقع جغرافي متقدم يجعلها على مقربة من معظم المدن الواقعة في المنطقة وزاد من ربطها مع هذه المدن والقرى المجاورة لها الطرق المعبدة ، بينما الخط الرئيس للسكة الحديد جعلها على صلة مع العاصمة الرياض .

ان هذه الميزات الموقعية للمدينة ووجود النفط في ظهيرها وسياسة الدولة جميعها عوامل اساسية ساعدت على تقدم مكانتها الصناعية في المملكة .

ان التنمية الصناعية وتغير مستقبل اقليم المدينة يمثل بحثاً خاصاً ومتغيراً وذلك من خلال اكتشاف دور اقليم المدينة في نجاح اساسها الاقتصادي وخاصة القطاع الصناعي ، وكذلك سيكون لسكان المدينة واصحاب رؤوس الاموال فيها دور . آخر في اختيار نوع الصناعة واماكن توطنها كجزء من وظيفة المدينة وشكلاً خاصاً من اشكال التنمية التي تلعب في وجودها ونموها ونجاحها المدينة وميناؤها . وقد انعكس هذا النجاح في التوسع العمراني وتنوع استعمالات الاراضي في المدينة . فالمدينة لم تكن في سنة ١٩٣٤ اكثر من قرية لصيد الاسماك محدودة المساحة وتتمثل حالياً بمحلة الدواسر ، ولكن اكتشاف البترول وتصديره بعد سنة ١٩٥٦ تجاوزت المدينة المناطق الساحلية ، الا ان نموها السريع ظهر بصورة مخططة بعد سنة ١٩٦٣ وازداد عدد سكانها حتى وصل الى اكثر من ٤٥ الف نسمة أما عندما اتخذت المدينة كمركز اداري للمنطقة الشرقية ازدادت مساحتها حتى وصلت الى اكثر من ٦٥٠٠ هكتار (١) ، تمتد منها سكة حديد تربط اهم مدن المنطقة معها لتنتهي في العاصمة . وعليه فإن ازدياد عدد سكانها وتغير مساحتها ونمط البناء فيها وخاصة ظهور البناء العمودي مما يعطينا مؤشر على مثل هذا التغير السريع للمدينة .

---

(١) د. محمد عبداللطيف عصفور ، واخرون ، الدراسة الميدانية في جغرافية العمران ، القاهرة ١٩٧٦ . ص ٢١٠ — ٢١١ .

الهكتار يساوي عشرة آلاف متر مربع .

ومن خلال تواجد الباحث في هذه المدينة للفترة ١٩٦٧ – ١٩٦٩ فقد عاصر قيام صناعة الاسمدة الكيمياوية وتوقع الدور الذي سيلعبه هذا المشروع في قيام صناعات أخرى مستقبلا وهذا ما تم فعلاً . اذ ان العوامل الجغرافية التي امتازت بها المدينة وظهيرهـا تساعدها على قيام صناعات اساسية فائدة لها اهميتها على المستوى الاقليمي والعالمي . فالموقع المتقدم نحو البحر يجعل في مقدور المدينة عن طريق مينائها استيراد وتصدير جميع احتياجاتها ومن منتجاتها الصناعية كانت ام الزراعية .

لقد تبوأت المدينة المركز التجاري في الاقليم فهي بارتباطها مع مدن الاقليم كانت عمليات التوزيع تعتمد عليها ، وقد اتسع اقليمها حتى شمل العاصمة .

وقد اتصفت بيئتها البحرية بمياه هادئة مكنتها من اقامة ميناء كبير احتل المرتبة الثانية بعد جدة في اهميته وقدرته على استيراد ماتحتاجه المنطقة والمملكة من السلع الاستهلاكيـة والمواد الغذائية والاجهزة والمكائن والمواد الاولية التي تستخدم في مؤسساتها الصناعيـة. وربما العوامل الاخرى الجغرافية غير المشجعة على الزراعة باعتبار قسوة المناخ ونقص الماء والتربة غير الخصبة والمستنقعات والسبخات ساعدتها هذه العوامل على التوجه نحو التجارة والصناعة وربما يسأل القارىء عن امكان ظهور موانىء اخرى غير الدمام ، والواقع ان هناك عدد من المدن الساحلية منها سيهات والقطيف ودارين (في جزيرة تاروت) والخبر جميعها تعاني صعوبات في استقبال السفن البحرية الكبيرة . إن لمدينة الخبر ميناء يسمـح السفن الصغيرة ، وقد اختص ميناؤها بنقل المسافرين مابين البحرين والمنطقة الشرقية بينما القرارات الحكومية التي ساعدت على انشاء ميناء عصري جديد يتفق ومتطلبات الظروف الاقتصادية والتنمية في القطر ويسمح بالسفن البحرية الكبيرة للدخول والخروج من مياهها الاقليمية كان متمثلا بميناء الدمام . ان الوظيفة التجارية والادارية والصناعية وارتباط مواصلاتها مع مدن اقليمها بما فيها العاصمة الرياض ساعدها على توسيع الرقعة الجغرافية التي تشمل خدماتها .

ولكن احدى الصعوبات التي تعاني منها مدينة الدمام وصناعاتها هي عدم توفر اليد العاملة وبالمهارات المطلوبة محلياً ، ولذلك اعتمدت على اليد العاملة الاجنبية وكان من اسبـاب اشتراك شركات اجنبية في ملكية مؤسساتها الصناعية الكبيرة هي توفير المهندسين والاداريين والفنيين لتلك المؤسسات وكذلك ضمان الأسواق في الخارج لتصريف منتجاتها التي تزيد عن حاجة السوق لها . وستعمل تلك المؤسسات التي تحتاج الى يد عاملة كثيرة على توزيع السكان وتغيره بشكل يتفق وعدد المؤسسات التي توطنت في الدمام او في مدينة الجبيل .

إن الصناعات التي تعتمد على اسواق خارجية ويد عاملة أجنبية هي ظروف صعبة تواجه الصناعة سواء اكانت في الدمام ام في المراكز الصناعية الأخرى من المنطقة الشرقية ، والدول المساهمة في هذه المشاريع لا يهمها نتائج الصناعة كثيراً ، فالجوانب التقنية التي تمتاز بها تلك المصانع لا تستطيع اليد العاملة الوطنية تشغيلها بدون اليد العاملة الاجنبية .

إن بعض منتجات الصناعات الكيماوية والبتروكيماوية القائمة في الجبيل والدمام ستعمل على قيام صناعات أخرى وتستهلك منتجاتها كمواد اولية تقوم عليها وخاصة الصناعات البلاستيكية . وعلى الرغم من ان بعض الصناعات تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه الا ان الحكومة السعودية وفرت المياه اللازمة للصناعة وللاغراض المنزلية بتحلية مياه البحر ، وبهذه الطريقة قد عززت الدولة مكانة الصناعة وعملت على نموها وانعاشها وزيادة منتجاتها وتنوعها .

إن التنمية في منطقة جغرافية كالمنطقة الشرقية لا تجابه مشكلة تتعلق بموقف المجتمع المحلي من الصناعة ، لتجانس مصالح المجتمع القومية واهدافه الاجتماعية والاقتصادية. إن التنمية الصناعية في المنطقة الشرقية ستعمل على احداث تغيير اساسي في المجتمع وخاصة في مدينة الدمام وكمركز حضري يخدم اقليماً جغرافياً واسعاً تبلغ مساحته اكثر من ٢٣ ٪ من مساحة المملكة ويخدم كثافة سكانية تزيد على ١١ ٪ من مجموع سكان المملكة . ومع هذا فخدمات المدينة التجارية تشمل المنطقة الشرقية والمنطقة الوسطى من المملكة . ولذلك فإن العلاقة ما بين ازدياد حجم اسواق المدينة وزيادة الطلب المحلي على السلع المصنوعة فيها اصبح واضحاً .

فالمدينة التي تتوسط اقليماً يمتاز بوجود ثروة نفطية فيه ، كما تتجمع فيه ثروة كبيرة نتيجة اتساع للحركة التجارية والصناعية ، يساعدها على النمو العمراني وبدرجة واسعة وسريعة (١) مما مكنها ان تكون المدينة الاولى في المنطقة الشرقية .

ومع ان الاتجاه يدعو إلى التفاؤل ولكن يبدو ان المغالاة في هذا الهدف والطموح المشروع تشوبه صعوبات لا تختلف عما تعانيه الدول النامية التي أخذت بالصناعة حديثاً. وهذا ما يدعو إلى المناقشة ، فهل هنالك قناعة لدى اصحاب رؤوس الاموال في المنطقة بالاتجاه باستثماراتهم نحو الصناعة بدلاً من التجارة ؟ وهل يمكن استبدال الربح الآتي

---

(1) Commericial Factors in the development of Regional urban systems.

من التجارة بالربح المشكوك فيه الآتي من المشاريع الصناعية ؟ فالعامل البشري المتمثل باصحاب رؤوس الاموال له قراراته الحاسمة في تنمية القطاع الصناعي . وهنا يبرز دور الحكومة في تحفيز اصحاب رؤوس الاموال في استثمارها في القطاع الصناعي . وعليه فإن التنمية الصناعية في مركز حضري كبير كالدمام يتطلب الالمام بالقضايا التالية :

١ — لا تتمكن اي من القطاعات غير الصناعية من جلب موارد اقتصادية ضخمة لها دور فعال في حياة سكان الاقليم وتطويره .

٢ — او لان الصناعة واسطة لتطمين كثيرمن حاجات المجتمع من السلع المصنوعة .

٣ — كما ان الصناعة واسطة لكسب علاقات تجارية مع الخارج وذلك بتصدير المنتجات الزائدة عن حاجة المجتمع المحلي .

٤ — الصناعة واسطة لتقوية نسيج العلاقات والروابط بين الدمام واقليمها الواسع .

٥ — توفر الارض وضمن حدود المدينة للاغراض الصناعية وبأثمان زهيدة، وخاصة الأراضي الفارغة الواقعة ما بين الميناء ومحطة السكة الحديد . كما تتوفر اراضي خالية من العمران الواقعة على طريق الخبر والظهران . وقد بلغت مساحة الاراضي المخصصة للصناعة في الدمام نحو ١,٨١٢,٣٩٦ م٢ ، ولكن الدولة خصصت مواقع جديدة للصناعة تزيد مساحتها عن ٢١ مليون م٢ (١). والهدف من توفير الاراضي للصناعة واختيار اماكنها هو تشجيع الصناعة وحماية البيئة من التلوث . وتمتاز المناطق الصناعية الجديدة في مدينة الدمام بوجود كل متطلبات الصناعة من الخدمات العامة كالطرق المعبدة ومجاري التصريف للمياه المستعملة للصناعة واحياناً تضم ورشة فنية تعمل على صيانة المصانع واحياناً تضم مساكن للعمال .

٦ — تأثير الصناعة على زيادة الهجرة من مناطق ريفية تعاني من البطالة إلى المدينة كما ان الصناعة واسطة لتأهيل المجتمع بالثقافة والحضارة الصناعية .

وعليه فإن الاتجاه الجديد المبني على احداث التغيير في التركيب الاقتصادي للمجتمع سيعتمد على التصنيع باعتباره الوسيلة المهمة والايجابية في تحقيق هذا الهدف ، فضلاً عن ان التقدم الصناعي يصاحبه في المدى البعيد اوفر الارباح للمستثمرين من الجوانب الأخرى الاقتصادية كالتجارة والزراعة . وعلى العكس من ذلك فإن الاتجاه نحو الصناعة

(١) المملكة العربية السعودية ، المناطق الصناعية بالمملكة العربية السعودية ، مركز الابحاث والتنمية الصناعية بالرياض ، الرياض ١٩٧٨ . ص ٧ .

يسير بخطى سريعة وذلك لتوفر راس المال لدى اصحاب التجارة ، وقد اكتشف هؤلاء ضعف التجارة بالقياس إلى الصناعة حيث ينتج عنها خسائر كبيرة لعدم سيطرة التخطيط على توجيهها ، كما ان حركة النقل البحري ستساعد على نمو التجارة عن طريق تصدير الفائض من منتجات الصناعة ؛ وقد اكتشفت الدولة النقائص التي تتعلق باعتمادها على التجارة في الاستيراد للسلع المصنوعة والمعرضة لتذبذب في اسعارها والميالة نحو الارتفاع بصورة مستمرة بعكس مواد الخام المصنوعة منها اذ أن اسعارها ثابتة او معرضة للهبوط .

ارجو ان لايتبادر الى الذهن بأني أميل الى الصناعة دون الزراعة ، الا انه للصناعة في هذه المنطقة اثر كبير وضمن ظروفها الجغرافية وهي تخلق التنمية الحقيقية لأقتصاد الاقليم بل والمملكة ومع هذا فان اكثر خطط التنمية في المملكة اعطت اهمية للزراعة وخاصة في الجهات المتوقع لها امكانيات زراعية كبيرة كالهفوف والقطيف (١) .

يتضح مما تقدم اهمية مدينة الدمام وماتمتاز به من مؤهلات ساعدتها على احتلال مكانة صناعية متقدمة في المنطقة الشرقية الامر الذي يحتم علينا دراسة الظروف التي هيأتها لمثل هذه العمليات الصناعية والتي كان في مقدمتها اهمية موقعها كميناء يلعب دوره في هذا المجال .

ميناء الدمام :

يعتبر ميناء الدمام من الموانيء الكبيرة والمنفذ الرئيسي لدخول السلع الراسمالية والوسيطة والاستهلاكية الى المملكة ، وعلى أثر تبني المملكة التخطيط كأسلوب في التنمية زاد مقدار استيرادات المملكة من هذه السلع فضاقت موانئها وخاصة ميناء الدمام مما ادى الى تأخير وصولها رغم اشتغال الميناء اكثر من طاقته . فهل العناصر الجغرافية وخاصة الجوانب الطبيعية مسؤولة عن عدم استيعاب الميناء لحركة التفريغ والتوزيع للسلع الى الاسواق ؟ وهل هنالك جهود بشرية لتطوير الميناء على وفق الظروف الجديدة التي تتعلق بخطط التنمية في المملكة ؟

ان الدراسة الخاصة بالميناء ستهتم بوظائف معينة للميناء ، والتي منها ، مقدار الحمولة الواصلة اليه ، مقدار خدماته ومناطق توزيع السلع المستوردة والمصدرة عن طريقه ، وخصائص موضع الميناء خصوصاً بما يتعلق بمياهه وعمقها وهذه أمور ستناقش جميعها

(١) المملكة العربية السعودية — وزارة التخطيط ، خطة التنمية الثانية (١٩٧٥ — ١٩٨٠)

مصدر سابق ، ص ١٠٥ .

من الوجهة الجغرافية وذلك لما لها من علاقة مع التنمية الصناعية في مدينة الدمام وباقي مدن الاقليم .

يقع ميناء الدمام على سواحل الخليج العربي في المملكة، فهو يمثل مكان التماس مابين العالم الخارجي وداخلية المملكة ، ولهذا فان خدماته البحرية موجهة لظهير الميناء والواجهات البحرية التي تقع خارجه ، ومن هذه الوجهة فان ميناء الدمام يمثل العقدة التي تربط مياه الخليج العربي وما وراءه من بحار ومحيطات وبين ظهيره عن طريق خطوط النقل الداخلية من سكك وطرق معبدة . وتتوقف حياة الميناء بصفة اساسية على وصول البواخر اليه وبأمان ، وتعني كذلك هذه الحركة الرخاء الذي سيطفح على المدينة واقليمها المحيط بها او الخاضع لنفوذها ولخدماتها ؛ ومن هذا المنطلق فان ميناء الدمام يعاني ، منافسة في خدماته من موانىء البحر الأحمر التي تقوم بنفس الخدمات او من احتمال قيام ميناء اخر على الخليج العربي يقوم كذلك بنفس الخدمات الى المنطقة . وعليه ومن خلال دراسة سواحل الخليج العربي للمملكة لايوجد في الوقت الحالي ميناء اخر يستطيع ان ينافس ميناء الدمام وخدماته التجارية والصناعية . وكل مايمكن عن احتمال قيام ميناء الجبيل الذي يبعد عن ميناء الدمام بنحو ٨٥ كم الى ليخفف الضغط الحاصل على ميناء الدمام وتوجيه الحكومة السعودية وسياستها نحو جعل هذه المدينة (الجبيل) مدينة صناعية ، يقوم ميناؤها في المستقبل بخدمة المؤسسات الصناعية التي تم اقرار توطنها فيها .

ومع هذا فان لموضع ميناء الدمام اهمية كبيرة في تفوقه على ميناء الجبيل فالمساحات المجاورة للميناء كانت كافية لتأسيس كافة الخدمات المطلوبة من الميناء لخدمة التجارة والصناعة كالمخازن الارضية المخصصة التفريغ والتحميل ، والمؤسسات الرسمية الادارية والكمركية وتوفر المياه العميقة التي تناسب احجام السفن وحمولتها .

وقد تأثر الوضع لميناء الدمام باعمال الانشاء التي حورت كثير من خصائص الميناء الطبيعية ، خاصة وان الحاجة الى هذه التحويرات تدعو الى ذلك . وعموماً ان مياه البحر هادئة للاقتحام السفن الى مايحميها من الرياح وحركات المد والامواج . وقد كان لوجود بعض الجزر والالسنة الارضية البحرية الواقعة الى الشمال من الميناء أثر على تقليل حركة المياه في ميناء الدمام مثل جزيرة تاروت وشبه جزيرة دارين التي وجودهما تقع الى الشمال من ميناء الدمام .

ومن الصعوبات التي يعانيها الميناء وباقي موانيء الخليج العربي هي ان عمق المياه لا

يناسب لجميع السفن باحجامها وحمولاتها ، ومن هذا الجانب احتاج الميناء الى تدخل الانسان لاجراء بعض التحويرات التي من شأنها ان تجعل الميناء صالح لدخول السفن الكبيرة . اذ تطلب من الميناء ان يقدم خدماته المتزايدة من السلع المستوردة بما فيها السلع الغذائية والصناعية الى اقليمه والمملكة بما يتناسب والظروف الجديدة التي امتازت بها المملكة من حيث ارتفاع مستوى المعاش وازدياد دخل الافراد فيها .

وعلى الرغم من وجود ميناء صغير يتبع مدينة الخبر التي تقع الى الجنوب من مدينة الدمام الا ان ميناء الخبر قد اختص بسفن النقل للمسافرين مابين المنطقة الشرقية في المملكة وجزر البحرين . وقد بلغ عدد المغادرين المملكة عبر ميناء الخبر نحو ٢٣٧٠٦ مسافراً في سنة ١٩٧٥ وهذا العدد يقابل عدد المغادرين المملكة عبر ميناء جدة ولنفس السنة . بينما نجد ميناء الدمام يختص فقط للاغراض التجارية . ان الاهتمام بهذا الميناء وبصرف مبالغ ضخمة على شؤونه المتعددة أدى تقليل شأن باقي الموانىء الواقعة على ساحل الخليج العربي مثل الخبر والعنبر والقطيف والجبيل. وقد امتاز ميناء الملك عبد العزيز (ميناء الدمام) بقدرته على استقبال البواخر البحرية الكبيرة وتقديم كافة الخدمات لها، فالارساء والاستدارة وسهولة الوصول اليه اصبحت مميزة في هذا الميناء . وقد صرفت المملكة ضمن الخطة الخمسية الثانية ١٩٧٥ — ١٩٨٠ نحواً من ١٩٤١ مليون ريال . وقد استهدف الانفاق على الميناء اجراء تغيير في النـاتج القومي للمملكة وتنويع مصادره والاهتمام بالقطاع الصناعي ، وهذا كله كان وراء التغييرات الكبيرة التي حصلت لميناء الدمام . فالظروف البشرية ، والطبيعية للاقليم كانت إذن مسؤولة عن تحسن وتطور قدرة هذا الميناء . فقد اصبح للميناء سبعة ارصفة جديدة بالاضافة الى اثنين قديمة وسبعة ارصفة أخرى كانت تحت الانشاء خلال الفترة (١٩٧٥ — ١٩٨٠) وقد زاد قدرة الميناء على التفريغ والاستيراد من ثلاثة ارباع المليون طن الى اكثر من مليون وربع المليون طن . والخطة المستهدفة لتحسين الميناء ان يصل قدرته على تفريغ وتحميل اكثر من سبعة مليون طن . فقد تم في الاونة الاخيرة تصميم وانشاء نحو ستة عشر رصيفاً جديداً بجميع مستلزماتها (١) .

وقد ربطت الدولة الميناء بطرق معبدة وبالسكك مما ساعد الميناء لأن يخدم المنطقة الشرقية ومناطق أخرى من المملكة ، إذ ساعدت مثل هذه التسهيلات على تدفق السلع المستوردة إلى كثير من المدن التي ارتبطت مع هذا الميناء بطرق معبدة او بطريق السكك ،

(١) راجع كتاب خطة التنمية الثانية ١٩٧٥ — ١٩٨٠ . ص ٦٤٦.

وبهذه الوسيلة وغيرها قد خدمت الدولة الصناعة ويسرت لها استيراد المكائن والمـــواد الاولية اللازمة لها ، كما ساعدت الصناعات الكبيرة على تصدير منتجاتها عبره، كمنتجات صناعة الاسمدة في الدمام . وقد انعكست خدمات الميناء على المدينة ذاتها حيث استقطبت اصحاب رؤوس الاموال والتجارة فيها ، إذ اصبحت تستورد لحسابهم وتقوم بتوزيعها على باقي المدن الأخرى في الاقليم .

وما دمنا بصدد تطور ميناء الدمام وخدماته للقطاعات الاقتصادية وخاصة الصناعيـــة ارى من الضروري أن نشير إلى اهمية طريق السكك الذي يربط الميناء بعدد المدن بما فيها العاصمة الرياض .

سكة الحديد في مدينة الدمام وميناثها وتأثيرها على التوطن الصناعي فيها :ـــ

يعتبر طريق السكك واستخدامه للمسافرين ولنقل السلع جزءاً متكاملاً من الحيـــاة الاقتصادية لميناء ومدينة الدمام ، إذ يعتبر هذا الطريق عنصر حيوي في المساهمة بنقـــل كميات كبيرة مما يستورد عن طريق الميناء لحساب مدن منطقة نجد وخاصة الرياض ، لاحظ خريطة رقم (٥) ولحساب مؤسسات شركة البترول ، والمؤسسات الصناعية القائمة في الدمام والجبيل وكذلك المؤسسات التجارية . ووظيفة هذا الطريق الوحيد الذي يبلـــغ طوله نحو ٥٧٧ كم ذا هدفين في مثل هذا الوسط فإنها تتعامل اولاً مع حركة نقل المسافرين من وإلى الدمام التي يمر فيها هذا الخط مما يقوي الروابط البشرية بين هذه المدينة وغيرها من مدن الاقليم بالاضافة إلى العاصمة ومدينة الخرج . كما لهذا الخط فروع منها الهفوف وأبقيق والظهران بحيث ساعد على اعطاء المدينة سمة التفوق على معظم مدن المنطقة في تقديم خدمات التجارة والصناعة في المنطقة الشرقية . وبالاعتبار الثاني ، ان السكك واسطة لنقل الحمولات والسلع فهي تساعد على تموين المراكز الحضرية وتخفيف تراكم وجود السلع المستوردة في مخازن الميناء وتقليل الاختناق الذي يحصل من عمليات تفريغ البواخر في مخازن الميناء فتقلل منها او ان تراكمها سيساعد على خلق صعوبة امام تفريغ البواخر التي تدخل الميناء . وفي الحقيقة ان الدمام هي مستودع كبير للسلع المستوردة لصالح شركات النفط او لاصحاب التجارة والصناعة في جميع المنطقة ، كما تقوم المدينة بتوزيع ما استوردته عن طريق مينائها إلى الهفوف والظهران والخرج وكذلك العاصمة الرياض . وهكذا فإن المدينة وظيفة التوجيه والتوزيع والتصنيف للسلع على وفق الجهة التي ترسل اليها . فعلى سبيل المثال ان مقدار الواردات التي وصلت الميناء خلال السنة ١٩٧٢ ــ ١٩٧٣ كان اكثر من مليون طن وان اكثر من ٤٣ ٪ من مجموع الحمولـــة

الواردة إلى هذا الميناء يتم نقلها بواسطة السكك . وكان نصيب مدينة الدمام يزيد عن الأنصبة للمدن الاخرى حيث بلغ نصيبها نسبة ٣٠،٤٥ ٪ من مجموع الحمولة المستوردة والمنقولة بالسكك بينما احتلت شركات النفط في الظهران نحو ٥،٨ ٪ ومدينة الرياض نحو ٣ ٪ وتتوزع باقي النسب على مدن الهفوف والخرج وابقيق وحديدة اما إذا اخذنا عدد الركاب الذين توجهو من الرياض إلى الدمام بواسطة السكك فقد بلغ نسبة ٥٧،٨٥ ٪ ، بينما بلغت نسبة المسافرين من الرياض إلى الهفوف نحو ٢٥،٢٢٪ وإلى عين حرض نحو ١٢٪ وباقي النسب تتوزع على كل من ابقيق والخرج . أما حركة المسافرين من الدمام إلى الرياض ولنفس الفترة كانت بنسب ٥٧،٦٤ ٪ ، ومن الدمام إلى الهفوف نحو ٢٩،٣٦٪ ، وإلى الخرج ٥،٢٪ وباقي النسب تتوزع إلى ابقيق وإلى عين حرض (١).

وليس بخاف ما لوسائط النقل وخاصة السكك من حيث قدرتها على سحب كثير من الوظائف التي تقوم بها المدينة الاولى في الاقليم (الدمام) من الجهات الداخلية إلى الجهات التي تقع على جانبي هذا الخط ، وخاصة الاراضي التي تقع ما بين مدينة الدمام وميناثها والموازية للجهات الساحلية . فهذه الجهات وتلك المناطق اصبحت اكثر شهرة من الوجهة الصناعية وقد اشتركت معها في اشغال تلك المناطق المخازن للاغراض التجارية . وعليه فإن الأراضي الفاصلة ما بين المدينة وميناثها والبالغ طولها نحو ١٧،٣ كم قد تحدد استعمالاتها لتلك الأغراض . وقد كان للسكك الحديد الممتدة من المحطة في الدمام وإلى الميناء أثر في تقدم وتنوع استعمالات الارض في تلك المناطق ، فمستقبل النمو الحضري وتخطيط استعمالات الارض لمدينة الدمام بصورة عامة سيقترن ذلك كله بظروف استعمالات السكك فيها وزيادة اتصالاتها مع ميناثها . فالحمولة المتزايدة الواصلة إلى الميناء لا يمكن تصريفها الا عن طريق السكك . فالحمولة التي ستصل إلى اكثر من تسعة ملايين طن وتستورد عن طريق ميناء الدمام وضمن فترة خطة التنمية الخمسية الثانية (١٩٧٥ – ١٩٨٠) (٢) هذا يعني زيادة عدد السفن الواصلة إلى ميناء الدمام فإن تطوير النقل بالسكك سيساعد على زيادة خدمات الميناء واداء وظيفته التجارية والصناعية للاقليم والمملكة . فالسكك تفضل في نقل الحمولات للمسافات الطويلة والمتوسطة .

---

(١) المملكة العربية السعودية ، الكتاب الاحصائي السنوي ، العدد التاسع ، ١٩٧٣ ، ص٢٨٣ . راجع جداول : (٨ – ١١) .

(٢) راجع الدكتور محمود عبداللطيف عصفور ، مصدر سابق ، ص ١٩٤ .

وبهذا فإن الميناء سيخدم الصناعة من خلال استيراد احتياجاتها من الاجهزة والمكائن او من المواد الاولية ، وكذلك تصدير ما يفيض من انتاجها عن حاجة السوق إلى الاسواق الخارجية . فمؤسسة سافكو للاسمدة الكيماوية تزيد صادراتها السنوية عن ١٠٠ ألف طن ، يتم نقلها إلى الميناء بواسطة السكة التي يمر من طرفها الشمالي . إن خدمات السكة للصناعة اصبحت واضحة حيث يسرت لاصحاب المشاريع الصناعية الحصول على الأراضي للاغراض الصناعية في المناطق المجاورة للسكة وبعيداً عن وسط المدينة حيث قيمة الارض فيها عالية جداً لا تناسب اقامة المؤسسات الصناعية عليها . فالسكة ربطت مناطق هذه بالميناء من جهة وبوسط المدينة من جهة أخرى ، حيث لا زالت محطة السكة تحتفظ بموقعها الأولي عند تأسيسها ، مما اعطى للسكة قدرة من منافسة وسائط النقل الأخرى — اي النقل بالسيارات . وعلى الرغم من احاطة المحطة من كل جانب باستعمالات عمرانية متعددة ، الا ان المحطة لا تفضل الانتقال إلى اماكن أخرى من المدينة لاسباب موقعية واقتصادية .

إن ربط المدينة وميناءها بالسكة واتصالها عن طريقها بالعاصمة الرياض اضافة إلى الطرق المعبدة التي تربطها بأقاليم أخرى وبمدن اقليم المنطقة الشرقية جعل ظهير هذا الميناء والمدينة بمثابة اسواق لسلعها المستوردة وكذلك لمنتجات مؤسساتها الصناعية

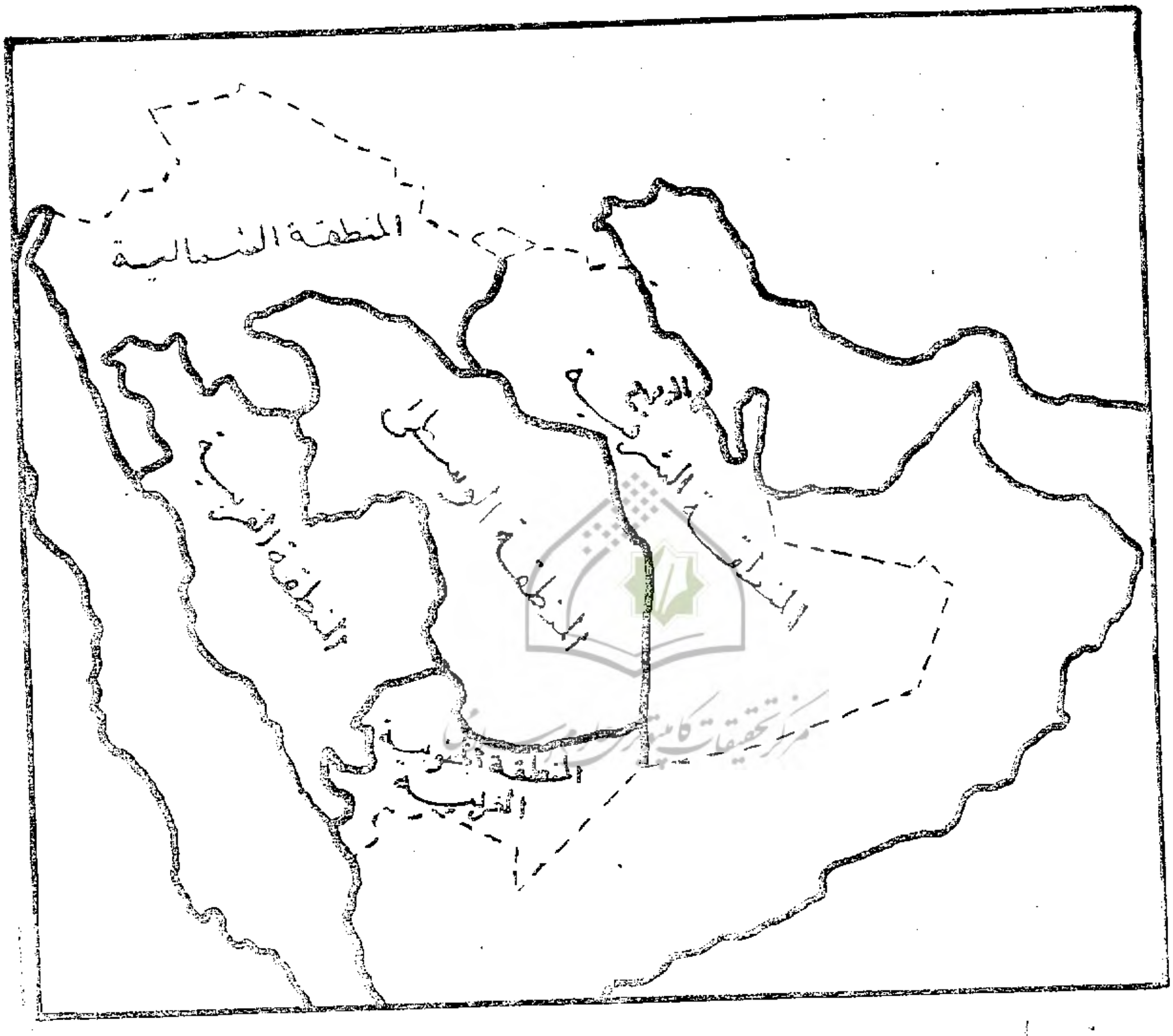
ظهير الميناء واقليم المدينة

يعتبر ظهير الميناء المناطق التي تنتظم بعلاقات تجارية (لاحظ خريطة رقم ٥) وبروابط صناعية مع ميناء الدمام بحيث ان الاخيرة تستلم ما تحتاجه من السلع عن طريقه أو تصدر من منتجاتها عنها. أما اقليم مدينة الدمام فهو مسألة حيوية للميناء، إذ يساعد تحدد نشاطاته الاقتصادية على زيادة فعالياته التي يقوم بها. ويتطلب تحديد اقليم المدينة أو ظهير الميناء اتجاه حركة السلع واماكن وصولها، وتتطلب هذه الحركة وسائل لقياس امتداداتها ونطاق حركتها(١) إن بحث مثل هذه المسائل خطير جداً إذ يتطلب معلومات احصائية قد لا تتوفر على نطاق المملكة أو الوحدة الادارية (المنطقة الشرقية) . فالميناء جزء من سلسلة وحلقة أساسية في هذه السلسلة التي تجري ضمنها حركة سير السلع من المنشأ نحو المكان المقصود. لذا تتميز مثل هذه الحركة بساعد على تفسير جميع الفعاليات في الميناء والمدينة.

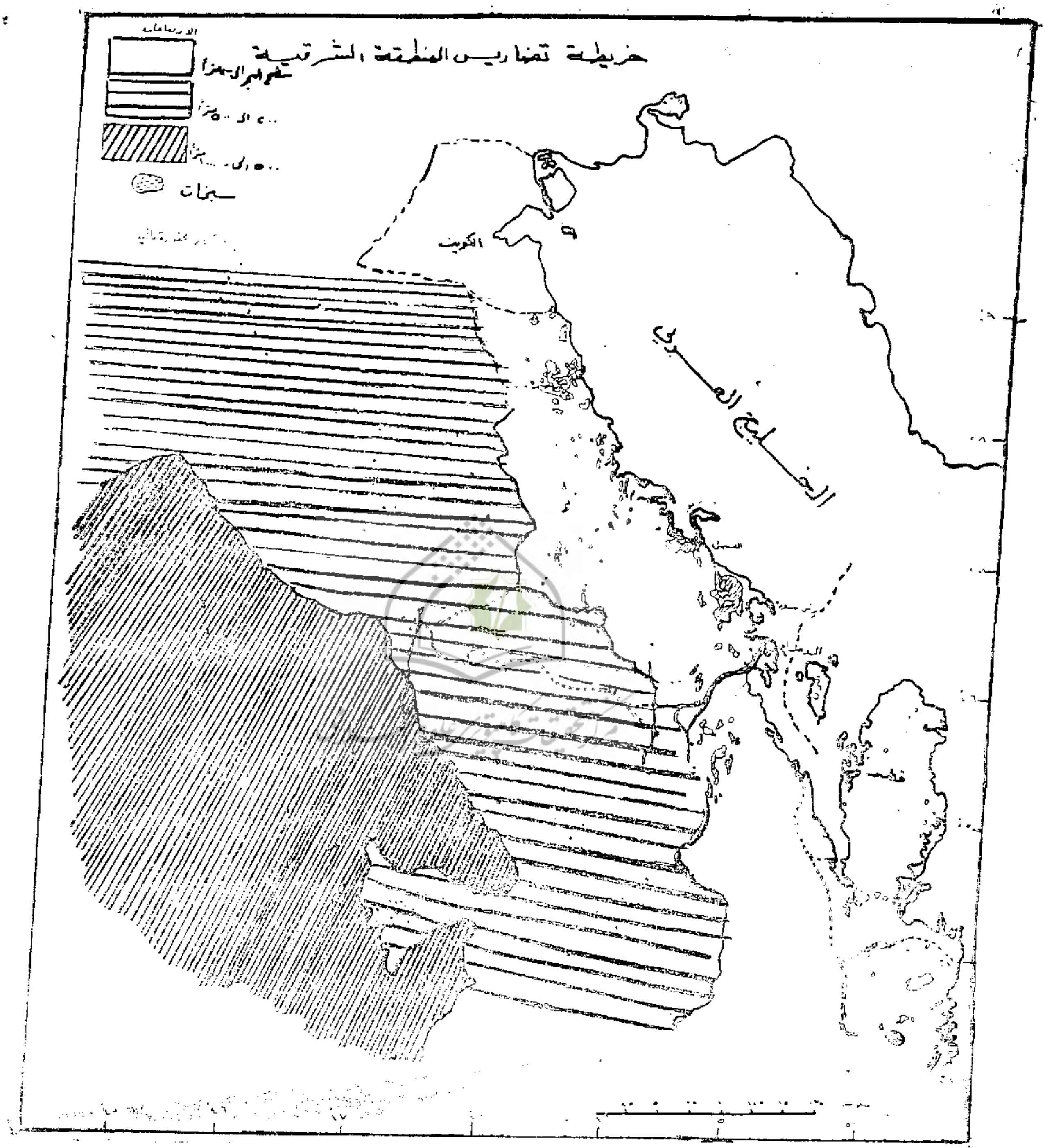
---

(١) International Journal of Transport Economics.

فهنالك حركات متعددة للسلع الواردة عن طريق الميناء،منها من الميناء والى العاصمة الرياض أو من الميناء إلى الدمام وإلى مدن اقليم المنطقة الشرقية. فالسلع المستوردة أو المنتجة من المؤسسات الصناعية في المدينة هي البداية لهذه الحركة، وباقتفائها يمكن تحديد الاقليم والظهير لهذه المدينة وميناثها. وقد يكون للحكومة دور في اقرار سياسة معينة تجاه المدينة هدفها توفير دخل مناسب لها ولأقليمها. فالحكومة انفقت مبالغ طائلة على ميناء الدمام وكذلك على انشاء طرق معبدة وتحسين السكة ووسائط النقل فيها. وعليه فان ظهير الميناء قد يمتد إلى وسط المملكة بما فيها العاصمة. بينما اقليم المدينة الحقيقي يضم جميع مدن المنطقة الشرقية ويمتد إلى مدن الوحدة الادارية الشمالية والشمالية الغربية ،أي إلى مدن خط التابلاين وقرى البادية

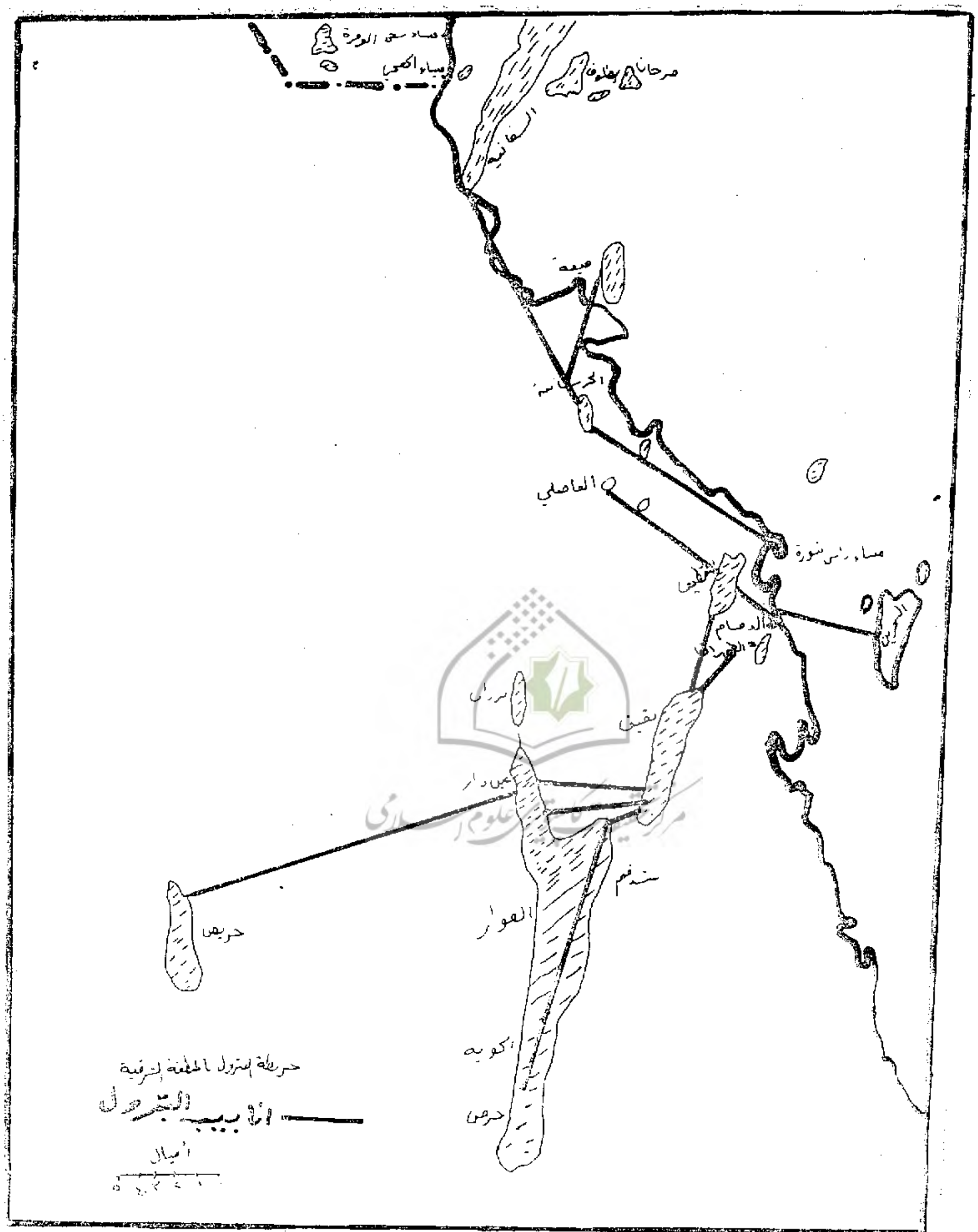


خريطة رقم ١ - الأقاليم النحوية في المملكة العربية السعودية

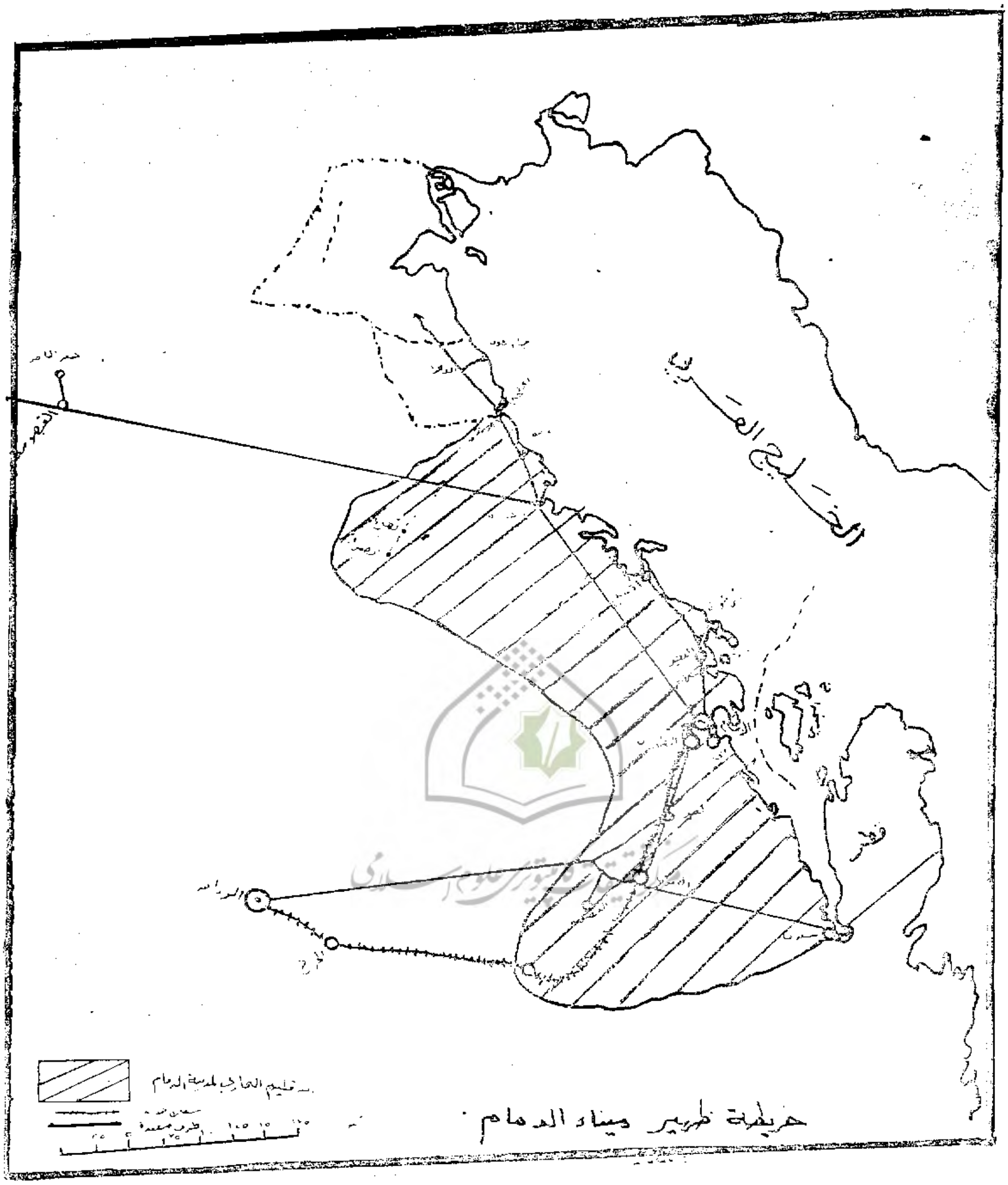

خريطة تضاريس المنطقة الشرقية
سبخات
الكويت
الخليج العربي



- خريطة رقم ٢ -



خريطة رقم ٤


الخليج العربي
الإقليم التجاري لمدينة الدمام
طرق معبدة
خريطة ظهير ميناء الدمام

الخلاصة

امتازت بيئة الدمام وميناؤها بالقدرة على جذب وتوطن مؤسسات صناعية مهمة فيها، كما ساعدها الميناء على ربط مدن المنطقة من خلال حركة وتوزيع السلع المستوردة اليها بالاضافة الى كون المدينة المذكورة تعتبر من اهم المراكز الادارية في المملكة بالنسبة للمنطقة الشرقية.

إن التوزيع الجغرافي للصناعة في المملكة كان منسجماً مع الموارد الطبيعية والبشرية للوحدات الاقليمية التنموية التي تتألف منها. ولكن نصيب المنطقة الشرقية يتميز على غيرها من المناطق والأقاليم التنموية بأن مؤسساتها الصناعية تمتاز بضخامة رؤوس الاموال المستثمرة فيها. وقد تركزت الصناعة في المراكز الحضرية التي تتألف منها أقاليم الدراسة التنموية في المملكة. وبالرغم من هذا التركز الصناعي في المراكز الحضرية الكبرى الا أن الصناعة لاتؤلف الا جزءاً يسيراً من اقتصادها إذ أن كل من هذه المراكز تمثل استثمارات مهمة في الصناعة ولكن لاتقارن مع فعاليات اقتصادية أخرى مثل التجارة والبناء والتشييد. ومع هذا فان هنالك عدداً من الوحدات الادارية المحلية خاضعة الى نظام ريفي غير متطور كمنطقة الهفوف والقطيف في المنطقة الشرقية. ومع هذا فان استثمارات مدينة الدمام في الصناعة مرتفعة وتتفوق بها على باقي مدن المملكة.

فهذه المدينة تعتبر من المراكز الصناعية الكبرى في المملكة وتمثل معظم الصناعات الصغيرة نسبياً فيها بصناعات استهلاكية كالصناعات الغذائية، ولكن هنالك صناعات ناشئة في هذا القطاع وعلى مقياس كبير كصناعة تكرير السكر الخام المستورد وطحن الغلال المعتمد على خزين الميناء من الحنطة المستوردة.

اما الاستثمارات الكبيرة القائمة في الدمام فهي: صناعة الاسمدة الكيمياوية وصناعة تسييل الغاز الطبيعي واستخلاص الكبريت منه. وعندما تكتمل حركة تأسيس المصانع الحديثة سواءاً في الدمام او في مدينة الجبيل فان صورة التوزيع الجغرافي للصناعة وبنيتها ستتغير حالا وسيكون معدل النمو الصناعي سريعاً جداً وكبيراً. فقد تغيرت البواعث والاهداف لعمليات التصنيع وان السياسة العامة ستجعل صور التوزيع المكاني مختلفاً في هذا الجزء من المملكة عما كان عليه في السابق.

وقد ركزنا في هذه الدراسة على مستقبل مدينة الجبيل الصناعي ورغم الاستثمارات الكبيرة

في مؤسساتها فهناك احتمال بروزهـا كمركـز صناعي جديد في المنطقة الشرقيـــــــة سينافس مكانة مدينة الدمام .

إن الامثلة اعلاه هي قليلة من امكانيات صناعية كبيرة بالمنطقة الشرقية ظهرت من خلال الرؤيا الواضحة لدور الخطط التنموية في تصنيع أقاليم القطر وهذا مما سيساعد على التغيير المقبل للبنية المكانية للفعالية الصناعية خصوصاً في أهم أقاليم المملكة الذي يتضمن اكبر المراكز الصناعية وحوله اكبر حقول النفط الواقعة في بره وبحره .

مصادر البحث

١ ــ المملكة العربية السعودية ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، مصلحة الاحصاء العامة ، الكتاب السنوي الاحصائي. العدد التاسع ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م .

٢ ــ احصاء وتعداد سكان المملكة ١٩٧٤ .

٣ ــ المملكة العربية السعودية، المناطق الصناعية بالمملكة العربية السعودية، مركز الابحاث والتنميه الصناعية بالرياض ، الرياض ١٩٧٨.

٤ ــ المملكة العربية السعودية، الكتاب الاحصائي السنوي ١٩٧٣ .

٥ ــ المملكة العربية السعودية، وزارة التخطيط ، خطة التنمية الثانية (١٩٧٥ــ١٩٨٠)

٦ ــ الحمادي، الدكتور محمد ، تطور حركة التصنيع في المملكة السعودية ــ المجلة الجغرافية السورية، المجلد السادس، كانون الاول ١٩٨١ .

٧ ــ السيد علي، الدكتور عبد المنعم عبد الجبار، دراسات في اقتصاديات النفط العربي معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة ١٩٧٩ .

٨ ــ حسن عبد الخالق فاروق، عائدات النفط العربي والصراع الدولي ، مجلة المنار العدد الثاني السنة الاولى ١٩٨٥ .

٩ ــ شفلية ، الدكتور أحمد رمضان ، دراسات في الجغرافية الاقتصادية ، المملكة العربية السعودية والبحرين، الرياض ١٩٨١ .

١٠ ــ فضيل، الدكتور عبد خليل، القطيف: دراسة في الجغرافية الاقليمية، مجلة الجغرافية العراقية، المجلد التاسع ١٩٧٦ .

١١ ــ قاضي ، المهندس عمر عبد الله، الدكتور المهندس حازم محمد ابراهيم، تخطيط المدن في المملكة العربية السعودية ، الرياض ١٩٨١ .

١٢ ــ عصفور ، الدكتور محمد عبد اللطيف، والدكتور السعيد ابراهيم البدوي، الدراسة الميدانية في جغرافية العمران مع دراسة تطبيقية على المحمية والدرعية والدمام في المملكة العربية السعودية، القاهرة ١٩٧٦ .

١٣ ــ هجرة، الاستاذ حسن حمزة ، مشاكل التربة الجافة وشبه الجافة في المملكة العربية السعودية، السجل العلمي للمؤتمر الزراعي الاول لعلماء المسلمين ، المجلد الثاني ،التربة والحياه ــ مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٩ .

المصادر الاجنبية

14— Commericial Factors in the development of Regional urban systems.

15— Middle East Review .

16— Association of American yeoggraphies

17— The Strategy of Economic development

18— International Journal of Transport Economics.

المقاومة الفلسطينية في المسرحية العربية

ابراهيم جنداري
كلية الآداب / جامعة الموصل

هناك علاقة حميمة بين الأدب والمنعطفات السياسية والاجتماعية الكبرى ، لكن هذه العلاقة ليست محكومة بآلية ، او بقانون التوازي او المطابقة ، انها علاقة مركبة ، متعددة الأطراف تؤدي الى محصلة ثقافية تأخذ دوراً في عملية الصراع .

شهدت الامة العربية كل أشكال النضال ضد الاستعمار ، خاصة في الربع الأخير من هذا القرن ، حيث ظهرت محاولات للنضال ضد التخلف ، ثورات وانقلابات ، وصراعات حادة بين اليمين واليسار ، كما شهدت محاولات للتوحد القومي ، وانتكاسات مريرة لهذه المحاولات ، وحصلت بعض التطبيقات الاشتراكية ، وهزائم وردات .

وقد بدأ المد القومي التحرري ينتشر في كافة ارجاء الوطن العربي ، ووصل قمته بتحقيق الوحدة عام ١٩٥٨ ، ثم مالبث هذا المد أن انحسر بالانفصال عام ١٩٦١ .

ومثلما تصاعد المد القومي ، تصاعدت اساليب الأطراف المعادية التي استهدفت ازالة الرابطة التأريخية الوحيدة التي يمكن ان يرتبط بها النضال القومي ، الرابطة القومية ، التي يعني زوالها زوالاً لكل الروابط . وتحللاً وتفتتاً مستمراً . لكن الامة ادركت سر هذا التوجه لنفي الوجود القومي لها ، الوجود الذي ارتبط ارتباطاً حتمياً بقضية التحرر القومي

السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وهو الوجود الذي يضمن للمواطن تحرره من غربته وعودته الى حريته وتمكنه من العطاء للمجتمع والانسانية والقومية العربية تستند الى تراث وكبير من القيم الروحية والاخلاقية التي اقترنت بالنهضة مما يؤهلها لان تكون قادرة على معالجة حالة التجزئة والتهديد واستلاب بعض من آجزائها .

واذا كان المسرح «اداة من أقوى أدوات التعبير ومن أفعلها في تثقيف الامة ، وهو البارومتر الذي يكشف عن عظمة هذه الأمة واضمحلالها » (١) فأن الضغط من الخارج يجنح الى تعزيز الوحدة والتماسك في الداخل .

والمسرح يعتمد في جوهره على حصيلة المعرفة في شمولها العام . ويعتمد على قدرة الانسان على الاستكشاف والتعجب والتأمل ، وهذا ماسعى اليه المسرح في فترات عظمته(٢)

فهل استطاع المسرح العربي أن يواكب مسيرة الأمة في صعودها وانتكاساتها ؟ .

لقد حظيت القضية الفلسطينية بنصيب لابأس به من المسرح العربي ، وفلسطين تعد النقطة المركزية في المعركة القومية الشاملة التي تخوضها الأمة العربية في معركتها التحررية ضد الكيان الصهيوني والامبريالية التي تدافع بشراسة عن مصالحها في نهب ثروات البلدان المتخلفة ، وضد الرجعية المتمثلة بالاقطاع والرأسمالية والمرتبطة بشكل او بآخر بغيرها من الحلقات . انها معركة مع قوى السيطرة الاجنبية ، وهي معركة مع الالحاق والاحلال القوميين بكل ابعادهما ، ففي فلسطين لاتتوقف السيطرة على الارض فقط بل تفرغ من سكانها ، ولايتم احتلال الوطن فقط بل تستهدف هويته القومية للقضاء على معالمه التأريخية وتحويله الى مستعمرة كبيرة في ركن مهم من اركان الوطن العربي ، وهي مهددة لأن تنمو وتتسع مهددة بزحفها الدائم المعالم المتبقية لهذا الوطن كله .

ولأن الأمة الان وشخصيتها القومية تعيش فترة خصبة ومعقدة وخطيرة ، فهي لم تتخل عن المقاومة والكفاح والسعي للتحرر ، لااستقرار فيها ولاهدنة ، فان لم يكن ادبها بمستوى الغليان الذي تعيش فيه فهو هراء ، فحياتها تُفهم من أدبها ، وادبها يفهم من حياتها .

والادب العربي يمتلك صفة الكفاح او المقاومة في معظمه ، فهو أدب تحرر لايخلو من قطرات الدم وبقايا الجراح .

---

(١) لوركا — حديث عن المسرح — الرؤيا الابداعية/١٧٨ .

(٢) هوايتنج — المدخل إلى الفنون المسرحية/١١ .

وعلى الرغم من أن هذا العصر الذي نحياه يمتليء باللامعقول ويكتظ بالمتناقضات ويلوي زمامه السأم ، فان انسان هذا العصر يبقى على حبه للحياة وكرهه للموت ، يحب الحياة حتى لو كانت بمثل هذا العذاب والمرارة . وليست الحياة هنا بالمدل اليومي للعيش ، بمبتذلاته الظاهرة ، «انها المواقف القصوى في ذرى الحياة النادرة ، او العيش اليومي في اشكاله الخفية التي لانعيها وعياً كلياً . والنظرة التي ترفض هذه المواقف القصوى تناقض الدرامة » (١) .

ان اهمية القضية الفلسطينية في الادب القومي هي انها جعلت معظم هذا الأدب ينصب في فلسطين لانها خلاصة للقضية العربية عموماً . وهي محور رئيس في تأسيس حقيقة مهمة في الأدب العربي ، وهي أهمية الوحدة العربية ، وتفجر الشعور والوعي القوميين عند الأنسان العربي .

واذا كانت «الظروف السياسية والاجتماعية التي جدت في العراق بعد الحرب واتجاه الشباب العربي الى مقاومة الانجليز قد جعلته ينتبه الى مايمكن أن يقدمه التمثيل المسرحي من خدمات لقضية التحرر والاستقلال ونشر الوعي السياسي والثقافي» (٢) . فانه من الطبيعي أن تحظى القضية الفلسطينية باهتمام كبير سيما وانها اصبحت رمزاً ومحوراً لمعاناة الانسان العربي .

لقد حمل الفلسطينيون السلاح عام ١٩٦٥ عندما اتضح لهم ان لاطريق للتحرير غير الكفاح المسلح . وبعد حزيران ١٩٦٧ التحق آلاف الفلسطينيين بحركة المقاومة التي برهنت من حينها على مدى عزمها وتصميمها ؛ وقد خلقت النكسة ظروفاً موضوعية ساعدت على سرعة نمو ظاهرة المقاومة المسلحة ، التي كانت قبل ذلك تصطدم باستمرار بواقع الأنظمة العربية الوطنية وقياداتها وهي في ذروة مرحلة المد الذي عايشته ، ومن جهة أخرى تتعرض لملاحقة الأنظمة الرجعية العربية وقمعها .

و قد خلقت حركة المقاومة حالة ثورية بين الجماهير الفلسطينية ، وبداية حالة تحريضية — للجماهير العربية بشكل عام ، اذ تركت تأثيراتها على حركة التحرر الوطني العربية . وقد أصبحت قوة ضاغطة تفضح عجز الأنظمة العربية وسرعتها في اسقاط المرحلة التي مثلتها

(١) بيستلي — الحياة في الدرامة/٣٩ .

(٢) علي الزبيدي — المسرحية العربية في العراق/٧٦ .

تمهيداً لتبلور مرحلة ثورية جديدة وتصاعدها ممهدة لانبثاق حركة وطنية جديدة تتجاوز هذه الأنظمة .

وبقدر ماتمثل حركة الفدائيين من تطلعات الجماهير الشعبية الواسعة في البلدان العربيّة في التحرر التام من اشكال السيطرة الاستعمارية ، والوحدة العربية الشاملة ، والاشتراكية فان اعادة بناء الانسان العربي من جديد ، وبدء النهضة العربية بحد ذاته مما يحتاج الى عملية النضال والمعاناة لذلك فلابد من ترسيخ هذه القيم عند الانسان العربي . ويعني ذلك اننا بحاجة الى غرس مثل القتال والمجابهة واقتحام الصعاب ، وتنمية روح التحدي والتمرد على الواقع ، ومقاومة العدو ، التي كان لحركة الفدائيين دور كبير في تأجيجها ؟ .

فما فاعلية المقاومة في الادب العربي عموماً والمسرح على وجه الخصوص ؟

لم تكن المقاومة الفلسطينية موضوعاً غائباً عن الأدب العربي الحديث ولكنها بغير شك قد تطورت في الوجدان العربيّ المعاصر لاحداث حزيران الدامية ،انعكاساً لما آلت اليه الامور غوراً وعمقاً في الوضوح والتبلور .

ولعل المقاومة كانت ذات أثر كبير في الوعي بقضية فلسطين وارتباطهـــا الحيوي والمصيري بالقضايا العربية .

واذا كانت القضية الفلسطينية لم تسجل حضوراً متميزاً على ساحة المسرح العربي قبل أحداث حزيران فان بروز هذه المقاومة جعل هذه القضية محوراً للعديد من المسرحيات في انحاء مختلفة من الوطن العربي بعد حزيران (١) .

ومن المشكلات التي تواجه الكاتب المسرحي وهو يتصدى لمعالجة موضوع حساس ومعقد كموضوع المقاومة ، اختيار (القيمة) المسرحية المناسبة لان هذا الاختيار هو المدخل الذي يلتقي بظلاله على المسرحية ، والكاتب المسرحي له الحرية في تحديدها ، لكنها تتحكم بالسياق .

---

(١) ظهر العديد من المسرحيات العربية التي تناولت القضية الفلسطينية قبل حزيران عام ١٩٦٧ وكانت المسرحيات العراقية أوفر هذه المسرحيات ، لكن معظم تلك المسرحيات جاءت رد فعل مباشراً وسريعاً ، فقد خسرت الكثير على صعيد البنية الفنية كما كانت مضامينهـــا آنية لم تتغلغل في الأعماق .

ولمزيد من التفاصيل : ينظر رسالتنا الموسومة (اثر نكسة حزيران على المسرحية العربية) ص ٦١ وما بعدها (مسحوبة على الرونيو) .

لقد ظهرت عدة مسرحيات عربية تدعو إلى المقاومة أو تحاول مواكبتها والنظر من زاويتها ، فالبطل الفلسطيني مقاوم يحمل سلاحه ولا يجد عنه بديلاً ، وتتلاشى ملامح هذا البطل الشخصية لتبرز ملامح القضية العامة التي تقود بحكم الضرورة الفنية إلى اكتشاف المسرح السياسي والتسجيلي والوثائقي (١) .

إن مواكبة الحدث لا التنبوء به ولا التاريخ له كانت بمثابة الاطار العام للمسرحيات التي تدور حول المقاومة .

والمواكبة الحية الحاضرة لاتمنع السياق من التفاتة للوراء او نظرة للامام ، تحتضن الماضي وتستشرف المستقبل «ذلك ان مواكبة الحدث في لحظة حضوره لاتعني جمود الحركة او اختزالها . ولكن الحاضر مع هذا هو الذي يحتل الحيز الرئيس في مسرحية لم تسبق الحدث ولم تأت تالية له(٢) .

ويختار العمل الأدبي الذي يصور حركة ثورية يشارك فيها الكاتب بعواطفه بين طريقين طريق يتحدث فيه عن تلك الحركة بأسلوب خطابي مباشر ، يصف مافيها من بطولات وتضحية من جانب الثوار ، ومن جبن ووحشية من جانب الاعداء .

وطريق يرسم فيه صورة واقعية لهؤلاء الثائرين بما في نفوسهم من قوة وضعف وانسانية يعتريها الشك والخوف أحياناً لكنها تظل متماسكة من خلال استخدام خلفيات تاريخية أو اسطورية للحدث .

ان الطريق الاولى «تشارك بدور فعال في شد أزر المحاربين والدفاع عن قضيتهم ، ولكنها تخلو في الغالب من العناصر الفنية والانسانية التي تكفل للعمل الأدبي الدوام والبقاء فلا يلبث العمل ان يفقد قيمته بعد انقضاء المناسبة التي كتب من أجلها(٣) » .

وقد تمنح الطريق الثانية العمل طابعه الانساني الذي يحمل عناصر ديمومته ويجعله مصدراً خصباً لدراسة الطبيعة البشرية ، وقد يكون حافزاً قوياً في الحركات المماثلة وان اختلفت ظروفها وشخصياتها . ونستطيع ان نضع ضمن الطريق الاول مسرحية (السر) لمحيي الدين

---

(١) فريدة النقاش ــ فلسطين والبطل الفلسطيني على المسرح المصري . مجلة قضايا عربية. س ٣ ع ٣٤ تموز/١٩٧٩ ص ٢٨٨ .

(٢) غالي شكري ــ العنقاء الجديدة/٢١٠ .

(٣) عبدالقادر القط ــ في الادب العربي الحديث/٢٨٣ .

زنكنة ، ومسرحية (زهرة من دم) لسهيل ادريس ، ومسرحية (وطني عكا) لعبد الرحمن الشرقاوي .

فهذه المسرحيات تتحدث عن المقاومة الفلسطينية باسلوب مباشر ، واذا كانت مسرحيتا سهيل ادريس والشرقاوي قد حاولتا التخفيف من وطأة التقريرية والمباشرة بايجاد خيط لقصة حب مع بقية الخيوط السياسية والاجتماعية التي صنعت العمل المسرحي ، فان مسرحية زنكنة لم تلتجيء إلى هذا الخيط .

وقصة الحب تكاد تتناقض بين مسرحية سهيل ادريس والشرقاوي ، اذ ان البطلة في (وطني عكا) وهي ترمز إلى جيل الثورة لاتعرف الضعف ، وتقوم باعمال كثيرة ضد العدو في حين ان بطلة (زهرة من دم) تكاد تكون سلبية في مقاومتها .

وتجتمع المسرحيات هذه في سلبيات المبالغة والتقريرية والحماسة غير المدروسة . واذا كانت الفكرة الاساسية لمسرحية (السر) فكرة معقولة ، ومحتملة الوقوع ، اذ تعكس معاناة شقيقين فدائيين يسقطان في يد العدو ، فينهار احدهما مما يضطر الآخر للقضاء عليه حفاظاً على السر فان من سلبيات هذه المسرحية انسياقها وراء الخطب العربية التي كانت سبباً كبيراً في نكسة الامة العربية ، تلك الخطب التي كانت تقالل من شأن العدو وتستهين به ، مما جعل هذه الخطب سلاحاً بيد اسرائيل لكسب الرأي العام لصالحها

وتبدأ المسرحية ذات الفصل الواحد (ثلاثين مشهداً) كما يقول مؤلفها(١) :

بعد الفشل الذريع والخسارة الفادحة التي أصابت القوات الصهيونية في اعتدائها على قرية الكرامة في آذار عام ١٩٦٨ ويتسرب خبر إلى المنظمات الفدائية مفاده ان الحكام الفاشست قد اعدوا لهجوم وحشي آخر واسع النطاق على الاردن وعلى قرية الكرامة فاتخذت هذه المنظمات قراراً حاسماً باحباط هذا الهجوم .

ولعل من السمات البارزة لهذه المسرحية : الاخفاق في تحقيق الالتزام بالظروف النوعية التي تكتنف المسرحية ، وما تشترطه «من سمات معينة في شخوص المسرحية وبالتالي سيطرة المؤلف سيطرة كاملة على عمله المسرحي(٢) » .

وقد انتزع زنكنة اعترافاً على لسان (الياهو) بانسانية المقاومة وبأن افرادها لايهاجمون

(١) السر /٥ .
(٢) بديعة أمين — المسرح العراقي ، مواقف وذكريات ، مجلة آفاق عربية ع٧ آذار/١٩٨٢ .

المستشفيات أبداً او انهم لم يسبق لهم الهجوم على مستشفى (١) .

ان شخصيات المسرحية تتكلم نيابة عن المؤلف ، فالصهاينة يشتمون أنفسهم بما يشتمهم به العربي .

ولا تخلو المسرحية من روح الخطابة الحماسية المبالغة . لكنها مع ذلك تبقى عملاً حاول أن يسجل لحركة المقاومة ، مؤكداً الايمان بالفكر الذي يقود إلى العمل . ويمنح القدرة على مواصلة النضال وتحمل الآلام . مبشراً بالفجر ، منادياً بأن هزيمة حزيران ينبغي أن تكون البداية لا النهاية كما ارادها الاعداء .

ومسرحية (السر) تنفرد بين هذه المجموعة من المسرحيات في انها لم تلجأ الى عرض للقضية الفلسطينية او العمل الفدائي ، وانما اختارت لها حدثاً جزئياً اتمنح من خلاله العمل الفدائي الصفة التي ارادها الكاتب ، فالمسرحية بدأت بعد انجاز عملية فدائية قام بها الشقيقان مصطفى ومحمود .

أما مسرحية (زهرة من دم) لسهيل ادريس فانها تعارج قضية المقاومة ، ومحاولة تصوير انبعاث الحياة العربية الجديدة من التضحيات والآلام كانبعاث الزهرة من الدم ، وانبثاق المقاومة واشتعالها ضد الاحتلال على امتداد الأرض العربية مستنداً إلى نقاء الدم العربي وقيم وتقاليد الامة التي لم يصبها الوهن .

ان سهيل ادريس يلح على البعد العربي للقضية التي من أجلها يقاتل الفدائيون . لكن عيب المسرحية انها كانت اعلامية ، مثلها مثل الاعلام العربي المسؤول عن الهزيمة في جانب من جوانبها وخاصة فيما يتعلق بنقل الصورة المنحلة للعدو الجبان ! ؟ .

فلو كان العدو « كما صوره سهيل ادريس مجرد (مجنون بالجنس) وراغب عن البقاء في فلسطين . اذاً لكان عدواً يسير المنال » (٢) .

ولعل في قول(فادية)البطلة الرمز في المسرحية ايضاحاً لفكرة سهيل ادريس في ان فلسطين لم تغتصب من جانب الصهاينة فحسب ، بل كان هناك استسلام من جانب العرب في الوقت نفسه ، ومعنى ذلك انهم كانوا يملكون أن يقاوموا حتى النصر ، وانهم يملكون ذلك الآن ، فالماضي يمكن اصلاحه ، وما فقد يمكن ان يسترد حتى السقوط . « وهذا

(١) السر /١٧ و ٣ .

(٢) غالي شكري — العنقاء الجديدة/٢١٣ . وينظر فاروق عبدالقادر . مجلة المسرح ع ٦٢ لسنة ١٩٦٩ ص ٦٢ .

هو المعنى النضالي الاخر الذي تريد المسرحية ان تقرره،معنى جديد على فكرنا وخصوصاً لان الكاتب يرمز لاغتصاب الأرض باغتصاب فتاة ، وهو شيء يعدل الموت عندنا » (١)

« صوت فادية في الظلام ... وقد سمعت جوابكم ياهشام ، وسمعت اصواتكم تشجعني على المضي ، على الاقتراب من النار ، فراشة ترف بجناحيها فوق اللهب .. وحين استعدت وعيي ، كانت الفراشة قد سقطت في اللهب .. ولست أدري : أهم الذين اغتصبوني أم أنا التي استسلمت؟ اليست هذه قصة ارضنا كلها ياهشام ؟ » (٢)
وقد أسرف سهيل ادريس في التحليل السياسي ، مما وصل بحواره إلى مستوى الشتائم التي يتبادلها الناس في الشوارع ، وإلى مستوى المقالات السياسية في الصحف ، وقد قدمت هذه المسرحية محاورات سياسية متبذلة وفجة ، ولم تقدم حواراً فنياً (٣) . ولعل هذا متأت من الاندفاع والحماسة للقضية مما دفع الكاتب إلى تحويل مسرحيته إلى منبر ، وجعل من شخصياته مجرد خطباء ففقدت المسرحية بذلك قدرتها على الاقناع الحقيقي من خلال ماللفن الرفيع من قدرة على الايحاء والتأثير .

أما زمن المسرحية الشعرية (وطني عكا)لعبد الرحمن الشرقاوي فهو مابين صيف ١٩٦٧ و١٩٦٨ ، أي في أثناء الهزيمة وبعدها ، وتقع أحداثها مابين غزة وفلسطين المحتلة . والمسرحية في ثلاثة فصول ، يركز الاول على عرض المشكلة الفلسطينية واسبابها في ماضيها ، وفي حاضرها قبل الهزيمة مباشرة ، وينتهي هذا الفصل عند بداية العمل الفدائي نتيجة مترتبة على هزيمة حزيران . في الفصل الثاني يركز الشرقاوي على امتداد العمل الفدائي ويسلط الضوء على مجموعة العوامل التي أحاطت تطور المقاومة وتفاعلها مع الفلسطينين واعدائهم واثارها على الرأي العام العالمي .

أما الفصل الثالث فيركز على مجموعة التناقضات التي بدأت تظهر على سطح مجتمع معسكرات العدو ، بفعل انتشار العمل الفدائي وقوته ، وتظهر مبالغات الشرقاوي في سلبيات العدو وبخاصة على الصعيد الاخلاقي ، ويفرط في تألم الضمير الاسرائيلي لما يحدث في هذه الارض من انتهاكات .«والنقلة التي يشهدها هذا الفصل ويضعها موضع الابراز والتوكيد هي انتشار حركة المقاومة الشعبية في الارض المحتلة . واستيعاب هذه

---

(١) شكري محمد عياد -- الأدب في عالم متغير /١٤٣ .
(٢) زهرة من دم /١٢٤ .
(٣) ينظر على سبيل المثال ص ٧٨ من المسرحية .

الحركة ليهود فلسطين الاصليين جنباً الى جنب مع السكان العرب» (١) وتتبع التناقضات في المعسكر الفلسطيني من الشوائب التي تصاحب العمل الفدائي الذي لايخلو من أرتجال وانتحارية صبيانية ، والتخلف الحضاري الذي يلقي بظله الثقيل على حركة المقاومة، وما استشهاد الفتيان الثلاثة (مقبل وماجد ورشيد) ذلك الاستشهاد الذي يقترب من التلقائية والارتجال الا ناتج لتخلف حضاري . ويشير الكاتب الى مشكلات المقاومة مع بعض الانظمة العربية ، كما يشير الى مشكلات العرب داخل الارض المحتلة .

ويبقى صوت المسرحية في تمجيد المقاومة على لسان الام العربية التي تحث ولدها على الانضمام الى صفوف المقاومة .

وعلى الرغم من أن مسرحية (شعب لن يموت) لفتى الثورة قد كتبت قبل حزيران بأشهر الا أنها تتمتع بامتياز تأكيدها على ضرورة المقاومة الفلسطينية المسلحة باعتبارها الطريق الوحيد لتحرير الارض العربية ، وكان لهذه المسرحية شرف تسجيل ميلاد المقاومة ورصد خطواتها الاولى . لذا جاءت بتفاصيل وجزئيات كثيرة ومكتظة «بالكثير من الشعارات السياسية الخاطئة التي سادت الحياة العربية قبل أن تفيق على لطمة حزيران ، وبالتعثرات البنائية المرتوية من أحادية النظرة ، ومن شيء من التعصب الذي يقف على تخوم الشوفينية» (٢) .

وضمن الاطار التاريخي دارت مسرحيتا (ثورة الزنج) لمعين بسيسو ، و (النار والزيتون) لالفريد فرج . ذلك الاطار الذي استمده بسيسو من القرن الثالث للهجرة مسقطاً الرمز على واقع المقاومة الفلسطينية ، واستمده الفريد فرج من تاريخ المؤامرة الصهيونية الدولية على الشعب العربي في فلسطين مدعماً بالوثائق ليعطيا لعمليهما عناصر الديمومة والثراء .

فعلى قدر كبير من النضج والتكامل الفكري كتب الفريد فرج نصاً عن القضية الفلسطينية مدعماً باحاطة نظرية ومعرفة حية بالتجربة من خلال المعايشة الفعلية .

لقد بدأ الفريد فرج قلقاً ومتحرزاً وهو يتصدى لقصة شعب كامل ، ولكي يصور قصة هذا الشعب فأنه يستوحي شكله المسرحي من (المسرح السياسي) معتمداً على المسرح الوثائقي أو التسجيلي ، ومستخدماً المسرح الكلي أو الشامل بما يضم من الوان الفنون التعبيرية مجتمعة .

---

(١) لطيفة الزيات — وطني عكا ، مجلة المسرح ع ٦٩ يناير ١٩٧٠ .
(٢) صبري حافظ — ابعاد المأساة — مجلة المسرح ع ٧٠ لسنة ١٩٧٠ .

وتقوم هذه المسرحية على عدد من المشاهد المتباينة من حيث الزمان والمكان ، ذلك أنه قدم القضية كلها من دعوة هرتزل مروراً بنكسة حزيران من خلال عدة أساليب فنية، التسجيلي والوثائقي ، والاسلوب الواقعي والتعبيري، كما استخدم «أحد عناصر مسرح القسوة الحديث كما أن الكاتب يعرف منذ البداية مايريده : أن يستفزنا بالحقيقة وحدها وان ينير عقولنا برأيه في تلك الحقيقة» (١) .

يضع الكاتب منذ اللحظة الاولى،قارئه ومشاهده،في مأزق روحي حقيقي ،حيث يشركه في مسؤولية مايحدث، مشاركة واقعية في المصير الذي الت فلسطين اليه أو وغيرها من البلدان التي ناضلت ومازالت تناضل ضد قوى القهر والعدوان ، ذلك أن الانسانية المعاصرة تجمعها وحدة المصير ، ووحدة المصير هذه لاتمنع شعوراً بالامان واللامبالاة . ويسلك الفريد فرج في تسلسل الاحداث ، سلوكاً موضوعياً أميناً مع الحقائق ، فهو يستحضر كافة الحجج التي قال ويقول بها الأعداء ويعرضها من وجهة نظر أصحابها دون تدخل منه لانه يترك للحوادث مهمة دفع هذه الحجج بالبطلان .

وعبر انتقالات سريعة ومفاجئة أحياناً وبين دلالات ومواقف، وحقائق ووقائع يتحدث الفريد فرج مقدماً رؤية ناضجة لحقائق القضية ، وأوقائعها وسماتها العامة .

ويبقى الخط الاساسي هو خط الكفاح المسلح الكفيل بارغام قوى كثيرة على أعادة النظر بموقفها من القضية الفلسطينية من خلال قوته وتصاعده وسط صور تقريرية للنازحين والمهاجرين واللاجئين وابطال المقاومة والقضية ذاتها في مجموعة الوثائق والارقام والتواريخ .

وقد بلور الفريد فرج المأساة بوجهها الاقتصادي الذي يربط بين الأمبريالية الامريكية والعنصرية الصهيونية رباط المصالح من خلال شخصيتي المرشد الاسرائيلي والمليونير الامريكي اليهودي .

وقد أستخدم الكاتب تفاصيل مذبحة كفر قاسم كمقدمة لعرض أوضاع العرب في فلسطين بصورة وثائقية «ولم يستطع الجانب التسجيلي أن يجمد حرارة التوتر الدرامي ولم تستطع حرارة التوتر الدرامي أن تذيب حقائقها ووقائعها الصلبة . أنها كائن حي فني يؤرخ ، ويعلم ويوعي ، ويثير ، ويحرض ، ويفجر في آن»(٢) .

---

(١) سامي خشبة — قضايا معاصرة في المسرح /١١٧ .

(٢) محمود أمين العالم — الوجه والقناع /٢٥٦ .

وتنتهي المسرحية والفدائي الفلسطيني يحقق وعده لامه بأن يزرع برتقالة عند قبر أبيه، لايشك لحظة واحدة بأنها ستنمو وتزدهر وتثمر حلم العودة .

وثورة الزنج هي ثورة هؤلاء العبيد في القرن الثالث للهجرة، وبغض النظر عن طبيعة هذه الثورة وموقف المؤرخين منها فانها قد عرضت لحالة التفاوت الطبقي التي كانت سائدة. وقد وجد معين بسيسو أكثر من علاقة بين ثورة الزنج والثورة الفلسطينية فكلاهما صراع ضد الزيف والادعاء والتحايل .فما خروج صاحب الزنج على سلطة الدولة الا خروج على الجوع والبؤس والاستغلال ومطالبة بالحياة الكريمة ، لكنه رفع في النهاية رؤوس أصحابه ورأسه أمام سنابك خيول السلطة ، والفلسطينيون شعب مشرد ، يعاني الجوع والاستغلال ، ومثلما أجهضت ثورة الزنج فان الثورة الفلسطينية تعرضت ، وتتعرض لمحاولات قمعها واجتثاثها والمتاجرة بها .

ان القضية الفلسطينية تتبلور عند معين بسيسو لتصبح التجسيد العميق والثري ، للصراع بين الحقيقة والزيف على مدى التاريخ ، والثورة لاتتغير في جوهرها من عصر الى عصر .

وعندما يدخل (عبد الله بن محمد) المعبد ليطيح بابناء الافاعي الذين حولوا بيت أبيه الى مكان تجارة ودعارة ، ويفتح أبواب القفص أمام الزنج الفلسطينيين :

«انطلقوا الان / كونوا ما شئتم / زنجا في القرن الثالث للهجرة أو زنجا في القرن العشرين / ان عليكم أن تنطلقوا الان / ليس هناك عصر للثورة /ليس هناك قرن للثورة / لايستأذن عبد قيصره كي يشعل الثورة» (١)

ان المسرحية تستلهم «لمحة من حدث تاريخي ذي صلة وثيقة بالحاضر» (٢) فحملات التشويه والاجهاض مستمرة ، والثورة موزعة فوق صلبان متعددة ، حتى أن فلسطين تحتار أين تضع جنينها الثوري والميلاد الحقيقي ينتظر اتحاد هذه الصلبان والقوى الفلسطينية والعربية والعالمية جميعاً ، فالكل مسؤول عن عمل شيء في سبيل توحيد هذه الاشلاء الممزقة كي يولد طفل الثورة .

وتقدم مسرحية (قراءات على شاهدات مقبرة كفر قاسم) لعجان الكسان تسجيلا وثائقياً لجرائم العدو الصهيوني واعتداءاته على الارض العربية ، منذ مطلع هذا القرن عن طريق

---

(١) ثورة الزنج /٣٦ .

(٢) محسن إطيمش — الشاعر العربي الحديث مسرحيا ٣٢٠ .

الرواية للاحداث من خلال حوار بين رئيس تحرير إحدى الصحف وأحد المحررين فيها .

ويستعين المؤلف في هذه المسرحية بصور حية لوحشية العدو الصهيوني في مذبحة كفر قاسم ، وضرب مصانع العمال في أبي زعبل ، ومدرسة بحر البقر للاطفال في مصر . ولعل ميزة هذه المسرحية أنها أستطاعت أن تستشف شيئاً من المستقبل بوعي وذكاء جان الكسان :

رئيس التحرير : الحرب ياصديقي لاتقوم بالشعارات .

المحرر : ولكن ..

رئيس التحرير : والحرب ياصديقي ليست حلقات ذكر .

المحرر : ماذا تعني ياأستاذ ؟

رئيس التحرير : أعني أن في القاموس شيئاً اسمه الامر الواقع .

المحرر : وتريدنا أن نعترف به ؟

رئيس التحرير : أنا لم أقل هذا .. غيري هو الذي سيضطر الى قوله ، أو بالاحرى القبول به .

المحرر : هذه دعوة مريبه ياأستاذ

رئيس التحرير : سمها ما شئت .. أنا أستطلع المستقبل فقط » (١)

وتنتهي المسرحية والمحرر واحد من الفدائيين بعد تركه العمل في صحيفة الاستاذ منظر وبوق دعوات التصالح — بدعوى الامر الواقع — . انه الان ضمن صفوف العمل الفدائي ، وهو عمل ينظر اليه السيد رئيس التحرير على أنه ضرب من المراهقة السياسية ! ! هذا وقد كتبت مسرحيات أخرى عن المقاومة الفلسطينية من خلال قصة الشاب الفلسطيني سرحان بشارة سرحان ، واطلاقه النار على الامريكي روبرت كنيدي في الخامس من حزيران عام ١٩٦٨ ، ومنها مسرحية يسري الجندي (ماحدث لليهودي التائه مع المسيح المنتظر) ومسرحية عما نوئيل رسام (سرحان بشارة سرحان) ، ومسرحية (حزيران شهادة وميلاد) للكاتب المغربي أحمد العراقي وغيرها .

ولعل مسرحية (الافق) لاحمد علي الخطيب قد أشارت الى مسألة مهمة تتعلق بوجوب استقلال حركة المقاومة ، وضرورة تسلحها برؤية علمية ثورية لتبني من خلالها علاقاتها

---

(١) قراءات على شاهدات مقبرة كفر قاسم /٦٦ .

مع الانظمة الوطنية العربية على أسس سليمة تستطيع من خلالها تعميق تناقض هذه الانظمة مع الامبريالية والصهيونية والضغط عليها واعتماد قانون الصراع ضد توجهها في منحى الحلول الاستسلامية بوقت مبكر . وليس عيباً في المسرحية ، أنها قد صورت شخصية الفدائي بأنها كانت «خشنة في ردها على أسئلة العائلة التي يفترض أن يكسبها الى جانبه بدماثته ورقته» (١) .

ذلك ان الخطيب يدرك جيداً ان حركة المقاومة الفلسطينية لم تستفد وتستغل الالتفاف الجماهيري الفسطيني الكاسح حولها بل (عاملته بفوقية ، وبتعبئة دعائية ، واعتبرت العمل العسكري وكأنه بديل لنضال الجماهير بدلا من أن يكون تتويجا لهذا النضال (٢)

لقد أستطاع مسرح المقاومة العربية أن يدرك أهمية التحرر من الظلم الاجتماعي القائم على الاستغلال ، كما أدرك أن التقدم ليس مجرد تقدم تكنيكي للمجتمع ، وان حرية الانسان السياسية والفكرية ، وطموحه الى التحرر العقلي والتفتح الثقافي والانطلاق من الجانب المستنير من تراثه العقلي ، والثقافي والقومي هو الضمان لان يكون التقدم ، التكنيكي تقدماً انسانياً حقيقياً يضمن تحرير الانسان من قبضه الجفاف الروحي والغربة النفسية .

أن وعي المسرح المقاوم لنفسه فنياً وفكرياً ، كان كسباً عظيماً للمسرح العربي كله بالايجاب أو بالسلب ، فحتى جوانب القصور فيه يمكن أن تكون طريقاً لطرح قضايا متجددة على الدوام بل قد تكون مناقشتها هي السبيل لحل الكثير من مشكلات ثقافتنا كلها ، لامسرحنا فحسب .

---

(١) علي مزاحم عباس — تجربة الفرقة القومية ، مجلة الاقلام — العدد السادس لسنة ١٩٨٠.

(٢) الادب والمعركة — (مؤتمر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين لعام ١٩٧٢) ص ١١٠.

مصادر البحث :

أ ـ الدراسات

١ ـ أبراهيم جنداري : أثر نكسة حزيران على المسرحية العربية ـ رسالة ماجستير (مخطوطة)
٢ ـ أريك بينتلي : الحياة في الدرامة
ترجمة : جبرا أبراهيم جبر
المكتبة العصرية ـ بيروت ١٩٦٨
٣ ـ سامي خشبة : قضايا معاصرة في المسرح
وزارة الاعلام العراقية ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٧٢
٤ ـ شكري محمد عياد : الادب في عالم متغير
المطبعة الثقافية ـ مصر ١٩٧١
٥ ـ عبد القادر القط ١ ـ في الادب العربي الحديث
مكتبة الشباب ـ مصر ١٩٧٨
٢ ـ من فنون الادب / المسرحية
دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت / ١٩٧٨
٦ ـ علي الزبيدي : المسرحية العربية في العراق
معهد الدراسات والبحوث العربية ـ مطبعة الرسالة / ١٩٦٦
٧ ـ غالي شكري : العنقاء الجديدة
دار الطليعة / بيروت ـ ١٩٧٧
٨ ـ فرانك . م . هوايتنج : المدخل الى الفنون المسرحية
ترجمة دريني خشبة
دار المعرفة ـ مصر / ١٩٧٠
٩ ـ محسن إطيمش : الشاعر العربي الحديث مسرحياً
وزارة الاعلام العراقية ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد / ١٩٧٧
١٠ ـ محمود أمين العالم : الوجه والقناع في مسرحنا العربي المعاصر
دار الادب ـ بيروت / ١٩٧٣
١١ ـ هاسكل بلوك : الرؤيا الابداعية
(مجموعة مقالات) ترجمة أسعد حايم
مكتبة نهضة مصر / ١٩٦٦

ب ـ المسرحيات :

١ ـ جان الكسان : قراءات على شاهدات مقبرة كفر قاسم
مطبعة وزارة الثقافة السورية . دمشق / ١٩٧٣

٢ ـ سهيل أدريس : زهرة من دم
دار الكاتب العربي ـ مصر / ١٩٦٩

٣ ـ عبد الرحمن الشرقاوي : وطني عكا
دار الشروق ـ القاهرة / ١٩٧٠

٤ ـ فتى الثورة : شعب لن يموت
منشورات جمعية المسرح العربي الفلسطيني د . ت

٥ ـ محمد علي الخطيب : الافق
مجلة الطريق اللبنانية ـ العدد الثاني ـ شباط ١٩٦٩

٦ ـ محي الدين عبد الحميد زنكنة : السر
مطبعة العربي الحديثة
النجف ـ العراق / ١٩٦٨

٧ ـ معين بسيسو : ثورة الزنج
دار الكاتب العربي ـ القاهرة ١٩٧٠

ج ـ الدوريات :

١ ـ آفاق عربية : بديعة أمين ـ المسرح العراقي ، مواقف وعثرات .
العدد السابع . اذار / ١٩٨٢

٢ ـ الاقلام : علي مزاحم عباس ـ تجربة الفرقة القومية
العدد السادس / ١٩٨٠

٣ ـ قضايا عربية : فريدة النقاش ـ فلسطين والبطل الفلسطيني على المسرح المصري
العدد الثالث ـ السنة الثالثة / ١٩٧٩

د ـ المؤتمرات :

الادب والمعركة (مؤتمر أتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين لعام ١٩٧٢)

الإرشاد التربوي

مفهومه، ونظرياته، وأهدافه

ومهماته، ومواصفاته

الدكتور عبد الجبار الغضبان
كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

«التوجيه والارشاد في الجامعة ماهو وما هي اهدافه»

١ — معنى التوجيه والارشاد :

ليس من السهل تحديد تعريف موحد للتوجيه والارشاد كأحد الفروع التطبيقية لعلم النفس أو كدرجة من درجات العلاج النفسي الذي لايهدف فقط الى حل المشكلة الانفعالية أو غيرها بل يرمي أيضاً لتزويد الفرد بفهم أفضل لنفسه ، ولتحرير جميع طاقاته وامكاناته أثناء عملية الارشاد وذلك باكتساب وجهات نظر صحيحة نحو الحياة والناس والوصول الى أقصى درجة ممكنة من النمو المتناسق لجميع جوانب شخصيته ، والتكيف ضمن المجتمع. وقد تستعمل كلمة ارشاد وتوجيه استعمالا مترادفاً وان كانت بينهما فروقات شكلية يهتم بها المتخصصون ولكن من المتفق عليه ان التوجيه أهم واشمل : ويكتسب وظائف محلية مختلفة اذا ماقترن بكلمات معروفة . (فالتوجيه المهني) يهدف لتحقيق التوافـــق بين امكانيات الفرد وخصائصه الجسمانية وميزاته العقلية وميوله وصفاته ونوعية العمـل

الذي يناسبه . و (التوجيه التربوي) أو التعليمي يهدف الى مساعدة الطالب على الاختيار بين أنواع مختلفة من التعليم والدراسات التي تتناسب مع امكانياته ، وقد يحاول أيضاً ترشيد التعليم نفسه نتيجة البحوث والدراسات التي تجري لكي يتناسب التعليم مع تطلعات الطلاب واحتياجاتهم الخاصة وينسق بينهما وبين احتياجات مجتمعهم ضمن الخطة التي أرتضتها الامة بمسيرتها ، أما (التوجيه النفسي) فيركز أساساً على مساعدة الفرد للتغلب على مشكلاته الانفعالية وتجاوز قلقه وحيرته وتعديل سلوكه غير السوي وان وجد أثناء عملية التوجيه بدرجة تعيد اليه تماسكه النفسي وتنمي فيه الثبات العاطفي وتجنبه حالات الاضطراب التي تقود الى الانهيار التام ليصبح الفرد قادر على التفاعل مع المجتمع بالصورة الملائمة لذلك المجتمع نفسه . وبما أن البرنامج الذي تسعى الى انجازه سيحمل بين طياته عناصر مختلفة من تلك المفاهيم الثلاثة فنحن نفضل استعمال كلمتي (التوجيه والارشاد) معاً لما تحتويه من عناصر الشمول الذي نسعى اليه .

وكما يتضح فان التوجيه الذي نعنيه لايعني فرض الرأي على الاخرين أو اتخاذ القرارات نيابة عن الفرد ولكنه يعني تلك المعونة أو الاستشارة النفسية التي يقدمها المرشد المتدرب ضمن أطار علمي وفني محدد مستعيناً بأساليب علم النفس من مقابلات واختبارات ودراسات لحالة الفرد وخلفيته الاسرية والاجتماعية حتى يتمكن اخيراً من ان يعرف مقدراته ومواطن ضعفه ويقف على أبعاد مشكلاته ويوجه نفسه في حلها نتيجة الاستبصار أو النمو الذي يحدث له أثناء هذا الموقف التعليمي وما يتضمنه هذا النمو من تعديل في اتجاهاته وسلوكه الذي سبب له القلق أو اليأس أو عدم الاستقرار .

٢ ــ اغراض التوجيه والارشاد:

ويمكن تفصيل هذه الاغراض والاهداف على النحو التالي : ــ

(أ) الغرض الاستقراري:

وتنحصر عملية التوجيه في هذا المجال في مساعدة الفرد ومنها الطالب ليحل مشكلاته الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والصحية والنفسية والتي تؤثر على حياته وتقلل من قدرته على الدراسة والتحصيل .

(ب) الغرض التنسيقي:

وهنا يهدف المرشد إلى مساعدة الطالب أو الفرد في المجتمع في التعرف على امكانياته وميوله والفرص المتاحه اليه وتنسيق ذلك مع كل من يرى انه يمكن أن يفيد في هذا الاتجاه كالاساتذة والاداريين والاطباء والاختصاصيين النفسيين والاسرة والمجتمع .

(ج) الغرض التكيفي:

وتنحصر مهمة المرشد النفسي في المساعدة كي تتلائم برامج التعليم مع حاجات الافراد النفسية وميولهم وتطلعاتهم واما لهم الخاصة والعامة وذلك بأن يمد الاسرة الاكاديمية بالمعلومات اللازمة المتعلقة بتلك الميول والاتجاهات نتيجة للاختبارات والبحوث التي يجب أن يجريها في هذا المجال بين الحين والاخر .

٣ ـ مبادیء هامة في فلسفة التوجيه:

وفقاً لما أوردنا من مفاهيم وتعاريف مختلفة نخلص بعد ذلك إلى مباديء هامة في فلسفة التوجيه تستند على التطبيق العلمي لعلم النفس وعلم الاجتماع وأهمها الاتي :

أ. أن السلوك البشري يأتي نتيجة التعلم كما انه يخضع لعنصر التحسن والتعديل.

ب. أن التوجيه موقف تعليمي، يتمكن فيه الفرد المتلقي للاستشارة أو المساعدة النفسية التربوية من الوصول إلى الاستبصار الذي يمكنه من معرفة نفسه وتعديل سلوكه.

ج. الفرد المتلقي لعملية التوجيه يجب أن يشعر بانه انسان ذو شخصية وذو قيمة رغم السلوك غير السوي والحالة النفسية التي يمر بها.

د. التوجيه عملية تربوية اساسها العلاقة الحرة بين الموجه وطالب الاستشارة وتبنى تلك العلاقة على الثقة والاطمئنان والخصوصية والسرية، ويمكن للشخص أن يصلها أو يقطعها متى اراد دون تكاليف أو رسميات .

هـ. التوجيه عملية تفكير مع الفرد لحل مشكلته لا تفكيراً له أو نيابة عنه.

و. كل هذه الاهداف جميعاً تسير وفقاً لمباديء الديمقراطية وحرية الانسان، واحترام حقوقه ومسؤوليته عن حياته.

٤ ـ اساليب التوجيه ومدارسه :

للتوجيه والارشاد عدة أساليب، والاسلوب المناسب للعمل تحدده طبيعة الافراد، ومستواهم الادراكي، والبيئة الحضارية التي ينتمون اليها واسلوب مجابهتهم للمشكلات ولقد مر التوجيه بشتى المراحل وأثرت فيه أكثر من مدرسة من مدارس علم النفس كالسلوكيين وجماعة التحليل النفسي وغيرها من التيارات. ويمكن تلخيص مدارس التوجيه في ثلاث مدارس يأتي التباين بينها لاستعمالها ثلاثة أساليب توجيهية مختلفة، مع انها جميعاً تتمشى مع المباديء التي تطرقت لها من قبل ولكنها تختلف من حيث المرتكز ومصدر المبادرة والحركة الايجابية أثناء المقابلة سواء كان ذلك المصدر هو الموجه أو الشخص المتلقى للتوجيـه.

أ) تسمى المدرسة الاولى (مدرسة الارشاد النفسي غير الموجه) وهنا يعتمد الموجه على تحريك الفرد طالب المساعدة ليقوم بالدور الاكبر في عملية التوجيه اعتماداً على الرغبة الكامنة في اعماقه للتأقلم والتحسن والنمـو .

ب) والمدرسة الثانية تسمي نفسها مدرسة الارشاد (الاكلينيكي) الموجه ويقوم بالدور الرئيسي في عملية الارشاد الموجه، مركزاً على المشكلة وفحص ابعادها وتحليلها وجمع المعلومات المتعلقة بها وبطريقة حلها، أكثر من تركيزه على الفرد طالب المساعدة والذي قد يحتاج لبعض الوقت لكسب الموضوعية والادراك الذي يمكنه من النمو واتخاذ القرار السليـم .

ج) المدرسة التجريبية أو مدرسة الانتقاء:

والانتقاء يعني الاخذ باراء مستمدة من مصادر فكرية متنوعة ترمي إلى بناء مذهب فكري متماسك عن طريق هذا الاقتطاب وان هذا التحرر التجريبي لايعني خلطاً عشوائياً في المفاهيم أو المصادر العلمية، ولكنه يتيح للمرشد أن يستعير من أحدى المدرستين المذكورتين سلفاً، أي وسيلة من وسائلها أو منهج من مناهجها وفقاً لمتطلبات الموقف والتكوين الاكلينيكي لشخصية الفرد طالب الاستشارة. فالمرشد يحدد اسلوب الارشادي اثناء المقابلة معتمداً على أثره المباشر على الفرد، أكثر من اعتماده على فلسفة أو نظرية سيكلوجية محددة. وعلاجه المشكلة ينبع من روح البحث والتقصي أكثر مما يعتمد على ابداء الرأي واصدار الحل الجاهز ودلت التجربة على أن هذا الاسلوب أكثر نفعاً في المجتمع الذي لم يتعود

أفراده على مثل هذه الخدمات النفسية وهم بحكم حضارتهم وبيئتهم المحافظة يجدون صعوبة شديدة في الافصاح عن مشكلاتهم التي قد يعتبرونها خاصة جداً لدرجة لا يمكن البوح بها إلى الغرباء .

ويستعين المرشدون من مختلف المدارس بشتى الوسائل التعليمية في عمليات التوجيه وعمليات العلاج النفسي، وهي عبارة عن علاقة ديناميكية بين الموجه والفرد ولا تقتصر على تقديم المساعدة المباشرة فقط، بل انها تتسع ضمن اطار علمي محدد لتصبح موقفاً تعليمياً في أدق صور التعليم والتعلم. تهدف إلى نمو الفرد وتكامل شخصيته وزيادة سيطرته على نفسه وتقبل نواحي القوة والضعف فيه .

وانواع المقابلات عديدة منها المبدئية والقصيرة والاكلينيكية والجمعية ولا نرى داعيا للخوض في تفاصيلها في هذا المجال ولكن من الضروري أن نذكر شرطاً اساسياً للمقابلة وهو اعداد مكان هادىء تجري فيه المقابلات بعيداً عن العوامل المؤدية إلى تشتت الانتباه وبعيداً عن تدخل الاخرين ، أو الشعور بان المكان يهيمن عليه جو يوحي بالساطة أو تدخل القانون ورهبة النظام.

وهناك وسائل أخرى يمكن للموجه أن يستعملها لجمع المعلومات كتطبيق بعض الاختبارات السيكلوجية والتربوية والمهنية والرجوع إلى البطاقات والسجلات الخاصة بالطلب، أو الالتجاء إلى أفراد أخرين كالاساتذة والوالدين والاصدقاء ، أوإلى هيئات داخل وخارج الجامعة وإلى كل مصدر ترجى منه الفائدة. فالموجه كمايقول أحد علماء هذا الحقل هو(محامي) الفرد يرعى مصلحته ويسعى معه لحل مشكلاته في اطار الامكانيات المتاحة والقوانين والنظم التي تحكم مسيرة حياته.

«التوجيه والصحة النفسية»

١ — مفهوم الصحة النفسية:

ان الخدمات النفسية الفردية أو الجماعية حينما تهدف لخدمة الفرد والجماعة عن طريق تطبيق مبادىء علم النفس وقوانينه في المجالات المختلفة أنما ترمي أيضاً الى تحديد العوامل المؤثرة في السلوك للانسان والاستفادة من ذلك عن طريق التأثير في هذه العوامل والوصول بذلك الى الاهداف المقصودة ولا سبيل الى تعريف هذه العوامل المؤثرة على الصحة النفسية الا بعد ان نتعرض لمفهوم الصحة النفسية .

فالصحة النفسية شأنها في ذلك شأن الصحة العـامة فأنها تعني ان يتحقق للفرد الانسجام والتناسق بين الوظائف النفسية المختلفة عنده ، بحيث لاتتغلب احداهما على الاخرى ، وبحيث تعمل كل منهما في تكامل وترابط ، وذلك بالاشباع المتناسق للدوافع الاولية ، التي ترتبط بالتكاين العضوي للفرد كالجوع والعطش والدوافع الثانوية التي تنشأ بحكم نشأته في بيئة اجتماعية معينة وذلك كالحاجة الى الحب والحماية وتقدير الاخريـــــن . والشرط الثاني في الصحة النفسية هو ان يتمكن الفرد من التغلب على ماقد يعترض سبيل حياته من أنواع الاختلال اليسير في توافقه النفسي الذي قد يسببه الكدر أو الصراع النفسي أو فساد العلاقات الاجتماعية بينه وبين الاخرين وان ذلك في يسر وسهولة دون أن تهتز شخصيته .

والعنصر الثالث الذي تكتمل به اسباب الصحة النفسية هو الشعور بالسعادة والاقبال على الحياة والرضاء عن النفس وتقبل الذات والذي شأنه في الصحة النفسية شأن الشعور بالحيوية والخفة والنشاط في الصحة الجسمية فان كان الفرد متقبلا ومتفاعلا مع ذاته يجد لسعيه في الحياة والتقائه بالناس وتفاعله معهم شيئاً من المتعة والسرور .

٢ ـ المشكلات التي تعوق التوافق النفسي :

وبعد هذا التوضيح المختصر لمفهوم الصحة النفسية نتطرق أولا لتوضيح العوائق التي تحول بين الطالب الجامعي وبين التوافق النفسي السليم وتنشأ هذه العوائق لعدة اعتبارات وعوامل منها المتعلق بالطالب نفسه وتكوين شخصيته ومنها المتعلق ببيئته ونشأته ومجتمعه .

فالطالب في الجامعة ينمو نمواً له وظائف ومتطلبات نمويه مرحلية لابد من تحقيقها ، وحاجات أساسية يجب عليه أشباعها . فهو يبدأ حياته الجامعية مخلفاً وراءه المراهقـــة المتأخرة مستشرفاً مرحلة الوعي المبكر . يرمي في نموه هذا الانجاز عدة وظائف فهو يريد ان يوظف مهاراته الثقافية والمهنية وان يختار لنفسه الوظيفة والعمل ،وأن يحدد له فلسفة خاصة ومثلا واخلاقيات واسلوباً في الحياة وان ينجح في تكوين صلات أوثق مع من هم في سنه من الجنسين وان يحصل على نوع من الاستقلال العاطفي أو الاقتصادي من الاسرة ثم يبدأ في التفكير في اختيار شريك الحياة ومباشرة مسؤوليته الاجتماعية والقومية .

ولكل مطلب من هذه المطالب النموية بعده الاجتماعي والنفسي والتربوي ويتحتم على الفرد انجازها والنجاح فيها لان ذلك يقود الى السعادة والنجاح في الوظائف ،والمطالب النموية التي تليها وبالتالي الى التوافق النفسي المطلوب كما أن الفشل في ذلك ، يؤدي الى الاكتئاب والتصدع النفسي أو الانهيار العصبي .

ولابد لنا أن نشير الى نقطتين هامتين فيما يتعلق بذلك .

أولا : ان بعض هذه المشكلات يتصدى لها في الوقت الحاضر مشرفو الكليات.

ثانياً : ان فترة ليست بالقصيرة قد مضت منذ ذلك التاريخ ، وقد حدث في تلك الفترة الكثير من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ذات الاثر الامر الذي نتوقع ان نغير في نوعية مشكلات الطلاب ، وفي نظرتهم الى المستقبل والحياة . وهذا ماسيحدده بحث جديد تقوم الان وحدة التوجيه والارشاد باعداده .

١ ـ مشكلات التكيف الاجتماعي :

واذا ماكانت البيئة هي قاعدة النمو فان التجانس بين الوسط الجامعي الذي ينمو فيه الطالب بخصائصه المتميزة وبين المجتمع الذي جاء منه بسماته الحضارية المتوارثة له اثره الكبير في مهمة النجاح أو الفشل في التأقلم . وان الانتقال الحضاري من حياة الريف التقليدية وتقاليده المتوارثة ومعيشته السهلة الى المجتمع الجامع الواسع . المختلط المتفاوت في القيم والمثل والعادات والمستويات الاقتصادية والاساليب الاجتماعية يتطلب جهداً ذهنياً ونفسياً ومادياً للتطبع والتكيف والقبول . ويترك هذا أثراً على الطلبة والطالبات في شكل ضغوط مادية ومتطلبات اجتماعية تشغل بال الكثيرين وتؤثر على حياتهم وتحصيلهم .

(ب) مشكلات التكيف الدراسي :

ومن بعض هذه المشكلات نذكر مشكلات التأخر الدراسي وعدم القدرة على التركيز وصعوبة المناهج وسوء عادات الاستذكار والخطأ في اختيار الكلية التي تتفق مع الميول والقدرات والتغير في اساليب الدراسة والتفاعل كل ذلك مع متطلعات وامال الطلاب وتوقعات أهله وذويه وللكثير من هذه المشكلات جذور تمتد الى دراستهم الثانوية، حيث يحتاج الكثير من الطلاب الى التوجيه اللازم الذي يسهل عليهم الانتقال من المرحلة ، الثانوية الى مرحلة التعليم الجامعي أوعلى الاقل يعينهم على ملء رغباتهم في طلبات الدخول للجامعة بالطريقة التي تتفق مع امكانيتهم وميولهم . وهذا اضعف الايمان .

(ج) مشكلات الانفعال النفسي :

لابد أن نقرر أنه من الصعوبة بمكان رسم خط واضح يفصل بين المشكلات الشخصية أو يحدد أبعاد كل منها في الشخصية الانسانية تتعامل مع البيئة المحيطة بها بطريقة كلية لا جزئية والمشكلة الواحدة تسبب مشكلة أخرى أو تخفف من أثرها ، أو تزيدها تعقيداً

فقلة النثريات وازدحام السكن وقاعات الطعام قد تؤدي الى عدم القدرة على الاستذكار والتركيز فيقود ذلك بدوره الى المرض أو التمارض للهرب من الموقف أو الى الرغبة في الاستقالة أو تجميد العام الدراسي ، وان عدم القدرة على التأقلم والانسجام في الوسط ، الجامعي أجتماعياً وفكرياً قد يؤدي الى الاحساس بالضياع وعدم الانتماء أو الى علاقات غير مريحة في محيط الاصدقاء. وان عزلة مفروضة على النفس ترويضاً لها على الحرمان قد تسبب الضيق أو الكدر والشعور بالنقص الذي يؤدي الى الانهيار .

وان التنافس الذي كان ممارساً من قبل للالتحاق بالكليات المهنية العلمية قد يؤدي الى الهلع والتمزق النفسي. كما ان الامتحان الاوحد الحاسم في نهاية العام الدراسي الطويل والذي لازم النظام الاكاديمي في فترة من الزمن كثيراً ما أدى الى الهروب أو الفصل .

وهنا لابد أن نذكر بكثير من الارتياح ان تغييراً قد طرأ في هذين المجالين فقد تغير نظام القبول — الكليات المهنية هذا العام وادخل نظام الفترتين في العام الدراسي الواحد والامل معقود أن تتعدد الامتحانات في داخل الفترة الواحدة وتتنوع وسائل التقويم ، التربوي الاخرى .

وهكذا تتعدد الظواهر النفسية بتعدد العوامل واختلافها وتداخل المشكلات فتضعف قدرة الطالب على التأقلم ويضطرب ثباته العاطفي وتوازنه النفسي ، فيؤدي ذلك الى اضطرابات متفاوتة في الحدة والعمق والاثر تتراوح مابين الاضطرابات أو الصراعات النفسية والقلق والحالات الحادة التي تعيق وظيفة الحياة النفسية في التكيف مع ظروف البيئة فيفقد الشخص مقدرته على الاحساس بالحقيقة تقييماً واختياراً فيصبح مختل العقل أو منفصم الشخصية. وفي دراسة أجراها الباحث وجد ان مشكلات وشكاوي الطلاب كالاتي:

انواع الشكاوي والمشكلات	عدد الحالات	النسبة المئوية
مشكلات التكيف الدراسي	١٢	٧٪
الرغبة في الاستقالة	١٢	٧٪
الرغبة في تجميد العام الدراسي	١١	٦،٥٪
الاحساس بعدم مناسبة الكلية للرغبة	٨	٤،٧٪
عدم القدرة على التركيز	٧	٤،١٪
مشكلات التكيف الاجتماعي		
قلة المصروفات	٢٧	١٥،٩٪

مضايقات في السكن	٢٥	١٤,٨٪
البحث عن تسهيلات مختلفة خارج نطاق الجامعة	٢٠	١١,٨٪
مشكلات تتعلق بالاسرة	١٠	٥,٩٪
علاقات غير مريحة في محيط الاصدقاء والزملاء	٨	٤,٧٪
عدم القدرة على الانسجام في الوسط الجامعي	٥	٢,٣٪
مشكلات الصحة الجسدية والنفسية		
قلق على الصحة وعدم جدوى العلاج	١٢	٧,١٪
كدر واكتئاب	٩	٥,٣٪
اختلال عصبي	٨	٤,٧٪
اضطراب عقلي	٧	٤,١٪
المجموع الكلي	١٦٩	١٩٩,٦٪

التنظيم العام لبرنامج التوجيه والارشاد بالجامعة :

ان أهداف برنامج التوجيه والارشاد لايمكن ان تتحقق تحقيقاً كاملا الا أذا ما نظم تنظيماً يمكنه من تطبيق مبادئه ويسهل عليه عملياته، ويضمن له تعاون جميع المشتغلين به، وتحمسهم له، ذلك لان التوجيه لايمكن ان ينعزل عن المؤسسة التي ينشأ فيها وينبغي ان يسمح له باستعانة الاخصائيين والاساتذة والهيئات والمؤسسات وكل الذين يحتاج اليهم البرنامج بصفة عامة أو الذين يحتاج اليهم لمعالجة بعض الافراد بصعوبات خاصة بهم وان يشارك الجميع في ذلك وان يتحمل كل منهم نصيباً من المسئولية يتفق مع طبيعة عمله واعداده كما أنه ينبغي على البرنامج التوجيهي ان يحدد صلته بكل الاطراف المعنية وان ينسق بينهم وبينه بحيث تسير الجهود المتعددة في طريق واحد لاتتضارب فيه ولا تتعارض بين عناصره ومتمشياً مع الفلسفة التربوية بالجامعة بصورة خاصة . فالفلسفة السائدة في المجتمع بصورة عامة ، آخذين في الاعتبار طبيعة الطلاب وثقافتهم البيئية المختلفة والمتعددة ونوع واسلوب الخدمات التي يعتاد عليها من قبل ، والمؤسسات والهيئات التي تحيطهم وسنتناول ذلك على النحو التالي : —

(١) في بحث اجراه الباحث على طلبة جامعة السوربون لم ينشر بعد هذا البحث وكان البحث سنة ١٩٧٤ — ١٩٧٥ .

١ ـ التوجيه والادارة:

ان المفهوم الحديث للتعليم يخرج به من الدائرة التقليدية الدارجة التي كانت تحصره في وجود الطالب في المؤسسة التعليمية للدرس والتحصيل ولتزويد عقله بالمعارف المحدودة التي سرعان ماتتبخر، إلى مفهوم حديث يؤكد أن الاتزان النفسي للطالب وقدرته على حل مشكلاته لايقل من الناحية التحصيلية وان صحته الجسمانية لاتقل أهمية عن صحته العقليـــة.

ورغم تصنيف قسم شؤون الطلاب كجزء من ادارة الجامعة فان قيادته ظلت تسعى وتؤكد دائماً الدور التربوي للقسم وتعمل لتحقيق التكامل بين الخدمات الطلابية والتدريـب الاكاديمي في تضافر وتعاون مثمر يهدف لتشكيل شخصيه الطالب الجامعي تشكيلاً علمياً تكاملياً يتفق مع خصائص مجتمع يرنوا إلى العصرية والتـطور.

ونحن حين نشير إلى هذا لانرمي إلى أن نميز المشرفين بقسم شؤون الـطلاب دون غيرهم من الاداريين بقدر مانهدف إلى تعريف طبيعة العمل الاداري في هذا المجال، واسلوب التعامل مع الطلاب وعلى كل حال فان الجامعة كمؤسسة تعليمية هي بالضرورة ادارة تربوية تسعى اساساً كغيرها من الادارات إلى اتخاذ أحسن القرارات ذات الهدف ومتابعتها في اطار الظروف والامكانيات المتاحة بل ترمي بالتحديد لخلق الجو المناسب للتعليم والبحث والتخصص وتعمل لكي تمكن الطالب من تلقي التعليم الذي يناسبه ويناسب قدراته وميوله من الاساتذة الاكفاء، ضمن الامكانيات الاقتصادية التي تكلفها وتحت انسب الظروف التي تتيح له الاستفادة القصوى من تعليمه. وبهذا المفهوم الـذي غايته الطالب، تلتقي فروع الادارات الجامعية الاخرى مع الادارة التربوية لقسم شؤون الطلاب لتصبح الادارة الجامعية كلها حقلاً من حقول ممارسة العلاقات الانسانية التربوية.

وبالرغم من هذا التزاوج بين التوجيه والادارة فان المرشد التربوي والنفسي يجب أن يخلق مسلكاً مهنياً تربوياً وان يستفيد من وجوده بين الاداريين ليؤثر على خدماتهـم الادارية كي تصبح أكثر اشباعاً لحاجات الطلاب ولكي تأتي دائماً مستوفية الدراسة لجميع الابعاد الاجتماعية والنفسية والتربوية. فان التوجيه والارشاد لايمتلك سلطة ادارية ولن يسعى لامتلاكها ولكنه يقف في جانب الطالب دائماً ويسعى في اعطاء اهدافه الرامية

لتعريفه بجميع الفرص المتاحة ،يسعى لتسخير جميع الامكانيات لمصلحته والاستفادة من جميع السلطات الادارية المختلفة من أجله وذلك بالاتصال والتنسيق والتوضيح والتفسير والطلب والرجـــاء .

٢ – التوجيه والمشرفون على الطلاب بالكليات

لابد أن نقترح أن انشاء التوجيه والارشاد بقسم شؤون الطلاب لايعني أن طبيعة عمله تختلف كثيراً عما يؤدي المشرفون بالكليات بل يمكننا أن نذهب إلى الحد الذي نقول فيه انطلاقاً من فلسفة الرعاية الطلابية الشاملة أن كل مشرف في كليته هو مشرف للتوجيـه والارشاد ايضاً وتأتي المبادرة الاولى من مشرف الكلية الذي سيكشف ويحدد الحالات التي تحتاج إلى بحث أكثر، ومعالجة متأنية مستمرة، وزمناً للمتابعة المتخصصة والاتصال المتشعب فيحول إلى وحدة التوجيه مثل هذه الحالات دون أن يقطع صلته بها فالتعاون والتنسيق بين الوحدتين يجب أن يكون مستمراً ومتصلاً ،هدفه مصلحة الطالب ومنفعته. ويعزز هذا الاتصال ويوثقه زيارة مشرف التوجيه والارشاد إلى المشرفين في مكاتبهم وداخلياتهم للتعرف على الحالات التي تحتاج إلى الرعاية المتأنية لان هناك من الطلاب من يجد صعوبة في الحضور إلى مكتب التوجيه والارشاد ويصبح البديل أن ينتقل المرشد اليه حيث هو ليوثق اتصاله به. ويبني معه جسور الثقة والصداقة والطمأنينـــة.

٣ – التوجيه والاسرة الاكاديمية :

ان التوجيه والتعلم عمليتان تهدفان إلى نمو الفرد وتعديل سلوكه حتى يتمكن من اكتشاف مقدراته واستغلال هذه المقدرات بدرجة تمكنه من التغلب على مشكلاته الحالية ، ومجابهة المستقبل بفعالية ونجاح. ومن أهم اغراض التوجيه هو أن يكون في خدمة كما هو في خدمة الطلاب، ولايمكن للمعلم أن يكون بعيداً عن عمليات التوجيه والارشاد. كما أنه لايمكن لبرنامج التوجيه أن يستغني عن المساعدة التي يقدمها له الاساتذة جميعاً باعتبارهم أكثر اعضاء الاسرة الجامعية صلة بالطالـــب .

فهم الذين يكتشفون الطلاب المحتاجين من الخدمات النفسية عند لقائهم في قاعات المحاضرات وداخل المعامل والمختبرات ،وهم الذين يمدون عملية التوجيه بالمعلومات اللازمة فيما يتعلق بنواحي توافق الطالب أو قصوره وبدون التعاون الوثيق معه يصبح أي برنامج

توجيه لافائدة من ورائه. وانه لمن البديهي أن نذكر أن كل استاذ بالجامعة هو موجه ومرشد للطلاب، كما ان هنالك عدداً من اعضاء الاسرة الاكاديمية بالجامعة يمارسون نوعاً من التوجيه والارشاد والذي يغلب عليه الطابع الاكاديمي. ويؤديه بحكم الوظيفة كل من العمداء ورؤساء الشعب ومسجلي الكليات وهناك نوع آخر من أسرة التدريس قد أوكلت له رسمياً مهمة الاشراف الاجتماعي على الطلاب وهم الاساتذة ومشرفوا الداخليات ولن يغيب على برنامج التوجيه أن هؤلاء الاساتذة المشرفين هم حجر الزاوية لنظام الاشراف الطلابي والمدخل الرئيسي لتوسيع قاعدة المشاركة للاساتذة في الرعاية الاجتماعية والتربويه والثقافية للطلاب وستسعى وحدة الاشراف والتوجيه لتحقيق هذه الغاية بالاتصال المباشر بينها وبين الاساتذة المشرفين وذلك لتبادل الخبرات والتجارب بشتى الوسائل والطرق ولتستقبل الحالات الفردية التي تحول اليها بوساطتهم والتي يعتقدون انها قد تحتاج إلى الرعاية والمتابعة المستمرة .

٤ ـ التوجيه والبيئة الطلابية:

ان التوجيه اساساً هو خدمة نفسية فردية ترمي كما اسلفنا إلى مساعدة الفرد ليكتشف ذاته ودرايته ويتعرف على نفسه ويتمكن من حل مشكلاته. وقد يسلك المرشد أحياناً أسلوباً جماعياً فيقدم خدمات نفسية جماعية تؤدي نفس الغرض خاصة اذا كانت تلك المجموعة متقاربة في العمر متجانسة في التفكير كما هو الحال في طلاب جامعة الخرطوم، الذين يعانون من مشكلات متشابهة تقريباً تتعلق بالتأقلم والتكيف الاجتماعي والدراسي.

فيصبح هذا الاسلوب الجماعي وسيلة هامة لحل مثل هذه المشكلات، خاصة حين يدرك الطالب أن المشكلة التي يعاني منها هي مشكلة عامة يعاني منها الاخرون ايضاً مما يخفف ذلك من أثرها عليه ويتسع نطاق قبولها عنده. كما يستطيع الموجه ومن يستعين بهم من المتخصصين في هذا الاطار الجماعي من تقديم معلومات وحلول تنفع أكثر من واحد.

ونرجو أن نكون قد أوضحنا سلفاً، بما لايدع مجالاً للشك أن التوجيه والارشاد لايعني الهيمنة أو الوصاية على الطلاب في جمعياتهم أو تنظيماتهم بل أن الموجه عندما يمارس توجيهاً جماعياً تظل خدماته نفسية تربوية اجتماعية لمصلحة الطلاب. وحينما يسعى لتعميق وجوده بينهم انما يفعل ذلك من أجل فائدتهم في هذه الحالات. ونتمنى أن نصل ونحن في هذا الاتجاه بالخدمات التوجيهية إلى الحد الذي يجعل الطلاب يتسابقون عليها ، ويحضرون اليها بدون وساطة وبلا هدف محدد ربما للحديث والحوار فقط. في شتى شؤون الدراسة والحياة .

فسيجدون دائماً اذناً صاغية وصدراً رحباً وتفهما وقبولاً غير محدود المدى .

٥ـ التوجيه والخريجون :

ان ميدان المهنة ميدان على جانب كبير من الاهمية بالنسبة للفرد والمجتمع. فالمهنة هي الوسيلة لخدمة الاخرين وخدمة الذات، وشعور المرء بأنه شخص له قيمته يمكنه أن يسدي نفعاً لمن حوله والذلك كان وضع المرء فيما لا يصلح فيه من عمل سبب في فقدان الاتزان الذاتي وعنصر من عناصر عدم الرضا في المجتمع .وبتزايد عدد الخريجين وبتشعب فرص العمل في مشاريع التنمية المختلفة التي تنظمها البلاد وتبرز اهمية التوجيه المهني للطلاب الخريجين .

وذلك لمساعدتهم في اختيار مهنة المستقبل التي تلائم تخصصهم وقدرات ميولهم وتطلعاتهم وتزويدهم بالمعلومات الكافية عن المهن المختلفة التي يمكن ان تستفيد من تخصصهم وقيمة هذه المهن والتدريب الضروري لها ، وظروف العمل المحيطة بها، ومدى المنفعه المتوقعة حتى يتمكنوا من الاختيار الصحيح، واذا ماتم النجاح في تكوين مثل هذه الصلة مع الخريجين ستسعى لاستثارة انتماء الخريجين لجامعتهم الام، وتقوية اتصالهم بها للاستفادة من طاقاتهم وافكارهم وامكانياتهم فيما يخدم الجامعة ويفيد الطلاب ، وقد يفكر هؤلاء الخريجون في تكوين اتحاد لهم اسوة بغيرهم من خريجي الجامعات في العالم والتي اصبحت فيها مثل هذه الاتحادات مصدرا من مصادر المال والتمويل ودعامة من دعائم الفكر والترشيد .

٦ ــ التوجيه والاسرة والمجتمع :

لابد للجامعة ان توضح للاسرة والمجتمع وظيفتها الاساسية المتكاملة وبأنها لم تعد تلك المؤسسة التي تهتم فقط بنقل المعارف والمهارات للجيل الجديد وتحصر جهدها في زيادة النمو المعرفي والتحصيلي للطالب ، تحققه بالمناهج والاساتذة والكتب والمعامل انما. تعدت ذلك واصبحت تهتم باعداد الطالب ــ اعدادا قائماً على تفهم كامل لمكونات شخصيته ، كما تعنى بمواجهة احتياجاته الاجتماعية والثقافية وتستعين على ذلك بوسائل تربوية حديثة وستسعى وحدة التوجيه والارشاد لان تبرز هذه المفهوم بطريقة عملية بأن توثق صلتها بالاسرة والمجتمع سواء كان ذلك مع الاباء واولياء الامور افرادا او في مجالسهم وذلك ادراكا منها لما للاسرة الممتدة من اثر قوي على تنشئة الابناء وتشكيل نظرهم نحو الدراسة والعمل والحياة .

٧ ـ التوجيه وعلاقاته الخارجية :

ستسعى وحدة الارشاد والتوجيه بقسم شؤون الطلاب ان تكون لها صلة وثيقة ببعض المؤسسات والهيئات خارج الجامعة والتي تلتقي معها في الاهداف والفلسفة العامة للرعاية الاجتماعية. فقد اقتضت ضرورة التحديث والتطوير العلمي للمجتمع ان تبني الدولة سياسة تعتمد على عنصر الانسان وخاصة الشباب باعتباره اهم العناصر في عملية التنمية ، وقد ادى ذلك لقيام مجلس للرعاية الاجتماعية ومجلس لرعاية الشباب ووحدات توجيهية اخرى كقصر الشباب والاطفال وبيوت الشباب، ويمكن للوحدة ان تتبادل الخبرات والرأي مع هذه الهيئات تحقيقا للمصلحة العامة. اما وزارة التربية والتعليم وهي الوزارة الام في هذه المجالات فقد سبق لها ان سلكت طريقاً لادخال الخدمات النفسية في مدارسها ومعاهدها المختلفة ولكن لم تمكنها الظروف من ادخال مثل هذه الخدمات والمدارس في الوقت الحالي . ولا زالت مستمرة تطبيقاً للتوصيات التي جاءت حول الارشاد والتوجيه النفسي في عدة مؤتمرات كمؤتمر التعليم في الدولة العصرية ــ المنعقد في مصر عام ١٩٧١ ومؤتمر الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية للطلاب العرب المنعقد في الكويت عام ١٩٧٣ . وقد اتفقت جميع التوصيات على اهمية ادخال نظام الارشاد النفسي بالمدارس الثانوية وستسعى الوحدة بالجامعة مع الوزارة لتحقيق هذا الامل، ولها اقتراحات متكاملة في هذا الاتجاه لايتسع المجال لذكرها الآن.

التنظيم العام لبرنامج التوجيه والارشاد في الجامعة :

تتنوع الأشياء والاطر للتنظيمات التوجيهية نتيجة لعوامل متعددة، منها امكانيات المؤسسة او القسم الذي ينتمي اليه (التوجيه) وعدد الطلاب الذين يتعاملون معهم والهيئات المتصلة به وامكاناتها واستعدادها بشكل يضمن استمراره وتطوره .

١ ــ توجد في بعض الجامعات الكبرى مراكز مستقلة للتوجيه تؤدي جميع الاعمال التي تتصل به يعمل بها عدد من الخبراء والمتخصصين في مختلف ميادين التوجيه كالموجهين المهنيين والاكاديميين وغالباً مايكون هذا المركز هيئة مستقلة بذاتها وقد تمتد بخدماتها الى خارج الجامعة، ولها مسؤوليات اخرى وهي تدريب وتأهيل الموجهين والمرشدين ومتابعة البحث العلمي في هذا الحقل وإجراء جميع الاختبارات المختلفة لتحليل نتائجها وهذا النظام يتناسب مع ضخامة الجامعات والمؤسسات التي ينتمي اليها والتي تضم عشرات الالاف من الطلاب .

٢ — وفي بعض الجامعات، يمارس أحد الأساتذة من ذوي الخبرة والرغبة العمل في حقل التوجيه النفسي في كليته، بعد ان ينال دبلوما في علوم التوجيه واساليبه فوق درجته الجامعية التي اهلته للتدريس في ميدان تخصصه وهو في هذه الحالة يباشر التوجيه والتدريس معا ويكمل هذا النظام مركز التوجيه ضمن ادارة خدمات الطلاب عندما يحول اليه مرشد الكلية الحالات الصعبة والتي تحتاج الى المتابعة المتخصصة والتي يتطلب علاجها نوعا خاصا من الاختبارات والمتابعات .

٣ — وقد اقتضت طبيعة الحياة الحديثة المتطورة والمعقدة في بعض البلدان قيام عيادات نفسية للطلاب غير متصلة بجامعة واحدة بل تغطي خدماتها منطقة جغرافية بها عدة جامعات او مؤسسات تعليمية ويعمل بها فريق من المتخصصين منهم اخصائي الارشاد والتوجيه اخصائي العلاج النفسي، اخصائي العلاج الجماعي، اخصائي الاختبارات النفسية، اخصائي المعوقين والاخصائي الاجتماعي وهكذا تتنوع التنظيمات التوجيهية وتختلف باختلاف البيئات التي تنشأ فيها، واهم من ذلك الفلسفة التربوية والخطة التعليمية للمؤسسة التي تحتويها وتعتبر بساطة التنظيم ووضوحه من اهم مميزات البرنامج السليم . لانه يسهل للقائمين على البرنامج اداء عملهم. كما انها تمنع اي تعارض بينه وبين غيره من التنظيمات الاخرى.

وتمتد له الفرصة لكي ينمو ويكبر وفقاً لتطور الحاجة لخدماته وانطلاقاً من هذا ستنشأ وحدة التوجيه كمركز للارشاد تابع لقسم شؤون الطلاب الذي يرأسه عميد الطلاب . هدفه توفير وتنظيم الخدمات التوجيهية التي جاء ذكرها من قبل .

١ — الموجهون :

(أ) عميد الطلاب : هو رئيس قسم شؤون الطلاب وراعي الحركة التوجيهية ورئيس اللجنة الاستشارية للتوجيه والارشاد .

(ب) لجنة التوجيه والارشاد : تتكون من هذه اللجنة الاستشارية من ذوي الرأي والخبرة والاهتمام بشؤون الاساتذة والمشرفين ومن العاملين في حقل الصحة النفسية والرعاية الاجتماعية .

(ج) مشرف وحدة التوجيه والارشاد : يقوم بجميع عمليات التوجيه الاساسية ويباشر مهمة التنسيق بين اجزاء وحدته والوحدات أو الهيئات التي جاء من قبل فيما يتعلق بجميع نواحي البرنامج .

(د) باحث اجتماعي : يساعد مشرف الوحدة في عمليات التوجيه ويضطلع بمهام البحث الاجتماعي والمسح السايكلوجي واعداد الدراسات العالية .

(هـ) الموجه الفني : ويهتم بشؤون العمل والتوظيف للخريجين وجمع المعلومات اللازمة في هذا المجال والقيام بالاتصال بالهيئات والوزارات ذات الشأن على ان ينسق هذا النشاط مع وحدة السجلات بقسم شؤون الطلاب .

(و) اخصائي الاختبارات والاحصاء : يقوم بالاختيارات السيكلوجية المختلفة ويساعد في عمليات الاحصاء التي تحتاج اليها البحوث .

ان عمليات التوجيه تحتاج الى الكثير من الاتصالات والمكاتبات والبحوث التي يجب ان تصل نتائجها واخبارها للطلاب باسرع وقت ممكن . ويتطلب ذلك وجود كاتب على درجة جيدة من التمكن في الطباعة العربية والانكليزية ويباشر بالاضافة الى ذلك اعمال المكتب وحفظ السجلات وقد تتمكن الوحدة مستقبلا من عمل (نشره دوريه) شهريـة تحمل الاراء التربوية والتوجيهية وغيرها من اخبار قسم شؤون الطلبة .

٢ ــ المعدات :

بالاضافة الى ماتحتاج اليه الوحدة كغيرها من الوحدات من أدوات الكتابة والطباعة فان عمليات التوجيه الفردي والجماعي وكذلك الندوات والمحاضرات تحتاج الى التالي ــ

١ ــ مسجل لتسجيل الندوات والمقابلات

٢ ــ مكبر صوت لندوات التوجيه الجماعي

٣ ــ دولاب جديد لحفظ السجلات

٤ ــ بطاقات لتسجيل المقابلات .

لضمان استمرارية البرنامج التوجيهي وبقائه في وجه التغيرات لابد ان تلازمه عملية بحث مستمرة ترمي لدراسة خدماته او اظهار مدى اهميتها ومدى اشباعها للحاجة المرتبطة بها وبالتالي تحدد الايجابيات وتظهر السلبيات والمعوقات.

كما انه في نفس الوقت لابد من خطة للتخطيط المستقبلي والتوسيع والتحسن يكون اساسها اختيار العنصر البشري المتدرب ونحن حين نتطرق الى التدريب فاننا نعني تدريبا متخصصاً يأتي في اطار الخطة العامة الموضوعة لتدريب المشرفين في قسم شؤون الطلاب

فان كل مايتعلق بشؤون الطلاب قد اصبح اليوم علما وفنا قائما بذاته له فروع متعددة ينهل منه الطلاب فيحصلون على درجات الماجستير والدكتوراه في هذا المجال وفقاً لدراسة متجانسة تأخذ من علوم التربية وعلم النفس والاقتصاد والاجتماع.

اما التخصص في ميدان التوجيه والارشاد فهو تخصص في التوجيه التربوي او علم النفسي التوجيهي او التوجيه المهني وفقا للتركيز المطلوب والتماسا للحاجة المحددة. وقد اوصت الجمعية الامريكية لعلم النفس للدراسة الاتية للاخصائيين في التوجيه والارشاد النفسي مع درجة تعمق وهي: دراسة سيكلوجية النمو الشخصية، والصحة النفسية ودراسة المنحرفين والمقاييس السيكلوجية والاحصاء، التقييم الاكلينيكي للفرد وعمليات الاستشارة النفسية واساوبها والتدريب الميداني والعلمي.

كما اننا في نفس الوقت لايمكن ان نجّهل الخصائص الشخصية والاتجاهات المهنية التي يجب ان يتحلى بها الموجه كالميل الحقيقي لحل مشكلات الشباب والفهم المشوب بالعطف والثبات الانفعالي والقدرة على التعامل مع الناس وجذب ودهم وفهم سلوكهم لاالحكم عليه، والاحترام السليم للفرد، والتحرر من التحزب والتعصب مع التمكن من الاحتفاظ بالموضوعية في العلاقات الانسانية وسلامة الحكم والتقدير.

وربما يكون من المناسب ان نذكر في هذا الصدد ذلك المؤتمر الذي عقدته جامعة الدول العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالكويت ١٣ مارس ١٩٧٣ لدراسة الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية للطلاب العرب وان نقتطف منه التوصيات التالية حول الارشاد والتوجيه :

توصية رقم (١ — ٢ — ٣)

انشاء مراكز التوجيه والارشاد النفسي لتقديم الخدمات النفسية للطلاب وفقاً للمواصفات العالمية.

(توصية رقم ٢ — ٢٢)

استخدام الادوات والاختبارات النفسية المقننة لدراسة المشكلات الخاصة بالطلبة. امـــا فيما يتعلق بالتدريب فقد أقترح المؤتمر مايلي ونورده بالنص :

ونظرا للنقص الشديد في عدد الاخصائيين في مختلف ميادين الخدمة النفسية فاننا نقترح:

١ ـــ ايفاد البعثات الدراسية للخارج للتخصص في طرق العلاج المختلفة وخاصة الارشاد والتوجيه والعلاج الجماعي .

٢ ـــ انشاء دبلومات للتخصص في العلاج النفسي باقسام علم النفس بكليات الاداب ودبلوم في العلاج السلوكي وفي العلاج النفسي وفي العلاج الجماعي الخ ، ويمكن استدعاء الخبراء من الخارج لاستكمال النقص بهيئات التدريس في هذه الاقسام وتستمر الدراسة سنتين بعد التخرج في أقسام علم النفس بكليات الاداب .

٣ ـــ انشاء دبلومات للتخصص في التوجيه والارشاد وفي التعليم العلاجي بكليات التربية يلتحق بها الحاصلون على الدبلوم العام وتستمر الدراسة سنتين :

٤ ـــ انشاء دبلوم للتخصص في الخدمة الاجتماعية النفسية يلتحق بها الحاصلون على بكالوريوس الخدمة الاجتماعية وتستمر الدراسة لمدة عام .

ان مدرس الغد لن يتحمس لتطبيق نظام النفس مثلا مالم يكن قد تمرس عليه من قبل في حياته في المعهد، وما لم يكن قد الفه وتذوق ثماره وادرك بطريقة مباشرة أثره في شخصيته .

رسالة التوجيه والارشاد بالجامعة ـــ

وفي ختام هذا البحث نود ان نقول ان التوجيه النفسي ليس عملية تربوية مستمرة ، فحسب ولكنه فوق كل ذلك موقف فلسفي يمثل وجهة نظر في الوجود ، واتجاها نحو الانسان ونظرية في المعرفة والمثل فهو يهدف كما أسلفنا الى مساعدة رجال الغد ونسائه ليتمكنوا من مواجهة مشكلات المستقبل وليشقوا لانفسهم طريقاً في عالم متغير متبدل لايمكن ان يستقر على حال فالتقدم الصناعي في بلادنا اخذ في الازدياد والتغير الاجتماعي والاقتصادي قد وصلت اثاره الريف . حيث تغيرت اساليب الزراعة وعلاقات الانتاج واتسعت فرص التعليم وتبدلت القيم والمثل وحتى العلاقات بين الاشقاء والاهل والاصدقاء وكل هذه التحولات سيكون لها أثرها الايجابي أو السلبي على بعض الافراد .

إن من البديهي أن يكون القلق هو الطابع المميز للحياة الجديدة خاصة في أوساط الشباب محدثاً التغيير والمتأثر به لهذه الاسباب لابد أن يكون للتوجيه وقع في المجتمع العراقي يهتم بالجماعة والفرد . يعترف بانسانية الفرد التي يجب أن تحترم وقيمته التي يجب ان تقدر وكرامته التي يجب ان تصان ويشجع ايجابياته المشرقة ويقبل سلبياته المظلمة يفهم ضعفه وايمانه ورفضه ويعيش معه لحظات تجليه وتعسه وشقائه وثورة نفسه .

ومسئولية رعاية الشباب تقع على عاتق الدولة والاباء والمربين ولكن الموجه يتقبلها عملاً وحياة ويعيشها رسالة ومبدأ وهو حين يعطي هذا الاحترام للفرد، ايماناً منه بطاقاتيه الانسانية الهائلة ومقدرته في اصلاح نفسه وتقويم سلوكه، فانه يضع الفرد ايضاً امام مسئوليته القومية تجاه مجتمعه ووطنه ككل يبصره بكل مافي المجتمع من قيم ومثل وتراث يقتضي التعامل في اطارها أو في خارجه. وبالمعرفة التامة بها وبنتائج هذا التعامل سلبية كانت أم إيجابية. وللتوجيه بمعناه الشامل في الجامعة رسالة محددة يقاس نجاحه أو فشله فيها بنوعية الخريج الذي ندفع به كل عام إلى معترك الحياة والعمل املين في أن يكون هذا الخريج المزود بالمعرفة المهنية والتقنية. انساناً مثقفاً ومتكاملاً، قادراً على ضبط نفسه والسيطرة عليها وتنظيمها في غير تزمت مدركاً لمقدرته محترماً لها في غير غرور، شاعراً بالطمأنينة والرضاء دون خمول أوركود طموحاً في غير اندفاع حذاراً في غير تردد، مستقلاً غير منعزل، اجتماعياً دون أن يفقد شخصيته ضعف، متخذاً من العلم سلاحاً وأسلوباً في الحياة لتحسين حياته وخدمة مجتمعه وامته.

ولن تقف رسالة التوجيه في حدود الجامعة، بل اننا نأمل أن ننادي بأعلى صوتنا لتجد مثل هذه الاتجاهات التربوية المستحدثة مكاناً لها في جميع مؤسساتنا التعليميـة، فنحن نعيش في عهد التثوير والتحسين، والتجديد، والمسح التربوي الشامل ولتكن البداية في الجامعة .فان الجامعة تبقى دائماً مكاناً للبدع، ومهداً للحركة وحقلاً للابتكار.. ونتمنى أن يجد فيها التوجيه والارشاد التربوي والنفسي مكانه اللائق ليؤدي دوره في خدمة الطلاب جميعاً دون تمييز، بهدف مساعدتهم في البقاء والاستمرار والاستفادة القصوى من العلم والتحصيل فنحن في اقبالنا على عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية نحتاج اليهم جميعاً ونحرص عليهم كفئة نادرة واستثمار غالي ندخره لمستقبل الايام.

مكتبتنا العربية

١ ـ احمد حسن احمد وأمين علي نديم
«الطب النفسي» مكتبة عالم الكتب ، احمد حامد حسن ، مطبعة نهضة مصر ، الصحابة القاهرة ١٩٧٧ .

٢ ـ دوليب ، تاج السر
« الخدمات الاجتماعية والنفسية للطلاب في الجامعة الخرطوم » حلقة دراسة الخدمات الصحية والنفسية للطلاب العرب ـ جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، الكويت ١٩٧٣ م .

٣ ـ مراد ، يوسف
«مبادىء علم النفس العام» دار المعارف ١٩٥٧ م .

٤ ـ الماحي ، التجاني
«العلاقات الانسانية واثرها في تربية المواطن العربي» هيئة الصحة العالمية والبحر الابيض المتوسط ، الاسكندرية ١٩٦٦ م .

٥ ـ النصري ، علي
«فرص الدراسة والعمل لطلاب المدارس الثانوية » بيروت ١٩٦٨ م .

٦ ـ عطيا ، هنا
«التوجيه التربوي والمهني» مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠ م .

٧ ـ السماني عبد الله يعقوب وعزيز حنا
«اتجاهات وميول الطلاب بجامعة الخرطوم» دار التأليف والنشر العام ١٩٧٣م .

٨ ـ فهمي مصطفى
«الصحة النفسية في الاسرة والمدرسة والمجتمع» دار الثقافة ، القاهرة ١٩٦٧ م .

٩ ـ القوصي ، عبد العزيز
«اسس الصحة النفسية» مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ م .

١٠ ـ توصيات
«حلقة دراسة الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية للطلاب» الكويت ١٩٧٣م

العلاقة الجدلية بين الماضي والنهوض الحضاري العربي

الدكتور غانم محمد الحفو
كلية التربية – جامعة الموصل

«... نحن لا ننسخ الماضي، ولا نستنسخ عن الماضي، وانما نستلهم روحه بصيغة جديدة من التطور...»

السيد الرئيس القائد صدام حسين

مقدمة :

تكتسب دراسة الماضي وعلاقته الجدلية بالحاضر والمستقبل اهمية كبرى في ضوء واقعنا العربي الراهن . كما ان النهوض الحضاري يستتبع فهم العلاقة العضوية بين هذه المعادلة الزمنية ، اي التواصل والديمومة للزمن . فالتاريخ بكل ابعاده والحضارة بكل الوانها ، لايمكنهما ان يدورا في حلقة مفرغة أو خارج اطار الزمن الذي هو في حالة صيرورة ، معبراً عنها بالتفاعل الجدلي العلمي التاريخي : للذات والموضوع ، الانسان والواقع والطبيعة . فلكل مرحلة تاريخية طابعها وابداعها المميز . ولكن المراحل التاريخية جميعها لاتنفصل بدورها عن مسار التواصل الحضاري . وفي مجرى المعرفة الانسانية والقومية ، تأخذ الشخصية الحضارية الاستقلالية والمميزة ، اعتبارها بهدف التأكيد على هويتها وتبقى

هي على الدوام الاكثر اهمية في النضال البشري . وعلى هذا الاساس وعلى نحو خاص ، طمحت ايديولوجية الثورة العربية بالفكر والممارسة الى (خلق انسان يقود المجتمع ويخلق المبادرة التي تغني الثورة وتعزز مسيرتها) (١) . على كافة مستويات الحياة .

ان موضوع ادراك العلاقة الجدلية بين الماضي والنهوض الحضاري العربي ، لازالت في تقديرنا قيد البناء الابداعي من اجل ان تستكمل صورتها الاكثر وضوحا وتطورا. وبهدف ارساء اسس صحيحة للشخصية العربية الحضارية المتميزة ، تستوعب بشكل متوازن ، التواصل الزمني في الحياة ، وضمن خط مركزي واضح في المعرفة العربية ، بغض النظر عن الاستثناءات المرحلية في الواقع العربي ، مع بقاء حافز الابداع والتميز مفتوحا امام الذات العربية ليصب عطائها اخيرا في مجرى الخط المركزي للهوية الحضارية العربيـة . لكي يعطيها الاصالة من جهة . ولكي لايحدث انفصام بين هذه الذات وواقعها من جهة اخرى .

ورغم ان التطرق الى هذا الموضوع لايزال خاضعاً للاجتهاد الموجه ثم النقد والتحليل والشمول . غير ان المبادرات المفتوحة لوضع منهج حضاري محدد لاستيعاب جدل الماضي والحاضر تبقى هي الصيغة المسؤولة (كاسلوب يطبق على مادة اي موضوع للكشف عن الحقيقة بشقيها الذاتي والموضوعي) (٢) . وما مبادرتنا بهذا المجال الا مساهمة متواضعة لاستشفاف ملامح واقع امتنا العربية التي تعيش فترة مخاض صعبة بهدف بعث حضارتها مستفيدة من واقع تواصلها الزمني واستيعابها لمنطق وجدل العصر الراهن . وكأمة (مهيأة للعمل التاريخي ... ولها تصور تاريخي للعمل ممتد الى الماضي ويمتد الى المستقبل) (٣) . ومستهدفة وحدتها القومية المشروعة وبنائها الاشتراكي الديمقراطي وبصيغة متفاعلة مع التجربة الانسانية الحضارية .

---

(١) صدام حسين : الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة . دار الحرية للطباعة (بغداد ١٩٧٩) ص ١٤ .

(٢) لويس جوتشلك : كيف نفهم التاريخ . مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي . ترجمة د. عائدة سليمان عارف د. احمد مصطفى ابو حاكمة . دار الكاتب العربي . (بيروت ، ١٩٦٦) ص ٤٣ .

(٣) ميشيل عفلق : نقطة البداية . أحاديث بعد الخامس من حزيران ، ط ٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، ١٩٧١) ص ص ٤٦، ٧٤ .

الماضي كاصطلاح للزمن:

تعطي كلمة (الماضي) دلالة زمنية مجردة ومطلقة . وهي بهذا المعنى المجرد ستدفع بشكل محتمل الى الغموض او الالتباس او التحيز الى حد ما . واذا اخذت بدلالتها العلمية المتصلة بالواقع فستعطي بلا شك معنى الاستدلال على منهج محدد وفق النظرة المعطاة لهذا الماضي . ومما يجدد ذكره هنا ، ان استدلالات الماضي تعطي في احيان اخرى شكل التعبير عن (كلمات مجردة) وذات مضامين مطلقة كذلك: كالتاريخ ،التراث ،الدين ،الحضارة الخ . كما ان استخدام كلمة (الماضي) تأخذ شكل العفوية او القصدية من قبل بعض الباحثين والمفكرين من اجل استقطاب احد هذه المضامين على حساب مضمون آخر . او يطغي احدهما ليشمل هذه المضامين بأجمعها.ومن جانب آخر،قد تكون هذه المضامين مدعاة لاجتهادات عقائدية وفلسفية ومنهجية فتأخذ معنى (الشمولية).ومع هذا فأن الماضي كأصلاح للزمن ، يشكل بتقديرنا : تقسيما متصورا ونسبيا للاستدلال على درجة التقدم الانساني حسب المرحلة التاريخية ووفق الافتراض القائم على (الزمان المطلق).وعلى اعتبار (ان الماضي لايعني مرحلة واحدة) (١) . حسب التطور الشمولي للحياة . ولذا فان استخدامنا لكلمة الماضي هنا ، ستتخذ طابع الاطار الزمني النسبي المتعارف عليه فكريا وعلميا وتاريخيا بالتقسيمات الزمنية للدراسات الانسانية .

الماضي كدلالة تاريخية:

مما لاشك فيه ، يعتبر التاريخ (التجربة المدونة للجنس البشري) والانسان باستطاعته الاستفادة من هذه التجربة في اي ميدان من ميادين المعرفة)(٢). وعلى هذا الاساس يعطي التاريخ دلالته الواضحة (كمستودع للخبرة البشرية) . وهناك من أعطاه — اي التاريخ — طابعا ذو نظرة فلسفية مجردة تدل على الحكمة واعتبر (التاريخ سيد الحياة) . ومن جهة اخرى . ان وعي جوهر التاريخ يقلل احتمالات الوقوع في (الخديعة والخطأ) (٣) . ومن

---

(١) د. الياس فرح : في القومية والتربية والثورة ، ط ٤ ، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت ، ١٩٧٧) ص ٥٩ .

(٢) لريس جوتشلك : المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

(٣) آرنست كاسيرر : في المعرفة التاريخية . ترجمة احمد حمدي محمود . دار النهضة العربية . مطبعة دار التأليف (القاهرة ، لا .ت) ص ٨٨ .

المرجع كذلك ان اعادة بناء الماضي البشري (بصيغة متكاملة) يبقى هو الاحتمال الأصعب في هدف المؤرخين (١) . ووفق النظرة العلمية الموضوعية لتراكم الماضي التاريخي (ان الحقائق المكتوبة ليست هي كل الحقائق النهائية حتى وان اتفق عليها جميع المؤرخين والمحللين) (٢) . ولذا تبقى تأثيرات الحاضر في فهم الماضي لها اهميتها الملحة والواسعة لاستيعاب الصيرورة التاريخية . ويستتبع ذلك الاخذ بمنهج محدد لغرض الاحاطة الصحيحة بهذه الصيرورة التي لايمكن بشكل من الاشكال ان تخرج عن نطاق العلاقة العضوية بين الفعل والعقل الانساني . وعلى ضوء هذا ، يلاحظ (كولنجوود) : (ان التجربة التاريخية الصادقة لتاريخ البشرية ، ترى اكل شيء في هذا التاريخ مايبرر كيانه ، وانه جاء الى الوجود ليخدم أغراض الناس الذين تمخضت جهودهم الجماعية عن خلقه . والتفكير في أية مرحلة من مراحل التاريخ على انها لاتمت الى العقل بصلة ، معناه انك لم تنظر الى هذه المرحلة نظرة مؤرخ ..) (٣) . ويجدر بنا ان نشير هنا ، على سبيل المثال لا الحصر . ان (التجربة الاوربية) في هذا الموضوع منذ عصر النهضة الى مطلع القرن العشرين قد افرزت نمواً مطرداً في معالجة (النزعة التاريخية) . كالنمو الحاصل في الجانب القومي والمذهب النفعي والوضعي والمذاهب الفلسفية بفروعها ومدارسها ، لاسيما بشقيها المادي والمثالي . وانها بأجمعها اتخذت التراث الاوربي كمرتكز لها . كما ساد الاعتقاد لدى عدد من المؤرخين والمفكرين مثل : هردر ، فيكو ، ميشلية : (ان هناك في كل امة صفات ساعدت على صنع مصيرها) . كما اجهد هؤلاء المؤرخين انفسهم لاعطاء التاريخ المكان الاساسي فيما يخص تفسير السلوك الانساني وكذلك تقرير مصيره ، بالاضافة الى ان تطور الفكر التاريخي لديهم والمبني على ضوء المعطيات العلمية والاقتصادية والسياسية للواقع الاوربي — قد اوجدت بما يعرف (بفلسفة التاريخ) لغرض اعطاء التاريخ تفسيرا شموليا وبمناهج تفصيلية متعددة ومختلفة بالمنهج والفكر والاسلوب والغاية . الى حد ان بعضها قد اتخذت احكامه صفة الاطلاق والافكار المسبقة وبما يشبه (المرتافيزيقيا) (٤)

---

(١) لويس جوتشلك : المصدر نفسه ، ص ص ٤٣ ، ٥٦ .

(٢) صدام حسين : حول كتابة التاريخ . منشورات دار الثورة . دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٧٨) ص ١٢.

(٣) ر . ج . كولنجوود : فكرة التاريخ ، ط ٢ ، ترجمة محمد بكير خليل ومحمد عبدالواحد خلاف مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ، ١٩٦٨) ص ١٥٠.

(٤) لويس جوتشلك : المصدر نفسه ، ص ص ٢٤٧ — ٢٤٩ .

ومهما يكن فان التصور الاوربي للماضي التاريخي قد اصبح وكأنه ليس له وجود خارج نطاق العقل البشري بشكل عام (١) . وبهذا الصدد ، يشير (كاسيرر) بقوله :

«ان النزعة التأريخية لم تعد ترى الوجود في الغيبيات او الفكرة المطلقة ، بل انهـا ارادت ان تتشبث بهذا الوجود فقط في العقل الانساني وفي الانسانية جمعاء وان هذه ــ المسألة الكبرى ــ لم تكن نتيجة مساهمة فلسفة التاريخ لوحدها وانما جاءت لمشاركة علم التأريخ فيها مشاركة واضحة . وحتى العلم التأريخي نفسه قد اتخذ اتجاهات مختلفة . وهي وان كانت ذات اختلاف ظاهري الا انها سعت بأجمعها وراء نفس الغاية . وهي وان لم تستطع ان تقدم حلا موحداً للمشكلة فانها كلها قامت بمهمة مشتركة » (٢) . ومع هذا ، فان المذهب الفلسفي المادي الجدلي الاوربي قد تحول الى مايشبه «المذهبية الجامدة» أو «الدين الجديد» . وذلك بتحوله الى الكونية ، وقفزة للشروط الموضوعية التأريخية للمسألة القومية . وهو وان راهن على تحرير الانسان من اغلال التاريخ الثقيلة . الا انه كبل معصمية كذلك باقفال جديدة .

واذا اخذنا بنظر الاعتبار المنطلق الفكري لايديولوجية الثورة العربية المعاصرة للتأريخ فأننا نلاحظ ، بأنها رغم تفاعلها مع الفكر العالمي ، الا انها حافظت على استقلاليتهـا المتميزة في استيعابها للواقع الموضوعي العربي . وعلى اساس هذه النظرة ، تجنبت النظرة الفلسفية المطلقة . والاستسلامية العلمية ، والافكار الماورائية والصيغ النهائية الكاملة . وتبنت منطلقاً فكرياً يعتمد التحليل العلمي الجدلي التاريخي الثوري ، سواء في نظرتها ومعالجتها للماضي او الحاضر او استشراف المستقبل (٣) .

ولذا فان المنطلق النظري البعثي للتاريخ وحركته ، يسعى لفهم الحياة بشموليتها وجدلها العلمي التأريخي ، ويكونه «ذا نمط حي ... ومتفاعل مع حركة الحياة وقوانينها » (٤) . واذا كان الاتجاه التأريخي في ذاته لايؤمن بالمطلقات ، لكونه يأخذ بنسبية المعرفة (٥)

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

(٢) آرنست كاسيرر : المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

(٣) للتفاصيل . أنظر : د. الياس فرح : حول ايديولوجية الثورة العربية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، ١٩٧٦) ص ص ٢١ ــ ٣٠ .

(٤) صدام حسين : الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة . ص ١١ .

(٥) د. قباري محمد اسماعيل : الفلسفة في ضوء علم الاجتماع . دار الكاتب العربي . للطباعة والنشر (القاهرة ، ١٩٦٩) ص ٥٥ .

فالبعث لم يضع نهايات مغلقة لهدف التأريخ . وانما اعطى له ديمومة متجددة وحية . وبهذا تمكن ان يغتني بالتفاعل مع التراث العالمي الفكري والثوري ، ومع اشراقات الماضي العربي ومعطياته في الحاضر الموضوعي ، دون ان يفقد خصوصيته واستقلاليته القومية الانسانية ، ودون ان يخسر واقعنا العربي .

كما انه – اي البعث – لم يدخل في مهمته القومية الانسانية «ان يأتي بنظرية كونية عالمية تستوعب تفسير التأريخ الانساني ، وتحدد مستقبل البشرية» (١) . ولم ينتهج منهجاً فلسفياً مجرداً ، وانما اكد منذ البداية عن حقيقتين اساسيتين :

«قومية الاشتراكية وانسانية القومية» . منطلقاً «من الواقع الحي الذي كان يعني الأنطلاق من الحرية » (٢) . كما ان الصيغة الديناميكية التي سعى اليها دوماً «ان يحقق فكرته ضمن الواقع وان لايستغرق في الواقع وان لايضيع في الخيال والوهم » (٣) . معتبراً الفعل الثوري والانقلاب على الذات والموضوع والممارسة النضالية أثمن من كل النظريات والبرامج والانظمة» (٤)

لقد جاءت عقيدة البعث «كرسالة » و «حركة تاريخية» (٥) . بنظرية للنضال وللعمل وللحياة وللتصور القومي والموضوع الانساني . فتبنت النظرية العلمية الجدلية التأريخية الثورية فكانت نظرة شمولية لديمومة الحياة وليست نظرة احادية لهذه الحياة . كتواضع وتأكيد «للشخصية البعثية المتميزة» ولتجنب الوقوع «في الاممية السائبة .. وصيغها غير المجدية» . وذلك بتأكيدها رغم نظريتها المتميزة للحياة على ان «الحصيلة النهائية لتفاعل نظريات كل الامم هو النظرية الصالحة والقانون الذي يصلح لكل الامم في أساسياته العامة (٦) كما اكدت هذه العقيدة على صواب نظريتها القومية الانسانية بتأكيدها على بقاء «روح المبادرة والاجتهاد» (٧) . تأخذ صيغ التفاعل الحي ، لتأخذ عملية التطور مسارها الصحيح ولغرض فسح المجال لابواب الابداع ان تبقى مفتوحة في عمق الحياة ليس الا .

وانسجاماً مع هذه العقيدة ، في نظرتها الصائبة لروح العصر الراهن وفي نظرتها للماضي كبعد تأريخي . وعلى مستوى الاغراض التربوية .هناك عدة مسائل يمكن اجمالها بما يلي:

(١) ميشيل عفلق ، البعث وتحديات المستقبل . دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٧٧) ص٦

(٢) المصدر نفسه ، ص ص ٧ – ٨ .

(٣) ميشيل عفلق : نقطة البداية ، ص ١١١.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ص ٤٦ – ٤٨ .

(٦) صـدام حسين : حول كتابة التاريخ ، ص ص ١٠ – ١١ ، ١٤ – ١٥ .

(٧) المصدر نفسه ، ص‌ص ١٥ – ١٦ .

اولاً ــ الحدث التاريخي ومعايير الحاضر :

للاحداث التأريخية واقعها الاجتماعي المرتبط بزمان ومكان معينين والمفترض عدم «محاكمة» الحدث التأريخي الماضي بمعيار الحاضر . كما ان هذه الاحداث «يجب ان تجري بظروفها وباطار حركة المجتمع انذاك ... وانسان الماضي غير انسان الحاضر» (١) ومما يميز «الزمن التأريخي هو التنوع والتغير والديمومة وانطلاقاً من ذلك ، فلابد للمؤرخ ان يكون لدية «حاسة تأريخية» وعقلا تأريخياً ، كي يدرك هذه المعادلة ، ومن ثم يتجنب النظر الى الماضي باعتباره صورة «فوتوغرافية» مكررة او مماثلة للحاضر . كما ليس من شأن المؤرخ ان ينظر الى الماضي من خلال معايير الحاضر ، لان الانسانية ليست شكلا ولا طابعاً ولا نمطاً واحداً ، ومن ثم ينبغي التعبير عن كل عصر بتعبيرات خاصة به (٢) ومن هنا كانت النظرة البعثية للماضي التأريخي «كضرورة علمية لتحديد المنهج التأريخي بضوء التصور العلمي والثوري الذي يستقريء الاحداث ويفهمها ، ويحاول عرضها انطلاقاً من التصور الثوري المطلوب» . بحيث يجيء التفسير «جريئاً» من دون تجني على التأريخ وبلا افتعال او اختراع لحوادث التأريخ (٣) .

ثانياً ــ الموازنة الزمنية بين الاصالة والمعاصرة :

لكل امة تأريخها الخاص بها . الذي تعتز به كمكمل لشخصيتها وارضيتها التأريخية كما ان «الامة التي ليس لها تأريخ لاتقدر ان تحفز ابناءها على مستقبل افضل» (٤) . وتأريخنا العربي يسري عليه هذا التصور . واستلهامنا لروحية النقاط المشرقة لهذا التأريخ لاتعني الانغلاق على هذا التأريخ وترديد لصيغة آلياً . وانما لغرض «ان نؤكد معنى الاصالة ومعنى ان يكون لبنيتنا الجديدة جذور تمتد عبر التأريخ ، وفي هذا لانريد ان نعود الى التأريخ وانما نحرك التأريخ الينا ..» (٥) .

---

(١) صدام حسين : الثورة والتربية الوطنية ، ط ١٠ ، مطبعة وزارة التربية (بغداد ، ١٩٧٧) ص ٣٣ – ٣٤ .

(٢) د. احمد محمود صبحي : في فلسفة التاريخ . مؤسسة الثقافة الجامعية (القاهرة ، ١٩٧٥) ص ٢٨ ، ٣٠ .

(٣) صدام حسين : حول كتابة التاريخ ، ص ٧ ، ٢٨ .

(٤) صدام حسين : الثورة والتربية الوطنية ، ص ١٥٦ .

(٥) صدام حسين : المفهوم البعثي للقانون والعدالة, دار الحرية للطباعة . (بغداد ، ١٩٧٩) ص ١٨ .

ولذا فتحريك التأريخ وشده الى الحاضر ، يعني الموازنة الزمنية التي لاتقطع الصلة بتأريخ الامة . كما يمثل مرتكز جوهري لابداع الحاضر الذي يشكل بدوره ضمانة اصيلة ومتطورة لاستشراف المستقبل وتقبله بثقة عالية هادئة ومتوازنة وغير مشوهة ولذا فان هذه الموازنة «لاتقتل التأريخ وتجعلنا بلا تأريخ مقطوعي الجذور ولاتقتل مستلزمات الحاضر لضمان التطور وصولا الى جوهر النظرة الانسانية التي جاء بها الاجداد والتي جاءت قيم السماء على التعاقب» (١) وعلى هذا الاساس جاءت النظرة الى الماضي نظرة فاعلة ايجابية وليست مستسلمة له بنفس الوقت (٢) . وليست اغفالا او اهمالا كلياً للماضي ولا معوقة لابداعات الحاضر ، انما نظرة تعزز الحاضر وكأساس لتماسكه «ولذا فاننا عندما نسقط الحساب من امور الماضي يجب ان لانغفل دروس الماضي كمرتكز في المؤشر والحسابات لخطة الحاضر والنظرة الى المستقبل» (٣) ومن هذا المنطلق تصبح الموازنة الزمنية بمثابة ضمان لموازنة الذات العربية المعاصرة التي تتجسد ضمن واقع موضوعي مرتبط بمعادلة زمانية ومكانية متميزة عن الماضي

ثالثا — النظرة الى الماضي نضالية وليست اتكالية:

ان الاتكالية كنظارة جامدة توقف عجلة الابداع وتحول دونه ودون التجدد واذا جاز التعبير ، العيش في الظل او على ابداع الاخرين ضمن مرحلة تاريخية محددة . اما النظرة النضالية فتستند تراكم ابداعات جديدة اي الديمومة لمعنى الثورة ، ودفعاً للتطور وبصيغ جديدة متميزة وضمن الزمن المعاشي . وهذا يستبعد جعل الماضي «متكأ للاعتماد عليه بل نجعل من الماضي النضالي محفزاً لخاصية العطاء المتجددة وان تكون هذه الخاصية متجانسة وفعالة لاغراض التطور مع المرحلة الراهنة وبصيغ متقدمة ... لان الاتكاء على الماضي يحوله إلى عبء بدلا من ان يجعله تراثاً مشرقاً ومحفزاً مركزياً ...» (٤) ، يتخذلون

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٩ .

(٢) التقرير السياسي . أقره المؤتمر القومي العاشر الذي انعقد في بغداد من (١ — ١٠) آذار ١٩٧٠) . دار الحرية للطباعة . مطبعة الحكومة (بغداد ، ١٩٧٢) ص ١٧ .

(٣) صدام حسين : امتنا والتحدي الجديد . دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٧٨) ص ٢٠

(٤) صدام حسين : الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة ، ص ص ٥ — ٦ .

الديمومة وبلغة ونكهة عصرية ، بحيث لا يكون «تاريخنا سيداً لنا» ونحن نعيش على هامشه وانما يصبح «نقطة انطلاق لنا» وتصبح صناعة الحاضر والمستقبل من حصتنا بشكل ابداعي ومتقدم (١) .

رابعاً — التاريخ مراحل متواصلة وحركة حتمية دائبة:

ان تاريخنا العربي عبر امتداده الزمني . لم يتدرج ضمن مرحلة مغلقة واحدة . وقراءته وكتابته واكتشاف قوانينه لا يحددها العامل الروحي فقط ولا العامل المادي لوحده كذلك. وانما جملة عوامل متفاعلة «تشكل كل خطوة من خطواتها تاريخا .... كما ان تاريخ الأمة العربية يمتد إلى عصور سحيقة في القدم» (٢) . وما الاسلام — على سبيل المثال لا الحصر — الا مرحلة متقدمة من مراحل الماضي . وان البعث يستلهم بنفس الوقت من هذا الماضي الدائم في الزمن «دروس الامة العميقة والعادلة وفي المقدمة منها الاسلام»(٣) . اي ان الحضور والاتصال بماضي الامة قائم ولكن بصيغ الاستلهام لقيمه وتحويل الماضي إلى حاضر حي ويتصل بصورة المستقبل وتحقيق امكاناته (٤) . وعلى هذا الاساس يشكل التاريخ العربي مراحلا تاريخية متواصلة . بحيث يكون لكل مرحلة ابداعها وانعطافها وعطاؤها فالديمومة التاريخية هنا تشكل نقلة نوعية وابداعية متقدمة على مرحلتها التي سبقتها . كما ان كل مرحلة تاريخية هي رد فعل لمرحلة اخرى واوضاع معينة تجاوزت حاجة المجتمع المتطور اليها . فالتاريخ يشكل حركة دائمة والمجتمع الانساني نفسه يسير في اطار التطور غير الثابت . ولكن المرحلة التاريخية الجديدة تتجاوز في عملية نموها الاوضاع التي ولدتها ، لتصبح وضعاً جديداً له خصائصه الذاتية . فالوعي التاريخي العربي قوة فاعلة لا للتفرج على أحداثه وانما كمحصلة قوى دافعة إلى الامام ضد قوى تشد الحاضر إلى الوراء (٥) . ولذا فإن النظرة البعثية للماضي التاريخي العربي في مراحله

(١) د. الياس فرح : الفكر العربي الثوري امام تحديات المرحلة . المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت — لبنان ، لا . ت ,) ص ٢٥٠ .

(٢) صدام حسين : حول كتابة التاريخ ، ص‌ص ١٦، ٢٣ — ٢٤ ، ٣٠ — ٣١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

(٤) المؤامرة والرد التاريخي . (نص كلمة القائد المؤسس الرفيق الامين العام في الذكرى (٣٢) لتأسيس الحزب) ط١ ، دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٧٩) ص ٣ .

(٥) سلسلة «وحدة حرية اشتراكية» . الف باء البعث . دار الطليعة للطباعة والنشر (بير لا.ت) ص‌ص ١ — ٥ .

التاريخية ، ومنها المرحلة الراهنة تنطلق من الحركة الدائبة للتاريخ وليس الانغلاق على مرحلة واحدة محددة .

التواصل الزمني كدلالة حضارية:

ان النظرة الفاحصة والبديهية لواقعنا العربي الراهن ، تحتم على الجيل العربي الذي يعي هذا الواقع كشرط ضروري ، ادراك وتصور نقطة مركزية اساسية ومسؤولية عظيمة هي : «مسؤولية بناء الحضارة العربية الجديدة» (١) . كمنطلق لوعي الزمن كحركة تغيرية وتقدمية لها اثرها على سائر انماط البناء الحضاري الجديد (٢) . وكربط عضوي بين وعي الماضي والحاضر بصيغ ابداعية متقدمة جديدة . واذا كانت الحضارة بمفهومها الشمولي المجرد تعني «العطاء الكلي لانجاز المجتمع المعنوي والمادي» (٣) . فإنها تعني كذلك وبشكل محدد ان لكل حضارة شخصيتها وقيمها (٤) . واذا كانت الامة العربية هي المشار اليها هنا ، فلأنها «صاحبة الحضارات المعروفة وصاحبة العطاء المعروف للانسانية على مر الاجيال والتاريخ» (٥) . كما ان هناك مسألة اساسية اخرى يجب تقديرها وتصورها. ان هذه الامة بقت محافظة على قوة اشعاعها الحضاري رغم التحديات والنكبات التي ألمت بها . فقد مرت عليها في التاريخ «فترات مظلمة دامت عشرات ومئات السنين ولكن هذه الامة ما استسلمت» (٦) . ان معادلة التواصل الزمني المعني بوعي هذه الحضارة كماضي نعتز به وكحاضر تدعو إلى بعثه وبنائه من جديد ، قد استوعبها البعث كمعادلة حضارية ذات منظور ثوري شامل وجدلي يعتمد على اسس جوهرية هي :

١ — التواصل الحي «بضمير الامة العربية» ، كمنهل يستمد من هذه الامة الامها واهدافها وحقها الواضح وتراثها «القوة على النهوض والتجدد والصمود» (٧) .

---

(١) صدام حسين : الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة ، ص ١٦ .

(٢) د. قباري محمد اسماعيل ، المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

(٣) د. الياس فرح : في الثقافة والحضارة . دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٧٩) ص ٥٦.

(٤) د. احمد محمود صبحي ، المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

(٥) صدام حسين : نضالنا من اجل العرب والانسانية . ط ١ ، دار الحرية للطباعة بغداد. ١٩٨٠) ، ص ١٦ .

(٦) من حديث للاستاذ ميشيل عفلق مع السيد ياسر عرفات في بغداد .
انظر : جريدة الثورة (بغداد) ، العدد (٤٦٢٦) ، ١٦ كانون الثاني /١٩٨٣ .

(٧) ميشيل عفلق : نقطة البداية ، ص ٧٨ .

٢ ــ «تحقيق الشروط الوطنية والقومية والانسانية» كمنطلق حضاري تصوري وعملي للامة العربية ، ولاجل ان تكون هذه الحضارة الجديدة «بما يليق بدور العرب حاضراً ، وبما يضمن التواصل الصحيح بين ماضيهم المجيد وبين دورهم حاليا ، والمستقبل الذي ينتظرهم ويسعون اليه» (١) .

٣ ــ الصلة التاريخية الحية (بالتواصل الزمني الحضاري) ضمن اطار التطور العالمي العام ، لكي يكون اكتشافها لقوانين تطور المجتمع العربي في الوقت الحاضر جزءاً من الوعي للقوانين العامة لتطور المجتمع البشري ، وبهدف استيعابها لجدل العالم الراهن .

٤ ــ «التخصص والدقة والمنهجية» التي تكون بمثابة تعبير اصيل عن عقيدة البعث في نظرته الثورية الشمولية للمجتمع العربي «ومن بينها النظرة إلى كل ظواهر الحياة وشؤونها» (٢) .

ومما تقدم يمكن اجمال ابعاد التواصل الزمني كدلالات حضارية كما يلي :

اولا ــ الماضي والتفاعل الحضاري :

الحضارات في التاريخ وان نشأ بعضها ، كما يبدو ظاهراً احياناً ، كل وفق شروطه وعوامله . غير ان كل حضارة لا يمكنها ان تبقى بمعزل عن الاخرى . حيث «ان الحضارات الانسانية التي ظهرت ، منذ بدء التاريخ ، ما كان ظهورها منعزلا عن تأثيرات الحضارات الأخرى التي عاشت في مرحلتها او التي سبقتها» (٣) . كما ان فضل كل حضارة على الاخرى مسألة واردة في حركة التاريخ . «فلا توجد امة ليس للامم الاخرى فضل عليها بصورة من الصور» (٤) . فالتفاعل الحضاري في الزمان والمكان المحددين للمراحل التاريخية هو بمثابة بديهية مقررة في الحياة . الا ان الذي يميز الامة العربية في حقيقتها

---

(١) صدام حسين : الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة ، ص ١٦ .

(٢) صدام حسين : نظرة في الدين والتراث . ط١ ، منشورات دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٧٨) ، ص ٦ .

(٣) صدام حسين : البعث والثورة والانسان . دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ٨ .

(٤) صدام حسين : نظرية البعث والواقع القومي للامة . دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ١٣ .

الحضاري في مرحلة واحدة فحسب» . وهذا مما اعطاها «مكانة فريدة» في المعنى الانساني. فلم يقتصر اشعاعها الحضاري لذاتها فحسب وانما اعطت نصيباً وافراً منه للانسانية جمعاء (١) . وعلى هذا الاساس فإن الأمة العربية قد ربطت في تصورها الحضاري بين القومي والانساني بعلاقة تفاعلية جدلية . كما ان عقيدة البعث قد رفضت مسألة الانغلاق او الانعزال الحضاري . وعبرت عن التفاعل الحضاري بمبدئية عالية ووضوح . وضمن ابعاد اساسية متميزة . هي :

١ ـ الربط الحيوي لعقيدة البعث بروح الامة ، كمنطلق للنهوض الحضاري العربي (وليس بامكان اي عربي ان يحقق حالة نهوض قومي وصيرورة حضارية للامة ، بدون ان يؤمن بروح الامة) . (٢) .

٢ ـ تفاعل الابعاد الزمنية بشكل صحيح ورصين بعيدا عن القلق والتشويق الفكري وضمن (تصور تاريخي للعمل ممتد الى الماضي ويمتد الى المستقبل) (٣) :

بحيث لايصبح الحاضر والمستقبل خاضعا للماضي بكل اشكاله ولا التطلع الى مستقبل يكون غريبا ومقحما على الامة (٤) . فالحاضر لاينفصل عن الماضي . واستلهام الماضي هو دفع للحاضر والمستقبل في طريق الابداع والثورة الذي يحرك كل القوى والطاقات المبدعة في الامة العربية (٥) . كما يكون المستقبل بمثابة الزمن الذي تتحقق فيه الشخصية العربية من جديد بما يتلائم وحاجات العرب المعاصرة (٦) . وبهذا (تكون قوانين الحاضر ومستلزماتها قد سجلت حضورا ثورياً حيا) (٧). والعمل الابداعي للماضي يستتبع الاخذ منه (الروح والجوهر) (٨) . كشرط اساسي (لتأدية رسالة الحياة) واعطاء الحياة صيغة الديمومة والتجدد وليس الانسحاب منها الى زمن حضاري قد افرز ابداعه في مرحلة

---

(١) صدام حسين : البعث والثورة والانسان ، صص ١٢٥ – ١٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٧ .

(٣) ميشيل عفلق : نقطة البداية ، ص ٧٤ .

(٤) الياس فرح : الفكر العربي الثوري امام تحديات المرحلة ، ص ٢٦٢ .

(٥) د. الياس فرح : في القومية والتربية والثورة ، ص ١٠٤ .

(٦) د. الياس فرح : الفكر العربي الثوري امام تحديات المرحلة ، ص ٢٦٢ .

(٧) صدام حسين : البعث والثورة والانسان ، ص ٢٠ .

(٨) ميشيل عفلق : البعث والتراث . ط١ ، دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٧٦) ، ص ٩٠ .

مرحلة تاريخية محددة . فلا (نستنسج الصيغ والفعل من الماضي وانما نمد جسرا حيا يربط الماضي والحاضر وينفتح للمستقبل بكل مستلزماته في التطور والفعــل الى امام) (١) ، فتحقيق (الامانة للماضي هي في الاختلاف عنه ، وبمقدار مانختلف عن الماضي نكون اوفياء له . اي بمعنى اخر اتخاذ خط فاصل وواضح (بين التقليد والابداع) (٢) . ولـذا فان بعث الزمان الحضـــاري يستتبع شروطا اساسية جوهرية بهدف الحفاظ على الشخصية الحضارية العربية المبدعة بعيدا عن التشويه والتقليد والذوبان . وان الابداع والاضافـــة والخلق الحضاري ، هي ادوات لتماسك هذه الشخصية . (فالتخلي عن الماضي تشبــث شكلي بالمعاصرة ... والتخلي عن الحاضر المتحرك للامــام ومستلزماته وقوانينه هو انتماء شكلي الى الماضي وليس انتماءا انسانيا ثوريا له ..) (٣) . كما ان التعامل والتفاعل مع الحضارات الاخرى لايستتبع (الانتماء الشكلي للمعاصرة) وانما الانفتاح على هذه الحضارات بهدف هضمها وفهمها (ولكي نتفاعل مع مايبنغي أن نتفاعل معه) (٤) . فلكل حضـارة صانعيها ومبدعيها وقادتها ، ولها واقعها وماضيها وتراثها ، وحاضرها وآمالها . وعلى هذا الاساس فان (الامم الاخرى تنتمي الى تجاربها انتماء متكاملا وهكذا تكون جزءا من ماضيها في الوقت الذي تؤدي واجبها في حاضرها) .. . وحال استنساخ هـذه المعاصرة (التي هي حصيلة مجهود أمم اخرى) بشكـل آلي ومظهري . فإن هذه الحالـة ستضعنا (خارج امتنا في الوقت الذي نكون فيه خارج الامم الاخرى ايضا) . كما ستجعلنا هذه الحالــة كذلك (لانقدم اضافة ابداعية للحياة كما يتعدم فيها التصرف والتصور الثوري (٥) . اللذان هنا بدورهما لاينفصلان عن الابداع وعن صنع الحضارة بشكل متقدم ومتميـز وجديد يصب في عملية العطاء القومي الانساني .

٣ — التأكيد على ان التفاعل الحضاري ، حصيلة عضوية جدلية بين الاصالة والانفتاح والابداع . فوفق عقيدة البعث ، يكون الاطلاع على تجارب الاخرين ونظرياتهم والتفاعـل معها ، مشروطا بأن يكون الحوار معها (بفكر ممتلىء) وليس (بفكر خال) (٦) . وهـــذا لايخرج عن نطاق العطاء الحضاري .

(١) صدام حسين : البعث والثورة والانسان ، ص ١٨ .

(٢) ميشيل عفلق : البعث والتراث ، صص ٨٩ — ٩٠ .

(٣) صدام حسين : البعث والثورة والانسان ، ص ٢٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢١ .

(٥) المصدر نفسه ، صص ٢١ — ٢٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٦١ .

٤ -- الوعي والتمثل الصائب والصحيح لابعاد العصر الراهن وتطوراته السريعة ومعطياته الحضارية . عبر الجمع بين الاصالة والتميز والتفاعل اي (العلاقة الجدلية بين النضال القومي والنضال الاجتماعي) (١) . وكذلك الاستيعاب وفق هذه النظرية ، حركة الثورة والتقدم في العالم (٢) .

٥ — الحوار الحضاري مع الفكر الانساني يستلزم الثقة بامكانات الامة العربية بالعطاء والابداع (بروحية وبشخصية وبعقلية تفترض الاخذ والعطاء ، وليس الاخذ من موقع استصغار الامة في العطاء) (٣) . ولذا ، فالاستهانة بامكانات الامة يشكل عامل توقف في الابداع ومظهر شك في الاصالة .

٦ — الانطلاق من حيث ان الحضارة يشارك في صنعها ودفعها الى الامام ، القرار الثوري العظيم ـ الذي يصنع الحدث التاريخي المتميز ، ويساهم ،في خلق حالة حضارية حضارية نوعية لتحرير الانسان ، رغم الظروف الصعبة التي تواجه ذلك القرار . فالقرارات العظيمة تكون ولادتها صعبة وانها لاتولد ولادة اعتيادية تقليدية ، وانما تكون ولادتها دائما من نوع خاص ، ولذلك تسمى عظيمة ، والذين يقومون بها يوصفون بأوصاف خاصة لانها من النوع الذي يتطلب جرأة خاصة وعقلية خاصة ، واحيانا مجازفة خاصة(٤). ولذا فالقرار العظيم حالة نضالية للكشف عن الحياة في عمقها ، وبنفس الوقت عملية متقدمة لخلق حالة حضارية ابداعية .

٧ — تصور الحضارة بشكل شمولي ، كجهد انساني متطور ومتفاعل . على اعتبار «ان حصيلة التطور الانساني الان هي حصيلة تفاعل كل التجارب الانسانية ونظرياتها وافكارها عبر الزمن» (٥) . ولكن هذا التفاعل يستلزم ايجاد علاقة مبدئية متوازنة بين الاجتهاد الفكري والامن الاستراتيجي للامة . اذ «ليس بأمكاننا ان نقول ان حالة الاجتهاد الفكري حالة مرفوضة في مجتمعنا ، لكننا نقول : كما تقول كل الامم ، ان

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .
(٢) للتفاصيل انظر : د. الياس فرح : في القومية والتربية والثورة صص ١٠٤ — ١٠٦.
(٣) صدام حسين : البعث والثورة والانسان ، ص ٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩ .
(٥) صدام حسين : نظرية البعث والواقع القومي للامة ، ص ٦٨ .

الاجتهاد الفكري ينبغي ان يؤطر بالمصلحة القومية للامـة : وان يكـون تحت خيمة الثـورة وليس هناك امة اخرى تتول بعكسها » (١) . وهذا التصور المبدئي لايخرج عن نطاق اكتشاف احد قوانين الحضارة خلال مسيرتها التأريخية .

ثانيا ــ الحضارة كحالة نضالية تحررية دائمة :

على الرغم من اعتبار الحضارة العربية كمرحلة مضيئة في مراحل التطور البشري . الا اننا ونعايش الحاضر ، تقع على عاتقنا مسؤولية تصور واستيعاب المراحل التي تلـت ابداعات تلك الحضارة . بهدف الوصول الى مستوى متقدم ينسجم والواقع العالمي الراهن وهذا الوعي الحضاري يعطينا تصوراً ثورياً شمولياً . بأن الامة العربية تقع على عاتقهـا مسؤولية نضالية حضارية صعبة لا لتحرير ذاتها وتجاوز تناقضاتها فحسب ، بل مسؤولية المشاركة في تحرير الانسانية جمعاء (٢) . ولذا فان للتحرير بعـدا حضارياً متكاملا وليس له صفحة واحدة في تصور واقع الامة . ولاتتوفر فرصة الانطلاق والنهوض الحضاري بدون استنهاض شمولي في كافة ميادين الحياة . ولاتوجد «هناك تجربة ذات بعد انساني، شمولي وعميق ، وذات تأثير اوسع من بيئتها المحلية . الا وانتقلت من مواقعها الوطنية تأثيراً وتفاعلا الى مجتمعات اخرى ، كما انها لابد وان تكون عند ولادتها قـد تأثرت بتجارب مجتمعات وطنية وقومية اخرى سبقتها ، وحيثما تتوفر فرصة للالتقاء بين الامم، بين القوميات ، بين المجتمعات ، لابد ان تقوم عملية تفاعل جديدة بين هذه المجتمعـات ليس في التجربة والوسائل فحسب ، وانما في الفكـر والطبائع ايضاً .. وهكـذا تصبح هذه الكيفية او النتيجة واحدة من القوانين المركزية في الحياة » (٣) . ولهذا فنضال الحياة صيرورة حضارية دائمة ومتقدمة. «تستمر فيها ديمومة تأريخنا في نفس المستوى الـذي يتهيأ دوماً لحمل رسالتنا الانسانية الى العالم» (٤) .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٨ .

(٢) د. الياس فرح : الفكر العربي الثوري امام تحديات المرحلة ، ص ٢٥٤ .

(٣) صدام حسين : نظرية البعث والواقع القومي للامة ، ص ١٢ .

(٤) د. الياس فرح : الفكر العربي الثوري امام تحديات المرحلة ، ص ٢٦٤ .

ثالثا ـ الحضارة كعقيدة ومبادىء :

تعتبر العقيدة « هي الاساس في تغيير اي مجتمع تغييراً جذرياً ونوعياً إلى امام » (١) . والعقيدة البعثية ليست الا «نتاج» الامة العربية التي اعطتها «كل شيء» ومدينة لهذه الأمة «بكل شيء» وتراثها يمدها «بالايمان والثقة بالنفس » (٢) . كما نشأت ونمت هذه العقيدة «في جو عربي قومي» ومتصلة «بماضي الامة ومسرح بطولاتها الخالدة اعمق اتصال» ومتطلعة «إلى صورة مستقبلها وتحقيق امكاناته .. » (٣) . ومن هذا التصور يكون الوعي العقائدي والوعي الحضاري مسألة متوازنة ومتلازمة للمعرفة الدقيقة لقوانين تحويل المجتمعات وقواعد سير التاريخ . وكمعرفة منفتحة خاضعة للتطور (٤) . والفرق بين عقيدة البعث والايديولوجيات الاخرى في النظرة إلى الواقع العربي والوطن العربي . هو انها نظرت اليه نظرة حية ، ونظرة علمية جدلية تأريخية (٥) . كما ربطت بين استلهامها للواقع العربي والديمومة الحضارية . فهي كعقيدة ونظرية ومبادىء «قد ترشحت من هذا الواقع القومي للامة ، في الوقت الذي تسعى لتغيير هذا الواقع وتحريكه وصيرورته باتجاه يجدد امكانات الأمة ليضعها في موقع تصبح معه قادرة على العطاء والتوثب والصيرورة الحضارية » (٦) . وعلى هذا تكون هذه العقيدة كحاصل لتفاعل الحضارات ، وليست مقتصرة على استلهام حضارة واحدة ، مع الجمع بين الاصالة والابداع والعطاء الانساني القومي .

رابعا ـ الحضارة كدلالة للحياة وللرد على التحديات :

لم تظهر اية حضارة في حركة التاريخ الانساني ، الا وواجهت في عملية صيرورتها رد الفعل المتحدي والظروف الصعبة . لكن مردود هذا التحدي ومساره ، لابد وان تتشكل تأثيراته واستجاباته مع قوة تلك الحضارة الناهضة . لاسيما في الدفاع عن نفسها وقيمها ، وكذلك في الدفاع عن ثبات اصالتها وعمق عطائها . وعلى هذا الاساس ، ومن

(١) صدام حسين : البعث والثورة والانسان ، ص ٧٣ .
(٢) المؤامرة والرد التاريخي ، ص ٢١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣ .
(٤) بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر السادس في تشرين الاول ١٩٦٣ . دار الحرية للطباعة ، مطبعة الحكومة (بغداد ، ١٩٧٢.) ص ٩٣ .
(٥) د. الياس فرح : في القومية والتربية والثورة ، ص ٥٧ .
(٦) صدام حسين : نظرية البعث والواقع القومي للامة ، ص ٢٤ .

منطلق النهوض القومي العربي ، تواجه الأمة العربية ، وهي في مرحلة البناء الحضاري الجديد ، الاخطار والتحديات التي تحاول على كافة المستويات اجهاض هذا البناء او تشويهه او تفتيته والقضاء عليه على ابعد تقدير . ان التحديات الداخلية كالتخلف والتجزئة وغيرهما ، تدخل ضمن نطاق الحركة الصاعدة للامة في القضاء على تلك العوامل المعوقة للنهضة «لان الامة مستمرة في حركتها على طريق عملية الخلق والارتقاء في دورها القومي الحضاري وفي دورها الانساني البناء » (١) . الا ان التحديات الخارجية تعتبر الاكثر خطراً والأعمق بعداً لاعاقة هذه النهضة . وهذه التحديات الاساسية . هي :

١ — الاساليب القديمة والحديثة والمبتكرة للامبريالية وتحالفاتها مع الكيان الصهيوني الذي يعبر في احد اشكاله عن الوجه الجديد والمستقبلي للامبريالية العالمية . فالاستعمار «يجد في الكيان الصهيوني سلاحاً استراتيجياً في يديه لمنع العرب من اقامة وحدتهم ومن نموهم وتقدمهم » (٢) . بالاضافة إلى الممارسات والتصورات الرجعية التي ينقصها استيعاب جدل الواقع العربي وتناقضه الجوهري مع هذه الاساليب . لا سيما وان الامة العربية تواجهها في العصر الراهن «ظروف عصيبة ليس سببها وجود الكيان الصهيوني المحتل على ارضنا العربية فحسب وانما لوجود تنافس دولي شرير لتقسيم الوطن العربي إلى اجزاء بين الدول الطامعة » (٣) . وبناء على ذلك فإن هذه الاساليب لا تستهدف عرقلة النهوض الحضاري العربي فقط ، بل تمتد إلى تهديد الوجود العربي بأجمعه .

٢ — التحصن الحضاري المتمثل بالثقة بالنفس وعمق المبادىء وقوة الدفاع عنها ضد التحديات المختلفة التي ممكن ان تحدث تأثيراتها في مقومات النهضة العربية ، وبعدها الزماني الحضاري . وهذا يتأتى بالاساس من حيث «ان العرب الان تحيطهم حياة دولية ليست من نمط ذات الحياة الدولية التي احاطت بالعرب في الزمن البعيد ، اننا الان في وضع تستطيع القوى الدولية أن تستغل معه اية ثغرة في جدار الامة العربية وتطورها بما يعرقل نمو الامة وبناء السعادة للانسان » (٤) . وهذه النظرة المبدئية مستنتجة من الموازنة

(١) صدام حسين : امتنا والتحدي الجديد ، ص ١٧ .

(٢) صدام حسين : البعث والثورة والانسان ، ص ٢٢ .

(٣) صدام حسين : الاعلان القومي استجابة لدواعي المسؤولية القومية . دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ٣٣ .

(٤) صدام حسين : البعث والثورة والانسان ، ص ص ١٣١ — ١٣٢ .

الصافية بين الماضي والحاضر ، من منطلق ان ديمومة الحياة ، تستلزم تغييرات في الدفاع عن الحرية والمصير ، بعقلية جديدة تستوعب التحدي الجديد ، وانطلاقاً من عقلية مستوعبة لحركة التاريخ والحضارة .

٣ — وعي البعد الزمني للنهضة العربية بوضوح وبمبدئية . احتراساً من الوسائل الموجهة بصيغ مشوهة لحقيقة الامة العربية ، لاسيما التي تضع في تقديراتها «الدين نقيضا للقومية» (١) فعقيدة البعث كمنهج ومباديء قد حسمت منذ نشوئها هذه المسألة واعطتها بعدها الروحي والقومي والانساني . فهذه العقيدة اولا هي «عقيدة الحياة للعرب ... » (٢) . كنظرة شمولية ثورية كما هي «مستوحاة من قيم السماء ومن رسالة الاسلام » (٣) . كنظرة للماضي الحضاري علمية ثورية . كما انه رغم اعتزاز هذه العقيدة بمسألة التراث والدين فانها «ليست التراث ولا الدين بحد ذاتيهما ... وليست حصيلة جمع كل مايحمله الماضي والدين ، وانما نظرة شمولية متطورة للحياة وحل شمولي لاختناقاتها وعقدهما لدفعها الى امام على طريق التطور الثوري ... مترشحة عن واقع امتنا ومتقدمة عليه في نفس الوقت » (٤) . ومن هذا المنطلق المبدئي الواضح لهذه المسألة يمكن تحديد اهم الاساسيات الجوهرية في موقف عقيدة البعث منها . كمايلي :

(أ) ان هذه العقيدة ليست حالة ونظرة وسطية بين مقولتي الايمان والالحاد . بل هي مع الايمان دائماً . ولم تتخذ طابع الحزب الديني «ولاينبغي ان يكون كذلك » (٥) .

(ب) ان النظرية التي تعتمدها «نظرية للحياة وليست نظرية دينية» . وفي علاقتها بين الماضي والحاضر «تقيم الصلة الحية بينها وبين تراثها وفي المقدمة تراثنا القومي والديني واهم حلقة فيه هي الاسلام وروح هذا الدين ، وهي ايضاً المسلمون الاوائل ..» (٦) .

(ج) ان العقيدة البعثية لم تعتمد التحليل والمنطلق الديني في تفسير جدل الحياة وديموتها فهي « ليست نسخة من ولا نسخاً لاي تحليل او منطلق ديني » (٧) . كما انها لم تعتمد

(١) صدام حسين : الاعلان القومي استجابة لدواعي المسؤولية القومية ، ص ٣٨ .
(٢) صدام حسين : نظرة في الدين والتراث ، ص ١٦ .
(٣) صدام حسين : الشعب مصدر القدرة والعطاء . دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٨٠) ص ٩ .
(٤) صدام حسين : نظرة في الدين والتراث ، ص ٣ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٥ .
(٦) صدام حسين : البعث والثورة والانسان ، ص ٧٣ .
(٧) صدام حسين : نظرة في الدين والتراث ، ص ١٦ .

المنهج الالحادي الشيوعي لنفس الغاية . بل ان منهجها «استطاع دون غيره ان يفهم مستلزمات الحياة المعاصرة ويضع لها الحلول الناجحة» (١) .

(د) لقد استبعدت عقيدة البعث اية مفارقة او تناقض بين الاسلام والعروبة ، كما لم تعتبر الاسلام بديلا للقومية العربية . بل نظرت لهما نظرة جدلية علمية تأريخية او نظرة ثورية حضارية . «لايمكن فصل احدهما عن الاخر ، فالاسلام روح العروبة ، ومكون شخصية الامة العربية ، ومع ظهوره دخلت القومية العربية مرحلة جديدة ناضجة حاسمة» (٢) ومن هذا الاعتبار يتجلى العمق الحضاري المتفاعل لهذه المسألة فالاسلام «لم يكن بديلا عن القومية في معانيها الانسانية ودورها الانساني وليس حالة متعارضة او متناقضة معها ، بل ان الدين الاسلامي قد أكد المعاني القومية المفتحة والانسانية . واكد الكثير من اخلاق وقيم العرب الاصيلة . واعطى الدين الاسلامي للعرب دوراً انسانياً قيادياً ليس داخل الوطن العربي فحسب ، وانما خارج حدودهم القومية ايضاً ...» (٣) .

(هـ) ان البعث في معالجته للمسألة الدينية . نظر اليها كديمومة حضارية متقدمة على طريق تحرير الانسان وفق المرحلة التأريخية التي ابدعت تلك الحالة الحضارية بتصوره وادراكه لحركة التأريخ ، وبعملية جدلية رصينة . من حيث «ان روح قوانين كل ديانة منها متحركة ومنقولة من التي سبقتها وان تضمنت ولادتها حالة متقدمة على ماسبقها من ديانات رغم الفترة الزمنية بين دين ودين» (٤) .

(و) ان المنهج البعثي نظر الى روحية الدين كحالة حضارية انسانية وصادقة ، الا انه التزم الجانب المبدئي المضاد من قضية استخدام الدين كحالة سياسية او كحالة تؤدي الانحراف بالدين وتشويهه وافراغه عن محتواه الروحي الانساني . لان الحالة الاخيرة ستؤدي « الى استخدام الدين كسلاح او غطاء للمعارضة ، الى تمزيق الشعب واحياء الآراء والنظريات المتخلفة وتعطيل تقدم الحياة وروح المعاصرة التي بدونها ستبقى امتنا مستعبدة وغير قادرة على الاشعاع والعطاء الانساني والقومي» (٥) .

---

(١) صدام حسين : نظرية البعث والواقع القومي للامة ، ص ٣٠ .

(٢) المؤامرة والرد التاريخي ، ص ١٧ .

(٣) صدام حسين : نظرية البعث والواقع القومي للامة ، ص ٣٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٢ . انظر كذلك : صدام حسين : المفهوم البعثي لقانون والعدالة ، ص ٣٥ .

(ز) ان العقيدة البعثية المستندة في استيعابها لجدل التاريخ ثورياً وعلمياً . انطلقت بالنهج والتطبيق في معالجتها «للعلمانية» من بعد قومي انساني متميز ومتفاعل (١) . فالعلمانية وفق نظرية البعث ليست علمانية بمعنى الالحاد وانما علمانية تنسجم مع الايمان واستلهام روحية الدين . ولكن من دون ان يستخدم هذا الدين او ذاك كمنطلق سياسي وعلى هذا الاساس المبدئي ، لاتكون العلمنة «حالة تخل عن الدين ، وانما حالة عدم استخدام الدين في السياسة مع بقاء رعاية الدولة للدين والاديان والطوائف كلها ، والمسألة الروحية في الدين قائمة بدون استخدام الدين كوسيلة من وسائل السياسة وبدون التدخل في شؤون المواطنين فيما يعتقدون بأديانهم او في طوائفهم وفي طقوسهم الدينية» (٢) . ومن هذا المنطلق ، فعلمانية الدولة ليست اغترابية وسطحية وجامدة ، بل تحقيق استقلالية الدين عن السياسة دون القطع او الاهمال بين الاثنين .

وعلى ضوء ماتقدم ، فان الرد على هذه التحديات ، وحتى الانكسارات في مسيرة الامة الحضارية ، هي مسألة واردة في الوعي الحضاري وفي النهوض القومي كذلك . فالخطر المتزايد ماهو الا حالة نسبية بمقابل خلق شروط امكانية النهوض التي يكون العمل على نسج ابعادها الواضحة دلالة مضيئة على طريق التقدم وبالامكان تحديد اهم هذه الشروط كما يلي :

١ — الثقة واليقين بمقدرة الامة العربية على البناء والصيرورة الحضارية ، لان (بذور الحياة وامكانات التطور موجودة في ابناء الامة العربية (٣) . ولايمكن لاي امة تعيش حالة نهوض بدون توفر طرفي هذه المعادلة اي الثقة بالنفس والايمان بالمبادىء .

٢ — الربط الجدلي بين الوعي التاريخي والوعي الحضاري . وذلك بالتأكيد على ان (قوانين الحياة) المعبرة عن النهوض القومي ، تتمثل في عقيدة البعث واهدافها . اللذان بدورهما يعبران بشكل هادف (عن الاتجاه الصحيح لحركة التاريخ ومستقبل الامة الوضاء .) (٤) .

---

(١) للتفاصيل انظر : ميشيل عفلق : البعث والتراث ، ص ص ٢٧ — ٢٨ .

(٢) انظر نص حديث السيد الرئيس القائد صدام حسين إلى مجلة «المجلة» بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٨٧ . جريدة الثورة (بغداد) ، بتاريخ ٩ كانون الأول ١٩٨٧ .

(٣) صدام حسين : أمتنا والتحدي الجديد ، ص ٢١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

٣- وعي حالة النهوض القومي الجديدة كقضية مسلم بها ويقينية، ومنسجمة مع الوعي الزمني للتقدم . لاسيما وان الامة العربية (تمر الان بمرحلة مخاض لعملية خلق جديد، تنسلخ فيها عن القشرة القديمة وتنزع عنها جلدها القديم ، وتعمل على طرد أو تطوير روحها ومفاهيمها السابقة بما يجعلها اكثر قدرة على التأثير .) (١) .

٤ - استيعاب ووعي التحدي المصيري للامة بكل ابعاده . على ان يدفعنا ذلك الى الاستفادة (حتى من العوامل المضادة للامة من اجل تحريك عوامل الحياة والصيرورة في داخلها على طريق الارتقاء والتقدم والوحدة ..) (٢) . كما ان ديمومة هذه التحديات ستخلق حافز نضالي لدى الامة بهدف استيعابها ثم ايقافها وتجاوزها . وهذه ستدفع حتماً (الى التلاحم الداخلي والى تضييق محاولات الشقاق .. ولكن ليس بصيغة التسويات المؤقتة والشكلية .. وانما المطلوب بشكل اساس هو احياء صيغ التضامن والعمل والتفاعل النضالي في صفوف الشعب والامة . (٣) .

٥ - الربط بين الدفاع عن النهوض القومي العربي والدفاع عن الانسانية جمعاء . ضمن الاستيعاب المبدئي لصيرورة الحضارة وابعادها الزمنية التقدمية . حيث يكون (المطلوب منا الان .. هو ان ندافع بروح السماء وبقوانين ومستلزمات الارض عن شرف الامة العربية ، وعن وحدة الامة العربية وقيمها ... بل ندافع ونعمل من اجل حماية واسناد الامن الانساني ، والرسالات الانسانية الشريفة . في كل مكان ...) (٤) .

٦ - ان الانقلاب والتبديل الجذري في واقع الامة العربية ، يستتبع ايجاد العلاقة العضوية الحية بين الماضي والحاضر كمؤشر للنهوض القومي . اذ ان (ارادة الصمود ، والتماسك امام النكبات والمحن والتطلع التاريخي الى الثورة والى تبديل الواقع العربي ، تبديلا جذريا ، يعيد اليه الصلة الحية بين حاضره وماضيه الحضاري ، ليتمكن من المشاركة في بناء مستقبل التقدم البشري . والفضائل المتعددة التي تميز النضال العربي المعاصر ، لايمكن ان تكون معزولة ومقطوعة الصلة بالماضي الحضاري) (٥) . بالاضافة الى هذا ، فان

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص‌ص ٢٤ - ٢٥ .
(٤) صدام حسين : الاعلان القومي استجابة لدواعي المسؤولية القومية ، ص‌ص ٣٥ - ٣٦ .
(٥) التقرير السياسي (اقره المؤتمر القومي العاشر الذي انعقد في بغداد من (١ - ١٠) آذار ١٩٧٠) ، ص ١٦ .

النهوض الحضاري وبنائه، يتطلب تجاوز العوامل التي انسحبت على حاضرنا من مراحل الانحطاط والتدهور الحضاري التي مر بها مجتمعنا العربي آنذاك . والتي يمكن تحديدها كما يلي :

(أ) الانغلاق والتحجر والسطحية ، وضعف الاخلاق، والاستغلال للعقيدة الدينية.

(ب) استغلال التكوينات الطائفية والتكوينات القومية والاتجاهات الفكرية الرجعية .

(ج)استغلال الماضي بهدف تكوين مؤسسات وحركات سياسية بعيدة عن واقعنا القومي ولاتستوعب هذا الواقع وجدله الراهن (١) .

٧ ــ لقد كشفت عقيدة البعث، احدى اسباب وعوامل التدهور الحضاري المركزية وهي التمسك (بالمبدئية) وتطلعها الى امام في مجال التطبيق والبناء الحضاري ، والتي لها اثر كبير في تقرير مصير اية حضارة. وذلك ان (المسؤولين عن ادارة الكيان الحضاري عندما يفقدون ايمانهم في التطلع المبدئي الى امام ، وعندما يفقدون اشعاع الايمان في قلوبهم وفي عقولهم ومحركاته الى امام ، تبدأ عملية التدهور) (٢) . وهكذا تتناسب المبدئية مع الحضارة تناسبا طرديا ، فاذا اهتزت وضعفت وتدهورت المبدئية ، اضعفت معها بريق الابداع والعطاء الحضاري .

---

(١) المصدر نفسه ، صص ١٦ — ١٧ .

(٢) صدام حسين : البعث والثورة والانسان ، ص ١٣٥ .

خلاصة:

لقد نظر البعث بعقيدته الجدلية العلمية التاريخية ، نظرة شمولية ثورية ، الى مقولتي الماضي والحاضر ، كجزء من البعد الزمني التاريخي في صيرورته الدائمة ، بتفاعل عضوي جدلي وعلمي ، فلم يأخذ بنسخ الماضي ولا بالاستنساخ عنه ، وانما نظر الى المعادلة الزمنية الحضارية بمنظور حضاري تقدمي . فلم يخسر الماضي بمرحلته الابداعية التاريخية ، ولم يفرط كذلك بالحاضر بمقوماته وابداعاته وتحدياته وظروفه ومرحلته التاريخية . وانما استلهم روحية ذلك الماضي ، بهدف خلق حالة حضارية غير مشوهة تميزها الابعاد الاصيلة والمتوازنة والصافية لحاضر الامة العربية ، بقصد دفعها الى امام بصيغ جديدة متطورة ، ومتقدمة ومستوعبة للواقع العربي الانساني . وبهدف ان يكون عطاءه وبناءه الحضاري ، الجديد ليس للعرب فحسب ، بل للانسانية جمعاء. وبهذا تحقق عقيدة البعث اضافة نوعية وليست كمية فقط ، في حركة التاريخ وفي سلم التطور الحضاري البشري .

نطاق الفوسفات في المغرب العربي

د. مهدي الصحاف
جامعة بغداد / كلية التربية

مقدمة :

خامات معدن الفوسفات خامات معدنية أساسية في نطاق المعادن في المغرب العربي . بلغ الانتاج السنوي منها حوالي ٩, ٣٦ مليون طن في عام ١٩٨٣ وتحتوي على نسبة تتراوح بين ٦٥, ٧٥ ٪ من ثلاثي فوسفات الكالسيوم تتواجد خامات الفوسفات في المغرب العربي في الجهات التالية ، حسب موقعها ، من الغرب الى الشرق .

في القطر المغربي:

١ — حقول اولاد عبدون
٢ — حقول الكنطور
٣ — حقول مسكالا
٤ — حقول وادي الذهب

في القطر الجزائري:

٥ — حقول أم زايطة
٦ — حقول برج ريذير
٧ — حقول السفح الجنوبي لمعاديد
٨ — حقول الدير
٩ — حقول الكويف
١٠ — حقول جبل اونك (العنق)
١١ — حقول الهضبة

١٢ — حقول قلعة جواندا
١٣ — حقول كفصة ..... في القطر التونسي
١٤ — حقول المدلة

ان طبيعة هذه الرواسب الفوسفاتية تتغير من منطقة الى اخرى ، حتى في منطقة واحدة طبقاً للظروف الطبيعية التي صاحبت ظاهرة ترسيبها .

تظهر خامات الفوسفات في المغرب العربي في هيئة اربع اشكال من الرواسب وفي الوان متدرجة من اللون الابيض والاصفر والرمادي والى اللون البني الغامق وهي : —

١ — فوسفات سيليسي . وهو اكثر الانواع شيوعاً ، تتميز بأنها من النوع المتماسك والصلب نتيجة توزع حبيبات المادة السيليسية اللاحمة بين الفراغات البينية .

٢ — فوسفات جيرية . تكون هذه لينة سهلة التكسر . لونها يتراوح بين اصفر الى اصفر بني . تصل نسبة ثلاثي فوسفات الكالسيوم فيه بين ٥٣, ٦٤ ٪ .

٣ — فوسفات ذات تركيب مختلط للمادة اللاحمة ويتصف هذا النوع بسهولة تفتته وانكساره وتميل الوانه الى الفاتح وان المادة اللاحمة في مثل هذا النوع تتكون من الكالسيت.

٤ — فوسفات ذو مادة لاحمة ذات تركيب فوسفاتي . هذا النوع يتميز بتماسكه. لونه بني داكن وتكون حبيباته خشنة .

بالرغم من أن تعدين الفوسفات كان ، الى حد قريب ، ينحصر في صناعة الاسمدة ومركبات الفسفور وحامض الفسفوريك الا انه اعطيت في الوقت الحاضر اهمية خاصة لاستخراج المعادن المشعة مثل اليورانيوم والفاناديوم والفلورين . هذا اضافة الى ان الزيادة المطردة في حاجة الزراعة والسكان في العالم الى الاسمدة والغذاء تتطلب تركيز خامات الفوسفات ذات النسب الواطئة والى رفع نسبة ثلاثي فوسفات الكالسيوم ، خاصة ، اوكسيد الفسفور لتلبي الطلب العالمي المتزايد لهذه المواد المخصبة .

النطاق المعدني في «تونس والجزائر والمغرب» :

حاولنا استخدام مفهوم «النطاق المعدني» باعتباره أحد الادلة التي تثبت وحدة الارض العربية ، فالمواقع المعدنية المكتشفة (بنوعيها الفلزية واللافلزية) توجد على هيئة نطاقات عرضية من الغرب الى الشرق نظراً لتشابه ظروف التكوينات الجيولوجية في اقطار المغرب العربي. يمتد نطاق الفوسفات من المحيط الاطلسي في موريتانيا ، متجهاً نحو الشمال الشرقي ،

الى المغرب والجزائر وتونس . توجد الرواسب الفوسفاتية بكميات كبيرة ، وقد تكونت في فترة واحدة ، نفس الشيء يقال عن رواسب الحديد والجبس والرصاص والزنك التي تكونت خلال الزمن الثلاثي والرباعي اذ تمتد هذه الرواسب من موريتانيا عبر المغرب والجزائر وحتى تونس لذلك فان استخدامنا لمفهوم النطاق المعدني في الجزء الشمالي الغربي من الوطن العربي يصبح مصطلحاً له مايبرره .

يمتد المغرب العربي حوالي (٢٠٠٠ كيلو متراً طولا من الشرق الى الغرب) أي حوالي ٢٤° طول بين خط طول ١٤° درجة غرباً وخط طول ١١° درجة شرقاً وتبلغ مساحة الاقطار العربية الثلاثة (تونس ١٦٤ الف كيلومتر مربع والجزائر ٢٣٨٠ الف كيلومتر والمغرب ٧١٦ الف كيلومتر مربع) . حوالي ٣٢٦٠ الف كيلومتر مربع (١) .

البنية الجيولوجية للنطاق :

فيما يلي عرض للعوامل الطبيعية والبشرية التي هيأت لتكوين هذه الخامات وطرق استغلالها .

توجد جميع مخلفات الازمنة الجيولوجية في اقطار المغرب العربي ، تظهر مثلا مخلفات الزمن الآركي (ماقبل الكمبري) في المناطق الهضبية الواقعة الى الجنوب من مرتفعات الاطلس اذ تشكل صخور تلك الهضاب جزءا من القارة القديمة «كوندوانا» حيث تتكون صخورها من النوع القاري والمتحولة مغطاة بطبقة سميكة من الرواسب الحديثة الا انها قد تظهر عارية الى السطح احيانا ، كما هو الحال في كتلة الاحجار وفي اقصى شمالها قرب عنابة (الجزائر) و في الهضبة المراكشية التي تمتد بين اطلس الاوسط والكبير وعلى الخصوص في حوض نهر ام الربيع . لاتنتشر مخلفات الزمن الاول الجيولوجي في هذا النطاق العربي كثيرا اذ يظهر بأن بحر تشس لم يطغ كثيرا فوق الكتلة العربية الافريقية وقد تظهر بعض تكوينات النصف الثاني من الزمن الاول على هيئة صخور رملية تعلوها صخور جيرية ورملية وبخاصة في جنوب الجزائر الا ان مساحتها قليلة نسبيا (٢) . ولقد ادت الحركات التكتونية في هذا الزمن الى ارتفاع بعض الأجزاء الجنوبية من المغرب العربي وبخاصة في منطقة الاحجار وتبستي الا ان عوامل التعرية أدت الى تحويلها الى هضبات . وتظهر تكوينات الزمن الثاني (تكوينات الجوارسي والكريتاسي)

(١) U.N. Statisical Year book 1981.

(٢) محمد سعودي ، الوطن العربي دار النهضة العربية بيروت ١٩٦٧ ، ص ٣٣ — ٣٤.

في بعض مناطق جنوب المغرب العربي في شكل صخور رملية خالية من الحفريات وصخور جيرية تكثر فيها الحفريات البحرية تعلوها طبقات غير سميكة من الرواسب الرمليـــة تحتوي صخور العصر الكريتاسي الاعلى والايوسين (بداية الزمن الثالث) على رواسب الفوسفات (١) كما انها تحتوي ايضا على رواسب حديدية .

تظهر رواسب الزمن الثالث في جهات متعددة من المغرب العربي الا ان غالبيتها يضمر تحت الرواسب الاحدث تكوينا وتتألف تكوينات هذا الزمن من الحجر الجيري والصلصال بينما تظهر مخلفات الزمن الرابع الجيولوجي في احواض الانهار المتعددة والكثبان الرملية في الاجزاء الجنوبية من المغرب العربي ، ولقد ادت الحركات التكتونية في الزمن الثالث (الحركة الالبية) الى رفع سلاسل الاطلس خلال الفترة الممتدة من الكريتاسي الى اواخر البليوسين الا ان شدة الحركة في عصر الميوسين اعطت جبال الاطلس شكلها الحالي (٢) . الا ان عوامل التعرية الخارجية والارساب قد ملأت المنخفضات الواقعة بين الاطلس الساحلي والاطلس الصحراوي .

الاشكال الارضية في المنطقة :

تنعكس البنية الجيولوجية للمغرب العربي على اشكاله الارضية . تظهر الهضاب المعتدلة الارتفاع في الشمال وتنتشر فيها الوديان الجافة والمسطحات الرملية (العرق) كما هو الحال في صحراء الجزائر جنوب شط ملغير والعرق الغربي جنوب الاطلس الصحراوي كما تظهرالسهول الصخرية (الحمادة) في الأجزاء الجنوبية من صحراء الجزائر (تادميت).

كذلك تنتشر المرتفعات بامتدادات عرضية اتجاهها العام من الشرق الى الغرب ومن الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي حيث يصل ارتفاع جبال الريف (المغرب) حوالي ٢٤٥٠ متر (قمة تدغيني) وارتفاع جبال الاطلس المتوسط حوالي ٣٠٠٠ متر (جبل برناصر وبوابلان) في المغرب والى حوالي (٤١٦٥) متر في جبال الاطلس الكبير (جبل توبكال) .

الشكل الثالث من تضاريس المغرب العربي يتمثل في السهول المنبسطة بنوعيها الفيضية والساحلية كما هو الحال في سهول وادي أم الربيع والملوية والمجردة وغيرها والسهول الساحلية الضيقة المتوسطية مثل سهل الميتجة قرب مدينة الجزائر وسهل السيج عند مدينة وهران وسهل بون وكذلك السهول الساحلية الاطلسية الواقعة بين هضبة مراكش من الشرق والمحيط الاطلسي غربا كما هو الحال في سهل سوس وسهل الغرب .

---

(١) محمد سعودي ، المصدر السابق ص ٣٦ .

(٢) FisherW.B. The middle East London 1961 p. 41

الرواسب المعدنية في المغرب العربي :

الدراسات والتنقيبات الاولية أثبتت على توفر الرواسب المعدنية في اقطار المغرب العربي من مثل خامات الفوسفات والحديد والمنغنيز والرصاص والزنك والنحاس والقصدير اضافة الى مصادر الطاقة كالنفط والغاز والفحم ، الا ان اهم هذه المعادن من حيث الكم الاحتياطي هو الفوسفات والحديد والمنغنيز والرصاص والنفط والغاز ، حيث يمكن تفسير مكامن رواسب هذه المعادن لنوعية وبنية صخور مناطق المغرب العربي الجيولوجية فمثلا تتواجد المعادن الفلزية عادة اما في الصخور النارية القديمة التي تعود الى عصر ماقبل الكمبري حيث تشتمل هذه الصخور على الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزنك والحديد والمنغنيز وقد توجد هذه المعادن على هيئة احادية او ثنائية متحدة مع بعضهما . توجد مثل هذه المعادن بعدة اشكال فقد تظهر منتشرة في الصخور ومتداخلة في شقوقها وفجواتها وطياتها وصدوعها وقد يعود اصل هذه المعادن الى سوائل مصهورة ، بردت تدريجيا كما يتبين من الرواسب المعدنية في صخور جبال الاطلس ، او انها قد تتواجد بشكل عروق معدنية باحجام مختلفة . وقد تظهر المعادن الفلزية ايضا في الصخور الرسوبية المتوسطة وتتميز هذه الرواسب المعدنية بانها أحدث تكوينا من سابقتها حيث يرجع تاريخ تكوينها الى الزمن الثالث الجيولوجي كما هو الحال في صخور جبال الاطلس الحديثة التي تحتوي على معادن الرصاص والزنك .

وتنتشر المعادن اللافلزية في المغرب العربي في طبقات الصخور الرسوبية الممتدة في نطاق واسع يمتد من المحيط الاطلسي وحتى خليج قابس في الشرق حيث كانت الظروف خلال وبعد العصر الطباشيري ملائمة لترسب الرواسب المعدنية اللافلزية ، اذ ان غزارة الامطار الدائمية كان له الاثر في زيادة الحياة على اليابسة اضافة الى كثرة فترات تقدم مياه البحر وما تنقله من رواسب هياكل الحيوانات البحرية التي تحللت خلال بقائها بين تلك الطبقات الرسوبية العظيمة .

الفوسفات :

تعتبر الفوسفات من أهم المنتجات المعدنية اللافلزية في المغرب العربي ، لقد بلغ مجموع انتاج نطاق الفوسفات في المغرب العربي حوالي ٢٦،٩ مليون طن سنة ١٩٨٣ ، اي حوالي ٨١،٨ ٪ من مجموع انتاج الوطن العربي البالغة ٣٢،٩ مليون طن في نفس السنة . يشكل هذا الانتاج حوالي ٢٤،٥ ٪ من الانتاج العالمي من نفس المادة .

الفوسفات الطبيعي :

صخور الفوسفات الطبيعي تتكون من فوسفات الكالسيوم مخلوطة مع شوائب مختلفة وتوجد اما بشكل طبقات رسوبية أو على هيئة عقد داخل الصخور الكلسية أو الرملية وقد تصل نسبة الفوسفات في طبقات الصخور الفوسفاتية الى حوالي ٨٥ ٪ . تمتاز صخور الفوسفات بلونها الرمادي او الاصفر وتكون احيانا ذات الوان غامقة تميل نحو السواد تبعا لنوعية الشوائب الموجودة في الصخر .

تتكون رواسب الفوسفات من ترسيب بقايا اجزاء مختلفة من عظام الاسماك والزواحف التي كانت تعيش في بحار ضحلة وقد تحولت بعد فترة الى فوسفات الكالسيوم بتأثير الجراثيم والبكتريا المتواجدة في مياه مثل هذه البحار الضحلة .

يعتبر الفسفور العنصر الاساسي في معدن الفوسفات حيث تحتوي اغلب الصخور ، الرسوبية على نسبة معتدلة من هذا العنصر . فتزيد نسبته على ١٪ (١) ، غير أن نسبة ثلاثي فوسفات الكالسيوم تعتبر ذات اهمية في تحديد نوعية معدن الفوسفات ، فتزداد قيمة المعدن إقتصادياً كلما زاد تركيز هذا العنصر ، فمن المعلوم أن جميع معادن الفوسفات المستعملة الان يتراوح عنصر ثلاثي فوسفات الكالسيوم فيها بين (٥٥٪) كما هو الحال في معادن فوسفات تونس(وحوالي ٨٢ — ٨٤٪) كما هو الحال في فوسفات كولا — الاتحاد السوفيتي وفوسفات استراليا) اضافة إلى أن الشوائب الاخرى وبخاصة الكلس والغرين والطين والرمل والكوارتز وأكاسيد الحديد والالمنيوم والفلورين جميعها تضفي على معدن الفوسفات الصفات الفيزياوية (الصلب والهش) ويصنف الفوسفات إلى: —

١ — الفوسفات الصخري ويشتمل على مجموعتين هما: —

(آ) الفوسفات الكلسي : —

يتكون هذا النوع من الفوسفات في نهاية العصر الطباشيري وفي بداية عصر الايوسين الجيولوجي ويتميز هذا النوع من المعدن بقشرته الكلسية ويظهر في الطبيعة على نوعين: —

١ — الفوسفات الحبيبي وهي صخور صفراء أو رمادية تحتوي على عنصر ثلاثي فوسفات الكالسيوم بمعدل ٧٠٪ الحبيبات المجهرية مثل الديانوميت والراديولايت.

٢ — الفوسفات العقدي ويظهر على هيئة عقد مستديرة داخل الصخور الكلسية

---

(1) R. Saint Guilhen, les gigements de phosphates de chaux dans le monde notes morocaines NO. 14, 1960. P. 22.

(ب) الفوسفات السليسي :

ويتكون من صخور فوسفاتية خليطة مع السليكات وينقسم هذا النوع إلى ثلاثة انواع:-

١ ـ الفوسفات الكروي :

وتشتمل على مجموعات فوسفاتية صغيرة ذات شكل مستدير سوداء اللون ويوجد داخل طبقات الشيست الذي يعود تكوينه إلى الزمن الاول وغالباً مايتكون بجانب طبقات سليكاتية وقد يوجد في الطبقات العائدة للعصر الفحمي في جبال البيرثه.

٢ ـ فوسفات الرمال الكلوكونية :

تتكون من صخور خضراء تختلط حبات الفوسفات فيها بحبيبات الكوارتز والكلوكوني (سلكات الحديد والبوتاس)-اضافة إلى المادة اللاحمة الكلسية (١).

٣ ـ الفوسفوريت :

وهو تركيز ثانوي لفوسفات الجير على اليابسة وهو بمثابة اجزاء فوسفاتية ذات بلورات مجهرية بألوان مختلفة وقد تحتوي على بقايا عظام تراكمت في الزمن الثالث داخل مناطق الكارست الجوراسي ولهذا يطلق عادة على رواسب الفوسفات الكائنة في الكهوف والمغارات الباطنية .

وتصنف الفوسفات طبقاً لحجم البلورات، فقد أظهرت أشعة أكس والاشعة تحت الحمراء والميكروسكوبية أثناء الفحوص الكيمياوية والصخرية على ابراز خصائص مختلف انواع الاباتيت الذي يكون مادة الفوسفات الجوهرية في كل انواع الفوسفات الطبيعي حيث أكدت النتائج أنه متبلور . وعند دراسة حجم بلورات مختلف أنواع الفوسفات يمكن تمييز ثلاثة أنواع من حبيبات الفوسفات.

١ ـ الفوسفات الماكروبلوري

(البلورات التي ترى بالعين المجردة) ويدعى هذا النوع عادة بالاباتيت واصله من الصهير المندفع إلى الخارج .

World survey of phosphate deposits london 1980. (1)

٢ ــ الفوسفات الميكروبلوري

البلورات التي تشاهد بالميكروسكوب البصري) وتتميز البلورات من هذا النوع بصغر حجمها الذي يتفاوت بين (٢٠ ــ ١٠٠مكرون) ويوجد مثل هذا النوع في بعض المناجم الرسوبية .

٣ ــ الفوسفات الكريبتوبلوري

فقد تكون بلورات الفوسفات من الصغر لدرجة لايمكن ملاحظتها بالالات البصرية ممايستدعي استخدام الميكروسكوب الالكتروني ونجد مثل هذا النوع من الفوسفات في الطبقات الرسوبيــة (١).

أنواع خامات الفوسفات : ــ

تقسم خامات الفوسفات تجارياً طبقاً لما تحتويه من ثلاثي فوسفات الكالسيوم أو خامس أوكسيد الفسفور، وتبعاً لذلك يمكن تقسيم خام الفوسفات إلى الانواع التالية :

١ ــ خام عالي في الدرجة وتبلغ نسبة ثلاثي فوسفات الكالسيوم فيه أكثر من ٧٨٪

٢ ــ خام متوسط الدرجة حيث تبلغ نسبة ثلاثي فوسفات الكالسيوم فيه بين ٦٨ ــ ٧٧٪

٣ ــ خام منخفض الدرجة. حيث تقل فيه نسبة ثلاثي فوسفات الكالسيوم عن٦٨٪

تختلف الخامات السالفة الذكر عن بعضها بمدى مطاوعتها للاستعمال. حيث يمكن استعمال النوعين الاولين مباشرة بعد استخراجها من المناجم، الا أن استعمال النوع الثالث تجارياً يتطلب معالجات متعددة حتى يساير متطلبات الصناعة العالمية، وتنحصر هذه المعالجات بالتكسير والغربلة والغسيل والتقويم والكلسنة وجميع هذه المعالجات تعتمد على الخواص الطبيعية والكيمياوية للخامات الفوسفاتية ومافيها من شوائب مختلفة.

الاسمدة الفوسفاتية : ــ

تتنوع الاسمدة الفوسفاتية ، الاأن القاسم المشترك فيما بينها هو وجود الفسفورالمركز وتعتبر هذه الاسمدة عاملاً مهما في الاسراع في النضج وزيادة مقاومة النبات للامراض.

(١) World Survey of phosphate deposits london 1980.

الفوسفات الموجود في الطبيعة غير قابل للذوبان ،ولكن بعد معاملته بالحوامض المعدنية من مثل حامض الكبريتيك أو الكلوردريك أو حامض النتريك فانه يتحول إلى مادة قابلة للذوبان يستطيع النبات امتصاصها.

وتقسم الاسمدة الفوسفاتية إلى سوبر فوسفات اعتيادية وأخرى ثلاثية حيث يؤلف خامس أوكسيد الفسفور P_2O_5 من النوع الاول نسبة تتراوح بين ١٤ــ ٢٠٪ بينما يؤلف من النوع الثاني نسبة مابين ٤٢ ــ ٥٠٪

ان استعمال الاسمدة الفوسفاتية الاعتيادية لم يعد مرغوباً بالنظر إلى انخفاض نسبة الحامض فيها. مما يتطلب استهلاك كميات أعظم ولذا فقد اتجهت أغلب الاستعمالات إلى النوع الثاني وإلى نوع ثالث جديد ــ سوبر فوسفات الذي يتراوح نسبة الحامض فيه بين ٥١و٥٥ بالمائة.

وهناك أيضاً فوسفات الامونيوم الذي شاع استعمالها مؤخراً. تنتج هذه المادة من تفاعل حامض الفوسفوريك مع الامونيا ومن هذه الانواع :.

فوسفات الامونيوم الأحادية وفوسفات الامونيوم الثنائية وكبريتات فوسفات الامونيوم

الفوسفات في العالم : ــ

يقدر احتياطي الفوسفات في العالم بحوالي ١٣٠ مليار طن يوجد منها حوالي ٤٥٪ في الوطن العربي ونطاق المعادن في المغرب العربي .وفي الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة(١) ولقد اكتشفت أخيراً رواسب جديدة للفوسفات في كل من توكوو العراق وموريتانيا والهند وبيرو .

تضاعف انتاج الفوسفات في العالم بين سنة ١٩٦٠ و١٩٧٠ حيث أزداد الانتاج من ٣٩ مليون طن سنة ١٩٦٠ الى حوالي ٨١ مليون سنة ١٩٧٠ أي بنمو سنوي مقداره ٨ بالمائة.وقد أزداد الانتاج باطراد حتى وصل في سنة ١٩٧٨ الى حوالي ١٢٤مليون طن أي بزيادة سنوية مقدارها (٥٪) وفي سنة ١٩٨٠ وصل الانتاج الى حوالي ١٤٠ مليون طن وانخفض سنة ١٩٨٦ الى ١٢٢ مليون طن كما يظهر جلياً من الجدول التالي

(١) ابراهيم كامل ، ومنير اسماعيل . تنمية استغلال الفوسفات في الدول العربية، المؤتمر العربي الثالث للثروة المعدنية، نيسان ١٩٧٧ ــ الرباط .
كذلك لاحظ مجلة التعدين العربي ــ المجلد الثالث ، العدد الثالث لسنة ١٩٨٣ ــ عمان.

جدول رقم (١)

النسبة بين انتاج واستهلاك الفوسفات في العالم (الف طن)

	١٩٦٦	١٩٧٠	١٩٧٣	١٩٧٥	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨٢	١٩٨٣
انتاج العالم	٧٦٠٢٣	٨١٠٧٤	٩٧٣٢٣	١٠٦٥٣٨	١٢٤٠٠٠	١٣٢٠٠٠	١٤٠٠٠٠	١٢١٨٤٦	
انتاج الوطن العربي	١٤٣٨٣	١٦٢٤٣	٢٢٤٨٦	٢٠٤٩٥	٢٧٨١٥	٢٩٨٠٥	٣٠٥٩٢	٢٩٨٥٢	٣٢٨٧٥
انتاج المغرب العربي	١٢١٢١	١٤٩٤٠	٢١١١٧	١٨٣٠٦	٢٤١٠٩	٢٥٢٩٧	٢٤٤٩٧	٢٢٨٩٥	٢٦٨٩٧
نسبة انتاج الأقطار العربية إلى الانتاج العالمي	٪٢٠	٪٢٠,٢	٪٢٣,١	٪١٩,٢	٪٢٢,٤	٪٢٣,٩	٪٢٠,١	٢٤,٥	
النسبة بين الانتاج والاستهلاك	٪٩٤,٩	٪٩١,٧	٪١٠٣,٢	٪٩٦	٪٩٣	—	٪٩٤,١	٪٩٣	

المصدر : U.N. statistical year book- 1970-1983

ان الطاقة الانتاجية لنطاق الفوسفات في المغرب العربي ، يحتل منطقة جغرافية واسعة تشرف على بحرين وقريبة من السوق التجاري المتمثل في قارة أوربا وأمريكا وآسيا اضافة الى ملاءمة الظروف الطبيعية لنقل الخامات من موانيء التصدير على المحيط الاطلسي وسواحل البحر المتوسط تجعل للفوسفات المغربي ذو أهمية خاصة في تجارة الفوسفات العالمية كما يتضح من الجدول رقم (٢) .

نطاق الفوسفات في المغرب العربي : ــ

يمتد نطاق الفوسفات في المغرب العربي بين سواحل المحيط الاطلسي غرباً وحتى سواحل خليج قابس (البحر المتوسط) وذلك عبر ثلاثة أقطار عربية هي المغرب والجزائر وتونس . سنذكر في الصفحات اللاحقة رواسب معدن الفوسفات وانتاجه في النطاق العربي المغربي وسنحاول أعطاء تفصيلات دقيقة عن انتاج الفوسفات في المملكة المغربية باعتبارها نموذج جيد في عملية استخراج وتصنيع وتسويق خامات الفوسفات في الوطن العربي . (لاحظ الشكل رقم (١) .

١ ــ الفوسفات في الاجزاء الشرقية في النطاق (تونس) .

تقع الفوسفات على رأس الثروة المعدنية في تونس حيث تشكل نصف الصادرات ، المعدنية لها وتقدر قيمة واردات هذا الانتاج بحدود ٢٠٠ مليون دولار . فمنذ نهاية القرن التاسع عشر والابحاث الجيولوجية مستمرة للكشف عن رواسب الفوسفات في تونس حيث ظهرت أولى الدلائل عن وجود الفوسفات سنة ١٨٧٣ م الا ان بداية حفر المناجم الاولى كان في سنة ١٨٩٩ . في منطقة كفصة . حيث يوجد في الوقت الحاضر ثمانية مناجم لاستخراج الفوسفات واحداً منها يستخرج بطريقة المناجم المفتوحة. تتوزع المناجم الثمانية كالتالي :

خمسة منها في منطقه كفصة شمال شط الجريد وهي (كفصة والمتلوى ، ورديف وأم الاعراس) واثنان آخران في جبل سحب بالقرب من الحدود الجزائرية والاخير يقع الى الشمال من كفصة بالقرب من منطقة الكيف يبلغ احتياطي رواسب الفوسفات في القطر التونسي حوالي ٣٠٠ مليون طن (الاحتياطي الاجمالي ٩٠٣ مليون طن) أما الانتاج والصادرات فقد تطورت بشكل بطيء كما يتبين من الجدول رقم (٣) . ويؤمل ان يصل الانتاج سنة ١٩٨٦ الى حوالي ٧,٧ مليون طن .

جدول رقم (٢) .

صادرات العالم ونطاق الفوسفات في المغرب العربي من خامات الفوسفات (الف طن) .

	١٩٦٦	١٩٧٠	١٩٧٣	١٩٧٥	١٩٧٨	١٩٨٠	١٩٨٢	١٩٨٣
صادرات العالم	٣٢٠٣٠	٣٨٥٠٠	٤٨٩٧٠	٤٣٤٠٠	٥٢٠٠٠	٥٠٣٦٨	٤٧٣١٢	
صادرات نطاق الفوسفات في المغرب العربي	١١٦٣٦	١٣٨٧٥	١٨٦١٤	١٥٠١٤	٢١٠٠٠	١٨٦٧٤	١٥٨١٩	١٦٤٤٣
نسبة صادرات النطاق إلى صادرات العالم	٣٦,٣	٣٦,٠	٣٨	٣٤,٦	٤٠,٣	٣٧	٣٣,٥	

الشكل(١) توزيع الفوسفات في المناطق المعدنية بالمغرب العربي



الجدول رقم (٣)

انتاج الفوسفات والكميات المصدرة في تونس (الف

	١٩٦٠	١٩٦٨	١٩٧٠	١٩٧٢	١٩٧٤	١٩٧٦	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣
[illegible]	[illegible]	[illegible]	٣٠٢	٣٣٨٣	٣٩٨٣	٣٢٩٤	٣٧١٣	٤٨٥٧	٥٢٥٠	٤٥٩٦	٤١٩٦	٥٩٢٤
[illegible]			٢١٠٩	٢٣٠٦	٢٤٠٧	١٨٥٧	١٦٦٧	١٥١٦	١٥٥٠	١٠٤٦	١١٣٩	١٢٠٨
[illegible]		-	—	١٠٥٠	١٣٢٣	١٦٣٠	١٨٦١	٢٢١٩	٣٢٥٠	٣١٥٨	٣٣١٢	٣٩٤٣

تستخرج أغلب خامات الفوسفات بطريقة جديدة هي Air Separation :
أهم مناطق الاستخراج في تونس تتركز في المناطق التالية : —

(آ) قلعة جوادا : يقدر الاحتياطي فيها بحوالي ٦ الى ٧ مليون طن من الفوسفات المتوسط الجودة اذ تبلغ نسبة تركز ثلاثي فوسفات الكالسيوم فيه من ٥٨ الى ٦٣٪ وهناك حوالي من ٢ الى ٣ مليون طن من الفوسفات الواطيء الجودة حيث تبلغ فيه نسبة تركيز ثلاثي فوسفات الكالسيوم من ٥٥ الى ٥٧٪ .

(ب) كنفصة : يقدر احتياطي رواسب الفوسفات فيها بحوالي ١٠٠ مليون طن .

(ج) المدلة : يقدر احتياطها من خامات الفوسفات بحوالي ١٥٠ مليون طن بتركيز مقداره ٦٠٪ لثلاثي فوسفات الكالسيوم . تصدر خامات الفوسفات من مينائي صفاقس وسوس بالدرجة الاولى ثم بقية الموانيء الاخرى . بينما تصنع حوالي نصف مليون طن سنوياً في مصنعي صفاقس ومصنع آخر في مدينة تونس للاستهلاك المحلي . لاحظ الشكل رقم (٣) .

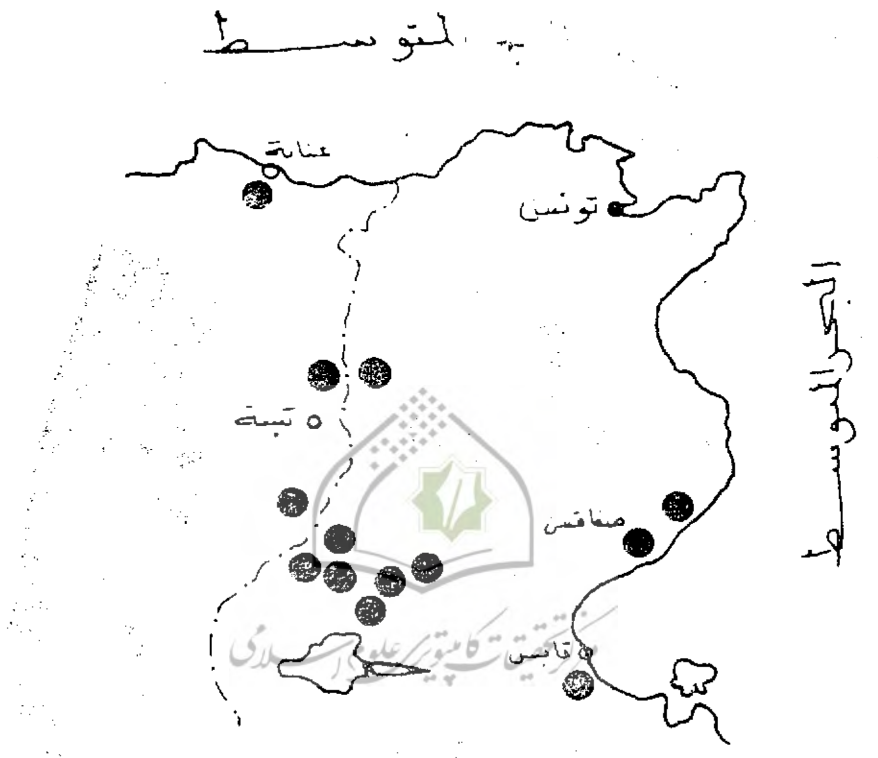
رواسب الفوسفات في الجزء الاوسط من نطاق الفوسفات المغربي (الجزائر)

اكتشفت رواسب الفوسفات في الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر في عام١٨٩٤ وقد بدأ في سنة ١٩٠٨ في حقل كويف وكان يعتقد بأن احتياطها من هذا الخام كبير جداً الا ان البحوث والتنقيبات الاخيرة جاءت ، مخيبة نسبياً . حيث قدر الاحتياطي من هذا المعدن بحوالي ٢٥٠ مليون طن (١) . لاحظ الشكل (٢) .

ان أهم الرواسب الفوسفاتية في هذا الجزء من نطاق الفوسفات والتي يمكن أن تحتل أهمية أقتصادية ، بالنظر الى محتواها الكمي ، هي رواسب وادي ، الشليف حيث ان الجناح الايسر من هذا الوادي وبخاصة في المنطقة الواقعة بين مدينة الاصنام وريليزان توجد المغارات المحفورة في الصخور الجيرية تكاد تكون ممتلئة بتربة فوسفاتية تحتوي على نسبة واطئة من خامس أوكسيد الفسفور تقع بحدود ٢٠ — ٢٤٪ ومن المناطق الاخرى التي تتواجد فيها الفوسفات هي : —

(أ) المزيتة : يقدر احتياطيها من خام الفوسفات بحدود ٣٠ مليون طن ونسبة ثلاثي فوسفات الكالسيوم فيها يقع بحدود ٥٤ . الى ٦٠٪ .

(١) World Survey of phosphate deposits Editor M.C. Mew London. 1980.



الشكل (٢) مناطق الفوسفات في القطرين التونسي والمغربي

(ب) جبل الكويف : يقدر الاحتياطي فيها بحوالي ١٥ مليون طن ونسبة ثلاثي فوسفات الكالسيوم حوالي من ٦٠ الى ٦٤٪ (قرب الحدود التونسية) .

(ج) جبل عنق : يقدر الاحتياطي بحوالي ٢٠٠ مليون طن (قرب الحدود التونسية) (١) .

(د) رواسب أم رابطة.

(ه) رواسب برج ريدير .

(و) رواسب الدير .

(ز) رواسب بلاد الهضبة.

يعتبر انتاج الجزائر من هذا المعدن قليل نسبياً بالمقارنة مع طرفي نطاق الفوسفات في كل من تونس والمغرب . كما يلاحظ من الجدول رقم (٤) ، ويؤمل أن يزداد الانتاج إلى حوالي ٣٦٥٠ ألف طن سنة ١٩٩٠.

الكميات المنتجة والمصدرة من خامات الفوسفات في الجزائر (ألف طن).

تصنع نسبة قليلة من الانتاج في ثلاثة مصانع تتركز في مدينة عنابة بطاقة انتاجية قدرها ٥٥٠ ألف طن وميزون كارية ووهران لانتاج سوبر فوسفات. حيث تبلغ مجموع طاقتها الانتاجية حوالي ١٢٤٠ ألف طن ،ومن المتوقع أن توقف الجزائر صادراتها في سنة ١٩٩٠ بالنظر إلى الاتجاه لتصنيع جميع الانتاج واستخراج حامض الفسفوريك.

رواسب الفوسفات في الجهة الغربية من نطاق الفوسفات (المغرب)

منذ أوائل القرن العشرين والابحاث الجيولوجية والتنقيبات مستمرة للكشف عن رواسب خامات الفوسفات في المغرب ففي سنة١٩٠٨ ظهرت أولى الدلائل عن وجود رواسب الفوسفات. الأن التحليلات المختبرية التي استمرت حوالي ثلاثة سنوات ١٩٠٨ ١٩١١ جاءت بنتائج ايجابية عن توفر رواسب الفوسفات بشكل اقتصادي وخاصة في منطقة أولاد عبدون ثم في منطقة البروج وتلتها أكتشافات جديدة لحقول خامات الفوسفات في سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٧ أكتشف الفوسفات عن طريق الصدفة في منطقة وادزم حيث كانت الغاية الحصول على الرمل واذا به فوسفات من النوع الرملي وكذلك أكتشف الفوسفات أيضاً في منطقة الكنطور وشيشاوة وايمنتانون وقد أنيطت في سنة ١٩٢٠ مسؤولية ادارة استخراج الفوسفات إلى مكتب الشريف للفوسفات .حيث أعدت الدراسات

(١) بحوث المؤتمر العربي الرابع للثروة المعدنية عمان ١٩٨١ .

الجدول رقم (٤) .

ل كميات المنتجة والمصدرة من خامات الفوسفات في الجزائر (الف طن) .

	١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٧٠	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٨	١٩٨٠	١٩٨٢	١٩٨٣
انتاج الفوسفات	٨٠	٣٦١	٤٩٢	٦٤٤	٧٢٣	٧٠٧	٩٩٧	١٠٣٠	٩٤٦	٨٦٧
الفوسفات المصدرة	٣٨	٢٥٢	٤٥٢	٢٨٥	٣٩٩	٢٨٣	٦٨١	٨٦٠	٧٠٤	٥٨٣
الاستهلاك	—	—	—	—	٣٥٧	٤٨١	٤٥٠	٢٥٠	٢٥٠	٢٨٣

والبحوث والاعمال الحقلية والمختبرية لاكتشاف حقول فوسفاتية جديدة.

ولقد كرس مكتب الشريف للفوسفات بعد سنة ١٩٥٦ (بعد الاستقلال) مجهودات مضاعفة للتنقيب عن الفوسفات واستقصاء جميع المعلومات وخاصة في حقول أولاد عبدون (الواقعة جنوب خوريبكة وكنطور جنوب شرق اليوسفية) حيث أهتدى في نهاية العقد الخامس من هذا القرن إلى أكتشاف نوع جديد من الفوسفات في منطقة وادزم في شكل فوسفات طيني يعطي بعد عمليتي الغسل والتجفيف أجود أصناف الفوسفات المعروضة تجارياً حيث يحتوي على أكثر من ٨٠٪ ثلاثي فوسفات الكالسيوم.

ونتيجة للبحوث والدراسات الجيولوجية الاخيرة فان احتياطي الفوسفات المدروس في والمغرب يبلغ حوالي ٢٥مليار طن. بينما يبلغ الاحتياطي الاجمالي العام لهذا المعدن بحدود ٥٧ مليار طن (١) الشكل. (٣).

١ — المميزات الطبيعية للفوسفات المغربي :—

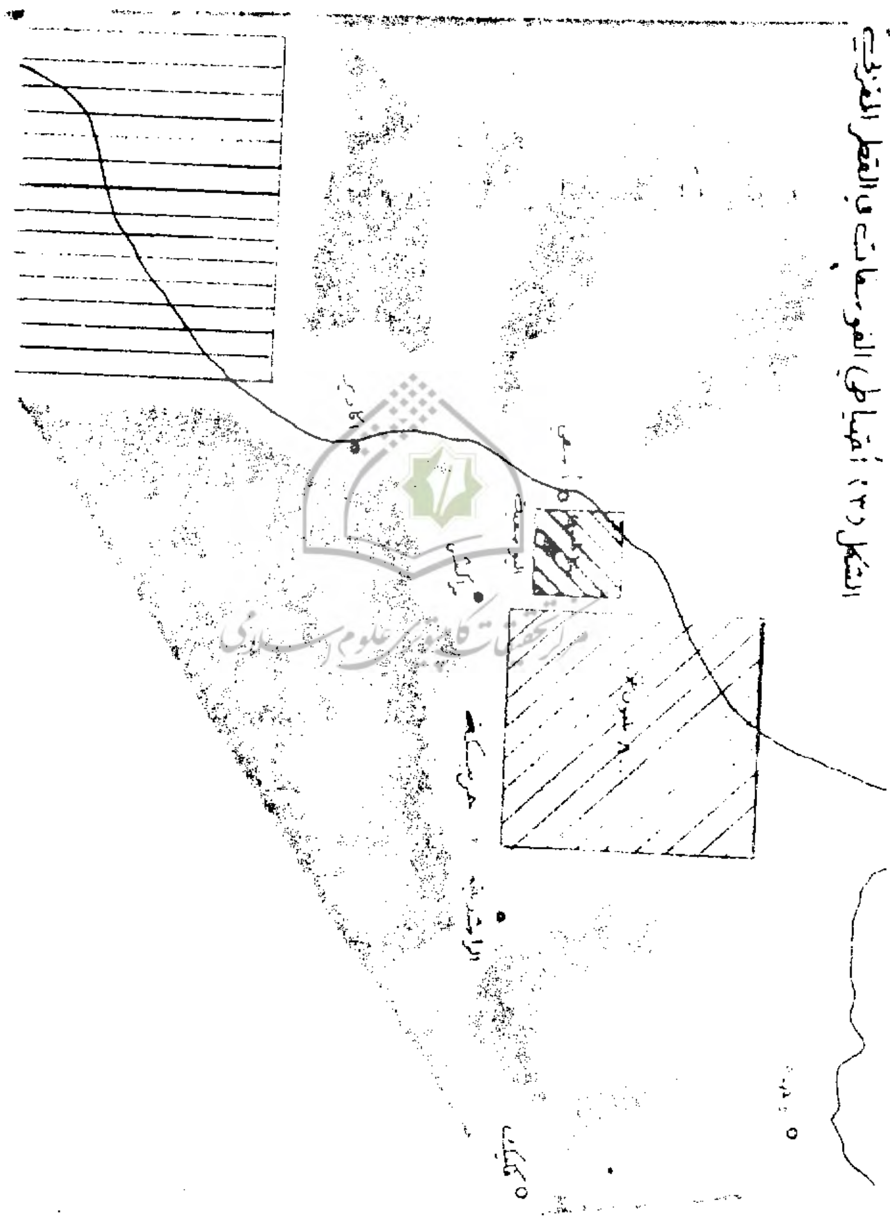
(١) الخصائص العامة لتكوين الفوسفات بالمغرب.

يتوفر في المغرب عدد من مناجم الفوسفات الكبرى التي تحتوي على الفوسفات الجيري بهيئة رمال دقيقة، ذات تركيز مرتفع داخل الطبقات الرسوبية العائدة لنهاية العصر الكريتاسي وبداية الايوسين. يبلغ معدل سمك الطبقات المنتجة حوالي ٢م وتظهر على هيئة طبقات أفقية او ذات ميل قليل (٢) مما يسهل عمليات الاستخراج الميكانيكية بكلتا الطريقتين المكشوفة والانفاق. تعود أعمار هذه الطبقات إلى عدة أزمنة جيولوجية تمتد من العصر الطباشيري الاعلى إلى عصر الايوسين الاوسط.

---

(١) مكتب الشريف للفوسفات — رواسب ودلالات الفوسفات في المغرب — المؤتمر العربي الثالث للمعادن — الرباط — ١٩٧٧.
ص ٦٧.
كذلك لاحظ بحوث المؤتمر العربي الرابع للثروة المعدنية — المجلد الثاني — الجزء الاول عمان ١٩٨١.

(٢) m J. Despois et. R. Raynol Geographie de L'Atrique du
(٣) Nord ouest payot paris 1975 P. 330.



الشكل (٣) أحواض الفوسفات والنفط الغربية

تضم رواسب الفوسفات هياكل الملايين من الاسماك والزواحف التي جرفتها تيارات بحرية شديدة وتم ارسابها في خلجان ضحلة أو بالقرب من الشواطيء حيث تراكمت فوقها رواسب أخرى جعلتها بعيدة عن عوامل التعرية والنقل لقد عثر في مناجم الفوسفات المغربية على بقايا أسنان سمك القرش مما يدل على أن البحر كان يدخل في أفريقيا على هيئة خلجان كبيرة وخاصة في منطقة (خريبكة واليوسفية وبوكراع) . لاحظ الشكل رقم(٤) .

تتطلب الصخور الفوسفاتية المعدنية في المناجم المغربية إلى عمليات متعددة للتنقية من الشوائب المرتبطة بظروف تكونه ولهذا يمر بالعملية الاولى الميكانيكية (الغربلة) لعزل الحجارة وأسنان القرش ثم يسخن ويغسل وأخيراً يجفف ومن ثم تحرق المواد العضوية المجففة للحصول على رواسب الفوسفات الطبيعي الصالح للتسويـق.

٢ — مكانة الفوسفات المغربي العالمية : — .

يقدر احتياطي الفوسفات في المغرب بحوالي ٢٥مليار طن (ويبلغ الاحتياطي الاجمالي ٥٧ مليار طن) وتحتل هذه الكمية حوالي ٢٠٪ من الاحتياطي العالمي المعروف (١) .

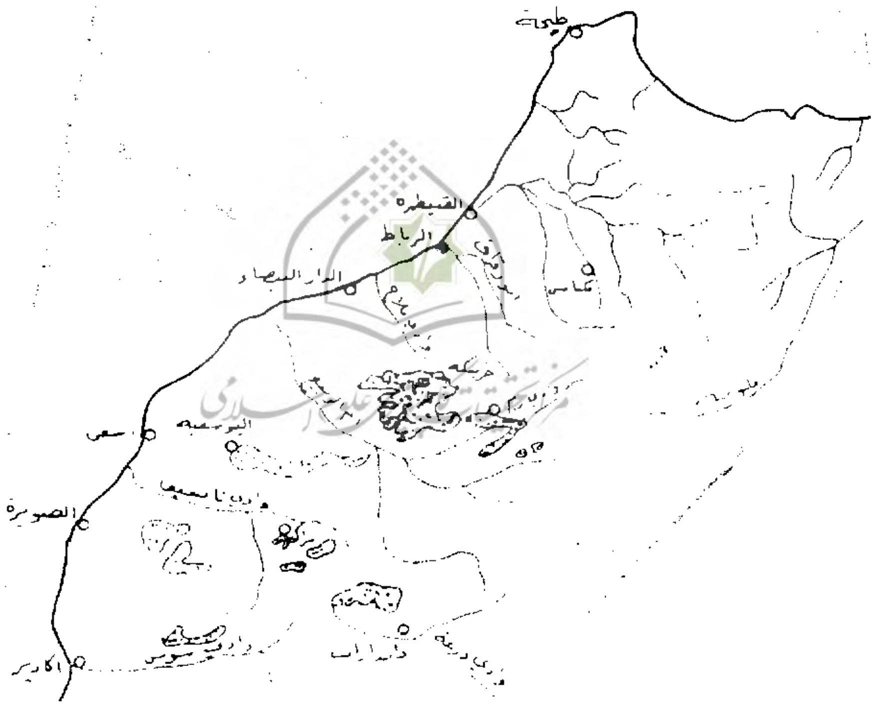
تم أكتشاف رواسب الفوسفات في المغرب في سنوات متقدمة تعود إلى سنة ١٩٠٨ إلا أن الاكتشافات الأخيرة التي جاءت بها تنقيبات العقد الخامس من هذا القرن. أثبتت وجود نوع خاص من الفوسفات يطلق عليه اسم «الفوسفات البودزوليزي» في مناجم أقليم« واديزم» ويتميز هذا النوع من الفوسفات بسهولة معاملته ورخص تكاليف المعاملة حيث أنه يغسل في المياه الجارية ثم يعرض إلى التهوية الانتقائية للتخلص من الطين وبهذه الطريقة يمكن الحصول على فوسفات طبيعي نقي يحتوي على ٨٠ — ٨٢٪ من ثلاثي فوسفات الكالسيوم. مما هو جدير بالذكر أن مثل هذه الرواسب لاتوجد في الطبيعة الا نادراً (في استراليا) فقد ظهر هذا النوع من الفوسفات المغربي في الأسواق العالمية سنة ١٩٦١ حيث وجد رغبة المستهلكين بالنظر لجودته وبهذا يكون منافساً كبيراً للفوسفات

---

(١) Moroc magasin phosphates: La moroc ia exportateur- et producteur du mond 1977.

كذلك لاحظ بحوث المؤتمر العربي الرابع للثروة المعدنية — المجلد الثاني — الجزء الأول عمان ١٩٨١ صفحة ٢٣٩ .

الشكل (٤) رواسب الفوسفات في القطر المغربي



الأمريكي الذي يحتوي على نسبة ٦٥ ــ ٧٨٪ من ثلاثي فوسفات الكالسيــوم

يأتي المغرب بالدرجة الثالثة من حيث انتاج الفوسفات (بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) الا أنه يستحوذ المركز الاول في الصادرات العالمية لهذا المعدن . كما يلاحظ في الجدول التالي رقم (٥) .

الجدول رقم (٥).

الاقطار الرئيسية المنتجة والمصدرة للفوسفات في العالم (ألف طن)

	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٧٨	١٩٨٠	١٩٨٢
العالم	٨١٦١٠	١٠٨٦٠٠	١٢٥٣٧٠	١٤٠٠٠٠	١٢١٨٤٦
الولايات المتحدة	٣٤١٤٣	٤٤٢٧٦	٥٠٠٣٧	—	—
الاتحاد السوفيتي	١٧٨٠٠	٢٤١٥٠	٢٤٨٠٠	—	—
المغرب	١١٤٢٤	١٤١١٩	١٩٢٧٣	١٨٨٢٤	١٧٧٥٣
صادرات المغرب من الفوسفات	١١٣١٤	١٣٠١٢	١٧٣٠٠	٧٦٤٥٧	١٣٩٧٦
صادرات الولايات المتحدة من الفوسفات	١٠٦٣٠	١٤١١٠	—	—	—
صادرات الاتحاد السوفيتي	٥٨٩٠	٥٤٠٠	—	—	—

التوزيع الجغرافي لمناجم الفوسفات في المغرب

ان اغلب الجيولوجين الذين قاموا بدراسة المنطقة ميدانياً افترضوا بأن فترة نهاية العصر الجيولوجي الكريتاسي والايوسين تمتد مسافات طويلة في المغرب حيث تظهر على شكل خط طولي باتجاه الرباط وتازة مشكلة حدوداً فاصلة بين مجالين متباينيين هما :

(أ) المجال الريفي في الشمال (جبال الريف)

(ب) مجال الميزيتا في الجنوب .

تنعدم الرواسب الفوسفاتية في المجال الاول أي الواقعة الى الشمال من الخط الطولي الممتد من الرباط ــ تازة ــ حيث لاتوجد في هذا المجال سوى رواسب قليلة اضافة الى انخفاض

نسبة المعدن بالخامات ، يعود السبب في ذلك الى ان الحركات التكتونية التي انتابت هذه المنطقة تجعلنا نفقد كل الامال في العثور على الحقول الغنية بالرواسب الفوسفاتية والى الجنوب من تلك الحدود الفاصلة ، نجد المجال الثاني زاخراً بالرواسب الفوسفاتية القيمة من حيث الكم ونسبة المعدن في الخامات وتتركز الرواسب الفوسفاتية في الحقول التالية :

١ ــ حقل أولاد عبدون .

تقع حقول أولاد عبدون بهضبة الفوسفات، أو هضبة ورديغة الواقعة بين الهضبة الوسطى في الشمال ووادي أم الربيع في الجنوب وسهل تادلة في الشرق وسهول الشاوية في الغرب . تعتبر حقول أولاد عبدون أكثر المناجم الغربية اتساعاً وأغناها بالرواسب الفوسفاتية ، حيث تقدر مساحتها بحوالي ٤٠٠٠ ، كيلو متر مربع (٨٠ كيلومتر طولا و ٥٠ كيلومتر عرضاً) . وتوجد حقول أولاد عبدون ثلاثة مناجم رئيسية هي :

١ ــ منجم خريبكة ــ وادي زم الذي يستغل في الوقت الحاضر منذ سنة ١٩٢١

٢ ــ منجم سيدي حجاج في الغرب وقد شرع في استغلاله منذ سنة ١٩٨٠ .

٣ ــ منجم سيدي شنان «البروج» الواقع في قصبة تادلة المحاذية للساحل الاطلسي الشمالي (١) .

اضافة الى مناجم مرزيق واولاد فارس والبروج وسيدي الضاوي وفرح الاحرش ، والحلاسة ووادي زم .

يقدر احتياطي المعدن المؤكد في هذا الحقل بحوالي ٦،٢٤ مليار طن بنسبة ٧٢ ــ ٧٥٪ من ثلاثي فوسفات الكالسيوم (١) .

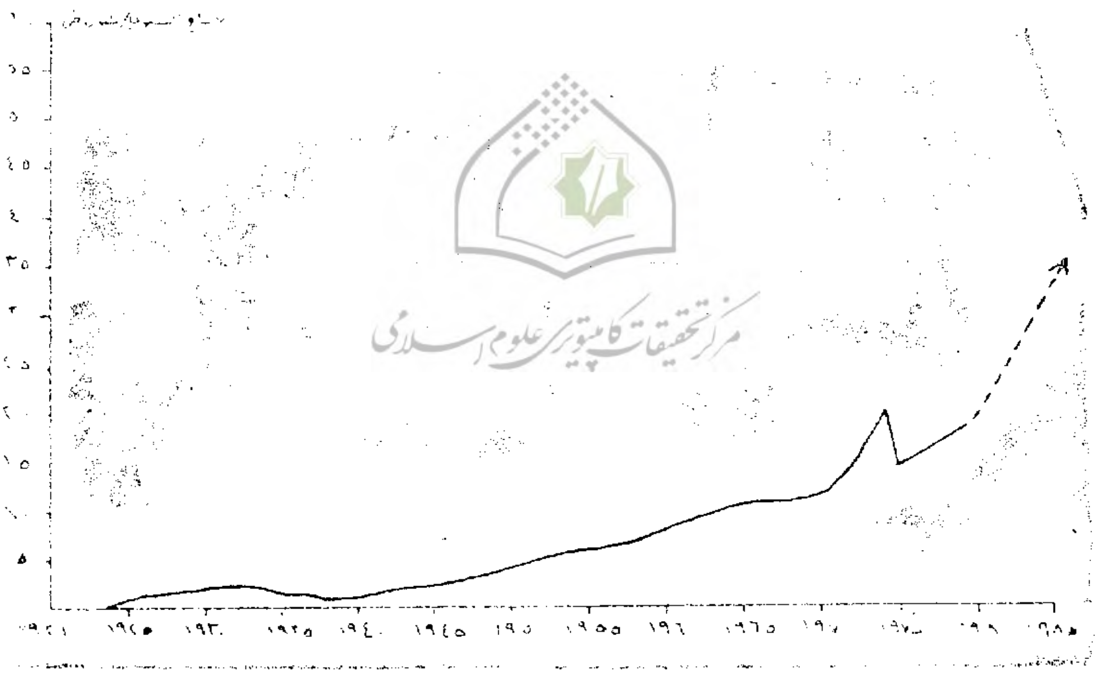
الخصائص المعدنية والكيماوية لحقول أولاد عبدون :

تتكون حقول أولاد عبدون من أربعة طبقات فوسفاتية رسوبية تعود الى نهاية العصر الكريتاسي وبداية الايوسيني وتفصل بين هذه الطبقات ، طبقات صلبة من الرخام أو الصخور الكلسية . يبلغ معدل الطبقات الفوسفاتية حوالي (٢ متر) وانحدار مقداره (١٪) باتجاه الجنوب الغربي مع وجود بعض التموجات الخفيفة .

---

(١) المكتب الشريف للفوسفات ــ الدار البيضاء ١٩٧٣ ص ١٥ ــ ١٦ .
كذلك لاحظ بحوث المؤتمر الرابع للثروة المعدنية ــ المصدر السابق .

الشكل (٥) تطور أساح الموسعات في القطر المغربي للفترة الواقعة
بين سنة ١٩٢١ - ١٩٨٠ مع توقعات المستقبل



توجد رواسب الفوسفات في هذه الحقول على شكل رمل ناعم متماسك يحتوي (١٤ — ١٦٪) من الماء ، يميل لونه الى الاصفر المحمر أو الاخضر الا أن لونه يميل الى البياض بعد التجفيف يحتوي المعدن بعد تجفيفه على ٧٥٪ من ثلاثي فوسفات الكالسيوم و ٥ ,٨٪ من كاربونات الكالسيوم و ٣٪ من سلفات الجير ٥ — ٦٪ من فلور الكالسيوم و ٢٪ من المواد السليسنية ومواد أخرى (١) .

توجد بعض الطبقات الفوسفاتية التي تحتوي على نسبة تتراوح بين ٤٠ ، ٧٠٪ من ثلاثي فوسفات الكالسيوم كما هو الشأن في الطبقة الثانية التي شرع باستغلالها منذ نهاية سنة ١٩٧٠ . كان الانتاج يقتصر حتى بداية ١٩٧٠ على الطبقة الاولى فقط التي تتراوح عمقها بين صفر الى ٤٠ متراً من السطح (٢) ويبلغ معدل سمك حقل أولاد عبدون بحدود عشرة أمتار .

استغلال حقول أولاد عبدون : —

شرع في استغلال الفوسفات بمنجم خريبكة منذ سنة ١٩٢١ ولحد الان حيث يستخرج المعدن بطريقة الانفاق . تستعمل المطارق الهوائية لفصل المعدن من جدران الانفاق التي تدعم سقوفها بركائزخشبية أو حديدية ينقل المعدن على متن أبسطة متحركة من الانفاق الى السطح لنقله الى محطات الغربلة والغسيل والتجفيف .

يستغل المعدن أيضاً بطريقة الحفر المفتوحة كما هو الحال في منجم سيدي الضاوي الذي يقع على بعد ٣٠ كيلو متر من خريبكة بالقرب من واد زم . الذي شرع باستغلاله منذ سنة ١٩٥١ . حيث الظروف الخاصة بسمك الطبقات الفوسفاتية (٤ — ٨م) تساعد على اتباع هذه الطريقة السهلة .

مصانع المعالجة : —

تتركز في منطقة خريبكة مصانع لمعالجة الفوسفات قبل نقله الى ميناء التصدير (الدار البيضاء) فهناك مصنعان للتجفيف (مصنع خريبكة .ومصنع بني أيدير) بطاقة علاجية مقدارها ١٢ مليون طن سنوياً . ومصنعان للفسل والتكليس بطاقة قدرها ٨٠٠ الف طن سنوياً (٣) .

---

(١) Andre Et. le Gaz Op. Cit., P. 25.

(٢) د. فتح الله والعلو السياسة الفوسفاتية المغربية ومحاولات التكييف مع تبدلات الطلب الدولي . جريدة المحرر العدد ٦٠٣ تاريخ ٢٠/٣/١٩٧٦م .

(٣) المكتب الشريف للفوسفات — المصدر السابق .

حقل الكنطور (الفندور)

يمتد حقل الكنطور على مسافة تقدر بحوالي ١٢٠ كيلو متر من الغرب إلى الشرق وما بين ٢٠ ـ ٣٥ كم من الشمال إلى الجنوب، اذ يتبع الجزء الشمالي الغربي منها مجرى وادي بوشان، وتحدها من الشمال والجنوب كتل قديمة هي هضبة الرحامنة في الشمال والجبيلات في الجنوب بينما تحده من الغرب تلال امويسات بينما تمتد شرقاً حتى ضفاف وادي، تاساوت .

توجد في حقل الكنطور مناجم متعددة من أهمها :

١ ــ منجم اليوسفية الذي شرع في استغلاله منذ سنة ١٩٣٢.

٢ ــ منجم إبن كرير الذي شرع في استغلاله منذ سنة ١٩٧٧.

٣ ــ منجم جنان الخيل الوطا.

٤ ــ منجم نزلة الحرارشة.

٥ ــ منجم تاساوت.

يقدر احتياطي الفوسفات المؤكد في هذا الحقل بحدود ٨٤ ـ ٦ مليار طن وتتراوح نسبة ثلاثي فوسفات الكالسيوم بحدود ٧٠ ــ ٧٥٪ (١)

تكونت رواسب الفوسفات في هذا الحقل من خليج طويل وعميق كان يمتد حتى مناجم هضبة الفوسفات وحوض تادلة والطيات المقعرة بجبال الاطلس المتوسط. يبلغ عمق الطبقات الفوسفاتية في هذا الحقل حوالي ١١٨٠ متراً كما هو الحال في منطقة اليوسفية الا أن سمكها يتناقص تدريجياً نحو الشرق حتى يصل في منطقة خريبكة السابقة إلى حوالي ٤٥ متراً .

١ ــ منجم اليوسفية : ــ

يعتبر منجم اليوسفية من أهم المناجم في حقل الكنطور يقع على مسافة ٧٠ كيلومتراً . من ميناء أسفي ، رواسب هذا المنجم الفوسفاتية يرجع تاريخها الى عصر الايوسين الأسفل تبلغ نسبة تركيز ثلاثي فوسفات الكالسيوم بحوالي ٧٠ ٪ .

شرع لاول مرة باستغلاله سنة ١٩٣٢ للتقليل من الضغط على منجم خريبكة اضافة الى تلبية طلبات الاسواق العالمية لنوع من الفوسفات متوسط الجودة ونوع من الفوسفات الاسود الحاوي على نسبة مرتفعة من الكاربون العضوي والمواد العضوية ويستخرج

---

(١) A. Char connet Op. cit., P. 115.

كذلك لاحظ بحوث المؤتمر العربي الرابع للثروة المعدنية ــ المصدر السابق .

الفوسفات من منجم اليوسفية بطريقة الانفاق والحفر المفتوحة وينقل المعدن الى مصانع المعالجة بواسطة السكك الحديد الى ميناء التصدير في اسفي او الى مصنع المركب الكيمياوي الواقع في نفس المدينة بغية تصنيع المعدن لانتاج الاسمدة الفوسفاتية وحامض الفسفوريك.

٢ - منجم ابن كرير (بن جرير)

يعتبر منجم ابن كرير من المناجم المهمة في حقل الكنطور لوقوعه على بعد متوسط بين الدار البيضاء (٢٠٠ كم) و ١٦٠ كيلومتر عن مدينة أسفي. تمتد رواسب الفوسفات في هذا المنجم على مساحة قدرها ١٢ كم٢ وشرع بالانتاج لاول مرة سنة ١٩٧٧. حيث يصدر انتاجه من الميناء الجديد في الجوف الاصفر قرب الميناء الجديدة. اضافة الى انه يقوم بتغذية مصنع المجمع البتروكيمياوي المنشأ قرب ميناء التصدير.

٣ - حقل بوكراع (وادي الذهب).

اكتشف هذا الحقل سنة ١٩٥٠ في منطقة بوكراع التي تبعد حوالي ١٠٠، كم. جنوب شرق ميناء العيون. يحتل هذا الحقل مساحة واسعة من الصحراء، المغربية تبتدىء من منطقة الدشيرة جنوب شرق العيون وتمتد نحو الجنوب على شكل شريط أرضي ضيق عرضه حوالي ٣كم الى باروناغا الواقعة في الشمال الشرقي من نمواديبو، يشتمل حقل بوكراع عدة مناجم للفوسفات هي :

(أ) ايترك

(ب) ولابعد يليا

(ج) وايسليفن

(د) بوكراع

وهو المنجم الرئيسي في هذا الحقل ويعتبر أهم مناجم الصحراء الغربية من ناحية تركز فوسفات الكالسيوم. ويقدر احتياطي هذا المنجم من معدن الفوسفات بحوالي ١٦٠٠مليون طن. ويقدر احتياطي مجموع مناجم الصحراء الغربية بحدود ٨ مليار طن (١). وتتراوح نسبة ثلاثي فوسفات الكالسيوم بحدود ٦٠ - ٧٢ ٪.

تتميز الطبقات الفوسفاتية في هذا الحقل بميلانها نحو شاطىء المحيط الاطلسي وتعود نشأة هذه الرواسب الى عصر الكريتاسي الاعلى والايوسن الاسفل حيث أنها تعود لنفس

(1) Moroc magadin Op. cit., P.4.

الفترة الجيولوجية التي نشأت فيها الرواسب الفوسفاتية في حقول أولاد عبدون والكنطور ومسكالة .

الاستغلال : —

تستغل رواسب الفوسفات في هذا الحقل شركة مغربية أسبانية مختلطة وقد حصل المغرب على ٦٥٪ من شركة فوس بوكراع بعد توقيع الاتفاق الثلاثي بين المغرب وموريتانيا وأسبانيا في ١٤ تشرين الثاني من سنة ١٩٧٥ .

شرع باستغلال منجم بوكراع منذ سنة ١٩٦٠ حيث يستخرج الفوسفات بطريقة الحفر المفتوحة حيث ينقل المعدن بواسطة الاحزمة المتحركة الى مصانع الغسل والتجفيف الواقعة في ميناء التصدير (١) . يبلغ معدل سمك الطبقات الفوسفاتية في حقل بوكراع حوالي ٣،٧٤ م ويمتد لمسافة ٨٤ كيلومترا طولا وبعرض ٢،٥ — ٣ كيلومتر . تتميز الرواسب الفوسفاتية لهذا الحقل باللون الأبيض الناصع ويحتوي على بقايا اسماك ضئيلة وطين ورخام وان نسبة ثلاثي فوسفات الكالسيوم في الخام تصل الى حوالي ٧٢٪ .

٤ — حقل مسكالة : —

يظهر على شكل مثلث تكون قمته مدن الصويرة وشيشاوة وايمنتانون وتبعد النقطة الغربية منه بحوالي ٢٥ كيلومترا عن مدينة الصويرة .
يتكون حقل مسكالة من ثلاث مجموعات هي :

(أ) مجموعة أولاد سبع .

(ب) مجموعة أنفيغا .

(جـ) مجموعة وادي أكدونزار .

بدأت التنقيبات والانتاج في هذا الحقل منذ عام ١٩٢٠ غير ان الاحتياطي المؤكد فيه لازال قيد الدراسة وتبلغ نسبة ثلاثي فوسفات الكالسيوم في الخام بحدود ٧٢٪ .

٥ — وهناك حقول جديدة لازالت تحت الدراسة واحتياطيها غير محسوب بعد مثل حقل بني ملال وحقل اكادير .

(١) فتح الله والعلو ، المصدر السابق .

انتاج المغرب من الفوسفات

ازداد الانتــاج العالمي للفوسفات بشكل واضح خلال السبعين سنة الماضية فقد ارتفع الانتاج من ٦,٥ مليون طن سنة ١٩١٣ الى حوالي ١٢ مليون طن سنة ١٩٣٩ والى حوالي ٣٢ مليون طن سنة ١٩٥٨ والى ٧٥,٥ مليون طن سنة ١٩٦٧ . والى حوالي ١٤٠ مليـون طن سنة ١٩٨٠ والى حوالي ١٢١,٩ مليون طن سنة ١٩٨٢ (١) .

لقدساير الانتاج المغربي هذا التطور اذ ازداد الانتاج بشكل طفيف في العشرين سنـة الاولى من الانتاج . حيث ازداد الانتاج من حوالي ٣٣ ألف طن سنة ١٩٢١ (بداية الانتاج من حقل خريبكة) الى حوالي مليون طن سنة ١٩٣٠ . بعد الشروع باستغلال منجم اليوسفية الا ان الطفرات السريعة بالانتاج ظهرت بعد سنة ١٩٤٦ . حيث بلغ الانتاج في هذا العام حوالي ٢,٢٨ مليون طن ووصل الانتاج سنة ١٩٦٥ . الى حوالي ١٠,١٢ مليون طن الا أن الانتاج بدأ بالانخفاض قليلا خلال الفترة الممتدة من ١٩٦٦ الى سنة ١٩٧١ . بالنظر لهبوط الطلب العالمي وانخفاض الاسعار ومنافسة الفوسفات الامريكي (حيث كان سعر الفوسفات المغربي ١٤ دولار للطن . بينما كان سعر الفوسفات الامريكي في الاسواق حوالي ٦,١٥ دولار للطن في سنة ١٩٧١) .الا أن الانتاج عاد الى الارتفاع بعد سنة ١٩٧١ حيث وصل الى حوالي ١٥ مليون طن سنة ١٩٧٢ . والى ١٧ ميون طن سنة ١٩٧٣ . وفي سنة ١٩٧٤ وصل الانتــاج الى حوالي ١٩,٧٥ مليون طن . أما في سنة ١٩٧٩ فقد بلـــغ حوالي ٢٠,٣٢٠ مليون طن ، لذا فتعتبر سنة ١٩٧٩ الرائدة في الانتاج منذ بداية الاستقلال حتى الآن ، حيث انخفض الانتاج بعد ذلك نسبيا (كما يظهر جليا في الجدول التالي رقم ٦) وترجع هذه الزيادة الى انقلاب حالة السوق المتطلبة لصالح الفوسفات المغرب العربي حيث أصبح الطلب مرنا وذلك نتيجة للظروف المناخيـة السيئـة التي أدت الى. انخفـاض الانتاج الزراعي في الاتحاد السوفيتي واوربا وانخفاض كمية المخزون الغذائـي فـ ـي الولايات المتحدة اضافة الى ارتفاع اسعار البترول منذ سنة ١٩٧٣ اضافة الى ارتفاع السعر العالمي للفوسفات مما شجع المغرب على زيادة الانتاج والوصول الى الرقم القياسي. يعـزى انخفاض الانتاج سنة ١٩٧٥ . كما يلاحظ من الجدول السابق ، الى حوالي ١٤ مليـون طن بالنظر الى انخفاض الطلب العالمي وانخفاض السعر العالمي للفوسفات مما حدى ، بالحكومة المغربية الى اتباع سياسة تسهيلات تسويق الفوسفات في الاقطار الافريقية ولهذا

(١) U.N. Statistical year book 1982-1983

الجدول رقم (٦) تطور انتاج الفوسفات في المغرب (الف طن).

السنة	الا نتاج	الصادرات	الاستهلاك المحلي	مجموع البيع
١٩٦٠	٧٤٧٤	٧٥٨٣	٧١	٧٦٥٤
١٩٦٥	٨٨٢٥	٩٥٥٣	٢٣٥	٩٧٨٧
١٩٧٠	١١٤١٥	١١٢٥٤	٣٦٧	١١٦٢١
١٩٧١	١٢١٥٠	١١٩٢٢	٥٥٦	١٢٤٧٨
١٩٧٢	١٣٩٠٠	١٣٦٠٠	٦٠٢	١٤٢٠٢
١٩٧٣	١٧٠٠٠	١٦١٠٠	٦٧١	١٦٧٧١
١٩٧٤	١٩٧٠٠	١٨٧٠٠	٦١٨	١٩٣١٨
١٩٧٥	١٣٥٠٠	١٣٠٠٠	٥٠٨	١٣٥٠٨
١٩٧٦	١٦٧٠٠	١٤٧٠٠	٧٩٠	١٥٤٩٠
١٩٧٧	١٧٦٠٠	١٥٨٠٠	١٥٨٧	١٧٣٨٧
١٩٧٨	١٩٠٠٠	١٧٣٠٠	١٨٤٧	١٩١٤٧
١٩٧٩	٢٠٣٢٠	١٧٩٠٠	—	—
١٩٨٠	١٨٨٢٤	١٦٤٦٠	٢٤٠٨	—
١٩٨١	١٩٦٩٦	١٥٦٣٥	٣٥٠٤	١٩١٤٠
١٩٨٢	١٧٧٥٣	١٣٩٧٦	٣٧٢٨	١٧٧٠٠
١٩٨٣	٢٠١٠٦	١٤٦٥٢	٥٣٢٨	١٩٩٨٠

فقد أنشىء مايسمى بصندوق القرض الفوسفاتي Phosphate Credit (لاحظ الشكل رقم ٥) . اذ ان التراجع النسبي في صادرات المغرب والوطن العربي من الفوسفات والزيادة المطردة في الاستهلاك العربي للفوسفات كان نتيجة للتدني المستمر في اسعار الفوسفات الدولية الذي ادى الى تطور حركة التصنيع العربية المختلفة لخامات الفوسفات (١) .

(١) عبدالقادر الطلبي الكبريت ومستقبل خامات الفوسفات مجلة التعدين العربي ١٩٨٤.

التوقعات المستقبلية في انتاج الفوسفات : —

لقد حدد مكتب الشريف للفوسفات الانتاج وتوقعاته المستقبلية اعتماداً على التغيرات العالمية في أسعار الفوسفات وتطور الاستهلاك العالمي للفوسفات الذي يتزايد بنسبة تقدر بين ٧ — ٨٪ في السنة نتيجة للنمو الديوغرافي السريع في مناطق كثيرة في العالم مما جعل الحاجة للغذاء تتزايد باستمرار الامر الذي يدعو إلى زيادة الانتاجية الزراعية التي لاتتم الا عن طريق استخدام الاسمدة الفوسفاتية وبخاصة بعد سنة ١٩٧٤. فقد إرتفع الانتاج من ١٥ مليون طن سنة ١٩٧٢ إلى حوالي ٧٥— ١٩مليون طن سنة ١٩٧٤ وإلى حوالي ١ — ٢٠ مليون طن في سنة ١٩٨٣ للميلاد وإلى حوالي ٣٥ مليون طن سنة ١٩٨٥ وإلى حوالي ٩ — ٤٢ مليون طن سنة ١٩٩٠ ولذا قدر المكتب زيادة طاقة الاستغلال بمنجمين قديمين هما خريبكة واليوسفية. اضافة إلى استغلال منجم إبن كرير وسيدي حجاج. ومقلة اذ سيتم زيادة انتاج حقل خريبكة بحوالي ٨ — ٣ مليون طن وحقل اليوسفيةبحوالي ٤ملايين طن — سنة وحقل مقلة بطاقة انتاجية قدرها ثلاثة ملايين طن وترتفع تدريجياً إلى ٢٠ مليون طن سنة ١٩٩٠ . اضافة إلى ادخـال التغيرات التكنولوجية في معمل الكلسنة بخريبكة وانجاز فرن ثامن للتجفيف في اليوسفية وادخال التحسينات على معمل الغسل في كركور الربح لمعالجة الفوسفات المستخرجة من الطبقة الفوسفاتية الثانية. (لاحظ الشكل رقم ٤) . ومما لاريب فيه أن متطلبات الامة العربية وظروفها التاريخية وأوضاعها الراهنة توجب عليها أن تجتاز هوة التخلف الحالية وأن تواجه ما يجابهها من تحديات عالمية تمكنها من مواجهة التحديات العالمية والعسكرية ومن تحقيق الاستغلال الامثل لمواردها الاقتصادية واظهار قدراتها على المساومة في عالم يتميز بانتشار الكيانات الاقتصادية العظمى بالاضافة إلى أهمية التكامل الاقتصادي. وبناء على ذلك ينبغي بذل أقصى الجهود للكشف والتنقيب عن خامات الفوسفات للتعرف الكامل على ماتحتويه أرض كل قطر عربي من تلك الخامات الامر الذي يتيح الاستغلال الامثل والتصنيع المتكامل لهذه الرواسب مما يحقق الاهداف الانمائية في كل قطر من اقطـــار الوطن العربي وهذا الامر الذي سيؤدي إلى اقامة اقتصاد فوسفاتي عربي متكامل يحقق تطلعات الامة العربية للحاق بركب التقدم الحضاري العالمي مما يتيح لها الصمود في وجه التحديات السياسية والعسكرية بما يتناسب مع الوضع الحضاري والتاريخ العربي العريق (١). •

---

(١) ابراهيم كامل : تنمية واستغلال الفوسفات «من بحوث المؤتمر العربي الثالث الرباط — ١٩٧٧» .

تصدير الفوسفات المغربي : —

تحتل الفوسفات مكانة ممتازة بين الصادرات المعدنية المغربية فقد بلغت نسبة الفوسفات المصدرة حوالي ٨٣ ٪ من الصادرات المعدنية لسنة ١٩٧٠ وحوالي ٦٩٪ من القيمة الاجمالية للانتاج المعدني (١) . ان أغلب الفوسفات المستخرج في المغرب يعرض للتصدير حيث لاتصنع في داخل القطر الا نسبة قليلة جدا من الانتاج لاتزيد على (٩٪) فقط ، لقد صادر مثلا سنة ١٩٧٤ م . حوالي ١٨,٦ مليون طن من أصل اجمالي الانتاج البالغ ١٩,٧ مليون طن حيث لم يدخل من ذلك الانتاج في التصنيع القطري سوى ٦١٧٦٦٧ طن وقد ارتفع الاستهلاك المحلي الى حوالي ٥,٣ مليون طن في سنة ١٩٨٣ (الجدول رقم ٦) . وبـذلك يكون القطر المغربي أول دولة مصدرة للفوسفات في العالم بالنظر للعوامل المتعددة التي يتحلى بها الفوسفات المغربي ، كمية وانتاجا من مثل ضخامة الاحتياطي وجودته العالمية وسهولة الاستخراج والنقل اضافة الى قربه من الاسواق العالمية وخاصة السوق الاوربية الواسع ، ولذا فانه يأتي في اولوية الاقطار العربية انتاجاً للفوسفات ٥٩٪ وتصديراً ٦٨٪ واستهلاكاً ٤٤٪ وبالرغم من تراجع الانتاج والتصدير غير ان المغرب لازال يحتل الصدارة من حيث الصادرات الدولية ٣٠ . والمرتبة الثالثة من حيث الانتاج العالمي ١٥٪ (٢) .

تطور الصادرات الفوسفاتية المغربية وتذبذباتها : —

كانت الصادرات الفوسفاتية المغربية في بداية عهدها لاتزيد على عدة عشرات من آلاف الاطنان الا أنها ازدادت الى حوالي مليون طن سنة ١٩٢٨ . مصدرة الى أقطار اجنبية تأتي في مقدمتها فرنسا والمانيا والولايات المتحدة واستمرت الصادرات المغربية في الزيادة حتى وصلت سنة ١٩٣٠ الى حوالي ١,٧٧٩ مليون طن الا ان الازمة الاقتصادية العالمية سنة ١٩٣١ أدت الى هبوط الصادرات المغربية من الفوسفات الى حوالي ٩٠٠ألف طن فقط ، وبعد سنة ١٩٣٣ ، ازدادت الصادرات بشكل ملحوظ نتيجة لاشتراك منجم اليوسفية في الانتاج المغربي حيث ارتفع الصادر من الفوسفات الى حوالي ١,٥ مليون طن سنة ١٩٣٧ . الا أن نشوب الحرب العالمية الثانية أدى الى هبوط الصادرات المغربية من

(١) مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ١٩٧٣ – ١٩٧٧ – مديرية التخطيط والتنمية الاقليمية — الجزء الثاني — الرباط ص ٤٤٤ .

(٢) عبدالقادر العلمي الكبريت ومستقبل تصنيع خامات الفوسفات في الوطن العربي مجلة التعدين العربية م٣ العدد ٣ سنة ١٩٨٤ .

الفوسفات الى حوالي ٤٢٦ ألف طن سنة ١٩٤٢ غير أن الصادرات ارتفعت مرة اخرى بعد سنة ١٩٤٥ حيث بلغت سنة ١٩٥٥ حوالي ٥ملايين طن من الفوسفات وارتفعت في سنة ١٩٥٨ الى حوالي ٦,٣٣٢ مليون طن . وفي سنة ١٩٦٠ الى حوالي ٧,٦ مليون طن . وفي سنة ١٩٦٥ حوالي ٩,٧ مليون طن . وقد ارتفع الصادر من الفوسفات المغربي بشكل استثنائي سنة ١٩٧٤ . حيث وصلت الصادرات الى حوالي ١٨,٦ مليون طن . غير ان الصادرات انخفضت مرة أخرى فقد بلغت سنة ١٩٧٥ حوالي ١٣,١ مليون طن اضافة الى أن المنافسة الاستعمارية في الأسواق العالمية مما أدى الى انخفاض سعر الفوسفات في السوق العالمي حيث انخفضت قيمة الصادرات المغربية بنسبة ٥٠ بالمائة تقريبا : اذ انخفض سعر الطن الواحد من ٢٨٠ درهم الى حوالي ١٥٠ درهم (١) وبلغت الصادرات في سنة ١٩٨٣ حوالي مليون طن . (لاحظ الجدول رقم ٦) وبما إن استهلاك المغرب والوطن العربي من الفوسفات لايزيد عن ١٠, مليون طن في سنة ١٩٨٣ فان مقارنة هذا الاستهلاك مع الانتاج السنوي في المغرب أو في نطاق الفوسفات المغربي الذي بلغ سنة سنة ١٩٨٣ حوالي ٢٧ مليون طن بالاضافة الى أن الامكانيات المتوفرة لتنمية هذا المعدن توضح بأن المخرج لهذا الانتاج هو التوجه الى الاسواق العربية والخارجية مع مراعاة الامثل والافضل من ذلك (لاحظ الجدول رقم ٧) وأضحى حريا اتباع سياسة تركيز

الجدول رقم (٧) استهلاك الفوسفات في الوطن العربي والعالم (الف طن)

القطر	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣
المغرب	١٨٤٧	٢٢٣٤	٢٤٥٨	٣٥٠٤	٣٧٢٨	٣٥٢٨
الجزائر	٣٦٠	٢٧٣	٢٢٦	١٤٤	٢٤٥	٢٨٣
تونس	١٨٦١	٢٢٢٠	٣٠٧٨	٣١٥٨	٣٣١٢	٣٩٤٣
الوطن العربي	٤٥١١	٥٠٩٠	٦٣٠٣	٧٣٨٧	٨٦٧٧	١٠٣٤٩
العالم	١٢٢٩٩٤	١٣٠١١١	١٣٨٤٧٨	١٢٨٠٠٩	٢١٩٠٤	
نسبة الاستهلاك العربي	٦و٣٪	٩و٣٪	٦و٤٪	٨و٥٪	١و٧٪	

(١) حبيب المالكي : مظاهر الوضعية الاقتصادية الراهنة بالمغرب جريدة المحرر — ١٤ تشرين الثاني ١٩٧٦م .

وتصنيع خامات الفوسفات وذلك عن طريق اقامة المصانع اللازمة لانتاج حامض الفسفوريك وحامض الكبريتيك والسوبر فوسفات وفوسفات الكالسيوم ، وخير مثال هو ماقامت حكومة الثورة في العراق في مجمع عكاشات . فتوجد رواسب الفوسفات في القطر العراقي بمنطقة عكاشات الواقعة قرب الحدود العراقية الاردنية ، تقع رواسب الفوسفات في الجانب الشمالي من منخفض الكعارة على بعد مائة كيلومتر الى الغرب والجنوب الغربي من مدينة القائم الحدودية ، وتوجد في ثلاث تكوينات هي :

١ – تكوين الطيارات

٢ – تكوين ام رخمة

٣ – تكوين دامام

اكتشفت رواسب الفوسفات سنة ١٩٦٥ ضمن طبقات عصر الباليوسين وتتكون الرواسب من طبقتين متميزتين يبلغ سمكهما على التوالي ٥،٧ متراً وتبلغ نسبة خامس اوكسيد الفسفور فيها بنسبة ٢٣،٥ ٪ للاول و ١٧،٥ ٪ للطبقة الثانية (تعادل هذه النسب نسبة تتراوح بين ٦٥ – ٧٥ ٪ من ثلاثي فوسفات الكالسيوم) ، يقدر الاحتياطي المضمون بحوالي ٤٣٢مليون طن .

لقد دخل تعدين الفوسفات في هذا الحقل بالانتاج سنة ١٩٨٢ ، تستعمل طريقة التعدين المكشوف وتنقل الخامات بواسطة السيارات وسكك الحديد الى موقع المعالجة والتصنيع الواقعة في مدينة القائم على بعد ١٥٠ كيلومتراً من المنجم حيث يكسر ويكلس ويرش ويطحن وسيتم انتاج ٣،٤ مليون طن سنوياً من الفوسفات تصنع جميعها في المجمع الكيمياوي بالقائم والذي يضم الوحدات التالية :

١ – ثلاث وحدات لانتاج حامض الكبريتيك بطاقة ١،٥ مليون طن في السنة .

٢ – وحدتين لانتاج الاسمدة الفوسفاتية المركزة بطاقة ٦٠٠ الف طن في السنة .

٣ – خطين لانتاج حامض الفسفوريك بطاقة ٢٠٠ الف طن للواحد .

٤ – وحدة الاسمدة المركبة بطاقة انتاجية مقدارها ٢٠٠ الف طن في السنة .

٥ – وحدة فوسفات الامونيوم الاحادية بطاقة ٢٥٠ الف طن .

٦ – وحدتين لاملاح الفلورين لانتاج ٦،١ الف طن في السنة .

يتطلب المشروع الى حوالي خمسين الف متر مكعب من المياه يومياً .

موانيء التصدير : —

يصدر أغلب الفوسفات المستخرج في المغرب من ميناء الدار البيضاء حيث تبلغ الطاقة الخزنية في هذا الميناء حوالي ٤٠٠ ألف طن موزعة على الاصناف الاربعة الرئيسية للفوسفات وهي ٧٢ — ٧٥ — ٧٧٪ و٨٠ — ٨٢٪ ، والفوسفات المكاس . ويتم شحن المعدن المصدر من هذه الخزانات أو شحنه مباشرة من القاطرات الواردة من الحقول يعتبر ميناء الدار البيضاء من الموانيء العصرية لما يحتويه من جهاز حديث آلي كهربائي تتم من خلاله عمليات الخزن والافراغ والشحن وتصل طاقة الشحن في سنة ١٩٨٥ إلى حوالي ٢٥ مليون طن سنوياً .

أما ميناء أسفي فانه يأتي بالدرجة الثانية اذ يخدم هـذا الميناء حقول الفوسفات في اليوسفية من فئة ١٠ إلى ٧٢٪ ومن ٧٣ إلى ٧٥٪ . اضافة الى أن هذا الميناء يخدم واردات وصادرات معمل الاسمدة الكيماوية في أسفي ومعمل الفسفور الاول والثاني في هذه المدينة أيضاً . وبالنظر لتطور عمليات الانتاج المنجمي في اليوسفية وفي معمل الاسمدة الكيماوية والفسفور فقط خطط للوصول إلى طاقة شحنية تقدر بحوالي ١٠ ملايين طن في السنة سنة ١٩٨٥ . (١) ، اضافة إلى هذين الميناءين فهناك ميناء ثالث من المؤمل الانتهاء منه قريباً في منطقة الجرف الاصفر الواقع قرب مدينة الجديدة .

الاقطار المستوردة للفوسفات المغربي : —

يصدر الفوسفات المغربي إلى أكثر من ٣٥ قطراً موزعة في قارة أوربا (بحدود ١٥,٧ مليون طن) وقارة آسيا (١,٥ مليون طن) وأمريكا اللاتينية (١,٢ مليون طن) وجزر المحيط الهندي حوالي ٥٢.٢ ألف طن (١) . أما الزبناء الرئيسيون للاستيراد فهي فرنسا التي تعتبر المستورد الاول للفوسفات المغربي اذ تقدر نسبة الصادرات المغربية إلى فرنسا بحوالي ١٣٪ من مجموع صادرات الفوسفات (٣) ثم تأتي اسبانيا وبلجيكا وبولندا بالدرجة الثانية والثالثة والرابعة على التوالي حيث تقدر مجموع صادرات الفوسفات المغربي إلى هذه الدول الخمس بحوالي ٦٠٪ من مجموع الصادرات .

---

(١) المكتب الشريف للفوسفات — المصدر السابق ص ١٩— ٢١ .

(٢) الدكتور فتح الله والعلو — السياسة الفوسفاتية المغربية ومحاولات التكيف مع تبدلات الطالب الدولي — جريدة المحرر العدد ٦٠٣ بتاريخ ٢٠ نيسان سنة ١٩٧٦ .

(٣) المؤتمر العربي الرابع للثروة المعدنية — الجزء الأول عمان ١٩٨١ .

اسعار الفوسفات : ـــ

١ ـــ جمود اسعار الفوسفات المغربي منذ سنة ١٩٥٢ وحتى ارتفاعها في سنة ١٩٧٤ لقد كانت أسعار الفوسفات المغربي من سنة ١٩٥٢ وحتى ١٩٥٧ تقدر بحدود ١٤ دولار للطن الواحد ثم انخفضت في سنة ١٩٧٠ حيث وصل سعر الطن الواحد الى عشرة دولارات نتيجة للمنافسة العالمية التي يواجهها الفوسفات المغربي في السوق العالمي فوصلت أسعار الفوسفات الامريكي (مثلا) الى ستة دولارات للطن . الا انه في سنة ١٩٧٢ طرأت ظروف خاصة ادت الى ارتفاع مفاجيء في أسعار الفوسفات المغربي نتيجة سوء الانتاج الزراعي العالمي وارتفاع أسعار البترول خاصة بعد سنة ١٩٧٣ . لذا ارتفع سعر الطن الواحد الى حوالي ٤٢ دولاراً في بداية سنة ١٩٧٤ ثم ارتفع مرة أخرى الى ٦٣ دولاراً في النصف الثاني من نفس السنة . ثم الى ٦٨ دولاراً ، في بداية سنة ١٩٧٥ . ويبين الشكل التالي رقم (٥) تطور الصادرات المغربية من الفوسفات خلال الفترة الممتدة من ١٩٧٠ الى ١٩٧٥ ان ارتفاع أسعار الفوسفات في السوق العالمي أدى الى تقوية الاقتصاد المغربي حيث أصبح الفوسفات الصادر الرئيسي وارتفعت المدخولات السنوية منه من ٧٨٠ مليون درهم سنة ١٩٧٣ الى حوالي ٤٠٧٥ مليون درهم سنة ١٩٧٤ (أي بزيادة قدرها ٥٠٠٪)

الا ان أسعار الفوسفات عادت الى الهبوط في سنة ١٩٧٥ نتيجة اغراق السوق العالمية بالفوسفات الامريكي حيث هبط سعر الطن الى حوالي ٣٠ دولاراً في سنة ١٩٧٦ وفي سنة ١٩٨٤ وصل سعره الى ٣٢ ـــ ٣٥ دولار فقط ، فانسحبت اثار ذلك على الاقتصاد القومي للمغرب (١) . لقد بلغت قيمة صادرات المغرب من الفوسفات سنة ١٩٧٨ حوالي ٢١٩٩ مليون درهم (١٧,٧ مليون طن من الفوسفات) وتمثل هذه حوالي ٧٧,٥ ٪ من قيمة الصادرات المعدنية لتلك السنة .

(١) حبيب المالكي ـــ مظاهر الوضعية الاقتصادية الراهنة بالمغرب جريدة المحرر ـــ بتاريخ ١٩٧٦/١١/٤ .

الصناعات الفوسفاتية التحويلية بنطاق الفوسفات المغربي : —

يحتوي نطاق الفوسفات المغربي على أهم نسبة من احتياطي العالم من خامات الفوسفات حيث تقدر نسبة الاحتياطي الاجمالي بحوالي ٦٠ مليار طن ، غير ان الانتاج السنوي للنطاق لايزيد على الثلاثين مليون طن (انتاج النطاق في سنة ١٩٨٣ بلغ ٢٦٫٨٩٧ مليون طن) ، ولم يصنع من انتاج سنة ١٩٧٩ والبالغ ٢٦٫٦٠٧ مليون طن سوى عشرين بالمائة فقط اي حوالي خمسة ملايين طن تقريباً كما يتبين من الجدول التالي (رقم ٨) .

جدول رقم (٨)

	الانتاج سنة ١٩٧٩ /مليون طن	التصدير سنة١٩٧٩ /مليون طن	التصنيع/ مليون طن
المغرب	٢٠٫١٧٥	١٨٫٠٠٦	٢٫١٦٩
تونس	٤٫٠٤٠	١٫٥١٧	٢٫٥٢٣
الجزائر	١٫٠٨٤	٨٦٠	٢٢٤

تبين من الجدول ان انتاج اقطار نطاق الفوسفات المغربي المصنعة لاتزيد نسبتها عن ٤٫٢٪ من الانتاج العالمي . أي كان انتاجها ٧٨٥ الف طن من خامس اوكسيد الفسفور من اصل ٣٢٫٧ مليون طن للعالم . اضافة إلى أن مادة فوسفات الكالسيوم التي تستخدم كعلف للحيوانات وهي نادرة الانتاج في النطاق المغربي اذ انها تنتج في تونس فقط بطاقة مقدارها ٦٠ ألف طن سنوياً .

تصنع في القطر الجزائري نسبة قليلة من انتاجه اذ لازال التصنيع الجزائري للفوسفات في بدايته ، ومن المتوقع ان يزداد الانتاج سنة ١٩٨٥ إلى حوالي مليوني طن بعد تجهيز منجم جبل العنق ، لذا فان التصنيع الفوسفاتي يقتصر حالياً على تحويل ٤٠٠ الف طن من خام الفوسفات بمصانع الحراش وعنابه موزعة كالتالي :

حامض الكبريتيك بطاقة مقدارها	٤٥٠ الف طن في السنة
حامض الفسفوريك بطاقة مقدارها	١٦٥ الف طن في السنة
سوبر فوسفات ثلاثي بطاقة	٢٩٠ الف طن في السنة
فوسفات الامونيا الثنائي =	١٣٠ الف طن في السنة
اسمدة مركبة بطاقة	١٥٠ الف طن

ولقد زيدت أخيراً طاقة وصنع عنابه الانتاجية الى حوالي ٥٥٠ الف طن ، وهناك ، مشروع لبناء مجمع ثاني في جبل عنق ومجمع آخر في وهران والسفية ومن المتوقع مستقبلا ان يوقف القطر الجزائري جميع صادراته بعد سنة ١٩٩٠ بالنظر الى الاتجاه لتصنيع جميع الانتاج و استخراج حامض الفسفوريك .

يصنع القطر التونسي حوالي ٦٢٪ من انتاجه وخاصة في مجمع الفوسفات في مدينة قابس وصفاقس .

اما في القطر المغربي فلا يصنع من انتاجها الفوسفاتي سوى ١٠٪ من الانتاج مركزه في مجمع تصنيع الفوسفات في الدار البيضاء والذي يشمل على انتاج ...

١ — أسمدة مخلوطة بطاقة ٢٤٠ الف طن ٪ سنة
٢ — سوبر فوسفات احادي بطاقة ١٤٢ الف طن ٪ سنة
٣ — حامض الكبريتيك بطاقة ١١٢ الف طن ٪ سنة

وتصنع الفوسفات ايضاً في مجمع أسفي ويحتوي على مصانع لأنتاج...

١ — حامض الفسفوريك بطاقة انتاجية مقدارها ١٠٦ الف طن في السنة
٢ — حامض الكبريتيك بطاقة انتاجية مقدارها ٤٠٠ الف طن في السنة
٣ — سوبر فوسفات ثلاثي بطاقة انتاجية مقدارها ٤٠٠ الف طن في السنة
٤ — فوسفات الامونيا بطاقة انتاجية مقدارها ١٥٠ الف طن في السنة
٥ — اسمدة مركبة بطاقة انتاجية مقدارها ١٥٠ الف طن في السنة .

لقد تقدمت باطراد صناعة حامض الفوسفوريك في نطاق الفوسفات المغربي والوطن العربي (العراق ، الاردن ، مصر ، سوريا ، ولبنان) بالنظر لاهمية هذا المنتوج ولارتفاع اسعاره بالمقارنة مع الاسعار الواطئة لخامات الفوسفات وندرج ادناه مقارنة في الانتاج الحالي ، والمستقبلي لحامض الفسفوريك في نطاق الفوسفات المغربي (١)

القطر	١٩٨٠	١٩٨٢	١٩٨٥	١٩٩٠	٢٠٠٠
المغرب	٨٢٥	١٠٢٠	٢٨٠٥	٤٢٩٠	٧٤٢٥
الجزائر	١٦٥	١٦٥	١٦٥	٣٣٠	٣٣٠
تونس	٨١١	٨٢٥	١١٢١	١٤٥١	١٤٥١
			١٩٧٨	١٩٨٠	١٩٨٥

(١) عبدالقادر العلمي المصدر السابق .

تصنيع المواد الثانوية المتواجدة في خامات الفوسفات : ـ

هنالك عدة مشتقات ذات فوائد متعددة توجد في خامات الفوسفات مثلاً الفليور ، اذ تعتبر خامات الفوسفات أهم مصدر لانتاج الفلورين حيث ان الخامات تحتوي على نسبة ٥, ٢ ـ ٤ ٪ من هذا المعدن المتزايد عليه الطلب عالمياً ، وبالنظر للضغوط التي تفرضها قوانين بعض الدول على صناعات الاسمدة الفوسفاتية لحماية البيئة من التلوث ، يجري التفكير جدياً والعمل بدون تردد لاستغلال مادة الفلورين واستخراجه من خامات الفوسفات كانتاج ثانوي بالنسبة للاسمدة الفوسفاتية ، ويدخل معدن الفلورين في صناعة الالمنيوم، ولقد وضعت بعض الاقطار في نطاق الفوسفات المغرب العربي انتاج هذا المعدن في تخطيطاتها (لقد خطط العراق انتاج هذا المعدن من الفوسفات في مجمع عكاشات) ، ومن المعادن المهمة الاخرى التي تستخرج من خامات الفوسفات هو معدن اليورانيوم فتوجد الآن دراسات متعددة وخاصة في القطر المغربي والعراق حول استخراج اليورانيوم من الفوسفات .

واقع الصناعة التحويلية في نطاق الفوسفات المغربي :

ان حصة الصناعة التحويلية في هذا النطاق والوطن العربي عامة صغيرة جداً بالمقارنة مع الانتاج الكلي حيث ان مجموع ماتنتجه اقطار النطاق وبقية الاقطار العربية الاخرى من الاسمدة الفوسفاتية حوالي ٨٩٠ الف طن من خامس اوكسيد الفسفور سنة ١٩٧٨ ومن المتوقع ان يزداد الانتاج كالتالي :

الا قطار العربية (مليون طن)	٥, ١	٧, ٢	٧, ٥
العالم (مليون طن)	١, ٢٧	٣, ٣٠	٤, ٣٥
نسبة انتاج اقطار الوطن العربي	٦٪	٧, ٩٪	١٦٪

لقد ادركت اقطار النطاق المعدني اهمية تصنيع الخامات المتاحة فجعلت هذه الصناعات تتصدر مشاريعها المستقبلية بشكل تدريجي ، الا أن الصناعة التحويلية في هذا النطاق لازالت تتسم بالنظارية اكثر منها بالاقليمية او على النطاق القومي حيث ان التوسع في الصناعات المعدنية القطرية سيجابه مشكلة عدم تكامل اساسيات الصناعة في كل قطر من أقطار النطاق المعدني المغربي او على صعيد الوطن العربي .

تصنيع الفوسفات بالمغرب :

١ — مشروع المركب الكيماوي في أسفي : —

كان المغرب منذ العقد الثاني من هذا القرن مصدرا تقليديا للفوسفات الخام وقد قاومت المصالح الاستعمارية الفرنسية انشاء صناعة تحويلية للفوسفات كما حدث ذلك في سنة ١٩٥٣ ، حيث قامت الشركات الفرنسية (كولمان وسان غوبان) بابطال اقامة مشروع الصناعات التحويلية الوطنية في المغرب الا ان التصميم الصناعي الخماسي بعد الاستقلال كان يهدف بالدرجة الاولى الى خلق صناعات تحويلية للمواد الاولية عن طريق التدخل المباشر للدولة من ذلك المباشرة باقامة مشروع مركب كيمياوي كبير لتحويل الفوسفات وقد وقع اختيار ميناء أسفي كمركز لهذه الصناعة لعوامل متعددة منها وجود الخدمات الجيدة في الميناء ولموقعه المتوسط بين مناجم الفوسفات في اليوسفية وقطارة اضافة الى قربه من مصادر الغاز الطبيعي في مدينة الصويرة وقربه من مصدر المياه العذبة في سد ايمفوت .

ينتج معمل أسفي للفوسفات منتوجات وسيطية مثل حامض الكبريتيك وحامض الفسفوريك والاسمدة على شكل مكتمل هي الفوسفات الثلاثي الممتاز والفوسفات الديامونياك بطاقة ٩٠٠ ألف طن وحامض الفسفوريك بطاقة ٤٤٥ ألف طن وقد أنجزت دراسات متعددة لتطور الطاقة الانتاجية لمصنع أسفي بحيث يسعه تحويل ٣٠ ٪ من انتاج الفوسفات الخام سنة ١٩٨٥ .

وهناك مشروع لاقامة صناعات تحويلية في ميناء الجرف الاصفر بالاشتراك مع دولة الامارات العربية المتحدة ومن المؤمل أن يبدأ بالانتاج في سنة ١٩٨٣ ومشاريع قيد الدرس لمشروع سيدي حجاج بن كرير وسوق لانتاج الفوسفات بطاقة عشرة ملايين طن سنوياً لكل منهما .

أهم المدن التي تعتمد على استخراج الفوسفات

يتجمع عمال قطاع استخراج الفوسفات في مدن وقرى تعود في نشأتها الى بداية استغلال هذا المعدن وأهم هذه المدن هي :

١ ــ خريبكة :

فقد أحرزت تقدما منذ العقد الخامس من هذا القرن ازداد عدد سكانها من ٢٠٣٦٥ نسمة سنة ١٩٥٢ . الى ٤٠٨٣٨ نسمة سنة ١٩٦٠ والى حوالي ٧٣٦٦٧ نسمة في سنة ١٩٧١ والى حوالي ١٢٧١٨١ نسمة حسب احصاء سنة ١٩٨٢ (١) .

تعتبر مدينة خريبكة نموذجا للمدن المعدنية التي ارتبط تقدمها بالنشاط المعدني ، وتقسم المدينة الى قسم خاص باسكان الكوادر الادارية والفنية بينما يعتبر القسم الاخر حرا لجميع الاختصاصات الخدمية الاخرى .

٢ ــ اليوسفية :

لم تصل هذه المدينة الدرجة التي وصلت اليه المدينة السابقة من تقدم ونمو في جميع المجالات وذلك راجع الى الشروع المتأخر في استغلال الفوسفات في المناجم المغربية من المدينة . اضافة الى قلة الانتاج نسبيا وجودته غير العالية . فقد كان عدد سكانها في سنة ١٩٦٠ حوالي ٨٣٠٢ نسمة وارتفع الى ٢٢٤٨٣ نسمة في سنة ١٩٧١ وارتفع عدد سكانها الى حوالي ٤٢١٩٥ نسمة في سنة ١٩٨٢ (٢) .

٣ ــ أسفي

تقع مدينة أسفي على سواحل المحيط الاطلسي كانت في اوائل هذا القرن مجرد ثغر حربي صغير الا ان قربها من مكامن الفوسفات في اليوسفية التي تبعد عنها بحوالي ٩٠ كيلومتراً وكذلك مناجم الفوسفات في حقل بنكرير التي تبعد عنها بحوالي ١٦٠ كيلومتر فضلا عن قربها من مناجم البيروتين في حقول القطارة (منطقة أجبيلات) . وتوفر سكك الحديد الذي

---

(١) السكان القانونيون للمغرب : حسب الاحصاء العام للسكان والسكن لسنة ١٩٧١ . مديرية الاحصائيات ــ الرباط ــ ١٩٧١ ص ٧٠ .
وكذلك احصاء سنة ١٩٨٢ ص ٢٣ .

(٢) السكان القانونيون للمغرب ــ حسب الاحصاء العام للسكان والسكن لسنة ١٩٨٢ ص ٤٣ وزارة التخطيط ــ مديرية الاحصاء / الدار البيضاء ١٩٨٣ .

يربط مناطق الفوسفات بميناء هذه المدينة على جميع هذه الظروف ساعدت على بناء وتطور مركب الفوسفات الكيمياوي الذي بدأ بانشاءه سنة ١٩٦٥ مما ادى الى اتساع ونمو مدينة اسفي حيث ان عدد سكانها كان لايزيد ثلاثين الف نسمة سنة ١٩٦٠ وزاداد عدد السكان بشكل ملحوظ في الاحصاء السكاني لسنة ١٩٧١ حيث وصل عددهم الى حوالي ١٢٩١١٣ نسمة ، وارتفع الى ١٩٧٣٠٩ نسمة سنة ١٩٨٢ (١) .

(١) وزارة التخطيط – مديرية الاحصاء ، المصدر السابق ص ٣٤ .

مكتبتنا العربية

المراجع العربية :

١ — حسان عوض : جغرافية المدن المغربية على ضوء تطورها الديموغرافي، الرباط — ١٩٦٤ .

٢ — مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للفترة ١٩٧٣ — ١٩٧٧ مديرية التخطيط والتنمية، الرباط .

٣ — المنظمة العربية للثروة المعدنية — العدد العاشر ، الرباط ١٩٨٢ .

٤ — مكتب الشريف للفوسفات — التقرير السنوي — الرباط ١٩٧٣ .

٥ — النشرات الاحصائية السنوية . للمغرب للسنوات ١٩٧٣ — ١٩٨٠ . مديرية الاحصائيات — الرباط .

٦ — فتح الله والعلو . السياسة الفوسفاتية المغربية . جريدة المحرر العدد ٦٠٣ و ٦٠٤ و ٦٠٥ و ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ نيسان ١٩٧٦

٧ — حبيب المالكي . مظاهر الوضعية الاقتصادية الراهنة . جريدة المحرر ١٤/١١/١٩٧٦ بالمغرب .

٨ — بحوث المؤتمر الأول للمعادن . بغداد ١٩٧٢ .

٩ — بحوث المؤتمر العربي الثالث للمعادن . الرباط — ١٩٧٧ .

١٠ — مديرية المعادن والجيولوجيا . القطاع المعدني في المغرب وامكاناته الاقتصادية / من بحوث المؤتمر العربي / الثالث / الرباط ، ١٩٧٧ .

١١ — ابراهيم كامل ومنير اسماعيل . تنمية استغلال الفوسفات في الدول العربية / من بحوث المؤتمر العربي الثالث الرباط ١٩٧٧ .

١٢ — ادارة التنمية سوناريم . نظرة جيولوجية على رواسب الفوسفات في الجزائر / من بحوث المؤتمر العربي الثاني / للمعادن جدة ١٩٧٤

١٣ — محمد عبدة يماني ومحمد جمال كوثر . الاحزمة المعدنية في الدول العربية من بحوث المؤتمر العربي الثاني للمعادن جدة، ١٩٧٤ .

١٤ — محمد ازهر السماك ونعمان دهش . جغرافية المواد المعدنية الموصل . ١٩٨٢

١٥ — محمد عبد الغني سعود . الوطن العربي . دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٧ .

١٦ — عبد العزيز أمين . محمد الناصري . جغرافية حوض البحر المتوسط الدار البيضاء ١٩٧٤ .

١٧ — مهدي الصحاف — الفوسفات بالمغرب . بحث غير منشور . فاس ١٩٧٩ .

١٨ — عبد القادر العلمي الكبريت ومستقبل تصنيع خامات الفوسفات في الاقطار العربية «مجلة التعدين العربية المجلد ٤ العدد ٣ سنة ١٩٨٤ عمان»

١٩ — احتياطات خامات الفوسفات في الاقطار العربية والانتاج «مجلة التعدين العربية المجلد ٣ العدد ٣ سنة ١٩٨٣ عمان»

٢٠ — الفوسفات في العالم العربي «النشرة الاعلامية للمنظمة العربية للثروة المعدنية، العدد ١١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٢»

٢١ — التقارير القطرية عن صناعة الاسمدة الكيمياوية العربية حتى سنة ٢٠٠٠ «من منشورات الاتحاد العربي لمنتجي الاسمدة الكيمياوية كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣»

٢٢ — وزارة التخطيط وتكوين الاطر — مديرية الاحصاء
السكان القانونيون للمغرب حسب الاحصاء العام للسكان والسكنى لسنة ١٩٨٢ الدار البيضاء ١٩٨٣ .

المراجع الأجنبية :

1- World Survey of Phosphate deposits Fourth Edition London 1980. P.27

2- U.N. Statistical Year book. 1977, 1978, 1979-1980, 1983.

3- Fisher W.B. The midle East london 1961

4- R.saint Guiltlen, les gigements de phosphates de chaux dons le monde Notes Marocaines No. 14. 1960.

5- J. Despois et. R. Raynal. Geographie de l' Afrique de Nord - Ouest Payot Paris 1975.

6- Maroc magasin phosphates 1977.

طرق تحوير السلوك وامكانات استخدامها في معاهد المعوقين في العراق

نزاهة حسين رضا
– كلية الآداب – الجامعة المستنصرية

مشكلة البحث :

يلاحظ أن العديد من المؤسسات والمعاهد التدريبية التي أنشأت في العراق لتدريب الفئات المختلفة من المعوقين قد أهملت ادخال أسلوب تحوير السلوك في برامجها مع عدم وجود خطة متكاملة لاعداد المعلمين المؤهلين لاستخدام هذا الاسلوب بكفاءة وفاعلية . ويظهر هذا النقص بشكل بارز في معاهد المتخلفين عقلياً والمضطربين انفعالياً الذين أظهرت الدراسات العديدة فعالية أسلوب تحوير السلوك في معالجتهم ومساعدتهم على التكيف ، والتعامل مع الاخرين بنجاح .

ومن بين الدراسات الكثيرة في هذا المجال دراسة (Barclay, pp. 240–247) التي أظهرت أن التدخل المخطط في سير عملية التعلم يحقق تغييرات في اتجاهات المعوقين وان الباحث النفسي يمكن ان يدخل أسلوب تحوير السلوك اذا كان على دراية تطبيق المبادىء التي يقوم عليها تعلم السلوك الاجتماعي . وأظهرت دراسة (Becker et al., pp. 287–307) أن المعلم يمكن ان يعالج كثيراً من الاضطرابات السلوكية التي تعيق التعلم دون تغيير كبير في البيئة المنزلية أو العلاج النفسي . وفي دراسة أخرى (Birnbrauer and lawler, pp. 275–279) ظهر بوضوح كيف يمكن استخدام التعزيز الرمزي بفعالية مع مجموعة من الأطفال المتخلفين . كما أظهرت دراسة (Dyer, pp. 597–

599) ان أسلوب تحوير السلوك يمكن استخدامه بنجاح مع المضطربين انفعالياً من قبل المعلم مع تأهيل جزئي بسيط.

وتظهر دراسة (McNamara, pp. 48–51) فعالية استخدام طريقة التشكيل المعاكس في معالجة الخوف من قبل الباحث النفسي في المعاهد التعليمية .

ومن جهة أخرى تتضمن دراسة (Forehand and Baumeister, pp.223–278) عرضاً لجملة من البحوث التي استخدمت طرقاً مختلفة لتحوير السلوك في تدريب المعوقين . وتنتهي الدراسة بالتحذير من أن بعض الطرق لاتثبت نجاحها بسبب عدم التخطيط والتنفيذ الدقيق لها . كما عرض الكربولي ، (ص د — ٢١) عرضاً موجزاً لبعض الطرق المستخدمة في تحوير السلوك وأشار الى ان جوهر العملية لايكمن في تعدد الأساليب المستخدمة بل في المعالجة المنهجية والمبرمجة للبيئة .

هدف البحث :

يهدف هذا البحث الى الكشف عن النقص الموجود في تعليم وتدريب المعوقين في العراق وخاصة في مجال استخدام أسلوب تحوير السلوك لمعالجة الاضطرابات السلوكية ، كما يهدف الى عرض الطرق المختلفة لتحوير السلوك والتي يمكن تطبيقها في معاهد المعوقين القائمة مع تدريب مبرمج للكوادر التعليمية .

منهجية البحث :

لغرض التعرف على طبيعة البرامج الحالية في معاهد المعوقين في القطر وعن مدى تطبيق اسلوب تحوير السلوك في تدريب المعوقين تم القيام بعدة زيارات ميدانية لبعض معاهد المعوقين والمراكز التدريبية هي التالية :

١ — معهد الغصون .
٢ — معهد القادسية .
٣ — معهد الرجاء .
٤ — الورشة المحمية في الكرخ .
٥ — الورشة المحمية في الكريعات .

وقد امتدت هذه الزيارات خلال الفترة من شهر تشرين الأول ١٩٨٤ وحتى شهر نيسان ١٩٨٥ وبواقع زيارتين لكل معهد باستثناء معهد القادسية الذي تمت زيارته أربع مرات.

وتضم هذه المعاهد فئات من المتخلفين عقلياً بنوعيه بسيطي التخلف وشديدي التخلف وكذلك المضطربين انفعالياً الى جانب بعض حالات الصرع . وقد اشتملت الزيارات، الميدانية على الاطلاع على نشاطات التدريب والتعليم وعلى ملاحظة المتدربين بالاضافة الى مقابلات مع ادارات المعاهد والمعلمات والباحثات الاجتماعيات .

طبيعة البرامج الحالية في معاهد المعوقين في العراق

بسبب القصور في نواحي التشخيص وعدم تحديد الأهداف التربوية بدقة في معاهد المعوقين يلاحظ أن الصف الواحد يضم أطفالا يعانون من مشكلات مختلفة وبمستويات، مختلفة من الحدة . وبالنسبة للكوادر التعليمية فيلاحظ أن المعلمات لم يؤهلن في الجوانب الخاصة ببرمجة النشاطات التعليمية التي تناسب فئات المعوقين وأن هناك نقصاً واضحاً في مجال استخدام طرق تحوير السلوك وعدم تحسس بأهمية هذا الاسلوب كأداة رئيسية في تدريب المعوقين ومعالجة مشكلاتهم السلوكية والتعليمية .

إن معظم الأطفال الموجودين في هذه المعاهد يتصفون بالاتكالية على الكبار وعدم الثقة بالنفس وعدم الاستقرار فصلاً عن الصعوبات التي يواجهونها في التركيز على العمل لمدة طويلة . كما أن قسماً كبيراً منهم يتصف بالخمول وانعدام النشاط مع انعدام القدرة على مراعاة النظام والعادات الاجتماعية مما يؤثر سلبياً على تعاملهم مع المجموعة التي يعملون ضمنها ومع المعلمات والباحثات الاجتماعيات .

أما البرنامج التعليمي فمحورة يتركز على تعليم الأطفال الدروس الأكاديمية المقررة ولكن ليس من الواضح جدوى مثل هذا البرنامج مع غياب استخدام الطرق التربوية المناسبة في تعليم المعوقين . وقد تبين أن الدورات التدريبية التي تقام لتدريب المعلمات والباحثات الاجتماعيات موجهة بالدرجة الاولى الى الجوانب النظرية العامة لمشكلة التخلف العقلي وإلى الجوانب الطبية في العلاج أكثر مما هي موجهة إلى المشكلات السلوكية والاجراءات التربوية المطلوب اتباعها لمساعدة هؤلاء الأطفال للتكيف مع البيئة التي يعيشون فيها أو البيئات التي سيواجهونها بعد انتهاء فترة تدريبهم في هذه المعاهد.

وأما عمل الباحثات الاجتماعيات فيتركز على جمع المعلومات عن الطفل وأسرته وعن الأمراض التي يعاني منها والقيام بالاتصال بأولياء الأمور ولكن دون وجود خطة تهدف إلى تطوير مشاركة الآباء والأمهات في تنفيذ البرنامج وبالتالي فليست هناك استجابة مشجعة من قبل الآباء والأمهات لتطوير البرنامج . ومن الجهة الأخرى يظهر أن هذه المعلومات

لاتوفر بشكل منتظم للمعلمات للاستفادة منها في صياغة النشاطات التعليمية المناسبة .يضاف إلى ذلك أنه لايوجد أي باحث نفسي في أي من هذه المعاهد باستثناء واحد منها فقط كما أنه ليس واضحاً في هذه الحالة أيضاً دوره في تطوير البرنامج التعليمي . وحيث أن هؤلاء الأطفال لايملكون المستوى المناسب من القدرات العقلية والنضج الانفعالي والتكيف السلوكي، فان مشكلاتهم تبقى مستمرة . ولا تتوفر معلومات عن الذين ينهون فترة التدريب في هذه المعاهد لعدم وجود خطة لمتابعتهم .

وفي ضوء كل ذلك تبدو الحاجة ماسة إلى توضيح الملامح الرئيسية لأسلوب تحوير السلوك وشرح الطرق المتبعة في هذا المجال والتي استخدمت بنجاح مع فئات المعوقين في الدول الأخرى سواء في المدارس النظامية أو في المؤسسات المتخصصة . وسنعرض لكل من الطرق الرئيسية على شكل خطوات مبسطة يمكن أن يستفيد منها القائمون بتدريب المعوقين

مفهوم تحوير السلوك Behavior Modification

ينبثق مفهوم تحوير السلوك من نظرية (Skinner) في التشريط الاجرائي Operant Conditioning وهو يعني أن التغيرات السلوكية يمكن أن تتحقق بفاعلية أكبر من خلال السيطرة على العلاقات التي تلاحظ بين التنبيهات البيئية واستجابات الفرد وهذه العلاقات هي ارتباطات متعلمة . فاذا سمع التلميذ كلمة شكر من المعلم على سؤال سأله فان احتمال تكرار قيام التلميذ بسؤال أسئلة أخرى يزداد . ويدخل هنا مفهوم التعزيز Reinforcement كأداة رئيسية في صياغة علاقات جديدة بين التنبيهات البيئية واستجابة الفرد لها ، أو في تعديل العلاقات القائمة بين التنبيه والاستجابة (تريفرز ، ص ٤٤ — ٥٣) .

ويقوم أسلوب تحوير السلوك كأسلوب تعليمي على معالجة العادات والمظاهر السلوكية كما هي بادية للعيان دون التعمق في تاريخ الحالة لدى الفرد . وقد أدى استخدام هذا الأسلوب الى فهم أوسع ونتائج واضحة في مجالات عديدة منها تطوير قدرات المعوقين على التكيف والتعلم بفئاتهم المختلفة من المتخلفين عقلياً والمضطربين انفعالياً والمصابين بمعوقات التعلم والمصابين بالعصاب والجانحين اضافة الى معالجة المشكلات التي يعاني منها الأسوياء في مجالات العمل والزواج والعلاقات الاجتماعية وغيرها . (Ayllon and Milan, pp. 78–93)

ويعتمد أسلوب تحوير السلوك على أربعة عناصر متكاملة تشكل الوظائف الرئيسية للتدخل الاجرائي . وهذه العناصر هي :

(أ) تشكيل الاستجابات السلوكية .

(ب) زيادة الاستجابات المرغوبة .

(ج) تخفيض الاستجابات غير المرغوبة .

(د) استمرارية التغيرات السلوكية الجديدة .

وسنستعرض أدناه بايجاز الطرق المستخدمة في كل من المجالات المذكورة أعلاه وقد اعتمدنا في عرض هذه الطرق أساساً على الفصل الذي كتبه (Karoly) عن الطرق الاجرائية والذي تضمن العديد من البحوث التي توضح فعالية الطرق المختلفة في معالجة الاضطرابات السلوكية بالاضافة الى امثلة مشتقاة من الدراسات الأخرى .

طرق تحوير السلوك

(أ) تشكيل الاستجابات السلوكية :

أولاً — التشكيل (التمييز والتقريب المتعاقب)

Shaping (Differentiation and Successiv Approximation)

التشكيل هو عملية تمييز استجابات قائمة واختيار مايصلح منها لتعزيزها وفي نفس الوقت سحب التعزيز عن الاستجابات الأخرى بالتدريج لاطفائها (تريفرز . ص ٥١ — ٥٣) .

فعلى سبيل المثال يمكن استخدام هذه الطريقة في تشكيل الأصوات إذ يتم تعزيز الأصوات العفوية التي يطلقها الطفل يعزز مرغوب مثل الحلوى من أجل بناء المادة الأولية من الأصوات الكافية لصياغة كلمات . فيقدم التعزيز بعد كل نطق صحيح للصوت المطلوب . وتعني عملية التمييز هنا التفريق بين الأصوات التي يخرجها الطفل من حيث النبرة والعلو وتعزيز تلك التي تتفق مع النطق الصحيح فقط . أما التقريب المتعاقب فيعني أن المحاولات المتتالية تتجه أو تقترب تدريجياً من السلوك النهائي المطلوب .

وتتضمن خطوات هذه الطريقة مايلي (Karoly, p. 220) :

١ — ابدأ بملاحظة الفرد وتحديد أي استجاباته تحدث بشكل متكرر أكثر من غيرها وحدد التنبيهات البيئية التي تسبق الاستجابة وتلك التي تعززها .

٢ ــ من هذه الملاحظات حدد ماذا كانت هناك استجابات مرغوبة من بين الاستجابات الظاهرة وضع هدفاً تقريبياً للسلوك المرغوب .

٣ ــ حدد معيارا للسلوك المطلوب الوصول اليه بشكل يكون أقرب الى الحد الأدنى منه الى الحد الأعلى .

٤ ــ اعمل على ترتيب الموقف التعليمي بحيث يساعد على زيادة احتمال ظهور الاستجابة سواء بوجود أشخاص معينين أو أشياء معينة .

٥ ــ اعزز الاستجابة المرغوبة بأكثر المعززات الموجودة تأثيراً واسحب التعزيز عند الاستجابة غير المتواضعة مع الهدف .

٦ ــ لاحظ التبدل باتجاه الهدف واذا لم تحقق التعزيزات المتكررة استجابات ملائمة فقد يستلزم ذلك تخفيض المعيار .

٧ ــ استخدم التوجيه بالكلام أو بالاشارة في كل الخطوات .

ثانياً ــ الربط التسلسلي Chaining

تستند هذه الطريقة على أن السلوك الانساني يتكون من سلسلة من الاستجابات البسيطة التي ترتبط مع بعضها بواسطة تنبيهات تعمل كاشارات مميزة للسلوك وكمعززات في نفس الوقت . (Watson, Jr., p. 30)

فعملية ارتداء الملابس مثلاً تتركب من أجزاء عدة مثل لبس القميص والبنطلون والجورب والحذاء ..الخ وهذه الأجزاء تتعاقب الواحدة بعد الأخرى بشكل يهيء الجزء الذي يسبق للجزء الذي يليه . ومن هنا فان مفهوم الربط يعني وصل الحلقات في السلوك المعين بعضها مع بعض .

وتتضمن خطوات هذه الطريقة مايلي (Karoly, p. 222) :

١ ــ قسم الاستجابات المرغوبة إلى سلسلة من أجزاء منفصلة .

٢ ــ حدد أي هذه الاجزاء موجودة في سلوك الفرد حالياً وأيها يتعين تشكيلها .

٣ ــ قم بتشكيل هذه الاجزاء غير الموجودة من الاستجابات المرغوبة .

٤ ــ ابدأ عملية الربط بتقوية وتعزيز الجزء الأخير من سلسلة الاستجابات .

٥ ــ ضع الجزء الأخير تحت سيطرة تنبيه قوي مع استخدام المعززات التي يفضلها الفرد مشروطة بظهور الاستجابة المرغوبة .

٦ — أضف الجزء ماقبل الأخير من الاستجابات في السلسلة . ثم أضف كل جزء آخر بصورة عكسية منتهياً بالاستجابة الاولى في السلسلة .

ويمكن توضيح العملية بالمثال التالي . لنفترض أن التدريب يهدف إلى تعليم ارتداء الملابس . فنبدأ بأن نقود الطفل إلى ارتداء جميع ملابسه باستثناء الجزء الأخير وهو لبس الحذاء . فهنا يتم تعزيز لبس الحذاء بعد إعطاء الاشارة التنبيهية لذلك . ثم في المرحلة الثانية نقود الطفل إلى ارتداء ملابسه باستثناء الجورب والحذاء وهنا يتم التعزيز بعد لبس الجورب والحذاء . وهكذا نستمر في المراحل التالية إلى أن ننتهي بالاستجابة الاولى في عملية ارتداء الملابس .

٧ — عند حدوث خطأ في تقديم الاستجابات المتسلسلة ارجع إلى نقطة البداية لتصحيح الخطأ .

٨ — عند تكرار الأخطاء فقد يصبح من الضروري معاقبة الفرد لأن هذه الأخطاء قد تؤثر بشكل سلبي على دافعية الفرد للتعلم .

٩ — في استخدام طريقة الربط التسلسلي قد يكون من الضروري قيادة الفرد بدنياً خلال العملية .

١٠ — استخدام عملية التلاشي والحث في تحقيق الاستجابات المتسلسلة .

ثالثاً — التلاشي والحث (Fading and Prompting)

عملية التلاشي هي الالغاء التدريجي لجوانب من التنبيه الذي يستدعي السلوك بحيث يستجيب المتعلم للحد الأدنى من الاشارات التنبيهية الموجودة في البيئة . كأن يتم التحول من التنبيهات الاشارية والكلامية معاً إلى التنبيهات الكلامية فقط فهنا نكون قد عملنا على تلاشي التنبيهات الاشارية (Watson, Jr, PP. 107–110) .

أما الحث فهو عملية استخدام التنبيهات التحفيزية لتوجيه انتباه المتعلم للسلوك المطلوب تعلمه ومتطلبات أدائه . وكمثال على ذلك وضع اللعب المسلية في متناول المعوقين ثم متابعتهم لمعرفة من منهم لم يستخدم أية لعبة فيبدأ المدرب بوضع لعبة في يده ويطلب منه أن يستخدمها . (McClannahan and Risley, pp .261–268)

وتتضمن خطوات هذه الطريقة مايلي (Karoly p. 225) :

١ – ضع معياراً للتلاشي في تحول الهدف من تنبيه معين إلى تنبيه آخر كأن يكون تحقيق الاستجابة للتنبيه الجديد بنسبة ٧٥٪ مثلاً .
٢ – قلل من استخدام تنبيهات الحث المصطنعة غير الموجودة في البيئة الطبيعية .
٣ – استخدم تنبيهات الحث : بحيث تكون مؤثرة في استثارة الفرد .
٤ – استخدم تنبيهات الحث التي تكون أقرب الى مايواجهه الفرد في المواقف الحياتية .
٥ – استخدام التلاشي والحث مع التعزيز .

(ب) زيادة الاستجابات المرغوبة :

أولاً – التعزيز الايجابي (Positive Reinforcement)

تستند هذه الطريقة على استخدام المعززات بشكل مشروط مع ظهور الاستجابة المرغوبة ويمكن استخدام المعززات الرمزية مثل الكوبونات التي تستبدل فيما بعد بما يعادلها من المأكولات أو المشروبات أو ماشابه .

(Kohlenberg and phillips. pp. 391–396)

وتتضمن خطوات هذه الطريقة مايلي : (Karoly,p. 226)

١ – انتخب المعززات من خلال ملاحظة تأثيرها على سلوك الفرد بدلا من افتراض أن مايحفز شخصا ماسيكون له نفس التأثير على شخص آخر .
٢ – انتخب معززات النشاط بعد ملاحظة منظمة للفرد في مواقف طبيعية مختلفة .
٣ – قدم المعززات على الفور مشروطة بظهور الاستجابة المرغوبة وبصورة مستمرة للحصول على الحد الأعلى من تقوية الاستجابة .
٤ – ابدأ بالتقليل من المعززات بالتدريج لتفادي فقدان التأثير نتيجة تكرار نفس المعزز .
٥ – استخدم المعززات الاجتماعية مثل كلام وسلوك الأفراد لتطوير السلوك المرغوب في المواقف الحياتية عن طريق تلاشي المعززات الأولية .

ثانياً – التعزيز السلبي (Negative Reinforcement)

تعتبر هذه العملية المرآة المعكوسة للعقوبة حيث تعتمد على إنهاء التنبيهات المنفرة لغرض

زيادة تواتر الاستجابة المطلوبة . وتستخدم هذه الطريقة بشكل خاص في معالجة مشكلات يرغب الفرد أن يتخلص منها مثل شرب الخمر والتدخين والسمنة وما شابه (Penick, et al., pp. 49–55) . كما يمكن استخدام الطريقة في المواقف التعليميـة عندما يكون الناتج النهائي غير مرض فيلجأ المعلم الى تحديد عدد من الواجبات التي يتعين انجازها وبعدها يصبح التلميذ حراً في مغادرة الصف . فرغبة التلميذ في إنهاء نشاط غير مرغوب وهو البقاء في الصف يزيد من الاستجابة المرغوبة وهي أداء الواجبات .

وتتضمن خطوات هذه الطريقة مايلي (Karoly, p. 227) :

١ — عند التدريب على الاستجابة التجنبية قدم بديلا متعارضاً بادىء الأمر . فعلى سبيل المثال يمكن استخدام الصدمة الكهربائية لتجنب شرب الخمر في بداية التدريب ثم يستبدل هذا التنبيه المنفر بتقديم شراب آخر .

٢ — يجب أن يكون إنهاء التنبيه المنفر على الفور ومستمراً ومشروطاً بظهور الاستجابة المرغوبة .

٣ — ناوب بين التنبيه المنفر والاشارة التي تستدعي هذا التنبيه لتفادي ماقد ينتج من ضعف في استجابة التجنب بسبب الارتباط بين الاثنين .

٤ — يجب ألا تكون الفترات بين محاولات التجنب قصيرة من أجل أن يكون غياب التنبيه المنفر باعثاً على الراحة .

٥ — اذا لم ينجح الفرد في تقديم استجابة التجنب بعد فترة من الزمن أوقف التدريب لمعرفة ماإذا كانت هناك مؤثرات خارج بيئة التدريب تتدخل في سير البرنامج .

ثالثاً — السيطرة على التنبيهات Stimulus Control

تعتمد هذه الطريقة على التحكم في الظروف والمواقف التي تهيء الفرصة لظهور الاستجابة المرغوبة . وقد يصبح من الضروري أحياناً استبدال تنبيه قائم بتنبيه اخر للحصول على الاستجابة المرغوبة . فعلى سبيل المثال يمكن استبدال التنبيه الذي يقوم به المعلم بتواجده في الصف بتنبيه اخر كأن يغادر المعلم الصف في أوقات معينه ويحدد شرطاً للحصول على المكافآت هو انهاء الواجبات المطلوبة (Marholin and Steinman, pp. 465–478)

وتتضمن خطوات هذه الطريقة مايلي (Karoly, p. 229) :

١ — حدد من خلال الملاحظة الارتباطات الوظيفية بين التنبيهات التي تسبق الاستجابة والاستجابة المراد تجنبها .

٢ ـ عين التنبيهات التي تستدعي سلوكاً غير مرغوب .

٣ ـ أبعد التنبيهات التي تستدعي سلوكاً غير مرغوب .

٤ ـ اجعل التنبيهات التي تستدعي السلوك المرغوب بارزة .

٥ ـ تجنب المبالغة في السيطرة على التنبيهات لأن تقديم التنبيه دون تعزيز يضعف من قدرته على استدعاء الاستجابة .

٦ ـ اذا تم اختيار تنبيه مصطنع كتنبيه بارز اعمل بالتدريج على تلاشي هذا التنبيه في البيئة الطبيعية لتيسير عملية التعميم .

٧ ـ درب الفرد على أن يقوم بنفسه بالسيطرة على التنبيهات في البيئة .

(ج) تخفيض الاستجابات غير المرغوبة

أولاً ـ التنبيه المنفر Aversive Stimulation

ان التنبيه المنفر ماهو الا العقوبة البدنية المشروطة بظهور الاستجابة غير المرغوبة . وموضوع العقاب موضوع متعدد الجوانب ولامجال هنا للدخول في تفاصيله ولكن لاينصح باللجوء اليه الا في الحالات الضرورية . (Wilson et al., pp. 13–26)

وتتضمن خطوات هذه الطريقة مايلي (Karoly, p. 231) :

١ ـ استخدم التنبيه المنفر في آن واحد مع التعزيز الايجابي للسلوك المرغوب .

٢ ـ استخدم التنبيه المنفر بعد الاستجابة غير المرغوبة مباشرة .

٣ ـ لاتجعل فترة تقديم التنبيه المنفر طويلة .

٤ ـ قدم التنبيه بانتظام حتى زوال الاستجابة غير المرغوبة .

٥ ـ تأكد من أن الادوات المستخدمة لتقديم التنبيه المنفر مأمونة العواقب .

٦ ـ اشرك أشخاصاً اخرين لهم علاقة بالفرد خارج التدريب بتقديم التنبيه المنفر .

٧ ـ كن على حذر من أي اضطرابات جانبية .

٨ ـ تجنب استخدام التنبيه المنفر لفترة طويلة .

٩ ـ يجب أن يكون القائم بتقديم التنبيه المنفر على اتفاق مع القرار الطبي باستخدامه .

١٠ ـ ابحث عن بدائل للعقوبات الشديدة مثل الضرب على اليد وهز الجسم مما لا يثير اعتراضات قوية .

١١ — استخدم طريقة التلاشي من اجل وضع الاستجابات المعاقبة تحت السيطرة التمييزية .

ثانياً — الاطفاء Extinction

تعتمد هذه الطريقة على تجاهل الاستجابات غير المرغوبة وعدم تعزيزها . فعند صراخ الطفل مثلا يعمد الى تجاهله كلياً وعدم الاكتراث به من دون اظهار أي شكل من ردود الفعل . (Harris and Ersner-Hershfield, pp. 1352-1375)

وتتضمن خطوات هذه الطريقة مايلي (Karoly, p. 233) :

١ — تتحقق فعالية الاطفاء عند تحديد التنبيه المعزز الذي يتعين ازالته . ولذلك لابد من الملاحظة الدقيقة والمستمرة للسلوك لتعيين كل التنبيهات المعززة المشروطة بظهور الاستجابة غير المرغوبة .

٢ — استخدم الاطفاء في آن واحد مع التعزيز الايجابي للسلوك المرغوب أو السلوك المغاير .

٣ — يحقق الاطفاء نتائج أسرع عندما يعمل جميع من لهم علاقة بالفرد بعدم تعزيز السلوك غير المرغوب ويشمل ذلك الوالدين وأعضاء المؤسسة .

٤ — أخبر جميع من لهم علاقة بالفرد وخاصة منفذي البرنامج ليكونوا مهيئين للزيادة الأولية في السلوك غير المرغوب عند بداية الاطفاء .

٥ — لايمكن للاطفاء أن يكون فعالا أو مناسباً في الحالات التي تستدعي ايقاف السلوك غير المرغوب على الفور مثل اشعال النار .

ثالثاً — التعزيز المتفاوت للسلوك المغاير أو المتعارض

Differential Reinforcement of Other or Incompatible Behaviors

تستند هذه الطريقة على تقديم التعزيز لأي سلوك آخر غير السلوك المطلوب ايقافه أو لسلوك متعارض معه . فعلى سبيل المثال يمكن للمعلم أن يعزز أي سلوك في الصف باستثناء التكلم بدون اذن خلال فترة معينة ، أو يمكنه أن يعزز السكوت وفي هذه الحالة يعتبر السكوت متعارضاً مع التكلم ، والمقصود بالمتفاوت هو ان التعزيز لايقدم بشكل مستمر (Weisberg et al., pp. 487-495) .

وتتضمن خطوات هذه الطريقة مايلي (Karoly, p. 234) :

١ ــ استخدم التعزيز المتفاوت بالتنسيق مع الطرق الأخرى غير المنفرة مثل الاطفاء والحث .

٢ ــ عند حدوث السلوك غير المرغوب بتواتر عالي فقد يكون من الضروري حث السلوك المغاير أو المتعارض .

٣ ــ استخدم فترات انقطاع قصيرة عند بداية التعزيز لزيادة تأثيره .

٤ ــ تجنب تعزيز استجابات مغايرة قد تصبح بحد ذاتها مسببة لمشكلات أخرى في المدى البعيد .

٥ ــ استخدم التعزيز المتفاوت بانتظام لازالة السلوك غير المرغوب في المواقف المختلفة .

٦ ــ تجنب استخدام التعزيز المتفاوت لوحده اذا كانت الاستجابة غير المرغوبة خطرة على الحياة .

٧ ــ انتخب سلوكاً مغايراً للتعزيز المتفاوت له احتمال أكبر لأن يستمر في المواقف الطبيعية .

رابعاً ــ سحب المعززات Response Cost

تمثل هذه الطريقة شكلا من اشكال العقوبة يتضمن حرمان الفرد من أشياء سبق الحصول عليها كأن يحرم الفرد من كوبون من الكوبونات التي حصل عليها في السابق عند كل استجابة غير مرغوبة . وفي حالة عدم وجود معززات من هذا النوع فيلجأ الى حرمان الفرد من أشياء لها قيمة كبيرة في نظره مثل مشاهدة التلفزيون .

(Kazdin, 1972, pp. 533-546)

وتتضمن خطوات هذه الطريقة مايلي (Karoly, p. 236)

١ ــ استخدم سحب المعززات عند ظهور الاستجابة غير المرغوبة مع التعزيز الايجابي للاستجابات الأخرى .

٢ ــ تأكد من أن المعززات التي يتقرر سحبها هي ذات قيمة في نظر الفرد .

٣ ــ رتب طريقة الحصول على المكافآت وفقدانها بشكل لايسهل تعويضها .

٤ — رتب طريقة الحصول على المكافآت وفقدانها بحيث لايؤدي الى حرمان الفرد كلياً في جلسة واحدة وفي نفس الوقت لايكون الفقدان ضئيلا الى الحد الذي لايلاحظ .

٥ — اسحب المعززات فور ظهور الاستجابة غير المرغوبة .

٦ — في حالة الأفراد الذين لم يسبق لهم الحصول على مكافآت قد يكون من الضروري منحها لهم بشكل غير مشروط .

٧ — عند استخدام سحب المعززات مع النقد الكلامي يمكن العمل على تلاشي سحب المعززات تدريجياً والسيطرة على السلوك غير المرغوب بالتوجيه الكلامي فقط .

٨ — يمكن استخدام المعززات المتخيلة لا الحقيقة مع الافراد الذين يملكون دافعية أكبر كأن يصور لهم أن سلوكهم سيحرمهم من فرصة تحقيق طموحاتهم في المستقبل.

خامساً — حرمان المشاركة Time-Out

في هذه الطريقة يلجأ الى حرمان الفرد من فرصة المشاركة في الجلسة وبالتالي حرمانه من فرصة الحصول على المعززات وينجح ذلك خاصة مع المشاكسين والعنيفين ولا تستلزم هذه الطريقة عزل الفرد في غرفة أخرى بل يمكن حرمانه من المشاركة في النشاط مع بقائه في نفس المجموعة . (Foxx and Shapiro, pp. 125-136).

وتتضمن خطوات هذه الطريقة مايلي (Karoly, p. 237)

١ — استخدم حرمان المشاركة مع التعزيز الايجابي للاستجابات المرغوبة .

٢ — رتب مكان العزل ليكون بعيداً عن التنبيهات المشوشة وفي نفس الوقت رتب مكان الجلسة لتكون فيه التعزيزات جاهزة .

٣ — يفضل أن تكون فترات الحرمان قصيرة مابين خمس الى عشرين دقيقة .

٤ — يفضل ان تكون المسافة الى مكان العزل قصيرة .

٥ — راقب سلوك الفرد خلال فترة الحرمان حتى لايجعلها فرصة للعب .

٦ — لاتعزز اي سلوك للفرد وهو ذاهب أو قادم من مكان العزل .

٧ — استخدم التنبيه الاشاري أو الكلامي قبل إعلان حرمان المشاركة بحيث تساعد على تشكيل ترابط تسلسلي يقود الى الحرمان .

٨ — لاتستخدم حرمان المشاركة في المواقف التي لايشعر فيها الفرد بجاذبية للبقاء .

سادساً ــ التصحيح المبالغ Overcorrection

هناك جانبان لهذه الطريقة ، الأول هو إصلاح ماطرأ في البيئة من اضطراب واعادة الوضع الى احسن مما كان عليه كأن يعتذر الفرد ليس فقط للشخص الذي اعتدى عليه وانما لكل المجموعة . والجانب الثاني هو التمرين الايجابي الذي يستلزم سلوكاً ايجابياً متواصلا كأن يقوم الفرد في المثال أعلاه بتوجيه الشكر لأفراد المجموعة عند قيامهم بسلوك مرغوب . (Foxx and Azrin, pp.15–27)

وتتضمن خطوات هذه الطريقة مايلي (Karoly, p. 239) :

١ ــ استخدم التصحيح المبالغ فور ظهور السلوك غير المرغوب .

٢ ــ اجعل التمرين متضمنا لأعمال تكون فائدتها للفرد واضحة .

٣ ــ استخدم التصحيح المبالغ فقط مع الافراد القادرين على تفهم أغراضه التربوية

٤ ــ اجعل التعزيز خلال فترة التصحيح المبالغ في الحد الأدنى .

٥ ــ استخدم التصحيح المبالغ بالتنسيق مع تعزيز السلوك المرغوب .

٦ ــ راقب ظهور اي استجابات غير مرغوبة خلال وبعد انتهاء فترة التصحيح المبالغ .

٧ ــ اجعل فترة التصحيح المبالغ قصيرة قدر الامكان .

٨ ــ لتيسير التعميم استخدم التصحيح المبالغ في مواقف مختلفة ومن قبل اكثر من مدرب واحد .

سابعاً ــ الاشباع Satiation

يكمن محور الاشباع في ان تكرار الاستجابة خلال فترة قصيرة مع تعزيزها يؤدي الى تقليل الاستجابة بسبب ارهاق الفرد وفقدان التعزيز لخاصية الدافعية . ومن أوضح الأمثلة على هذه الطريقة منع التدخين . وفي هذه الحالة يقوم الفرد بالتدخين بشكل متواصل خاضعا لتوجيهات المدرب الى ان تصبح العملية لاتطاق . وقد نجحت الطريقة في انهاء التدخين عند الذين جربت عليهم كلهم بعد التدريب واستمرار مايقارب ٦٠ ٪ منهم بالامتناع عن التدخين بعد ستة أشهر (Schmahl et al., pp.105–111) .

(د) استمرارية التغييرات السلوكية الجديدة : ـ

أولاً ـ المداومة والتعميم Maintenance and Generalization

ان العبرة في الاستفادة من التغييرات السلوكية نتيجة استخدام طرق تحوير السلوك وجعلها جزءاً مندمجاً في سلوك الفرد اليومي ليست في تحقيق التغيير المطلوب ضمن المؤسسات أو في المواقف التعليمية فحسب وإنما العبرة في أن يتعدى ذلك إلى المواقف الحياتية المختلفة. وأهم سبب لانعدام استمرارية التغيير وعدم انتقال السلوك المرغوب إلى مواقف جديدة يكمن في اختلاف البيئة التعليمية عن البيئة الطبيعية التي يواجهها الأفراد بعد التدريب وعدم قدرتهم على تعميم السلوك من الموقف التعليمي المحدد إلى المواقف الجديدة.
(Wildma nand wildman, pp. 432–448)

وتتضمن عملية المداومة على نتائج التدريب وتعميمها إلى المواقف الأخرى مايلي) (Karoly, P.241)

١ ـ الاستمرار بتقييم السلوك وجمع المعلومات الدقيقة عن المتدربين.

٢ ـ عزز السلوك المرغوب بصورة متفاوتة.

٣ ـ انقل السيطرة إلى التنبيهات السائدة في بيئة الفرد بتوفير أكثر مايمكن منها في البيئة التعليمية.

٤ ـ استخدم التنويع في التدريب من خلال الأمثلة والنماذج .

٥ ـ درب الفرد على أن يمارس بنفسه عملية مراقبة نشاطاته والسيطرة على الظروف التي تؤثر فيها .

٦ ـ هيء الظروف التي تساعد الفرد على أن يربط نجاح أو فشل محاولاته في التغيير بعمله هو بدلاً من إلقاء اللوم على الظروف المحيطة أو الاشخاص الآخرين .

٧ ـ نسق مع الاشخاص الرئيسيين في حياة الفرد مثل الأبوين وأعضاء المؤسسة وزملاء العمل لتوجيه الظروف البيئية لخدمة الهدف التعليمي.

ثانياً ـ تصميم البيئة المادية Environmental Design

تعتبر عملية تصميم وتغيير البيئة المادية من المجالات التي بدأ الاهتمام بها حديثاً من قبل السلوكيين .ومحور هذه العملية يتركز في السيطرة على البيئة المادية التي يتعامل معها

ومن خلالها الأفراد المعوقون وتصميمها بشكل يضمن تطوير التعامل من خلال هذه البيئة لتحقيق الأهداف التربوية. (Risley ,pp 149.-163)

وتتضمن هذه العملية مايلي (Karoly, p. 242) :

١ ـ تصميم أمكنة التدريب والعمل بحيث تساعد على تفاعل أفضل بين المدربين والمتدربين وبين بعضهم مع بعض.

٢ ـ استخدام مكونات البيئة المادية لتسهيل التعلم وتجنب الاضطرابات السلوكية.

٣ ـ استخدام طرق أفضل لتحديد مسؤوليات المشرفين والكوادر العاملة في ملاحظة السلوك اليومي وتوجيه النشاط وتقييم النتائج دون إخلال بالبيئة.

٤ ـ إخضاع مجالات الاعتماد المتبادل بين الاستجابات السلوكية وعناصر البيئة للتحكم.

إن طرق تحوير السلوك المذكورة أعلاه تشكل مع بعضها أسلوباً متكاملاً يهدف إلى تحقيق التغييرات المطلوبة في سلوك المعوقين ومساعدتهم على التكيف الفعال في البيئة التي يعيشون فيها. وإننا في عرضنا لهذه الطرق على شكل خطوات عملية مبسطة وعناصر محددة قد استهدفنا إبراز الامكانيات الموجودة لتطبيق هذه الطرق في معاهد المعوقين في القطر بيسر ونجاح.ولكن تطبيق هذا الاسلوب من قبل أشخاص غير مدربين قد لا يحقق النتائج المرجوة. ولذلك لابد لنا أن نشير في هذا المجال ولو بايجاز إلى مسألة تدريب الكوادر .

تدريب المعلمات والكوادر الأخرى في معاهد المعوقين

من أجل أن يكون استخدام أسلوب تحوير السلوك مؤثراً وناجحاً في تحقيق الاهداف التربوية فلابد من تدريب المعلمات والكوادر الاخرى في معاهد المعوقين تدريباً مناسباً. ورغم أن المعلمات عموماً يستخدمن بعض هذه الطرق بشكل أو بآخر في تعاملهن اليومي داخل الصف وبصورة غير مبرمجة. فان هذا لايغني عن وضع أهداف محددة لتعليم المعوقين وتطبيقها بشكل منتظم. فلابد لهذه المعاهد من برمجة الانشطة المختلفة وتحديد الاهداف المرحلية والنهائية واستخدام طرق تحوير السلوك بتنسيق تام مع جميع الأطراف الرئيسية التي تتعامل مع المعوقين. والمعلمات يشكلن بالطبع إحدى هذه الأطراف الرئيسية ولكن التدريب يجب أن يشمل كذلك الباحثات الاجتماعيات ثم الآباء والامهات في مرحلة تاليـة.

ان برامج التدريب المطلوبه في هذه المرحلة ليس من الضروري أن تكون طويلة وشاملة كما أن الجوانب النظرية للموضوع يمكن أن تشكل جزءاً من البرنامج التدريبي وذلك لغرض التركيز على الجوانب التطبيقية في طرق تحوير السلوك وتقييم النتائج ليمكن بالتالي اختيار الصيغ الملائمة في تعليم المعوقين وتطويرها بما ينسجم مع الاهداف الموضوعة ومع حالات المعوقين الذين تضمهم هذه المعاهد .

وفي أدناه مقترح إطار عام لبرنامج تدريبي يمكن أن يعتبر خطوة أولى في اتجاه تطوير الجوانب التنفيذية لتدريب الكوادر من قبل الجهات ذات العلاقة.

مقترح إطار عام لبرنامج تدريبي

١ — تكون أهداف البرنامج موجهة إلى توضيح مفاهيم وطرق تحوير السلوك وإلى إيجاد لغة مشتركة في استخدام الاسلوب الجديد بين العاملات، لمايترتب على ذلك من تسهيل الاتصال الفعال في مجال التطبيق وإلى توضيح الدور التربوي الذي تقوم به المعلمة والباحثة الاجتماعية في هذه المعاهد.

٢ — من المفضل أن يشمل البرنامج التدريبي فئات المعلمات والباحثات الاجتماعيات والمشرفات الاداريات وذلك لتكوين فريق متكامل يعمل بنفس الاتجاه ويمنع حدوث تعارض في التطبيق .

٣ — يصار إلى اتباع أسلوب التدريب أثناء الخدمة في هذه المرحلة للاستفادة من الخبرات المستحصلة وبما يساعد على توجيه التدريب لحل المشكلات السائدة في معاهد المعوقين .

٤ — يستحسن ألا يزيد عدد المشاركات في البرنامج التدريبي الواحد عن عشرين متدربة يتم اختيارهن من بين الكوادر الحالية وفقاً لمسؤولياتهن ومدة خدمتهن.

٥ — قد يكون من المفيد أن يعقد البرنامج التدريبي في واحد من معاهد المعوقين نفسها لتيسير الاستفادة من المشكلات التي يعاني منها تلاميذ المعهد في توضيح طرق التدخل المناسبة وكيفية تطبيقها وكذلك لغرض تشخيص المعوقات الموجودة في البيئة التعليمية واقتراح التعديل المناسب .

٦ — يفضل أن تكون مدة البرنامج التدريبي في حدود ثلاثين يوماً مقسمة كمايلي :

(أ) الملاحظة والتشخيص وتسجيل المعلومات : ٥ أيام

(ب) طرق تحوير السلوك : ٢٠ يوماً

(ج) متابعة سلوك الأطفال وتقييم النتائج : ٥ أيام

٧ — من الضروري أن يتم التركيز على الجوانب التطبيقية وبنسبة ٧٥٪ من وقت البرنامج الكلي على الأقل وتتضمن المشاهدات واستخدام الطرق في المواقف التعليمية المختلفة بما يساعد على اجراء مايلزم من الملاءمة في ضوء الحالات السائدة في المعهد .

٨ — لابد من الاحتراس من أن مثل هذا البرنامج التدريبي لن يحقق تغييرات سريعة وشاملة في وقت قصير ولذلك يصبح من الضروري تطوير اتجاهات المتدربات للايمان بفاعلية هذا الأسلوب في التغيير على المدى الطويل .

٩ — وفي ضوء ماتقدم فلابد أن يتبع البرنامج التدريبي متابعة وتقييم دوري للنتائج المستحصلة من التطبيق لتشخيص المجالات التي تحتاج الى تدريب أكثر وكذلك لتحديد التأثيرات البيئية التي تحتاج الى تعديل .

١٠ — بالنظر لقلة المصادر المتوفرة عن الموضوع باللغة العربية فقد يصبح من الضروري الاستعانة بالمصادر الأجنبية . ونقترح بهذا الخصوص مصدرين مهمين .

المصدر الأول هو الكتاب الذي أعده (Watson) على شكل دليل عملي يستخدم في برامج تدريب المعلمين مدعم بالأمثلة والصور التوضيحية ولايتطلب اعداداً نظرياً واسعاً كما ان الدليل يحتوي على أسئلة اختبار يمكن استخدامها في تقييم المتدربين .

أما المصدر الثاني فهو كتاب (Mamchak and Mamchak)الذي يتضمن عرضاً لكيفية استخدام طرق تحوير السلوك في المعاهد التعليمية مع التركيز على صياغة البرنامج بشكل موجه الى تلبية الحاجات الفردية للأطفال المعوقين . والى جانب ذلك يحتوي الكتاب على شرح لأساليب اشراك الاباء والأمهات في البرنامج التعليمي ودور الادارة التعليمية في تطبيقه .

١١ — لكي تكون الأطراف المختلفة على دراية واقتناع بالأسلوب الجديد ومتفهمة لأغراضه التربوية فلابد من اقامة برامج تدريبية موجهة للآباء والأمهات لما لهم من دور مكمل في نجاح الأسلوب الجديد . ويمكن أن تعقد مثل هذه الدورات التدريبية في فترة لاحقة لتدريب الكوادر التعليمية .

١٢ — لابد من الأشارة هنا الى مسألة تحفيز الكوادر للمشاركة في البرنامج التدريبي أولا ثم في تطبيق الأسلوب الجديد فيما بعد لدعم استمرارية العمل بالأسلوب الجديد

وتطويره . ونعتقد أن هذا التحفيز سيكون له أبعد الاثر في تحقيق التغيير المنشود في أساليب تعليم المعوقين .

الخلاصة

بالرغم من أن مشكلات المعوقين تحتاج إلى معالجة مبرمجة وهادفة فان معاهد المعوقين في العراق مازالت بعيدة عن تطبيق متكامل بهذا الاتجاه .

ويظهر هذا النقص واضحاً في استخدام أسلوب تحوير السلوك الذي أثبت فاعليته في مساعدة الافراد على التغيير وفي معالجة الاضطرابات السلوكية لفئات المعوقين سواء في المواقف التعليمية أو في المواقف الحياتية عموماً .

وقد استهدفت هذه الدراسة إلقاء الضوء على الطرق المتبعة في تحوير السلوك وبيان كيفية استخدامها على شكل خطوات علمية مبسطة يمكن أن تفيد منها المعلمة في معاهد المعوقين بعد تدريب أولي . وقد تم عرض الطرق المختلفة تحت الوظائف الرئيسية الاربع لأسلوب تحوير السلوك وهي :

أ — تشكيل الاستجابات السلوكية. وتشمل الطرق التالية :

١ — التشكيل (التمييز والتقريب المتعاقب)

٢ — الربط التسلسلي .

٣ — التلاشي والحث

ب — زيادة الاستجابات المرغوبة .وتشمل الطرق التالية :

١ — التعزيز الايجابي ٢ — التعزيز السلبي ٣ . — السيطرة على التنبيهات.

حـ — تخفيض الاستجابات غير المرغوبة. وتشمل الطرق التالية :

١ — التنبيه المنفر ٢ — الاطفاء. ٣ — التعزيز المتفاوت للسلوك المغاير أو المتعارض. ٤ — سحب المعززات . ٥ — حرمان المشاركة .

٦ — التصحيح المبالغ . ٧ — الاشباع .

د — استمرارية التغييرات السلوكية الجديدة. وتشمل الطرق التالية :

١ — المداومة والتعميم. ٢ — تصميم البيئة المادية.

واختتمت الدراسة بتوصية تتعلق بأهمية تدريب المعلمات والكوادر الأخرى في معاهد المعوقين على استخدام طرق تحوير السلوك واقتراح إطار عام لبرنامج تدريبي في هذا الاتجاه .

المراجع

(أ) المراجع الانكليزية : —

1– Ayllon, T., and Milan, M. A. *Correctional Rehabilitation and Management: A Psychological Approach*, John Wiley and Sons, New york, 1979, pp. 78–93.

2– Barclay, J.R. Effecting behavior change in a classroom. *Journal of Counseling Psychology*, 1967, 14, 240–247.

3– Barlow, D.H., and Agras, W.S. Fading to increase heterosexual responsiveness in homo sexuals. *Journal of Applied Behavior Analysis*, 1973, 6, 355–366.

4– Becker, W.C., Madsen, C.H., Arnold, C.R., and Thomas, D.R. The contingent use of teacher attention and praise in reducing classroom behavior problems. *The Journal fof Special Education*, 1967, 1, 287–307.

5– Birnbrauer, J.S., and lawler, J. Token reinforcement for learning. *Mental Retardation*, 1964, 2, 275–279.

6– Dyer, V. An example: Reinforcement principles in a classroom for emotionally disturbed children. *Exceptional Children*, 1968, 34, 597–599.

7– Forehand, R., and Baumeister, A.A. Deceleration of aberrant behavior among retarded individuals, in M. Hersen, R.M. Eisler, and P.M. Miller, (Eds.), *Progress in Behavior Modification*, Vol. 2, Academic Press, New york, 1976, pp. 223–278.

8– Foxx, R.M., and Azrin, N.H. Restitution: A method of eliminating aggressive–disruptive behavior of retarded and brain–damaged patients. *Behavior Research and Therapy*, 1972, 10, 15–27.

9-- Foxx, R.M., and Shapiro, S.T. The time-out ribbon: A non-exclusio nary time out procedure. *Journal of Applied Behavior Analysis*, 1978, 11, 125-136.

10- Harris, S.L., and Ersner-Hersh field, R. Behavioral suppression of seriously disruptive behavior in psychotic and retarded patients: A review of punishment and its alternatives. *Psychological Bulletin*, 1978, *85* 1352-1375.

11- Karoly, P. Operant methods, in F.H. Kanfer and A.P. Goldstein, (Eds.), *Helping People Change*, Pergamon Press, New york, 1980, pp. 210-247.

12- Kazdin, A.E. *Behavior Modification in Applied Settings*. Dorsey Press, Homewood, Illinois, 1975.

13- Kazdin, A.E. Response cost: The removal of conditioned reinforcers for the rapeutic change. *Behavior Therapy*, 1972, 3, 533-546.

14- Kohlenberg, R., and Phillips, T. Reinforcement and rate of litter depositing. *Journal of Applied Behavior Analysis*, 1973, 6, 391-396.

15- Mamchak, P.S., and Mam chak, S.R. *Personalized Behavioral Modification: Practical Techniques for Elementary Educators*. Parker Publishing co., New york, 1976.

16- Marholin, D., and Steinman, W.M. Stimulus control in the classroom as a furction of the behavior reinforced. *Journal of Applied Behavior Analysis*, 1977, 10, 465-478.

17- McClannahan, L.E., and Risley, T.R. Design of living environments for nursin—home residents: increasing participation in recreation actvities, *Journal of Applied Behavior Analysis*, 1975, 8, 261-268.

18- McNamara, J.R. Behavior therapy in the classroom: A case report. *Journal of School Psychology*, 1968, 7, 48-51.

19– Millenson, J.R. *Principles of Behavior Analysis.* Macmillan, New york, 1967.

20– Penick, S.B., Fillion, R., Fox, S., and Stunkard, A. Behavior modification in the treatment of obesity. *Psychosomatic Medicine,* 1971, 33, 49–55.

21– Risley, T.R. The ecology of applied behavior and analysis, in A Rogers–warren and S.F. warren, (Eds.), *Ecological Perspectives in Behavior Analysis.* Univ. Park press, Baltimore, Maryland, 1977, pp. 149–163.

22– Schmahl, D.P., Lichtenstein, E., and Harris, D.E. Successful treatment of habitual smokers with warm, smoky air and rapid smoking. *Journal of Consulting and Clinical Psychology,* 1972, 38, 105–111.

23— Skinner, B. F. *The Behavior of Organisms: An Experimental Analysis.* Appleton-Century - Crofts, New York, 1938.

24— Watson, Jr., L.S. *Child Behavior Modification: A Manual –for Teachers, Nurses, and Parents.* Pergamon Press, New York, 1973 .

25— Weisberg, P., Passman, R. H., and Russell, J. E. Development of verbal control over bizarre gestures of retardates through imitative and nonimitative reinforcement procedures. *Journal of Applied Behavior Analysis,* 1973, 6, 487-495.

26— Wildman, R. W. II, and Wildman, R. W. The generalization of behavior modification procedures: A review with special emphasis on classroom applications. *Psychology in the Schools,* 1975, 12, 432- 448.

27— Wilson, G. T., Leaf, R. C., and Nathan, P. E. The aversive control of excessive alcohol consumption by chronic alcoholics in the laboratory setting. *Journal of Applied Behavior Analysis,* 1975, 8, 13-26.

(ب) المراجع العربية :ـ

١ ـ الكربولي، حمد دلي (دكتور)، تحوير السلوك ـ نظرة في الأسلوب والمنهج مجلة العلوم التربوية والنفسية ، بغداد، العدد الرابع، ١٩٨٠، ٥ ـ ٢١.

٢ ـ تريفرز، علم النفس التربوي . ترجمة د. موفق الحمداني ود. حمد دلي الكربولي جامعة بغداد، ١٩٧٩ .

نظرية المكان

في فلسفة الحسن بن الهيثم الطبيعية

نعمة محمد ابراهيم
الجامعة المستنصرية

تمهيد :

المكان من المباحث المهمة في الفلسفة الطبيعية، وجزء رئيسي منها، واحد المقولات الاساسية في فلسفة افلاطون وارسطو ولهذا احاطتها عقول الباحثين بالنقد والتحميص ورأي فيلسوفنا «إبن الهيثم»(١) في مسألة المكان مخالف لآراء من سبقوه بعد أن أدرك التصورات العديدة والمتباينة عن المكان، حيث قام بتحليلها ثم نقدها مسانداً لافكار أرسطو. وسنعرض هذه الآراء مع بيان موقف فيلسوفنا منها مبتدئين بالتعريف اللغوي.

أما مسألة الخلاء فهي مسألة مهمة عند إبن الهيثم، والتي تقع جنباً إلى جنب مع مسألة المكان . وقد أثبت أن الخلاء عبارة عن ابعاد مفترضة ومجردة من الاجسام كما سنرى بعد قليل.

ويمكننا أن نشير إلى نقطة مهمة في فلسفة إبن الهيثم هي: أنه لم يقر الخلاء المطلق بل

(١) هو ابو علي محمد بن الحسن بن الهيثم (٣٥٤هـ - ٤٣٠هـ) من اشهر فلاسفة عصره ولد في البصرة ، ثم انتقل الى مصر واقام فيها الى آخر عمره.
ويذكر القفطي وابن ابي اصيبعة مؤلفات ابن الهيثم، ينظر: القفطي اخبار العلماء بأخبار الحكماء ،مطبعة السعادة مصر (ط)١ ١٣٢٦هـ ،ص ١١٤ ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، شرح وتحقيق .د . نزار رضا، بيروت (ط ١) سنة ١٩٦٥، ٩١/٢ - ٩٣.

اعتقد بالخلاء النسبي واثبت ذلك ببراهين هندسية سنذكرها فيما بعد.

ويتضمن هذا البحث مقدمة وفصلين وخاتمة .

المقدمة في بيان معنى المكان لغة .

والفصل الاول وفيه مبحثان .

الاول حقيقة المكان عند الفلاسفة قديماً وحديثاً .

الثاني حقيقة المكان في فلسفة إبن الهيثم .

أما الفصل الثاني ففية مبحث واحد خصصناه للخلاء وذكرنا حجة لاثباته وموقف إبن الهيثم منها .

الخاتمة الاستنتاجات .

المعنى اللغوي للمكان

يجدر بنا – ونحن بصدد البحث عن المكان – ان نبدأ ببيان معاني هذه اللفظة لغة ، لتحدد المقصود منها عند اللغويين ، ونزيل عنها مايدعو للالتباس والغموض .

ورد في لسان العرب عن المكان مايلي : مكان الشيء موضعه ويذكر ابن سيدة (١) : المكان الموضع ، والجمع أمكنة (سكون الميم) و (كسر الكاف) و (بفتح القاف) وأقذلة (بسكون القاف) و (كسر الذال) ، واماكن جمع الجمع .

وقال ثعب (٢) : يبطل أن يكون مكان فعالاً لان العرب تقول : كن مكانَكَ وقم مكانَكَ ، واقعد مَقْعَدَكَ فقد دل هذا على انه مصدر من كان أو موضع منه (٣) .

(١) هو علي بن أحمد ، ولد حوالي ٣٩٨هـ في مدينة مرسيه منطقة شرقي قرطبة، عاش ضريرا كأبيه، وتوفي عام ٤٥٨هـ. ينظر ابن سيدة في اللغة ، الطبعة الاولى، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م مصر ص ٥ وما بعدها.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن زيد النحوي الشيباني (ت ٢٩١هـ) ينظر الدكتور محمد حسين الصغير : «الصورة الفنية في المثل القرآني ، وزارة الاعلام (ط ١) ١٩٨١م، ص٤١٢

(٣) ينظر ابن منظور: لسان العرب، بيروت (بلا تأريخ) المجلد ١٣ ، ص ٤١٤ وهناك شروح عديدة لهذا الرأى في معجم اللغة، للعلامة أحمد رضا، بيروت ١٣٨٠هـ، المجلدة ص ٣٣٤، والبستاني عبد الله، فاكهة البستان بيروت (ط ١) ١٩٣٠ ص ١٣٧٧، والحسن الاشعري : مقالات الاسلاميين تحقيق محمد محي الدين، مصر ١٣٦٩، ج٢ ص ١٥ .

وأشار إلى نفس المعنى (الازهري)(١) في (التهذيب) ، أن المكان يعني به الوضع منه اذ قال (شمر)(٢) مكناتها أنها جمع المكنة ، والمكنة تعنى الوضع كذلك ، وابن الاعرابي يذكر هذا بعبارته والناس على سكناتهم ، ونزلاتهم ومكناتهم (٣) .

والجرجاني (٧٤٠ — ٨١٦هـ) يقسم المكان إلى مبهم ومعين ، ويؤكد ان المكان المعين هو : «عبارة عن مكان له اسم تسميته به بسبب أمر داخل في مسماه كالدار فان تسميته بها بسبب الحائط والسقف وغيرها وكلها داخلة في سماه (٤) .

وابن الهيثم يشير إلى ذلك بقوله «ان سائلا سأل عن انسان من الناس فقال فلان في اي مكان هو ، وكان ذلك الانسان غائباً عن بلده أو بيته فجوابه هو ان يقال في البلد الفلاني أو البيت العائد لفلان ، وهنا أصبح البلد مكاناً له وكذلك البيت أو الدار. إذ مكان الانسان موضعه من الارض ، والكأس مكان او موضع للشراب، والبركة مكان الماء .....»(٥).

وهذا الظن كما يقول أبو البركات البغدادي(٦) جعل الجمهور يتخيلون أن الارض يجب أن تكون في مكان ما. واختلفت آراؤهم في ذلك القسم حيث قال قسم على الماء وقسم قال محمولة على حيوان (٧) .

اذن نستنتج مما تقدم مايلي (ان المكان قائم بنفسه ولا يمكن ان نعدمه ويكون امراً ضرورياً للجسم من ان ينتقل عليه واليه بالحركة أو يسكن فيه لفترة معينة (٨) .

(١) هو محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الازهر، الازهري ولد عام ٢٨٢هـ وتوفي عام ٣٧٠هـ. ينظر السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (ط ١) ١٣٨٤هـ — ١٩٦٥م، ١١ ص ١٩

(٢) شمر بن حمدويه الهدوى ابو عمرو اللغوي المشهور، مجهولة ولادته ووفاته . ينظر السيوطي بغية الوعاة، ج٢ ص ٤ .

(٣) ينظر الازهري: التهذيب، مطبعة مصر (ط ١) بلا تاريخ ج١٠ ص ٢٩٤ .

(٤) الجرجاني : التعريفات طبعة مصر الأولى، ١٣٥٧هـ — ١٩٣٨م، ص ٢٠٣

(٥) ابن الهيثم رسالة المكان، طبعه حيدر أباد الدكن، الطبعة الأولى ١٣٥٧، ص ٢

(٦) هو هبه الله، لقبه أوحد الزمان، كنيته ابو البركات، اسم ابيه (علي ملكا) ولد في مدينة (بلد) سنة (٤٥٤هـ) وتوفي في بغداد سنة ٥٤٧هـ. ينظر ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، دار الفكر بيروت، ١٩٥٦م، ج١ ٢٩٦، ابن الاثير : الكامل في التاريخ مطبعة الاستقامة مصر (بلا تاريخ) ٣٥٤/٨.

(٧) ابو البركات البغدادي، المعتبر في الحكمة، طبعةحيدر أباد الدكن، (ط١) ١٣٥٧هـ، ج٢ص٤١.

(٨) ينظر فخر الدين الرازي «محمد بن عمر» ت ٦٠٦هـ: المباحث الشرقية مكتبة الاسدي ١٩٦٦، ج١ ص ٢١٧ .

الفصل الاول

المبحث الاول

حقيقة المكان عند الفلاسفة قديماً وحديثاً

قد يكون زيتون الايلي «٤٩٠ — ٤٠٠ ق.م» أول فيلسوف اكد بأن المكان غير متناه ووجوده مشكوك فيه بعد اشارته للحجج الاربع ضد الحركة (١).

واعتقد «جان فال» بأن فكرة المكان بدأت مع افلاطون (٤٢٧ — ٣٤٧ق م)، لان صورة علم الهندسة اكتملت فيه عهده واثرت على فكرة المكان ، وهذا الامر لم يتحقق في عهد افلاطون وان بعض مفسري مذهبه قد استطاعوا إثبات وجود تشابه بين ماذكره عن المكان في محاورة «طيماوس» وبين المكان في العلم الحديث .

افلاطون نظر الى المكان على انه الحاوي ويجب ان يكون وجوده حقيقياً ، وله ابعاد ثلاثة (٢) . وكذلك فعل في العصر الحديث (نيوتن) ١٦٤٢ — ١٧٢٧ اذ تصور المكان انه الحاوي للاشياء ، ولكنهما وصفاه بخصائص اساسية هي اللاتناهي والقدم ، وعدم الفناء (٣) .

اما عند ارسطو (٣٨٤ — ٣٢٢ ق.م) فهو نوعان : مكان مشترك يوجد فيه جسمان أو أكثر ومكان خاص يوجد فيه كل جسم أولاً . وهذا المكان الخاص سطح الجسم المادي ، أي السطح الباطن المماس للمحوي .

---

١) ينظر : Aristotle:Me ta phy sics.Arevised text:with introduction and Commentary by S. D. Ross London- Oxford. 1924 Two Volumes. B4. I, 20g A.

(٢) ينظر جان فال: طريق الفيلسوف ، ترجمة . احمد حمدي محمود مراجعة العفيفي (ط ١) ١٩٦٧ مصر ، ص ١٤١ .

(٣) ينظر : بينس، مذهب الذرة عند المسلمين ، ترجمة عبد الهادي ابو ريدة مطبعة النهضة المصرية بلا تاريخ ، ص ٦٨ وجان فال، طريق الفيلسوف، ص ١٤٢، افلاطون، طيماوس، ترجمة جرجي بربارة، منشورات الجامعة اللبنانية ١٩٧٠ ، ص ٥٢ب.

وهذا التعريف لايتعلق الا بالمحل لا بالمكان بالمعنى الميتافيزيقي وهو لايتناول غير علاقة الموضع الخاص بالاجسام المتحاسة التي لايوجد بينها مسافات .

والمكان عند (اقليدس) (١) ثلاثة ابعاد الطول والعرض والعمق . ولكن جاء الرياضيون المحدثون في القرن التاسع عشر وعلى راسهم (ريمن) (١٨٢٦ — ١٨٦٦م) و «لوبنسنسكي» (١٧٩٣ — ١٨٥٦ م) ، فأثبتوا امكان وجود مكان غير مكان اقليدس وان مكان اقليدس هو واحد من بين انواع المكان . ولأنهم قالوا بهندسة غير هندسة اقليدس ، تقوم على هذه التصورات المختلفة للمكان (٢) .

والمكان عند الفيلسوف العربي (الكندي) (٣) وضحه بالعبارة التالية «ان أي جسم يزيد أو ينقص أو يتحرك فلابد ان يكون في زيادته أو نقصانه أو حركته في شيء أكبر منه يحويه ويسمي مايحوي ذلك الجسم بالمكان» (٤) .

اذن المكان هنا هو السطح الذي خارج الجسم والذي يحويه المكان .

و (الفارابي) (٥) أكد ان المكان موجود ولا يمكن انكاره ووجوده بالفعل لان الاجسام

---

(١) اقليدس فيلسوف يوناني رياضي قيل انه ولد في الاسكندرية وتوطن اغريقيه قبل الميلاد بثلثمائة سنة ، ثم جاء الى الاسكندرية وفتح مدرسة لتعليم الرياضيات صارت اشهر مدرسة في مصر. ينظر القطفي، اخبار العلماء وأخبار الحكماء، بيروت بلا تاريخ، ص٤٦.

(٢) ينظر ينزايد رسل : تأريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة ترجمة الدكتور محمد فتحي الشنيطي، مصر ١٩٧٧م (ط ١) ، ص ٣٢٨، عبد الرحمن بدوي مدخل جديد الى الفلسفة (ط ١) ١٩٧٥م، ص ١٩٦ وما بعدها، يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية (ط ٥) ١٩٧٠، القاهرة ص ٣٠، ص ١٤٢، جان فال طريق الفيلسوف ، ص ١٤١ وما بعدها، ارسطو، الطبيعة الترجمة العربية القاهرة ١٩٦٥م ، جـ١ ص ١٩١ و Arist otle : P. 54. و Ross. .

(٣) هو يوسف يعقوب بن اسحق: بن كنده.. ولد في البصرة سنة ١٨٥ ، ثم انتقل الى بغداد حيث تأدب بعلوم زمانه واقام في بغداد الى أخر عمره، وكانت وفاته عام (٢٥٢هـ) ابن النديم الفهرست ص ٣٠٨ — ١٩٦٥، ابن ابي اصيبعة عيون الا نباء، جـ١ ص ٢٠٩

(٤) ينظر رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق د. ابو ريدة ، القاهرة ١٩٥م، ٣٠٠٢٨

(٥) الفارابي (٢٥٧هـ — ٣٣٩هـ) ، هو ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان المشهور بالفارابي فاراب ثم رحل الى دمشق وعاش فيها حتى ادركه الاجل ينظر ابن خلكان وفيات الاعيان ، طبعة دي سلان، باريس ١٨٧١م، ١٠٠/٢ وما بعدها..

موجودة . وفيلسوفنا ربط بين الجسم والمكان ، أي لكل جسم موضع خاص به ولا يمكن وجود الاجسام بدون المكان (١) .

أما (أبن سينا)(٢)اعتقد ان المكان هو السطح الباطن من الجرم المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي . ويقال مكان الجسم للسطح الاسفل الذي يستقر عليه جسم ثقيل، ويقال مكان بمعنى ثالث الا انه غير موجود ، وهي ابعاد مساوية لابعاد المتمكن تدخل فيها ابعاد المتمكن ، وان كان يجوز ان يبقى من غير متمكن ، كانت نفسها هي الخلاء وان كان لايجوز الا ان يشغلها جسم كانت ابعاداً غير ابعاد الخلاء الا ان هذا المعنى من لفظ المكان غير موجود (٣) .

أما (الغزالي) (٤) فأثبت حقيقة المكان منخلال تأكيد خواص اساسية للمكان هي

١ ــ ان الجسم ينتقل منه الى مكان أخر ، ويستقر الساكن في احدهما اذن لولا وجود المكان لما حكمنا على الجسم بأنه تغير موضعه .

٢ ــ ان الواحد لايجتمع فيه اثنان ، مثلا لايدخل الخل في الكوز مالم يخرج منه الماء ، ولا يدخل الماء مالم يخرج الهواء وهكذا .

٣ ــ ان فوق وتحت .... انهما يكونان في المكان لاغير (٥) .

أذن وجود المكان أمر مسلم به ولايمكن انكاره أو بطلانه في فلسفة الامام الغزالي.

---

(١) الفارابي : رسائل الفارابي في الحكمة ، طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٤٩هـ، ص ٩٩ .

(٢) ابن سينا٣٧٠-٤٢٨هـ هو ابو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا ولد في بخاري ثم أنتقل الى بلاد فارس وفارق الحياة فيها فدفن في همدان.ينظر أبى أبي اصيبعة عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٩ .

(٣) ينظر أبن سينا: كتاب الحدود، حققه وقدم له امليه قاربه جواشوى، القاهرة ١٩٦٣، ص ٣٢ .

(٤) هو محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ) من اشهر فلاسفة عصره ولد ومات في طوس:
الغزالي. معيار العلم في فن المنطق ، دار الأندلس بيروت ، ط٢ ١٩٧٨، ترجمة المصنف، ص ٣-١٧.

(٥) الغزالي :مقاصد الفلاسفة ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، القاهرة بلا تاريخ، ص ٣١٢

والمكان عند (ديكارت) (١) يتكون من جوهر المادة . ولايمكن انكاره من الوجود ، مادامت المادة موجودة (٢)

أما (سبينوزا) (٣) قد اثبت بأن المكان صفة تماثل اهميتها العقل واعتقد هذا الفيلسوف بأن المكان غير متناه (٤) .

أما (مالبرانش) (٥) فقد جعل المكان فكرة صادرة عن (الله) اكثر من كونه فكرة صادرة عن الانسان (٦) .

أما (لابينز) فاعتبر المكان المجرد شيئاً ظاهراً وفكرة مضطربة (٧) .

والمكان عند (كانط) (٨) هو تصور غير تجريبي ، وهو مجرد من التجربة وذلك مفترض مقدما من دلالة الاحساسات على شيء خارجي او التجربة الخارجية ممكنة فقط من خلال

---

(١) ديكارت. (١٥٩٦ - ١٦٥٠) .
يعتبر رينيه ديكارت Rene Decartes ، مؤسس الفلسفة الحديثة، وحاول ان يشيد صرحا فلسفياً جديداً يعتمد على اسس الفيزياء او الفلك . ينظر رسل تاريخ الفلسفة الغربية، ص ١٠٤.

(٢) جان فال: طريق الفيلسوف، ص ١٤١ .

(٣) سبينوزا spinoza (١٦٣٤ - ١٦٧٥) .
ولد يهوديا ولكن اليهود حرموه من الانتماء اليهم ، ولقد مقته المسيحيون ايضا مقتا شديداً ، فقد اتهمه اصحاب العقيدة التقليديون. بالكفر ينظر «ول ديوارانت» قصة الفلسفة ، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، بيروت (ط ٤) ، ١٩٧٩م، ص ١٨٦.

(٤) ينظر جان فال: طريق الفيلسوف ، ص ١٤١.

(٥) مالبرانش (١٦٣٨ - ١٧٠٥م) .
قسيس من جمعية الاوراتوار لم يجد ي فلسفة ارسطو شيئا من المسيحية ينظر رسل تاريخ الفلسفة الغربية، ص ٩٨ .

(٦) جان فال: طريق الفيلسوف ص ١٤٢ .

(٧) لا بينز (١٦٤٦ - ١٧١٦) م:
ولد في ليبزج Leipzig ، كان ابوه استاذا للفلسفة الاخلاقية ، حصل على شهادة الدكتوراه من (التدورف Altdorf) . ينظر رسل تاريخ الفلسفة الغربية ص ١٣٧

(٨) جان فال: طريق الفيلسوف، ص ١٤٢ .

(٩) كانط عما نوئيل (١٧٢٤ - ١٨٠٢م) ينظر حياته بايجاز الموسوعة الفلسفية المختصرة نقلت عن الانجليزية «مجموعة من المختصين» مصر ١٩٦٣، ص ٣٤٥ .

مثول المكان ، وكذلك عنده المكان يشكل الاساس بجميع الادراكات الخارجية ، ولايمكن تمثيل عدم وجود المكان . وحجته في وجود المكان مستمده من الهندسة (١) .

أما المكان في نظر (انشتين) (٢) فهو متناه والمكان الذي يفصل ، وهو حاصل الفصل في كل كثرة (٣) .

ويبدو لي من الآراء المتقدمة أن المكان تمثل ضروري يشكل الاساس لجميع الادراكات الخارجية اذ لايمكننا جميعا تخيل انعدام المكان مادامت الاجسام موجودة ، ولكن بالامكان تخيل مكان خال من الاشياء او الاجسام ، وهذا مايطلق عليه بالخلاء كما سنرى فيما بعد .

(١) ينظر رسل تاريخ الفلسفة الغربية ص ٣٢٧ – ٣٢٨.

(٢) انشتين (البرت ليوبولد انتلد) (١٨٧٩ – ١٩٥٥) ولد في مدينة (اولم) في المانيا ورحلت عائلته الى ميونخ بعد عام من ولادته. ينظر الدكتور مرسيل داغر النسبية من نيوتن الى أنشتين، دمشق ١٩٦٤م ص ١٥٨ .

الفصل الثاني
حقيقة المكان في
فلسفة ابن الهيثم (ت ٤٣٠ هـ)

فيلسوفنا ابن الهيثم ادرك تلك التصورات المتباينة عن المكان . وقد وضح تلك الاختلافات بالفقرة التالية :

وقد اختلف أهل النظر المتحققين بالبحث عن حقائق الأمور الموجودة في ماهية المكان ، فقال قوم ان مكان الجسم هو السطح المحيط بالجسم . ولم نجد لأحد من المتقدمين كلاماً يستقصي ماهية المكان ولا دليلا واضحا يفصح عن حقيقة المكان (١) . وفي موضع آخر اكد ابن الهيثم على حقيقة المكان بعد ان طرح التساؤلات الكثيرة منها .

ان سأل سائل عن انسان وكان ذلك الانسان غائبا عن بيته او بلده فجوابه هو ان يقال هو في البيت الفلاني أو في البلد الفلاني ، وفي ذلك دليل على ان البيت او البلد قد يسمى مكاناً (٢) . اي حتى الطائر في الجو يقال له في مكان لأنه له موضع يتحرك فيه وعنه واليه ، ويتوهم سكونه فيه وحركته الوضعية من غير انتقال ، مثل الطائر يبقى في مكان واحد يرفرف فيه بجناحيه زمانا ، ولاينتقل عنه وهو في هواء متشابه الاحاطة به من تحت وفوق (٣) .

ويتبين من ذلك ان المواقف التي ذكرها ابن الهيثم عن حقيقة المكان هي :

١ — المكان هو الذي يستقر عليه المتمكن ويتحرك منه واليه (٤) .

٢ — وان مكان الجسم هو السطح المحيط بالجسم كما ذكرنا ، مثل سطح الهواء

---

(١) ينظر أبن الهيثم ، رسالة المكان، ص ٢

(٢) المصدر السابق ص ٣ .

(٣) ينظر فخر الدين الرازي ، المباحث الشرقية، ٢٢١/١.

(٤) ينظر الجرجاني، التعريفات ، ص ٢٠٣، وأبو البركات البغدادي، المعتبر في الحكمة ٤٣/٢٥ .

المحيط بالجسم الذي في الهواء ، وسطح الماء المحيط بالجسم الذي يكون في الماء (١) .

٣ ـ ان مكان الجسم هو الخلاء المتخيل الذي قد ملأه الجسم .

وفحوى ذلك ان المكان له وجود واقعي ولا يمكن لاحد ان ينكره وان هناك اختلافاً بين الجسم والسطح المحيط به ، اي ان الجسم شيء وان المكان شيء آخر ، وان هناك علاقة بين الجسم والمكان هي علاقة التماس ، فالجسم محوي بالمكان ، والمكان حاو للجسم والمكان عبارة عن خلاء متخيل والجسم هو الذي يمكّن ذلك الخلاء المتخيل .

وابن الهيثم اكد اقوال من قال ان المكان هو الابعاد ، والذين زعموا ان الجسم أمرٌ خاصٌ بسطحه أو بحجمه زكميته ، ولذلك يجب ان يكون مساوياً له فيكون بعداً ، واذا كان المكان مساوياً للمتمكن والمتمكن جسم له اقطار ثلاثة ،فالمكان ايضاً له ثلاثة اقطار (٢)

واثبت هذه الفكرة بعد ان اوقع معارضيه بالتناقض حيث قال: فمن الاجسام ما اذا تغير شكله تغير شكل السطح المحيط وزادت مع ذلك ساحة السطح المحيط به ومساحة الجسم باقية على حالها لم تتغير فمن ذلك ان الجسم المتوازي السطح اذا فصل بسطوح متوازية وموازية لسطحين من سطوحه ثم نضدت اقسامه والفت وجعل كل قسم إلى جانب القسم الآخر حتى تصير السطوح المتوازية سطحين متوازيين وتتصل اجواء الجسم وبعضها ببعض فانه يصير ، السطح المحيط بالجسم اعظم من السطح الاول الذي كان محيطاً بالجسم قبل تفصيله وذلك ان يحدث بالتفصيل سطوح كثيرة كل واحدة منها مساو لكل واحد من السطحين المتوازيين كان السطوح الحادثة ويبطل من سطوح الجسم بعض السطحين القائمين على السطحين المتوازين فيصير مكان الجسم هو سطح الهواء المحيط بالجسم المنطبق على سطح الجسم الذي هو اضعاف للسطح الاول فيكون مكان الجسم في الحال الثانية اضعافاً لمكانه الاول والجسم نفسه لم يزد فيه شيء وهذا قول مردود وشنيع»(٣)اذن المكان ماهو الا بعد أو مجموعة ابعاد الجسم ، ولا توجد إلا ابعاد المتمكن ، لان كل جسم سيال قد يتشكل باشكال مختلفة من غير ان يزيد فيه ولا ينقص منه شيء . وذلك ان الشمع

(١) ينظر اطروحتا الماجستير «ابو البركات البغدادي وفلسفته الطبيعية كلية الاداب، جامعة بغداد آلة كاتبة. ١٩٨١م، ص ١٧٠ وما بعدها.

(٢) ينظر فخر الدين الرازي ، المباحث الشرقية، ٢٢٢/١ – ٢٢٨، الدكتور عاطف العراقي الفلسفة الطبيعية عند ابي سينا، دار المعارف مصر، (١٩٧١م) ،ص ٢٧٢ .

(٣) ابن الهيثم ، رسالة المكان، ص ٤

وما جرى مجراه اذا كان على شكل مكعب كان سطحه المحيط به هو مكانه ثم اذا جعل ذلك الجسم بعينه كروياً كان مكانه هو السطح الكروي المحيط به .

ويتضح من آراء ابن الهيثم عن المكان الذي يحل فيه جسم ان للجسم عدة خواص :

١ – السطح المحيط بالجسم ، منفصل عنه ولايمثل امتداد له ، بل ان لكل منهما خاصيته المستقلة والتي تمثل وجوده .

٢ – عند انتقال الاجسام من مكان الى اخر يجب ان يكون الخلاء المفترض موجودا اذ اننا ان لم نفترض وجود خلاء متخيل ومرونة مكانية وازاحة حركية لايتم التغير المكاني. وهذه الخاصة تجعلنا نصل الى نقطة مهمة هي ان المكان كشيء واقعي يلازم الجسم ، اما الخلاء كوجود ذهني فيلازم المفهوم العقلي – بهذا تابع ابن الهيثم الفلاسفة القدامى كارسطو وابن سينا (١) .

بعد ان عرضنا هذه الافكار يمكننا ان نؤكد مايلي :

(أ) ان فكرة المكان هي فكرة ضرورية ، ولايمكن ان نتصور انعدامه أو فناءه . ولايمكن ان نحذفه من الفكر اطلاقا .

(ب) بما ان المكان يلازم الجسم ، والجسم والمكان محددا الابعاد وان خارج العالم لا خلاء ولا ملاء فنحصل على نتيجة مهمة في فلسفة ابن الهيثم ان العالم متناه والمكان كذلك .

(ج) المكان في فلسفة ابن الهيثم هو البعد الموجود المجرد من المادة الذي من شأنه ان تنفذ فيه الابعاد الجسمانية .

(د) اعتمد ابن الهيثم على اسس هندسية لاثبات العلاقة بين الجسم والمكان الواقعي واثبت الخلاء النسبي ورفض الخلاء المطلق كما سنرى ذلك في الفصل الثاني .

ونستنتج ايضاً ان ابن الهيثم ساند ارسطو والمشائين عامة ، كالكندي ، والفارابي ، وابن سينا

(١) ينظر شرح المواقف تصحيح الكنوي، ص ٢٢١، الانصاري، مخطوطة شرح غاية العلوم ورقة ١٢٦.

Aristotle: physica, 17, 1, 20g, A, w. P. Ross Aristotls p. 85-86.

وابن رشد (١) . وفي مسألة المكان رفض آراء افلاطون ومن تبعه من القدماء .
بعد ان عرضنا افكار ابن الهيثم في المكان يجب ان نعرف ماهي افكاره في مسألة الخلاء .

(١) ينظر ، الكندي ، رسائل الكندي الفلسفية . تحقيق ابو ريدة ، ١/٣٠ ، ابن رشد رسائل ابن رشد، شرح السماع الطبيعة ، طبعة حيدر أباد الدكن، ص ٢٣ وفخر الدين الرازي ، المباحث المشرقية ، ١/٢٥٠ ، وفلوطرخس : في ادارة الطبيعة التي ترضى بها الفلاسفة ، ترجمة قسطا بن لوقا ، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي، القاهرة ١٩٥٤م ص ٩١ – ١٨٨. السيد الجرجاني، شرح المواقف ، ص ٢٢١، والعراقي عاطف، الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا ، ص ٢٧٦، والانصاري ولي الله بن حبيب الله (شرح غاية العلوم) ، مخطوطة في مكتبة الامام، ورقة ١٢٨ وما بعدها.

الفصل الثالث

«الخلاء»

المكان والخلاء مسألتان مرتبطتان اولهما بأخراهما ، سواء عند ابن الهيثم أو عند بقية الفلاسفة القدامى . ولو رجعنا إلى تأريخ الفلسفة لرأينا ان هناك اراء متضاربة في مسألة الخلاء ولكن هناك رأياً منسوباً إلى «فلوطرخس» ضمن كتاب وفي الآراء الطبيعية يقول فيه مايلي :

١ — ان الطبيعيين جميعاً اصحاب ثاليس إلى افلاطون كانوا لايعرفون بالخلاء .

٢ — اما انبادوقلس فكان يعتقد ان لاشيء في العالم خال ولا زائد .

٣ — اما اوقبس وديمقريطس وسقراطس ، فانهم كانوا يرون أن الذي لا يتجزأ غير متناه في الكثرة ، وان الخلاء غير متناه في العظم . وهذا ماأشار اليه «يحيى النحوي» شارحاً قول ارسطو «بأن اول من قال بالخلاء غير المتناهي هو ديمقريطس»(١) .

٤ — اما الرواقيون فكانوا يرون أن داخل العالم لاخلاء فيه ، وان خارج العالم خلاء لانهاية له .

٥ — اما ارسطو فانه يرى ان خارج العالم من الخلاء بقدر ماتتنفس السماء ان كانت نارية(٢) .

هذا يجعلنا نستنتج أنه في الفلسفة اليونانية اختلف المفكرون فيما بينهم حول فكرة الخلاء من حيث وجوده وعدمه .

أما في الفلسفة الاسلامية فقد اشار (ابن خلدون) في مقدمته ، ان اول من قال بالخلاء هو أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٤هـ) (٣) ويقول الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ان اصحاب البعد

(١) ينظر ارسطو: الطبيعة الترجمة العربية ، ٢٧٦/١ والدكتورة اميرة حلمي مطر ، الفلسفة عند اليونان، ص ١١٠ ، ويوسف كرم ، تأريخ الفسفة اليونانية ، ص ٣٨.
Zeller, Eioutines of The History of Greek Philosophy, P. 83. New Yourk 1955.

(٢) فلوطرخس، الاراء التي ترضى بها الفلاسفة ، ص ١١٨ — ١١٩.

(٣) ينظر أبن خلدون: المقدمة: تحقيق د. علي عبد الواحد وافي ، (ط ١) ، ١٠٤٦/٣

المفروض اكدوا الخلاء وساندوا افلاطون ، وان المتكلمين اجازوا الخلاء الموهوم وراء العالم مع العلم منعه الحكماء بأجمعهم (١) .

وابن الهيثم بين موقفه من هذه المشكلة بقوله (ان الخلاء ليس بموجود في العالم فاذا قيل ان مكان الجسم هوالخلاء لزم ان يكون مكان الجسم شيء ليس موجود والجسم موجود وكل جسم موجود فهو في مكان واذا كان المتمكن موجودا فمكانه موجود فيلزم ان يكون الخلاء موجودا هو قول شنيع) (٢) .

ولكن كيف احتج منكرو الخلاء لبطلانه ؟ لنعرض حجة واحدة سميت بحجة الابعاد هي :

(ان لو كان الخلاء موجودا لكان له طول وعرض وعمق ، ويتقدر بالمساواة او الزيادة أو النقصان ، وهذا معنى الجسم . اي ان المكان هو الجسم فكيف يكون جسمان في مكان واحد (٣) .

والرد على ذلك لاثبات الخلاء مايلي(القائلون بالخلاء يؤكدون خلوه من الاجسام ، اي خال من كل شيء ، ومكان لامتمكن فيه ، ولا يمكن ان يقدر بالطول أو العرض او العمق ، وبهذا يكون المكان مفهوما متناقضا عند من اثبته ، وان مفهوم الجسم عندهم غير ذلك) (٤) .

ونعود الى حجة منكري الخلاء استكمالا لحجتهم يقولون . اذا كان الخلاء بعدا فلا بد وان يكون في مكان ، وان كل جسم في مكان بهذا اصبح المكان في مكان . اي ان ، جسمين في مكان واحد . وهذا يؤدي ان يدخل البحر في القلة ، ولو جاز التعبير لقلنا يدخل العالم في حبة جاورس الصغيرة ، ومن جهة انه يقدر تفصيله الى اجزاء صغار مثلها ، ثم يدخل فيها واحدة بعد الاخرى الى مالا نهاية . وهذا يعني ان الثانية تداخل الاولى وتبقى مع مداخلتها كما كانت اولا . وهذا القول مردود وشنيع لان التداخل لايمكن ان يكون بين الاجسام .

---

(١) ينظر الجرجاني، شرح المواقف ، ص ٢٢٧ ، الكنوي الشمس البازغة ص ٥٣ – ٥٤ .

(٢) ابن الهيثم رسالة المكان ، ص ٦ والصحيح : لزم ان يكون مكان الجسم شيئا ، لا كما في المطبوع .

(٣) ينظر اطروحتنا الماجستير ، ابو البركات البغدادي وفلسفته الطبيعية ص ١٧٩

(٤) المصدر السابق ص ١٨٠ .

وابن الهيثم استخدم الطريقة الارسطية لدحض وجود الخلاء المطلق ، فاستخدم الحجج المنطقية في مناقشة مسألة الخلاء التي تثار مع مسألة المكان ، وربط وجود المكان بوجود الجسم . وقد صاغ فيلسوفنا فكرة الخلاء بالشكل التالي :

اذا كان الخلاء عبارة عن ابعاد مجردة من المواد فالخلاء المتخيل الذي قد ملأه الجسم هو الابعاد المتخيلة المساوية لابعاد الجسم اذا تخيلت مجردة من المادة . اذن الخلاء المتخيل الذي قد ملأه الجسم هو الجسم . ولما كان البعد المتخيل يمثل خطوطا طويلة لاعرض فيها ، ان الخلاء المتخيل ذا الابعاد الطولية المنطقية على الجسم تمثل صيغة صورية أخرى غير الصيغة المادية للجسم .

ولكن لمكان الجسم ابعاداً مطابقة للجسم ومتحدّة به ، وان تشابه الخلاء كبعد مع المكان لايعني ان الخلاء كوجود مطلق يشابه المكان ، بل ان المكان لايخلو من مادة . والخلاء خطوط وابعاد متخيلة ندركها عندما يغادر جسم منها ويحل جسم آخر (١) . وهنا اقرار واضح بوجود الخلاء النسبي ورفض الخلاء المطلق .

وفي موضع آخر يشير الى ذلك بقوله : اذا كان الجسم الواحد السيال المنفعل كالماء وما جرى مجراه في اواني مختلفة الاشكال ثم سكب من كل واحد منها في الكأس مايملأ الكأس مرة بعد مرة كانت اشكال ماحصل في الكأس منها قبل حصوله في الكأس اشكالا مختلفة ثم بعد حصول كل واحد منها في الكأس مرة بعد مرة قد تشكلت كلها بشكل واحد ، واخذت ابعاد هيئة داخل الكأس ، فهيئة ابعاد داخل الكأس هي تقوم هيئات جميع الاجسام التي ملأت الكأس . اذن داخل الكأس ابعاد ثابتة لاتتغير وان ابعاد الاجسام تعاقبت هي المختلفة في اشكالها وهيئاتها قبل حصولها في الكأس (٢) .

لهذا ان للخلاء ابعاداً مفترضة مجردة من الاجسام . وان الخلاء المتخيل عبارة عن ابعاد طولية لاعرض لها .

اذن يصبح الخلاء مرة مكاناً يحل فيه جسم ما ومرة اخرى هو عالم أو وجود تجريدي ، وعند مغادرة جسم ما لمكان ما مع احلال جسم آخر له والفترة الزمنية بين أني الافراغ والحلول يتخيل الخلاء ، أي بوساطة الوهم يمكن ان تحصل على الخلاء ، ولاوجود للخلاء المطلق اي الحقيقي في فلسفة فيلسوفنا .

---

(١) ابن الهيثم : رسالة المكان ، ص ٦

(٢) ابن الهيثم : رسالة المكان ص ٦ .

الاستنتاجات :

نستنتج مما عرضه الحسن بن الهيثم فيما يتعلق بنظرية المكان مايلي :

١ ــ المكان تصور ضروري ، بمعنى اننا لايمكن ان نحذفه من تفكيرنا .

٢ ــ المكان متناه وهذا شرط من شروطه ، لاننا نستطيع ان نتصور نهايته ، وعند تصور نهايته نثبت نهاية مكان العالم .

٣ ــ المكان له وجود فعلي يلازم الجسم ، والمكان والجسم محدودا الابعاد .

٤ ــ ابن الهيثم كما اكدنا رفض الخلاء المطلق الفيزياوي ، واكد الخلاء النسبي واستدل في ذلك بأدلة علمية رياضية ، بعد تأكيده على ان الخلاء أبعاد مفترضة مجردة من الاجسام .

ويبدو لنا من استقراء هذه النقاط ان ابن الهيثم قد وافق جملة ممن سبقه من الفلاسفة الاقدمين كالطبيعين ، وارسطو ، وابن سينا ، الذين ينكرون وجود الخلاء المطلق .

المراجع

(أ) المخطوطات

١ ــ اطروحتنا للماجستير

«ابو البركات البغدادي وفلسفته الطبيعية» اشراف الدكتور حسام محي الدين الالوسي كلية الاداب ــ جامعة بغداد، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨١م.

٢ ــ الانصاري ولي الله

شرح غاية العلوم، مخطوطة في كلية الامام، النجف الاشرف ،تحت رقم (١٥٨٦).

(ب) المطبوعات

٣ ــ ابن أبي : أصيبعة: موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي (ت٦٦٨هـ)

عيون الانباء في طبقات الاطباء ،شرح .د. نزار رضا، بيروت الطبعة الاولى ١٩٦٥م.

٤ ــ ابن الأثير :الكامل في التاريخ مطبعة الاستقامة مصر (بلاتاريخ) المجلد٨.

٥ ــ ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت سنة ٦٠٨هـ) (وفيات الاعيان وانباء الزمان) ،طبعة دي سيلان باريس ١٨٧١م المجلد٢.

٦ ــ ابن خلدون :عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ)

المقدمة : تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي (ط١) ١٩٦٠م

٧ ــ احمد بن محمد بن رشد الاندلسي (ت٥٩٥هـ) تلخيص السماع الطبيعي لارسطو، نشر حيدر اباد الركن مع مجموعة بعنوان رسائل ابن رشد ،(ط١) ١٩٤٧ م.

٨ ــ ابن سينا : ابو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا ت ٤٢٨ هـ .

كتاب الحدود ، حققه وقدم له اميله قاربه جوا شوي القاهرة ١٩٦٣ .

٩ ــ ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين بن مكرم الافريقي (ت ٧١١ هـ)

لسان العرب ، بيروت ، بلاتاريخ ، المجلد ١٣

١٠ ــ ابو البركات البغدادي : هبة الله علي بن ملكا (ت ٥٤٧ هـ)

المعتبر في الحكمة ، طبعة حيدر أباد الدكن (ط١) ١٣٥٧ هـ الجزء الثاني ، (الطبيعيات) .

مكتبتنا العربية

١١ — ابو الحسن الاشعري : ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٣٢٠ هـ) .
مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصر ، ١٣٩٩ هـ الجزء الثاني .

١٢ — احمد رضا :
معجم اللغة ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ المجلد ٥ .

١٣ — ارسطو : (٣٨٤ — ٣٢٢ ق . م)
الطبيعة ، ترجمة : اسحق بن حنين ، مع شروح لعلماء عرب تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي القاهرة ، ١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥

١٤ — الازهري : (ت ٣٧٠ هـ)
التهذيب ، مطبعة (مصر) الطبعة الأولى (بلا تاريخ) الجزء العاشر .

١٥ — افلاطون : (٤٢٧ — ٣٤٧ ق . م)
طيماوس ، ترجمة جرجي بربارة ، منشورات الجامعة — اللبنانية ، ١٩٧٠ م

١٦ — الدكتورة اميرة حلمي مطر .
الفلسفة عند اليونان ، الناشر دار النهضة العربية (ط١) ١٩٧٥ م .

١٧ — برتراند رسل : (ت ١٩٧٠م)
تأريخ الفلسفة الغربية، ترجمة الدكتور محمد فتحي السنبطي ، (الكتاب الثالث) الفلسفة الحديثة ، مصر ١٩٧٧م .

١٨ — البستاني عبدالله :
فاكهة البستان : بيروت الطبعة الاولى ١٩٣٠م .

١٩ — بينيس :
مذهب الذرة عند المسلمين ، ترجمه الدكتور عبد الهادي ابو ربوة مصر (بلا تأريخ) .

٢٠ — الجرجاني : علي بن محمد (ت ٨١٦هـ)
التعريفات ، طبعة مصر الاولى ١٣٥٧هـ — ١٩٣٨م .

٢١ — جان فال :
طريق الفيلسوف ، ترجمة الدكتور أحمد حمودي محمود مراجعة العفيفي الطبعة الاولى مصر ١٩٧٠م .

٢٢ ـ الحسن بن الهيثم (ت٤٣٠هـ)
رسالة في المكان وهي الخامسة ، ضمن رسائل ابن الهيثم حيدر آباد الدكن (ط١) ١٣٥٧هـ .

٢٣ ـ الرازي فخر الدين (ت٦٠٦هـ)
المباحث الشرقية ، مكتبة الأسدي طهران ١٩٦٦م ، جا ، ج٢ .

٢٤ ـ الدكتور سليمان دينا .
معيار العلم في فن المنطق ، دار الاندلس بيروت (ط٢) ١٩٧٨ .

٢٥ ـ السيوطي .
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (ط١) ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٥م الجزء الاول والجزء الثاني .

٢٦ ـ الدكتور عاطف العراقي :
الفلسفة الطبيعية عبد ابن سينا ، دار المعارف مصر ، ١٩٧١م ؛

٢٧ ـ الدكتور عبد الرحمن بدوي :
مدخل جديد إلى الفلسفة (ط١) ١٩٧٥م .

٢٨ ـ الغزالي الامام ابو حامد (ت ٥٠٥هـ)
مقاصد الفلاسفة ، تحقيق الدكتور سليمان دينا القاهرة بلا تاريخ .

٢٩ ـ الفارابي : (ت ٣٣٩هـ)
رسائل الفارابي في الحكمة ، طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٢٩ هـ.

٣٠ ـ فلوطرخس :
في الادارة الطبيعية التي ترضى بها الفلاسفة ، ترجمة قسطا بن لوقا (نشر ضمن مجموعة ارسطوطاليس في النفس) ـ تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي القاهرة . ١٩٥٤م .

٣١ ـ القفطي : (ت ٦٤٦هـ)
اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مطبعة السعادة مصر (ط١) ١٣٢٦هـ .

٣٢ ـ الكندي ، الفيلسوف العربي الاول (ت ٢٥٨هـ) رسائل الكندي الفلسفية ، حققها واخرجها مع مقدمة تحليلية لكل منها محمد عبد الهادي ابو ريدة ، دار الفكر العربي الاعتماد (مصر) ١٢٩٩هـ ، ١٩٥٠م .

٣٣ ـ الكنوي (ت ١٠٦٢هـ)
الشمس البازغة ، مطبعة المصطفاني (الهند) سنة ١٣٠٨هـ

٣٤ ـ الدكتور محمد حسين الصغير .
الصورة الفنية في المثل القرآنية ، وزارة الاعلام (ط ١) ١٩٨١م .

٣٥ ـ الدكتور مرسيل داغر .
النسبية من نيوتن إلى انشتين ، دمشق (ط ١) ١٩٦٤م .

٣٦ ـ المعجم الوسيط : ابراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد محمد النادر ، محمد علي النجار ، عبدالسلام هارون ، مطبعة شركة المساهمة المصرية عام ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م .

٣٧ ـ يوسف كرم ، تاريخ الفاسفة اليونانية القاهرة (ط ٥) ١٩٧٠م

(ج) المراجع الاجنبية .

1— Aristotle: metaphysics. Arevised text with introduction and commentary by s.o. Ross London. Oxford. 1924. Two volumes B4.1, 209A.

2— Zelleroutlines Eioutines of The History of Greek phitosophy, New Yourk 1955.

دراسة مقارنة في قوة الشخصية بين طلبة الصفوف الرابعة والأولى في كلية الآداب / جامعة بغداد

وهيب مجيد الكبيسي
مدرس
كلية الاداب / جامعة بغداد

د . يونس صالح الجنابي
مدرس
كلية التربية / جامعة بغداد

اهمية البحث :

يضطلع الشباب بدور اساسي في حياة كل امة ، فبقدر مايكون عليه شباب الامة من كفاءة وخلق وعلم يكون تقدم الامة ورقيها ، لذلك توجه الامم المعاصرة جهوداً كبيرة لرعايتهم واعدادهم بغية تحقيق التكامل بين ابعاد شخصياتهم .

والشباب الجامعي هو الطليعة المختارة من هذا الشباب اذ يضطلع بدور اساسي في حياة المجتمع لانهم الطاقة الخلاقة ، والاداة المساهمة في تطويره من جوانبه الاقتصادية والتقنية والتربوية فالمرحلة الجامعية تسهم في انجاح مشاريع التنمية واعداد الكوادر القيادية الرائدة في مجالات الحياة كافة . فهي تساهم في بناء شخصية حضارية متميزة من خلال ربط الانسان العربي بتراثه ومستلزمات الحياة المعاصرة والتوفيق بينها (٧، ص ١٣) .

ولذلك جاءت في المادة الرابعة من قانون التعليم العالي والبحث العلمي رقم (١٣٢ لسنة ١٩٧٠) لتؤكد على (اعداد جيل متحرر من الجهل والخوف التخلف قوي في بنيتـــــه

وشخصيته واخلاقه ، يعي تراث امته الحضاري ويعتز به وبوطنه وشعبه ويتسلح بمنجزات العصر العلمية والفنية والتكنلوجية) (٢٠ ، ص ٣) .

واكد المؤتمر الاول للتعليم الجامعي في العراق على (ضرورة اهتمام الجامعات بشخصية الطالب الجامعي المتكاملة) (٢١ ، ص ٢١٨) .

من هذا المنطلق فان الشخصية موضوع يكاد ينفذ الى كل ميدان من ميادين العلوم الانسانية ، وتمثل المحور الذي تدور حوله دراساتها وبحوثها بهدف الكشف عن فاعلية الفرد وشروط تحقيق هذه الفاعلية والفهم الصحيح للشخصية كما تسلك في مجال كل ميدان للوصول الى القوانين التي تخضع لها الظواهر النفسية المختلفة (١٦ ، ص٢) كما ان معرفة شخصية الانسان تمكن من التنبؤ بسلوكه في كثير من الظروف (١٩ ، ص ١) بالاضافة الى ان الانسان لم يكن في يوم من الايام اشد حاجة الى فهم شخصيته مما هو عليه اليوم ، فالانسان قد نمت معرفته بالعالم الطبيعي وتقدمت سيطرته عليه ، وقد وصل اليوم الى مرحلة من المهارة والقدرة يكاد فيها ان يدمر نفسه بنفسه ، ولم يعد امامه الا ان ينمي معرفته بالطبيعة البشرية حتى يحدث التوازن اللازم في المعرفة الانسانية (١٧ ،ص ٩٥٩)

لقد اصبح علم دراسة الشخصية فرعاً دائماً من فروع علم النفس وافردت له المجلات الاخرى مكاناً خاصاً تحت اسم الشخصية بل اصبحت هناك مجلات او دوريات تختص كل او جزء منها على الاقل بابحاث الشخصية وبدأت تظهر الكتب العديدة عن نظريات الشخصية ومحدداتها وبنائها ونموها .

كما اشار ميرفي (Murphy) الى انه اذا كان عالم النفس يؤكد الوظائف الاكثر تعقيداً ويرغب في ان يرى جميع العلاقات والروابط الداخلية داخل الكائن الحي العضوي دفعة واحدة ، وكذلك تسلسل القوانين التي تحكم هذه العلاقات فلا بد ان يهتم ويعني بسيكولوجية الشخصية (١٤ ، ص ٢٨) .

ان اجراء دراسة ميدانية تحاول التعرف على قوة الشخصية لدى طلبة الجامعة ستساعد بلا شك المخططين ومتخذي القرارات في اتخاذ الاجراءات المناسبة في هذا المجال في ضوء دراسة علمية للواقع مما يجعل عملية التطوير والتغير اكثر التصاقاً وملاءمة لهذا الواقع بالاضافة الى ان هذه الدراسة ستسهم ولو بجزء متواضع في سد الحاجة التي تعانيها المكتبة العربية لمثل هذه البحوث ، وستكون محفزاً للباحثين الاخرين لاجراء دراسات وبحوث أخرى .

الاطار النظري :

باديء ذي بدء لم يجد الباحثان في حدود الوقت المحدد لهذا البحث اية مشابهة تماماً لاهداف هذا البحث ، ولكنهما وجدا الكثير من الدراسات التي اهتمت بالشخصية بجوانبها المختلفة .

فقد اشار العديد من الباحثين الى ان هناك سمات ودلالات تحدد نمط الشخصية القوية وان هناك مؤثرات تؤثر في تكوينها ، فيرى كاتل (Catell) أن هناك ثلاثة انواع من التعلم التي يمكن ان تؤثر في تكوين الشخصية : وهي التعلم بالشرطية التقليدية والتعلم بالثواب والتعلم التكاملي ، ويؤكد كاتل على النوع الاخير لانه يشبع حاجات الشخصية ككل وليس حافزاً واحداً ، او حاجة واحدة فيها فضلا عن انه اسلوب التعلم الذي يتميز به الانسان عن الحيوان (١١ ، ص ٦٣)

ويرى وايلي (Wylie) بأن الذي يرغب في الحصول على شخصية قوية لابد له من أن يرغب في النجاح العقلي والمادي . كالشخصية القوية يمكن اكتسابها بالعزم وتوجيه الانتباه اليه . (٢٢ ، ص ٥٥)

اما سلامة فقد اشار الى ان للشخصية القوية صفات مختلفة ربما كان اكثرها اهمية القدرة على التعاون مع الاخرين (١٠ ، ص ١٥٠) واوضح الابراشي ان العناصر الجوهرية التي تتكون منها الشخصية القوية كثيرة منها : الجاذبية ، والنشاط العقلي ، والمشاركة الوجدانية ، والشجاعة ، والحكمة والتفاؤل ، والتواضع وحسن مظهر الانسان وقوامه وقوة البيان ، والثقة بالنفس ، واعتدال المزاج (١ ، ص ١٦) واوضح الحافظ ان الشخص الذي يضمن لنفسه شخصية قوية هو ذلك الانسان المتزن السلوك ، الهاديء الاعصاب . الرابط الجاش . الثابت الجنان . المطمئن النفس الواثق من نفسه . المؤمن بقابلياته (٦ ، ص ٨٨) .

كما اكد أسعد على أن الشخصية القوية هي تلك التي تستطيع ادراك المواقع في ضوء الماضي بحيث تتطلع الى الافادة من حصيلة خبرات الماضي والحاضر في التخطيط للتصرفات التي ستتخذ في المستقبل وهي ايضاً الشخصية الحيادية التي تتمتع بالحكم على الاشياء كما هي في الواقع لا كما يحلو لها . وهي التي تقدم على اتخاذ تصرفاتها وتنفيذ قراراتها بوعي دون غفلة عن العناصر التي يمكن ان تستجد بالموقف (٣ ، ص ٩ ـــ ١٠)

واكد أسعد أيضاً على ان ملامح الشخصية القومية في المجال الاخلاقي هي استمرارية

نمو الشخصية وتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي ، وان ملامحها العقلية هي وضوح المفاهيم العقلية في ذهن الشخص القوي الشخصية وتمايزها ، وخصوبة المفاهيم وتباين انواعها وتعدد جوانبها ، والتمتع بنوعيات تفكير متباينة ، والتمتع بالقدر المناسب من الذكاء والنمو الثقافي المستمر وخلو التفكير من التناقض والقدرة على ترتيب الافكار حسب الاولوية ، والقدرة على تكييف التفكير للواقع الاجتماعي ، وقدرة تلك الشخصية على التفكير الابداعي ، كما ان ملامحها اللغوية هي النمو اللغوي السوي الخالي من الأعوجاج ومن الفجوات اللغوية (٣ ، ص ١٩ — ٣٩)

كما اشار مكارجي (Magargee) الى ان الافراد غير المنضبطين يتصفون عادة بالانفعالية وعدم الالتزام بالقيم الاجتماعية في حين يتصف الافراد المنضبطين الاقوياء الشخصية بالهدوء والاستقامة والالتزام (١١ ، ص ٢٤٦) واشارت الشماع الى ان بحوثاً توصلت الى ان الكبار العمر اكثر ايجابية في مفهومهم للذات من الاصغر سناً (١١ ، ص ٢١٣)

اهداف البحث :

يهدف البحث للاجابة على السؤالين الاتيين :

١ — هل يختلف طلبة الصفوف الرابعة (بنين وبنات) في قوة الشخصية عن طلبة الصفوف الاولى (بنين وبنات) ؟

٢ — هل يختلف الطلبة في الصفوف الرابعة والاولى معاً في قوة الشخصية باختلاف الجنس ؟

حدود البحث :

يقتصر هذا البحث على :

١ — طلبة كلية الآداب — جامعة بغداد — للعام الدراسي ٩٨٣ — ١٩٨٤ .

٢ — كلا الجنسين (بنين ، بنات) في جميع الاقسام .

٣ — الصفوف الاولى والرابعة في كلية الآداب .

تحديد المصطلحات :

١ – الشخصية :

– يعرفها «الحافظ» بأنها : «السلوك المميز للفرد» (٦ ، ص١٦)

– ويعرفها «عاقل» : «الوحدة الكلية المميزة لتكوين فرد ، وطرائف سلوكه واهتماماته وقدراته وقابلياته ومواهبه.» (١٢ ، ص١٦٦)

– ويعرفها «عيسوي» بأنها «نظام متكامل من الدوافع والاستعدادات النفسية والجسمية ، الفطرية والمكتسبة ، الثابتة نسبياً التي تميز شخصاً معنياً عن غيره من الاشخاص والتي تحدد طريقة تكيفه مع البيئة المادية والاجتماعية التي يعيش فيها . (١٣ ، ص٣٦٤)

٢ – قوة الشخصية : –

عرف «اسعد» الشخصية القوية بأنها : تلك الشخصية التي تعرف مالها وما عليها فتأخذ مالها وتسدد ماعليها . (٣ ، ص٨) وعرفها «فاضل» بأنها : تعرف كيف تسيّر امورها وكيف تدبرّ نفسها وتعرف حقوقها كما تعرف واجباتها ، وكلما امتد بصاحبها الزمن كبر قلبه واحس اكثر فأكثر بأهمية الآخرين ، واحس برغبة في اسعاد مجموع البشر المحيطين به وفي مساعدتهم . (١٥ ، ص١٦٣) .

٣ – التعريف الاجرائي :

ان التعريف الاجرائي الذي يخدم اغراض هذا البحث وينسجم مع طبيعته واهدافه فهو «المجموع الكلي لاستجابات القبول التي تتعلق بظاهرة قوة الشخصية كما تقيسه فقرات المقياس المستخدم في هذا البحث .

منهج البحث :

ان تحقيق اهداف هذا البحث يتطلب مايأتي : –

١ – تحديد المجتمع الأصلي .

٢ – اختيار عينة مناسبة .

٣ – اختيار اداة تتميز بالصدق والثبات يمكن بواسطتها التعرف على ظاهرة قوة الشخصية لدى طلبة الصفوف الاولى والرابعة في كلية الآداب .

٤ – تطبيق هذة الاداة على عينة البحث الرئيسة .

٥ – استخدام طرائف واساليب احصائية مناسبة في تحليل نتائج هذا البحث .

المجتمع الاصلي :

تألف المجتمع الاصلي لهذا البحث من طلبة الصفوف الاولى والرابعة في كلية الآداب ، وقد بلغ عددهم (٢٣٨٥) طالباً وطالبة ، وبواقع (١٣٣٦) للصفوف الاولى و (١٠٤٩) للصفوف الرابعة . ويتوزعون على احد عشر قسماً هي : اللغة العربية واللغة الانكليزية واللغات الاوربية والدراسات الشرقية والآثار والتاريخ والجغرافية وعلم النفس والاجتماع والفلسفة والاعلام . وجدول (١) الآتي يوضح ذلك .

جدول (١) يوضح عدد (*) طلبة الصفوف الاولى والرابعة من العراقيين (**) في كليـــــة الآداب/جامعة بغداد للعام الدراسي ١٩٨٣/١٩٨٤

ت	الأقسام	الصف الأول		الصف الرابع		المجموع
		بنين	بنات	بنين	بنات	
١	اللغة العربية	٦٢	٧٠	٦٢	٦٧	٢٦١
٢	اللغة الانكليزية	١٩٨	١٧٣	٦٤	١٧٠	٦٠٥
٣	اللغات الأوربية	١٦٦	٤٨	٨٦	٦٦	٣٦٦
٤	اللغات الشرقية	٩٧	١٧	٧٥	١٥	٢٠٤
٥	الآثار	١٣	١٦	١٨	٦	٥٣
٦	التأريخ	٩٠	٤٣	٣٠	٦١	٢٢٤
٧	الجغرافية	١٧	٣٣	١٦	٣٢	٩٨
٨	علم النفس	٤٥	٢١	٤٢	٢٨	١٣٦
٩	الاجتماع	٤٨	٤٠	٣٩	٦٣	١٩٠
١٠	الفلسفة	١٧	٩	١١	٦	٤٣
١١	الاعلام	٩٥	١٨	٧٦	١٦	٢٠٥
	المجموع	٨٤٨	٤٨٨	٥١٩	٥٣٠	٢٣٨٥

عينة البحث الرئيسية :

اختار الباحثان (٢١٢) من طلبة الصفوف الاولى والرابعة ولجميع اقسام كلية الآداب وبنسبة ٩ ٪ تقريباً من المجتمع الاصلي وبالطريقة الطبقية العشوائية التناسبية وموزعين بالتساوي وبواقع (١٠٦) طالباً وطالبة لكل من الصفوف الاولى والرابعة ، والجدول (٢) يوضح ذلك .

جدول (٢) يوضح عينة البحث الرئيسية من طلاب وطالبات الصفوف الاولى والرابعة في كلية الآداب موزعين حسب الاقسام والصفوف للعام الدراسي ١٩٨٣/١٩٨٤

ت	الأقسام	الصف الأول		الصف الرابع		المجموع
		بنين	بنات	بنين	بنات	
١	اللغة العربية	٦	٦	٦	٦	٢٤
٢	اللغة الانكليزية	١٢	١٢	١٢	١٢	٤٨
٣	اللغات الأوربية	٥	٥	٥	٥	٢٠
٤	اللغات الشرقية	٦	٦	٦	٦	٢٤
٥	الآثار	٢	٢	٢	٢	٨
٦	التاريخ	٥	٥	٥	٥	٢٠
٧	الجغرافية	٣	٣	٣	٣	١٢
٨	علم النفس	٣	٣	٣	٣	١٢
٩	الاجتماع	٤	٤	٤	٤	١٦
١٠	الفلسفة	٢	٢	٢	٢	٨
١١	المجموع	٥	٥	٥	٥	٢٠
	المجموع	٥٣	٥٣	٥٣	٥٣	٢١٢

وصف العينة :

يمكن وصف العينة التي شملها هذا البحث من حيث العمر ومحل السكن والمستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لعوائلهم بما يلي :

١ ـ العمر الزمني للطلبة :

يوضح جدول (٣) ان متوسط اعمار الطلبة في الصفوف الرابعة كان (٢٣,٩٩) سنة . في حين كان متوسط أعمار الطلبة في الصفوف الاولى (١٩,٩٢) سنة وباستخدام الاختبار التائي (٢٣ ، ص٢٩٥) تبين ان القيمة التائية المحسوبة كانت (٢٧,١٣) ، وهذا الفرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٠١) ولصالح طلبة الصفوف الرابعة . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (٣) يوضح المتوسط والانحراف المعياري والقيمة التائية للعمر الزمني لطلبة الصفوف الأولى والرابعة

المرحلة	عدد الطلبة	متوسط العمر بالسنوات	الانحراف المعياري	القيمة التائية المستخرجة
الرابعة	١٠٦	٢٣,٩٩	١,٨٢	٢٧,١٣
الاولى	١٠٦	١٩,٩٢	٠,٣٧	

٢ ـ محل السكن

يوضح جدول (٤) ان عدد الطلبة في المرحلة الرابعة الذين يسكنون في محافظة بغداد كان (٦٣) طالبا وطالبة ، في حين كان عدد طلبة المحافظات (٤٣) .

اما طلبة المرحلة الاولى ، فقد كان عدد الطلبة الذين يسكنون محافظة بغداد (٧٠) وكان عدد طلبة المحافظات (٣٦) طالبا وطالبة . وباستخدام مربع كاي اتضح بانه ليس هناك فرقاً ذا دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) حيث كانت القيمة التائية المسوبة (٠,٩٨) ومما يمكن استنتاجه ان العينيين متكافئتان في محل السكن . والجدول الاتي يوضح ذلك .

جدول (٤) يوضح محل السكن لطلبة الصفوف الاولى والرابعة في كلية الآداب/جامعة بغداد

المرحلة	بغداد	محافظات	المجموع	كا٢
الرابعة	٦٣	٤٣	١٠٦	٠,٩٨
الاولى	٧٠	٣٦	١٠٦	

٣ ـ الدخل الشهري لعوائل طلبة الصفوف الأولى والرابعة :

بلغ متوسط الدخل الشهري لعوائل طلبة الصفوف الرابعة (٢٥٧,١٠) دينار ، في حين بلغ المتوسط لعوائل طلبة الصفوف الاولى (٢٥٣,٩٦) ، وباستخدام الاختبار التائي اتضح ان الفرق بين متوسطي الدخل الشهري لهاتين العينتين لم يكن ذا دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) حيث كانت القيمة التائية المحسوبة (١,٥٦) . ومما يمكن استنتاجه ان العينتين متكافئتان في الدخل الشهري لعوائل الطلبة ، والجدول الاتي يوضح ذلك .

جدول (٥) يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية للدخل الشهري لعوائل الطلبة
المرحلة الاولى والرابعة في كلية الآداب/جامعة بغداد

المرحلة	العدد	متوسط الدخل الشهري للعائلة بالدينار	الانحراف المعياري	القيمة التائية المستخرجة
الرابعة	١٠٦	٢٥٧,١٠	٢٥٠,٠٦	١,٥٦
الاولى	١٠٦	٢٥٣,٩٦	١٥٧,٥٩	

٤ ـ التحصيل الدراسي لآباء الطلبة في المرحلة الرابعة والأولى :

يوضح جدول (٦) ان التحصيل الدراسي لآباء الطلبة الذين شملهم البحث وباستخدام مربع كاي اتضح بأنه ليست هناك فروقاً ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين التحصيل الدراسي لآباء الطلبة في الصفوف الاولى والرابعة حيث كانت القيمة التائية المحسوبة (٧,٣٦) . ومما يمكن استنتاجه ان العينتين متكافئتان في التحصيل الدراسي لآباء الطلبة ، والجدول الاتي يوضح ذلك .

٥ ـ التحصيل الدراسي لأمهات الطلبة في المرحلة الرابعة والأولى :

يوضح جدول (٧) ان التحصيل الدراسي لأمهات الطلبة الذين شملهم البحث وباستخدام مربع كاي اتضح بأنه ليست هناك فروقاً ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) حيث كانت قيمة مربع كاي المحسوبة (٨,٨٤) . ومما يمكن استنتاجه ان العينتين متكافئتان من حيث التحصيل الدراسي لأمهات الطلبة في المرحلة الاولى والرابعة في كلية الآداب .

جدول (٦) يوضح التحصيل الدراسي لآباء الطلبة في المرحلة الاولى والرابعة الذين شملهم البحث

المرحلة	عدد الطلبة	التحصيل الدراسي للآباء: امي	يقرأ ويكتب	ابتدائية	متوسطة	اعدادية	بكالوريوس	دراسات عليا	كا٢***
الرابعة	١٠٦	١٩	٥	٢٢	١٨	٢٩	١٣	٠	
الاولى	١٠٦	١٤	١٠	٢٧	١٥	١٨	١٩	٣	٧,٣٦
المجموع	٢١٢	٣٣	١٥	٤٩	٣٣	٤٧	٣٢	٣	

جدول(٧) يوضح التحصيل الدراسي لامهات الطلبة في المرحلة الاولى والرابعة في كلية الآداب / جامعة بغداد

المرحلة	عدد الطلاب	التحصيل الدراسي للامهات: امية	تقرأ وتكتب	ابتدائية	متوسطة	اعدادية	بكالوريوس	دراسات عليا	كا٢****
الرابعة	١٠٦	٤١	٩	٢٦	١٣	١٤	٣	٠	
الاولى	١٠٦	٤٢	١٢	١٧	١٤	٩	١١	١	٨,٨٤
المجموع	٢١٢	٨٣	٢١	٤٣	٢٧	٢٣	١٤	١	

٦ ـ مهن اباء طلبة المرحلة الاولى والرابعة :

يوضح جدول (٨) عدد الاباء العاملين في مؤسسات الدولة ، وعدد الآباء الذين يمتهنون المهن الحرة ، وباستخدام مربع كاي لم تكن هناك فروقاً ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) حيث كانت قيمة مربع كاي المحسوبة (١,٨٤) . ومما يمكن استنتاجه ان المجموعتين من طلبة الصفوف الرابعة والاولى متكافئتان من حيث المهن الخاصة بآبائهم والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (٨) يوضح قيمة مربع كاي وعدد العاملين في مؤسسات الدولة وعد الذين يمتهنون المهن الحرة للطلبة الذين شملهم البحث .

المرحلة	عمل حكومي	مهنة حرة	المجموع	كا٢
الرابعة	٥٠	٥٦	١٠٦	
الاولى	٦٠	٤٦	١٠٦	١,٨٤
المجموع	١١٠	١٠٢	٢١٢	

٧ ـ مهن امهات طلبة المرحلة الاولى والرابعة :

يوضح جدول (٩) عدد الامهات العاملات وغير العاملات (ربات بيوت) للطلبة الذين شملهم البحث ، وباستخدام مربع كاي لم تكن هناك فروقاً ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) حيث كانت قيمة مربع كاي المحسوبة (٢,٠٤) ومما يمكن استنتاجه ان العينتين متكافئتان في مهن امهات الطلبة للمرحلة الاولى والرابعة . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (٩) يوضح قيمة مربع كاي وعدد الامهات العاملات وغير العاملات للطلبة الذين شملهم البحث

المرحلة	تعمل	لا تعمل	المجموع	كا٢
الرابعة	١٥	٩١	١٠٦	
الاولى	٢٣	٨٣	١٠٦	٢,٠٤
المجموع	٣٨	١٧٤	٢١٢	

أداة البحث

كان من جملة متطلبات هذا البحث وجود مقياس لقياس قوة الشخصية لدى طلبة الجامعة وبالنظر لتوفر مثل هذا المقياس فقد تم اختياره لكي يكون أداة هذا البحث . ويتكون هذا المقياس من (٢٠) فقرة (١٥ . ص ١٦٣)

الصدق :

بالنظر الى ان معد المقياس لم يشر الى صدق المقياس ، فقد قام الباحثان باستخدام — الصدق الظاهري للتأكد من صدق عبارات المقياس وذلك بعرضها على لجنة من المحكمين (*****) لمعرفة آرائهم حول صلاحيتها وسلامة صياغتها وملاءمتها لمستوى طلبة الجامعة وقد أعيدت صياغة بعض العبارات على ضوء الملاحظات التي عرضها الخبراء واجريت بعض التعديلات وأصبحت على ماهي عليه الان كما في الملحق .

الثبات :

قام الباحثان بتطبيق اداة البحث على عينة تألفت من (٤٠) طالباً وطالبة ومن نفس مجتمع البحث لاستخراج ثبات المقياس . وقد استخدمت طريقة التجزئة النصفية لانها طريقة شائعة ، كما أشار أدمز (Adams) في قياس ثبات الاختبارات والمقاييس (٢٣ ، ص ٨٦)

لقد قام الباحثان بتجزئة فقرات المقياس الى قسمين ، كان القسم الاول يتكون من

الاسئلة الفردية في حين كان القسم الثاني يتكون من الاسئلة الزوجية ، واستخدم معامل ارتباط بيرسون (٢٥ ، ص ١١٤) ، وقد بلغ معامل الارتباط بين جزئي المقياس (٠،٦٤) تقريباً .

ولما كانت الدرجات الارتباطية باستخدام هذه الوسيلة الاحصائية تمثل نصف المقياس وليس المقياس كله (٨ ، ص ٣٢ – ٣٣) . ومن أجل حساب ثبات المقياس بصورة كاملة فقد استخدم الباحثان معادلة سبيرمان براون لتصحيح معامل الارتباط (٢٧ ، ص ٥٠) وقد بلغ معامل الارتباط بعد التصحيح (٠،٧٨) ويعد معامل الارتباط جيداً لان القوائم النفسية كما اشار نيللي (Nunnally) . (٢٦ ، ص ١٥٠) لايكون ثباتها عالياً بسبب تغير استجابات الافراد على تلك القوائم .

تطبيق المقياس :

قام الباحثان بتوزيع المقياس على افراد العينة الرئيسية في يوم ١٩٨٣/١٢/٢٤ ولغاية ١٩٨٣/١٢/٢٦ ، وقد تم اعطاء بعض التوجيهات الشفهية الى الطلبة قبل البدء بالاجابة على مقياس البحث تضمنت تعريف الطلبة بهدف البحث وكيفية الاجابة على المقياس وضرورة الاجابة على جميع الاسئلة

الوسائل الاحصائية :

استخدم الباحثان عدة وسائل احصائية لتحليل بيانات هذا البحث وهي :

١ – معامل ارتباط بيرسون : لايجاد معامل ثبات المقياس . (٢٥ ، ص ١١٤) ، (٤ ، ص ١٨٠) .

٢ – معادلة سبيرمان براون : لتصحيح معامل الارتباط . (٢٧ ، ص ٥٠) ، (٢ ، ص ٢٣٦) .

٣ – مربع كاي : وقد استخدم للتعرف على دلالة الفروق بين بعض خصائص ، عينتي طلبة الصفوف الاولى والرابعة في المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية (٢٤ ،ص١٨٩)

٤ – الاختبار التائي : وقد استخدم في التعرف على دلالة الفروق في قوة الشخصية بين طلبة الصفوف الاولى والرابعة وبين البنين والبنات (٢٥ ، ص ٢٩٥) .

عرض النتائج ومناقشتها :

سيتم استعراض نتائج هذا البحث وفق المسارات الاتية :

١ — المقارنة بين طلبة الصفوف الرابعة (بنين وبنات) وبين طلبة الصفوف الاولى (بنين وبنات) .

٢ — المقارنة بين الطلاب (في الصفوف الرابعة والاولى) وبين الطالبات (في الصفوف الرابعة والاولى) .

١ — المقارنة بين طلبة الصقوف الرابعة ككل في قوة الشخصية وبين طلبة الصفوف الاولى ككل

يوضح جدول (١٠) ان الوسط الحسابي لطلبة الصفوف الرابعة كان اعلى مما هو عليه بالنسبة لطلبة الصفوف الاولى ، اذ بلغ هذا الوسط (١٤,٢٠) ، وبانحراف معياري (٥,٠٤) في حين بلغ هذا الوسط بالنسبة لطلبة الصفوف الاولى (١٢,٧٦) وبانحراف معياري (٥,٣٠) وباستخدام الاختبار التائي وجد ان الفرق بين هذين الوسطين ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) ولصالح طلبة الصفوف الرابعة حيث بلغت القيمة التائية المحسوبة (٤,٥).

وتتفق هذه النتيجة مع ماأشار اليه خليل من أن الجامعة نفسهم في بناء لشخصية الطلبة (٧, ص ١٣) من خلال المواقف الاجتماعية والخبرات والانشطة المختلفة التي توفرها الجامعة لطلبتها بالاضافة الى النمو العقلي والاجتماعي للطلبة خلال السنوات الاربعة الجامعية .

جدول (١٠) يوضح القيمة التائية والوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات طلبة الصفوف الرابعة والاولى على مقياس قوة الشخصية .

ت	المرحلة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية
١	الرابعة	١٠٦	١٤,٢٠	٥,٠٤	٤,٥
٢	الاولى	١٠٦	١٢,٧٦	٥,٣٠	

٢ـ المقارنة بين الطلاب في الصفوف الرابعة والأولى معاً وبين الطالبات في المرحلتين

بلغ الوسط الحسابي للطلاب في الصفوف الرابعة والاولى (٩٣, ١٣) وبانحراف معياري (٢٨, ٢) في حين بلغ هذا الوسط للطالبات في المرحلتين (٠٤, ١٣) وبانحراف معياري (٩٩, ٦) ، وباستخدام الاختبار التائي اتضح ان القيمة التائية المحسوبة كانت (٩٧, ٢) ، وهي ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠٥, ٠) ولصالح الطلاب في كلتا المرحلتين .

وقد تبدو هذه النتيجة مقبولة اذا ماعرفنا الواقع الاجتماعي للمرأة والظروف السلبية التي عاشتها سابقاً والتي لاتزال بعض اثارها باقية رغم التطور والمكاسب التي احرزتها المرأة خلال السنوات الماضية .

جدول (١١) يوضح القيمة التائية والوسط الحسابي والانحراف المعياري للطلاب في الصفوف الرابعة والاولى والطالبات في المرحلتين معاً .

ت	المرحلة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية
١	الطلاب في المرحلتين	١٠٦	١٣,٩٣	٢,٢٨	
٢	الطالبات في المرحلتين	١٠٦	١٣,٠٤	٦,٩٩	٢,٩٧

استنتاجات وتوصيات ومقترحات لبحوث ودراشات اخرى

اولا : الاستنتاجات :

ان اهم مايمكن استنتاجه في ضوء نتائج هذا البحث مايأتي :

١ ــ تزداد شخصية الطالب قوة في كلية/الاداب جامعة بغداد بتقدمه في المرحلة الدراسية حيث تصبح شخصيته في الصف الرابع اقوى مماهي عليه في الصف الاول .

٢ ــ ان قوة الشخصية لدى الطلبة البنين افضل مماهي عليه لدى البنات في كلية الآداب.

ثانياً : التوصيات :

في ضوء نتائج هذا البحث يوصي الباحثان بمايلي :

١ ــ توجيه العناية والرعاية واستخدام الوسائل الفعالة والمناسبة من اجل اعداد جيل من

الطلبة يتمتع بشخصية قوية تجعلهم قادرين على التفاعل مع المجتمع بكفاءة واقتدار.

٢ — اعطاء الطالبات عناية ورعاية اكثر في مجال قوة الشخصية من خلال استخدام برامج أو دروس منهجية أو اعتماد التوجيه والارشاد .

ثالثاً : المقترحات :

في ضوء نتائج هذا البحث يقترح الباحثان ما يأتي :

١ — اجراء دراسات وبحوث مماثلة على كليات اخرى في جامعة بغداد والجامعات العراقية .

٢ — اجراء دراسات وبحوث اخرى على مراحل دراسية اخرى كالمرحلة الابتدائية والثانوية .

٣ — استخدام مناهج واساليب اخرى غير التي استخدمت في هذا البحث ومقارنة نتائجها مع نتائج البحث الحالي .

٤ — اجراء دراسة مقارنة في تطور الشخصية من خلال تتبع فوج من طلبة الجامعة منذ دخولهم الجامعة وحتى تخرجهم منها .

الملحق

أخي الطالب ... أختي الطالبة

يقوم الباحثان بدراسة تستهدف التعرف على قوة الشخصية لدى طلبة الجامعة في كلية الاداب جامعة بغداد ، لذا يرجى تعاونكم معنا بالاجابة على فقرات هذا المقياس، ولا داعي لذكر الاسم وشكراً .

أولا : معلومات عامة :

١ — الجنس

٢ — تاريخ الولادة

٣ — محل السكن : بغداد ، محافظات

٤ — دخل العائلة الشهري بالدينار

٥ — مهنة الاب

٦ — مهنة الام

٧ — المستوى التحصيلي للاب

٨ — المستوى التحصيلي للام

ثانياً : فقرات المقياس :

١ — هل تتخذ قراراتك بنفسك . نعم لا

٢ — هل تتمسك بقرارك حتى لو لم يحظ بالتأييد . نعم لا

٣ — هل تستمر بعمل شاق حتى نهايته . نعم لا

٤ — هل تعيد النظر في مشكلاتك السابقة نعم لا

٥ — هل انت قادر على توجيه النقد للاخرين . نعم لا

٦ — هل تفقد السيطرة على نفسك عندما تتعرض لموقف مثير . نعم لا

٧ — هل تستطيع الاستمرار بالحديث رغماً عن وجود شخص معارض لك دون أن تنزعج أو تتوتر . نعم لا

٨ — هل تعترف بالخطأ وهل تعتذر . نعم لا

٩ — هل ترفض استغلال نقاط ضعف الاخرين عندما يكونون في موقف ضعف نعم لا

١٠ — هل تساعد الاخرين عندما يحتاجون للمساعدة في حالة عجزهم . نعم لا

١١ — هل تساعد صديقك عندما يكون في شدة . نعم لا

١٢ — هل تشعر بالندم عندما لا تبذل كل جهودك في عمل قمت به . نعم لا

١٣ — هل ترغب دائماً في أن تكون مستقلا في نفسك اكثر من الاعتماد على الاخرين . نعم لا

١٤ — هل آرائك تتسم بالانسانية بشكل عام نعم لا

١٥ — هل تضع في حسابك رغبات ومشاعر الآخرين قبل رغباتك احياناً . نعم لا

١٦ — هل يعتمد عليك الآخرون . نعم لا

١٧ ـ هـل تفضل رؤية الآخرين في حياة متطورة ومستمرة دائماً . نعم لا

١٨ ـ هل ترغب أن تكون خلف الاضواء وان يكون التصفيق والتشجيع لشخص آخر غيرك . نعم لا

١٩ ـ هل تقدر أن تكون نزيهاً في حكمك على هؤلاء الذين غير نزيهين اتجاهك في يوم ما . نعم لا

٢٠ ـ هل تقنع الآخرين بمواقفك وآرائك دائماً . نعم لا

الهوامش والمصادر

أولا : الهوامش .

* اخذت اعداد الطلبة من احصائية أصدرتها كلية الآداب/جامعة بغداد للعام الدراسي ١٩٨٤/١٩٨٣ (٥ ، ص١-٣) .

** اقتصر هذا البحث على الطلبة العراقيين فقط وقد أستبعد الباحثان الطلبة العرب والاجانب لقلة عددهم من ناحية ولاختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من ناحية اخرى .

*** دمجت خلية دراسات عليا مع خلية البكالوريوس لكون تكرارها المتوقع أقل من (٥) وبذلك تصبح درجة الحرية تساوي (٥) .

**** دمجت خلية دراسات عليا مع خلية البكالوريوس لكون تكرارها المتوقع ايضاً اقل من (٥) وبذلك تصبح درجة الحرية تساوي (٥) .

***** بالأضافة إلى الباحثين :

١. د.أنور حسين : كلية التربية/جامعة بغداد .

٢. كامل ثامر : كلية التربية/جامعة بغداد .

ثانياً : المصادر References

١ – الأبراشي ، محمد عطيه : الشخصية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٩ .
٢ – احمد ، محمد عبد السلام : القياس النفسي والتربوي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ .
٣ – اسعد ، يوسف ميخائيل : الشخصية القوية ، مكتبة غريب ، د. ت .
٤ – البياتي ، عبد الجبار توفيق ، وزكريا زكي اثناسيوس : الاحصاء الوصفي والاستدلالي في التربية وعلم النفس ، بغداد ، ١٩٧٧ .
٥ – جامعة بغداد ، كلية الاداب : احصائية أصدرتها كلية الاداب عن اعداد الطلبة حسب الاقسام والمرحلة والجنس ، بغداد ، ١٩٨٣ .
(تقرير مطبوع بالرونيو) .
٦ – الحافظ ، نوري : تكوين الشخصية ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦١ .
٧ – خليل ، ياسين ، مسؤوليات الجامعات في العالم الاسلامي في القرن الخامس عشر الهجري : دراسات للاجيال : العدد (٥/٤) ، بغداد مطبعة سلمى الفنية الحديثة ١٩٨٢ .
٨ – الزوبعي ، عبد الجليل ، واخرون : الاختبارات والمقاييس النفسية ، الموصل ، ١٩٨٠ .
٩ – الزوبعي ، عبد الجليل ، واخرون : رغبات الطلبة المتقدمين الى الكليات والمعاهد المختلفة في جامعة بغداد ، الموصل ، ١٩٧٣ .
١٠ – سلامة ، موسى : الشخصية الناجحة ، القاهرة ، مطبعة التقدم . (د.ت) .
١١ – الشماع ، نعيمة : الشخصية ، النظرية ، التقيم ، مناهج البحث. القاهرة ١٩٧٧
١٢ – عاقل ، فاخر . (اعرف نفسك) بيروت : دار العلم للملايين ، ط ٤، ١٩٧٨ (دراسات سايكولوجية)
١٣ – عيسوي ، عبد الرحمن . (دراسات سيكولوجية) الاسكندرية : منشأة المعارف ١٩٧٠ .
١٤ – غنيم ، سيد محمد . (سيكولوجية الشخصية : محدداتها ، قياسها ، نظرياتها) القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ .

١٥ — فاضل ، خليل . (هل انت قوي الشخصية) مجلة العربي ، العدد (٢٨٢) الكويت ١٩٨٢ .

١٦ — فراج ، عثمان لبيب وعبد السلام عبد الغفار . (الشخصية والصحة النفسية) بيروت : مكتبة العرفان ، ١٩٦٦ .

١٧ — كامل ، لويس وآخرون . (الشخصية وقياسها) القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ .

١٨ — الملا ، عبد الكريم (مشاكل الطالب الجامعي) العراق ، بغداد ! مؤتمر التعليم الجامعي الاول ، ١٩٧١ .

١٩ — نوتكات ، برثارد . (سيكولوجية الشخصية) ترجمة صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٢ ، ١٩٦٣ .

٢٠ — العراق ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي . (قانون التعليم العالي والبحث العلمي رقم ١٣٢ لسنة ١٩٧٠) بغداد : ١٩٧٠ . (تقرير مطبوع بالرونيو) .

٢١ — العراق ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي . (كتاب المؤتمر الاول للتعليم الجامعي في العراق) . بغداد ! مطبعة الادارة المحلية ١٩٧١ .

٢٢ — وايلي ، س ، ف الشخصية ترجمة ادور حوري . بغداد ! طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة ١٩٥٠ .

23— Adams. G. S: "Measurment and evalution in education Psychology guidance." New York, 1960.

24— Ferguson, G. A. "Statistical analysis in psychology and education ." (4th. ed.) New York: 1976.

25— Glass. C. V & Julian. C.S: Statistical methods in education and psychology, new Jersey, 1970.

26— Nunnally. J. C: Educational Measurement and evaluation, (2.nd.ed) New york, 1972.

27— Rosco. J.T: Fundamental research statistic for the behavioral Sciences, New york, 1969.

اللغات الشرقية

مكتبتنا العربية

تاريخ الرواية في الادب التركي

الدكتور : هدايت كمال بدري
كلية الآداب / جامعة بغداد

قبل أن تصل الرواية في الادب التركي الى مفهومها الحقيقي اليوم ، كان القارىء التركي وجها لوجه مع القصص المنثورة والمنظومة العائدة «لادب الديوان» حيث البعض منها كان يقارب الرواية حجماً ، والتي كانت مرتبطة تمام الارتباط بقواعد أدب الديوان، بالرغم من أن مصادرها كانت مختلفة سواء من الادب العربي أوالفارسي حيث كانت الحوادث فيها مشتركة أمثال :

«مجنون (قيس) وليلى» و«فرهاد (خسرو) وشيرين» و «يوسف وزليخة » والخ حوادث هذه القصص الطويلة كانت على شكل قواعد ثابتة (كليشة) تقريباً بحيث لايمكن للكاتب التلاعب في سياقتها تلاعباً جذرياً . والموضوع الاصلي لهذه الروايات إن صح التعبير — كان غالباً العشق الرومانتيكي وبعضاً العشق الالهي والحوادث فيها مغايرة للحقيقة أو متطرفة جداً أما ابطال هذه الروايات فهم ثابتون ولم يكن لهم أية علاقة بالحياة أو المحيط وكثيراً ماكان يختلط مع هؤلاء الابطال — كما في الحكايات الجن والملائكة والسحرة (١) .

أما الاسلوب وسياقة الجمل فثقيلان بحيث يصعب على القاريء التركي فهمه لكون لغة أدب الديوان مزركشة بكلمات واصطلاحات عربية وفارسية . هذه الروايات كانت تتنقل في الاوساط المثقفة التي كانت نتاج أدب الديوان . وبجانب هذا هناك الطبقة غير المثقفة من عامة الشعب حيث لها بعض الحكايات الشعبية تناسب ذوقها الخاص

(١) Kenan Akyuz, Modern Turk Edebiyatinin Ana Cizgileri, Turkoloji Dergisi. D.T.C.F. Yay. Ankara-1972.

ومستواها الثقافي . بعض من هذه الحكايات الشعبية مرتجلة (شفاهية) والبعض الاخر منها مدونة، قسم من هذه الحكايات حكايات بطولية حيث بعض ابطالها من ابطال الاسلام امثال «أبي مسلم و «بطال غازي» والقسم الاخرمنها حكايات قومية مثل «كوراوغلو» (١) . وهناك حكايات شعبية أخرى حوادثها تدور حول العشق والغرام وابطال بعضها حقيقية وبعضها خيالية . هذه الحكايات على عكس نظيراتها في «أدب الديوان» مرتبطة بحياة الفرد والمجتمع أرتباطاً حقيقياً كما أن الاسلوب وسياق الجمل فيها بسيطان وهي نفس لغة عامة الشعب، كل هذه الاثار الادبية المنظومة والمنثورة والتي تشبه القصص والحكايات القصيرة التي كانت تنظم على شكل مثنوي واخرى على شكل حكايات منثورة وكذلك الحكايات الشعبية والدينية كانت تحل محل الرواية وقبل انتشارها، بمفهومها الغربي، مر الادب التركي في مجال الرواية بدور الترجمة وذلك في النصف الثاني من القرن الماضي (التاسع عشر) . اذ ترجمت عدة روايات من الادب الاوربي وخاصة الادب الفرنسي الى اللغة التركية ومن أشهر الروايات التي ترجمت في هذه الفترة: «Telemak» وهي رواية فرنسية لراسين ترجمت الى التركية من قبل رجل الدولة «يوسف كامل باشا ١٨٠٨ – ١٨٧٦» في سنة (١٨٦٢) وقد طبعت هذه الرواية أربع مرات خلال سبع سنوات .

ثم رواية «البؤساء» تحت أسم «سفيللر» لفيكتور هيجو من قبل «شمس الدين سامي» سنة (١٨٨٠) . وقبله بثمانية سنوات أي في سنة (١٨٦٢) نشرت نفس الرواية تحت عنوان «مغدورك حكاية سي» في جريدة «حوادث» تباعاً .

ثم قصة «روبنسون كروزو» المشهورة ترجمت من قبل «أحمد لطفي افندي» في سنة (١٨٦٤) .

ثم قصة «مونت كريستو» ترجمت من قبل « تيودور قصاب » سنة (١٨٧١) . ثم « Atala » ترجمت من قبل «رجائي زاده اكرم» في سنة (١٨٧٢) .

ترجمت هذه الروايات الى التركية، لكونها روايات مشهورة وعالمية في تلك الفترة كما هي عليها الان (٢) . والجدير بالذكر أن ترجمة الروايات العالمية قد استمرت حتى

---

(١) Ahmet Kabakli, Turk Edebiyati Tarihi, 3. baski I.c. istanbul-1973.

(٢) Cevdet Kudret, Türk Edebiyatinda Hikaye Ve Roman Varlik Yayinevi, Istanbul 2.baski 1977

نهاية فترة التنظيمات حيث أزدادت الرغبة الى الروايات التي تغلب عليها طابع المغامرات بجانب روايات الاحاسيس والمحبة ومهدت الطريق أمام المثقفين للاطلاع على هذا النوع الجديد من الادب . وبدأ الاشتياق بين كتاب الاتراك في هذه الفترة الى كتابة روايات تركية مشابهة لروايات الغرب ، أي بدأت فترة التقليد .

في هذه الفترة والتي اطلقت عليها فترة التنظيمات ، أخذت التطورات المهمة في الامبراطورية العثمانية الاجتماعية والسياسية خاصة بعد سنة ١٨٦٠ تلفت النظر ، . وبدورها أثرت تأثيراً مباشراً في تطور الادب التركي بكل فروعه . حيث يلاحظ أن التيارات الغربية في المجتمع التركي بعد سنة ١٨٦٠ قد أخذت بالتطور في نواح ثلاث :

١ — السياسية

٢ — الاجتماعية

٣ — الادبية

والجدير بالذكر أن المثقفين من الشباب أخذوا ينظرون الى هذه التيارات وتطوراتها ككتلة واحدة ولذلك بدأوا بفعاليات كثيفة في هذه الساحات الثلاث . يبدأ التطور من الناحية السياسية وذلك بعد تأسيس الصحافة الاهلية . مثل الصحف :

١ — ترجمان احوال (١٨٦٠)

٢ — تصوير أفكار (١٨٦٢)

٣ — مخبر (١٨٦٧)

وبعد نفي أصحاب ورؤساء تحرير هذه الصحف الى خارج البلاد ولاسباب سياسية بحتة ، تم اصدار صحف أخرى من قبل المعارضة في المدن الاوربية الكبيرة أمثال لندن وباريس وجنيف (١) .

هذه الجرائد هي :

١ — مخبر ١٨٦٧ (لندن)

٢ — حربت ١٨٦٨ لندن أولا ثم في جنيف

٣ — اتحاد ١٨٦٩ في باريس

---

(1) Kenan Akyuz, Bat, Tesirinde Turk siiri Antolojisi, 3. bask, Ankara- 1970.

٤ ـ علوم ١٨٦٩ في باريس
٥ ـ انقلاب ١٨٧٠ في جنيف

أما تطور التيارات الفكرية الغربية في المجتمع التركي بعد سنة ١٨٦٠ فكفلتها الصحف والروايات والمسرحيات معاً . هذه الفروع الادبية الثلاثة أخذت على عاتقها تهيئة الجيل المثقف الجديد وذلك بشرح التغيرات الجديدة والتي سوف تطرأ على حياة المجتمع التركي في المجالات كافة والجدير بالذكر أن النشاطات الادبية هذه في المجتمع مرتبطة تماماً بما جاءت بها فترة التنظيمات من الاسس الجديدة وخلال السنوات (١٨٦٠ ـ ١٨٧٥) نلاحظ أن الادب التركي ككتلة واحدة قد نذر نفسه من أجل تحقيق هذه الاسس ومن موقفه هذا يظهر لنا صفته الاجتماعية ، ويكسب الادب التركي شيئاً جديداً الا وهو خدمة المجتمع حيث يرتبط مع ما يحيط به بصورة مباشرة ومنذ عصور خلت ولاول مرة نشاهد الادب التركي يقابل وجهاً لوجه أمور الحياة ومشاكلها ويعكس الحوادث والشخصيات كما هي ودون مبالغة . ولم يكن ذلك سوى انقاذ الادب القديم (أدب الديوان)، في كل النواحي من عزلته وربطه بحقائق واقعية يلمسها القارىء عندما يطلع عليه .

والجدير بالذكر أن الادب القديم كان أدب القواعد الثابتة الذي يطلق مؤرخو الادب التركي أسم «أدب الكليشهات» .والشيء الذي جاءت به فترة التنظيمات بالنسبة للادب والادباء هو الاحساس بالثقة والذي بواسطته تمكن الاديب من التخلص من هذه القواعد الثابتة وانه يواجه الحياة مباشرة دون واسطة معتمداً على نفسه لانه يعلم أنه قد تحرر واصبح صاحب شخصية وكيان وتعقب هذه المفهومية وجهة نظر جديدة بالنسبة للطبيعة والجمال ومواضيع جديدة أخذت من الحياة مباشرة . ولهذا أن حقوق الانسان ومبدأه في هذه الفترة أصبحت مطابقة مع حرية الاديب ومبدئه ولذلك فتحت امامه ابواب ، الابداع على مصاريعها .

أن الادب التركي ـ أعتباراً من سنة ١٨٦٠ ـ الذي تقبل بمسرحيته وروايته جميع ،أنواع الادب الاوروبي وبالرغم من أنه كان متخلفاً عن مرتبة الكفاءة نوعاً ما حينذاك من حيث المعالجة ، لقد أصبح صاحب عطاء مقيد في كافة أنواع الادب واشكاله وبمفهوم غربي تماماً (١) .

(١) Nihat Sami Banarle, Resimli Jurk Edebiyati Jarihi,

وتطلق على الرواية في الادب التركي أسم «Roman» والكلمة مأخوذة من «Romanus» اللاتينية والتي تعني «قصة حادثة حقيقية أو خيالية على شكل نثر». والرواية تتركب من ستة عناصر:

١ ـ الموضوع (Konu)
٢ ـ الاشخاص (Kisiler)
٣ ـ المحيط (Cevre)
٤ ـ الزمان (Zaman)
٥ ـ الغاية (Amas)
٦ ـ الاسلوب (Usslup)

والجدير بالذكر أن المفاهيم المترتبة أعلاه بعناصرها الستة، تختلف من عصر الى عصر ومن أديب الى أديب.

أما انواع الرواية فهي:

١ ـ الروايات التاريخية (Tarihi Romanlar)
٢ ـ روايات المغامرات (Macera Romanlari)
٣ ـ الروايات الاجتماعية (Sosyal Romanlar)
٤ ـ الروايات النفسية (Psikolojik Romanlari) (٢)

ويمكن أن نحصر الروايات المشهورة في الادب التركي وكتابها في الفترات التالية:

القسم الاول: فترة التنظيمات (أعتباراً من سنة ١٨٦٠)

الخطوة الاولى: الروايات المترجمة والتي مرت ذكرها في بداية البحث.
الخطرة الثانية: الروايات المحلية

ومن الكتاب الذين برزوا في هذا المجال هو الاديب «أحمد مدحت افندي ١٨٤٤ ـ ١٩١٢». الذي سعى دائماً من أجل أن يفيد المجتمع بكتاباته. كان هدفه هو تغيير الفكر وطراز الحياة الذي لايلائم المدينة المعاصرة. ونتيجة لذلك نرى أنه يركز في أكثر رواياته

---

(١) cilt, Jstanbul-1976.
(٢) Ahmet Kabakli, Turk Edebiyati Tarihi, 3. baski I.c. istanbul-1973.

وقصصه على نقد المعتقدات الباطلة والعادات البدائية لدى المجتمع التركي، واعطاء القاريء فكرة عن نظرة الاوروبيين المثبتة للدنيا وما فيها.

ومجموع رواياته يقارب (٢٩) رواية أشهرها : «موصللي سليمان» و «حسن ملاح» و «مشاهدات» و«هنوز أون يدي ياشنده» .

ثم الكاتب الاديب «شمس الدين سامي ١٨٥٠ — ١٩٠٤» وله :
«تعشق طلعت وفطنت» .

ثم الشاعر والكاتب الاديب «نامق كمال ١٨٤٠ — ١٨٨٨» وله :
«إنتباه» و «جزمي»

ثم الكاتب الاديب «سامي ياشازاده سزائي ١٨٥٨ — ١٩٣٦» وله «سركزشت»

ثم الشاعر والكاتب الاديب « رجائي زاده محمود أكرم ١٨٧٤ — ١٩١٤ » وله «عربه سوداسي»

القسم الثاني : فترة ثروت فنون (أدبيات جديدة) ١٨٦٩ — ١٩٠١ وبرز في هذه الفترة أيضاً كتاب مشهورون مارسوا كتابة الروايات منهم :

«خالد ضياء عشاقليكل» ومجموع رواياته يقارب الـ (٩) روايات من أبرزها :

«مائي وسياه» و «عشق ممنوع» و «قريق حياتلر» .

ثم الكاتب الاديب «محمد رؤوف» ومجموع رواياته (١٣) رواية منها :

«أيلول» و « دفينة » و «صون ييلدز»
ثم أحمد حكمت مفتي أوغلو له «كونول خانم»
القسم الثالث : الادباء الذين بقوا خارج نطاق فترة «ثروت فنون»
ومن أبرزهم :

الكاتب الاديب «وجيهي ١٨٦٩ — ١٩٠٤» مجموع رواياته يقارب الـ (٢٠) رواية ابرزها :

«مهجررة» و «جوبان قزي» و «ندامت» و «حصاد» ثم الكاتب الاديب «حسين رحمي كورينار ١٨٦٤ — ١٩٤٤» ومجموع رواياته يقارب الـ (٤٠) رواية أشهرها :
«سربية» و «تصادف» و «حقة صفندق» و «صون أرزو»

القسم الرابع : فترة فجرآتي

وبرز في هذه الفترة بعض الكتاب في مجال الرواية منهم :

«جميل سليمان ال يناق أوغلو (١٨٨٦ — ١٩٤٠) ومن أشهر رواياته :

«سياه كوزلر» و «قادين روحي»

ثم الكاتب «عزت مليح دوروم ١٨٨٧ — ١٩٦٦» وله :

«سرمد» و «تضاد»

القسم الخامس : الادباء الذين بقوا خارج نطاق فترة «فجرآتي» واشهرهم :

الكاتب الاديب «أبو بكر حازم ١٨٦٤ — ١٩٤٧» وله :

«كوجوك باشا»

والكاتب «بكر فخري ، ١٩١٤ —؟» وله :

«زونلر»

القسم السادس : فترة الادب القومي : برز في هذه الفترة كتاب مشهورون وممتازون عالجوا القضايا القومية في أكثر رواياتهم وترجم قسم منها الى عدة لغات عالمية حية وتستمر هذه الفترة من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩٢٣ وهي اعلان الجمهورية التركية . ومن ابرز كتاب هذه الفترة :

الكاتب الاديب «عمر سيف الدين ١٨٨٤ — ١٩٢٠» وقد اشتهر في كتابة القصص القصيرة . وله بعض القصص الطويلة ، في حجم الرواية ومن اشهرها :

«أفروز بكك »و«يالكزأفة» و«أصحاب كهفمز »

ثم الكاتبة الاديبة المشهورة «خالدة اديب ١٨٨٤ — ١٩٦٤» والتي لها مايقارب ٢٣ رواية ترجم بعضها الى عدة لغات عالمية ومن أشهر رواياتها :

«خندان» و«آتشدەن كوملك» و«سنكلي بقال» و«داغة جيقان قورت» ثم كاتب مشهور آخر في هذه الفترة هو «يعقوب قدري قره عثمان أوغلو» (١٨٨٩ — ١٩٧٤) ومجموع رواياته مايقارب التسع روايات من أشهرها: «كيرالق قوناق» و «نور بابا» و«حكم كيجەسي»و«يبان» ثم الكاتب «رفيق خالد قاراي ١٨٨٨— ١٩٦٥» ومجموع رواياته ما يقارب من ١٦ رواية ،من أبرزها :

«سرركون» و«أسطنبرلك ايج يوزو» و«آناختار» و«جه ته». ثم الاديب الكاتب « أرجمند أكرم طلوع ١٨٨٨ — ١٩٥٦» ومجموع رواياته (١٥) رواية. من أشهرها:

«صابر أفنديك كليني» و«قان وايمان» و«بوكوكلى بويله سيودي» والكاتب الاديب المشهور: «رشاد نوري كونتكين ١٨٨٩ ـ ١٩٥٦» ومجموع رواياته (١٩) رواية. من أشهرها:

«جالي قوشو» و«يشيل كيجه» و«يابراق دوكومو» و«مسكينلر تكيه سي» ثم الكاتب الاديب «يامي صفاء ١٨٨٩ ـ ١٩٦١» حيث أشتهر هذا الكاتب بكتابة الرواياتالتحليلية وله مايقارب من (١٢) رواية. من أشهرها.

«سوزدة قزلر» و«دوقوزونجو خارجية قاووشو» و«برترددك روماني» ثم الكاتب الاديب «مدحت جمال قونتاى ١٨٨٥ ـ ١٩٥٦» وله «أوج اسطنبول»

والكاتب الاديب «جواد شاكر ١٨٨٦ ـ ١٩٧٣» والملقب بـ«هاليكارناس باليقجيس» وله: «ئوتكرين جوجوغو» و «اولوج رئيســ» و «دكيز غربتجيلرى» ثم الكاتب الاديب «عبدالحق شناسى حصار ١٨٨٨ ـ ١٩٦٣» وله:

«فهيم بك وبز» و«جامليجاداكي انيشتميز» ثم الكاتب الاديب «محمود يسارى ١٨٩٥ ـ ١٩٤٥» ومجموع رواياته (٢٠) رواية. من أشهرها:
«جوبان ييلدزي» و«بروين آبلا» و«ئولومك كوزلري» و«قانلي سر». (١)

وأخيراً تبدأ فترة الادباء الاجتماعيين الحقيقيين» وتشمل هذه الفترة مابين السنوات ١٩٣١ ـ إلى١٩٥٤.

أما أكثر مواضيع الروايات مابين سنوات ١٩٥٤ ـ ١٩٦٧ فتشمل القرى والارياف والتاريخ التركي قبل الاسلام وبعـــده.

وفيما يلي أسماء بعض الكتاب المشهورين الذين برزوا في هذه الفترة:

---

(١) Kenan Akyuz, Modern Turk Edebiyatinin Ana Gizgileri, D. T. C. F. Yayinlari, Ankara - 1970.

AN APPROACH TO THE TEACHING OF ENGLISH VOCALIC NUCLEI TO THE ARAB STUDENTS

Subhi Shamoon Polis Zora (M.A.)

1st March 1983.

Introduction

It is generally known that Arab learners of English find the pronunciation of various English vowels and diphthongs rather difficult to master. Ono of the main reasons for this difficulty seems to lie in the vast amount of difference between the actual use and characteristics of the vocalic nuclei (VN) in English and the learners' mother tongue (i.e. Arabic) on both the phonetic and phonological levels. Other reasons include the method which our secondary school teachers of English use in their teaching, lack of classroom practice and finally our students' unawareness of the vocalic system of their mother tongue, Arabic. This paper has the multiple objective of suggesting an approach to teach the vocalic nuclei of RP English(1) in the light of those of Modern Standard Arabic (MSA)(2) and also try to shed light on the phonetic and phonological function and desription of the VN of MSA as an attempt towards a linguistic analysis of modern standard Arabic speech.

The paper falls into three parts. Part One discusses some theoretical considerations concerning the purpose and procedure of the adopted approach. The second part reviews, phonetically and phonologically, the vocalic nuclei of MSA and their allophonic variants in comparison with those of RP English. The third part presents some implications for teaching the English vowels and diphthongs in a juxtapositional approach based on understanding the nature and characteristics of the VN in both Arabic and English in an attempt to minimize students'errors in the pronunciation of English VN.

---

(1) RP English (Received Pronunciation) has been chosen in this paper because of its wide use and prestige in the books of British English phonetics and phonology and also its use in the teaching of EFL courses in the Arab world.

(2) MSA (Modern Standard Arabic) is widely used in school instruction, radio and T.V. programmes, educational courses, formal speeches..etc.

٥٧٩

Part (I)

Some Theoretical Considerations

Personal experience of teaching English pronunciation to Iraqi university students has shown that the majority of students fail to master the VN of English especially those which are not found in the Arabic vocalic system. One of the reasons for this failure may well be that most of the students are ill-equipped with sufficient knowledge of the VN of MSA due to lack of phonetic instruction in teaching Arabic courses. Besides, most of our teachers of English are practically unaware of the vowel sounds of Arabic, their articulation, description and relationship to the VN of the foreign language they are teaching. They have limited information about the vowel combinations, glides, allophonic variants and allophone discrimination. This poor knowledge has, in my opinion, considerable influence on the students' capacity to learn and master the English VN in general. This does not mean, however, that the learning and mastery of the VN of English is conditioned by the knowlege of their counterparts in MSA. It rather means that students could learn and master such sounds better if they are given some clearer knowledge of the Arabic equivalent sounds and their combinations and use in speech. Hence a need for a comprehensive analysis of the VN of MSA has been found of importance for both students and teachers of English. Accordingly a review of the Arabic VN has been made in the second part of this paper. The data provided have been collected from a limited number of sources which are available in the literature of Arabic phonology[1], personal experience of teaching English phonetics and phonology to university atudents specializing in EFL and also from native intuition due to lack of modern spectrographic apparatuses at our university.

Unlike consonants, the vowels of languages, in general, are rather difficult to describe as no closure is involved in their articulation in the oral cavity. It is true that the Cardinal Vowel system provides such features as the height of the tongue in the mouth, back and front

(1) These sources are mentioned in the reference lis

movements of the tongue; however, other features such as lip rounding, length...etc. should be mentioned in any linguistic description of the VN of languages. This paper provides such features and some other necessary information about the VN of MSA which can be used in teaching the VN of RP English in classroom teaching. The vocalic systems of Arabic and English can be juxtaposed and compared. The common features and those which are different could very possibly help the learners understand the VN of both languages and consequently learn them in relation to each other.

Modern linguistic methods and techniques of teaching foreign languages stress that any item in the foreign languag is more readily and easily learnt and mastered if it is presented in contrast with another familiar item already known to the learners. "A successful lesson presents elements in contrast .... "(AL-Hamash 1980 P.55). Though Dr. AL-Hamash used".. elements in contrast.." to mean those contrastive elements in the foreign languge itself, the principle has been found of great validity when applied on 'contrasting element' of both Arabic and English. This is especially true in the teaching of speech sounds and pronunciation. Besides, it has been found of greater use in eliminating students' errors and negative transfer (interference) and also in giving students an opportunity in studying lingsticaly the sounds of Arabic and their features in general. The proposed approach, then suggests a mehtod of teaching the English VN and their allophonic variations and distributions by comparing them with their equivalent sounds, if any, in MSA.

The use of the approach suggested in this paper does not mean that practice and drilling of the English vowels and diphthongs should be minimized. On the contrary, a successful application of the approach necessitates a variety of methods by which the English sounds (i.e. vowels ,and consonants) should be drilled and practised while making use of the theoretical characteristics and features of the sounds under study. "In language learning there is no substitute for practice. To establish linguistic habits, one should rely on constant practice on the

prat of the students and the teacher. Explanations can be useful as summaries that conclude intensive practice... "(AL-Hamash 1980 P. 54).

part (II)
The Vocalic Nuclei of MSA

MSA is known to have three major vowel sounds usually called (Huruf AL-Mad Walleen) حروف المدواللين They represent the three long vowels /i:/, /a:/ and /u:/ respectively. Three more short vowel sounds can be and are represented phonetically by the symbols /i/, /a/ and /u/[(1)]. Arab grammarians talk about the 'short' vowels as 'parts' of the long vowels (Ibn— Jinnie, Bashr 1975, Anis 1975, AL-Niaymi 1980.....ect). However, modern phonemic analyses distinguish two sets of long and short vowels as six 'distinctive' phonemes' each representing a group of allopones according to the phonetic envinronments in which they happen to be . Some general characteristics of the VN of MSA include :

a. All the VN of MSA occur in medial and final positions only. Spectrographic analyses have shown that in initial positions all the vowel sounds are preceded by a glottal stop. (AL-Ani 1970 P.22).

b. All the vowels of Arabic have a syllabic function and are subject to variations according to such factors as stress, phonetic environments... etc.

c. The quality of the Arabic vowels is obviously influenced by the adjacent consonants, their manner of articulation (emphatic/ non-emphatic) and their place of articulation[(2)].

(1) See Index (3) for more detailed information about the names and orthographic representation of the VN in MSA.

(2) These consonants are of three sorts:

i. The emphatic consonants of MSA /t/ ط , /d/ ض /s/ ص and / / ظ .

ii. The velar and uvular consonants of MSA /x/ خ , /q/ ق and / غ /.

iii. The non—emphatic consonants of MSA (i.e. All the consonants of Arabic with the exception of those mentioned in i and ii above).

(See also Index I The Consonant Sounds of MSA).

d. Spectrographic analyses have shown that the "higher vowels, both back and front, have relatively less allophonic variations. This is especially true whith /u/ and /u:/ "(Al-ani 1970 P.32).

e. The two vocalic glides /aj/ and /aw/ are the only diphthongal glides which can be found in MSA. They will be discussed in detail later.

The allophonic variations of the vowel phonemes of MSA and their equivalent sounds in RP English are as follows:

1. /i:/

a. [i:] This allophone occurs in the vicimity of the non-emphatic consonants of MSA. Its quality is that of a long, front, unrounded vowel below the high close position. (Fig. 1)

e.g [fi:l] فيل (elephant) [ri:f] ريف (countryside).

Of the English vowels of RP English, the long vowel /i:/ as in [si:d] and [si:t] is the nearest equivalent sound to the Arabic allopone of /i:/ described above(1)

b. [ii] This is used in the vicinity of the emphatic sounds of MSA. Its quality is more to the centre than to the front, lowered between the close and half-close positions. "The quality is more centralized and slightly low when in the neighbourhood of pharyngealized(2) consonants. (Al-Ani 1970 P.23).

e.g. [tini] طين (mud) [na ð̣ iir] نظير (similar to)

C. [II] Bashr (1975) distinguishes another allophone of [ii] used with the velar and uvular sounds /x/, /q/ and /ð̣/ which, he says, occurs between the two previously-mentioned allophones [i:] and [ii]. Thus, in quality, it should be in a place between the front and central areas just below the close position. (Fig.I)

(1) The English [i:] in [si:d] is relatively longer than that of [si:t] because the first one is followed by a lenis consonant whereas the second one is followed by a fortis consonant(Gimson 1970) The same can be true in MSA

(2) Al-Ani uses the terms 'pharyngealized' and 'velarized' for the emphatic consonants of Arabic alternatively (P. 44) In this paper the term 'emphatic' will be used.

e.g. [raqiiq] رقيق (thin) [raxiis] رخيص (cheap) [ra ʿ ẟ iid] رغيد (prosperous) This allophone seems to be similar to the variety of RP /i:/ which is used before dark [l] as in [fi:l] (feel), [ni:l] (kneel)...... etc.

Notes:

i. The allopones [i:], [ii] and [Il] are usually reduced in length when they happen to occur in unaccented or weakly accented syllables

e.g. [jabi: ʔ a:n] يبيعان (they sell, Msc. Dual). (i: reduced in length).

[radii ʔ a:n] رضيعان (two infants) (ii reduced in length).

ii. Sometimes in final open syllables the allophones [i:] and [ii] glide to the /j/ position under certain grammatical processes as in:

[ja ʔ ti:] يأتي (he comes) [ja ʔ tija:n] يأتيان (they come, Dual).

[tab ẟ ii] تبغي (she wants) [tab ẟ ija:n] تبغيان (they want, F. D.)

2. /a:/

a. [a:] This allophone normally occurs with the non-emphatic consonants of MSA; its quality is that of a long, unrounded vowel in a place between the front and centre just above the open position (Fig.I).

e.g. [na: ʔ im] نائم (asleep) [dza: mi ʕ a] جامعة (university).

This alophone can be compared with the front open vowel / ξ / when it occurs before the lenis consonants of RP English as in [s ξ d], [b ξ g] .. etc.

b. [aa] This is normally used with the emphatic consonants of MSA and some times after the consonants /r/, /f/ and /m/ when they are velarized; its quality is back, open and unrounded (Fig.1)

e. g. [taara] طار (it flew) [saa ʔ im] صائم (fasting).

[daabit] ضابط (officer in the army) [raami:] رامي (shooter).

This allophone of MSA can be compared with the long vowel phoneme /a:/ of Rp English used in such words as [da:ns] (dance) ,[t ʃ a:d ʃ] (charge) [ka:] (car)....etc.

C. [aa] Bashr (1975) (states that in the vicinity of /x/ ,/q/ and / ξ̣ / the allophone of [aa] seems articulatorily to be 'between' the two allophones discussed above. The quality of the sound is felt to be open, central and unrounded. (Fig.I)

e.g. [ẟ aa ʔ ib] غائب (absent) [muxaabir] مخابر (caller).....etc.

This allophone is similar to the central allophone of RP /a:/ appearing in such words as:

[ia: ξ ∂] (lather), [tra: nsf ξ] (transfer), [ela: stik] (elastic)[1]...etc.

Note:

In unaccented syllables, the allophones [a:] and (aa] are normally reduced in length as in:

[d ɜ aj ͵una:] جيشنا (our army) [mutaarida:t] مطاردات(pursuers, Fem.)

3, /u:/

a. [u:] This allophone usually occurs with the non-emphatic consonants of Arabic. The quality is that of a long, back vowel just below the back, close position. It is usually articulated with open lips. (Fig.I).

e.g. [θ u:m] ثوم (garlic) [d ɜ a:su:s] جاسوس(spy) [katu:m] كتوم (secretive)..... etc.

This variant is similar in quality (but not in quantity though) to the RP vowel /u:/ occurring in such examples as: [fu:d] (food), [lu:m] (loom)...

b. [uu] This allophone is found with the emphatic consonants of MSA. Its quality seems to bo lower and nearer to the back half-close position than [u:].

e.g. [tuul] طول (length) [rudúud] رضوض (bruises). /suuf/ (wool) [fuduul] فضول (curiousity).

C. [ʊʊ] A variety of [uu] occurring in the vicinity fo the velar and uvular consonants /x/, /q/ and / ξ / is said to be in a place between the two allophones of /u:/ described above.

e.g. [jaqúul] يقول (he says) [baxúur] بخور (incense).

---

(1) These examples are taken from Gimson 1970 p. 111.

Note

i. In unaccented syllables, the allophones of /u:/ are relatively reduced in length as in:

[járd u:] يرجو (he hopes) [jastuu] يسطو (rob)

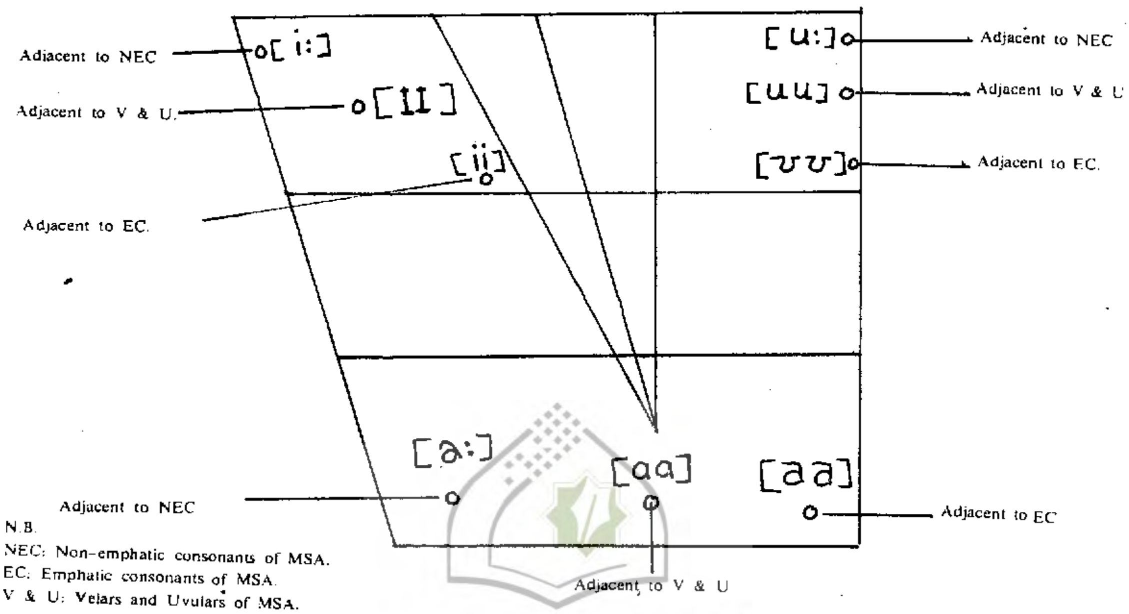


Fig.1

The long vowels of MSA and their most familiar allophones.

4. /i/

a. [i] This short allophone of Arabic /i/ is normally used with the non-emphatic consonants of MSA having a quality of a front, unrounded vowel just below the close position. (Fig. 2)

e.g. [d ʒ isr] جسر (bridge) [min] من (from).

This variant of /i/ of MSA is similar to the English close vowel /i/ occurring in such words as /ʃ isp/ (ship), /brid ʒ/ (bridge)...etc.

b. [I] This is normally used with the emphatic sounds of MSA. The quality of this variant seems to bo more of a central vowel than a back one in an area just above the half-close position. (fig.2).

e.g. [dIddahu] ضِدّه (against him. [sijaan] صيام (fasting).

C. [I] With the consonants /x/, /q/ and /ع/, the quality of the sound is said to fall in a place between [i] and [I]. (Bashr 1975). However, in articulatory terms, the difference is hardly felt.

e.g. [qIta:l] قتال (fighting) [xIjaar] خيار (option).

5. /a/

a. [a] This allophone occurs in the neighbourhood of the non-emphatic consonats of MSA having a quality of a front, open unrounded vowel. (fig.2)

e. g. [katab ∂] كتب (he wrote) [bari:d] بريد (post office)

The nearest allophone of RP English vowels is the short variety fo the front vowel / ξ / used before the fortis consonats of English as in [b ξt/ (bat), [b ξ k] (back)... etc. However the Arabic allophone is shorter and more centralized.

b. [∂] In final open unstressed positions, the quality of /a/ seems to be more to the half-open central position. (Fig.2).

e.g. [sa ? al] سأل (he asked [Wáqaf ∂] وقف (he stopped).

c. [Λ] This variety occurs in the neighbourhood of the emphatic consonants of MSA. The quality of the sound is that of a short, back, unrouned vowel just above the half-close position. (Fig.2).

e.g. [d Λ rb] ضرب (beating) [b Λ t] بَط (duck).

d. [Λ] Adjacent to the consonants /x/, /q/ and / /, the quality of the sound seems to be more to the centre than to the back in a place between the open and half open positions. (Fig.2).

e.g. [q Λ br] قبر (grave) [x Λ b Λ r] خبر (news)

This allophone has a similar counterpart in RP English occurring in such words as [kΛ ntri] (country), [s Λ p] (supper).... etc. described in Gimson (1970) P. 107.

---

6. /u/

a. [u] This allophone of /u/ occurs in the vicinity of the non-emphatic consonants of MSA. The quality is that of a short, rounded vowel just below the close position, between the back and central positions. (Fig. 2).

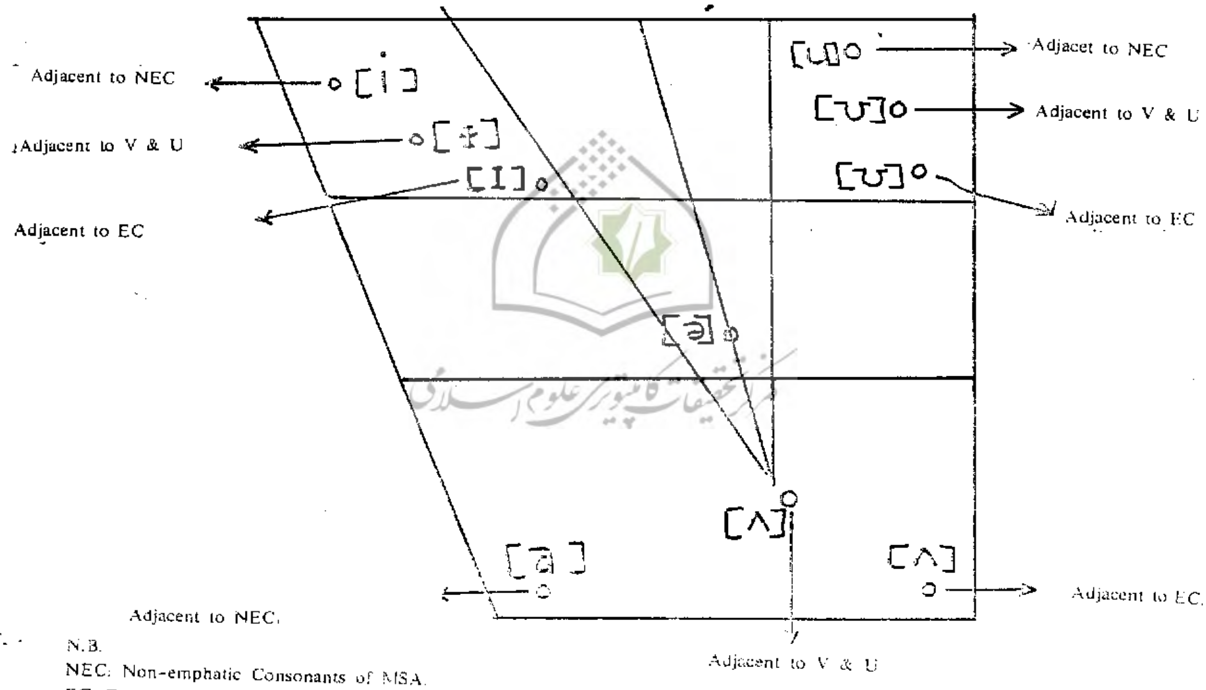
e.g. [kutub] كُتُب (books) [súbul] سُبل (ways).

This allophone is similar to the English vowel /u/ which occurs in such words as [fut] (foot), [buks] (book)... ect.

b. [ʊ̣] With the emphatic consonants, the allophone of /u/ is articulated in the back, half close position.

e.g. [t bu:i] طبول (drums) / hran/ ظهراً)in the afternoon)..

c.[V] Between the two allophones [u] and ʊ mentioned above,



N.B.
NEC: Non-emphatic Consonants of MSA.
EC: Emphatic consonants of MSA.
V & U: Velars and Uvulars of MSA.

Fig. 1

The short vowels of MSA and their most familiar allophones.

another variety of the vowel /u/ is said to occur with the velar and uvular consonants /x/, /q/ and ع . (Bashr 1975)[1].
e.g. /qV tila/ قُتِل (he was killed) /x V bz/ خبز (bread).

Status of the Diphthongal Glides in MSA as Compared with those of RP English:

From a phonetic standpoint, RP English has a number of vocalic sounds which are not constant in quality. They glide from one tongue position to another. The glide is either directed towards the close position producing the closing diphthongs /ei/, /ai/, /∂i/, /au/ , /· u/ or to the central poition in the case of the centring diphthongs /i / , /u∂/ and /ɔ . /

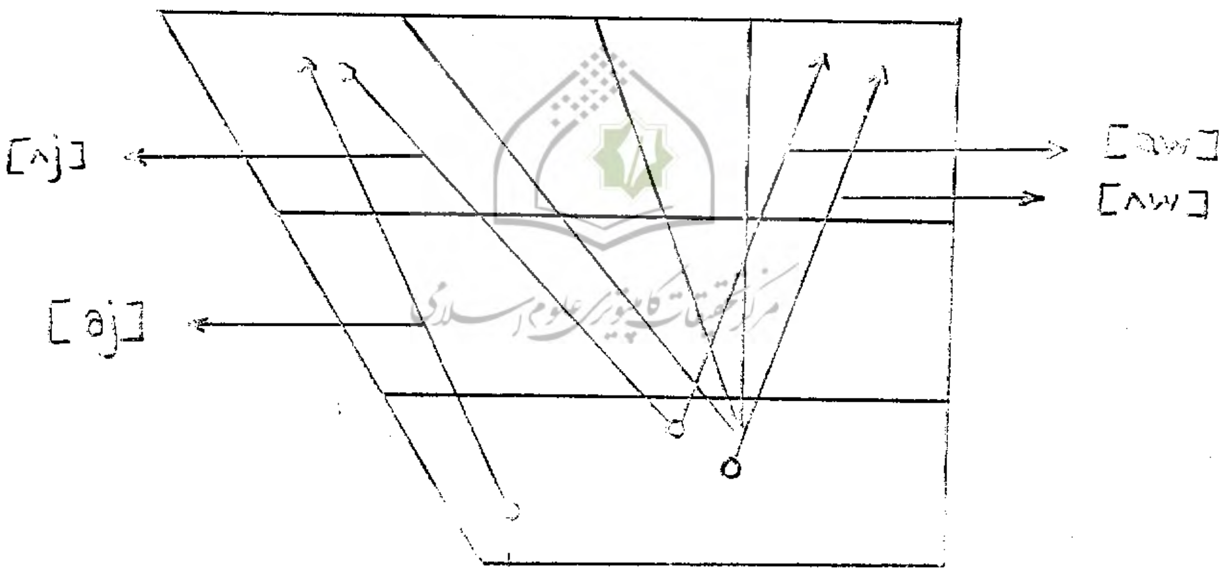


Fig. 3

The gliding vocoids of MSA

(1) Bashr (1975) and Anis (1975) talk about the allophones of the vowels occurring in the vicinity of /x/, /q/ and as different from the other allophones only in articulatory terms. Their views are, however, impressionistic and spectrograhic analyses are needed to confirm them.

In MSA diphthongal glides are of a different nature. The two distinctive vocalic glides of Arabic are /aj/ and /aw/. The first glide starts from a place just above the open front position to the highest possible tongue position in the front close area where the approximant /j/ rather than the pure vowel /i/ can be heard in the glide. As for the second glide /aw/, the movement starts form a place above the central open position ending in the back close area where a realization of the approximant /w/ can be felt in the glide. Fig. 3 shows roughly a representation of the gliding movement of Arabic diphthongal glides.

On the phonological level each of the diphthongal glides of RP English forms a"glide within one syllable" (Gimson 1970 P. 120). In terms of phonemic analysis these glides are treated as 'separate entities ' having a syllabic function similar to that of the long 'pure' vowels of English . "They are equivalent in length to the long pure vowels of English and are subject to the same variations of quantity (Ibid P. 126).

However, in MSA the two glides /aj/ and /aw/ have a rather different sort of functional analysis than that of RP vocoid glides.

According to the function they have in Arabic syllables, the two semi vowels /j/ and /w/, which repersent the second element of the two Arabic glides /aj/ and /aw/ seem to be rather in the syllables they occupy, not central. In other words, I think that the function of the semi vowels /j/ and /w/ in the glides /aj/ and /aw/ is similar to their function in the other positions they happen to be in. The following examples illustrate the use of the semi vowels in the diphthongal glides /aj/ and /aw/ respectively:

e.g.[? awla:d] اولاد (boys) [? ajta:m] ايتام (orphans) [d ʒawlah] جولة (round) [lajluna:] ليلتنا (our night) [?aw] أو (or) [? aj] أي (that's to say) [qawl] قول (saying) [? aajna] اين (where)

The following pairs of examples show the consonantal 'marginal' function of the semi vowels /j/ and /w/ as compared with other consonans both in the diphtongal glides and in other poitions:

[? awla:d] أولاد (boys) [? ajta:m] أيتام (orphans)
[? ad ʒ a:d] أجداد (grandfathers) [? aqla:m] أقلام (pencils) [qawl] قول

(saying) [?aw] أو (or) [qatl] قتل (killing) [? ax] أخ (brother) [walad] ولد (boy) [jardʒu:] يرجو (he hopes) [balad] بَلَد (country) [ttardʒu:] ترجو (she hopes)

Following is a description of the diphthongal glides of MSA:

I. /aj/

a. [aj] This allophone occurs with the non emphatic consonants of MSA. The glide starts from a place above the front open position moving up towards the very close position near to the palate region . (Fig 3)

e.g. [kaj] كي (in order to). [sajfuna:] سيفنا (our sword)

b. [Ʌj] This variety of the glide. occurs with the emphatic consonants of MSA. The glide starts from the central open position moving towards the high close front position .(Fig.)

e.g. [sɅjf] صيف (summer)] tɅjr] طير (bird).

c. [a: j] in this allophone the first element of the glide is longer than in [aj] above. It occurs in such words as:

[ʃa:j] شاي (tea) [na:j] [na:j] ناي (flute)

II. /aw/

a. [aw] with the non-emphatic consonants of MSA the allophone of the glide /aw/ starts from a place between the front and central open positions moving towards the high back area. (Fig.3)

e.g. [? aw] أو (or) [taw? am] توأم (twins)

b. [Ʌw] This veriety is realized with the emphatic consonats of MSA. The starting area is in the central area just below the half open position. (Fig.3).

e.g. [s wm] صوم (fasting) [d w?] ضوء (light).

c. [a:w] This glide has a relatively long 'first' element'. It occurs only in a few examples of Arabic . Most often the glide occupies two syllables; thus it can, in no way, be described as 'diphthong'.

e.g. [ha:walat] حاولت (she tried) [na:walat] ناولت (she handed).

N.B. Since the allophone of /a/ occurring with /q/, /x/ and /ع/ is said to be different from those occurring with the other consonants of MSA as stated earlier, two more allophones of /aj/ and /aw/ might be distinguished in the vicinity of the velar and uvular consonants as in:

/q wm/ قوم (people), /x jr/ خير (goodness).... etc.

Part (III)
Some Pedagogical Implications

In any teaching of the English vowels and diphthongs to the Arab students, the successful teacher has to have, first of all, considerable knowledge of both Arabic and English vovalic nuclei, their features and their distributions and relationship to each other. This will be of benefit in pinpointing the differences and similarites between the two vocalic sytems of both English and Arabic as an attempt towards avoiding mispronunciation, negative transfer and error commitment. The teacher should also select the approach which would be most relevant to the standard of the students. Considering the analysis mentioned earlier in this paper, it has been practically found through personal teaching experience that the best method of explaining and demonstrating the English VN go in parallel line with a similar explanation and demonstration of their Arabic equivalents. Following is a summary of the most important implications which would help the Arab learners of English as a foreign language to learn both the English and Arabic vocalic sounds simultaneously:

1. /i:/ of RP English can be taught in comparison with the allophone of /i:/ (i.e. [i:]) which is used with the non-emphatic consonants of MSA. Students should be reminded that the allopones of /i:/ which occur before the fortis consonats of both languages are usually shorter in length.

2. /a:/ of RP can be best illustrated by comparing it to the allophone of /a:/ (i.e. [aa]) which usually occurs in the vicinity of the emphatic consonants of MSA. Variations of length before lenis/ fortis consonants should be made clear.

3. /u:/ can be taught in comparison with the allophone [u:] which occurs with the non emphatic consonants of MSA. Variations of length should be made clear.

4. /ɔ:/ of RP has practically no eqivalent sound in MSA. However, it can best be presented in comparison with the vowel sound /ɔ:/

found in colloquial Iraqi Arabic occurring in such words as:
[t´ : ba] طوبة (ball) [o:b] ثوب (dress).

5. / ∂̥ :/ is the most difficult English vowel for the Arab learners as it has no counterpart in Arabic speech. The difficulty seems to be greater when the students wrongly pronounce the /r/ sound which is found in the orthography of the majority of the words which contain the sound / ∂̥ :/. It seems that the students are often misled by the orthographic representation of sounds. Hence, they should always be given practice in pronouncing /∂:/ while laying heavy emphasis on avoiding the pronuciation of pre-consonantal /r/.

6. / / of RP is "not included in the category of short vowels because of the special length often associated with it, but it is classified separately as neutral" (Gimson 1970 P. 95). However, this does not pose any probelm for the students once they understand the variations in the length of the vowel according to the phonetic environments in which it usually occurs. For example, before the lenis consonants of RP the allophone of / / is as long as the long varieties of the vowels and can, therefore, be compared with the Arabic allophone of /a:/ (i.e. [a:]) which usually occurs with the non-emphatic consonants of MSA. The shorter variety of RP / / which occurs before the fortis consonants can be compared with the Arabic allophone of /a/ occurring in the vicinity of non-emphatic consonants of MSA (i. e. [a]) though the former seems to be a bit longer. Students should be made aware that sometimes / / of RP may be diphthongized towards the central position as in [b d] and it does not normally occur in final open syllables whereas [a] and [a:] of MSA are frquently used in this position.

7. /i/ of RP English can be compared with the aMSA /i/ which occurs in the vicinity of non-empatic consonants of Arabic. Attention should be drawn to the other allophonic variations of both Arabic and English forms of /i/.

8. /e/ has no counterpart in MSA. However, it can be copmpared with the vowel /e:/ which normally occurs in some Iraqi dialects of Arabic in such words as [be:t] بيت (house) and [le:l] ليل (night).....

etc. RP /e/ is relatively shorter than /e:/ of dialectal Arabic. It can also be diphthongized to the central position as in [beəd] (bed), [seəd].. etc. and it does not usually occur in final open syllables.

9. /ɔ/ can be taught in comparison with /ɔ:/ of dialectal Arabic mentioned in 4. above. Emphasis should be placed on the differences in length.

10. /u/ of RP English can very well be taught in comparison with MSA [u] found with non-emphatic consonats.

II. /ʌ/ should be explained and taught in relation to the allophones of / / which occur with emphatic consonants of MSA (i.e. [ʌ]). No problem is found when teaching this vowel as it is widely used in the Arabic language.

12. /ə/ This is the shortest of all RP vowels and it always occurs in unaccented syllables. The Arabic allophone of /a/ which occurs in final unstressed positions is the nearest possible equivalent sound though the English 'schwa' is shorter and more centralized.

13. /ei/ This diphthong of RP can be compared with the Arabic diphthongal glide /aj/ which occurs in the vicinity of non-emphatic consonants. However, the first element of the Arabic glide starts from the front open area whereas the English diphthong /ei/ starts in a place between the half- close and half open front positions. Another difference lies in the pronunciation of the second element of the glides. The English glide ends in the front close vowel /i/ whereas the Arabic glide moves towards the close area near the palatal region producing the semi vowel /j/. Students should be made aware of this difference through constant practice and repetition.

14. /ai/ of RP is a near equivalent to the glide /aaj/ found in dialectal Iraqi Arabic as in [maaj] ماي (water), [taajir] طاير (flying).... ets. The main difference seems to lie between the two 'second' elements of the glides /ei/ of RP and /aaj/ of MSA.

15. /ɔi/ This diphthong can be taught in comparison with the diphthongal glide /ɔ:j/ occurring in the common word [ʔɔ:j] which is used to express dissatisfaction in some of the Iraqi dialects of Arabic.

16. /au/ can be taught in relation to the allophone /aw/ used with non-emphatic consonats of Arabic. However emphais should be placed on the difference between the second elements of the Arabic and English glides.

17. /əu/ is the most difficult diphthong for our students. No equivalent glide can be distinguished in Arabic. Therefore, very much practice is needed when teaching this diphthong.

18. The centring diphthongs of RP (i.e. /iə/, /ɛə/, /uə/ and /ɔə/) have no counterparts in Arabic speech. Therefore they should always be taught with much practice and repetition. The students' difficulty in mastering these diphthongs seems to be mostly resulting from the pronunciation of /r/ which is commonly found in the orthography of the words containing the diphthong. Emphasis should be laid on avoiding the pronunciation of final and pre-consonantal /r/ so as to produce an almost native-like articulation of the centring diphtongs of RP English.

Conclusion

The teaching of English vowels and diphthongs has been found more successful and beneficial if they are presented in relation to their counterparts of MSA. The different allophonic variations of the vocalic phonemes in both languages should be explained and described in relation to each other while, at the same time, laying heavy emphasis on practice and drilling. The approach mentioned in this paper has been the outcome of practical expevience of teaching Englisg phonetics and phonology to Iraqi university students specializing in English as a foreign language. The approach has also been found useful in giving the students more information about the vocalic sounds of their own language (Arabic) and has aroused in them an interest in investigating more deeply in the pronunciation of the different vowels and consonants of Arabic. Besides, a successful application of the approach would certainly help in making both the teachers and students aware of the importance of comparative studies in foreign language learning.

Index 1

: A table showing the phonetic symbols of the consonants of MSA, their manner and place of articulation, voicing and voicelessness and the orthographic representation of each of them in the Arabic writing system.

		Bilabial	Labio-Dental	Dental	Emphatic Dental	Inter-Dental	Emphatic Inter-dental	Palatal	Velar	Uvular	Pharyngeal	glottal
Stops	Vs			t ت	ṭ ط				k ك	q ق		
	Vd	b ب		d د	ḍ ض							
Affricates	Vs											
	Vd							dʒ ج				
Fricatives	Vs		f ف	s س	ṣ ص	θ ث		ʃ ش	x خ		ħ ح	h هـ
	Vd			z ز		ð ذ	ð̣ ظ		ɣ غ		ʕ ع	
Nasals	Vs											
	Vd	m م		n ن								
Laterals	Vs											
	Vd			l ل	ḷ ل							
Trills	Vs											
	Vd			r ر								
Semi-Vowels	Vs											
	Vd	w و						j ي				

Index 11

The Phonetic symbols of RP used in the paper:

1. The Vowels	2. The Diphthongs	3. The consonants	
1. /i/	1. /ei/	1. /p/	13. /θ/
2. /e/	2. /ai/	2. /b/	14. /ð/
3. /æ/	3. /ɔi/	3. /t/	15. /h/
4. /ɔ/	4. /əu/	4. /d/	16./m/
5. /u/	5. /au/	5./k/	17. /n/
6. /ʌ/	6. /iə/	6. /g/	18. /ŋ/
7. /ə/	7. /ɛə/	7. /f/	19. /l/
8. /i:/	8. /uə/	8. /v/	20. /tS/
9. /ɑ:/	9. /ɔə/	9. /s/	21./dʒ/
01. /u:/		10. /z/	22. /j/
11. /ə:/		11. /S/	23./w/
12. /ə:/		12. /ʒ/	24./r/

index 111
The names and orthographic representations of VN in MSA

Phonemic Symbol of the vowel sound	Name of sound in Arabic	Orthographic representation ofthe vowel sound in Arabic
1. /i:/	Al-Ya'a [?alja:?]	In final positions. In medial positions.
2. /a:/	Al-Alif [?al?alif]	In all positions. Sometimes in final positions.
3. /u:/	Al-Waaw [?alwa:w]	In all positions.
4. /i/	Al-Kasra [?alkasrah]	Used below the preceding consonant.
5. /a/	Al-Fattha [?alfathah]	Used above the preceding consonant.
6. /u/	Al-Dhamma [?aldammah]	Used above the preceding consonant.

English References

1. Al-Ani, M. 1970 **Arabic Phonology** The Hague.
2. Abdul-Ridha, S. 1979, **'Iraqi Arabic and English Vowel Systems Compared'** IDELTI, The First Conference on Applied Contrastive Linguisticd'.
3. Al-Hammash, K. and Younis, H. 1970 **Principles and Techniques of Teaching English as a Second Language** IDELTI Publication.
4. Aziz, Y.Y. 1974. **'Some Problems of the English Vowels for the Iraqi Learners'** ELTV. XXIX No. I.
5. Gimson A. C. **An Introduction to the Pronunciation of English,** 1970. Edward Arnold.
6. Tiffen, B. 1976 **'Notes on English Vowels and Diphthongs for Arabic Speakers,** In IDELTI 1976 Vol. 7.

٥٩٠

المصادر العربية :

١ ـ ابراهيم انيس ـ الاصوات اللغوية / ١٩٧٥ الطبعة الخامسة ، الانجلو المصرية .

٢ ـ احمد مختار العمر ، دراسة الصوت اللغوي ، الطبعة الاولى ١٩٧٦ ، جامعة الكويت .

٣ ـ د . خليل الحماش ، الافكار الاساسية بعلم الصوت الحديث وتطبيقاتها على دراسة اللغة العربية في افاق عربية ، ايار ١٩٧٩ السنة الرابعة .

٤ ـ د . كمال محمد بشر ، علم اللغة العام/ ٢ الاصوات ١٩٧٥ دار المعارف .

اللغات الأوربية

1— Nihal Adsiz (1905- 1975).
2— Feridun Fazil Tulbentçi (1412-1)
3— Aka Gunduz (1886-1958)
4— Kerime Nadir (1917 — /)
5— Peride Celal (1916 — /)
6— Tarik Buğra (1918 — /)
7— Yasar Kemal (1922— /).
8— Fakir Baykurt (1929 — /) .
9— Necati Cumali (1921 — /).
10— Orhan Hançerlioğlu (1916).
11— Kemal Tahir (1910— 1973).
12— Orhan Kemal (1914 — 1970) (1).

---

(1) Rauf Mutluay, 50 Yilin Turk Edebiyati, Is Bankasi yayinlari, 1. baski, Istanbul—1973.

tion which requires further investigation. My personal impression is that the imperfect is the neutral member. If this proves to be the case the aspectual contrast expressed by the perfect *vs.* imperfect would be more appropriately described as punctual *vs.* non- puntual.

Bibliography

Bache Carl. 1982.' Aspect and Atkionsart; towards a semantic distinction'. *Lingua*, 57- 72.

Beeston A.F.L. 1970. *The Arabic Language Today*. London: Hutchinson University Library.

Bloomfield Leonard. 1933 (1976). *Language*. London: George Alan & Unwin.

Cantarino V. 1977. *Modern Arabic Syntax*, . Bloomington: Indiana University Press.

Freed Alice F. 1979. *The Semantics of English Aspectual complementation*. London. Reidel Publishing company.

Jespersen Otto. 1924 (1965). *The Philosophy of Grammar*. New York: W.W. Norton and Company.

Lyons John. 1977. *Senamtics* 2. London CUP.

Sapir Edward. 1921 (1971). *Language*. London: Rupert Hart Davies.

Quirk R. *et al*. *A Grammar of Contemporary English*. London: Longman.

Vendler Zeno. Linguistics in Philosophy. Ithaca: Cornell University Press.

Wright William. 1859 (1971). *A Grammar of the Arabic Language* London: CUP .

with these aspectualizers, the perfect is ungrammatical is another proof that these two forms denote processes and events respectively. Thus (52)- (54) are grammatical; whereas (55)- (57) are not.

(52) akhathat al- as'aru tartafi u. (The prices began to go up.)

(53) bada'a al- mataru yasqutu. (The rain began falling.)

(54) ma zala sadiqi yughani. (My friend continues singing.)

*(55) akhathat al- as' aru irtafa 'at.

*(56) bada' a al- mataru saqata.

*(57) mazala sadiqi ghanna.

The aspectualizers in (c) occur only with verbal nouns.

(58) anha dirasatahu. (He finished his studies.)

(59) intaha min al- qira' ati. (He finished reading.)

(60) akmala (atamma) rasma al- surati. (He completed drawing the picture).

8. Conclusion. The perfect: imperfect opposition refers to an sspectual distinction which seems to be based on whether a situation is viewed as non- extende vs. extended. In general treatments of aspect these are usually described as punttual and durative respectively. Thus the perfect is basically a punctual aspect the imperfect a durative aspect. If we apply the notion of markedness we will have two possibilities : punctual vs. non- punctual and durative vs. non- durative. With our present knowledge of Arabic aspect it would not be easy to decide which of these two possibilities is more appropriate for describing aspectual contrast in Arabic. The decision depends on whether the perfect or the imperfect is basic or the unmarked member. This is an empirical ques-

(45) ana thahibun li ziyaratihi. (I am going to see him).

(46) innaha musafiratun ila al–Basrah. (She is travelling to Basrah).

(47) al–amiru qadimun. (The prince is coming).

6. A dynamic situation referred to by the perfect my be rendered static if the perfect is preceded by the particle 'qad'.

(43) qad mata al–amiru. (The prince is dead).

(49) qad jannat. (She is mad).

This construction is sometimes equivalent to the English perfect which basically denotes a state resulting from the completion of a process.

(50) qad ra'itu hatha al–rajula. (I have seen this man).

(51) wasalna ila bi'rin qad jaffa ma'uhu. (We reached a well which had dried up).

However there are restrictions on the use of this construction: it is almost confined to affirmative statements in Modern Standard Arabic.

7. Finally a brief note about the possibility of using aspectualizers with the perfect and the imperfect will be in order. An aspectualizer is a verb which lends the sentence in which it occurs a certain aspectual reading (Freed 1979 19). The most common aspectualizers in Arabic are: (a)akhatha and bada'a (begin, start) (b) ma zala la yazalu and ma fati'a (continue keep) and (c) anha intaha amala and tamma (finish, complete). The items in (a) (b) and (c) refer to the beginning, the nucleus and the end–point of a situation respectively.

Only a process can be analysed into various parts; an event is conceived as a unit or a whole which cannot be divided into such parts. the fact that only the imperfect is used

Arabic word-order being relatively free seems to have some significance in distinguishing between the progressive and the habitual situation. The former prefers SV the latter VS. Thus a neutral question about what is happening at a certain moment (e.g. What is this?) would almost certainly be answered by a person using SV as in

(40) — ma hatha? (What is this?)

— 'Aliyun ya'zifu 'ala al-piano. (Ali is playing the piano). VS construction (ya'zifu Aliyun..) would be irrelevant because it denotes here what Ali usually does.

(41) ya'ziful 'Aliyun' ala a'-piano.

Cincumstantial clauses discussed above (34) – (36) refer to a situation progressing at a certain moment indicated by the main clause. They always have the SV pattern.

Verbs whose inherent character is non-extended e.g. *yaqfizu* (jump) do not lend themselves easily to the notion of progressivity. When used in the imperfect these verbs denote repetitive or iterative situations.

(42) yaqfizu a'-waladu min fawqa l'-haiti. (The boy jumps over the wall).

Verbs like *yasilu* (arrive) and *yamutu* (die) which refer to achievements (See section 3 above) denote a process leading to an event when used in the imperfect.

(43) yasilu al-qitaru al-an. (The train is arriving).

(44) hath al-rajulu yamutu. (This man is dying).

A dynamic situation expressed by the progressive aspect in English is sometimes conceived in Arabic as astate and is expressed by a non – finite verbal form known as 'nomen agentis' which functions as an attribute to the preceding noun.

'kataba al –risalata' would be understood here as a finished action (achievement) – an event. It cannot serve as an extended frame for the first verb.

A further proof of the punctual or non –extended nature of the perfect (and the extended nature of the imperfect) may be found in the syntactic structure of what is known in Arabic grammar as 'al–jumal al–haliya' (the circumstatial clause) . It serves as a frame for the event which occurs in the preceding part.

(34) ja'a *wa huwa yadhhaku*. (He came laughing).

(35) ra'aytuha *wa hiya tughani*. (I saw her while she was singing).

(36) insarafaa*l* –jami'u *wa hum yusaf iquna*. (They all left clapping) .

The fact that only the imperfect occurs in these clauses (the perfect is ungrammatical can be explained if the imperfect is understood as referring to a process the perfect toan event.

5. The imperfect being an extended aspect may express both progressive and habitualsituations. The distinction between the two seems to be lexicalized rather than grammaticalized . Thus (37) is ambiguous out of context.

(37) innahu ya'malu fi al–haqli .

It may mean either (a) 'he works on the farm' or (b) 'he is working on the farm'.

(38) — ayna Ahmed? (Where is Ahmed?)
— innahu yalmalu fi al–haqli . (He is working on the farm) .

(39) — matha ya'malu Ahmed? (What does Ahmed do?)
— innahu ya'malu fi al–haqli. (He works on the farm) .

(26) One of them shouted the other made a dash for the gun . (two simultaneous events)

(27) When I last saw you you were living in Washington. (an event included within a process)

The equivalents of these in Arabic would be

(28) saqata wa kasara saqahu.

(29) fa sarakha ahaduhma was indafa'a al–akharu nahwa albunduqiyati.

(30) ra'aytuka akhira marratin wa anta taskunu fi Washinton. The perfect is used for all the verbs in (28) and (29), and the first verb in (30); the second verb in the last example (which refers to a process) is in the imperfect. This is in agreement with the two logical principles stated above. Examples (27) and (30) may further be tested against the fact that an event cannot be included within another event (Principle I) . If the second verb of (27) is replaced by the perfective aspect the sentence is still granmatical.

(31) When I last saw you you *lived* in Washington.

(Quoted by Quirk *et al*, 1972, 11. 29)

This shows that the second verb in (31) is still viewed as a process which can serve as an extended temporal frame for the event in the first part of the sentence. The Arabic sentence (30) is on the other hand rendered ungrammatical if the perfect is substituted for the imperfect.

*(32) ra'aytuka akhira maratin wa anta sakanta fi Washington. The reason for this is that the second verb in (32) is now regarded as an event within which the event of the first part cannot be placed. Here is another example .

*(33) dakhaltu ith kataba a'–risalata.

(20) yaqula a'–rasulu. (The messenger says).

(21) yasilu al–qitaru. (The train arrives).

(22) yarbahu akhi al–ja'izata. (My brother wins the prize)

(23) taqra'u al–fatatu al–risalata. (The girl reads the letter).

(24) 'azitu 'ala an la aqula shai'an. (I decide not to say an4–thing).

With the exception of (21) and (22) the imperfect in these examples refers to situations interpreted as habitual or progressive. (21) and (22) can only be viewed as habitual or iterative. [6] This is compatible with the inherent character of achievements. The accomplishments in (23) and (24) describe activities which are not completed; the emphasis here is on the process itself rather than on the end–point.

Thus with dynamic verbs the perfect: imperfect opposition seems to be based on whether a situation is viewed as non–extended or extended. This claim receives further support from certain characteristics of events and processes. Two logical conclusions derived from the nature of these two types of situations are relevant. First an event being undimensional may follow precede or be simultaneous with another event;it cannot be included within another event. Secondly an event can only be included within a process. (25)–(27) illustrate these two principles.

(25) He fell and broke his leg. (two successive events)

---

(6) I am not concerned with the future reference of this form since it belongs to the time of the utterance rather than to aspect.

as states. Thus with the exception of *kana*: *yakunu* the main difference between the perfect and the imperfect in these examplesis one of ingressive situations vs. staticic siutuations. The contrast expressed by *kan* yak unu refers to the time of an utterance past vs. present rather than to the way a situation is conceived.5

4. Dynamic verbs have a different interpretation when used in the perfect or the imperfect. The former seems to view a situation as an event as in (13) -(18).

(13) thahabtu ila al-suqi. (I went to the market.)

(14) qala al-rasulu. (The messenger said.)

(15) wasala al-qitaru (The train (has) arrived)

(16) rabiha akhi al-jaizata . (My brother (has) won the prize.)

(17) qara'at al-fatatu al-risalata . (The girl read the letter.)

(18) 'azamtu' ala an la aqula shai'an. (I dicided not to say anything.)

Moreover (13) and (14) describe situations which have nerely come to an end; (15) and (16) being achievements indicate that the events have reached their climax; (17) and (18) are accomplishments in which the the perfect refers to the completion of the action and the emphasis is on the end-point, the event rather than the process itself.

The imperfect on the other hand views these situations as processes.

(19) athhabu ila a'–suqi. (I go (am going etc.) to the market).

---

5. Thus *kana*: *yakunu* may be said to express tense rather than aspect.

(5) malaka al-amiru quran kathiratan. (The prince owned many villages.)

(6) fahimtu matha turidu. (I understand wahat you mean.)

(7) 'alimna annaka musafirun. (We know (have learnt) that you are leaving.)

(8) kana al-tiflu maridhan. (The child was ill.)

or the imperfect

(9) yamluku al-amiru quran kathiratan. (The prince owns many villages.)

(10) afhamu matha turidu. (I understand what you mean.)

(11) na'lamu annaka musafirun. (We know that you are leaving.)

(12) man yakunu hatha al-rajulu? (Who is this man?)

This indicates that stativity is not incompatible with the semantic notion expressed by either of these two forms, which in turn means that neither the perfect nor the imperfect views a situation as progressive since progressivity is incompatible with stativity.

*(13) John is being a boy.

*(14) The box is containing gold.

A close examination of the verbs in (5) -(7) will reveal that they refer to events or rather events leading into states. Thus the perfect here can be interpreted as ingressive or inchoative, a notion which results from interaction between the extended character of a stative verb and non-extended aspect (Cf. Lyons 1977 15.6). The perfect in (8) is different ; it describes a state.

The verbs in (9)-(12)describe extended situations viewed

Two more subclases, accomplishments and achievements, are recognized within the classes of processes and events (Vendler 1967). Accomplishments are processes seen as moving to a natural terminal point; their end-point is an event. For example, *decide*, *read a book* and *run a race* express accomplishments; whereas *read play* and *run* are non-accomplishments.Achievements are events which indicate a sharp change from one state to another e.g. *remember*, *forget*, *die* and *win a race*.

Which of these situations are grammaticalized or lexicalized in particular languages is an empirical question. 4

The majority of verbs in Arabic as in English are dynamic. There is however,a minority of Arabic verbs which are stative in that they refer to extended homogenous situations. *'alima* *'arafa* (know) fahima (understand *ihtawa* (contain) *malaka* (own) and above all *kana* (was) are stative verbs.The last verb is interesting because it is even more stative than the English was' (e.g.He *was* afraid);for in English it is possible to use 'was' with lexical items referring to dynamic situation such as the adverb' suddenly'.

(1) Suddenly he was in garden.

(2) Suddenly Alice was a tiny girly.

'kan' is not possible in the translation equivalents of (1) and (2); they require dynamic verbs.

(3) wajada nafsahu faj'atan fi hadiqatın

(4) asbahat Alice faj'atan fatatan saghirata al-hajmi.

In Arabic there are no restrictions on the use of stative verbs in the perfect.

---

4. Durative *vs.* non-durative punctual *vs.* non-punctual and progressive seem to be quite common (Lyons 1977 15.6).

aspectual contrast rather than the primary time of the utterance (Wright 1859 (1971) 51; Beeston 1970 76; Cantarino 1974, I, 58). Nevertheless, aspect in Arabic has not received the attention that it deserves; its treatment has often been brief and sketchy. Besides, there has been certain disagreement as to what it means. Wright (1984 51) states that the perfect (kataba) imperfect (yaktubu) opposition expresses a finished act *vs.* an unfinished act; to Beeston (1970 67-8) it is a dynamic verb depicting a change from one situation to another *vs.* a static verb depiccting a single ideally frozen situation; Cantarino (1995 I 58) describes the contrast as an 'action deemed complete *vs.* an action not complete or still enduring at a certain time'.

In this article, I will attempt to reassess the role of aspect in Modern Standard Arabic by examining its semantic implications with regard to various situations.3 I will argue that what is most relevant to Arabic aspect is durative (extended) *vs.* nondurative (punctual) contrast or rather punctuality *vs.* non-punctuality.

3. Since aspect is concerned with the ways a situation is viewed distictions are usually drawn between various types of situations. First situations are conceived either as static or dynamic; the former merely exist and are homogeneously extended in time, the latter bappen or develop in time. Further dynamic situations may be either non-extended cvents or extended processes.

Events and processes if agent controlled are (actions) usually known as acts and activites respectively (Lyons 1977, 12.4).

---

3. Situation here has a broader sense than just referring to a context of an utterance; it also covers what an utterance describes and contrasts with a fact of proposition.

grammaticalized rather than those which are merely lexicalized. Thus English is said to have a progressive aspect since progressivity is grammaticalized as BE - ING. This may be contrasted with certain lexical items especially verbs [1]which possess inherent aspectual meanings. For example *jump* characteristically refers to a short (non–extended) situation whereas *live* denotes a durative (extended) situation. The inherent meaning of these items interacts with forms to express various contrasts.

2. Traditionally the notion of aspect was reserved for treatments of Slavic languages. It was considered irrelevant to the study of English (Sapir 1921 (1970) 108; Jespersen 1924 (1965) 268. Bloomfield 1933 (1976) 280). Only recently have linguists come to believe that aspect is found in most if not all languages of the world. (2)

Arabist however have always pointed out the relevance of aspect to the description of the Arabic verb. They have stated that the difference between the two forms the perfect (*madhi*) and the imperfect (*mudhari*) is essentially based on

(1) This is sometimes termed Aktionsart and is distinguished from aspect either on lexicalization/ grammaticalization 72) or lexicaliztion and derivation basis. Owing to the lack of agreement concerning this term I shall not use it in this article.

(2) In this sense it is more universal than tense which is not found in a number of languages. It has also been argued that aspect is ontogenetically more basic than tense in that a child whose mother congue has both masters aspect before he masters tense (Ferreiro quoted by Lyons 1977 15.6).

Aspect in Arabic: a Semantic Approach

Yowell Y. Aziz
College of Arts
Mosul University

Abstract

The perfect: imperfect contrast in Arabic basically expresses aspectual opposition. This contrast is variously described as conveying a finished act *vs.* unfinished act; a dynamic verb denoting a change from one situation to another *vs.* a stative verb depicting a single frozen situation, an action regarded as complete *vs.* an action not complete or still going on. In this article I shall argue that the perfect is used when a situation is viewed as non–extended, the imperfect when a situation is conceived as extended or durative. Hence the perfect basically expresses an event the imperfect a process or a state and the contrast between them may be properly described as one of punctuality *vs.* non–punctuality or duration *vs.* non–duration.

1. Aspect may be defined as the different ways of viewing the internal temporal structure of a situation. Unlike tense aspect is not deictic i.e. it does not refer to the actual time of an utterance but merely indicates the temporal value of a situation in relation to other relevant situations. The notion of aspect is further narrowed down to oppositions which are

15– F.B.Pinion, *A Bronte Companion*, 1975.

16– H.Walpole *The Castls of Otranto*, in *Three Gothic Novels*, The Penguin English library, Harmondsworth, 1975.

17– Sir Ifor Evans, *A Short History of English Literature*, Harmondsworth, 1958.

18– J.Hillis Niller, *The Form of Victorian Fiction*, 1962.

19– Arnold Kettle, *An Introduction to the English Novel*, Vols. I, II, 1976.

20– Walter Raleigh, *English Novel*, 1907.

21– Frelerick M. Mars *A Reader's Guide to the Development of the English Novel in the 18th Century*, 1974.

22– Robert M.Lovett & Helon S. Hughes, *The History of the Novel in England*, 1933.

23– Kenneth Graham, *English Criticism of the Novel* 1865–1900, 1965.

24– J.M.S. Tompkins *The Popular Novel in England 1770–1800*, 1932.

25– Reviews Robert B. Heilman, "Charlotte Bronte, Reason, and the Moon", *Nineteenth–Contury Fiction*, Vol 14, 1959–60, PP.283–302.

26– Lyall H.Powers "The Eternal Nystery of Things, *The Portrait of a Lady*", *Ibid.*, PP. 143–155.

27– E.D.H. Johnson "'Daring the Dread Glance': Charlotte Bronte's Treatment of the Supernatural in *Villette*", *Nineteenth–Century Fiction*, Vol. 20, PP. 329–336.

BOOK LIST

All books publishod in London unless otherwise stated.

1- Charlotte Bronte *Villette,* Everyman's library 1977.

2- Elizabeth Gaskell *The Life of Charlotte Bronte,* The Penguin English Library edition Harmondsworth 1975.

3- Clement K.Shorter *Charlotte Bronte and Her Sisters,* ed. by W.Robertson Nicoll 1905.

4- W.A. Craik, *The Bronte Novel,* 1968.

5- Enid L. Duthie, *The Fereign Vision Of Charlotte Bronte,* 1975.

6- Inga-Stina Ewbank *Their Proper Sphere,* 1966.

7- Earl A.Knies *The Art of Charlotte Bronte,* Athens: Ohio Univ. Press 1969

8- Tom Winnifrith *The Brontes and Their Background,* 1973.

9- Terry Eagleton, *Myths of Power,* 1975.

10- John Malham-Dembleby, *The Key to the Bronte Works,* 1911.

11- M.Peters, *Charlotte Bronte Style in the Novel,* The University of wisconsin Press 1973.

12- David Cecil, *Early Victorian Novelists,* The Univ. Press Glasgow, 1966.

13- R.B. Martin, *The Accents of Persuasion,* 1966.

14- Rober C. Rathburn & Martin Steinmann, *From Jane Austen to Joseph Conrad,* Univ. of Minnesota Press. Minneapolis, 1957.

14– *Ibid.* P.30.

15– *Ibid.* P.31.

16– *Ibid.* P.268.

17– *Ibid.* P.284.

18– *Ibid.* P.251.

19– see the debate on this theme in shakespeare's *The Winter's Tale*, iv iv 88–97. *The Works of William Shakespeare*, Odams press edition 1944.

20– *Villette*, P.412.

21– W.A. Craik *The Bronte Novel*, P.170.

22– *Villette*, P.80.

23– *Ibid.*, P.317.

24– Mrs. Gaskell *The Life of Charlotte Bronte*, P.484

NOTES

The text of Charlotte Bronte's *Villette* used in this study is Everyman's Library edition '1977.

1– W.A. Craik *The Bronte Novels*, P.165.

2– "Charlotte Bronte's 'New' Gothic" *From Jane Austen to Joseph Conrad*, University of Minnesota Press. 1958. P.127.

3– Walpole The *Castle of Otranto*, in *Three Gothic Novels*, The Penguin English Library edition 'P.88.

4– *Villette*, P.335.

5– *Ibid.* P.354.

6– *Three Gothic Novels*, P.135.

7– *Villette*, P.144.

8– "*Villette*" and the Life of the Mind' *P.M.L.A.* LXXV 1960 P.418.

9– *Three Gothic Novels*, P.147.

10– Mrs. Gaskell' *The life Charlotte Bronte*, The PenguinEnglish Library edition P.484.

11– Charlotte Bronte's interest in stoicism is seen in *Jane Eyre* with Helen Burns's enthusiasm for Dr.Johnson's *Rasselas*, *Jane* Eyre The Penguin English Library edition P.81.

12– .*Villette*, P.28.

13– *Ibid.* P.66.

مكتبتنا العربية

onte in her treatment of the main character is one of the strengths of the novel and an aspect of it that looks to the future Not only are Gothic models inverted in pursuance of this aim 'Images of Art, and Nature 'too' are handled obliquely for the same purpose. Charlotte's interest in psychology and her skilful depiction of the mental state of her characters reveal much that she has in cammon with Henry James.

Besides the psychological handling of the Gothic element there are yet other aspects that mark *Villotte* as modern namely the writer's use of unusual characters and her treatment of the theme of loneliness and individuality of woman. In respect to the latter theme she very much looks forward to D.H. Lawrence. Charlotte Bronte, using many of the cliches of the Gothic novel turns them around creating a singularly interesting novel that looks to the future in many respects.

When she is caught by Lucy Snowe the protagonist's reaction is matter-of-fact and she is indignant rather than shocked. So a Gothic situation is deflated by the realistic attitude of the narrator.

Charlotte Bronte would seem to make use of the ghost scenes in the earlier part of the novel in order to reflect the disordered state of Lucy Snowe's mind. In fact many of the modern elements in the novel present developments of the Gothic in a new direction, away from the horror and cheap sensation towards psychological analysis. At first sight, the scene where Lucy Snowe wanders around in a drugged state would appear to be a use of the Gothic but in reality the scene shows a realisation of Lucy Snowe state of mind, skilfully making use of short, colourful phrases, in order to convey realism. The visit to the confessional during the long vacation although verging on traditional Gothic, in so far as the priest Pere Silas is involved in the plotting against Paul Emanuel and Lucy Snowe later on and also in the bizarrenese of the scene, really shows the nadir reached in her loneliness by Lucy Snowe. Even the description of her state of mind before this, although rather clumsy in its use of the imagery of a death's head, nevertheless has a psychological side to it in illustrating her morbid state of mind.While the imagery is clumsy and out-dated, the passage is not old-fashioned in its psychological aim.

So,the psychological element of the novel constitutes one of its modern aspect. Even some of the apparent faults in the novel add' in fact to its psychological realism. Thus, the narrator's hiding of Dr. John's presence in *Villette* illustrates an aspect of Lucy Snowe's mind with its frustrated hiding of her desires. The psychological interest shown by Charlotte Bro-

disposition "From that day M.Paul became a changed character -easy to live with and no longer apt to flash danger and discomfort round him. No; he was naturally a little man of unreasonablemoods.When over–wrought' which he often was' he became acutely irritable; and besides his veins were dark with a livid belladonna tincture' the essence of jealousy. "23

In a more usual novel of this period' the main characters would have been Dr. John and Paulina. In fact Charlotte Bronte deliberately avoids making Dr. John the hero of the novol because Lucy Snowe is not suitable for the usual role of remantic heroine:

"Lucy must not marry Dr. John; he is far too youthful handsome brightspirited' and sweet tempered; he is a 'curled derling'of Nature and of Fortune and must draw a prize in life's lottery. His wife must be young' rich' pretty; he must be very happy indeed. If Lucy marrios anybody it must be the Professor–a man in whom there is much to forgive. much to 'put up with'. But I am not leniently disposed towards Miss *Frost:* from the beginning I never meant to appoint her lines in pleasant places. The conclusion of this third volume is still a matter of some anxiety". 24

Although *Villette* makes use of both Gothic and Modern elements' it is modernness that is most striking. Much of what on the surface appears to be traditional Gothic is in fact seen to be anti–Gothic a reaction against some of the outlandish features of this genre. Although at first Charlotte Bronte produces some Gothic thrills from the use of spectres' event - ually her style turns to anti–Gothic' when the mystery of the ghost is destroyed by the realistic explanation of what it actually was. Similarly is the case with Madame Beck's spying.

also seen in her ability to penetrate the characters of her friends and enemies in a way not open to her in her usual rational state.

The use of an unusual hero and heroine is another modern facet of the novel, as W. A. Craik says:
" Lucy Snowe and Paul Emanuel are the oddest hero and heroine in the history of the eighteenth-and nineteeth-century novel, while John Graham and Paulina, now secondary would make quite conventional ones. "21

Usually in Victorian and earlier novels heroes and heroines are handsome, attractive', outstanding persons (Elizabeth Bennet and Mr . Dary in Jane Austen's *Pride and Prejudice* (1813) are typical hero and heroine: Dorothea Brooke and William Ladislaw in *Middlemarch* (1871-2) by George Eliot are also representative protagonists) but in *Villette* the protagonists are two quite unusual characters-Lucy Snowe is only a governess and Paul Emanuel a school-teacher. Lucy' as has been seen, is pessimistic and stoical in outlook and moreover she is not physically attractive . Ginevera Fanshawe says to Lucy Snowe:

"I am far more at my ease with you' old lady-you you dear crosspatch-who take me at my lowest, and know me to be coquettish, and ignorant, and flirting, and fickle, and silly and selfish , and all the other sweet things you and I have agreed to be part of my character . "22

This emphasises Lucy Snowe's dowdy character which despises the coquetry and flirtings of the gay Ginevera Fanshawe. Both Ginevera and Paulina provide strong contrasts to Lucy snowe in this respect Paul Emanuel is physically almost repulsive , of small stature, bad-temper and domineering

" This was not an opaque vase, of naterial however costly, but a chastely lucent, guarding from extinction, yet not hiding from worship, a flame vital and vestal. "18

Because of Paul Emamuel's ugliness and Lucy Snowe's plainness these two characters are seen as closest to rough nature. In *Villette* this use of metaphors of Art and Nature to express peychology is reminiscent of Henry James' use of Art in *The Portrait of a Lady*. Henry James uses the idea of different degrees of quality in Art to distinguish between different characters' whereas Charlotte Bronte uses the difference between Art that is close to Nature and Art that is divorced from it for similar purposes. 19

The treatment of loneliness in the novel reaches its furthest point with the descriptions of Lucy Snowe's state of mind during the long vacation and more especially during her drugged walk in the park. In the way that Charlotte Bronte deals with the mind when it is unbalanced or disordered by drugs is another modern element of *Villette*. In Chapter thirty - eight Charlotte Bronte catches the hallucinatory state of Lucy Snowe's mind in the texture of the prose. This is seen in the following descriptive passage: " In a land of enchamtment, a garden most gorgeous, a plain sprinkled with coloured metoors, a forest with sparks of purple and ruby and golden fire gemming the foliage; a region not of trees and shadow, but of strangest architectural wealth. "20

The rhythmical and enchanted style of this passage with its series of short brilliantly colourful phrases has the air of a dream. This treatment of an almost trance-like state of mind is an extension of the novel's scope into the realms of the subo-conscious. (This is one respect in which the Gothic novel can be seen to anticipate modern themes of the novel). The heightened sensibility of Lucy Snowe resulting from the drug is

Lawrence where tenacity and harshness are required on the part of Ursula Brangwen ing order to continue her job as an assistant teacher at.

the local school. Like lucy Snowe, Ursula Brangwen rejects the temptation to live an easy life . Lucy Snowe rejects the chance to become a companion and sister to Paulina Home and Ursula Brangwen rejects the chance to live at home with her parents.

Another moderm aspect of *Villette* is its concern with psycholegy. In the way that the novel is so particularly conce-erned to map the life of the mind there is a similarity to Henry James. The novel shows the progress of Lucy Snowe's mind from its desire to live vicariously by books and observing others to the stage where she is guided by experience parti-cularly that of Paul Emanuel and takes part herself in the stream of life. This development in Lucy Snowe is especially seen in use of the conflicting ideas of Art and Nature. Not only is this idea of the difference between Art and Nature used with reference to Lucy Snowe as seen in the movement in her life from the attractien of Art and books towards rough Nature as seen in Paul Emanuel, but these standards of Art and Nature are also applied to other characters. Thus there is a comparison between Ginevra Fanshawe and Paulina Home in which both characters are seen as objects of Art. Paulina Home is seen as the mere genuine of the two:

"Nature having traced all these details slightly and with a careless hand in Miss Fanshawe's case and in Miss de Basso-mpierre's wrought them to a high and delicate finish. " 17

Another example of Charlotte Bronte's use of Art is seen in her use of a vase metaphor to describe Raulina:

I forget that there were fields, woods, rivers, seas an ever–changing sky outside the steam–dimmed lattice of this sick–chamber; I was almost content to forget it. All within me became narrowed to my let. Tame and still by habit, disci plined by destiny, I demanded no walks in the fresh air, my appetite needed no more than the tiny messes served for the invalid."14

She goes so far as to state:

"I had wanted to compromise with Fate: to escape occasional great agonies by submitting to a whole life of privation and small pains."15

This stoical philosophy is continued when she goes abroad.Here again the harshness of the unmarried woman's position in society is depicted. Although there is a change in the movemont of her thought accompanying her love affair with Paul Emamuel she reverts to her previous mode of thought. Her stoicism is particularly seen after she buries Grahams letters:

Ineed, long pain had made patience a habit. In the end I closed the eyes of my dead, covered its face and composed its limbs with great calm."16

While in part Lucy Snowe's pessimism is an aspect of her view of woman's position in society. Instead of depicting a female character as if her role was only to exist to be a wife, the author shows Lucy Snowe as completely independent person who was to make her own living and struggle for existance in a world dominated by men. Charlotte Bronte shows the harshness of the individual woman's task if she wishes to pursue her own career. The treatment of Lucy Snowe in *Villette* looks forward to such novels as *The Rainbow* by D.H.

Thomas Hardy and in its bleaknese is remimiscent of the end of *The Portrait of a Lady* by Henry James. Although the ambiguity of the novel's ending is indirectly the result of a request from Charlotte Bronte's father, nevertheless, there is an element of modernity in the concept of leaving the readers to fill in their own ending:

"Mr. Bronte was anxious that her new tale should and well, as he disliked novels which left a melancholy impression upon the mind; and he requested her to make her hero and heroine (like the heroes and heroines in fairy–tales) 'marry, and live very happily ever after'. But the idea of M. Paul Emanuel 's death at sea was stamped on her imagination till it assumed the distinct fnrce of reality."(10)This looks forward to the modern idea of an "open–ended novel".

More modern still than the ending although related to it is the theme of pessimisn that runs through the novel. From the very beginning, Lucy Snowe views life as a struggle to be endured.(11)Her philosophy is seen in her thoughts on the future of Paulina Home when she wonders:

"'How will she get through this world, or battle with this life?How will she bear the shocks and repulses the humiliations and desolations which books and my rreeson tell me are prepared for all flesh?' "12

She looks for no great happiness but deliderately avoids possible happiness because she expects that this will increase her normal misery by providing a contrast to it. Lucy Snow says : "The negation of severe suffering was the nearest approach to happiness I expected to know ."13

While staying with Miss Marchment, Lucy Snowe becomes resigned to her miserable mode of existence:

In this passage the imagery of spectres and death's heads is typically Gothic.While the visit to the priest is psychologically convincing, this highly wrought passage is rather crude.

An element of mystrey and plotting which originates from the Gothic novel is also found in *Villette:* this is particularly seen in the mysteries surrounding the background of P. Emanuel. love--affair is depicted as a mystery of which the details always remain vague and the plottings against him by Pere Silas, Madame Beck and Madame Walravens are also rather crude and contrived. The plot to separate Lucy Snowe and P. Emanuel is like a Gothic plot. As Robert A. Colby suggests Charlotte Bronte may have been recalling Mrs. Radcliffe's *The Italian or the Confessional of the Black Penitents.*(8) A number of examples of mysteries concerning family background can be seen in *The Castle of Otranto* such as the mystery concerning Jerome and Victoria. 9

One of the most modern parts of *Villette* is its ending. Most early Victorian and earlier novels are characterised by happy, conclusive endings, particularly of the kind where the hero and heroine are married. Jane Austen's novels are typical in this respect. All of them end in a positive note of happiness centred around marriage. *Adam Bede* (1859) by George Eliot and many of Charles Dickens's novels all have similar endings! Indeed even *Jane Eyre* finishes on a happy note with the marriage of Mr. Rochester and Jane Eyre. In contrast to these novels, the ending of Villette is tragic and is positive only in so far as it is stoical. At the end of *Villette*, Lucy Snowe is deprived of her experted happiness by the implied death of Paul Emanuel and can only look forward to her work as a source of future comfort. The ending is bleak and sudden. In its ending, *Villette* looks forward to the later tragic novels of

The use of the ghost in *Villette* is very much a Gothic product and can be compared with an example in *The Castle of Otrante* where there is the report of the sighting of a ghost which suddenly breaks in upon a conversation about marriage: "At that instant Bianca burst into the room, with a wildness in her look and gestures that spoke the utmost terror. Oh!–my lord, my lord! cried she, we are all undone! It is come again –What is come again? cried Manfred amazed'– Oh! the hand! the giant! the hand! – Support me! I am terrified out of my senses, cried Bianca" 6

Although the stoical Lucy Snowe does not react to apparitions in the way that Bianca does still Charlotte Bronte is employing very similiar crude techiques to those of the earlier Walpole; and although her use of the Gothic does not involse a total rejection of realisn like his, yet it bears a resemblance to later uses of the Gothic genro where the apparently supernatural events and characters are rationally explained.

Another section of *Villette* which employs techniques of the melodramtic kind is the part of the novel dealing with the long vacation inmediately before Lucy Snowe's visit to the Catholic priest. Here, the description of her emotions is overdone:

"The ghastly white beds were turning into spectres–the coromal of each became a death's head, huge and sun – bleached–dead dreams of an older world and mightier race lay frozen in their wide gaping eyeholes.That evening more firmly than ever fastened into my soul the conviction that fate was of stone and hope a false idol'–blind bloodless, and of granite core". 7

Here, Charlotte Bronte deliberately exploits the reader's emotions. In the final words of the chapter, the author creates this melodramatic climax. After the discussion of the Nun's ghost she introduces this passage of short exciting sentences by a tense description of noise and movement in the shrubs.

Charlotte Bromte's striving for melodramatic effect is especially seen in the capitalization of the letters in the word "NUN" and the concluding sentence describing the sobbing wind, where feelings are attributed to the landscape".

Not only does Charlotte Bronte use melodrama in the form of the ghosts in the novel (Lucy is exposed to spectres on five occasions) but also the autheress makes use of melodramatic place setting. Lucy Snow's visit to Madame Welravens' gloomy mansion forms a typical Gothic scene. After a description of the descent of a dark winding stone passage occurs the following description:

"Well might this old square be named quarter of the Magi–well might the three towers, overlooking it, own for godfathers three mystic sages of a dead and dark art. Hear enchantment, here prevail ed;a spell had opened for me elfland–that cell"–like room, that vanishing picture, that arch and passage and stair of stone were all parts of a fairy tale. Distinction even than, scenic details stood the chief figure–Cunegende, the sorceress Malevola, the evil fairy". 5

Descriptions of such gloomy, mysterious houses as these are the sort that Jane Austen mocks in *Northanger Abbey*, her ant'–Gothic novel', a parody of Mrs. Radcliffe's novel *The Mysteries of Udolpho* (1794). The mysterious account of Paul Emamul's love for the memory of a dead nun continues in a similar vein to this melodramatic description.

It would seem that coincidences are used merely in order to enable the working-out of the plot, not for any more sutble or a esthetic purpose,as in more modern novels. While Thomas Hardy makes use of chance and coincidences in ordetr to illustrate his view of a contrary universe, Charlotte Bronte's use of this device has no purpose other than that of a unifying device.

The coincidence found in *Villette* is typical of the sort of coincidence found in the Gothic novel. For example, *The Castel of Otrante* is full of coincidence such as Theodore's resemblance to the former prince of Alfonse:

"Heaven; Bianca, said the princess softly, do I dream? or is not that youth the exact resemblance of Alfonso's picture in the gallery? she could say no more for her father's voice grew louder at every word". 3

The use of melodramatic climax in novel is another element which associates it with the Gothic novel or Gothic elements in Charles Dickens or in Sir Walter Scott'. Incidents in *Villette*e where the reader is put on edge by unlikely and dramatically unconvincing occurrences stand out from the highly realistic surface of the novel. One incident of this type is the sighting of the supposed ghost of the Nun, a vestige from a Gothnc romance:

"A sudden bell rang in the house — the prayer– bell. Instantly into on alley there came, out of the berceau an apparition all black and white.With a sort of angry rush– close, close past our face?–swept swiftly the very NUN herself. Never had I seen her so clearly. She looked tall of stature and fierce of gesture. As she went, the wind rose sobbing; the rain poured wild and cold; the whole night seemed to fool her". 4

GOTHIC AND MODERN ELEMENTS IN VILLETTE

Mahmoud Fadhil AL-Khafaji, M.A.,
COLLEGE OF ARTS,
UNIVERSITY OF AL-MUSTANSIRIYAH.

Villette, Charlotte Bronte's last novel seems to present a fusion of Modern and Gothic elements. While W.A. Craik states "*Villette* is the most "modern' of the Bronte novels, looking forward to Forster or to Lawrence " (I) at the same time, and in many respects, it shows the influence of the Gothic novel and as Robert B. Heilman says "of the four novels, *Villette* is the most saturated with Gothic . (2) In this study, I intend to examine first the Gothic elements in *Villette* and secondly the modern elements making comparisons with later nineteenth and twentieth century novels. ٧٢٦

One of the aspects of *Villette* which is far fram moderm is its use of coincidence and chance. This is a device which is frequently used by Charlotte Brnote in order to tie the plot together and is typical of Dickems and the Gothic novel . It is chance that lucy Snowe meets with Ginevra Famshawe on the ship to France, chance that she meets an Englishman who directs her to Madame, Beck's establishment: chance that the Graham and Paulima whom she knew at Mrs. Bretton's find their way to Villette, chance that the priest whom Lucy Snowe visits in the confessional is the confesser of M. Paul Emanuel.

48— The *Complete Writing of William Blake* ed. Geoffrey Keynes (London 1966) p. 782.

49— Ibid p. 783.

50— WLecke pp. 107-108.

51— A. N. Whitehead *Science and the Modern World* (New York 1947) p. 80.

52— LY i 134-135.

53— WLecke p. 117.

54— Ibid p. 129.

55— prW III 464.

56— WLecke p. 117.

57— Ibid p. 127.

58— *Wordsworth's Literary Criticism* ed. N. C. Smith (Oxford 1905) p. 159.

59— Raymond Cowell ed. *Critics on Wordsworth*: "Wordsworth's Un Coleridgean Imagination" Stephen Prickett (London 1973) pp. 156-167.

60— WLecke p. 129.

61— Chap. XXV II 383-4 388-80.

61— M. Abrams *The Mirror and the Lamp* (New York 1953) p. 109.

63— Loc Cit.

64— Heffernan p. 93.

65— Priestley, *Hartley's Theory of-the Human Mind* Sig. B2.

Notes

33— Raysor, p. 3.

34— *Preface to Shakespeare*, Johnson on Shakespeare 19-20.

35— M H. Abrams, *The Mirror and the Lamp*. New York 1953). p. 197.

36— In a section of the Preface commenting on 'The Idiot Boy' 'The Mad Mother 'We are Seven' and other poems; ed. of 1845. See *Poetical Works* ed. de Selincourt II 388.

37— Heffernan p. 50.

38— The Table Talk and Omniana of Samuel Taylor Coleridge ed. T. Ashe (London 1923) p. 87.

39— Letter to Robert Southey Prefatory to Peter Bell. PW. 2 331.

40— Albert O. WLeck :*Wordsworth and the Sublime* (London 1973) p. 129.

41— Saint Bernard, *The Steps of Humility*, Trans. George Bosworth Burch (Notre Dame 1963) p. 123.

42— *The Complete Work of William Hazlitt* ed. P. P. Howe (London 1932) XL 93.

43— Barstow p. 172.

44— Heffernan pp. 56—7.

45— Letters ed. Hugh S. R. Elliot (London 1910) I 11-12.

46— Heffernan p. 142.

47— Ibid pp. 150-51.

ing the poet should have sensibility. The latter means surrender of the mind to nature. The mind of man gains wisdom when it surrenders comopletely to nature. It is unified with nature. It is the mirror of the properties of nature. They are adapted to each other. Man is the image of nature. There is correspondence between the two. So. the creation of poetry imitates the action of creative power in the visible world.

*** *** ***

essential differenc[?] between the language of prose and metrical composition. However, wordsworth did not stick to this opinion in later years.

As a romantic theorist wordsworth's views on imagination are of great importance to the student of romantic poetry. They could be summed up as followr: miagination is a divine faculty or a God- like faculty. Its exercise is a God-like function of the soul. It is a word of higher import denoting operations of the mind upon objects and processes of creation of compositions governed by fixed laws. The work produced by imgination encorporate the energy of nature, therefore it is indestructable. It does not require the intervention of the supernatural, but it has a supernaturalizing effect upon the objects. It has a transforming power. It transforms objects by endowing or abstracting and thus creating a new existence which acts upon the mind and excites a feeling analogous to the supernatural. It transforms objects and landscape as well when guided by judgement. It plays a leading role in the process of artistic creation, shaping, forming and molding the used material. It is a faculty whereby things are lost in each other and limits vanish . It is a power and an authority but is protected and guided by intellect. It is afacufty which can produce impressive effect out of simple elements. It can give a vision of paradise out of a common day. It is indispensable to the reader just as it is indispensable to the poet.

The poet is an observer. He should observe things as they are and communicate them with fidelity. But his observation should be charged with feeling or conditioned by the power of response, because what should be communicated is not the visual impact of the scene, but the emotional impact. Imagination is instigated by feeling. To experience such a feel-

the poet as a superior being whereas in the version of 1815 he emphasizes normality of poetic genius, admiting that all men are identical at heart.

A third instance of a shift in attitude is that which concerns wordsworth's audience. The shift ranged from passing from the fallible voice of the public to the voice of the people and then from the rustic reader to the student of poetry. There is even a shift in mood from that of a timid poet who begs an acceptance of his art to the mood of a man of confidence who tries to clear and shape his road.

There is also a shift in his concept of imagination. The notion preached in the Preface and the related essays is that imagination is a God - like faculty . At an earlier date the mind is exalted by the sense of God.

At an early date wordsworth condemned artifice, but he learned later on how to distinguish between art and artifice giving the poet the right to transform the language of men . ..

In addition to that there is a shift from the emphasis of the spontaneous response to the feeling that springs from mind as well as the heart together with an emphasis of the necessity of a more powerful exercise of the mind.

Beside these shifts in attitude, concerning certain notions, the reader of wordsworth's records in question discovers contradictions like his contradictions regarding the difference between prose and metrical composition. In his early Preface there is a hint to the effect that the language of poetry must have distinctive characteristics. Meter and selection are then emphasized to distinguish poetry from ordinary speech. This idea has also been emphasized in the version of 1802 . But both versions assert that there is no

to be found in every subject which can interest the human mind." (PW, II, 383) .

Another contribution of wordsworth is that which was discovered by John Stewart Mill.He admits that the one who converses with wordsworth gets convinced that he has adnced his subject beyond any other man, by his high power of generalization and habits of meditation on its principles . Wordsworth believed that meditations direct and modify our feelings.

We have already seen that Wordswrth was not original in some of his propositions, whereas he was the first to preach others. But what remains worthy of consideration is whether or not he stuck to what he had advocated throughout his long career as a poet.

Shifts in attitude have been detected in the examined records. one instance is his attitude toward the role of the poet in the process of poetic creation. In the Preface of 1800, the passive role is emphasized. Response to nature should be spontaneous unrestrained and unsmothered. At a later date wordsworth stressed the empassioned observation and selective influence of the memory. In other words artistic control overbalances natural response. For this reason Miss Barstow found while studying wordsworth's poetic diction that his language is the result of conscious art as that of Paradise Lost'

Another instance of a shift in attitude is whem wordsworth first assumed that the poet's business is to unite all men with passion and knowledge, which means that the poet must have an exceptional capability to undertake such a task. In the Preface of 1800 and the Appendix of 1802, he considers

by his predecessors and adopted by him beside many others. But those other notions are wordswoth's contributions as a theorist.

Wordsworth was the first romantic poet to declare himself for nature, when he announced the triumph of nature over art. In other words he was the first to reject art in the neo- classical sense of the term. This does not mean rejection of the figures of speech. They are accepted when they embody the feeling and are natural, but they are rejected as ornaments or when mechanically applied , because as such they create false poetry. wordsworth approved the writings of the classical poets who wrote from passion excited by real events. He rejected the neo-classical poets for using eighteenth-century lanuage with all its pectuliarities and for their adherence to specially poetic conventions which characterize art.

The second contribution of wordsworth is turning to feelings and thoughts of rustic and humble people whom he considered as appropriate for serious poetry as others of higher rank. This preference is an indication that wordsworth had concerned himself with the feelings and thoughts which could be held as those of mankind, being so general and shared by the majority of people.

By emphasizing the notion previously advocated by Beattie, that the end of poetry is to give pleasure by imitating nature and that the language of poetry must be an imitation of the language of nature, wordsworth proved that diction is more important to poetry than plot, character or other elements.

Wordsworth is also considered the liberator of subject matter, because he was the first one to announce that "The honourable characteristic of poetry is that its materials are

Burns ' Hartley ' Southey ' coleridge and others. But he is mainly indebted to Coleridge . He collaborated with him in 'The Lyrical Ballads" and probably got an access to some written notes by him. Besides wordsworth's diction indicates that he must have adopted the theory of the universal language preached by Coleridge as has been proved by Miss Barstow in her study of wordsworth's poetic diction. In addition to that they shared views on the concept of imagination especially their conviction that rhere is correspondence between nature and the human mind ' and that because of this correspondence they believed that the creation of poetry imitates the act of the creative power in the visible world Coleridge' called the mind " the image of the creation".

Furthermore ' their plan to divide the task of writing "The Lyrical Ballads" between them so that coleridge would depict "persons ... romantic but would "credibilize" these "shadows of imagination" and that wordsworh would "give the charm of novelty ...." this plan was based on their conviction that the two cardinal points of poetry are the power of exciting the sympathy of the reader by a faithful adherence to the truth of nature, and the power of giving the interest of novelty by the modifing colour of imagination"
(BL II 5).

wordsworth's indebtedness to the rest has already been discussed. So, the reader gets convinced that it wasn't wordsworth who first advocated the notions that poetry is the language of passion or enlivened imagination, that it should be written in simple language, that this simple language is the language of nature, that the ehd of potery is to give pleasure, that passion is one of many factors determining the propriety of diction, that the feeling of the poet should overflow spontaneously, that the born poet is a man of an exceptional sensiy,bilit .... ect. All these notions have been stressed

wants his reader to cooperate with him, using the power in in his mind. This power is stressed in his Preface of 1815 as the basic principle. He beliees that it is in the exercise of mind on matter that imagination best reveals itself.

Unlike his predecessors, wordsworth rejected the notion that imagination merely produces ideas- i. e. mental pictures of faithfully remembered sense impression. Hartley defines imagination or fancy " as the power which calls up ideas and trains of ideas in a vivid manner and without regard to their former actual impressions and perceptions. wordsworth disagrees with william Taylor who in his "English synonyms Discriminated (1813) says "Imagination is the power of depicting by which a man can distinctly copy in idea the impressions of sense (PW,II, 435). wordsworth's position is something else. "Imagination "he writes" ... has no reference to images that are merely a faithful copy existing in the mind of absent external objects; but is a word of higher import, denoting operations of the mind upon those objects and processes of creation of composition governed by certain fixeds laws" (PW II 436).

After this brief survey of the eighteenth- century currents of thoughts that were prevailing befor the publication of "The Lyrical Ballads" and the revolutionary contributions brought about by wordsworth's predecessors and after the examination of the propositions laid down by wordsworth in his sound Literary treatise i.e. "The preface" of 1800 together with the "Appendix" of 1802 and the comments to the same effect' scattered in his letters' essays and recorded fragments of conversation' several conclusion could be drawn.

One of these conclusions is that wordsworth is certainly indebted to his predecessors like Beattie' Blair' Enfieled'

heart (PW, II, 398) . But when wordsworth attained maturity , he came to grasp the complexity of human passion and to realise that commonplace thoughts are incompatible with human passion (MY, II, 614). This shift in attitude affected his attitude toward the public. As he develops the view that poetic passion is something extraordinary, his concept of the ideal audience for poetry grows more exclusive. In the Preface he speaks of rustic people as a kind of emotional utopia, where the hearts essential passions are simple, unrestrained and nature bred (PW, II, 386- 387).

In his letter to wilson, wordsworth says that the best judges of poetry are "men who have never known false refinement, wayward and artificial desires, false criticism, effeminate habits of thinking and feeling." (EY 355). Gradually wordsworth's fondness of rustic reader disappeared and he preferred the student of poetry. In the preface, he had cited Reynolds on the subject of taste , reminding his audience that a critical acumen is "an acquired talent" (PW, II, 403). But the essay of 1815 demands more. It requires "natural sensibility cultivated with careful study. (PW, II,413).

Heffernan thinks that wordsworth's elevation of his standard for the ideal reader caused him to repudiate his popularity as a criterion of poetic value . As he is convinced that sensibility is a superior gift and that poetry is the vehicle of an extraordinary passion, he got more convinced that poetic appreciation is the property of the few.(64) wordsorth must have realized at last how sound is Milton's conviction that the poet of truly original genius "must reconcile himself for a season to few and scattered hearers" (PW, II, 429).

Wordsworth's rejection of taste as an aesthetic criterion, then, is justified because it implies passivity. wordsworth

reverses Kames bias by looking toward rather than away from 'those who depend for food on bodily labour' as the best practical index to the general sense of mankind.

To support his viewpoint, Abrams quotes Wordsworth's letter to Christopher North in which he says that poetry must please ' human nature as it has been and ever will be ' but to Abrams, "this is very poorly represented by much of human nature as it now exists because a great portion of the reading public has been perverted by 'false refinement' and 'artificiacl desires' " (62) A great poet therefore, instead of conforming himself to, ought rather

> " To rectify men's feelings to give them new compositions of feeling, to render their feelings more sane, pure, and permanent, in short, more constant to nature." 63

On such grounds as these Wordsworth writes in his conclusion to his Preface of 1800, he believes that fulfillment of his aim would produce ' genuine poetry ' in its nature well adapted to interest mankind permanently'. Fifteen years later, continuous criticism of his poetry motivated him to draw a distinction between' the passing and fallible voice of the public' and that central and universal norm which emerges through time as' 'the voice of the people'.

In his letter to Wilson, wordsworth makes it clear that the duty of the poet to please does not oblige him to gratify the taste of his readers.

In the Preface of 1800, wordsworth assigns to the poet the burden of unitng all men "by passion, and knowledge" (PW, II, 396). To take up such a burden requires an exceptional power. The 1815 version advocates the normality of poetic genius- the assumption that all men are identical ar

sympathetic reader. We have seen at first how Wordsworth felt that he must apologize to his reader for avoiding certain expressions, because he could not "overpower" the associations conventionally attached to them. But later on, when he felt more confident in controlling his words, he became bold enough to accuse those who could not understand him of lack of knowledge.

The question raised at this point is who is the ideal reader to Wordsworth? Is he actually the one who is capable of an act of apperception, in WLecke's terms?

Unlike the other theorists before him, Wordsworth faced the difficulty of trying to justify his own poetic principles and practice against the indeference or adverse judgement of the great majority of his readers. The neo-classicist before him came to realize that reliance upon the coice of men in general comes into conflict with his own cultivated preference. Johnson was bold enough to cknowledge public taste. But other critics did not only reject and ignore the concensus of their time and place in favor of the concensus of the ages, but they discredited all but a few men as competent to speak for man in general.

Lord Kames argues in his "Elements of Criticism" that what is uniform among men is "not only invariable but also perfect or right... " But to determine the standard of taste' common to the species' we cannot 'rely on a local or transitory among polite nations'. In consequence not only are 'savages' to be disfranchised, but also 'those who depend for food on bodily labour ' as well as any other men who ' by corrupted taste are unqualified for voting. The common sense of mankind must then be confined to the few that fall under these exceptions" (61) Though Wordsworth employs a rationale of exclusi on as Abrams argues in "The Mirror and The Lamp", yet he

states that the mind of man is exalted by " the sense of God." (XIII, 72). Heffernan believes that Wordsworth finds in nature a "Power" which behaves the human imagination. Wordsworth also believes that evervbody has the capacity of creative perception, but this capacity has only been sustained by adults with higher minds. This of course explains why the words "creative" "imaginative" and "poetic" are interchangeable in Wordsworth's vocabulary.

Imagination is as indispensable to the reader as it is to the artist. Wordsworth was mature enough to realize that there could be no art without imaginative and responsive audience. In his Preface of 1800 his main concern was to carry out an acceptance of his art to find a reader who would greet his new poetry and abandon "feelings of strnageness and awkwardness" and to convince the reader that poetry is not rest,ricted to "certain known habits of associations" (PW, 383, 385). But in the later years his task is defined as "to clear and often to shape his own road:-he will be in the condition of Hannibal among the Alps" (PW,II, 426). For this he needed the full cooperation of his audience.

In 1807, Wordsworth declared that the voice of his poetry could not be heard "without imagination" (MY I 126). The ideal reader to him is the one "who is capable of an act of apperception" says Wlecke " similar to what the poet presumably experienced in endowing by a 'certain colouring of imagination' the humblest' incidents and situations from common life' with an 'unusual aspect' " For the ideal end of a poem is to induce in the reader " the structure of consciousness that makes it possible for the mean and trivial to appear sublime."(60)Wordsworth's conviction then seems to be that the language of an intelligent observer ought to be passed to an intelligent and

sting properties of nature." (PW, II, 396') which means that man is the image of nature and that there is correspondance between the two.Because of this correspondance, Wordsworth held that the creation of poetry imitates the action of creative power in the visible world. Coleridge held similar ideas and in 1801 he called the mind "the image of the creation." (LC, II, 709) . Three years later he described imagination or the modifying power as a "Dim analogue of creation" (LC, II, 1034) One year before that date, Wordsworth said in Book II of 'the Prelude' that the infant is a creator of the world about him operating on it like" an agent of the one great mind" (II, 272-273). This operation is the first poetic spirit of our human life (II, 275-276).

The poet like the infant must imitate the living power manifest in nature herself; the exercise of imagination, then becomes a God - Like [function] of the soul . According to Wordsworth, the work produced by the poet to reflect the influence of the objects of nature on his heart and mind is "a power like one Naure's" (XII, 289, 312), because these objects are indestructable. Therefore, the energy of nature is encorporated in the poet's work. He finds an analogy between the poem and a tree. They are identical in form and in the sort of energy that produced these forms" You feel strongly; trust to those feelings, and your poem will take its shape and proportions as a tree does from the vital principle that actuates it" (LY, I, 537). Newton Stall Knecht argues in this regard that Wordsworth often thought of man as a spectator to the artistry of nature.

Wordsworth suggests at various places that the human imagination is "a god-like" faculty. But in the early version of 'The Prelude' he differntiates between the two when he

object or abstracting from it those which it actually possesses, and thus enabling it to react upon the mind which hath performed the process, like a new existence."(58)To illustrate the idea further Prickett reminds us of Wordsworth's description of the'Leech-Gatherer' as a "huge stone" in which Prickett thinks Wordsworth has lowered down the imagination to a technique of image formation. By doing this, he thinks Wordsworth has sidestepped the imaginative structure of the poem of which the formation of images is an organic part and is being less fair with himself. Because less than a dacade before Wordsworth wrote the Preface his imagination in the'Immortalty Ode' had taken much more radical and architectural role of reorganising the whole perception of memory. Prickett believes that it is in this discrepancy detween practice and theory that Coleridge's criticism of Wordsworth began.(59)

A short time ago, I alluded to the fact that Wordsworth is a worshipper of nature. A poet usually seeks to create for his readers the kind of impression that nature has made upon him. But if he has an exceptional sensibility like Wordsworth, part of this impression is certainly of his own making. Wordswrth's treatment of his experience on the 'Peak of Snowdon' has an extraordinary impact as it serves as a model for imagimative transformation. Wordsworth's concept of imagination as/power is based on his belief that nature provides a model for the creative transformation wrought by man. Considering nature a guide and an authority is fundamental to his conception of imagination.

There is harmony between nature and the mind of man. In 1802 Wordsworth wrote that the poet "Considers man and nature as essentially adapted to each other and the mind of man as naturally the mirror of the fairest and most intere-

an emotion. The contemplation that leads to the overflow of feeling means that that past emotion is felt again and that the poet at the present moment is reliving that past experience. In other words, the present is invaded by the past or a sense of self far-diffused is provoked. Thus he concluded, the act of imagination proceeds from an act of apperception.

WLecke's argument is convincing. We are invited by Wordsworth to relive with him his wonderful past experience when he was fascinated by the melody of the "Highland lass" reaping and singing to her self. She was unifified with that beautiful atmosphere. She was no longer a female to him but a source of fascinating melody, whieh was so overwhelming that it had filled the deep valley and gone as far as"Hebrides". The poet experienced a sense of a spirit far-diffused as he felt quite elated.

The episode of the boat in Wordsworth's' Prelude', Book I ،is another important spot of time which is recollected by Wordsworth. These recollectected emotions gave WLecke the conviction that the highest function of recollection for Wordsworth is to induce a state of sublime self-consciousness out of which the creative activity of imagination might proceed, Memory he says, is "the means whereby the poet might recover a vivifying sense of his identity as a poet, a means of return through the past to his visionary possibilities in the present."

Another conception of imagination that could probably be held by Wordsorth is that suggested by Stephen Prickett in his article entitled "Wordswoerth's Un-Coleridgean Imagination". He tells us that in his Preface of 1815 Wordsworth, seems to be thinking of the imagination as an agent modifying images by comparison: "The processes of imagination are carried on either by conferring additional properties upon an

even in a lowly daffodils. Seen like this "the meanest flower" becomes so eminent that it begins to serve as thoughts that "lie too deep for tears." The tears produced for the mortality of things become irrelevant. Besides, mortality is excluded when this sense of self is projected by imagination into the phenomenal world . C onsepuently, the noisy years come to seem but "moments" in the being of the eternal silence. And any phenomenon within those noisy years, even the humblest flower blossoming toward its own extinction, can become mysteriously suggestive of the "eternal silence" that could be detected in the depth of subjectivity. (54)

But how does the faculty of imagination alter the sense of time and place? WLecke reminds us of Wordswiorth's observation that imagination deals with objects not as they are but as they appear to the mind of the poet.(55)With this observation in mind WLecke presumes that places in Wordsworth,s poetry depend for their poetic appearance upon a mind capable of act of sublime self-consciousness. Acts in which limits spatial or otherwise are felt to be vanishing. The same thing applies to time, "Thus the sense of self-expansion outward into space "he argues " is paralleled and accompanied by a sense of the self's expansion backward and forward in time. "He adds that sublime self-consciousness evokes a sense of self that is "far diffused" throughout time as well as space. In both dimentions consciousness feels itself to be much more than a "punctual presence". 56

The song of the 'Solitary Reaper' is an expression of that spreading and expansion embodied in the spatialized sound that spreads and expands like the growing body of water. The powerful feeling that overflowed is an intense reaction by the mind to an originally tranquil and contemplative memory of

to accept limits for his "Spiritual Man". He ascribes this to Wordsworth's desire out of love to use his imagination to effect a lasting synthesis between common perception and visionary apperception.(50)

Wordsworth's love of the universal order which includes all natural phenomena as well as ourselves has also been confirmed by Alfred North Whitehead who observes in his "Soience and the Modern World" that Wordsworth's theme is nature 'Solido' that is he dwells on that mysterious presence of surrounding things, which impose itself on any separate element that we set up as an individual for its own sake. Wlecke ascribes this to Wordsworth's power of imagination. It is this power, he says, that enables Wordsworth to "grasp the whole of nature as involved in the tonality of the particular instance. It is this power that creates this oxymoronic "tonality", this sense of an indiviual phenomenon as somehow having involved in itself or rolled up into itself or contained within itself the whole of nature."(51)For,according to Wordsworth, imagination is a faculty wheraby " things are lost in each other and limits vanish. " Therefore, for Wordsworth, the act of imagination fuses "that open-ended sense of self experienced in the act of apperception with the phenomena of nature revealed by the act of perception."(53)

While discussing the relationship between Wordsworth's imaginative acts and his explicitly formulated poetic program WLecke tries to convince us that the visionary act of apperception cannot only alter dramatically Wordsworth's sense of time and place, but also can can invade and transform any phenomenon even the most insignificant into a source of possible sublimity. Thus the poet is entitled to discover visionary possibilities in whatever he chooses to look at

remains a lover of the meadows and the wood . His emphasis is anti-visionary. He wants to project his inner feeling outward He tries always to establish a state of mutuality between his mind and the external world, contrary to Blake's accusation against him. Blake believes that according to Wordsworth the task of imagination is to obliterate the apparent autonomy of the extramental universe . Once he claimed to see in Words worth's poetry "the Natural rising against the Spiritual man continually "and concluded that Wordsworth was " no poet but ahea then philosopher at Enmity against true poetry or inspiration " (48) A. O. WLecke assumes that by " Natural Man" Blake means the act of perception, and by "Spiritual Man" he means the act of apperception. The first is an act that posits for the mind the appearance of an extramental universe and the second is an act of visionary selfconsciousness which threatens to swallow that phenomenal world into the abbeys of idealism. So, what Blake is judging in Wordsworth is his tendency to allow too much to the appearances or in other words his emphasis on the mighty world of eye and ear. This of course is thought by Blake to be solely a projection of the autonomous visionary mind.

Blake is therefore perplexed by the discrepancy between Wordsworth's claims for nature and his mental acts as they are manifest in his poetry. He confirms that "Natural objects did and now do weaken, deaden and obilterate Imagination in [him]. " He adds that Wordsworth must know that what he writes valuable is not to be found in nature." (49)

It is obvious that Blake and Wordsworth have two distinct perceptions of the use of Imagination. WLecke is justified to presume that Blake sees asa rebellion of Wordsworth's "Natural Man" is simply the result of Wordsworth's willingness

laws of dramatic form.' Finally, he says, guided by judgement, imagination transforms the language as well as the landscape It leaves its marks upon the vary words the poet uses.(47)

It is evident that the shift in attitude as revealed in Wordsworth's Prefaces is from that of a defender of the natural language and spontaneous feeling to stressing artistic control together with the value of power transformation and "supernatural" effect.Art is more than the spontaneous overflow of feeling. It is the careful articulation of a poet's feeling . It is a process in which the imagination plays a leadihg role shaping, forming and molding the material used.

Wordsworth's poem 'The Daffodils' is a perfect example of how the imaginative power could be at work. The power of imagination transforms the sense of exile from this world to a blissful solitude. The poet invites us to remember with him the universal order of which we are but individual parts. While we imaginatively contemplate the order, we cease for a moment to feel the burden of loneliness sensed before. The vision of the universal order filled the poet's heart with pleasure and made him dance with the daffodils when his imagination is awakened by them. From the very beginning the sense of alienation and exhaustion is introduced :

For oft when on my couch I lie
In vacant or in pensive mood

It is to transform this mood that the daffodils

.... flash upon the inward eye
Which is the bliss of solitude.

Contemplation of the universal order in this manner means using imagination for the purpose of love. Wordsworth

in the revision of the 1802 Appendix. The original version concludes by declaring "In propotion as ideas and feelings are valuable, whether the composition be in prose or in verse, they require one and the same language "(PW II 409). "In 1836 the language of verse and that of prose were identical to Wordsworth only in works of imagination and sentiment". (PW, II., 409). This of course means that Wordsworth distinguisghes between the language of imagination and sentiment and the language of ordinary utterance.

This revision according to Heffernan is a "revelation against the background of his insistance that the poet must dominate and transform his words". He believes that Wordsworth has recognized the hightening impact of imaginative power upon the "real language of men ". So he concludes Wordsworth's belief in the transforming power of the imagination is central to his theory of poetry. He explains the process as follows:

> "Fed by observation and energized by creative sensibility the imagination operates by exerting its power upon the objects of the visible world. In doing so it imitates the power of nature herself whose changes under mist or moonlight provide a model for the imaginative transformation wrought by man."

He thinks that " the poet transforms by abstracting or endowing ; he removes an existing property from a natural object or gives it a new one enabling it in either case to react upon his mind "like a new existence". For "this reason" he says, imagination of ten has a "supernaturalizing" effect upon the object. It excites "a feeling analogous to the supernatural by changing natural objects with a certain radiance by animating the in animate or by suspending the "natural"

and in his power to control his words. It also reflects that Wordsworth is no longer writing for the audience addressed before. Besides, if the reader fails to understand him it is the reader's fault not his. This conviction became at later sdate a criterion by which he judged the poetry of others.

With further practice of poetry, Wordsworth discovered that the poet must control direct and transform the language he uses. Such a language must have disinctive characteristics. A hint to this effect is given in his early preface, when he admits that metre and selection disting"ish poetry from ordinary speech. Metre, he says, tends to make language unreal and unsubstantial; metrical composition embodies " similitude in dissimilitude" offering us "an indistinct perception perpetually renewed of language closely resembling that of real life and yet in the circumstance of metre differing from it so widely" (PW, II ,399-401).

Selection, Wordsworth says in his Preface of 1802, "Will of itself form a distinction far greater than would at first be imagined and will entirely separate the composition from vulgarity and meaness of ordirary life" (PW, II, 392).However, Wordsworth contradicts himself when he asserts in both versions that" the poet... must express himself as other men express themselves (PW. II 398) and that no "essential difference" divides "the language of prose [from] metrical composition" (PW, II ,392). Wordsworth did not stick to this opinion in later years.

In the Preface of 1815 he ascribes to the poet a privilege ditinct from that of the mere prose man (PW, II, 435). But even before that date Wordsworth shows a change of attitude

In ' The Prelude ' Wordsworth refers to the mind as a source of intellectual strength (XIII, 177) and in 'The Excursion' he speaks of "intellectual power" (III, 700) and "intellectual mastery" (VIII, 201). Besides, the intellect is a guide and protector of the imagination. 'The Excursion' shows us how the mind is disciplined by imagination. Wordsworth, however, "denigrates fancy because it defies such discipline" (46) argues Heffernan. At the end of' The Prelude' we are told that fancy like imagination "might learn to ply her craft/By judgenent steadied" (XIII, 289-294) . But whatever happened to fancy "the main essential power" would pursue a thoughtful course. In the Preface of 1815 Wordsworth stressed the notion that "judgement.... [decides] how where and in what degree [it] ... ought to be exerted ." (PW, II, 432) .

He thinks it is indespensable in the process of creation. He no longer condemns artifice but he has leaerned to distinguish between art and artifice. The poet the belives has the right to transform the real language of men .

We have seen how in the Preface of 1800 Wordsworth does not stress the value of control, being preoccupied with the spontaneous utterance. He only informs us that he avoided certain expressions because he could not change or 'overpower' the association conventionally attached to them (PW, II, 390) . At such a time, he found it necessary to apologize to his audience for that . He addressed them with hesitation and timidity, suggesting that if they could not understand him it was because they did not know the history of certain words But after 1800 when John Wilson complained that the poet failed to preclude "ludicrous" associations in 'The Idiot Boy' Wordsworth replied that it had given "exquisite delight" to many (EY, 358). This answer implies confidence in himself

the principles it expressed were "not erroneous" (LYI, 537). It is not surprising however to hear such a comment from Wordsworth; after all he was only experimenting.

Heffernan also admits that " in both versions of the Preface not just the later one, we can discover hints of conflict and transition scattered , whispers of the development to come. " To him the Preface " does not have the homogeneity of a schematic treatise. " Yet it is in fact" the Mirror of a mind in motion "he argues " at once the mind of a rebel who came to destroy and the mind of a poet who came to fulfill . " On these grounds, he thinks we can fathom Wordsworth's refusal to renounce it;"for the voice of the rebel powerful though it is- does not succeed in silencing altogether the voice of the poet." So to understand this shift in attitude, one should examine the crucial link in Wordsworth's thought between passive response and imaginative transformation.

Even though Wordsworth's creative power declined for a while, yet his understanding of poetry and the workings of his own imagination deepened with the passage of time. John Stewart Mill admires Wordsworth's achievement in this field and admits that "no one can converse with him without feeling that he has advanced that great subject beyond any other man, being probably the first person who ever combined with such success in the practice of the art such high powers of generalization and habits of meditation of its principles." (45)

In his later years , Wordsworth dstressed the necessity of a more powerful excercise of the mind . This of course influenced his attitude toward the external nature. Poetry is no longer" the spontaneous overflow of powerful feeling".It must spring from the mind as well as the heart.

tion of poetry because what is observed must be conditioned by the power of response. What should be communicated to the reader according to Wordsworth is not the visual impact of the scene but the emotional impact as well supplied by the selective influence of memory. The poet, he says, does not communicate to the reader things as they are but as they seem to exist to the senses and to passion' (PW,11,410). His observation must therefore be charged with his feeling and here lies creative energy. Wordsworth maintained this principle throughout his long career as a poet of an exceptional sensibility.

Speaking about the 'empassioned observation' and the selective influence of memorye cancels what has already been stressed by wordsworth in his Preface of 1800. In this document and the related ones Wordsworth's concern about humble people and his preoccupation with natural response dominate his attitude toward the passive role of the poet. This means that in the production of poetry, the poet should not exercise artistic control, but should let his spontaneous feelings flow unsmothered by poetic contrivances. We have already seen how Miss Barstow's study of Wordsworth's diction proves that what Wordsworth has actually achieved in "The Lyrical Ballads" contradicts this affirmation. And how the language of his poem is "as much the result of conscious art as the language of Paradise Lost."(43) Besides what wordsworth has done in these poems far exceeds the boundaries defined by his negative principle of 'selection'. Furthermore a shift in attitude came in his comments on 'The Prelude' which in 1815 came to the extent of declaring the essay "slight and imperfect" (PW, II, 431) . In 1830 Wordsorth went so far as to voice whole-hearted regret over it, when he insisted that

tally devoid of any pomp and vanity they express themselves truly and they could engage in acts of high service.

It has previously been affirmed that Words-worth is considered the poet of feeling as he regards poetry the 'empassioned expression'. Beside this wordsworth is the poet of observation. He stresses the role of observation in the making of poetry. He is extremely concerned about the world of sight and sound. He is always alert to the exterior world. He wants to communicate what he sees and hears to the reader with great accuracy and truth. To prevent 'falsehood of description ' he has " at all times endeavoured to look steadily at [his] subject".(P W,11,389-390). He condemns Dryden's works because he thinks that Dryden is careless about the external world around him and that in his translation of Virgil there is no single image from nature.

The poet's ability to observe with accuracy is a requisite to Wordsworth for the production of poetry.The poet should be capable of observing things as they are and with fidelity to describe them whether "the things depicted are actually present to the senses or have a place in the memory" . Wordsworth believes that the abilities to observe and to communicate with fidelity are "indispensable to the poet' (PW 11 411-2). This seems to be the corner stone of his concept of the imagination. It has also been used as a poetic criteria.

Wordsworth condemned the literary works of the Augustan Age simply because he could not see in the works published during the period of the publication of 'Paradise Lost' and 'The Seasons' any work which contains a single image of the external nature. He criticized "the dry reasoners and matter of fact people for their want of passion " (42) Says Hazlitt. However observation is not enough for the produc-

by his imagination. This, he thinks, will make them look as if they were unusual. Heffernan presumes that if this unusual aspect could indeed povoke a feeling analogous to the super-natural, wordsworth's poetry could do extraordinary things to the ordinary world. But the fact of the matter is that these objects do not become unnatural when modified by the imagination but unfamiliar.This conviction is revealed in his poem entitled ' Yew Tree ' which is classified among the best of his poems of imagination.

In a note on his poem ' The Thorn' he defines the power of imagination as a "faculty which produces impressive effects out of simple elements." (PW II 512) . And because of this power, the supernatural power of earlier orthodoxies no longer needs to be invoked. Imagination, he writes in a letter to southey, "does not require for its exercise the intervention of super - natural agency, but that, though such agencies be excluded the faculty may be called forth imperiously and for kindred results of pleasure by incidents... in the humblest departmrnt of daily life.(39) It is the power of imagination that can give a vision of paradise for the ' common day' and can endow the humblest phenomenon in the appearance of sublimity.

To Albert O WLecke " A vision of paradise depends not only on the result of the power of imagination projecting into the finite world the sublimity discovered in the soul of man "but also on humility with respect to himself which he manages to sustain."(40)Wordsworth believes that humility is not only indispensible for the poet but it is "the way which leads to truth."(41) For this reason his landscape is populated by men of lowly station: The wonderer of the 'Excursion' the Leech–Gatherer of 'Resolution and Independance' and the Blinde Beggar of Book VII of 'The Prelude' for those men to-

French criticism represented by Pope says that we especially insist on the selective power of the poet.

In his advertisement of 1798, wordsworth tells us that "the honourable characteristic of poetry is that its materials are to be found in every subject which can interest the human mind" (PW II 383). For this he has been credited as a liberator of the poetic subject matter. Heffernan admits that he agreed on that, reading his statement at face value but "we should remember also " he adds "that in poetry as in politcs the liberator can prove at times a greater tyrant than the dictator he came to overthrow.(37) He thinks that something like that seems to have happened with the chief initiator of English Romanticism "For it is surely one of the great ironies of literary history "says Heffernan that in its very journey to the printer, wordsworth's preface of 1800... that proclamation of poetic emancipation was accompanied by a harsho critique of what Coleridge himself once called "a poem.... of pure imagination."(38) Heffernan is I think referring here to wordsworth's criticism of coleridge's Ancient Mariner'. His main objection to it is that it is insufficiently natural because it is supernaturally ordered and dramatically improbable

It is well known, however, that wordsworth condemned the use of the supernatural in poetry because these agencies have not the hold on the heart which nature gives. But what is interesting in this regard is that despite his rejection of the use of the supernatural he seems to be convinced that by transforming natural objects, his imagination supernaturalizes their appearance just as it does with painting.

While collaborating with coleridge, he tells us that the subjects he chose to write about were" incidents and situations from common life but they were meant to be coloured

Abrams finds a parallel between what is praised by Johnson in shakespeare's comic characters and wordsworth's justification of his ballad creatures eventhough to wordsworth Johnson is a bad critic. Shekespeare's characters says Johnson "act upon principles arising from genuine passion..."(34) This means that the poet properly concerns himself with the general and uniform elements, passions and language of human nature; wordsworth merely " differed in regard to the place these qualities are best exemplified in real life. This difference led in prastice to a drastic break with the traditional poetic decorum. (53) He believes that humble and rustic peopl, are just as appropiate for serious poetry as others of a ehigher rank. By so doing he turned to the feelings and thoughts which could be held as those of mankind. In characters like a mad mother an idiot boy a beggar or a child "the elements" argues wordsworth " are simple belonging rather to nature than to manners such as exist now and will probably always exist.."(36) on these grounds wordsworth justifies shifting from the cultivated classes to that of peasants , children and idiots. It follows then that humble expression and essential passions serve as the subject matter of poetry and as the model for the ' spontaneous overflow' of the poet's own feelings in his act of composition.

Miss Barstow thinks that wordsworth's purpose of choosing " incidents and situations.." is far from being a narrow definition of poetic style . To her , the definition includes elements expounded by Dryden and his master Longinus or John Dennis that the language of poetry is the language of passion or what has been emphasized by Aristotle and Shelley or Walter Patter that the strangeness added to beauty in the poet's style or what Horace and the whole school of Latin-

Wordsworth and The Theory of Imagination II

Fatima S.Dawood
College of Arts
University of Baghdad

Discussing the subject matter of his poetry and the purpose of choosing a specific subject worsdworth affirms that his purpose was 'to trace the primary laws of our nature : chiefly as far as regards the manner in which we associate ideas in a state of excitement. "To illustrate this notion further he adds:

Humble and rustic life was generally chosen because in that condition the essential passions of the heart find a better soil in which they can attain their maturity are less under restraint and speak a plainer, and more emphatic language; because in that condition of life our elementary feelings co- exist in a state of greater simplicity and cosequently may be more accurately contemplated and mor forcibly commumicated ; because the manners of rural life germinate from those elementary feelings and from the necessary character of rural occupations are more easily comprehended and are more durable; and lastly because in that condition the passions of men are incorporated with the beautiful and permanent forms of nature. (33)

11. Searle, J. Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language Cambridge University Press 1977.

12. Strevens, P. New Orientations in the Teaching of English, Oxford University Press 1977

13. Widdowson, H. Teaching English as Communication, oxford University Press, Fifth Impression, 1984.

14. ———— Explorations in Applied Linguistics, Oxford University Press Second Impression 1980.

15. ———— "Directions in the Teaching of Discourse" in The Communicative Approach to Language Teaching, Brumfit and Johnson O.U.P. 1979.
and the Use of Translation". The same reference above.

16. ———— The Deep Structure of Discourse and the Use of Translation".The same reference

17. Wilkins, D. Notional Syllabuses Oxford University Press 1970.

18. ———— Linguistics in Language Teaching, Edward Arnold 1972.

19. ———— "Grammatical, Situational and Notional Syllabuses" in The Communicative Approach to Language Teaching Brumfit and Johnson O.U.P. 1979

20. ———— "Notional Syllabuses and the Concept of a Minimum Adequate Grammar" the same reference above.

Bibliography

1. Austin, J.L. — How to do Things with Words, oxford University Press Second Edition 1976
2. Chastain, K. — Developing second Language Skills: From Theory to Practice Sedond Edition Chicago, Rand McNally College Publishing Comp. 1976.
3. Chomsky, Noam — Language and Mind, Enlarged Edition, Haricourt Brace, Jovowich Inc. 1972.
4. Chomsky, N. — Aspects of the Theory of Syntax, Cambridge M.A.M.I.T. Press 1965.
5. Coulthard, M. — Introduction to Discourse Analysis Group Limited London 1977.
6. Halliday, M. — Explorations in the Functions of Language, Edward Arnold Exploration in Language Study series 1973.
7. ———————— Learning how to Mean- Explorations in the Development of Language Edward Arnold 1975.
8. Halliday, M. — and Hasan R., Cohesion in Englhis London: Longman 1976.
9. Johnson, K. — "Communicative Approach and Communicative Processes" in the Communicative Approach Language Teaching by Brumfit and Johnson O.U.P. 1976
10. Labov, W . — The. Social Stratification of English in New York City Centre for Applied Linguistics 1966.

and surface structure distinctions. After careful investigation a proficient teacher could select the relevant insights and recast them into a form that will accord with the teaching requirements of a particular unit. He can also draw insights from theoretical and descriptive models of language. transfer them into pedagogic principles and adapt them to meet the requirements of language teaching. A language teacher should not be over-zealous to a particular model of linguistic description or to a particular approach of language teaching just because it is currently in use or it has been recently devised nor should he think that aparticular model or approach is the only sound orthodoxy. He should bear in mind that there is no language teaching method that is appropriate for all teaching situations or that is most effective for all learners.

A language teacher should simultaneously keep abreast of recent developments in other related disciplines such as lingusitics, psycholinguistics, sociolinguistics, stylistics psy chology sociology education and discourse analysis. He should draw the relevant findings of research work in such fields and exploit them for teaching purposes. He has to proceed with his attempts untfl he arrives at asynthesis of all pertnent insights and perspectives. •He will eventually be able to develop his o wn techiques and procedures which he subjects to experimentation and further inquiry before he formulates his own sound pedagogic principles.

items that are more relevant to our learners' needs, tendencies and concerns–those that are communicatively sseful and meaningful. We have to teach or pupils how to cortract grammatically correct sentences. We have to contrive presentation techniques that would develop in our learners the ability for ultimate authentic language use. We have to develop situations that resemble language use that are socially stylistically and culturally appropriate and that could lead to meaningful learning.

We therefore establish certain criteria that are based on sound pedagogic principles regardless of the fact whether these criteria are "structurally" or "communicatively" oriented and we adhere to them. The language items that meet most of these criteria not necessarily all should be introduced first - before the others. If one criterion conflicts with another (for instance a highly productive form may be structurally difficult) we then resolve this conflict by considering the other criteria that such a form meets. The proposed approach may be called the semantico- structural since it gives equal consideration and importance to both dimensions semantics and syntax- in constructing language teaching content. This recommended approach could be adopted as an alternative to the structural one in devising the proposed new English course for Iraq.

Foreign language teachers have to familiarize them selves with the principles underlying the different approaches to language teaching since different approaches offer various methods of dealing with language units. They may differ in their type of treatment or degree of emphasis - they may place stress for instance on the formal properties of language items on their communicative value or on the deep

actional exchange, the ability comprehend and create cohesive and continuous discourse the ability to express explicitly one's individuality, the ability to interpret oral messages accurately and to respond to them spontaneously and the ability to investigate reality. Such abilities constitute the learners' facility with language use.

In language teaching in fact we cannot discard a teaching method as totally irrelevant, futile or detrimental. On the contrary we can make use of some of its theoretical or applied principles; we can modify others to meet out teaching requirements; we can supplement some with new dimensions and we can refine others in the light of further research. Even the translation method has its own virtues. There is nowadays an interest in reviving translation and utilizing it as an aid in foreign language teaching. It could enable learners to transfer their experiences with their mother tongue to the new learning tasks to relate their communicative functions to those of the target language and to associate their new experiences with those of their mother tongue. Translation then could be used as a means of reinforcing the learning tasks of the foreign language. (Widdowson 1980 pp. 101–111)

In constructing our language teaching content we have to analyze the traget language into its component units whether these units are "communicative" or "structural". We have to grade and present our teaching units in a certain order on the bases of well-defined criteria: we start with the simplest language forms–the simplest constructions such as "a book" and proceed to the more difficult ones; we start with the most regular, productive and general patterns; we start with the most recurrent language items–those that are more frequently nsed than the others; we start with those

our teaching with the strethes of discourse but with discrete units i.e. we have to break down the language system into units for teaching purposes. We also infer that it is impossible to select and order our language units on " structural considerations alone but we have to take the "structural" considerations into account.

The Proposed Eclectic Approach

A Statement of Objectives

Before designing a language teaching course we have to specify our objectives first. These objectives should be drawn up in the light of the learners' needs' We have to ask ourselves: for what purposes pupils are learning the language what they need to learn at a particular state . In case of the general courses we aim at constructing for our primary and high school pupils the ultimate objective would be to enable pupils to acquire and develop the linguistic skills and the communicative abilities that are essential for language use–the skills of constructing grammatically correct sent, nces and the abilities to use them effectively for a communicative effect. These are: speaking, hearing, listening, composing, comprehending, interacting, reading and writing. The course should enable learners to develop a facility with language use, a fluency with both written and spoken varieties and a spontaneity of expression. Such objectives could not be achieved by focusing attention on language forms alone but on the way in which they are realized in actual language use. The skills of constracting grammatical sentences do not gurantee the ability to use language appropriately.

Among the abilities that language learners need to acquire are the ability to select an appropriate form in an inter-

we have introduced our pupils to right from the beginning will be of no use to them since they make no sense. Such instances will be useful to them in their subsequent learning stages when tney can comprehend the speech acts sentences make, the propositions they express and the relationships that hold them together. If our teaching units are notions and functions rather than structural forms then we are not going to concern ourselves with language use in discourse but with dissociated items extracted for teaching purposes.

Since the teaching units will be semantically structured rather than structurally graded beginners will be intro duced to a variety of language structures within the same teaching unit. It is true that these different structures are semantically ralated but the question is: how can a beginner cope with the diversity of such structural forms? How can we ensure that he will master them formally and be able to use them communicatively? Is it feasible to teach learners the sixteen different structural forms that express the function of seeking permission along with the form of accepting and denying it in one teaching unit? Wilkins (1967) addresses himself to the last question. His answer is to distribute the task of teaching the same function on several units, each unit reviews the forms presented earlier and adds new ones. He refers to this teahnique of ordering teaching material by using the term "cycling"–"moving from one cycle to the next higher one while remaining within units of similar denominations" (p. 66). Wilkin's view is pedagogically sound but the question remains: Which of these sixteen forms should we introduce first and on what bases should we make our sclection? A reason able answer would be : We select the exponent which is simple in form recurrent in use and relevant to the pupil's needs. From this argument we conclude that we cannot start

expose them to authentic data right from the beginning. Learners will then be able to put the language they learn to actual use outside the language teaching context. Theoretically this assumption sounds plausible but practically it is unapplicable. Students cannot learn a language simply by being exposed to it. We have to develop criteria for selecting and grading language teaching content.We have to draw the learner's attention and focus it on certain items. On the basis of the above-stated assumption the present perfect tense is introduced in the first book of the Crescent Course Series. It is true that beginners will encounter this tense in the course of natural language use but they cannot process it and subsequently produce it in such earlier stages due to its structural complexity.

Widdowson (1984) argues that instead of controlling the "input" to language data -the language samples to which learners are exposed- we can control the "intake"- the amount of language data that learners concentrate on. In other words we expose learners to instances of discourse then draw their attention to particular aspects of that discourse in the exercises that follow (p. 161). InWiddowson's view discourse has to be the centre of attention than the extracted sentences. Let us consider the practical utility of such a view. We start teaching by exposing pupils to two or three authentic paragraphs which will definitely make no sense to them since they have had no previous contact with that foreign language. We then draw their attention to particular language forms inthe exercisey that follow. We have in essenče decomposed the original discourse into its componet units-whether these units are sentences or speech acts-and started our teaching with these discrete units.The instances of genuine discourse

part of the learners communicative competence along with the rules of use which determine the selection of one form rather than another and those of constructing grammatical sentences.

The Principles Underlying the Communicative Approach

This approach has developed as result of recent research in sociolinguistics–Labov (1966) Halliday (1973) (1976) and the Philosophy of Language–Searle (1968) Austin (1976). It has incorporated insights from both disciplines. Language is viewed as a social phenomenon part of society as well as part of ourselves. In its social uses language serves certain functions such as the regulatory –using commands and issuing orders the interactional–making, personal relationships with other members of society and maintaining them etc. Through language we can satisfy our personal, physical, and material needs ; we can also realize our intentions, express individuality and achieve intimacy. Language is an instrument of investigating reality, a means of asking and learning about things, of interrelating them, of expressing propositiosn and making imaginative statements. Language has evolved to serve such social functions and needs. These functions and uses to which language is put determine the language forms used to express them. Language should by no means be divorced from its normal social context and taught in isolation. Language use is thus determined not only by knowledge of grammatical rules but also by knowledge of what constitutes proper social behaviour in different settings (Halliday 1979).

One basic assumption underlying this approach is that since the ultimate objective of a language teaching program is to prepare learners for an authentic language use we should

that express such concepts and functions are extracted and practised for teaching purposes (Wilkins 1976 p. 80).

The communicative approach is thus characterized by a shift from a concentration on the structure of a sentence to a concentration on the conmmunicative acts it can be used to perform. These acts are called by Searle (1969) "speech acts" by Austin (1979) "illocutionary acts" and by,Widdowson (1979) "illocutionary or rehtorical acts". This approach aims at teaching learners how to use the foreign language to define, classify, generalize, promise, apologize etc. i.e. how to fulfil their communicative needs. Language items are selected and graded on the bases of their "meaning" rather than their "form". Learners would learn for instance a set of options or exponents that express the functions of seeking permission, accepting it and denying it. They would then select the form that is appropriate to the situation they encounter.

This approach is also marked by another transition from a concentration on the sentence as the minimum unit of grammar to a concentration on the utterance as a unit of discourse (Widdowson 1980). Widdowson states that sentences express propositions. These propositions do not occur in isolation but they are related in one way or another to the propositions expressed by the preceding and following sentences in a normal communicative context. Halliday (1976) refers to such type of relationship by using the term "cohesion". He observes another type of relationship that holds sentences together. It is that of "coherence" a term which he uses to refer to the manner in which sentences are linked. A second sentence, for instance, may paraphrase the first, exemplify it or clarify it. The rules for using sentences to form a continuous discourse should be taught and promoted as

. The semantico-grammatical category which expresses concepts or "conceptual meaning" sometimes called "ideational" or "propositional"-that is what we do through language : "we order some one to do "something"; we deny "something"; we explain "something". This "something is the conceptual meaning which is what the grammar of the language in conjunction with the lexicon expresses" (p. 67).

2. The category of modal meaning which expresses the attitude of the speaker towards what he is saying or writing. "A speaker vouches to the degree of validity that his statement has, he represents it as simply as an objective truth or he indicates that the conceptual meaning is subject to some contingency" (p. 22).

3. The category of communicative function which expresses the functions performed by the language forms-the uses to which language is put or what we report through language -we may promoise, threaten, agree, disagree, approve etc.

Items from these categories-functions and notions-are selected and ordered along with their appropriate language forms. The result would be language material which is structurally heterogeneous but semantically homogenous i.e. learners are exposed to a variety of structures within the same teaching unit from the earlier stages of language learning and that there is no ordered exposure to the grammar of the foreign language. Language teaching material is selected according to the semantic needs of the learners-the concepts and functions that are likely to be of the widest value are introduced first. Language teaching material is drawn from authentic texts-language learners are introduced to samples of genuine material right from the beginning. Linguistic forms

etc . Language forms which are relevant to each situation are drilled and practised within their situations. The situation itself determines the forms to be selected and practised. Such an approach could better meet the needs of particular learners and sustain their motivation since it presents language forms in a natural communicative context and in association with actions. However it has its own limitations. It is only adequate for the situational needs of intermediate stage learners who need the language as a means of personal interaction . It is basically concerned with the spoken language; its utility is thus limited to certain learning situations.

The Communicative Approach

This approach is still in its formative and experimental stage . It is based on an analysis of the learners communicative needs and on an identification of the functions and notions they need for purposes of communication. It is semantically oriented rather than structurally i.e. it places far more weight on semantic criterion in selecting and ordering language forms . It would be better called the Semantic Approach to language teaching in contrast with the Structural one. The researchers who have made a valuable contribution to the development of this approach are Widdowson (1979) (1980) (1984); Wilkins (1974) (1976) (1979) and Halliday (1973) (1976) (1979) among others who argue that language forms are used to perform certain communicative actions such as: assertion, description, explanation, reporting, suggestion etc. and to express certain notions such as: the concepts of time ,space, quantity ,number etc. Wilkins (1976) identified three semantic categories on the basis of three distinct types of meaning that can be conveyed in uttering a sentence. These are:

In the secondary school the same course is used in both sections : the literary and the scientific without catering for the different interests . preferences and tendencies of the pupils in these sections . The course proceeds with accumulating language structures without considering the age of the pupils or their cognitive development i.e. t e same techniques of presentation and the same procedures are applied throughout the different learning stages . The age factor has to be taken into account when designing the language teaching content since it determines the type of learning that takes place and the teaching that is appropriate to that type of learning (Strevens 1977 p. 18) . What psychologically and pedagogically works with primary school learners does not necessarily work with secondary school learners.

The situations developed in the classroom for teaching purposes do not resemble real – life situations in which the language is used for communicative purposes . Pupils fail to use outside the classroom what they apparently learned inside not because they are not practising to the degree of over-learning but because what they are learning is not practically useful to them in their real life. Such a gap between classroom knowledge and real language events cannot be bridged by the techniques and principles of the structural approach as represented in such courses .

The Situational Approach

This approach has developed as an alternative to the structural one . It is based on the view that language always occurs in a social context and therefore should not be dissociated from its context when it is taught. Language teaching content consists of an inventory of situations which carry labels such as "Asking the way" "On the bus" "At the railway station"

The presentation of the present continuous in the in New English Course–Book II is followed by the following exercise (p. 16)

It'y 8:30	He's studying English now.
It's 9:30	He's studying Arabic now.
It's 10:30	He's studying History now.
It's 11:30	He's studying Geography now.
It's 12:30	He's studying Science now.

No pictures are provided to illustrate what's going on. We do not know who "he" is that is capable of studying five different subjects from 8:30 to 12:30 consequtively in a primary school. Some of the questions presented in the textbook donot sound real English. They are queer and unnatural. The following questions serve as an example:

T. How often do you study English?
P. I study English four times a week.
T. How often do you study Arabic?
P. I study Arabic six times a week. (Book II 1980 p.243)

A great emphasis has been placed on the development of the oral skills–listening and speaking–at the expense of the written ones–reading and writing. 80% of the total time of the course is alloted to the oral activities in the primary stage and 75% in the intermediate stage. Is such a distribution based on an accurate analysis of the pupils 'needs at these two stages? Do the examiners who formulate the Ministerial examination question take such a distribution into account?
The answer to both questions is in the negative. A research work has to be conducted to determine the amount of time pupils need to develop their oral activities in each learning stage.

Teacher	Pupil
Please point to the window.	I am pointing to the window .
Please point to the windows.	I am pointing to the windows.
Please go to the window.	I am going to the window.
Please go to the door.	I am going to the door.

How can one point to more than one window? What is the communicative value of practising such forms? Do native speakers really use such forms in their everyday activities? A native speaker does not say "I am pointing to the window". When he really points to it. He neither says "I am going to the window" when he really goes to it. Since everyone sees him pointing or going, there is no need for him to announce that he is doing such things. Such sentences are inappropriate as instances of language use. Widdowson (1984) observes that the present continuous in English is used either to provide an explanation or to make a commentary. In the case of an explanation the speaker makes clear what he or she is doing or what somebody else is doing on the assumption that this is not self-evident. A woman, for instance, who wants to leave the room for the kitchen and thinks that some explanation is called for may say:

"Excuse me for a moment. I must go to the kitchen". She does not say: "I am going to the kitchen". In the case of a commentary, the speaker tells somebody else who is not present at the scene what is going on. For instance a person may describe the movements of somebody else to a third person at the other end of the line in the following way:

"The suspect is crossing the road. He is talking to the newspaper seller in the corner".

Such contextual conditions determine that the sentences of the form in question count as actual instances of use.

notion of "overlear ning the language structures" is generally rejected as a principle in designing materials for second language learning courses in Britain (Strevens ,1977).

The dialogues which are presented in the Course textbooks function only as a means of displaying how the linguistic forms operate. They are artificially constructed . They do not sound as natural as actual talking. The following dialogue serves as an example:

— Samir, what's there on your desk?
— There are books and pencils.
— How many books are there?
— There are four books.
— And pencils?
— There are two.
— Is there one or three pictures on the wall?
— There is one.
— Good. Now look. There are five cars in the street, aren't they?
— No, there are seven cars and nine bicycles.
— Thank you very much, Samir. (p. 11)

How could pupils memorize a disconnected dialogue like this one? What is the relationship between the books and pencils on the desk and the five cars in the street? Does such type of interactoion really take place in actual language use?

Even the techniques of presentation are unnatural. They basically serve as a means of making the formal properties of language stand out more clearly. The present continuous, for instance, is introduced in Book II (1980) for the first time in this way: (p. 13)

P. She is looking at a nice garden.

nice rose

P. She is looking at a nice rose. etc.

There is no situation which clarifies who "he" is or "where" the car he is looking at is. Another sample of such drills would be the following (Book I 1973)

T. Is there a car in the streeet?

P. Yes, there is a car in the street.

Class. No, there is not a car in the street.

T. Are there cars in the street?

P. Yes, there are some cars in the street.

C. No, there arenot any cars in the street.

Pupils are left in confusion since there is no situation which illustrates what is going on. Structural drills should be instances of both correct situational presentation and appropriate language use. They should make learners think that the language they are learning is as natural as their own language which is used to satisfy their own communicative needs. A third sample is introduced in Book II (1980 p. 38)

T. Please do not do anything. Just listen to me.

P. I am not doing anything.

C. We are not doing anything.

T. Please do not read anything. Just listen to me.

P. I am not reading anything.

C. We are not reading anything.

How can pupils be motivated to learn a foreign language in this manner and how can their learning stamina be sustained till the end of the course? How can such a type of learning engender creative thinking, rational reasoning and problem capacities which pupils require in their subsequent learning stages. The idea behind practising such drills is to establish the language patterns firmly in the learners' minds but the

Structural courses in general lay an overemphasis on linguistic accuracy at the expense of communicative effectiveness. Consequently learners would tend to feel inhibited when using the language for fear of making grammatical errors. They would not develop confidence in themselves. Self confidence and self-assurance are important factors in language learning. Such courses aim at teaching the language formal system as an end in itself rather than as a means for further end-the development of communicative effectiveness.

The Limitations of the New English Course for Iraq

This course is a typical sample representing the structural approach. It reflects both its theoretical and applied assumptions. It is organized into series of books. Each book is designed for a particular stage of learning. To start with, the lay- out of the books-their format is discouraging and unattractive. It does not stimulate pupils to learn the language -Its thickness has a perverse psychological impact on learners especially beginners since it frightens them. The books are not provided with bright colourful pictures that capture the pupils' attention and motivate them to learn English.

Language structures are drilled in isolation from their natural communicative and social contexts which make them meaningful and useful. The drills are artificially contrived. The teacher provides the model sentence, he then gives the prompts in sequence . Pupils repeat individually and chorally after him without understanding the communicative value of such utterances or even sometimes their meaning as in the following sample from Book II (1980 p. 36).

T. He is looking at a new car. (She)

P. She is looking at a new car.

T. Nice garden

7. Structural courses pay little attention to the way sentences are used in combination to form stretches of connected discourse. Instead they concentrate on the teaching of sentences independently–on the manipulation of sentences rather than on their realization as meaningful communicative behaviour. Ample exercises on the cohesive devices used to create a continuous discourse–to link sentences–should be incorporated. These are devices such as the anaphoric refernce–using a pronoun to refer back to a preceding noun–and the use of "this" and "that" in connected discourse to refer to extended text as in the following examples which are quoted from Halliday (1976 pp. 66–68).

"They broke á Chinese vase".

"That was valuable". (that has an anaphoric reference. it refers back to the "vase")

That was careless". (that refers to the total event).

In case we had more than one breakage we could say, "These were valuable" but we could not say "These were careless". I come from Scotland. That is where I come from, too.,,

"No one will take it seriously. This is the frightening thing".

Here the demonstratives- "this" "that"- provide the given element in the message and then serve to identify some other element that is new by simply being equated with it.

" I cannot get any reliable information. This is what worries me."

"This" here has an anaphoric reference. It means "what I have just said". It could be replaced by "that". Halliday (1976) has identified six different kinds of "cohesive ties" which combine powerful structure with great flexibility. There are: the anaphoric reference, repetition, substitution, ellipsis conjunction and lexical choesion.

The structural approach concentrates on language forms and pays no attention to the semantic relationship that holds between them. For instance invitation–acceptance which are semantically related are not introduced together since they are structurally unrelated. Learners would discover such relationship towards the end of the course when almost all the structural forms are covered. Structures which deal with invitation should be introduced together with those that deal with accepting and declining it (Johnson 1979 p. 202).

5. The great emphasis placed on phonetic symbols and phonetic transcriptions is not warranted. It is sufficient to concentrate only on those phonemes that have no equivalent in the mother tongue or that are difficult to articulate due to mother tongue interference. The International Phonetic Alphabet System is not devised for teaching purposes. Learners would get confused when they are introduced to two sets of symbols: the phonetic symbols and the ordinary orthography especially in the earlier stages of learning. An empirical research has to be conducted to determine the role phonetic training plays in language teaching–to what degree it is effective and useful and how much phonetic training is needed.

6. The process of taking learners systematically through the grammatical system of a language often reduces the motivation of learners who are looking forward to an immediate practical return for their learning (Widdowson 1984). Widdowson argues that the learners motivation would be promoted if we introduce them in their English course to topics related to other subjects on their school curriculum. Their motivation could also be sustained if we teach them subjects that correspond to their experiences that engage their attention and that are relevant to their needs, concerns and interests.

of instruction ,,advice, appeal, prayer or warning depnding on the context as in the following examples which are quoted from Widdowson 1980 p. 229

Instruction / Appeal "Turn left at the next street".
Appeal "Give generously to Famine Relief"
Prayer "Forgive us our trespasses"
Warning "Beware of pickpockets"

By the same token 'meaning" can be expressed by more than one form. The act of command in English for instance can be performed by the imperative or by a statement as in:

The table is unclean.

This is an indirect way of asking those in charge to clean it. A question may express a request as in:

May I use your pen?

Wilkins (1976) has listed sixteen forms through which "permission" can be sought in English. Among these forms are the following:

Could I use your telephone?
Please let me use your telephone.
Is it all right to use your telephone?
Do you mind if I use your telephone?
Could you be so kind as to allow me to use your telephone?
I should be most grateful if you would permit me to use your telephone (Formal–typical of written style)

O.K? All right? Any objections? (Casual typical of the spoken variety).

All these forms serve only one function–seeking permission. The selection of one form rather than another depends on the context- formal, informal, intimate and on the medium-speech or writing (p. 62) .

2. It has been presumed that the repetition of analogous sentences as in a language drill would firmly establish the patterns in the learer's mind and would enable him / her to assimilate the structures unconsciously but an overemphasis on drilling and repetition would definitely engender boredom and frustration. Moreover most of the structural drills are artificial constructs which do not represent language use in its natural communicative form. A textbook composer has to think of a context in which the recurrence of the linguistic structure in question constitutes normal use (Widdowson 1980 p. 155).

3. Structural courses are based on the principle of mechanical parrot–like learning. Recent research in psycholinguistics and educational psychology has stressed the fact that language learning is a mental process in which the learner is cognitively engaged. He extracts rules formulates hypotheses integrates the unknown with the known and sees the relationship of the parts to the whole. In other words he is an active contributor to the learning process (Chastain 1976). In order to assimilate what they learn, pupils should understand the meaning of what they are practising, appreciate its value and conceive of its relevance to their needs. They have the right to know the reasoning behind the language activities they are engaged in.

4. The structral approach fails to reveal the relationship that holds between forms that are structurally different but semantically related. Learners are led to equate a distinct form with a distinct meaning whereas a language form in English may express a range of meaning–may be used to perform different acts. For instance, the imperative in English is not only used to issue commands but it may be realized as an act

Structural courses aim at developing the linguistic competence of learners rather than their communicative competence– the facility with language use. Both competencies should be developed simultaneously since each complements and promotes the other. Teaching communicative competence in fact implies teaching the part of linguistic competence that is relevant to the learners needs and demands. Language is primarily used as a means of communication. There is no point in teaching it as an abstract system of rules without displaying how this system is realized in actual language use.

It has been assumed that once linguistic competence is developed the communicative competence will follow naturally. This assumption is invalid. By the time students finish high school they encounter numerous difficulities in using the language they have studied in pursuing their specialized academic education. Widdowson (1980) observes that a learner who knows how to compose a grammatically correct, declarative sentence will not automatically develop the ability to produce and understand statements that define illustrate ,classify, qualify or describe (p. 13). By the end of the course learners will accumulate an inventory of language structures, some of which are relevant to their needs–have immediate value; others are not ,but they will not develop the communicative abilities that enable them to make use of what they have learnt for a communicative effect. The main objective of such courses is to cover the entire language system as a kind of future investmen which could be utilized if and when the need arises (Wilkins 1976). Too much time might be spent on teaching structures that are not valuable and too little time on useful forms. The learning process would thus be rendered inefficient.

communicative behaviour. For an act to count as an actual instance of use it has to be appropriate in relation to form، function and context i. e. it has to meet three conditions: it has to be grammatically correct, it has to fulfil normal function and it has to be appropriate to the context. When language forms are introduced in a natural communicative setting learners would tend to associate these forms and their functions with their. appropriate context. They would then experience no difficulty in selecting the right form which is appropriate to a certain context when confronted with a new situation. The question of "appropriateness" may need some clarification،The following sentences are grammatically correct but each form is appropriate as a response to a particular question. The selection of one form rather than another is determined by contextual conditions:

Brutus killed Ceaser.

Ceaser was killed by Brutus.

It was Brutus who killed Ceaser.

It was Ceaser who was killed by Brutus.

What Brutus did was to kill Ceaser.

There are rules of use that determine the selection of one form rather than another. If we ask "Who killed Ceaser"? the appropriate answer would be the first form but if we ask what happened to Ceaser? "the appropriate answer would be the second one. Native speakers of a language have mastered and internalized such sets of language rules that are related to use along with their grammatical rules. Foreign learners need to acquire and master such rules which constitute their communicative competence along with the grammatical rules that make up their linguistic competence.

The Limitations of the Structural Approach

Applied linguists and language teachers have expressed their dissatisfaction with this approach. The main lines of argument against it can be grouped in the following points:

. Language system is broken down into its constituent parts. Certain forms are selected on intuitive bases and presented for purposes of teaching rather than for communicative purposes. These forms are detached from their natural social communicative contexts and presented to manifest how the language rules operate and not as samples of meaningful communicative acts. For instance pupils practise forms such as.

The cloke is on the wall.
The cat is under the table.

Where there is no "real" clock on the wall or "real" cat under the table. Are the pupils genuinely inquiring about the clock or looking for the cat? Such utterances do not have any communicative value and are not used for any communicative purpose. If the pupils do not realy know the whereabouts of the clock any the cat, if they are genuinely asking about them and if there is a real situation that pupils refer to to then a more effective technique of presentation would be in a form of a classroom exchange berween two pupils:

A. Where is the clock?
B. It is on the wall (on the wall).
A. Where is the cat?
B. It is under the table (under the table).

The pupil's response would then be a reply to a question rather than a reaction to a prompt. Widdowson (1984) draws a clearcut distinction between "usage" which is exemplified by grammatical rules and "use" which is realized as normal

exclusively with the formal properties of language. They described and categorized language items on the bases of their physical shape, morphological structure and formal characteristics. They have almost ignored the study of meaning or at least have not given it its due importance. Generative transformational grammarians have also devoted themselves to the study of language structure and sentence construction. The syntactic component is the central one in Chomsky's model of generative transformational grammar. It is the sole creative one and the other two, namely the semantic and the phonological ones are merely interpretive (Chomsky 1965). Chomsky himself does not view language as a means of communication but as a key to the study of the structure of the human mind. Hence it is not surprising that language forms and structures have received priority in syllabus design for two decades or more.

The structural approach is primarily concerned with the oral manifestation of language rather than with its written form – priority and supremacy have been accorded to speech rather than to writing. This interest in speech can be traced back to the procedures developed by the American structural linguists to analyze the American Indian languages. Since these linguists knew nothing about the languages they approached, they started their analysis with the most observable form of language–phonology: the analysis and description of speech sounds; they then moved to the second level–morphology; the analysis of the internal structure of words and later on to the third level–syntax: the study of the internal structure of sentences. This model which gives priority to speech has been applied in the analysis of several languages. Courses which are based on this approach abound with phonetic symbols and phonetic transcriptions. Speech sounds have been extensively described and analysed.

thoroughly learnt before proceeding to the next. Language learning is a process of gradual accumulation of the parts of the language until the entire system is constructed, Language teaching content is an inventory of grammatical forms–an ordered list of structures. Language forms are first introduced in the oral practice section and then reinforced in the activities that follow namely reading and writing. The course has its own limitations which fall into two categories: those inherent in the approach itself and those inherent in the course itself.

The Theoretical Foundations of the Structural Approach:

The structural approach is based on the behaviourist doctrine which views language as a set if habits that can be established by certain teaching techniques such as repetition, drilling ,imitation , etc. Language learning is a habit formation process. It has been claimed that learners could master the structural forms of the language throuh intensive drilling ands repetition. The advocates of this approach hold that learners need not know the rationale behind the language activities they practise , they need not question what they are practising or why they are performing such activities. All they need to do is to respond mechanically to the prompts provided by the teacher without making recourse to their cognitive structures.

As its name indicates, this approach is structurally oriented rather than semantically i. e. it places far more weight on language forms rather than on their meanings. The adherants of this approach analyze and group language forms on the bases of their structure. This emphasis on structure is by no means new. Structural grammarians concerned themselves

Towards an Eclectic Approach in Constructing Language Teaching Courses

Adel A. Ali

Mustansiriyah University

Abstract

The purpose of this paper is to examine critically the theoretical assumptions underlying two of the current approaches to language teaching namely the structural approach which is the basis of the New English Course for Iraq and the communicative approach which is the basis of the Crescent Course taught in the Arab Gulf States. The paper also aims at inferring the pedagogical implications of both approaches and considering some of the arguments put forward for questioning their adequacy. An eclectic approach which utilizes the virtues and merits of both approaches is proposed towards the end. It is hoped that the suggested approach which is called the Semantico-Structural could serve as an alternative to the structural approach in constructing the proposed New English Course for Iraq. This paper is a humble contribution to the great and sincere efforts exerted by the concerned authorities to improve the quality of English Language teaching and to better serve our country and our nation.

The New English Course for Iraq

The New English Course for Iraq is an experiment which utilizes many linguistic principles and techniques such as those of selection, gradation, integration, revision, repetition and imitation. Language structures are selected and graded with the intention that each linguistic structure should be

REFERENCES

Breitenstein P.H. "Object–Infinitive" *English Language Teaching*, Volume XXXIV Number 3, April 1980, p.191 192.

Corder S.Pit An Intermediate English Practice Book. Longmans Green And Co.Ltd. London and Harlow 1969.

Lado Robert, Linguistics Across Cultures, Ann Arbor: University of Michigan Press, 1961.

Liefrink Frans, Semantico–Syntax; Longman, Group Ltd., 1973.

Nichols Anu Enjelholm English Syntax Holt Rinehart and Minston 1955.

Quirk Randolph and Greenbaum Sidney A Concise Grammer of Contemporary Engish, Harcoart Brace Jovanovich, Inc. 1973.

Stageberg Norman ,C. An Introductory English Grammer 2nd Edition, Nolt Rinehart AndWinston Inc. 1971.

Zandvoort R.W. A Handbook of English Grammer 7th ed. Longman Gro up Limited London, 1975.

FOOT NOTES

1– Stageberg, *An Introductory English Grammer*, 1971, p.180.

2– Liefrink, *Semantico-Syntax*, 1973, p.36.

3– Zandvoort, *A Handbook of English Grammer*, 1975, p.199.

4– Nichols, *English Syntax*, 1965, p.67.

5– Stageberg, *An Introductory English Grammar*, 1971, p.165.

6– Quirk ond Greenbaum, *A Concise Grammar of Contemporary English* 1973 p.167.

7– Liefriuk *Semantico-Syntax*, 1973 p.36.

8– Quirk and Greenbaum, *A Concise Grammar of Contemporary English*, 1973 p.14.

9– Corder, *An Intermediate English practice book*, 1969, p.38

10– Quirk and Greenbaum, *A Concise Grammer of Contemporary English*, 1973, p.371.

11– Ibid p.170.

12– Liefrink, *Semantico-Syntax*, 1973, p.101.

13– Ibid, p.100.

14– Zandvoort, *A Handbook of English Grammer*, 1975 p.56.

15– Stageberg, *An Introductory English Grammar*, 1971, p.186.

16– Breitengtein, "Object–Infinitive" *ELT*, 1980, p.191–192.

17– Hassan *?alnahawil waafi*, 2nd ed. 1973 p.176.

18– Ibid.

19– Ibid.

20– Ibid, p.177.

21– Ibid, p.120.

22– Stageberg, *An Introductory English Grammar*, 1971, p.184.

Distribution

Restricted to adjective which may be placed befor or after the noun it modofoes.	Restricted to this particular use.

Problems:

Due to the interference of the aspect the subject and the predicate have in Arabic, an Iraqi student may not use verb to be i.e. he may omit "are". The native speaker of English learning Arabic may use the noun "? almudarrisiina" (the instructors) in the nominative case instead of its accusative case since there is no verb in the surface structure.

Predictions Yielded by the Contrastive Analysis:

The following analysis is set-forth in the hope that it might be a helpful tool for predicting difficulties encountered by Iraqi students learning the use of object:

1- The examples associated with patterns I II III IV IV andVII are expected to be readily recognized by Iraqi students, since it is obvious that the structures which are similar semantically as well as syntactically constitute no learning problems .

2- The example associated with pattern VII is expected to constitute a problem for native English speakers learning standard Arabic.

3- The example associated with pattern V is likely to constitute trouble spots to Iraqi students both on the perceptual and productive levels. It is not necessary to have Arabic counterparts for some English verbs occurring in certain linguistic areas to govern three objects as in pattern V.

4- The example associated with pattern VIII may constitute a trouble spot to Iraqi students either in recognition or in production. It may also present a difficulty for English speakers learning Standard Arabic.

Problems:

There is no problem either in production or in recognition, nor is there any problem of meaning. The native speaker of English learning Arabic may use the precedent object in the nominative case instead of its accusative case.

PATTERN VIII

Form

A

S+N+Adj+Sc.

e.g:

We the instructors are hard working.

E

Pron+object+predicate

e.g:

[nahuul mudarrisiina mujid-uuna]

we the instructors are hard working.

Features

1. The noun "instructors" is appositive.
2. The adjective "hardworking is in grammatical meaning a modifier of the subject.

1. The noun "? almudarris-iina" (the instructors) is in the accusative case.
2. The noun " ? almudarri-sina" (The instructors) is object of a verb whose omission is obligatory in this linguistic area.

Meaning

The word "hardworking" means grammatically the word which identifies the subject.

"? almudarisiina" (the instructors) is a word over which an emphasis is put to be clearly identified.

Distribution

Restricted to two noun shaving the same referent. Restricted to defective verbs.

Problems:

There is no problem either in production or in recognition . Nor is there any problem with regard to meaning since the two languages use nearly the same word order.

PATTERN VII

Form

B	A
Prep.+N+Def+N+be+pp	O +V+S+O (2, 1)
e.g: To Mary Queen the praise be given.	e.g: [?alwadda manahtuk] friendship bestowed you I bestowed on you friendship

Features

B	A
1. The indirect object "Mary Queen" is given front-position.	1. The second object which is usually the firect object is fronted.
2. The indirect object cannot be given front-position without the preposition "to".	2. The second object is given front-position without "to".

Meaning

B	A
Indicating "beneficiary" of the action.	Same as in English.

Distribution

Restricted to indirect object. Restricted to direct object.

2. The noun clause "that the news was correct" occurs to replace the direct object.

Meaning

Indicating certainty	Same as in English

Distribution

Restricted to Noun Clause	Restricted to three objects.

Problems: ts.

Due to the interference of the general aspects the object has in Arabic, Iraqi students may use a direct object instead of the noun clause i.e. they may use the direct object and object complement, without mediation of a copulative verb

PATTERN VI

Form

B	A
S+ Cop + Sc	V+ N1 + N2
e.g:	e.g:
Peter became a doctor	[?asbaha nabeelun tabeeban]

Features

1. "became" is a linking verb.	1. "?asbaha" (became) is a defective verb.
2. "doctor" is a subjective complement.	2. Same as in English
	3. The defective verb (become needs no subject therefore it carries over no action.

Meaning

Identify the subject.	Transformation or changing the shape, appearance, quality or nature of something into something else.

be as its verb or auxiliary as in : The examination is easy.	occurs with the absence of vorb *to be*. (?al? imtihaanu Sahlun) The examination easy.

Meaning

Indicating supposition	Same as in English

Distribution

Associated with two objects having the same referent.	Same as in English

Problems:

The Iraqi student may use verb to be *is* or *was* between the DO and the OC on the analogy of subject – be– complement. He will have no problem with recognition nor with meaning.

PATTERN V

Form

B	A
S+V+I.O+NC as D.I	V+ I.O. + S+02 +03 OI
e.g: Muhammad told me that the news was correct.	e. g.: [?aglamani muhammadun Lxabara Sahiihan]

Features

I. Verbs such as "tell" and "give" very often govern two objects. The occurrence of three objects is very rare in English.	I. Verbs such as "axbara" "aqlama" (told) and "?paraa" (showed) usually govern three objects. 2. The last two objects have the same referent.

direct or when we want to emphasize the indirect object for any reason.

2. When the indirect object is put off it may often be replaced by a prepositional phrase i. e. the indirect object is governed by a preposition.

phrase which is called "?aljaar wal majruur"

Meaning

The indirect object is a person for whom something is done.

Same as in English

Distribution

Restricted to indirect object.

Same as in English

Problems:

There is no problem on the production or recognition level because the two-languages exhibit nearly the same word order. No problem with meaning is expected.

PATTERN IV

Form

B

S+V+D. O+O.C.

e. g:

Muhammad imagined the examination easy.

A

V+S+O1+O2

e.g:

[xaala muhammadun ?alim tihaana sahlan]

Features

1. The last two positions (D.O and OC) imply an underlying sentence with

1. Same as in English With one exception i.e. the nominal sentence

2. The two objects indicate that each one has a different referent. They imply no meaningful sentence as in:

* He is a book

2. Same as in English.

3. The two pronominals "tu"(I) and "hu" (him) are jointly affixed to the verb "?aqtaa" (gave)

Meaning

The indirect object is "beneficiary of the action of verb-plus-direct object "22

Same as in English the with the first object.

Distribution

Associated with verbs that govern two objects.

Same as in English

Problems:

Iraqi students will have no problem with recognition nor meaning.

PATTERN III

Form

B

S+ V+ D.O+ Prep. + I.0

I gave the book to Ali

A

V+ S+ O 2 + Prep+N

[? agtaytul Kitaaba ? ila aliyyn]

Features

1. The indirect object usually comes first but this order is frequently reversed when the indirect is much longer than the

1. In the sentence above there is only one object. The preposition "?ila" plus the noun (Ali) is a prepositional

Features

J. The nouns 'apple' and 'music' occur as objects to which the action is carried over.

I. Same as in Englisr
2. The object 'tuffaahata' (an apple) ends in a syllable terminating with a short vowel approximate to/a/as iunderlined in the example above.

Meaning

I. Indicating receiver of an action.

I. Same as in English.

Distribution

Restricted to direct object

Restricted to object

Problems:

There is no problem in production or in recognition nor is there any problem of meaning because the verbs "eat" and "love" in both languages have the same function and the same meaning.

PATTERN II

Form

B

S+ V+ I.0+ D.0

e.g.o:

I gave him a book

A

V+ S+O I+ 02

[?agtayruhu Kitoaban]

I gave him a book.

Features

I. "give" carries over its action to two objects; "him" is the indirect object and "a book" is the direct object.

I. "? aqtayta" (I gave) carried over its action to two objects; namely the first and the second object.

17— [? a lkitaabu mufiidun]..
The book useful
The book is useful.

In like manner, not every Arabic ditransitive verb can syntactically govern two objects without mediation of a preposition. Consider the sentence below:

* 18— [? istarraytuha kitaanban]
bought I her book
I bought her a book

Mediation of the preposition 'Li' (to) will solve the vagueness of sentence. 18. and make it sound well as in:

18— [?istarytu lahaa kitaaban]
I bought to her a book

or 19— [? is taraytu kitaaban lahaa]
I bought a book to her.

CONTRASTIVE STUDY :

The contrastive analysis undertaken below is adopted from Lado's "Linguistics Across Culturers". It aims at determining the similarities and differences in the use of object in English and Arabic. It also detects the possible problems Iraqi students may face in the process of learning English as a foreign language.

Pattern I
Form

E	A
S – V – O	V– S– O
eg. The boy ate the apple.	eg. [? akalal walandual tuffaahata] The boy ate the apple.
The boy loves music	[Yuhibbul waladual moosiqac] The boy loves music.

It is worth mentioning that the last two objects in sentence 13 ab ve constitute a meaningful sentence if they are left alone i.e. after deleting the subject with its verb and the first object as in sentence 14 below:

14– [?alkiatabu mufiidun]
the book useful
The book is useful.

Arab grammarians in certain linguistic areas ,do not give an adequate definition in purely functional terms.
On the one hand, they state that the object is a noun over which the action of a verb is carried. On the other hand we find that the noun '?almudarrisiina' (the instructors) in a sentence like 15 below is in the accusative case and object governed by a verb which does not appear in the surface structure as in:

15– [nahnul mudarrisiina mujidduuna]
We the instructors hardworking
We, the instructors are hard working.

In a sentence of this kind the verb which is assumed to govern the object is always there in the deep structure as in

16— [nahna ?agnil mudarrisiina mujiduuna]
We mean I the instructors hard working.
I mean we, the instructors are hard working.

Thus, omission of the verb "? aqni" (mean) together with its subject "anaa" (I) in this particular linguistic area is obligatory. (21)

Unlike English, complementation in Arabic needs no mediation of a verb i.e. two nominal nouns can be joined to constitute a meaningful sentence without a copulative verb as in:

Before deletion:

10– [manahtul faa? iza q–alaman]
gave I the winner pen
I gave the winner a pen.

After deletion–

*11– [? alfaa ?izuq alamun]
The winner pen
* The winner is a pen.

Inversion of the two objects in sentence 10 is quite normal. But the only difference is that the first object will be syntactically transformad into the genetive case in which the word'? alfaa? is' (the winner) will be governed by a preposition instead of the verb and second object must be nunated as in: fi

12– [manahtu qalaman lilfaa?izi]
gave I pen to the winner
I gave a pen to the winner.

As far as tritranbsitive complementation is concerned the three objects are always governed by quadrilateral verbs such as '?axbara' (told) '?araa' (saw) and '?aqlama' (informed) as in:

13– [?axbara*ni* muhammadun *?alkitaaba* *mufiidan*]
02 02 03 ..
told me muhammad the book useful
Muhammad told me that the book is useful.

It is to be pointed out here that transitive verbs form one word with pronominai suffixes when they are affixed to them. Sentence 3 above shows the affixation of the underlined pronominal suffix 'ni' which indicates 'me' refers to masculine or feminine singular as the first object.

7– [Janantul jawwa bearidan]

I thought the (01) weather (02) cold.

Arab grammarians classify transitive verbs on the basis of their syntactic function into three groups (a) monotransitive verbs, which are commonly used, require one object (b) ditransitive verbs, govern two objects and (c) tritransitive verbs carry over the action to three objects (18) (ibid).

There are two types of ditransitive complementation. They are particularly restricted to different types of verbs by means of which they are governed. First verbs lik "Janna" (thought) "Xaala" (imagined) "galima" (Knew) and "?alfaa' (ascertained) govern two objects which are originally meaningful nominal sentences. This can be shown after deleting the subject together with its verb as in sentence 9 (ibid (19):

Before deletion:

8– [Xaala muhammadun L ?imtihaana Sahlan]

Muhammad imagined the 01 examination 02 easy.

After deletion–

9– [?af?imtihaanu Sahlun]

The examination easy

The examination is easy.

Sentence 9 above shows that the two objects constitute a nominal sentence without mediation of verb to be. A point to notice is that inversion of the two objects in sentence 8 does not sound good.

The second type of ditransitive complementation is governed by verbs sich as "manaha (gave) "kasaa" (clothed) and "?albaya" (dressed up). These two objects cannot stand semantically in a well–formed sentence if they a leeft without a subject and a verb. This can be shown in sentence 11 (ibd p.177) (20.)

[?iStaraytu Kitaabayni]
bought I book two
I bought two books.

When the "sound masculine plural" occurs as in object of a verb' it takes the inflectional ending /iina/ as in:

4– [Saahattul mutasaabiqiina]
rS Saw I the racers
I saw the racers.

As to the "sound feminine plural" instead of /a/ sound it ends in a syllable terminating with a short vowel approximate to /i/ as in:

5– [aq a baltual mumarridaati]
met I the nurses
I met the nurses.

Transitive verbs govern definite and indefinite nouns as well. The only difference between these two nouns is that in the accusative case indefinite nouns are always nunated with /an/ unless the nouns in question is / ayni/ or /iinal/ i.e. when they are in the dual or "Sound masculine plural" or "Sound feminine plural" . Below are examples of indefinite nouns governed by transitive verbs :

6– [?i Starayru Kitaaban]
bought I book.
I bought a book.

A certain group of verbs is not limited so narrowly to take one object; they carry over their action to two objects. When two objects occur together in one sentence, they may be labelled simply as first object and second object as they are underlined in the sentence below(17):

ARABIC OBJECT:

Arab grammarians define "object" as a noun in the accusative case over which the action of the subject is carried as in:

1– [? a kalal Waladul tuffahata]
ate the boy the apple
The boy ate the apple.

It is usually true that objects do not occur after all verbs but only after those which are called transitive . Most Arabic transitive verbs carry over the action directly to the noun that follows which is meant to be in the accusative case as shown in the example above.

Transitive verbs operate in Arabic with specific grammatical functions. All nouns governed by a transitive verb are in the accusative case . In speech, Arabic nouns governed by transitive verbs usually end in a syllable terminating with a
٨١١ short vowel spproximating /x/ and represented graphically by a sign called' I ? al fatha' as shown below:

2– [Katabat ta olibu / d darsa]
Wrote the student the lesson
The student wrote the lesson.

The word based of "? al darsa" (the lesson) in the example above which is governed by the transitive verb "Kataba (wrote) should be "?al dars" i.e. without the inflectional ending /x/ suffixed to the noun which indicates its being the object of the verb. This applies to all Arabic words of the like with the exception of loan words which should be ruled out as foreign.

In the case of duality, the inflectional suffix of a noun governed by a transitive verb is /ayni/ as in:

34– The players chose Marry Captain.

The underlying sentence is:

35– Marry is Captain.

Similar to Stageberg's analysis in some respect is Breitenste:in's. He believes that after the finite verb we find an object which is semantically the subject of the infinitive that follows no matter whether the latter is a plain infinitive or a to–infinitive (16) as in:

36– I saw *him go.*

37– He goes.

On the contrary sentence 38 below shows that the word "leather" is grammatically the subject of the sentence but logically speaking "leather" is the receiver of the action (deterioration) i.e. it is the thing which suffers. This indicates that it is impossible to define object logically. We must define it in terms of its function within the sentence.

38– Leather quickly deteriorates in a hot damp climate.

A point to notice is that the direct object can be replaced by a noun clause which has the same kind of function as a noun that acts as an object. In the following two utterances:

39– The man said *something.*

40– The man said *that he was reading.*

The noun clause "that he was reading" takes the place of "someting" which is in fact the object of "the man said".

To sum–up when dealing with the English object the following points should be observed:

A– An object almost always follows the verb.

B– An English object can never occupy a front position.

In Liefrink's view the inversion though not imposible is at least very unnsual when the direct object is pronominal :

*25– Mary gave her husband it.

While both orders are possible where the two objects are both pronominal (12) as in.

26– Mary gave it (to) him.

but

*27– Mary gave him it.

Special attention should be paid to the fact that in transitive sentences the inverted order is most common where the sentence is connected with particles as in: .

28– I turn on the light.

29– I turn the light on.

While the inversion of particle is not possible when the object is a pronoun (13) as in:

30– I took it away.

*31– I took away it.

It is to be noted that in English no sentence or Clause whether active or passive ever begins with a (non–prepositional) indirect object. If the latter is given front position it is preceded by "to"(14).

32– To Mary Queen the praise be given. Sentence 33 below shows that verbs such as "give" govern two unrelated objects i.e. they do not imply an underlying sentence;

33– Tom gave the girl a doll.

To this generalization there are many instances in which the two objects have the same refernt and imply an underlying sentence with "be" as its verb or auxiliary (15) as shown below:

17– Give the book *to your brother, not to me.*

As far as animation is concerned the verb "give" allows considerable flexibility. The direct object can be abstract and the indirect object inanimate though in such cases the latter has no variant with a prepositional phrase (10):

18– He gave the car a wash. (He washed the car). –

*19– He gave a wash to the car.

The indirect object can be omitted without affecting the meaning or function of the rest of the sentence as in:

20– Layla gave *the girl* a doll.

Layla gave a doll.

* Layla gave the girl.

One group of verbs (chiefly ask, owe, pay, teach, tell, show) taking ditransitive complementation allow either object to be omitted:

21– I asked John a question.

I asked John.

I asked a question.

The indirect object can usually be replaced by a corresponding prepositiobal phrase if it follows the direct object:

22– Layla gave a doll to the girl.

23– Selma bought a white hat for the girl.

except in rare instances like–

24– Give it me.

Which is semantically equivalent to a prepositional phrase(11). The inveraion of the position of the so called direct and indirect objects is a formal characteristic of the complement as shown in the two sentences 20 and 22.

9 – Girls giggle.

Copulative

10– Ali was a doctor.

11– Ahmad is an officer.

12– They are manual workers.

A point to notice is that not every noun follows a verb will undergo the action of that verb. Let us have a look at the following two sentences:

13– Tom plays the *piano*.

14– Tom plays *that way*.

The difference between the two underlined words in Sentences 13 and 14 is brought out by Nichols. He thinks that though "that way" in sentence 14 is a noun phrase it is not a nominal and therefore not a direct object. It is an adverbial and cannot be replaced by a pronoun as 'the piano' in sentence 13 can. Quirk also goes on stating that "there are different types of verb corresponding to the different types of object and complement" (8).

Ditransitive complementation involves two objects indirect object (normally animate) which is positioned first and a direct object (normally concrete) as in:

15– Sa'ad gave *the lady* a *beautiful rose*.

Sentence 15 above shows the usual order of the direct and indirect objects. This order is frequently reversed when the indirect object is much longer than the direct object as in:

16– He will give *the book* to *anyone who asks for it*

or when we want to emphasize the indirect object for any reason(9) as in:

But when the verb is used transitively, it requires another word , the object, over which the action is carried as in:

5— The boy broke *the dish.*

Sentence 5 indicates that the predicate consists of a so alled transitive verb, followed by a noun or pronoun (3) denoting a person or thing affected by the action expressed by the verb. This noun or pronoun is called an object3.
while Nichols thinks that a verb used transitively states a relationship between two nominals one of which , the second, is the direct object as shown in sentence (4).

A verb may require an additional word or words (other than an object) to complete the predicate as Stageberg puts it "complements is the generic term for the completers of the verb". (5)..

In many cases, complementation as shown in the examples below consists of obligatory elements in the sense that they are required for the complementation of the verb. otherwise, the sentence is incomplete if one of these elements is omitted.

6— we have proved him *wrong.* (objective)
7— Nabeel is a *doctor.* (subjective complement)
8— I put the plate *on the table.* (locative).

Referring back to sentence 2 in which the verb "vanish" is self- sufficient, we find that no complement is needed after the verb to complete its sense. A similar case is determined by the idiosyncratic feature of the predicate, i.e."a sentence must be either non - copulative, in which case the sentence contains no complements, or copulative, in which case the sentence must contain a complement" (7) as shown below:

non copulative

This articie aims at investigating and predicting the difficulties facing Iraqi students learning English as a foreign language. The term"object" is restricted to its use in a sentence where it may be the object of a verb including an infinitive only ,.

ENGLISH OBJBCT

By 'object' is meant the noun towards which the action of a verb is directed within the range of sentence elements in both languges . The English object as defined is the word which "has the grammatical meaning of the receiver of the action" as in :

1— The boy ate the apple.

Generally speaking, "a sentence must be either intransitive' in which case the sentence contains no object , or transitive in which case the sentence must contain an object" (2) as in : Intransitive.

2— The ship had vanished .

Transitive:

3— Layla enjoyed the party.

Thus, in every sentence, no matter of what kind it may be, there is the subject, which names the person or thing we are thinking about, and there is the predicate, which states something about the subject. Let us concider the following example :

4— The baby cries loudly.

The word "baby" in the exampie above denotes the person who performs an action, while "cries" is the predicate word, i.e. the word which represents its subject as doing the action of "crying". sentence (4) also shows that there is no carrying over of action from the subject to the verb. The action of the verb is complete in itself.

THE OBJECT IN ENGLISH AND ARABIC
A CONTRASTIVE STUDY

Abdul Hassan Sh. Qassim, M.A.

Abbreviations And Notatious

A	Arabic
Adj	Adjective
Def	definite article
Cop	copulative
D.O	direct object
En	English
I.O	Indirect object
N	Noun
NC	Noun Clause
O	object
oi	First obiect .
o2	Second object
o3	Third object
oc	object complement
PP	Past Participie
Prep.P	Prepositionai phrase
Pro	Pronoun
S	Subject
Sc	Subject complement
V	Verb
I	Inadmissible structure
[( )]	square brackets enclosing phonetic represe ntat-ive .

15. Quirk, R., S. Greenbaum, L. Leech and J. Svartvik, (1973): *A Grammar of Contemporary English;* Longman, London.

16. Roux, G., (1969): *Ancient Iraq;* Penguin Books; George Allen and Unwin Ltd., U.K.

17. Saunders, J.J., (1977): *The Hisstory of the Mongol, Conquests;* Routledge and Kegan Paul, London.

18. Schisbye, Knud, (1978): *A Modern English Grammar;* O.U.P. London.

19. Scott, R.F., (1965): *Principles of soil Mechanics* ;Addison- Wesley Publishing Company, Inc., London.

20. Sears, F.W., (1964): *Optics;* Addison- Wesley Publishing Company, Inc., London.

21. Shaw, G.B., (1894): *Arms and the Man;* Longman Group, London.

22. (1898): *Preface to Plays* Unpleasant, appended yo *Arms and the Man*, Longman Group, London (1977 edition).

23. Smith, D.H.&M. I. Mech, (1955): *The Modern Diesel;* Illife and Sons Ltd.; London.

24. Ward, A.G., (1980- edition): Introduction, to Goldsmith's *She Stoops to Conquer*, Longman, London.

25. Whitling, J., (1964): *A Penny for a song;* Heinemann Educational Books, London.

26. Wilkins, D.A., (1974): *Second Language Learning and Teaching;* Edwin Arnold, London.

27. Wiseman, D.J., (1956): *Chronicles of Chaldean Kings*, London. (Quoted from George Roux: *Ancient Iraq*: 341- 342).

28. Zandvoort, R.W., (1975 edition): *A Handbook of English Grammar;* E.L.B.S.& Longman , London.

1. Allen, H.S. &H. Moore, (1965): *A Text- Book of Practical Physics;* Macmillan, London.

2. Bates, M.& E.T. Dudley (1976): *Nucleus English for Science and Technology;* Longmans, London.

3. Burton, M.S., (1956): *Applied Metallurgy for Engineers:* MacGraw Hill, New York.

R.S. Moyer, (1978): *Psychology: The Experimental Approach;* MacGraw Hill, New York.

5. Cook, J.G., (1963): *Technology;* Macdonald and co., London.

6 Dickens, Charles, (1961 edition) : *Oliver Twist;* Longman, London.

7. Golding ,William, (1954):*Lord of the Flies;* Faber and Faber, London.

8. Halliday, F.M., (1975): *The Excellency of the English Tongue;* Victor Gollanez Ltd., London.

9. Hentschel, C.C.& W.R.I. Cook, (1965): *Biology for Medical Students;* Longmans, London.

10 Ibsen, Henrik, (1974 edition): *Hedda Gabler* (Translated Michael Mayer); Eyre Methuen, London.

11. Lauri, A., (1963): *Technology;* Macdonald and co., London.

12. Marcus, A., (1966): *Physics for Modern Times;* George Allen and Unwin Ltd., U.K.

13. Millar, R.&I. Curie, (1970): *The Language of Poetry;* Heinemann Educational Books, London.

14. Praninskas, J., (1975 edition): *Rapid Reviwe of English Grammar;* Prentice- Hall, Inc., New Jersey.

TABLE-4
SEMI-SCIENTIFIC WRITING

S.No.	Text	Pure Active Sentences	Pure Passive Sentences	Mixed Sentences	Total
1.	*Psychology: The Experimental Approach* (Candland & Moyer pp. 17–23	84(55.63%)	28(18.54%)	39(25.83%)	151
2.	*Second Language Learning and Teaching* (Wilkins, D.A.) pp. 1–4	37(64.91%)	3(5.27%)	17(29.82%)	57
3.	*Linguistics* (Crystal, D.) pp. 37–38, 77–81, 158–160	91(72.80%)	6(4.80%)	28(22.40%)	125
	Total	212(63.66%)	37(11.11%)	84(25.23%)	333

TABLE-3
HISTORY

S.No.	Text	Pure Active Sentences	Pure Passive Sentenc	Mixed Sentences	Total
1.	*The History of the Mongol Conquests* (Saunders, J.J.) pp. 9–10, 73–75, 91–92, 120–128.	54(37.50%)	7(487%)	83(57.63%)	144
2.	*Ancient Iraq* (Roux, G.) pp. 247–55, 3424–53	160(62.26%)	69(26.84%)	28(10.90%)	257
	Total	214(53.37%)	76(18.95%)	111(27.68%)	401

TABLE-2

PURE LITERARY WRITING

S.No.	Text	Pure Active Santences	Pure Passive Sentences	Mixed Sentences	Total
1	*Lord of the Flies* (Golding, W.) pp. 7–9,12–13,48–17	151(89.88%)	2(1.19%)	15(8.93%)	168
2	*Oliver Twist* (Dickems, C.) pp.4–6, 15–16, 22.	55(57.90%)	9(9.47%)	31(32.63%)	95
	Total	206(78.33%)	11(4.18%)	46(17.49%)	263

TABLE-I
PURE SCIENTIFIC WRITING

No.	Text	Pure Active Sentences	Pure Passive Sentences	Mixdd Sentebces	Total
1.	*Biology for Medical Students* (Hentschel & Cook) pp.12-17,19-21,26-28.	65(37.14%)	62(35.42%)	48(27.44%)	175
2	*Optics* (Sears. F.W.) pp.4-11,14-15.	77(4031%)	79(4136%)	35(18.33%)	191
	Total	142(38.80%)	141(38.52%)	83(22.68%)	366

assumption, that the active –voie sentences are *the* normal mode of expression in English and that passive sentences are *merely* an alternative way of expressing the meaning of the active sentences.

IV.5. The passive voice is certainly much more than a mere stylistic variant of the active voice. So we recommend that the passive voice be taught in its own right and not as a mere conversion exercise. The most effective way of teaching the passive construction is not by way of conversion exercises from active, but by giving adeguate practice and drill in the use of the passive voice itself. The 'situations' in which the passive is the preferred form should be 'recreated' with the help of the text–book, charts, pictures and other audio–visual aids and the learner encouraged to describe the events the way he feels about them so that the use of the passive voice comes 'naturally' to him. His utterances must be not only grammatical but also situation–related. Grammatical competence in the absence of communicative competence is incomplete.

IV.6. Since four out of every five passive–voice sentences have unspecified agents, the teacher and the text–book writer should encourage the learners to omit the 'agent' in all those situations where mention of the 'agent' is unnecessary. The teacher's frequent insistence that learners mention the 'agent' in all passive – voice sentences leaves many sentences produced by the learners awkward and clumsy.

(c) It is possible to list certain'situations' in wh c ih the passive form is the more favoured–and sometimes the only possible–form of expression. Several such 'situations' which were identified in this study have been listed, illu strated and documented in this paper.

IV.2. Our analysis of the various kinds of texts shows that the passive is frequently used in informative writing, notably in the objective, non–personal style of writers of scientific texts. Our analysis shows too that 'pure scientific wr iting' like biology and optics (See Table–1) which aims exclusively at imparting information contains 38.52% passive voice sentences as compared with 'pure library writing' (fiction, see Table–2) which has barely 4.18% passive–voice sentences.

IV.3 The present study, however, shows that the major stylistic factor determining the frequency of the passive voice is related to the distinction between informative and imaginative prose and not to a fifference of subject matter alone though the subject matter of a text does have an important bearing on its style. Thus in the two books of history which we analysed, the freqency count of the passive varies from 7/54 (4.85%) in *The History of the Mongol Conquests* to 69/257 (26.84%) in *Ancient Iraq* (See Table–3). Likewise, there are wide variations to be seen within the texts of 'semiscientific writing', In *Psychology*, the use of the passive is 18.54% as compared with *Second Language Learning and Teaching* and *Linguistics* in which case it is 5.27% and 4.80% respectively. (See Tabl8–4) .

IV.4. For the classroom teacher and the text–book writer, we wish to emphasize that it would be far from proper to give the learners the imprcession, or proceed on the

106. An observer within the Umbra cannot see any part of the source, one within the penumbra can see a portion of the source, while from points outside the penumbra the entire source *can be seen*. (Sears, F. W., 1964: 8–9).

107. Although the prime function of lexical words is to convey the notional meaning, most of such words, especially when *used* in poetry, *can be made to do* other work as part of their total meaning. ((Millar, R. and I. Currie, 1970:53).

108. He went on among the creepers until he reached great mat that *was woven* by the open space and crawled inside. (Golding, W., 1954: 146).

III.iii.6 The 'situations' which prefer the use of the passive, as enumerated and documented above, are not rigid water–tight compartments. Indeed one can see that some of the illustrations used for one 'situation' could well be usel to illustrate another. This is because the world of experience is fluid and the factors which impel the choice of the passive are often multiiplex.

IV. CONCLUSIONS:

IV.1 We have tried to demonstrate that it is wrong to assume that the passive construction is a *mere* conversion form or appendage to, the active voice which is sometimes wrongly believed to be the normal, natural form of expr ession. Our contention is based upon the following arguments:

(a) Not all active-voice sentences can be passivized, and vice versa.

(b) An active–voice sentence and its passive voice conversion do not *always* mean the same.

100. They *could* only *be solved* by a process equivalent to the use of quadratic equations. (Roux, G., 1969: 330).

III.iii. 5b. *When a primarily transitive verb is used as a causative*: The passive is the preferred form when a primarily transitive verb is sought to be used as a causative. Consider the following illustrations:

101. A dog *should be walked* regularly twice a day.
Special buses *will be run* at the week-end.

103. The baby *must* not *be stood* in the window.

Documented Examples:

104. Scepter and crown
Must tumble down,
And in the dust *be equal made*.
With the poor crooked scythe and spade.
(Quoted from Millar, R., and I. Currie, 1970: 67).

III.iii.5c. *When the passive voice is used in alternation with active voice clauses or sentences*: Exclusive use of one voice may introduce an element of monotony in a piece of writing; and the two voices are used alternatingly for the sake of variety, if for no other reason. Even a writer on a scientific subject whose primary aim is to 'inform' and not to 'move' makes a frequent use of the two voices in a mixed form.

Documented Examples:

105. There shall occur at some stage in the life history of a mechanism whereby the number of chromosomes is halved. By the fusion of gametes, the zygote receives half of its chromosomes from each of its parents so that the double number *is restored*. (Hentschel, C. C. and W. R. I. Cook, 1965: 28).

93. In one kind of building, the parts *are made* of light, flexible materials. (Bates, M. and E. R. Dudley, 1976:110)

94. About two hundred vestigial structres *are to befound* in the human body. (Hentschel, C. C. and W. R. I. Cook 1965: 689).

III.iii.5 *Linguistic Situations*: The 'linguistic situations', referred to in III. iii, identified in this study are: (a) when the 'agent' is represented by a heavily modified noun group or clause, (b) when a primarily transitive verb is used as a causative, and (c) when the passive voice is used in alternation with active-voivce clauses or sentences.

III.iii.5a. *When the the 'agent' is represented by a heavily modified noun group or clause too unwieldy to be used in the subject position*: This observation finds confirmation in the following remark of Quirk et al. (1973:944):

"A finite clause as subject is readily avoided by switching from the active to the passive voice". e.g.

A few illustrations follow:

95. The door *was opened* by one of the loveliest girls I have ever seen.

96. My fractured leg *was operated* upon by Dr. Williams who is decidedly one of the top surgeons in the country

97. We *were outwitted* by an enemy who was not only vile and treacherous but also numerous in strength.

Documented Examples

98. This *may be accomplished* by the insertion of an erecting lens system between the objective and ocular. (Sears, F. W., 1964: 147).

99. The room *is lighted* by a candle on the chest of drawers, and another on the dressing table with a box of matches beside it. (Shaw, G. B., 1977 edition: 15).

III.iii.4b. *In stage-directions*: Passive voice sentences are very common in the lengthy stage directions characteristic of modern drama:

Documented Examples:

86. The small room *is illuminated* by the hanging lamp over the table. The curtains are drawn across the French window, ...

A few chords *are heard* from the piano. (Ibsen, Henrik Translated Michael Mayer, 1974 edition: 100).

87. In the middle, a small table, with two bent wooden chairs at it, *is laid* for breakast... but the cups *have been* used and the bread *broken*.(Shaw, G. B., 1894:Act II. ii. 13-16).

88. At the moment, the curtains of the the house are drawn but when, later in the day, they *are withdrawn*, a view *is given* into a parlour and a dining room. There is a front door *surmounted* by an elegant fan light. (Whitling, J., 1964:1).

III.iii.4c. *In descriptions of part-whole relationship*: Consider the stylistic ease with which a part-whole relationship is shown in the following passive voice sentences:

89. X-rays *are emitted* by radio-active substances.

90. A filter *is made* of porous material.

Documented Examples :

91. Nerve tissue *is composed* of two elements, nerve cells and nerve fibres (Hentschel, C. C. and W. R. I. Cook, 1965:536).

92. The sweat glands *are found* in the skin of some mammals. (Hentschel, C. C. and W. R. I. Cook, 1965: 522).

81. For my part, I have no doubt that the commercial limits *should be overstepped*, and that the highest prestige... *should be attained*, in the theatrical management. (Shaw, G. B., 1898: VII).

III.iii.4 *Description-related situations*: The passive form is frequently employed (a) when it involves description of a process, or (b) in lengthy stage directions, or (c) in descriptions of part-whole relationships.

III.iii4a. *In describing a process, convention or practice*: In such descriptions, the use of the passive voice appears very common. A Hindu wedding ceremony can be described as follows:

82. ... a sacred fire *is lit* and the bride and the bridegroom *are made* to move around it seven times. Incantations from the scriptures *are chanted* by the holy priests.

Documented Examples:

83. The turbo jet engine *may be started* by directing a stream of compressred air into the intake duct. Commonly however, it *is started* by means of an electric tarting motor. (Marcus, A., 1966: 225).

84. Another broad-survey method of prospecting *was started* for the first time during World War II, when an instrument *called* a magnetometer *was used* to detect submarines ... The vast titanium deposits in Quebec *were detected* in this way. (Cook, J. G., 1963: 72-73).

85. The most universally used casting method *is called* 'sand' casting', a process utilizing silica into which the metal *is poured*, with a clay-binder *used to hold* the individual grains of silica so that the sand *can be molded* into shape. (Burton, M.S., 1956: 145-46).

tion from this visible experience. Little of the vocabulary of this book *can be associated* directly with features of the physical world . (Wilkins, D. A., 1974: 20).

III.iii. 3c. *When attention is focussed on what would be a direct object in an active-voice sentence*: In this 'situatuion' , the direct object is usually a thing, not a person. Quirk et al. (1973: 56) describe this phenomenon as a sentence process wherein "the element 'object' may be permitted to become 'subject' in a focus-shifting process involving the passive voice".

Here are two illustrative examples:

76a. Active: The King promised *pardon* to the accused.

76b. Passive: *Pardon* was promised to the accused by the King).

77a. Active: They never accorded *an honour such as this* to a woman.

77b. Passive: *An honour such as this* was never accordd to a woman.

Documented Examples:

78. Blood *is supplid* to the alimentary canal from the ventral vessel. (Hentschel, C. C. and W. R. I. Cook, 1965: 321).

79. The familiar automative engine *might* well be considered when thinking about the value of the casting method (Burton, M. S.; 1956: 144).

80. His armies wait for his signal and then when it *is* they will pour from the tunnel in their thousands. (Whitling, J., 1964: 64).

70. Before chemicals *are stored*, the bottles *should be* clearly *labelled* .... When acids *are diluted*, the acid *must be added* to the water.... When electrical parts *are unscrewed*, the screw-driver *must be insulated*. (Bates, M. E. R. Dudley, 1976: 100). (Directions).

71. No c rrosive liquid *should be allowed* inside the balance except in a securely stoppered vessel, and all vessels containing liquid *should be wiped* clean before *being put* on the scale pan. (Allen, H. S. and H. Moore, 1965:15). (Prohibition and Direction).

III.iii. 3b. *In scientific writing, to help the writer maintain an air of objectivity*: This is true of serious scientific writing in general. In our analysis of purely scientific texts, we came across a total of 141 'pure passive' sentences as against 142 ' pure active ' sentencs. (See Table - I).

Documented Examples:

72. The effect *is known* as 'dispersion' and *will be discussed* in Chapter 2. (Sears, F. W., 1964: 17).

73. In the preceding discussion, the term 'light' *has been used* in a purely objective or physical sense (Sears, F. W., 1964: 3).

74. .... The last section *has been concerned* with the neuron, the nerve and conduction. The process of conduction *is* only a poorly *understood* process, by which graded and action potentials *are translated* into action behaviour. (Candland, D. K., and R. S. Moyer, 1978: 48).

75. The relation to the non-linguistic world is evident in those words which *can be used to refer* to things, processes, qualities and so on. But it *must* not *be forgotten* that a good proportion of our vocabulary is an abstrac-

Documented Examples:

64. By the middle of the century, English *had been so simplified* by its humble speakers that the upper classes were becoming bilingual. (Halliday, F.M., 1975: 70).

III.iii.3. *Intention–related situations:* the passive is frequently used (a) in formal, usually written, statements containing prohibitions, directions, instructions, requests etc., or (b) in scientific writing, to maintain an air of anonymity, or (c) when attention is focussed on what would be a direct object in an active–voice sentence.

II.iii.3a. *Infformal, usually written, statements containing prohibitions, directions, instructions, requests etc. for greater effect:*

The use of the passive form often lands an air of urgency, objectivity and politeness to an utterance. We find the passive voice used to such effects in the following examples:

65. You *are requested* not to come late tomorrow. (Objective but polite).

66. Boys *are required* to come to school in uniform. (Direction).

67. Students are *forbidden* to smoke in the examination hall. (Prohibition).

68. You are expected to drive carefully on a narrow bridge. (Instruction.)

Documented Examples:

69. During the interval, martial music of an heroic nature *should be played* (Whitling, J., 1964-edition: 'Note' at the end of Act I). (Instruction).

57. Oliver *was deported* in the old calico robes, ... he *was badged* and *ticketed*, ... the half- starved drudge *to be cuffed* and *buffeted*, ... *despised by all* and *pitied by none*. (Dickens, Charles, *Oliver Twist*, 1961 edition: 4).

58. Thousands of Jews *were deported* with their King... A native governor *was apponted* over Judah. Jerusalem *was looted*, its walls *were broken* round about and the House of the Lord, the temple that Solomon had built, *was burnt* down. (Roux, G., 1968: 345).

III.iii.2b. *When the work, or action, is better known than, or as well known as, the performer*, especially "in situations of social and historical significance, when the work resulting from the action is as well or better known than the performer, as in the case of famous music, writing, painting, and inventions". (Praninskas, J., 1975 edition: 298).

The following event is better described in the passive–

59. The satellite Aryabhat *was sent* into orbit by a team of Indian scientists.

The illustrations which follow are from Jean Praninskas, 1975: 298):

60. *Romeo and Juliet was written* by Shakespeare.....

61. 'The Monn Light Sonata' *was composed* by Beethoven.

62. 'The Mona Lisa' *was painted* by da Vinci.

63. The electric light bulb *was invented* by Edison.

50. The motive power *is produced* by igniting above the piston in each cylinder a mixture of gasoline vapour and air. (Smith, D. H., and M. I. Mech., 1955:25).

III.iii.2 *Action–related situations,* in which the passive is the more frequent form, are:
(a) when an action undergone by the subject is forced or involuntary, or (b) when the action or the work done is better known than/as well known as the performer.

III.iii.2a. *When an action undergone by a subject* is *forced or involuntary,* the subject is semantically so 'weak' that its mention as the subject of an active–voice sentence is rendered superfluous. Consider the following illustrative examples:

51. He *was demoted.*

52. He *was done* to death.

53. Several men *were drowned;* their bodies *were washed* ashore.

Documented examples:

54. If organic material, such as beef broth, *is boiled* several times, the bacterial spores *are killed.* (Hentschel, C. C. and W. R. I. Cook, 1965: 674).

55 The experimenter is *forced* to know what *is meant* by a concept. (Candland, D.K. and R. S. Moyer, 1978: 17).

56. A great attack they made against the city and in the month of Ab (July–August), the city *was captured,* a great defeat of the chief *was made.* On that day, Sin–Sharinskun, the Assyrian King *was killed.* (Wiseman, D. J., 1956: 59)

41. Since plays *are written to be acted,* it is when they *are acted* that they become fully understandable (Ward, A. C., 1980, XX).(Written by pl/4–wrights, and acted by actors, of course!)

42. ... the word 'time' *is* likely *to befound* in conjunction with such verbs as 'spent', 'passed', 'wasted' or 'frittered away'. (Millar, R. and I. Currie, 1970, 43). (By listeners and readers, of course!)

43. The decrees of the Turkish Kaghan *were obeyed* over the Eurasian steppes from the Great Wall of China to the Black Sea. (Saunders, J.J., 1977: 18). (By the Kaghan's vassals and subjects, of course!).

In connection with the three 'situations' hitherto listed, it is interesting to note that "approximately four out of five English passive sentences have no expressed (surface) aget". (Quirk, et, al, 1973: 807)

III·iii·I·d When the *'agent' is inanimate or instrumental,* the passive is almost always the preferred form, e.g.

44. The door *was opened* with a key.

45. The City of Quatta *was razed* in an earth–quake.

46. He *was killed by* the accidental firing of a gun.

47. The pilgrims *were overcome* by thirst and fatigue.

Documented examples:

48· The garden *is bound* on one side by the house, on a second side by a low Wall. (Whitling, J., 1964: 11.4–5).

49. Under the pressure of material deposited later on and at increased temperature, the soil particles *may* in turn *be cemented* to form a new rock. (Scott, R. F., 1965: 2).

35. Graphite used in this way *is called* a moderator.
(Lauri, A., 1963: 60).
(The 'agent' in the above is obviously 'scientists').

36. Indeed, Mesopotamian science *has been called*, somewhat derisively, "a science of lists". (Roux, G., 1969:328).
(It is undesirable to state the 'agent' in the above).

III.iii.I.c. *When the 'agent' or the performer of the action is implied in the context and is, therefore, obvious:* This 'situation', which partly overlaps the one foregoing, renders the necessity of specifying the 'actor' redundant. Knud Schibsbye observes:
"The commonest use of the passive, however, is the cases where the agent is unspecified, because this member is clear from the context".
(Schibsbye, K., 1978:53).

The following three sentences will serve as illustrative examples:

37. Potatoes *are eaten* all over the world. (By human beings, of coursell)

38. Khalid *has been promoted* to the next class. (By the school authorities, of course) .

9. 3 The murderer *has been arrested*. (By the police, of coures!)

Documented examples:

40. Many structures *are known* in which a large number of nuclei occur together without any cell walls. (Hentschel, C. C. and W.R.I. Cook:1965:26).(Known to Scientists, of course!)

29. While administrative and commercial documents (of the scribes of ancient Ninevah) *were* usually *stored* in jars or baskets, literary tablets seem *to have been stored* on shelves . (Roux, G., 1969: 324).

30. It was in temples like those of Uruk, sippar, Babylon and Barsippa that the Sumero- Akkadian culture *was preserved.* (RouG.i 1969 : 381).

III.iii.Ib. *When it is either unnecessary or undesirable to the agent* for some reason, the passive form is used e. g.

31. some window- panes *have been broken* in the classroom.

32. Several cars *were set* ablaze in yesterday's riots.

33. This difficulty *can be avoided* in several ways.

Documented examples:

(To the student of history, it is well know that cyrus II, King of Persia and Media attacked Babylon in 539 B.C., Belshazzar, King of Babyloia was killed in action at Opis, and Babylonia fell. Consequently, it is unnecessary to mention that Cyrus II is the 'agent' in the following lines-).

34. Far from *being destroyed,* as its rival Ninevah *had been,* Babylonia *was treated* with utmost respect. From the first day of the Persian occupation (12 October, 539 B.C.) care *was taken* not to offend the Babylonians in any way, and every effort *was made* to resettle them... the gods of Sumer and Akkad *were reinstated* in their chapels, ,... and even the gods of Assyria once *taken* captive by the Medes *were returned.* (Roux, G. 1969: 352-3).

III.iii.I *Agent- related situations:* when the agent is left unspecified because (a) it is not adequately known, or (b) is not really necessary or desirable to specify, or (c) is obvious in the context itself, or (d) is inanimate or instrumental.

III.iii. Ia *when the agent (or actor) is not adequately known,* it has to be left unspecified necessitating the use of the passive voice, as in the following:

23. A burglary *was committed* last night (By whom?- we don't know).

24. This house *was built* 300 years ago (By whom?- we don't kow).

25. The door *has been* 'left open. (By whom?- we dont know) .

Documented Examples:

26. In plants, cell division *is localized* (I) into certain parts of the body, whereas in animals it *may be scattered* throughout any but the most specialized tissues. (Hentschel, C.C. & W.R.I. cook, 1965 27).

27. 'Beowulf' *was composed* in the synthetic language of the Anglo- Saxon invaders of Britain. (Halliday F. M. 1975: 96) .

28. There are several gaps in our knowledge of the military hierarchy... The battles *are* invariablty *described* in vague though colourful terms, so that we *are left* in dark as to the tactics *applied*. (Roux, G., 1969: 316).

I *ALL underlinings in documented examples are by the writers of this paper.*

21b. Five hundred persons *are held* by/ in this theatre.

22a. I alone *will* not *serve* two masters.

22b. Two masters *will* not *be served* by me alone.

It is clear that while sentence 17 a denotes ability , 7b denotes possibility. Sentence 18a means that" there is nothing worth seeing here", but 18b suggests that "nothing is (seen) here". sentence 19a implies that the statement has already been given, but sentence 19b might indicate that the statement in question is being sought. sentence 2Oa suggests that "we were poor to the extent of bankruptcy", but 20b means that there was nothing (available) there which we could have". In 21a there is a description of merely the seating capacity of the theatre- and nothing more-, but in 21b the theatre is given the undertone of a prison camp. From 22a to 22b there is a distinct shift of volition; in 22a the volition is clearly on the part of the subject: I:, but in 22b the volition is ambiguous- it could be on the part of the subject 'two masters' or on the part of the agentive 'me'.

III.iii The present analysis of texts of varied disciplines brings home the conclusion that in certain identifiable 'situations' the passive appears as the natural, preferred mode of expression. Some such 'situations' which were identified in this study were found to be 'prangmatic' in nature and could be variously seen as agent- related, action- related, intention related and description- related; the other 'situations' identified here could be described as 'linguistic'.

All these 'situations' have been listed and documented below.

---

(1) *For details of texts analysed see Tables 184*

5a. We had a nice view of the lake.
5b.* A nice view of the lake was had by us.
6a. They lack understanding.
6b.* Understanding is lacked by them.

In fact, many active-voice sentences do not just yield to the passive transformation, e.g.;

7. The point of your remark aludes me.
8. These shoes do not fit me.
9. This house doesn't suit a large family.
10. The boy resembles his father.
11. Such a conduct dosen't behove you.
12. A happy adventure befell him in Baghdad.

Likewise, Some passive- voice sentences have no active transformation, e. g.;

13. He was born in Baghdad
14. Hamurabi was known to be an able administrator.
15. This notion is based on amisconception.
16. Hundreds of men were killed in the riots.

III. ii As *stated*, in some cases, an active -voice sentence and its passive- voice conversion do not carry *the same* meaning. Consider the following sets of sentences:

17a. He *can climb* this tree.
17b. This tree *cane be climbed.*
18.a. There is nothing *to see* here.
18.b. There is nothing *to be seen* here.
(Zandvoort, R.E.; 1975: 57).
19a. Your statement *interests* me.
19b. I *am interested* in your statement.
20a. We *had* nothing.
20b. There was nothing *to be had.*
21a. This theatre *holds* 500 persons.

II. ARGUMENT

While it cannot be denied that active and passive voice sentences are related, it would be wrong to look upon active voice sentences as *the* basic form and the passive as a *mere* transform for the following reasons:

i. It is not *always* possible to transform every activə–voice sentence into passive and vice–versa without seriously violating some rule(s) of syntactic acceptability or of semantic congruity.

ii. In some cases, an active–voive sentence and its passive–voice conversion do not carry *the same* meaning

iii. It is possible to identify certiain'situations' in which the passive voice appears as the natural, preferred mode of expression. (The term 'situation' here has been used in a broad sense so as to include both linguistic and pragmatic situations).

III. III. DISCUSSION

III.i Quite a few active–voice sentences, if forced into passive conversion yield specimens of English which a native speaker might pronounce as queer if not outright unacceptable; e.g.,

1a. I changed my shoes.
1b.* My shoes were changed by me.
2a. The lovers kissed each other.
2b.* Each lover was kissed by the other.
3a. The man hurt himself.
3b.* Himself was hurt by the man.
4a. We can't afford a new car.
4b.* A new car cannot be afforded by us.

THE SITUATIONAL USE OF THE PASSIVE IN ENGLISH

SURENDRA KUMAR SHARMA **JUMAH KAREEM HAMEED**

College of Education
University of Mosul

1. AIM

This paper seeks to present a 'new' pedagogic outlook on the passive voice in ELT (English Language Teaching). It is' new' in the sense that it partly rejects, and partly complements the conventional method of teaching the passive voice as a *mere* conversion exercise from the active(1).The conventional method undeniably imparts a knowledge of the grammatical rules of passive formation; what it f ails to provide is the communicative competence or an ability to make passive utterances situation–related.

---

(1) Such a view has unfortunately been reinforced by some of the generalised statements in pedagogic grammar books which give the impression that an active–voice sentence need only have a transitive verb in order to qualify for conversion into the passive form, e.g., "Practically all verbs which can be used transitively can be constructed in the passive voice, even verbs whose transitive use must be said to belong to the peripheral area of the verb". (Schibsbye, knud, 1978: 54). "Clauses containing a noun phrase as object are distinguished by their ability to be converted into passive clauses, the object noun phrase assuming the function of subject". (Quirk, R., S. Greenbaum, L. Leech and J. Svartvik, 1973: 346).

CONCLUSION

In this paper we have attempted to show that there are some syntactic structures of informal conversational English which cannot be easily analysed in terms of clause elements at all such as Social Minor sentences. Other syntactic structures may be analysable in terms of clause elements of S V, but they have very restricted possibilities of structural change such as stereotypes, comment clauses and tag questions.

REFERENCES

1. Bloomfield L. (1933) *Language*, Ruskin House.
2. Chomsky N. (1965) *Aspects of the Theory of Syntax* M. I, T press Cambridge MassaChaussettes.
3 Crystal D & Davy D. (1975) *Advanced Conversational English*, Longman.
4. Lyons J. (1968) *Introduction to Theoretical Linguistics* Cambridge Univ. Press
5. Corder S. Pit (1974) "Error Analysis" in Allen J B P & Corder SP (editors) *Techniques in Applied Linguistics* (Edinburgh Course III) Oxford Univ. Press.
6. Quirk R, Greenbaum S, Leech G, Svartvik J, (1972) *A Grammar of Contemporary English*, Longman

7.2. Responses of the kind:

2.41-42 A: We don't seem to have very much WOOD
B: YES THAT'S a POINT. YES - - (M).

where the response is not explicitly solicited.

In this type the response may be in total or partial agreement or disagreement with the preceding statement If the disagreement is total the response may be repeated with reinforcing effect as in 2 .41-42 above. But if the disagreement is only partial, the response may be modified by what follows as in:

1.41-44 C: You KNOW I (thought they (ALWAYS had these 'wooden benches and STANDS and that
B: YEAH but they've been getting WORSE

At times in the data we find multiple expressins of agreement. Minor social sentences of the response type are used in turn by each speaker as in:

2.55-58 B (YES)
A: (YES)
B: (YES)
A: (YEAH

7.3 Interjections:

These are emotive words like Oh, ah, ugh, phew, ooh· Interjections are found inserted into the flow of the speaker's speech in the data. They may also be uttered simultaneously with the speaker's speech by the listener as a comment.

These interjectioms are used sometimes to indicate the meaning of unfinished or incomplete sentenes as in:

I. III I'd never BEEN BEFORS. COR – COR the CROWDS . OOH.Here the interjection (OOH) helps us to recover the ellipted structure such as for example the words (were terrible).

The meaning of the four types above is interpreted according to the distinction Quirk et al make between "assumption" (expressed by the statement) and the "expectation" (expressed by the question). He characterises the four types as follows:

1. Positive assumption + Neutral expectation
2. Negative assumption + Neutral expectation.
3. Positive assumption + positive expectation
4. Negative assumption + Negative expectation

"The tag with a falling tone invites the listener for confirmation about the statement ." Quirk et al also note that it "has the force of an exclamation rather than a genuine question." Thirteen out of nineteen tags in our data are of this type. In other words, tags with falling tones are dominant in our data.

In the data there are three tag questuions with both the statement and the tag positiv. They are:

2.54They had a village one DID they.

3.109 you you' ve read SCOOP HAVE you.

4.8 di the children SAW it DID they .

We notie here that the tag-quection does not form a separate tone unit . The tag is part of the statement's tone unit. Quirk et al (p.392) note that "this type of tag question is less common". This is also evident in our data: only three out of nineteen were of this type.

7. The other type of minor sentences found in our data is SOCIAL SENTENCES.

SOCIAL SENTENCES are of the following types:

7.1. Responses of the kind :

2.54-55 A : they had a VILLAGE one DID they
B: YES

where the response comes after an utterance which explicitly solicits it.

6.3 TAG-QUESTIONS

They are another type of constructions which are not immediately capable of analysis into S,V,O,C,A clause elements. In our data there are (19) instances of tag-questions. A tag-question usually comes at the end of a statament to make a negative or positive orientation, on the part of the speaker The operator (auxiliary) in the tagquestion is the same as the operator of the statement to which the tag is appeneded. "The nuclear tone of the tag occurs on the operator and is either a rise or a f all". (Ibid, p.390).

This corresponds to the findings in our data. All the instances we have are either with falling or rising tones.

Quirk et al (p.391) also distinguish four main types of tag-questions which can convey positive or negative orientation.

	RISING TONE (I)	FALLING TONE (III)
POSITIVYX NEGATIVE	He likes his JOB, DOESn't he? (Quirk) 2.5 that was a bit EARLY WASN'T it? (data)	He likes his JOB, DOESN't he? 8.73 They can SWIM CAN'T they MICE

	RISING TONE (II)	FALLING TONE (IV)
NEGATIVE+ POSITIVE	He doesn't like his JoB, DOES he? (No example of this type was found in the data.)	He doesn't like his JOB, DOES he? 1.38 they never DO these grounds UP DO they

do not influence in any way the construction which precedes or follows, unlike a construction such as–*I remember* which may determine the pattern of the following construction e.g. 8.83 I re member my BROTHER trying to drown a MOUSE or 3.25-26 I remember for the first TIME seeing.

Here *I remember* can not be omitted without affecting the meaning of the above utterances. However, *I remember* is not used in this way in all cases, e.g.
3.13-14 I REMEMBER . We'd been on HOLIDAY We'd taken a school 'trip to ITALY .

Here *I remember* can be omitted without any consequences for the meaning of what follows it. It can even be replaced by *you know*, *you see*.

I mean and *I tkink* differ from *you know* and *you see* in that they have a litaral meaning. Generally, *I mean* is followed by an explanation given by the speaker, and *I think* is used for making general conclusions. These two constructions behave more like comment clauses in that they are "somewhat loosely related to the rest of the clause they belong to and may be classed as disjuncts or conjuncts. In general, they may occur initially, finally or medially, and have separate tone units". (Quirk et al 1972 p. 778).

A study of the distribution of these comment clauses in our data showd that *I mean* occurred (37) times. It took an initial position in (33) utterances, and (4) in medial positions It never occurred in final positions. *I tkink* occurred (11);(8) times initially, twice medially and only once in final position.

You know is very common in our data. It occurred (66) times. It is also very comon in f inal position where it took place (38) times, (19) times initially and ten times medially.

You see is also very common in f inal position where it occurred (18) times out of (20) utterances.

We now propose to discuss the material which was not capable of analysis into any of the S, V, O, C, A, elements of clause structure.

6. MINOR SENTENCES .

Two types of minor sentences were found in the data, stereo types and social sentences.

6.1 STEREO TYPES:

The stereo type sentences found in the data tend to have a fixed S V pattern. But they lack the potentiality for structural changes as major sentences. e. g.

12.6. (Dave said well' there you ARE you SEE)

There you are can be analysed as there +S+V. But the negative transformation is unacceptable : * * *there you are'nt.* Or the interrogative *Are you there?*

Another example of fixed pattern minor sentence is 8.26. (BLOW ME DOWN)

This has an imperative form, but does not have the structural potentialities of a command. Again the negative transformation gives a different meaning *Don't blow me down*. This can only be interpreted literally .

6,2 –*You know, you see, I mean, I think*, are other types of construction which pose certain problems. It is possible to analyse them in terms of S V. Quirk et al call them (1972 p.778) 'comment clauses' , and Crystal and Davy (1975 p.92) call them 'softeners'. The latters also consider this type as having a connective function in the utterance. They also note that the function of such utterances is 'largely stylistic'. Quirk et al (972 p. 779) regard these utterances with first and second person subject as ' "stereo typed conversation fillers". They have a fixed pattern i.e. the tenses cannot be changed. They

In this respect, Bloomfield says that"when a speaker hesitates, English and some other languages offer special parantthetic hesitation forms as [a] or [3] in Mr — er— Sniffin or Mr what you may call him — Sniffin or that — thingamagic — transmitter." (Bloomfield 1933 p. 18)

In our data there are obvious examples of hesitation. Some of them are of the following types:

1. Repetition of a sound smaller than the morpheme. e.g.

3.12 but er———th (that was A NOTHER thing)).

2. A whole morpheme may be repeated:

2.24 ——— but erm ——— I I . I ban all BANGORS.

3. Intrusive sounds : e.g. e, er, erm, m as in:

13.5 It is the money (thats erm —— being CHARCHED.

4. Some sentences are broken off abruptly and not completed:

3.108/112 and how the whole 'thing' blows ' UP ((rather like have you have you read scoop. HAVE you.

All these hesitation phenomena mentioned above are discarded from the analysis.

5.1 Also discarded from analysis are the utterances which were produced by the listener while another person was speaking. These are agreement noises and short responses. (In the book the authors print them in brackets within the speakers utterances. e. g.

4. 34-35 (YES) TYPEWRITERS)). (BABIES) (B:well YES) QUITE) dead CATS ((COAL)).

6.2. The remaining data was analysed using the method outlined above.

4.2. INTONATION SYMBOLS.

The transcribed data published in Crystal & Davy's book makes use of the following prosodic (Op. Cit. p.17) which we adopt in our paper.

Table of Prosodic Features:

tone–unit boundary
first prominant syllable of the tone unit
Falling tone
rising tone
level
rising–falling tone
falling–rising tone
fall–plus–rise (on separate syllables)
the next syllable is stressed
the next syllable is stressed and also steps up in pitch
extra strong stress

pauses, f rom brief to long.

RESULTS :

In this study a distinction was made between complete and incomplete sentences. In the category of incomplete sentences there are some unfinished sentences because of interruption or hesitation .These are discarded because they are features of performance, as Pit Corder notes (Pit corder 1974 P. 123) that

" some ill-formed utterances appear to be false starts or re-structurings of what the speaker wants to say. Native speakers' slips of the tongue or lapses are a field of research at the present time since it is believed that they will yield important evidence about how utterances are planned and executed. This is part of the psychological and neurological research into language performance."

The vocative is another possible element of sentence structure:

ex, Vocation+ S V Oi Od   Ali, I sent you a message.

Thus, in our analysis, any structure is a major sentence if it can be analysed into any of the elements above.

3.4 Minor sentences normally lack the above patterns which are characteristics of the major sentences. Even if they have the S V structure, this structure is fixed and cannot undergo the changes and modifications that are characteristic of major sentences. Minor sentences are classified into Social and Stereotyped sentences.

3.5. SOCIAL sentences have a social function. They may be clauses for greeting, thanking, e.g. Goodbye, Pardon? They may be interjections: e.g. Oh! Jah; or vocatives, e.g. John !; or responses, e.g. Yes, No, Mhm.

3.6. STEREOTYPED minor sentences may be formulae, i.e, restricred patterns: 'Down with Smith,' 'How do you'; or aphorisims, e.g. 'the sooner the better', 'the more the merrier'; or learned utterances, e.g. 'Jack and Jill went up the hill' or they may be block language, e.g. ' No Smoking ', 'Exit'and newspaper headlines.

4.£ NON-SEGMENTAL PHONOLOGY.

In their book Crystal & Davy presented the recorded material by dividing it into tone units . They were faced with the problem that tone units are not in one-to-one correspondance with syntactic units. This is a well-known problem in grammar books. Quirk et al (1972 p.937) note that "a sentence has at least one tone unit, and it is common for a tone unit to extend over a single (non-superordinate) clause.

come from different parts of the U.K., but they all live in the SOUTH. Most of the males are teachers while the females are mainly housewives . The most important thing here is that these participants were unaware of the real task of the experiment which the authors carried out i.e, to obtain informal conversational English. The participants were invited by the authors on a special occasion. The authors placed a visible tape recorder. They switched it on, and asked their guests to recite the alphabet! The tape recorder was then visibly switched off while the microphones remained connected to another hidden tape recorder in the adjacent room! .

3. AIMS AND METHODOLOGY :

3. I the aims of our syntactic analysis are to analyse each data into clauses with elements S,V,O,C,A or some of these elements first, and to find out and discuss structures which cannot be accounted for in these grammatical elements.

3. 2. PATTERNS OF SENTENCE STRUCTURE:

In our data the sentences can be generally classified into two groups: major and minor.

3.3. MAJOR sentences have a subject-predicate structure. MINOR sentences lack this structure. MAJOR sentences can be of the following types:

S	V			Ali is playing.
S	V	O		They visited him.
S	V	Od	Oi	I gave the money to him.
S	V	Oi	Od	I gave him the money.
S	V	C		She is a doctor.
S	V	O	C	We made him a chairman.
S	V	O	A	I met him at the station.
S	V	A		He came late.
S	A	V	O	I soon found her.

comes in the definition in a relatively satisfactory way. But they say that 'agreed' is used "to discount brief interruptions agreement noises and so on, which only temporarily interrupt the flow".

1.3. ACCEPTABILITY and GRAMMATICALNESS

are another pair of needed terme here. Chomsky defines as 'acceptable' "utterances that are perfectly natural and immeediately comprehensible without paper and pencil analysis, and in no way bizzare or outlandish. (Chomsky 1965 p.10)

He goes on to say that"the more acceptable sentences are those that are more likely to be produced, more easily understood, less clumsy, and in some sense more natural." (Ibid 1965 p.11)

Chomsky considers acceptability as belonging to the study of actual individual speech (performance), while grammaticalness belongs to the study of the abstract language system (competence). Grammaticalness is also considered as only "one of many factors that interact to determine acceptability. "They are relative matters, "but the scales of grammaticalness and acceptability do not coincide." (Chomsky 1965 p. ll) .

2. THE DATA :

The data used in this paper is that collected by Crystal & Davy in their book "Advanced Conversational English". The data is available to us on the tape of about 35 minutes and is also transcribed in the above mentioned book. In the data there are (15) extracts of genuine conversational English.

In their book the authors describe the method they used for collecting the data . They talk about the participants who were friends of the authors. These participants

1.1 Conversation:

This term has been variuosly defined . We feel that the definition given by Crystal & Davy (1975 p. 86) suits our purpose best. According to them conversation is "any stretch of continuous speech between two or more people within audible range of each other who have the mutual intention to communicate, and bounded by separption of all particip - ants for an extended period of time".

They define *informol conversation* as : "Conversation on informal occasions , between people who know each other, where there is no pressure from the outside for them to be self-conscious about how they are speaking. (Ibid, p.2)

1.2. UTTERANCE

This term has also been variuosly defined. To De Daussure it is "stretches of parole produced by native speakers out of sentences generated by the system of elements and rules which constitute the langue." (Lyons 1968 p.176).

To Z. Harris it is "any stretch of talk, by one person , before and after which there is silence on the part of that person. (Ibid. p.172).

There are problems with these definitions. De Saussure does not tell us where an utterance begins and ends. Harris does not tell us how long should a period of silence be. for these reasons we adop the definition given by Crystal & Davy (1975 p.86). They use the word 'discourse' for 'utterance'. They say that a discourse is "a unit within conversation which is a continuous stretch of speech preceded and followed by an agreed change of speaker".

This definition is precise and acceptable beacuse the authors admit that it is hard to define the word 'agreed' which.

NOTES ON SENTENCE PATTERNS IN CONVERSATIONAL ENGLISH

Mohamed-Basil Al-Azzawi Jassim Mohamed Hassan
College of Arts
University of Mosul

ABSTRACT

In conversational English there are some features which are difficult to describe in terms of grammar. One feels that they have to be accounted for because they may have some implications in teaching English as a foriegn language.

The data chosen for analysis in this paper is that given by Crystal & Davy in their book 'Advanced Conversational English', together with the accompanying tape. The book contains fifteen genuine conversational extracts.

Analysis was made at the levels of Phonology and Grammar.

1. There are some terms which are needed in this paper and should therefore be defined.

مكتبتنا العربية

Palmer,F.R. *Samantics,* C.U.P.London, 1976.

Palmer,L.R. *Descriptive and Comparative Linguistics: A Critica Introduction,* Faber AND Faber Limited, London, 1972

Pei,M. *The Story of Language,* J.B. Lippinott Co., New York 1952.

Potter,S. *Changing English,* Andre Deutsch, Limited. Great Britain, 1969.

————, Penguin Books, London, 1972.

Pyles,T. *The Origins and Development of the Englisg Language,.* Harcourt, Brace, Jovanovich, Inc., New York, 1971.

Stern,C. *Meaning and Change of Meaning, Reproduced By the Indiana University Linguistics Club*j, 1964.

Strang,M.H. *A History of English,* Methuen & Co Ltd, London, 1970.

Sturtevant,E.H. *Linguistic Change:An Lntroduction to the Historicai Study of Language.* The University of Chicago Press, 1917.

————. *An Introduction to Linguistic Science,* Yale University Press. Inc., 1947.

Ullmann,S. *The Principles of Semantics,* Basil Black Well & Mott Ltd., 2nd Ed., 1957.

————. *Semantics:An Introduction to the Study of Meaning,* Basil Blackwell, Oxford, 1962.

Wade,B.(ed.) *Language Perspectives,* Heinemann Educational Books, London, 1982.

Williams,J. *Origins of the English Language,* The Free Press,A Division of Macmillan Publishing Co., Inc., New York 1975.

Wrenn,C.L. *Word and Symbol,* Longman, Green and Co LTD, London, 1967.

References

Baugh,A.C. *A History of the English Language,* D. Appleton–Century–Company, Inc., New York, 1935.

Barber,C. *Linguistic Change in Present-Day English,* Oliver BOYD LTD, London, 1964.

Bloomfield,L. *Language,* Holt, Rinehart and Winston, Inc. New York, 1933.

Bodmer,F. *The Loom of Language,* George Allen&Union LTD London, 1968.

Brook,G.L. *A History of the English Lsnguage,* Andre Deutsch Limited, London, 1958.

Darbyshire,A.E. *A Description of English,* Edward Arnold LTD London, 1967.

Hockett,C.F. *A Course in Modern Linguistics,* Macmillan Company, 1958.

Hoenigswald,H. *Language Change and Linouistic Reconstruction* The University of Chicago Press, Chicago, 1960.

Jespersen,O. *Growth and Structure of the English Language,* Oxford, 9th Ed. 1962.

Keiler,A.R. *A Reader in Historical and Comparative Linguistics* Holt, Rinehart and Winston, Inc., London, 1972.

Lee,I.T.*Language Habits* in Human *Affairs:An introduction to General Semantics,* Harper&Brothers Publishers, London,1941.

Lehmann,W.P' *Historical Linguistics:An Introduction,* Holt, Rine hart and Winston, New York, 1962.

Lyons,J. *Introduction to Theoretical Linguistics,* C.U.P.London & New York, 1968.

————,(ed.) *New Horizons in Liguistics,* Penguin Books Ltd. England, 1977.

12. Sometimes metaphors, particularly those which have become proverbial, preserve fossilized words and phrases, the meaning of which is no longer correctly understood. Thus in the phrase (buy a pig in a poke) the word poke means'a bag', just as in the corresponding German metaphor *eine Katze in Sack koufen*.
It is a by -form of *pouch*, only the diminutive form *pocket* being preserved in Standard English.(See Palmer, 1972:320).

13. According to Palmer (1972:322) the different tone and status of words makes the choice of words as delicate problem to ensure that their emotional contents are not discordant with one another or with the situation in which they are used. The words *horse*, *steed*, *nag*, *gee-gee*, all refer to the same animal; but the emotional colouring is different in each case'*Horse* is the every day word, the word with the least emotional content. *Steed*, belongs to the language of poetry. It is exalted, dignified and majestic, while gee-gee is a playful, nursery word.

14. Williams (1975: 198) explains that when the meaning of a word narrows toward an unfavorable meaning, it is called *pejorative* change. When the meaning narrows toward a more favorable meaning , it is called *elevation* or *amelioration* (Cf. Bloomgield, 1933:427 and Brook, 1958:188). As an example of the first type is the word *smug*, which was originally a good word, meaning (neat or trim); its present suggestion of objectionable self satisfaction seems to have grown up during the nineteenth century . The second type is revealed by words like *coax*, *shabby*, *squabble* and stingy which were recorded with proper disparagement by Doctor Johnson. They have passed into the standard speech, and in the nineteenth century they attained respectability. (For more information see Pyles (1971); Lee (1941); Jesperson (1962) and Keiler (1972).

Grean (to cry) has been killed by *grertan* (to greet); *hrum* (soot) collided with *run* (room); *adle* (disease) is said to to have dropped out owing to its resemblance to *addle* (filth). (See Palmer, 1972: 332).

8. Palmer (1976:12) explains that some reasons for semantic change are no more than fortuitous. He adds that *tanks* of modern warfare are so called because of a security decision in the 1914-18 war to deceive the Germans into thinking that water-tanks were being despatched.

9. Among the reasons for semantic change suggested by Brook (1958:167) is the repeated use of the word in a particular kind of context. In addition to its central meaning it acquires additional shades of meaning whick lead to confusion, if the word is used carelessly or unscrupulously. A barrister may ask a witness if he 'admits' that a statement is true'. If there is nothing discreditable about the statement and if the withness has made no attempt of concealment, the use of the word *admit* is inappropriate; it subtly puts the witness in the wrong. (See Palmer, 1972:332).

10. See Strang (1970: 131); Barber (1964:108-28); Ullmann (1957: 185-90) and Brook (1958:166).

11. One result of semantic change is that a knowledge of etymology is often necessary to enable the researcher to understand the sense in whioh a word is used by an older English author. in *A Midsummer Night's Dream* (II. i. 92) Titania speaks of rivers which' have overborne their continents. This use of *continents* is not current today, but it is a natural development of the etymology things which contain or hold in ;, hence 'banks'. (See Brook, 1958: 170); (Cf. Ullmann, 1957:199 and Palmer, 1976: 13).

Notes

1. Palmer (1976: ll) says that the term *senmantics* was first used to refer to the development and change of meaning. (See Lyons, 1968: 406).
2. According to Lehmann (1962: 200) the first task of the study of semantic change is the relating of same or different words in different stages of a language.
3. The principles of semantic change are evident in all morphological entities. The same assumptions can be made for morphemes consisting of suprasegmental material, but no sure examples can be provided, due to the ignorance of suprasegmental morphemes of the past. (See Lehmann, 1962: 195 and Brook, 1958: 165).
4. Changes which occurred in prehistoric times can be reconstructed. (See Lyons, 1977: 302).
5. According to Lehmann (1962: 195) much of the study of meaning in historical linguistics has dealt with attempts to determine reasons for change,rather than to describe the changes themselves.
6. Brook (1958: 171) explains that this aspect of semantics is cloeely bound with social history. *Window* is a word whose etymology arouses both our respect and our sympathy for the Scandinavians who coined the word. (ON *vindauga* 'windeye' and brought it to England: respect for the poetic ingenuity which saw the resemblance between a window and the human eye, and sympathy for housing conditions of those for whom a window was simply a hole for the wind to blow through,.
7. Some scholars have suggested such homonymity as a cause for the disappearance of many words in English:

3. Conclusion:

The preceding pages have shown that semantic change is a complex process. It involves favorimgs and disfavorings. The infinite multiplicity of historical, social, cultural and psychological causes that interact to bring about semantic changes have added more to this complexity, and, further, have made semantic change an inevitable process.

The changes of meaning which words undergo are but another evidence of the constant state of flux which characterizes English, and any other language, as it lives on the lips of the speakers.

It has also been observed that the meaning of a word is in effect a more or less wide range of senses.

Meaning is a prime concern in the study of philosophy, literature, psychology and similar disciplines. Each brings to the study of meaning its own approach-one which, with the possible exception of the literary student, concerns itself much with the relation of a word, a linguistic *symbol*, to the object in real life, the *referent*, as to the notion it symbolizes, the reference .

Meanings of words play a great role in communication. Sometimes they cause misunderstanding, especially when a word has more than one meaning. This causes reluctance to use that word. A typical description of this situation could be found in the following two lines from Tennyson's In Memoriam

... words, like Nature, half reveal
And half conceal the Soul within.

on someone. And that has widened again so that one can say *Someone took a bead on the PGA title today*.(See Williams,1975:187).

The word *Hearse* first meant a triangular harrow or plow. Then it metaphorically transferred to a triangular frame that held church candels. Then it began to shift: to the framework that held candels into the church, to the framework that held tapestry curtains or the pall over the tomb or coffin, then loosely to the coffin or tomb itself, then to the conveyance that transported the coffin and later, metaphorically, to the conveyance that transported pianos in nineteenth-century London. This is a case where discrete elements within a larger whole required special names and the most readily available one was attached to another element within the whole. (See Williams, 1975: 186).

The usual terms for these and other similar shifts come from classical rhetoric: *Metonymy*, which is the use of one word for another with which the meaning is closely connected i. e., the meanings are near each other in space or time: *jaw–cheek* and *chin*; *king= crown*; and *Synecdoche* which is the naming of a thing from one of its parts or qualities, that is, the meanings are related whole and part: *worker=hand*; *blad=sword*. (See Bloomfield, 1933:427 and Brook, 1958:177)

However some shifts represent cultural or geographical changes. When people from Britain settled America they gave a red-breasted thrush the name of their *robin*, a much smaller bird with similar colouring. (See Lehmann, 1962:205).

When semantic shifts have taken place, relics of former meanings may survive in restricted usages such as *ghost* (spirit) in *Holy Ghost* and *meat* (food) in *nut meat* and so on. Such relics help to, a limited extent, in reconstructing the earlier features of the Indo-European community, as the only certain surviving segment of their culture is the language. (See Bloomfield, 1933 428 and Lehmann, 1962: 207)

are adequate in these restricted contexts and situations to convey unambigious meanings, because the speaker and the hearer have common objects, habits and thoughts: the referents are more narrowly circumscribed and more intimately known than when speakers of different professions converse.

Consequently the linguistic hints required to communilcate the speaker's intention meed not be so definite. That is why a farmer can speak vaguely of his *birds laying*.

2. 3. Shift :

· This means that a form naming a category related by contiguity to a complex of items shifts to a discrete identifiable element in the complex. This discrete element either takes its name from the name of the larger structure, or gives its name to the larger structure or takes its name from another element within the larger structure. (See Williams, 1975:170 and 186); (Cf.Bloomfield, 1933: 427).

For example the word *bead*, which now means the little round ball strung on a string, derives from Old English *gebed* or *bed*, meaning prayer. When a bedesman says his pater noster or rosary, he keeps track of the prayer by counting the small balls. Sentences such as *How many beads have you said? Have you finished your beads?* , and so on could all be construed as referring either to the little round balls or to the prayers. Since the speakers apparently sensed a need to name the particular little round balls used in their prayers, they shifted the word for prayer, spelled *bede*, at the time, to the little round balls . The word then extended to include all little round balls, then to all little round shiny objects: *beads sweetbeads of glass* . Then it partially narrowed to the name of the round ball at the end of a gunsight; thence, *to take a bead*

For example the word *horn* in the phrase *a horn spoon* it is the material aspect of the horn that predominates. On the other hand, when a musician speaks of a horn with reference to a brass instrument, it is the function that has crowded out the other characteristics of horn. The development of the meaning of the word from the animal's horn (used as a musical instrument) to that of a metal musical instrument has only been possible by this selective attention to function; for the extension of the word horn to an instrument made, of different materials rests on similar function. (See palmer, 1972:310)

Aspect differs with the predominant interests of the speaker. Thus a *glass* will mean something different to a sailor, a publican or an actress. The word *play* suggests different ideas to a musician, a gambler, a footballer or an actor (13). This implies that the usual meaning will be different in each case, the meaning which springs to mind, when the word is heard in isolation. In different contexts, of course, all speakers of the language will be able to divine the intended meaning; but the distinction between the usual meaning and the occasional meaning of a word, differing as it does from speaker to speaker according to his predominant interests, is of great importance. In fact, it is in these professional environments that words become restricted to a special significance. (14) See Palmer, 1972 : 310.

If a farmer remarks that his *birds are laying well*, one guesses without further elucidation that his fowls are laying a satisfactory number of eggs . This type of change is extremely frequent. Such restrictions of meaning are to be understood from these peculiar relations that exist between individuals engaged in the same trade or occupation. Therefore words

reflects the belief that suffering may have a purifying effect. This is one of many words which show that the study of semantics can help to throw light on the history of ideas. (See Brook, 1958:176); (Cf.Palmer, 1972:336).

2.2 Restriction (Narrowing)

This means that a word originally naming a larger category changes to name only a subcategory of the original one. The word *haund* used to mean (dog) as does its German cognate *Hund*. In the course of time the idea of hunting is added to this earlier meaning, thus the scope of the word is restricted and it means a special sort of dog, a hunting dog. *Knave*, old English, nafa which used to mean simply (boy), it is cognate with German *Knabe*, which retains the earlier meaning, came to mean successively (serving boy),like that well known knave of hearts who was given to stealing tarts, and ultimately (bad human being) so that one may now speak of an *old knave*, or conceivably even of a *knavish woman*. This word thus has undergone both extension and restriction. (SeeBloomfield, 1933:435; Lehmann, 1962:201; Bodmer, 1969:234).

Contiued usage in a fixed context may result in restricting the meaning of a word of fairly wide significant meaning to one aspect of that meaning. Stern (1964:305) explains that what is meant by aspect,"is that most objects; qualities and events in the world of the speaker are complex that is to say, they consist of a totality of distinguishable parts of which some may be relevant to the speaker's puropose and others not". Consequently, he argues, the attention tends to be focused on these (momentarily) essential parts to the neglect of others.

Such associations are called synaesthetic if they are brought about by automatic processes in the nervous system, that is the synaesthetic images are so well established that their synaesthetic origin is lost sight of, as, for example, when one speaks of a soft voice or a sweet sound. It may be that the meaning of soft and *sweet* had become generalized before the adjectives were coupled with these particular sounds. (See Brook, 1958:175); (CF.Ullmann, 1957:275).

In the course of time, a metaphor becomes so usual that for the new generation growing up and learning the language, it is the normal, everyday term, that is the new meaning prevails and causes the metaphor to fade. (See Williams, 1975: 178). Thus the metaphor loses its colour and picturesqueness and all of the peculiar evocative power that it had for the older generation; so much so, that the later generation may be (12) completely unaware of the original meaning. (See Brook, 1958:175). *Daisy* is properly (eye of day), and was applied first to the sun and then by a second metaphor to the flower. Some purely intellectual processes are denoted by words which primarily refer to physical action. In the phrase (to get hold of an idea), the metaphor is still felt; but the phrase (to comprehend an idea) has in ordinary use lost entirely its metaphorical character.

In the present time one scarcely thinks of the former meaning of *decide* (cut off) or *detail* (cut in pieces) as one (bat around) a topic. The alteration of context is complete. (See Lehmann, 1962:204). *Tulip* is ultimately from the persian word which has also given *turban*, and that was the older meaning; *eased* meant (ass) and the word has acquired its present sense because, like an ass, an *eased* has to bear a burden; *tribulation* mean (threshing) and the history of the meaning of the word

the speaker, however, presents rather a different problem. If one wants to express a quality 'dirty', that quality has in the past been allied to notions as different as 'pig, and 'chimney sweep'. Consequently the thought of 'dirty' will evoke the thought of these different wholes of which it has formed a part.

When a metaphorical expression is understood, the hearer interprets the linguistic hint correctly; that is, his attention is drwan to the referent referred to by the speaker. At the same time he remains aware to some extent of the literal meaning of the expression, so that the two spheres of the actual (occasional) referent and the literal (usual) referent are fused together. The actual referent becomes charged with the colour and emotional qualities of the literal referent. If the metaphor is original, a new set of relations is established in the perceived world and the mind of the hearer is stimulated and enriched. (See Williams, 1975:171).

Many of these perceptions of similarity on which metaphors are based actually take place automatically by the process known to the psychologist as *syunaesthesia* (Brook, 1958: 175). According to Ullmann (1957:166) this psychological process is "a special kind of name-transfer through association between these senses." It means the production, from a sense-impression of one kind, of an associated mental image of a sense-impression of another kind.

These associations are utilized in liguistic symbolism, particularly in designating mental states. It is well known that colours have a great psychological effect. *Black* can simply be (malignant), (baneful), (sinister), (iniquitous), (dismal), (gloomy). A man can be (blacklisted). Trades declare products to be (black).

Thus names of persons have become parts of the language and are used as appellatives. *Sandwiches* are said to have been first made by Earl of Sandwich, who hit upon this way of eating meat and bread so as to avoid leaving the gambling–table. (See Brook, 1958:178).

But perhaps the most fruitful sourse of extensions of meanings is the metaphorical employment of words, as when one speaks of the 'foot' of a mountain, or the 'head' of a firm.

Metaphors are transfers of contexts. They are a kind of sideways leap of a word through semantic space. Williams (1975:178) explains that transfer occurs when two categories of actions or objects resemble each other in at least one feature and one of them has a name while the other does not but needs one. The name of one is then transferred to the other unnamed category of experience. (Cf.Bodmer, 1968: 234).

As language is a series of hints from which the hearer has to piece together the sense intended, these hints, may vary in plainness. It is wearisome to hear a spade always called a spade, and often the hearer is more stimulated by all allusiveness of expression which requires a greater effort of imagination or thought on his part. To achieve this linguistic symbolism turns to its service what is perhaps the most remarkable quality of the human mind–its capacity or analogy: that is the ability to perceive similarity of quality or relationship in dissimilar objects or situations. This, in fact, constitutes the mental basis of metaphor. (See Ullmann, 1957:288).

If a man is called 'a whale of a cricketer', of all the characteristics possessed by a whale, the content enables the speaker to focus his attention on the one which is relevant to the particular situation. The creation of the metaphor by

Similarly a *mill* was earlier a place for making things by the process of grinding, that is, for making meal. The words *meal* and *mill* are themselves related, as one might guess from their similarity. A *mill* now is simply a place for making things and the grinding has been eliminated. Thus one may speak of a *woolen mill*, a *steel mill*, or even a *gin mill*.

Williams (1975;175) points out that the least linguistically based type of extension or widening occurs when a culture, adding radically new objects or processes to the experiences of its speakers, uses an old name for a new object.

His postulation accounts for the use of the word *sail*. It once meant to cross water propelled by wind–power. Now one can 'sail' under the ocean in nuclear powered submarines (11). *Holidays* were once (holy–days): *Christmas*, *Easter*, and so on. Now *holidays* include *Labour Day*, and almost every day when there is no work.

Palmer (1972:312) shows that the extension of meaning can be undrstood from the relation between the technical and general languages. The craftsman, he says, needs a variety of terms to denote (to him) essential differences of detail. The carpenter has many words for the different kinds of *saw*, but the layman is content with one word for the whole category. (See Lehmann, 1962:204).

One kind of extension that has contributed a good deal to the growth of the English vocabulary is the formation of words from proper names. (See Palmer, 1972:330). The transition from proper names to common nouns is a gradual one and it is not always easy to say at what point the change takes place. Christian names, surnames and place names have been drawn up. *Jack* is used in a variety of senses, such as small ball sent down as a mark at bowls and a tool used to lift a motor-car.

2. Types of Semantic Change

Types of semantic change are to be described here in terms of the reasons for the change and its mechanism and consequences. On this basis semantic changes are classified under these headings:

1. extension (widening)
2. restriction (narrowing)
3. shift

2.1. Extension (Widening)

By extension is meant the expansion of a word's signification until it covers much more than the idea originally conveyed. This tendency is sometimes called generalization. Bloomfield (1933:428) writes:

> When a form used at one time in a meaning A and at a later time in a meaning B, this shows an expansion of the form from use in situations of type A to use in situations of a wider type A–B, and then a partial obsolescence by which the form ceases to be used in situations which approximate the old type A, so that finally the form is usually used only in situations of type B.

This means that when the scope of a word is increased, the elements of its contents are reduced. For example *tail* from Old English (tagl), in earlier times seems to have meant (hairy caudal appendage, as of a horse). When the (hairiness) is eliminated from the meaning, its scope is increased, so that in modern English the word means simply (caudal appendage). (Cf. Lehmann, 1962:202).

of the new religion, Old Germanio words were used: *God*, *heaven*, *hell*, were merely stripped of their heathen connotations and invested with the meanings described by the missionaries. The influence on the borrowing language is minimal in cases of this kind: the only change directly entailed is semantic.

Similarity or identity of sound may likewise influence meaning. *Fay*, from the Old French *fae* (fairy) has influenced *fey*, from old English *fage* (fated, doomed to die) to such an extent that *fey* is practically always used nowadays in the sense (spritely, fairy–like). (See Ullmann, 1957:185–90).

The meaning of a word may be changed (9) due to situations that can not be reconstructed and can be known only if historical traditions are kind to the investigator. The word *pander* comes from the name of *Pandarus*; in Chaucer's version of the ancient story of *Troilus and Cressida*, Pandarus acts as a go–between.

In fact there are more factors that interact to cause changes in meanings(10). For example, a change in meaning is frequently due to ethical or moral considerations. Words might change their meaning because 'there is a change in the practical world, and by this semantic changes become facets of culture.

So the preceding pages have given an idea of the manifold causation of semantic changes. It has been earlier stated in this section that changes of meaning can be brought about by an infinite multiplicity of causes–a state which accounts for the complexity of the mechanism of semantic change.

The emotive content of a word, like its intellectual content, is important in bringing about changes of meaning. It may change because a speaker and his hearers use the word differently. It may change as a result of some particular event which can be dated. This is readily demonstrated in areas of strong emotions, such as religion, politics, war. For example *appeasement* became a snarl–word in 1938 as a result of the Munich Agreement(8). (Brook, 1958:168); (Cf. Lehmann, 1962:200).

Sturtevant (1961:89) writes;

> Words suggest emotions. The word *home* differs from *house*, in its emotional content. Sometimes the emphasis on the emotional content of the words becomes so great that the intellectual content is lost of sight. So shift of emphasis had led to an increase in the range of applicability of a word.

(Cf. Williams, 1975:170).

However, semantic change may also be due to loan words Hockett (1958:408) points out that the acquisition of a loan word constitutes in itself a lexical change, and properly one abould say that it constitutes or entails a semantic change.

In fact, in case of loan–words the borrower may adopt th e donor's word always with the object or practive. Sometimes the borrower may both accept the donor's words along with the new cultural item, but he may adopt material already in his own language.

This adaptation may be in one way or another patterned on the donor's verbal behaviour. At any rate a new idiom arises under the impact of another linguistic system. This idiom is called a loan–shift. Christianity introduced into Old English many latin words, in the seventeenth century, as cultural loan–words. But for some of the fundametal notions

According to Palmer (1972:324–24) it is rapidly becoming impossible in English to find an acceptable designation for the place of defecation . It is called variously the *privy*, the *closet* (little room) , the *lavatory* (the washing–place) and "we are now being driven from the *cloak-room* into the *toilet*".

When speaking of the physical characteristics of their friends people say *stout* , in preference to *fat* , although this word originally meant (strong) . Unattractive girl is called *plain* or *homely* . (Cf. Ullmann, 1957:184–90 and Hoenigswald 1960:65).

Semantic changes are also due to the interrelations of various social groups . An example is the specialized use of *elder* , (Greek, presbuteros) by the early Christians; this came to be part of their technical language and as *presbyter* , later *priest* has retained its specialized meaning, besides leading to a modification of *elder*. (See Lehmann, 1962:199).

A shift in point of view also results in a change of meanning. *Crescent* from the present participle form of Latin *Cresco*, used to mean simply (growing, increasing). The new, or growing, moon was thus called the *crescent moon*. There has been a shift in the dominant element of meaning, the emphasis coming to be put entirely on shape, specifically on a particular shape of the moon, rather than upon growth. *Crescent* has thus come to mean (new–moon–shaped).

A change in customs or environment sometimes makes a shift in emphasis inevitable. Th word *fee*, once meant *cattle*, and one element of the concept was the idea that cattle might be used to pay a debt. But when cattle ceased to be used for this purpose, it was no longer possible to consider payment a subordinate characteristic of cattle. It must necessarily become an independent idea. (See Sturtevant. 1917: 88).

Changes of meaning resulting from changes in the knowledge of the object described are frequently to be found in the history of science. Thus, *electric.* originally meant (pertain to amber) because it was when amber was rubbed that the effects of electricity were first observed . (Brook ,1958:171) . Similarily, *oxygen* is from French *oxygene* (acidifying principle) because oxygen was at one time thought to be essential to the formation of acids (6) .

Semantic change may be due to *euphemism* which is the reluctance to use direct term for an unpleasant object or situation. (See Hoenigswald, 1960:65).

Pyles (1971:357) writes: "It is not surprising that superstition should play a part , as when *sinister* , the latin word for (left) 'the unlucky side' acquired its present baleful significance."

Expressions like *pass away; go to sleep* or *go to their Great Reward*, are called euphemisms for the verb *die*. Therefore it is said that words like die which have unfavourable connotations , become under taboo. Many tabooed words are restricted in usage in certain social situations , so that the word is not totally lost from the language . These words are under a ritual or 'ill–omened tabu. Tabus of indecency do not seem to lead to obsolescence . The substitutes may in time become too closely associated with the meaning and in turn become tabu . The word *whore*, cognate with latin *carus* (dear) must have been at one time a polite substitute for some word now lost to the people . So the semantic factor is more apparent in the disfavouring of speech forms that are homonymous with tabu forms(7). (See Pyles. 1971:358) .

I. Reasons for Semantic Change

Change of meaning can be brought about by an infinite multiplicity of causes(4). No matter how fine a mesh of distinctions one may devise, there will always be some causes which will slip through. Most succinctly one might say that words come to be used in new senses, because old words have to be used by new speakers in a new world. (Ullmann, 1962:197); (Cf.Palmer, 1976:12; Brook, 1958:*488*–68).

Thus in searching for the reasons of semantic change one must look to the speaker and his reaction to his world in the effort to make a communication. The intention of the speaker provides the driving force and the world which in cludes the hearer, provides the conditioning circumstances(5).

Stern (1964:305) shows that "the basis for the comprehension of a single word is not that word alone but also a mass of context: concomitant circumstances, situations, knowleige of the topic, of the speakers' habits, opinions etc."

Linguistically speaking, the meaning of a word is the sum total of contexts in which it appears. A linguist has to limit himself in studying the relationship of symbol, referent, and raference, This is so because the study of meaning is the study of culture, which is unlimited undertaking. (See Barber, 1964 108–28).

Change of meaning may result from change in the reference. This takes place when a word retains its original form but its meaning changes becaus the object whish it describes has chaged. This may be illustrated by *pen* and *paper*. The word *pen* originally meant (feather); (Latin, *penna* 'wing, feather') and it was first used when the normal type of pen was a quill pen. *Paper* is ultimately from Greek *papyrus*, but the word has continued in use when paper is made from a large number of other materials. (See lehmann, 1962:199).

Dutch *kin*, but Gotic *kinnus* and the Scandinavian forms, from Old Norse *kinn* to the present, meen *cheek*. All these words cognate: From Latin: *Magna*, as in *Magna Carta*, *magnate*, *magnitude*, *magnifier*, *magnificance;* from French, *masitre*, which gives English *master*, *mister*, and by analogy, *mistress*. In other Indo –European languages it is found that Greek *genus* (chin) agreeing with west Germanic, but latin *gena* (cheek) agreeing with Gothic and Scandinavian, while Sanskrit *hanuh* (jaw) shows a third meaning. So the old meaning, whatever it was, has changed in some or all of the languages. (See lehmann 1962:193; Barber, 1964:6).

However, in attempting to reconstruct change of meanning from forms in related languages, one should know more than the fact of their relationship to decide that of the pair, English *silly*: German *selig* (blessed) the German form preserves the earlier meaning, while of the pair English *cup*: German *kopf* (head), the English form does. From such comparisons of related forms which differ in meaning, one arrives at the conclusion that change of meaning has indeed taken place.

The structural analysis of forms is an indication of semantic change.In Old English *understand* had the same present meaning. But at the time the compound was first formed, it must have had the meaning (stand under); this gains in probability from the fact that *under* once meant also (among)' for the cognates, German *unter* and Latin *inter*, have this meaning. Thus, 'I understand these things', may have meant, at first, 'I stand among these things.' (See Sturtevant, 1917 and Pyles, 1971).

According to Lehmann (1962:195) one can speak with certainity only when one has texts in which the earlier and the later meanings are attested.

The change of meaning or semantic change(1) is, in one way or another, part of the cultural behaviour of nations. The historical dimensions of this Process make it a phenomenon common to all languages. Hoenigswald (1960:45) writes

> The phrase 'semantic change' or 'change of meaning' is properly applied to morphs; if a morph at a later stage appears otherwise than as part of a coorresponding morpheme–if, in other words; it has changed its morphemic environment–it is quite rightly said to have changed its meaning.(2)

(Cf.Williams, 1975:170; Lehmann, 1962:195–96; Brook, 1958:165)

Therefore, the process of semantic change is an entirely normal one, and is going all the time.(3) So what was formerly a marginal meaning becomes central, whereas the old central meaning becomes marginal or eventually disappears. In Old English the word *bede* meant *Prayer*; in Modern English it has turned into *bead* which no longer means *prayer*. (See Williams, 1975:154–53).

Changes of meaning are apparent in languages for which there are available texts(4). In fact, the contexts and phrasal combinations of a form in the older written records often show that it once had a different meaning. Sometimes the comparison of related languages shows different meanings in forms that one feels justified in viewing as cognate.

According to williams (1975:167) the more important source of information about the distinct history of a word is the common core of meaning retained by cognate words from different languages, (See Stern, 1964:310); (Cf.Ullmann, 1957 174). The word *chin* agrees in meaning with German *kinn* and Dutch *kin*, but Gotic *kinnus* and the Scandinavian forms, from

SEMANTIC CHANGE IN ENGLISH

BASIM M. BADR
COLLEGE OF ARTS
UNIVERSITY OF BAGHDAD

ABSTRACT

The aim of this paper is to account for the reasons, types and consequences of semantic change in English. It also shows that the complexity of semantic change consists in the fact that the ways in which meanings change open up such interesting bypaths on social, political, and cultural history that one is tempted to wander aimlessly through historical semantic space, turning from one etymological curiosity to the next. Further, meaning is the concern of many fields other than Linguistics. Meaning is a prime concern of philosophy, literature, psychology, and similar disciplines. Each brings to the study of meaning its own approach. Yet to survey all the overlapping schemes of classifying reasons and types of semantic change, based on a variety of different criteria, would be a 'Herculean' as well as a thankless task.

0. Introduction

The meaning of a word is in effect a more or less wide range of 'senses'. It follows that change of meaning will consist in modificaton of sense-range.

CONTENTS

Al – Mustansiriya Literary Review

Published by the College of Arts

Al – Mustansiriyah University

VOL. XII
1985

٨٧٢